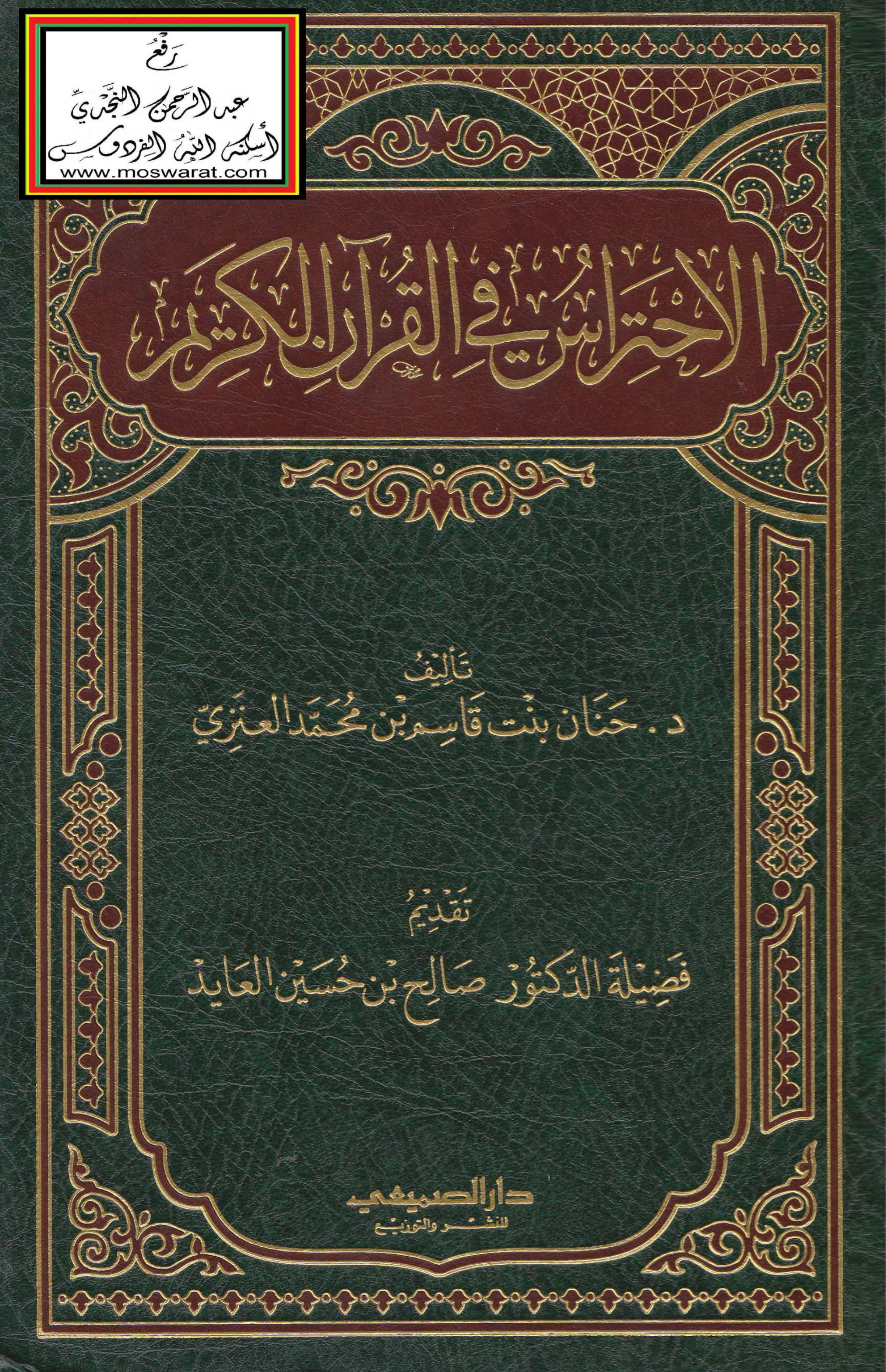


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
الاحتراس في القرآن الكريم
تأليف
د. حنان بنت قاسم بن محمد العنزي
تقديم
فضيلة الدكتور صالح بن حسين العايد
دار الصميعي
للنشر والتوزيع

الاحتراس في القرآن الكريم

تأليف
د. حنان بنت قاسم بن محمد العنزي

تقديم فضيلة
الدكتور صالح بن حسين العايد

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العنزي، حنان قاسم محمد

الاحتراس في القرآن الكريم/ حنان قاسم محمد العنزي- الرياض، ١٤٣٤هـ

ص: ٩١١ ؛ سم: ١٧×٢٤

ردمك: ٥-٣٨-٨١٣٣-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن- بلاغة ٢- القرآن- مباحث عامة أ. العنوان

ديوي: ٢٥٢ ٨٦٧٨/ ١٤٣٤

رقم الإيداع: ٨٦٧٨/ ١٤٣٤

ردمك: ٥-٣٨-٨١٣٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض

ص.ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

الإهداء

أُهدي ثواب هذا الجهد المتواضع

إلى والديَّ العزيزين

حفظهما الله تعالى

وجزاهما كل خير

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور
صالح بن حسين العايد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥] ليبلّغه للناس كافّةً ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

والصلاة والسلام على رسولنا محمد بن عبد الله المخصوص بهذه المعجزة الخالدة ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩] وصحبه أجمعين أما بعد:

فإنّ إعجاز القرآن العظيم بيانيٌّ بفصاحته وبلاغته وبيانه، ولن يستطيع متدبّرٌ أن يعرفَ فضلَ القرآنِ وإعجازَهُ إلا إذا ملكَ أدواتِ التدبّرِ كما قال ابن قتيبة: «وإنما يعرف فضل القرآن مَنْ كثرَ نظرُهُ، واتّسعَ علمُهُ، وفهم مذهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون جميع اللغات.

وإنّ مَنْ كانت له تجربةٌ في الانكباب على تدبّر كلام الله تعالى ليدرك أنّ الأمر ليس سهلاً؛ فإنّ القرآن -وإنْ كان ميسراً للذِكْرِ- يحوي لآلئ، لكنها تكمن في أعماقه، ولا يمكن الوصول إليها إلا بامتلاك عدّة الغوص وأدواته، وتلك العدد والأدوات أمستْ شحيحةً في عصرنا الحاضر بعد أن انصرف عن اللغة العربية أهلها، وأصبحتْ غريبةً في ديارها، ولذلك حينما نمى إليّ أنّ الأخت الدكتورة حنان بنت قاسم العنزيّ قد انبرتْ لإحدى تلك المهمّات الجليلة بدراسة باب من أبواب الإعجاز البيانيّ في القرآن العظيم، وهو «الاحتراس في القرآن الكريم» أشفقتُ عليها؛ فذاك بابٌ لا يقف عليه إلا مَنْ لا يتهيّب صعود الجبال ولا يخشى الغوص في أعماق المحيطات فكيف بذات خدر وسِوار. (ليس راءٍ كَمَنْ سَمِعَ) كذا قالت العرب، ومن العرب حذام.

وإذا قالت حذامِ فصدّقوها فإنّ القولَ ما قالت حذامِ

بدأتُ قراءة هذا الكتاب وفي النفس حاجات لا تحتاج إلى فطانةٍ لإدراكها، ولكنني رأية سحابة الصيف التي أظلّتني قد تقشّعتْ بعد أن حملتْ معها الهواجس والظنون؛ فقد أغنتْ طلعةُ البدر عن زُحَلَ، وَمحَتِ المشاهَدةُ الشكوكَ، وأغناني عن الخبر العيانُ.

لقد ارتقتِ الدكتورة حنانُ مرتقى صعباً، ولكنها بتوفيق الله كانت لذلك أهلاً، ولن يدرك مدى صعوبة البحث في مباحث القرآن إلا من دار في ذلك الميدان؛ وإنّ من أصعب مصاعبه أنّ الزلة فيه خطيرة، وأن العثرة لا تنفع معها جبيرة، ولكنّ الأخت الدكتورة الباحثة نفعها بعد توفيق الله تعالى جَلَدُها ودأبُها وصبرُها مما جعلها تحيطُ غالباً بمصادر الموضوع وتفيد منها إفادةً يدركها كلّ من يقرأ هذا الكتاب قراءة مطمئنّة فاحصةً.

إنّ «الاحتراس في القرآن الكريم» أسلوبٌ يلقي على المتدبّر رداء جمال حين يدرك مراميه وفوائده، يشهد بذلك الآيات التي أحاط بها هذا الكتاب مفصّلة بوجوه الاستشهاد بها ومحاولة الكشف عن أسرارها التي كثيراً ما تغيب عن إدراك القارئ الذي لم يحط علماً بـ(الاحتراس) وصوره وفوائده.

أشكر الأخت الدكتورة حنان العنزي على اختيارها الإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم ميداناً لبحثها، واصطفائها هذا الموضوع للبحث، و؛ لأنها منحت الأمر ما يستحقه من جهد واثقاً من خلوص نيّتها فيه لوجه الله؛ بدليل توفيق الله لها هذا التوفيق الجليّ بإخراج هذا السفر الطيّب المبارك، وأتمنى أن تسير في هذا الميدان المبارك الرائع (الإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم. تتمّة لما ابتدأت به مصطحبة النيّة الصالحة ليبارك الله في عملها ووقتها وحياتها. أسأل الله تعالى لها مزيداً من التوفيق والسداد والرشاد والحمد لله أولاً وآخراً.

كتبه الأستاذ

الدكتور صالح بن حسين العايد

في الرياض ٣٠ جمادى الآخرة، ١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن أفضل ما يُفنى فيه العمر، وتتجه إليه الهمة ويُصرف فيه الوقت والجهد دراسة كتاب الله العزيز والتأمل فيه، ومعرفة أسراره التي تنوعت وتعددت بتنوع أساليبه، واختلاف أحكامه.

إن العناية بدراسة أوجه الإعجاز القرآني من الواجبات المتحتمة على من يُقبل على دراسة القرآن الكريم وعلومه، ليعرف صورها ويقف على حقيقتها، وليتمكن من الكشف عن أسرار القرآن ودلائل إعجازه التي تتجددُ على مر العصور.

«إن أولى ما أعملت فيه القرائح وعلقت به الأفكار اللواقح الفحص عن أسرار التنزيل والكشف عن حقائق التأويل، الذي تقوم به المعالم، وتثبت به الدعائم، فهو العصمة الواقية والنعمة الباقية، والحجة البالغة،... بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، تظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه»(١).

مشكلة البحث:

لقد استجدت العديد من المصطلحات اللغوية والبلاغية الحادثة، والتي لم تكن معروفة في العصور الخمسة الأولى، ومنها مصطلح «الاحتراس»(٢) الذي ذكره غير

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، نشر دار عالم الكتب، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ (٣: ٤).

(٢) وقد آثرت تسمية الاحتراس على مصطلح الاحتراز مع أنه مرادف له في اللغة؛ لكثرة استعماله عند المفسرين والبلاغيين، وكل من كتب - ممن وقفت عليهم - كان يذكره بهذا المصطلح، إلا ما كان من العلماء المتقدمين، فإنه لم يرد عندهم بهذه التسمية.

واحد من المفسرين في تفاسيرهم، ومن تتبع التفسير في رحلته الطويلة، يرى أن مصطلح الاحتراس لم يكن معروفاً بهذه التسمية، لكن المتأمل يقف على استعمالاته، فكثيراً ما يذكر المفسرون ما يدل عليه،كقوله:م في الآيات التي يرد فيها الاحتراس : (لئلا يتوهم، لدفع توهم، حتى لا يتوهم... وغيرها)، بل ربما ذكروه بألفاظ مرادفة كقوله:م: (احتراز، احتياط، تكميل)، في حين أورد آخرون هذه التسمية، لكنهم توسعوا في الآيات، حتى أُدخل في الاحتراس ما ليس منه؛ نتيجة للتداخل الكبير بينه وبين أغراض الإطناب المتعددة، فلقي مصطلح الاحتراس قدراً غير قليل من الخلط والاضطراب عند أرباب البلاغة والتفسير.

لذا تحتاج هذه القضية إلى مزيد من التحرير، وتستدعي أن يُتوقف عند الاحتراس لخفاء دلالته، ويكون ذلك من تتبع نشأته، ومن الذي بدأ بذكره، وبيان موقف المفسرين منه، من حيث التنصيص عليه وتطبيقه، وما أقدم إشارة لهذا المصطلح في التراث الإسلامي، ولا يتبين ذلك إلا من جمع ودراسة الآيات التي ورد فيها الاحتراس.

وفي ضوء ما سبق أجد أنها قضية جادة تستحق أن يُلتفت إليها؛ للإجابة عن كثير من هذه التساؤلات التي تُثار حول هذا الموضوع، والإسهام في بيان ما يتصل بها من قضايا، كما أن فهم الاحتراس يعين - بعون الله تعالى - على تفسير القرآن الكريم.

حدود البحث:

يدخل مصطلح الاحتراس في العديد من الفنون، لذا سأقتصر - بإذن الله تعالى- على ما كتبه المفسرون، وأذكر ما تدعو الحاجة إليه مما ذكره البلاغيون، ولا يتضح المعنى إلا ببيانه فأثبته حين يستدعي المقام ذلك.

مصطلحات البحث:

الاحتراس: «وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»[١].

الإطناب: «زيادة اللفظ على المعنى لفائدة»[٢].

الاستدراك: «تعقيب الكلام برفع ما يوهم ثبوته وهو معنى قوله:م: رفع توهم نشأ من كلام سابق»[٣].

التتميم: «وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة»[٤].

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. حوى القرآن الكريم العديد من الخصائص والسمات التي أسهمت في الكشف عن بعض وجوه إعجازه، وقد أثارت تلك الخصائص الدارسين للبحث في كنوز القرآن، وسبر أغواره.

لذا فالعكوف على تلك الكنوز فيما يخص موضوعاً قرآنياً يعين- بعون الله تعالى- على ظهور كثير مما خفي من أسرار القرآن.

٢. إن الناظر والمتأمل في كتاب الله الكريم يبهره نظمه، ويعجزه بيانه، ويرجع الطرف حائراً في الكشف عن سر من أسراره، فضلاً عن الإحاطة بإعجازه.

وهذه الدراسة تُسهم في الكشف عن طرف من البلاغة القرآنية، من الآيات التي ورد فيها الاحتراس.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة،الخطيب القزويني، (١: ١٩٢).

(٢) المثل السائر، لابن الأثير (٢: ١٢٠).

(٣) قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي طاهر البغدادي (ص: ١٣٢).

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة (٢: ١٢٨).

ومن أهم الأسباب التي دعت للاختيار البحث ما يأتي:

١. الإسهام في الكشف عن الإعجاز القرآني، واستنباط أحكامه وحِكمه.

٢. قلة الدراسات في هذا الجانب - التفسير البلاغي - إلا ما ورد من عبارات يسيرة بين طيات كتب التفسير التي عُنيت بهذا الجانب، فالاحتراس من الأساليب التي لم تنل حظها من الدراسة في كتب المفسرين والبلاغيين.

٣. الإسهام في بيان مصطلح الاحتراس،في دراسات السابقين من المفسرين والبلاغيين، وأثره في بيان البلاغة القرآنية.

٤. إبراز أهمية هذا الموضوع، وبيان وظيفته، وَلَمُ شتاته من الكتب التي هي مظانه، وجمعه في صعيد واحد، لتظهر بذلك أهميته وأثره في تفسير القرآن، وبيان معانيه ابتداءً، ومن ثم أثره في إبراز المعاني البلاغية في القرآن.

٥. أن هذا الموضوع – فيما وصل إليه علمي – لم يُسبق لأحد دراسته دراسة مستقلة ومفصلة، ولم يُسبق لأحد أن عرض له حسب الموضوعات القرآنية.

الدراسات السابقة:

بعد التأمل والبحث لم أجد دراسة مستقلة عرضت للاحتراس تجمع شتاته في صعيد واحد، إنما كان متفرقاً بين طيات كتب التفسير والبلاغة، لكن ليس على سبيل الاستقصاء والتحرير، وإنما على سبيل الإيضاح والبيان، فذكره المفسرون والبلاغيون على أنه من الأساليب البلاغية في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

١. تحرير مصطلح الاحتراس، وبيان أهميته في الكشف عن بلاغة القرآن وتميزه عن بقية أنواع الإطناب.

٢. التعرف على الاحتراس، وبيان أنواعه وأغراضه الواردة في القرآن الكريم، والوقوف على موقعه من الناحية النحوية والبلاغية.

٣. جمع صور الاحتراس في القرآن الكريم، ودراستها وبيان أثرها في التفسير، وبيان دور الاحتراس في أيضاح المعاني وبيانها.

٤. بيان مدى عناية المفسرين بالصورة البلاغية في القرآن الكريم عامة، والعناية بمصطلح الاحتراس خاصة.

٥. الكشف عن موقف المفسرين من الاحتراس، من حيث التنصيص والتطبيق على مدى الرحلة الطويلة للتفسير.

٦. الإسهام في الكشف عن جمال النظم القرآني، من استقراء مواضع الاحتراس في القران الكريم، وإضافة لبنة جديدة في بيان الإعجاز البلاغي.

أسئلة البحث:

هناك العديد من التساؤلات المتعلقة بمصطلح الاحتراس التي لم تحظ بإجابة شافية، ولا يزال يكتنفها بعض الغموض وتستحق أن تفرد بدراسة مستقلة ومن ذلك:

١. ما المراد بمصطلح **الاحتراس** في القرآن الكريم**؟**

٢. ما الصلة بين **الاحتراس** وبين بقية أنواع الإطناب؟

٣. ما أغراض **الاحتراس** في القرآن الكريم؟

٤. ما أنواع **الاحتراس** في القرآن الكريم، وما أثرها في التفسير؟

٥. أين يقع وفي أي الآيات يرد، وأثره في دلالات الآيات ؟

٦. ما موقع **الاحتراس** في الآية من الناحية البلاغية والإعرابية كذلك؟

٧. هل ذكر المفسرون مصطلح **الاحتراس** في تفاسيرهم؟ وبم وسموه؟

منهج البحث:

اعتمد منهج الدراسة في بحث (الاحتراس)، على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

إجراءات البحث:

اعتمدت في هذه البحث – بعد عون الله تعالى – المنهج الآتي:

١. ذكرتُ الآية التي ورد فيها الاحتراس، وأذكر معها الآيات المشابهة لها، والآيات التي لها صلة شديدة بها في موضع واحد، وإن اختلف الاحتراس فيها.

٢. بعد ذلك أثبت عنوان (الدراسة والتحليل) وفيه عدة مباحث فرعية، مثل: تمهيد في معنى الآية أو الآيات، إبراز الاحتراس وصورته، ذكر آراء الأئمة فيه،وتحرير محل الخلاف فيما تباينت حوله وجهات نظر العلماء، ثم أبين خلاصة ما قيل فيه.

٣. أقدم بين يدي الآية التي ورد فيها الاحتراس بشيء من التفسير التحليلي، تهيئة للقارئ على فهمها، وليكون وسيلة معينة على وضوح الاحتراس.

٤. الرجوع إلى أقوال المفسرين، وبخاصة من عُرِف عنهم الاهتمام بعرض المعاني البلاغية في آيات الذكر الحكيم. وقد راعيت في اختيارهم عدة اعتبارات.

- الجمع بين المناهج والمدارس المختلفة في التفسير، من المفسرين الذين عنوا بالدراسات البلاغية، واللغوية والنحوية، والمهتمين بالدراسات الفقهية.
- الجمع بين المفسرين على اختلاف عصورهم، وتنوع مشاربهم، في تحرير بعض مسائل الاحتراس التي تباينت الآراء فيها، واختلفت حولها وجهات النظر.
- العناية بمعتقد أهل السنة والجماعة، وتوجيه الآيات في ضوء منهج السلف الصالح وفق الفهم الشرعي الصحيح.

٥. العناية بأقوال المفسرين على اختلافها والوقوف عليها، وقد اكتفي بصياغة ما قالوه أو بالإشارة إليه دون نقل أقوالهم بالتفصيل، وقد اكتفي بقول واحد إذا كان وافياً بالمراد، وتابعه عليه آخرون.

أما المواضع التي أحرص فيها على ذكر أقوالهم، فهي المواضع التي تتباين فيها آراؤهم تبايناً شديداً، ولا تتفق.

٦. لم أدخل في البحث ما جاء بأسلوب الاحتراس، وليس احتراساً مما يدخل في بعض أنواع الإطناب.

٧. حين يتكرر تركيب الاحتراس كما في الفواصل القرآنية، أو المتشابه من الآيات فإني أوليه عناية تامة في الدراسة والتحليل، وبيان ما فيه من احتراس عند وروده أول مرة، فإذا تكرر أُحيل على ما سبق.

٨. قمت بدمج مبحث البديهيات مع مبحث أشباه الاحتراس ونظائره، لكونه أحدها، وتجنب للتكرار في البحث.

٩. في الترجمة للأعلام اقتصر على ما جاء عنه نقل من نصوص أو أقوال، ولا أترجم لمن يريد اسمه في صلب نص مقتبس.

١٠. وقد سرت – بعون الله تعالى – في بحثي هذا وفق المنهج العلمي عز والآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث، وشرح الغريب، وتوثيق النصوص....، وفي الشواهد الشعرية أعز والبيت إلى قائله، وإذا لم أهتد لقائله أحيل على المصادر التي ذكرت الشاهد الشعري.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث – بعون الله تعالى – إلى مقدمة وبابين – يتخللهما فصول ومباحث ومطالب – وخاتمة وفهارس متنوعة، والتقسيم التفصيلي كالآتي:

الباب الأول: (الدراسة النظرية للاحتراس)

الفصل الأول: (مقدمات في الاحتراس).

المبحث الأول: الاحتراس في اللغة.

- الاحتراس في الاصطلاح.
- نظائر الاحتراس.
- أشباه الاحتراس وعلاقته بها.

المبحث الثاني: نشأة الاحتراس وتطوره.

- نشأته وتطوره عند اللغويين.
- نشأته وتطوره عند المفسرين.

المبحث الثالث: الاحتراس عند المصنفين في علوم القرآن والبلاغة.

الفصل الثاني: (الاحتراس في دراسات اللغويين).

المبحث الأول: عناية اللغويين بالبلاغة القرآنية.

المبحث الثاني: مواقع الاحتراس النحوية مع ما قبله وما بعدّه.

المبحث الثالث: علاقة الاحتراس بالإطناب وأنواعه.

المبحث الرابع: علاقة الاحتراس بفنون البلاغة.

الفصل الثالث: (أنواع الاحتراس وأغراضه وألوانه في القران الكريم).

المبحث الأول: أنواع الاحتراس في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أغراض الاحتراس في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: القيمة الفنية للاحتراس.

الباب الثاني: الدراسة التحليلية للآيات التي وقع فيها الاحتراس.

الفصل الأول: (الاحتراس في أمور الاعتقاد).

المبحث الأول: الاحتراس في آيات التوحيد.

المطلب الأول: الاحتراس في الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: تذييل الآيات القرآنية بالأسماء الحسنى ودلالاتها.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: الاحتراس في آيات اليوم الآخر.

المطلب الأول: الاحتراس في اليوم الآخر في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاحتراس في وصف الجنة ونعيمها.

المطلب الثالث: الاحتراس في وصف النار وعذابها.

المطلب الرابع: مقاصد الاحتراس في اليوم الآخر.

المبحث الثالث: الاحتراس في آيات النبوة والأنبياء.

المطلب الأول: الاحتراس في إثبات النبوة والرسالة.

المطلب الثاني: الاحتراس في قصص الأنبياء ودعوتهم.

المطلب الثالث: الاحتراس في أخبار الأمم السابقة.

المطلب الرابع: مقاصد الاحتراس في آيات النبوة والأنبياء.

الفصل الثاني: (الاحتراس في آيات الأحكام والآداب والأمثال).

المبحث الأول: الاحتراس في آيات الأحكام.

المطلب الأول: آيات الأحكام في القرآن الكريم.

المطلب الثاني:الاحتراس في آيات الأحكام.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في الأحكام.

المبحث الثاني: الاحتراس في آيات الآداب القولية.

المطلب الأول: الآداب القولية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاحتراس في آيات الآداب القولية.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الآداب.

المبحث الثالث: الاحتراس في آيات الأمثال.

المطلب الأول: الأمثال في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاحتراس في آيات الأمثال.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الأمثال.

المبحث الرابع: الاحتراس في آيات القسم.

المطلب الأول: القسم في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاحتراس في آيات القسم.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات القسم.

وأما الخاتمة فتشتمل على أهم نتائج البحث وأهم التوصيات، تتبعها الفهارس المتنوعة.

وأخيراً: فإن مسيرة البحث كانت طويلة وشاقة، فموضوع الاحتراس موضوع ثري المعاني، عميق المباحث واسع الميدان،وقد خضت غماره وتحملت صعابه،مع وعورة مسلكه ودقة مباحثه، وتفرق مادته في بطون التصانيف. ومن الصعاب التي واجهتني في البحث ما يأتي:

١ - إنه موضوع متجاذب بين علمين هما التفسير وعلوم القرآن وعلم البلاغة والبيان، وتحرير مسائل الاحتراس يوجب التعمق في هذين الفنين.

٢- أن هـذا الموضـوع غـير مـؤطر بـزمن معـين، ولا مقصـور عـلى كتـب معينـة، ولا محصور على طائفة مخصوصة بل هو شامل لجميع هذه المحاور، وقـائم عـلى هـذه المرتكزات.

فلقد اسْتَمدِدتُ مادة هذا البحث من كتب التفسير وعلوم القرآن على اختلافها، كـما اسْتَمدِدتُ من كتب البلاغة والنقد على امتداد القرون.

وذلك استلزم الوقوف مع غالب كتب هذه الفنون واستقراء المادة منهـا، ثـم العـودة إليها لتأصيل المسألة وتكميل مناقشتها.

٣- أخـذ هـذا البحـث عـلى عاتقـه أن يحـافظ عـلى خصوصـية الموضـوع وعـدم مـده وتشعيبه خارج إطار التفسير وعلوم القرآن ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٤- فوجئت بعد خوض غمار البحث أن المصـادر شـحيحة في ذكـر الاحـتراس، وقـد انقطعت بي السبل فلم أقف إلا على وميض خافت ونتف مختزلة في بعض الكتب.

٥- طول المادة العلمية، والنظر في الآيات قـد يوجـب الرجـوع إلى عشرـات المصـادر والمراجع، وربما لا أجد بعد طول النظر والبحث بغيتي، فأُضطر لاسـتبعاد الآيـة كونها خالية من الاحتراس.

٦- أن هناك من الآيات الكريمة ما تصلح للدخول في أكثر مـن مبحـث، ممـا أدى إلى صـعوبة التقسـيم، وظهـر ذلـك جليـاً في مبحـث (الاحـتراس في آيـات النبـوة والأنبيـاء) حيـث تنازعـت الآيـة الواحـدة عـدة مطالـب، وقـد سـعيت للتسـديد والمقاربة ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

٧- وصـعوبة أخـرى في اختيـار الأقـوال وتقـديم أحـدها عـلى الأخـر، فأقـدم القـول الأقـوى دلالـة عـلى الاحـتراس، وإن كـان متـأخراً في سـنة الوفـاة، وإذا تسـاوت الأقوال في الدلالة أقدم الأقدم في تاريخ الوفاة.

ولا أدعي أنني بلغت فيه درجة الكمال؛ لأن النقص من سمات البشر، وإنما حسبي أنني حاولت قدر المستطاع أن يأخذ البحث مكانه اللائق به، مع اعترافي بالقصور في الوصول لدرجة الكمال. وحسبي أني اجتهدت في تحري الحق ولم أتعمد الخطأ، فما كان فيه من صواب فمن الله وله الحمد، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان واستغفر الله.

وإني أحمد الله حمداً كثيرا مباركاً فيه، على ما وفق وأعان، ويسر على إتمام هذا العمل، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

والشكر مصروف بعد شكر الله تعالى إلى والديَّ الكريمين اللذين لا أستطيع أن أوفيهما حقهما إلا أن ادعو الله تعالى أن يلبسهما لباس العافية والصحة، وأن يكتب لهما خيري الدنيا والآخرة، وأن يجزيهما خير الجزاء، وعظيم الثواب.

وأرى واجباً عليَّ أن أسجل عظيم شكري وتقديري لجامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية ممثلة في كلية التمريض والشؤون الأكاديمية، وشؤون الابتعاث، لتيسرهم سُبل الالتحاق بالدراسات العليا، أشكرهم حقاً حقاً وصدقاً صدقاً: لوقفاتهم التي لا تُنسى، وسأظل ذاكرة تعاونهم،وحسن تعاملهم معي، فلقد كانوا خير عونٍ لي – بعد الله – في سبيل إنجاز البحث، فللقائمين عليها وافر الثناء وصادق الدعاء، وأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم وأن يبارك فيهم، ويجزيهم عني خير الجزاء.

ثم أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور: زيد بن عمر العيص المشرف على هذا البحث، الذي أفادني بتوجيهاته السديدة، وإرشاداته القيمة، ولم يبخل علي بعلمه، وصادق توجيهه، فله الدعاء الوافر، والثناء العاطر،وأسأل الله أن يبارك في علمه وعمله، ويجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة.

كما أشكر أصحاب الفضيلة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور محمد بن علي الصامل عميد كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والأستاذ الدكتور عادل بن علي الشدي، الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ، والمشرف على كرسي السنة النبوية ودراساتها المعاصرة بجامعة الملك سعود، على تفضلهم بمناقشة الرسالة، وتجشمهم عناء قِراءَتِها، فجزاهم الله خيراً، وأحسن إليهم في الدنيا والآخرة.

والشكر موصول لقسم الثقافة الإسلامية، وشكري لهذه الجامعة المعطاء ممثلة بكلية الدراسات العليا.

كما أشكر كل من كان نبراساً لي في طريق الاحتراس من إخوتي وأحبتي وكل من أفادني برأي أو أمدني ببحث، أو أعانني بجهد، أخفي أسماءهم وجهدهم لضيق المقام، ولكن الله يعلمهم، وسيجزيهم بفضله وكرمه على كل ما قدموه ويسروه لي، أشكرهم جميعاً وادعو لهم بظهر الغيب وأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يجزيهم من عنده خير الجزاء، والله لا يضيع أجر المحسنين.

وختاماً: أسأل الله العظيم أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن، ويجعله شاهداً لنا لا علينا، هذا والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

حنان بنت قاسم العنزي

الرياض العامرة ٢١ / ٧ / ١٤٣١هـ



الباب الأول

الدراسة النظرية للاحتراس

وفيه ثلاثة فصول:

الفصـــل الأول: مقدمات في الاحتراس.

الفصل الثاني: الاحتراس في دراسات اللغويين.

الفصل الثالث: الاحتراس في القرآن الكريم.



الفصل الأول

مقدمات في الاحتراس

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاحتراس في اللغة.

المبحث الثاني: نشأة الاحتراس وتطوره.

المبحث الثالث: الاحتراس عند المصنفين في البلاغة وعلوم القرآن.



المبحث الأول
الاحتراس في اللغة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاحتراس.

المطلب الثاني: نظائر الاحتراس.

المطلب الثالث: أشباه الاحتراس وعلاقته بها.

المطلب الأول
تعريف الاحتراس

توطئة:

يُعدّ الاحتراس موضوعاً مهماً باعتباره يتناول طرفاً من بلاغة القرآن، وهو أيضاً موضوع لم ينل العناية اللائقة به، ودراسته بتأمل – من بلاغة القرآن الكريم، وتذوق أسلوبه، وفهم معانيه- تعين على الوقوف على أسراره ومعرفة أغواره، وبيان شيء إعجاز القرآن الكريم.

ومن هنا يجب أن أبين ما المقصود بـ(الاحتراس في القرآن الكريم)، وهذا يقود إلى تعريفه لغة واصطلاحاً، لاستخلاص الأدلة التي تخول لدراسته، ومن ثم تسميته بهذا الاسم، ويتضح ذلك جلياً من استعراض آيات القرآن الكريم التي قيل إن فيها احتراساً.

والمتتبع لمصطلح الاحتراس في الدراسات القرآنية يجد له استعمالاً عند المفسرين في القرن الثالث وما بعدّه، كما شاع عند الذين عنوا بالبلاغة عامة، والبلاغة القرآنية خاصة، حيث أثبته البلاغيون في مصنفاتهم. وستكشف الدراسة عن مزيد من العناية بالاحتراس ونظائره، وعن بدايات التأليف فيه، وعن مراحلة مر العصور.

تعريف الاحتراس

أولاً: الاحتراس في اللغة.

يعود أصل الاحتراس إلى مادة (حَ رَسَ)،التي تَدُل على الحِفظ والصيانية، وحَرَس الشيء يَحْرُسه وتَحرِسُه حَرساً: حفظه، والحرّاسُ، واحْتَرَس منه: تَحَرَّز، وتَحَرَّستُ من فلان، واحْتَرَسْتُ منه بمعنى: تحفظتُ منه. وفي المثل: مُحْتَرِسُ من مثله وهو حارسٌ، ويقال ذلك: للرجل الذي يُؤْتَمَنُ على حفظ شيء لا يُؤمن أن يخون فيه. والفعل اللازم يَحْتَرِسُ كأنه يحترز»[١] والحفظ لا يفيد معنى الاستمرار، وقد حفظ الشيء وهو حافظ، والحفيظ مبالغة، وأصله أن الحافظ للشيء عالم به في أكثر الأحوال.

ثانياً: الاحتراس في الاصطلاح.

تشابهت تعاريف المصنفين في علوم القرآن، وعلوم البلاغة لمصطلح الاحتراس، وإن تباينت عباراتهم إيجازاً وإسهاباً، ويقف المتصفح لكتب التراث على تعاريف متعددة للاحتراس منها ما أورده قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧)[٢] حيث قال: «الاحتراس وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به»[٣].

كما عرف الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩)[٤] الاحتراس بقوله: «هو أن يؤتى في كلام

---

(١) لسان العرب مادة (حَرَسَ).

(٢) هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب، لغوي أديب، له تصانيف حافلة بالعلم، منها نقد الشعر، وصناعة الكتابة، والخراج وغيرها، توفي سنة (٣٣٧). ينظر: البداية والنهاية (١٥: ١٩٨)، والمنتظم (١٤: ٧٣).

(٣) أورده تحت باب التتميم وجعله خاص بالشعر. ينظر: العمدة (ص: ١٢٥).

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني، لغوي بلاغي حاذق، من العلماء البارزين في =

يوهم خلاف المقصود بها يدفعه»[١].

وعرفه الزركشي (ت: ٧٩٤)[٢] بقوله: «هو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد فيؤتى بها يدفع ذلك الاحتمال»[٣].

وغير ذلك من التعاريف التي أوردها المشتغلون بالدراسات القرآنية والبلاغية التي لا تخرج عن هذا المعنى، وتعريف الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) أشمل تعريف للاحتراس، وإن سُبق بتعاريف أخرى.

ويتبين من التعريفين اللغوي والاصطلاحي أن الاحتراس هو: دفع ما يوجب أو يجلب التوهم، أو اللبس في المعنى أوفي الموضوع الواحد، وعرضه بصور شتى وأساليب مختلفة لتقرير بعض الأمور، وتأكيدها، كتقرير أصول العقيدة، وإثبات البعث والجزاء، والنبوة والرسالة، ولإيراد القصص والأمثال، والترغيب والترهيب، وغير ذلك.

فهذه الموضوعات تتردد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وفي كل سورة تقريباً، لكن طرائق عرضه وأساليب تقريره تبدو في كل موضع جديدة، وقد تظن النظرة السطحية أن ذلك تأكيد، لكن عند التأمل والتدبر يظهر أن هذه الزيادة جاءت لفائدة أخرى تخدم المعنى غير التأكيد.

= اللغة، له العديد من المصنفات كالإيضاح، وتلخيص المفتاح، وغيرهما، توفي سنة (٧٣٩)، ينظر: شذرات الذهب (٦: ١٢٣)، والبدر الطالع (٢: ١٨٣).

(١) التلخيص في علوم البلاغة،للخطيب القزويني، ضبط وشرح البرقوقي، دار الكتاب العربي، ببيروت (ص: ٢٢٩).

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، كان فقيهاً أصولياً أديباً، له العديد من المصنفات التي تشهد بعلمه وفضله، منها: البرهان في علوم القرآن، والإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، وغيرهما. توفي سنة (٧٩٤) ينظر: شذرات الذهب (٦: ٣٣٥) وأبناء الغمر (٣: ١٤٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٣: ٦٥).

ثالثاً: الاحتراس في القرآن الكريم.

إن المستقرئ لآيات القرآن الكريم لا يجد سوى آية واحدة ذُكر فيها أصل لفظ (الاحتراس) أوردها وأذكر ما يخص معنى الاحتراس مسترشدة بتوجيه بعض المفسرين لهذه الآية، ومهتديةً بآرائهم لتتبع أسرارها، وهي قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

قال الراغب الأصفهاني (ت: ٤٠٢)[١]: «الحَرَسُ والحُرَّاس جمع حارس، وهو حافظ المكان، والحِرْزُ والحَرَسُ يتقاربان معنى تقاربهما لفظاً، لكن الحِرْزُ يستعملُ في الناض والأمتعة أكثر، والحَرْسُ يستعمل في الأمكنة أكثر»[٢].

وقال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦)[٣]: في باب (حَ رَ سَ) قال تعالى: ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ [الجن: ٨]، أي حفظاً، والاحتراس: التحفظ والمبالغة فيه، والحرسُ كالحِرْز يتقاربان معنى كتقاربهما لفظاً»[٤].

يكاد يتفق المفسرون على المراد بالحرس أنهم هم الحفظة، وهم الملائكة، يحفظون

---

(١) هو أبو القاسم حسين بن محمد المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، له تصانيف مشهورة منها محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة وغيرهما. توفي سنة (٤٠٢) ينظر: البلغة (١: ٩١).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، (ص: ١٢٠).

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود، المعروف بالسمين الحلبي، من العلماء المبرزين في التفسير، واللغة، من مصنفاته: الدر المصون، وعمدة الحفاظ، وغيرهما مما هومخطوط أو مفقود، توفي سنة (٧٥٦)، ينظر: الدرر الكامنة (١: ٣٦٠)، والنجوم الزاهرة (١٠: ٣٢١).

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (١: ٣٩٠).

السماء من استراق الجن، فقال غير واحد من المفسرين[١]: الحرس هم الملائكة الذي يرجمون الجن بالشهب، ويمنعونهم من الاستماع.

إن هذه الآية تدل على أصل معنى الاحتراس، وهو الحفظ، فالملائكة تحرس السماء من استراق الجن للسمع، والاحتراس يحفظ الآيات من أن يتبادر إليها - من جهة المتلقي أو السامع خلل أو خطأ أو خلط يحول دون فهم المعنى المراد على وجهه الذي سيق من أجله.

رابعاً: تعريف الاحتراس في القرآن الكريم.

بعد البحث والدراسة لم أر - على قصور مني - من عرف الاحتراس في القرآن، بتعريف مستقل وخاص، شاملاً للاحتراس وأغراضه في القرآن الكريم، بل جاء تعريف الاحتراس عاماً، يشمل آيات القرآن، وشعر الشعراء، بل إن بعضهم كان يقول: أن يأتي المتكلم أو الشاعر، حتى من صنف في علوم القرآن لم يميزه بتعريف يختص بآيات القرآن الكريم؛ لذلك سأجتهد في تعريف خاص للاحتراس هو: **ضبط المعنى ومنعه من التأويل بأنواعه.**

وأما الاحتراس في القرآن الكريم فهو: **دفع توهم ينشأ في فهم المعنى قبل تمامه، ويقع في لفظه مفردة، وفي جملة، وفي شبه جملة لفائدة يقتضيها المقام.**

(١) ينظر: جامع البيان (١٢: ٢٦٥)، وأحكام القرآن للقرطبي (١٩: ١١)، والدر المصون (٦: ٣٩٢)، والسراج المنير (٨: ١٢٦).

المطلب الثاني
نظائر الاحتراس

توطئة:

اتسع حديث العلماء حول مسألة الأشباه والنظائر[١]، فمن مقل ومستكثر، ومخطئ ومصيب، خاصة في أثناء الحديث في المسائل الأصولية، ولا يعنينا هنا البحث في أصل الخلاف، بقدر ما يعنينا ضبط اصطلاح الشبه والنظير في إطلاق مصطلحات هذا البحث «الاحتراس» والتفريق بينه وبين غيره من حيث اللغة، ومن حيث تطبيقات أئمة التفسير، عبر الرحلة الطويلة للتفسير.

كما بين السيوطي (ت: ٩١١)[٢]، معنى كل من المثيل والشبيه والنظير في الاصطلاح، فذكر أن المماثلة هي المساواة في كل وجه، وأن المشابهة «هي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها، وأن المناظرة يكفي فيها الاشتراك في بعض الوجوه، فأقواها المثيل ثم الشبيه ثم النظير»[٣].

---

(١) إن بيان الفرق بين مصطلحي «الأشباه والنظائر» من المسائل المتشعبة، والتي يطول المقام لذكرها، وليس البحث مجال الإسهاب والإطالة، والمسألة قد تناولها غير واحد من العلماء قديماً وحديثاً، على اختلاف التصانيف، ومن ذلك ما أورده الإمام السيوطي في كتابه (الأشباه والنظائر) (ص:٣١)، وفي الحاوي للفتاوي (٢: ٢٧٣).

(٢) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المصري الخضيري السيوطي، إماماً بارعاً في كثير من العلوم، فكان مفسراً ومحدثاً وفقيهاً ولغوياً وبلاغياً، انصرف للتأليف بعد الأربعين، له من المصنفات «الدر المنثور» و«المزهر في اللغة»، و«تدريب الراوي» وغيرها الكثير، توفي سنة (٩١١)، ينظر: شذرات الذهب (٨: ٢١).

(٣) الحاوي للفتاوى، للسيوطي، نشر دار الكتاب العلمية، ببيروت، ١٤٠٣هـ (٢: ٢٧٣).

والذي يبدو أن الأشباه تعتمد أساساً على عنصر المشابهة والاتفاق، سواء أكان لها شبهة بأصول أخرى أم لم يكن.

أما النظائر فيه - من حيث الدلالة اللغوية - لا تختلف عن الأشباه، ولكن أصحاب الاصطلاح يفسرون النظائر بما كان فيها أدنى شبه.

ورأى الإمام السيوطي أن ما كان الاشتراك بعناصر كثيرة مع مصطلح الاحتراس يُطلق عليه (نظير) وما قل اشتراكه حتى ولو كان التشابه بوجه واحد فيطلق عليه (شبيه).

وبذلك يتبين التأصيل لمسألة أشباه الاحتراس ونظائره، فما اتفق مع الاحتراس بعناصر كثيرة أطلق عليه (نظير) (فالنظير) يقوم مقامه - أي مقام الاحتراس -، وينوب كل منهما عن الآخر، فإذا افترقا اجتمعا في المعنى.

أما الشبيه شبيه الاحتراس، فهو ما قل اتفاقه مع الاحتراس - عن سابقه - حتى لو كان الشبه بوجه واحد من الوجوه، فما رجحت فيه أوجه الاختلاف عُد شبيهاً للاحتراس، وما وجد فيه شبهة ولو بوجهٍ واحد عُد كذلك من أشباه الاحتراس.

وهذا هو الفيصل في النظر في مسألة الأشباه والنظائر، والله تعالى أعلم.

النظير الأول: الاحتراز.

تعريف الاحتراز لغة(١):

يعود الأصل اللغوي لمادة (حَ رَزَ)، الحِرْز الموضع الحصين، يقال: هذا حِرْزٌ حَرِيزٌ، والحِرْزُ ما أَحْرَزَكَ من موضع وغيره، تقول: هو في حِرْزٍ لا يُوصَل إليه. يقال أَحْرَزْت الشيء أُحْرِزُه إِحْرازاً إِذا حفظته وضممته إِليك وصُنْتَه عن الأَخذ، وفي الأثر: «اللَّهُمَّ

---

(١) لسان العرب، مادة (حرز).

اجْعَلْنَا في حِرْزٍ حارِزٍ»(١) أي: كهف منيع، ويسمى التّعْويذُ حِرْزاً واحْتَرَزْتُ من كذا وتَحَرَّزْتُ أي: تَوَقَّيْتهُ.

ومن المعنى اللغوي يتبين أن معنى الاحتراز يدور حول حفظ الشيء وصيانته.

الاحتراز اصطلاحاً:

عَرّف ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦)(٢) الاحتراز بقوله: «التحرز مما يوجب الطعن فأن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي بما يتحرز به من ذلك الطعن»(٣).

يُعدّ هذا المصطلح من أكثر نظائر الاحتراس شبهاً به في المعنى والمبنى، ويقوم مقامه لدى بعض البلاغيين، فهذا ابن سنان الخفاجي يطلق عليه التحرز مما يوجب الطعن، وهي تسمية لم يُسبق إليها، وتابعه عليها غير واحد من البلاغيين عند الإشارة إلى معنى الاحتراس أو في أثناء تعريفه(٤).

كما يتبين من المعنى اللغوي والاصطلاحي أن الاحتراز يحفظ الكلام من أن يعرض له دخل أو وهم يخل المعنى، فيأتي بلفظة أو جملة في السياق ذاته لدفع ذلك الوهم.

---

(١) ذكره أبو السعادات المبارك محمد ابن الجزري، في النهاية في غريب الأثر بدون إسناد (١: ٣٣٦)، ولم أقف عليه عند غيره (١: ٣٦٦).

(٢) هو عبد الله بن محمد سعيد بن سنان الخفاجي، اللغوي الشاعر الأديب، كان يرى رأي الشيعة الإمامية، من مصنفاته: الحكم بين النظم والنثر، كتاب الصرفة، وكتاب العروض، وغيرها. توفي سنة (٤٦٦هـ) مسموماً، ينظر: فوات الوفيات (١: ٥٧١).

(٣) سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، نشر. مكتبة محمد علي صبيح، بالقاهرة، ١٣٧٢هـ (ص: ٣٢٢).

(٤) مثل: السجلماسي، في المنزع البديع (ص:٣٢٣)، والتفتازاني في المختصر على تلخيص الفتاح (ص: ٢٣١).

كما يُعدّ الاحتراز أقوى نظائر الاحتراس من حيث تطبيقات المفسرين والبلاغيين، وهو أقدم نظائر الاحتراس وجوداً في كتب التراث الإسلامي، تنطق به عبارات الأئمة للدلالة على معنى الاحتراس، ومقصده، فجاءت كتب التفسير زاخرةً بهذا المصطلح منذ بدايات التصنيف في علم التفسير[1].

وسيأتي مزيد بيان وإيضاح في باب نشأة الاحتراس وتطوره عند المفسرين، ولم يفرق العلماء بين مصطلحي الاحتراس والاحتراز، ولم يُنقل عنهم خلاف في ذلك.

النظير الثاني: التكميل.

تعريف التكميل لغة[2]:

يعود التكميل في أصل اللغة إلى مادة (كَمُلَ)، والكمال: التمام، وقيل التَّمام الذي تَجَزَّأَ منه أجزاؤه، والتكميل: كَمَلَ كمالاً وكُمولاً وتَكَامَل الشيء، وأَكْمَلْته أنا، وأَكْلَمْتُ الشيء أي: أجْملته وأتممته، وأكملَه هو، واستكمله وكمله: أتمه وجملّه، والتكميل والإكمال: التمام، واستكمله: استَتَمَّه.

من المعنى اللغوي للتكميل يتبين أن مداره على معنى التمام، فكل ما تم فقد كَمُل.

تعريف التكميل اصطلاحاً:

التكميل: «وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»[3].

(١) ينظر على سبيل المثال، أحكام القرآن للجصاص (٢: ٢٦٨).

(٢) لسان العرب مادة (كَمَلَ).

(٣) الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر مؤسسة المختار، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (ص: ١٩٤).

شاع مصطلح التكميل عند أرباب البلاغة وبعض من ألف في علوم القرآن كمصطلح مرادف للاحتراس بل نظيره، والمطابق له، وأول من جعله نظيراً للاحتراس هو أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)[١] ولم يذكر ذلك صراحة، بل كانت عباراته شاهدة لمعنى الاحتراس ومقصده، حيث أورد شواهد من القرآن الكريم والشعر، ومن ذلك عندما ذكر قول الشاعر:

فَسَقى دِيارك - غَيرَ مُفسِدِها - صَوبُ الغَمامِ وَديمَةٌ تَهمي[٢]

حيث قال: «فقوله: (غَيرَ مُفسِدِها) إتمام المعنى وتحرز»[٣]، ثم توالت التسمية بهذا المصطلح لدى كثير من البلاغيين في مصنفاتهم، وجعله نظيراً للاحتراس[٤] وسيأتي - إن شاء الله - بسط لهذه المسألة عند تطور الاحتراس عند البلاغيين.

ولعل المغزى من جعل التكميل من نظائر الاحتراس أن التكميل إتمام للمعنى من أن يعتريه نقص أو وهم، أو ما يخل بفهم المقصود، فلا يغادر المعنى إلا ويأتي بما يُتممه ويُكمله، وقد بدا ذلك جلياً من تعريفات البلاغيين.

---

(١) هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، من أعلام اللغة البارزين، له العديد من المصنفات التي تدل على علو كعبه في العلم، منها ديوان المعاني، وجمهرة الأمثال وغيرهما، ينظر: بغية الوعاة (١: ٥٠٦).

(٢) البيت للشاعر الجاهلي: طرفة بن العبد. ينظر: ديوانه (ص:٥٨) يكاد يتفق على إيراد هذا البيت كل من عرض للاحتراس أوالتكميل أوالتتميم، فهوأشهر الشواهد إطلاقاً.

(٣) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: مفيد قمحة، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، (ص: ٤٣٤) بتصرف يسير.

(٤) ينظر على سبيل المثال: الإشارات والتنبيهات (ص:١٦١)، والتلخيص (ص:٢٢٩)، والإيضاح (ص:١٩٤)، وعروس الأفراح (ص:٢٣١)، وإيضاح الإيضاح للأقسرائي (ص: ٩٨٧)، والبرهان في علوم القرن (٣: ٦١) وحسن التوسل (ص: ٢٧٨).

عرّف محمد الجرجاني (ت: ٧٢٩)[١]، التكميل بقوله: «التكميل ويسمى الاحتراس، وهو أن يكون الكلام محتملاً خلاف المقصود منه، فيؤتى بكلام آخر مزيل لاحتمال غير المقصود»[٢].

وكما عدّ غير واحد من البلاغيين التكميل من نظائر الاحتراس ومرادفاته[٣]، وعد آخرون مصطلح التكميل مصطلحاً مغايراً لمصطلح الاحتراس، واجتهدوا في بيان الفروق بين هذين المصطلحين، وتميزهما عن بعضهما، ومن هؤلاء البلاغيين، ابن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤)[٤]، وابن الناظم (ت: ٦٨٦)[٥]، وصفي الدين الحلي (ت: ٧٥٠)[٦]، وابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧)[٧]، وقد اجتهد البلاغيون في بيان الفروق بين مصطلحي

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الجرجاني الإسترابادي، من اللغويين البارزين، كان عالماً أصولياً، متكلماً، نحوياً، من مصنفاته: البديع في النحو، والدرة البهية في شرح الرسالة وغيرهما، توفي سنة (٧٢٩)، ينظر: معجم المؤلفين (١: ٤٦).

(٢) الإشارات والتنبيهات، لمحمد الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسني، نشر دار النهضة، بالقاهرة، (ص: ٣١١).

(٣) كابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة.

(٤) هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري، المعروف بابن أبي الإصبع العدواني، كان أديباً، لغوياً، وبليغاً، مشاركاً في عدة علوم من مصنفاته: بديع القرآن، وتحرير التحبير، توفي سنة (٦٥٤)، ينظر: شذرات الذهب (٥: ٢٦٥)، وتاريخ الإسلام (٤٨: ١٧٢).

(٥) هو بدر الدين عبد الله بن مالك بن محمد بن محمد، الإمام البليغ، النحوي كان إماماً في المعاني والبيان، والبديع، والعروض، من تصانيفه: مقدمة في المنطق، وشرح ألفية والده المعروفة بالخلاصة والمصطلح، توفي سنة (٦٨٦)، ينظر: شذرات الذهب (٥: ٣٩٨)، والنجوم الزاهرة (٧: ٣٧٣).

(٦) هو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن القاسم المعروف بصفي الدين الحلي، لغوي، شاعر، من مصنفاته: بديعيته المشهورة وغيرها، ينظر: الدرر الكامنة (٢: ٣٧٩)، والنجوم الزاهرة (١٠: ١٣٨).

(٧) هو تقي الدين أبوبكر علي بن عبد الله الأزراري الحنفي، الشيخ الأديب الفاضل شاعر الشام، فاق أهل عصره، من مصنفاته: بديعيته المشهورة، توفي سنة (٨٣٧) ينظر: شذارت الذهب (٧: ٢١٩)، وإنباء الغمر بأبناء العمر (٨: ٣١٠).

التكميل والاحتراس بعبارات نقلها المتأخر عن المتقدم، فقال ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) في الفرق بين الاحتراس والتكميل: «المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حُسنه، إما بفن زائد أو بمعنى..والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً والوزن صحيحاً»[1].

وينقل هذا القول صفي الدين الحلي فيقول: «الاحتراس لاحتمال دخل يتطرق على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الكلام صحيحاً.. أما التكميل فإن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل به حسنه، إما بفنٍ زائد أو بمعنى»[2].

ويتابع ابن حجة الحموي سابقيه، ويرى أن الاحتراس إنما يؤتى به لخوف دخل يُخل بالمعنى، وإن كان تاماً[3].

وهذا الرأي ذهب إليه عبد الغني النابلسي (ت: ١١٤٣)[4] أيضاً، فيقول: «الفرق بين الاحتراس والتكميل أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة تكمل حسنه»[5].

---

(١) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، تحقيق: حنفي محمد شرف، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، (ص: ٢٤٥) بتصرف.

(٢) شرح الكافية البديعية، لصفي الدين الحلي، تحقيق د: نسيب نشاوي، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ (ص: ٣١٧) بتصرف يسير.

(٣) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، نشر دار ومكتبة الهلال، ببيروت (٢: ٤٨٦) بتصرف يسير.

(٤) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي، مشارك في عدد من العلوم، من مصنفاته: ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث، والتحرير، والحاوي بشرح تفسير البيضاوي وغيرها، توفي سنة (١١٤٣)، ينظر: سلك الدرر من أعيان القرن الثاني عشر للمرادي (٣: ٣٠)

(٥) نفحات الأزهار، لعبد الغني النابلسي، نشر عالم الكتب، ببيروت، (ص: ١٣٦)

وهذا الفارق الذي ذكره البلاغيون واضح المعالم، فالاحتراس زيادة تحرس المعنى، ومن أن يتطرق له دخل أو خلل، وهذا ما لا يكون في التكميل، فالمعنى في التكميل تام وصحيح، وإنما يؤتى به للزيادة في الحسن، وعلى هذا يكون الاحتراس أمراً أساساً لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال ؛ لأنه في حالة التخلي عنه يختل المعنى، ولا ينتظم السياق.

ويضيف ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) فرقاً آخر بقوله: «الاحتراس يؤتى به وقت العمل، عندما يتفطن المتكلم لموضع الدخل»[(١)]، وهذا الذي ذكره ابن أبي الإصبع يدخل في مواقع الاحتراس.

النظير الثالث: التتميم.

التتميم في اللغة[(٢)]:

يعود التتميم في أصل اللغة إلى مادة (تمم): تم الشيء يتم تماً وتمامه، وتماماً و تمة وأتمه بمعنى، وتمام الشيء ما تم به، وتَتِمَّة كل شيء ما يكون تمام غايته، والتِّمُّ: الشيء التامُّ، ويُقال: تَمَّ إلى كذا وكذا أي: بلغه، وتمَّ على الشيء أكمله، والتَّميمُ: التامُّ الخلق، وتَمَّ على الأمر تَمَمَ عليه، أي استمرَّ عليه، وليل التَّمام: أطول ما يكون من ليالي الشتاء.

التَّمام: ضد النقصان، وهو عبارة عن انتهاء الشيء إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارجٍ منه.

التتميم في الاصطلاح:

وهو أن يؤتى في كلام لا يُوهم خلاف المقصود بفضله لنُكتَة[(٣)]، وقيل: معنى

(١) تحرير التحبير (ص: ٢٤٥).
(٢) لسان العرب، مادة (تمم)، وأساس البلاغة مادة تمم (١: ٩٧).
(٣) الإيضاح، للقزويني (ص: ١٩٤).

التتميم: «أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به، إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير[١]، ويُسمى أيضاً بالتمام»[٢].

وقال ابن رشيق (ت: ٤٥٦): باب التتميم، وهو التمام أيضاً، وبعضهم يُسمى ضرباً منه احتراساً واحتياطاً، كما أورد شواهد الاحتراس، يقول في آخرها: «تتميم للمعنى واحتراس»[٣]، وفي موضوع آخر: «فاحترس من ذلك»[٤] و«فإنه لم يحترس كما احترس طرفة»[٥] وتتميم واحتراس جيد[٦].. وغيرها.

وعرّف ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) التتميم بقوله: «أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام، وإن كان في الموزون نقص وزنه مع نقص معناه، فيكون الإتيان بها لتتميم الوزن والمعنى معاً»[٧].

ويقسم ابن أبي الإصبع التتميم إلى ثلاثة أقسام هي: تتميم النقص، وتتميم الاحتياط، وتتميم المبالغة.

ومن منظور آخر يرى ابن الناظم (ت: ٦٨٦) تقسيم التتميم قسمين:

---

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني تحقيق: النبوي عبدالواحد شعلان، نشر. مكتبة الخانجي، بالقاهرة (٢: ٥٠).

(٢) آثرت ذكر التتميم في نظائر الاحتراس لأسباب عدة منها: أن البلاغيين ذكروا في شواهد التتميم شواهد الاحتراس، وأن البلاغيين نطقت عباراتهم بمصطلح الاحتراس في عرض الشواهد، وأخيراً للخلط بينه وبين مصطلح التكميل، ولهذه الأسباب مجتمعة آثرت ذكره هاهنا.

(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده (٢: ٦٥٣).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، تحقيق: حنفي محمد شرف، نشر دار نهضة مصر، القاهرة (ص: ٤٥).

الأول: تتميم المعاني: وهو تقييد الكلام بتابع أو فضلة أو نحوها؛ لقصد المبالغة أو الصيانة عن احتمال الخطأ.

الضرب الثاني: تتميم الألفاظ ويسمى الحشو: وهو ما يقوم به الوزن، ولا يحتاج إليه المعنى، ويستحسن منه ما أدمج فيه ضرب من البديع»[(١)].

والذي يبدو – والله أعلم – أن الضرب الأول يدخل فيه الاحتراس بدليل أنه أورد بيت طرفة بن العبد: (فَسَقى دِيارَكِ -غَيرَ مُفسِدِها-)،حيث قال: احتراز بغير مفسدها عن الدعاء على الديار بالفساد؛ لكثرة المطر، أما الضرب الثاني فهو التكميل؛ لأن المعنى في التكميل تام غير ناقص، ويؤتى بالزيادة لتحسينه.

يُعدّ الحاتمي (ت: ٣٨٩)[(٢)] أول من أطلق على الاحتراس مصطلح التتميم، حيث ذكر الاحتراس في تعليقه على أحد الشواهد، إذ قال: «ولا أعلم أحداً تقدمه في الاحتراس للدار عند استسقائه الغيث لها إفسادها وتعفيها»[(٣)].

وقد تعددت عند البلاغيين أسماء هذا الفن البلاغي، فابن المعتز (ت: ٢٩٦)[(٤)]، سماه

---

(١) المصباح، لابن الناظم، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، (ص: ٢١٠-٢١١) بتصرف يسير.

(٢) هو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي من حذاق أهل اللغة والأدب، حسن التصرف في الشعر، جمع بين البلاغة والنثر والبراعة في النظم، من مصنفاته: الرسالة الحاتمية وغيرها، توفي سنة (٣٨٨)، وقيل: (٣٨٩) ينظر: وفيات الأعيان (٤: ٣٦٢)، وسير أعلام النبلاء (١٦: ٤٩٩)، ومعجم الأدباء (٥: ٣١٣).

(٣) حلية المحاضرة (ص:٣٤)

(٤) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، كان عالماً شاعراً، وأديباً ولي الخلافة يوماً وليلة ثم مات مقتولاً، من مصنفاته: ديوانه، وطبقات الشعراء، وكتاب البديع وغيرها، توفي سنة (٢٩٦)، ينظر: تاريخ بغداد (١٠: ٩٥).

«اعتراض الكلام في كلام لم يتم معناه»[١]، وكذلك سماه الحاتمي (ت: ٣٨٩) كما أنه ذكر الاحتراس في موضع آخر في ما أسماه (أبدع حشو انتظمه، حيث ورد لإقامة الوزن) حيث رد على من انتقد ذا الرمة بعدم الاحتراس بقوله: «وقد احترس من هذا الاعتراض»[٢].

وقد جعل ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦) التتميم رديفاً للاحتراس، يقوم مقامه، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

وجعل آخرون التتميم والتكميل مترادفين، ومن أولئك أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥)، وعلي الكاتب (ت: ٤٠٧)[٣]، والسجلماسي (ت: ٧٠٨)[٤].

وربما كان بعض البلاغيين أدق في التسمية، فجعل الاحتراس ضرباً من ضروب التتميم، كابن الأثير (ت: ٦٣٧)[٥]، فقد ناب مصطلح التتميم عنده من مصطلح الاحتراس، وقد نطقت عباراته بذلك ولم يصرّح بذلك.

وقد عدّ غير واحد من البلاغيين مصطلح التتميم مصطلحاً مغايراً، وفناً آخر غير

(١) البديع لابن المعتز، شرح عبد المنعم خفاجي، نشر دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (ص: ٣٨).

(٢) حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لمحمد بن الحسن الحاتمي، نشر دار الرشيد، ١٩٧٩م (ص: ٣٤).

(٣) هو علي بن خلف بن علي الكاتب، أحد كُتاب الإنشاء في الدولة الفاطمية، من مصنفاته: مواد البيان، توفي سنة (٤٠٧)، ينظر: مقدمة المحقق لمواد البيان، حسين عبد اللطيف (ص: ٥ وما بعدّها).

(٤) هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسي، من علماء الأندلس، عالم نحوي، وعروض، وفلسفة، ومن نقاد القرن الثامن، من مصنفاته: (المنزع البديع)، توفي سنة (٧٠٨) ينظر: شذرات الذهب (٢: ٢٢٤).

(٥) هو أبو الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الشيباني، ضياء الدين بن الأثير إليه انتهت الكتابة والترسل والإنشاء في عصره، توفي سنة (٦٣٧) ينظر: شذرات الذهب (٧: ٣٢٨).

الاحتراس، بل ميزوا بينهما بفروق نظرية، ومن هؤلاء أسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤)[(١)]، وابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) وابن الناظم (ت: ٦٨٦)، والجرجاني (ت: ٧٢٩) وغيرهم. فقد وضعوا كلاً من الاحتراس والتتميم والتكميل في باب مستقل، وتعريف خاص، بيد أنهم خلطوا فيما بينها من ناحية التمثيل[(٢)].

وكما فرق العلماء بين الاحتراس والتكميل فرقوا أيضاً بين الاحتراس والتتميم، فذكر صفي الدين الحلي (ت: ٧٥٠): «أن التتميم نقص المعنى، ونقص الوزن معاً، أما الاحتراس إنما هو لدخل يتطرق إلى المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الشعر صحيحاً»[(٣)]، ويتابعه عبد الغني النابلسي (ت: ١١٤٣) فيما ذهب إليه[(٤)].

وجلُّ ما كتبه البلاغيون في هذا الشأن هو بيان الفرق بين مصطلحي التتميم والتكميل فقال ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) في بيان الفرق «والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتمه، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله، إذا كان الكمال أمراً زائداً على التمام، والتتميم لا يكون إلا في المعاني دون الفنون، أعني بالمعاني معاني النفس لا معاني البديع، التي هي أنواعه، وأعني بالفنون أغراض المتكلم ومقاصده، والتكميل يكون فيهما معاً، هذا إذا لم يُرد بالتتميم تتميم الوزن»[(٥)].

---

(١) هو أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، من علماء اللغة في زمانه، ومن المقربين للخليفة مؤيد الدولة، من مصنفاته: كتاب البديع في نقد الشعر، وله ديوان في الشعر، وغيرهما توفي سنة (٥٨٤) ينظر: شذرات الذهب (٦: ٤٥٩)، وفيات الأعيان (١: ١٩٦).

(٢) سيأتي بيان ذلك في مبحث «نشأة الاحتراس وتطوره عند اللغويين»، ومبحث «المصنفون في البلاغة وعلوم القرآن»، مما يغني عن ذكره هاهنا، وستأتي الدراسة مستوفاه في تلك المواضع بإذن الله تعالى.

(٣) شرح الكافية البديعية (ص: ٣١٧) بتصرف يسير.

(٤) نفحات الأزهار، لعبد الغني النابلسي (ص: ١٧٢).

(٥) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص: ٣٦٢).

ويضيف ابن أبي الإصبع (ت: ٦٤٥) أن سبب الخلط بين التتميم والتكميل، أنهم لم يفرقوا بين تتميم الألفاظ وتتميم المعاني[١].

وقد نبه إلى هذا الخلط ابن حجة الحموي (ت:٨٣٧) بقوله: «ولقد وهم جماعة، وخلطوا التكميل بالتتميم، وساقوا في باب التتميم شواهد التكميل، والعكس. وتأتي شواهد التكميل في مواضعه، والفرق بين التكميل والتتميم: أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتمه، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله، إذ الكمال أمر زائد على التمام، وأيضاً أن التمام يكون متمماً لمعاني النقص لا لأغراض الشعر ومقاصده، والتكميل يكملها»[٢].

ومع نعيه على العلماء خلطهم أمثلة هذا وذاك، وقع هذا نفسه في هذا الخطأ، إذ أعاد أمثلة التكميل في باب التتميم ،وهذا الفرق الذي ذكره ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) نقله غير واحد من البلاغيين[٣].

ويورد السُبكي (ت: ٧٧٣)[٤] الفروق من منظور آخر فيقول: «أي: فرق في اللغة بين التكميل والتتميم، وهما شيء واحد... ويمكن أن يُقال: فرق بين التكميل والتتميم لغة، فالتكميل استيعاب الأجزاء التي لا توجد الماهية المركبة إلا بها.

---

(١) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع (ص: ١٤٣).

(٢) خزانة الأدب، للحموي (١: ٢٧٣).

(٣) على سبيل المثال صفي الدين الحلي، في كتابه شرح الكافية البديعية (ص: ٣١٧).

(٤) هو أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُبكي ، برع في العديد من العلوم كالفقه، والأصول، والحديث، والبلاغة والأدب، له كثير من التصانيف منها: القواعد المشتملة على الأشباه والنظائر، طبقات الفقهاء الكبرى (الشافعية) وشرح مختصر ابن الحاجب، وغيرها توفي سنة (٧٧٣). ينظر: شذرات الذهب (٨: ٣٧٨)، الدرر الكامنة (٢: ٤٢٥).

والتتميم قد يكون بما وراء الأجزاء من زيادات يتأكد بها ذلك الشيء الكامل، ويستأنس لذلك بقوله: تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، أي تنقص أجزاؤها... وجه تسميته بالتكميل: ؛ لأنه يدفع إيهام غير المراد، وذلك كالجزء من المراد؛ لأن الكلام إذا أوهم خلاف المراد كان كالذي دلالته ناقصة بخلاف التتميم»(١).

والذي يظهر من العرض السابق أن مصطلح التكميل يكون في المعنى التام، وتأتي هذه الزيادة لتحسين الكلام.

أما التتميم فإن المعنى ناقص في ذاته، فاحتاج إلى بناء المعاني الناقصة، لتمام المعنى، واتساق السياق، وليس بالضرورة أن تكون هذه الزيادة منها تحسيناً للكلام.

من العرض الفائت يتبين أن البلاغيين قد وضعوا الفروق بين مصطلحات (الاحتراس والتكميل والتتميم) لكنهم اتفقوا في إيراد الشواهد القرآنية، والأبيات الشعرية، فجاءت متطابقة في التمثيل ألواناً مختلفة من ألوان البديع، فأمثلة الاحتراس هي ذاتها أمثلة التكميل، وأمثلة التتميم هي بعينها شواهد التحرز، وذلك يُنبئ عن التداخل الشديد بين هذه المصطلحات، وصعوبة الفصل بينها، إذ الفارق بينها أمور دقيقة، لا تكاد تتميز أو تنضبط بقاعدة، وهو خلاف قديم عند البلاغيين.

وقد قال عبد الباقي اليماني (ت: ٧٤٣)(٢): «لا يكاد البديعيون يحررون ثلاثة أشياء: التتميم، والتكميل، والاحتراس لتداخلها»(٣).

---

(١) عروس الأفراح، للسبكي (ص: ٢٣٦)

(٢) هو عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن متى القرشي المخزومي الملقب بأبي المحاسن، تاج الدين المعروف باليماني، كان مبدعاً مؤرخاً بصيراً مشاركاً في عدد من العلوم، كالنحو والتاريخ، من مصنفاته: تاريخ النحاة، والاكتفاء في شرح ألفاظ الشفا، ومختصر الصحاح وغيرها، توفي سنة (٧٤٣)، ينظر: البدر الطالع (١: ٣١٧)، وشذرات الذهب (٦: ١٣٨)، والأعلام (٤: ٤٥).

(٣) عقود الجمان، للسيوطي، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر. (ص: ٧٥).

وبتأمل تلك المصطلحات يبدو أن بينها قواسم مشتركة، وبالوقوف على الأصل اللغوي لهذه المصطلحات يتبين التشابه، **فالاحتراس** يعود إلى الأصل اللغوي **(حَرَس)** فهو يحرس المعنى من أن يتطرق إليه ما يفسده ويحول دون فهم المراد، و**(التكميل)**، فهو إتمام للمعنى بذكر زيادة تزيد من حسنه، و**(التتميم)** مأخوذ من التمام، وهو ضد النقصان، فهو يأتي ما يتم به المعنى، حتى لا يعتريه نقص أو وهم أو خلل في معناه أو مبناه، وهذا كله يدور حول سلامة المعنى، الذي أصله الاحتراس.

وإن استخدام أكثر من مصطلح لمفهوم واحد قد يقلل من درجة وضوحه، كما حصل للاحتراس حيث تباينت نظرتهم له عند التسمية، فكل مصطلح جاء بناءً على نظرة معينة سواء أكان النظر إلى المدلول أم المقصد، أم لازم من لوازمه، أم عارض من عوارضه.

فمسألة توحيد المصطلح البلاغي مسألة عزيزة المنال، يحكمها الذوق البلاغي، والنظرة المتأملة.. وهذا الإمام السيوطي (ت: ٩١١) مع إمامته وتبحره في كثير من العلوم يقول: «لا يكاد يتبين لي الفرق بين الاحتراس والتكميل»[(١)].

والذي يبدو- والله أعلم - أن الاحتراس أصل عام بينه وبين المصطلحات الأخرى عموم وخصوص، وباب الاحتراس باب واسع، يدخل فيه مصطلحات عدة، فالاحتراس أصل، ومقصده سلامة المعنى من التوهم والخلل، ومصطلحا التتميم والتكميل فرعان يعودان لذلك الأصل، فالتتميم إن كان المعنى ناقصاً يأتي بما يتممه والتكميل وإن كان المعنى تاماً يأتي بما يزيد وضوحه.

كانت تلك هي نظائر الاحتراس - فيما أرى- للشبه الكبير بينها وبين الاحتراس، وربما يصل النظير إلى حد المطابقة والترادف كما في الاحتراز.

❀❀❀

(١) عقود الجمان، للسيوطي (ص: ٧٥)

المطلب الثالث
أشباه الاحتراس وعلاقته بها

توطئة:

اتخذت قضية الأشباه موقعاً مهماً في كتب أصول الفقه الإسلامي؛ لما لها من أهمية بين القضايا اللغوية التي أشبعها علماء الأصول بحثاً وتمحيصاً، وما ذلك إلا لمكانة اللغة ومسائلها في تحديد معاني الألفاظ، كما نظر البلاغيون إلى الاحتراس، وجالوا فيه جولات تدل على أهمية ذلك الأسلوب، وإن لم يكن من باب الاستيعاب والتقصي، كما اختلط هذا الفن بفنون أخرى من علوم البلاغة، اتحدت فيها الشواهد، واشتبه فيه الأسلوب والمقصد، فأجال علماء البلاغة فيها نظرهم، وأعملوا فكرهم في جوانب تلك الأشباه بحثاً وتنقيباً، وتقسيماً وتفريعاً، فأفردوها بالتعريف والتقسيم، وخلطوا بين بعضها في أثناء التطبيق، كما هو الحال في نظائر الاحتراس، فقد أعوزتهم الشواهد في التمثيل، مما أدى إلى تكرارها، وفيما يأتي عرض لأبرز أشباه الاحتراس:

الشبيه الأول: الاستدراك.

مصطلح الاستدراك من المصطلحات المشابهة لمصطلح الاحتراس، قريبٌ منه في المعنى، وتجمعه به كثير من القواسم المشتركة، وربما ذكر بعض المفسرين مصطلح الاستدراك لينوب عن الاحتراس في المعنى، وأما تعريف الاستدراك فقد تباينت وجهات نظر العلماء في تسميته فضلاً عن تعريفه.

الاستدراك في اللغة:

مِنْ استدرك الشيء بالشيء: إذ حاول إدراكه، وسمى ابن المعتز (ت: ٢٩٦) الاستدراك الرجوعَ، وقال في تعريفه: «هو أن يقول شيئاً ويرجع عنه»[(١)].

---

(١) بديع القرآن لابن المعتز (ص: ٦٠).

وسماه العسكري (ت: ٣٩٥) أيضاً بـ(الرجوع)[١] وقال: «هو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه، وتمثل بقول الشاعر[٢]:

أليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتها ... إليكِ وكَلاَّ ليس منكِ قليلُ

وعرفه ابن أبي البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤) بقوله: «هو دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعاً شبيهاً بالاستثناء»[٣].

كما سمى التبريزي (ت: ٥٠٢) الاستدراكَ والرجوعَ. وقال أبو طاهر البغدادي (ت: ٥١٧) وأما الاستدراك والرجوع فهو أن يبتدي الشاعر بمعنى، فينفي شيئاً، ثم يستدركه بما يؤيد هذا المعنى، أو يثبت ما نفاه أولاً، كقول الشاعر[٤]:

يا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يكونُ ... إلا النَّبِيُّ الطاهرُ الأَمينُ[٥]

وينقسم الاستدراك قسمين[٦]: قسم يتقدم الاستدراكَ فيه تقريرٌ لما أخبر به المتكلم وتوكيد، وقسم لا يتقدمه ذلك.

وشَرَطَ المصنفون في البلاغة أن يكون في الاستدراك معنى زائد لدخوله في أقسام البديع، فقيل: «وشرط الاستدراك أن تكون فيه نكتة أو ظريفة زائدة على معنى الاستدراك؛ لتُحَسِّنهُ، وتدخله في أقسام البديع، وإلا فلا يُعدّ بديعاً»[٧].

---

(١) كتاب الصناعتين (ص: ٤٤٣).

(٢) البيت ليزيد بن الطثرية، ينظر: خزانة الأدب (٢: ٢٨٢)، وديوان الحماسة (٢: ١٢٥).

(٣) الكليات (ص: ١١٥).

(٤) البيت لأبي نواس، ينظر: ديوانه (ص: ٩٥٢).

(٥) قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي طاهر البغدادي، تحقيق: محسن غياض عجيل، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، (ص: ١٣٢).

(٦) يُنظر على سبيل المثال: بديع القرآن لابن أبي الإصبع (ص: ١١٧)، ومواد البيان (ص: ٣٤١)، وحسن التوسل (ص: ٢٧٩)، وخزانة الأدب (١: ١٤٦).

(٧) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة، لصفي الدين الحلي، (ص: ١١٠).

ومثال القسم الأول من الاستدراك قول ابن الرومي[١]:

وإخـــوانٍ تخـــذتهمُ دروعـــاً ... فكانوهـــا ولكـــن للأعـــادي
وخـــلتهمُ سهـــاماً صائـــباتٍ ... فكانوهـــا ولكـــن فـــي فـــؤادي
وقـــالوا قـــد صـــفت منـــا قـــلوبٌ ... وقـــد صـــدقوا ولكـــن مـــن ودادي

وأما القسم الثاني الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقريرٌ ولا توكيدٌ فمثل قول الشاعر[٢]:

حَلـــيمٌ إذَا مَـــا الحِلـــمُ زيَّـــنَ أَهلَـــهُ ... مـــعَ الحلـــمِ في عـــينِ العـــدو مَهِيـــبُ[٣]

ثم يتعقب المصنف البيت الأخير في القسم الثاني فيقول: «إذا ما الحلم زين أهله» احتراس لولاه لكان المدح مدخولاً، إذ بعض التغاضي قد يكون من عجز، وإنما يزين الحلم أهله إذا كان عن قدرة»[٤].

يتضح من تعقيب المصنف أنه جعل الاحتراس من أقسام الاستدراك، فقد فرق بينهما نظرياً، وخلط في أثناء التطبيق، لكنه لم يجد مناصاً من ذكر الاحتراس، بل الاستشهاد بشواهد الاحتراس، وسمة التداخل بين الفنون البلاغية سمة تكاد تكون ظاهرة.

ومن ما سبق يتبين التشابه الذي يربط ما بين مصطلحي الاحتراس والاستدراك، من التعريف والتقسيم، فكل منهما يؤتى به لدفع توهم ناشئ من حديث أو كلام متقدم، وإن لم يكونا الاحتراس أو الاستدراك لتوهم خلاف المقصود، كما يشتركان في التقسيم فكل منهما يأتي في وسط الكلام وفي آخره.

---

(١) ينظر: ديوانه (ص: ١٨٦)

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي، شاعر إسلامي، والبيت في نقد الشعر (ص: ٣٥)، والطراز (ص: ٩)، ونهاية الإرب (ص: ١٥٧)، ومعجم الشعراء (ص: ٢٢٨)، وخزانة الأدب (٣: ٦٢١).

(٣) حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لشهاب الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، نشر. دار الرشيد، الجمهورية العراقية، (ص: ٢٧٩) بتصرف يسير.

(٤) حسن التوسل (ص: ٢٨٠).

وقد وردت جملة من الآيات القرآنية في باب الاحتراس، جاءت فيها أداة من أدوات الاستدراك (لكن)، وعدّها المفسرون ضرباً من الاحتراس، منها على سبيل المثال قول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فقد ذكر غير واحد من المفسرين[١] أن هذه الآية جاء فيها احتراس، وربما قال بعضهم: احتراز أو دفع توهم، أو أي صيغة تدل على معنى الاحتراس أو دلالته، وبيان الاحتراس في هذه الآية بعد الاستدراك في قوله: تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾، فقد جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث أن النبي ﷺ أبٌ للمؤمنين وأزواجه أمهاتهم على الإطلاق.

ثم نفت هذه الآية أن يكون النبي ﷺ أباً لأحد بنوّة ادّعاء أو نسب، لكنه رسولُ الله خاتم النبيين، فهذه مرتبته التي أنزله الله إياها.

ويظهر في هذه الآية بجلاء دور الاستدراك في التحرز من خطأ قد يوجبه السياق قبل تمامه، فأتت أداة الاستدراك لنفي ذلك الوهم، وإزاحة الخلل الذي قد يرد على الفهم قبل الاستدراك.

وقد جمع بعض المصنفين[٢] بين الاستدراك والاستثناء، فقال ابن الأثير الحلبي بعد أن عرف الاستثناء: «وأما الاستدراك فهو مثل ذلك، إلا أنه يفارق لفظه الاستثناء بلفظ لكن كقول زهير بن أبي سُلمى[٣]:

إِنَّ البَخِيلَ مُلَوَّمٌ حيثُ كانَ ولـ ... كِنَّ الجَوادَ على عِلاَّتِهِ هَرِمُ

---

(١) ينظر على سبيل المثال: تفسير إرشاد العقل السليم (٥: ٢٢٩)، وروح المعاني (١١: ١٠٩)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٦٧).

(٢) ابن أبي الإصبع في بديع القرآن (ص: ١١٧).

(٣) ينظر: في أشعار الشعراء الستة الجاهليين (ص: ١٠٢)، والحماسة البصرية (ص: ٥١).

كما ربط الدكتور بدوي طبانة بين الاستدراك وبين تأكيد المدح يشبه الذم، حيث قال: يجري مجرى تأكيد المدح بما يشبه الذم.. ثم مثل بقول الشاعر(١):

هو البدر إلاّ أنّه البحر زاخراً ... سوى أنّه الضرغام لكنه الوبل

وقد أطلق عليه الرجوع، وهي تسمية سُبق إليها، ثم قسم الاستدراك قسمين: قسمٍ يتقدم الاستدراك فيه تقرير، وقسم لا يتقدم، ثم أورد لذلك الشواهد من القرآن الكريم(٢).

الشبيه الثاني: الاستثناء.

تعريف الاستثناء:

الاستثناء في اللغة(٣):

رَدَّ بَعْضَهُ على بَعْضٍ فَتَثَنَّىْ وانْثَنَى واثْنَوْنَى: انْعَطَفَ. وأَثْناءُ الشَّيْءِ ومَثَانِيهِ: قُواهُ وطاقاتُهُ، واسْتَثْنَيْتُ الشيءَ من الشيء حاشَيْتُه، والثَّنِيَّة ما اسْتُثْني، والاستثناءُ: إخراج بعض ما يتناوله اللفظ.

الاستثناء في الاصطلاح:

«الاسْتِثْناءُ إيرادُ لَفْظٍ يَقْتَضِي رَفْع بعض ما يُوجِبه عُمومُ اللّفْظِ»(٤).

والاستثناء من المصطلحات المشابهة للاحتراس في بعض الوجوه، وفي معناه ومغزاه، وهو مصطلح أطلقه النحويون على أحد أبواب النحو، وباب الاستثناء بابٌ واسع ومتشعب، جدير بأن يفرد بدراسة مستقلة، بيد أني سأعرض له بدراسة مختصرة وبعيدة عن الدراسات النحوية.

---

(١) ديوان بديع الزمان الهمداني، نشر دار الكتب العلمية، بـ بيروت ١٩٨٧م (ص: ١٤١).

(٢) معجم المصطلحات البلاغية، لبدوي طبانة، نشر دار ابن حزم، ببيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ (ص: ٢٢٣).

(٣) تاج العروس، مادة (ثنى).

(٤) تاج العروس مادة (ثني).

يُعدّ مصطلح الاستثناء كغيره من المصطلحات التي مرت بمراحل، وربما تداخل مع مصطلحات بلاغية أخرى، وسمة التداخل تكاد تنطبق على غير واحد من المصطلحات البلاغية، فقد سمى ابن المعتز (ت: ٢٩٦)[١]، الاستثناء بـ (توكيد المدح بما يشبه الذم).

وعدّ أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥) الاستثناء في أحد قسميه كالتوكيد، والقسم الآخر كالاحتراس فقال: «والاستثناء على ضربين... فالضرب الأول هو: أن تأتي معنى تريد توكيده، والزيادة فيه، فتستثني بغيره، فتكون الزيادة التي قصدتها، والتوكيد الذي توخيته في استثنائك، والضرب الآخر: استقصاء المعنى، والتحرز من دخول النقص، مثل قول طرفة:

فَسَقى دِيارك- غَيرَ مُفسِدِها - صَوبُ الغَمامِ وَديمَةٌ تَهمي

وقول الآخر[٢]:

فَلا تُبعدن إلا مِنْ السوء إنني إليكَ وإن شطّتْ بِكَ الدار نَازعُ[٣]

وقال الباقلاني (ت: ٤٠٣)[٤]: ومن البديع ضرب من الاستثناء[٥]. وتابعه ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦)، غير أنه أخرج الاحتراس الذي ذكره العسكري (ت: ٣٩٥).

(١) البديع لابن المعتز (ص: ٢٣).

(٢) لم أهتد إلى قائله والبيت غير منسوب. ينظر: كتاب الصناعتين (ص: ٤٥٩)، والعمدة في محاسن الشعر (١: ١٢٦).

(٣) كتاب الصناعتين (ص: ٤٥٩).

(٤) هو محمد بن الطيب بن محمد أبوبكر القاضي، المعروف بالباقلاني، متكلم على مذهب الأشعري، صنف من التصانيف المشهورة في علم الكلام وغيره، منها إعجاز القرآن، وتصانيف أخرى في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة، توفي سنة (٤٠٣)، ينظر: تاريخ بغداد (٥: ٢٧٩).

(٥) إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار الجيل، ١٤٢٦هـ (ص: ١٥٨)

وصنف ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) الاستثناء صنفين فقال: «الاستثناء استثناءان: لغوي وصناعي، فاللغوي: إخراج القليل من الكثير، وقد فرَّع النُّحاة من ذلك مفصلاً في كتبهم. والصناعي: هو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنىً زائداً يُعدّمن محاسن الكلام، ويستحق به الإتيان في أبواب البديع، ومتى لم يكن في الاستدراك والاستثناء معنى من المحاسن غير ما وضعا له لا يُعدّان من البديع»[(١)].

وهذا الشرط الذي أورده ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤)، سار عليه معظم البلاغيين، وأصحاب البديعيات، كالحموي (ت: ٨٣٧)[(٢)]، وابن الأثير الحلبي (ت: ٦٣٧)[(٣)]، وعقد الزركشي (ت: ٧٩٤)، باباً للاستثناء وقال: «وقريب منه تأكيد المدح بما يشبه الذم، بأن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيه»[(٤)].

كما جمع السيوطي (ت: ٩١١) بين الاستدراك والاستثناء في السياق، وذكر في ذلك شرطاً لدخولهما في البديع[(٥)].

مما سبق يتبين أن البلاغيين قد قرنوا الاستثناء بفنون أخرى شبيهة به كالاستدراك، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وغيرها.

والاستثناء فن دقيق المسلك تتنازعه علوم متباينة كعلم أصول الفقه، وعلم النحو، ولن أقف عند الاستثناء في هذه العلوم بدراسة أو بإشارة، إنما أقتصر على مصطلح الاستثناء وعلاقته بفن الاحتراس في دراسةٍ بلاغيةٍ تحليلية لآيات القرآن الكريم.

---

(١) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع (ص: ١٢١).

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب (١: ٢٦٣).

(٣) جوهرة الكنز، لابن الأثير الحلبي، تحقيق: محمد زغلول سلام، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية، بدون بيانات نشر (ص: ٢٤٦).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣: ٤٨).

(٥) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٦٥٦)

فأقول - وبالله التوفيق:- إن الناظر والمتأمل لآيات الكتاب العزيز التي جاء الاحتراس فيها يجد أن الاحتراس مصدراً بأداة من أدوات الاستثناء الدالة على إخراج بعض أفراده دافعة بذلك توهم العموم.

وقد سبقت الإشارة إلى أن البلاغيين يرون أن الاستثناء لا بد من تضمنه معنى زائداً على الاستثناء، وأن يتضمن نوعاً من المحاسن حتى يدخل في أبواب البديع، إذاً فليس كل استثناء يُعدّمن المحسنات البديعية، بل يشترط فيه اشتماله على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي، حتى يستحق به نظمه في سلك أنواع البديع، وإلا لم يكن منه، والشواهد القرآنية في هذا الصدد كثيرة، ومن ذلك قوله: تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١].

جاء في هذه الآية الكريمة احتراسان، الأول: في قوله تعالى: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ والثانية في الاستثناء ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾، فإنه لو اقتصر فيه على قوله: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ لاحتمل أن يكون من الملائكة من لم يسجد فيتأسى به إبليس ولا يكون منفرداً.

والاحتراس الآخر، بعد أداة الاستثناء ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾: ولو لم يستثن لتوهم أن إبليس من جملة الساجدين، فزال هذا الاحتمال بهذا الاحتراس، فحينئذ تعظم كبيرة إبليس؛ لكونه فارق جميع الملأ الأعلى، وخرج عن إجماع الملائكة، وبذلك استحق اللعن والطرد.

وهذه الآية جمعت أكثر من لون بلاغي، فجاء فيها التأكيد بقوله تعالى: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾، والاستثناء المتضمن معنى الاستدراك في قوله: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾.

ومن الأمثلة الدالة كذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣]، جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾، ويشير ابن عاشور (ت:١٣٩٣)(١) إلى ذلك فيقول: «﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ احتراس لإثباته شفاعة محمد ﷺ بإذن الله، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾، والمقصود من ذلك نفي الشفاعة لآلهتهم من حيث أنهم شركاء لله في الإلهية»(٢).

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي جاء فيها الاستثناء على وجه الاحتراس(٣)، ولو لم يؤت به لتوهم غير المراد.

ويلاحظ أن الاستثناء الذي يقع موقع الاحتراس غالباً هو الاستثناء المنقطع؛ لأن أداة الاستثناء فيه بمعنى لكن، فهو إلى الاستدراك أقرب منه إلى الاستثناء الحقيقي، والاستثناء المتعلق بعلم البيان هو الاستثناء الصناعي.

الشبيه الثالث: التوكيد(٤):

تعريف التوكيد:

---

(١) هو محمد الطاهر بن عاشور، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، فقيه، رئيس المفتين المالكيين في تونس، له مصنفات تدل على تبحره، وسعة اطلاعه منها تفسيره الكبير التحرير والتنوير وغيره، توفي سنة (١٣٩٣)، ينظر: معجم المفسرين، عادل النويهض (٢: ٥٤١).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، نشر دار سحنون بتونس (١١: ٨٨).

(٣) ينظر: [سورة البقرة:١٥٩ - ٢٤٦]، و[سورة النساء:٥٣ - ١٤٨ - ١٧١] و[سورة الأعراف:٧٥] و[سورة يونس:٣] و[سورة هود: ٢٩ - ٨١ - ١٠٨ - ١٠٩] و[سورة الحجر:٣٩ - ٤٠ - ٥٨ - ٥٩] و[سورة الحج:٦٥] و[سورة الفرقان:٧٠] و[سورة القصص:٥٨] و[سورة الحديد: ٢٧] و[سورة المزمل:١] و[سورة الأعلى:٦].

(٤) التوكيد واسع بابه، كثيرة أقسامه، يتنازعها علم النحو والبلاغة؛ لذا أُعرِضُ في هذه الدراسة عن دراسته من باب النحو، ولا أقف على حروفه، إنما تكون الدراسة بلاغية مختصرة، لما له علاقة بمصطلح الاحتراس.

التوكيد في اللغة[١]:

يرجع أصله اللغوي إلى الفعل (وَكْدٌ)، وَكَّدَ العَقْدَ والعَهْدَ أوثَقَه والهمز فيه لغة يقال: أَوْ كَدْتُه وأَكَّدْتُه وآكَدْتُه إيكاداً ،وبالواو أفصح ،أي :شَدَدْتُه وتَوَكَّدَ الأمر وتأَكَّدَ بمعنًى، ويقال: وَكَّدْتُ اليَمِينَ، والهمْزُ في العَقْد أَجْوَدُ ،وتقول: إذا عَقَدْتَ فأَكِّدْ ،وإذا حَلَفْتَ فَوَكِّدْ، والتَّوكيدُ دَخَل في الكلامِ لإِخراج الشَّكّ. وفي الأَعْدادِ لإِحاطةِ الأَجْزاء.

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥)[٢]: «(وَكْدٌ) كلمة تدل على شد وإحكام، وأوكد عقدك، أي شده»[٣].

التوكيد في الاصطلاح:

«هو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره»[٤]، قسم العلماء التوكيد قسمين[٥]:

الأول: توكيد صناعي، وهو ما يتعلق بالمعاني الإعرابية.

الثاني: توكيد معنوي وهو ما يتعلق بعلوم البيان.

والقسم الأخير منهما ينقسم إلى:

- توكيد في اللفظ والمعنى.
- توكيد بالمعنى دون اللفظ، وله أقسام كثيرة.

---

(١) لسان العرب، مادة (وكّد).

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا، أبوالحسين، من كبار أئمة اللغة، من مصنفاته: مقاييس اللغة، وغيرها، توفي سنة (٣٩٥). ينظر: نزهة الألباء (ص: ٢٣٥)، وإنباه الرواة (١: ١٢٧).

(٣) مقاييس اللغة مادة (وكّد).

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي (ت: ٧٤٥) مراجعة وضبط محمد عبدالسلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت (ص: ٨٢).

(٥) المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ (ص: ٢٧٤).

وقد أفاض الزركشي (ت: ٧٩٤) في الحديث عن التوكيد حتى شمل العديد من الفنون البلاغية، وقد فاضت عباراته كذلك بأهمية التأكيد فقال: «والتوكيد لا يؤتى به إلا للحاجة، للتحرز عن ذكر ما لا فائدة فيه»[(١)].

وعبارة الزركشي تلك تشير لمصطلح الاحتراس وإن لم يُصرّح به.

ويبين العلوي (ت: ٧٤٩) أهمية التوكيد بقوله: «اعلم أن التأكيد تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات لما أنت بصدده»[(٢)].

كما يُجلي السيوطي (ت: ٩١١) أهمية التوكيد وصلته بالاحتراس فيقول: «التوكيد المعنوي... وفائدته رفع توهم المجاز، وعدم الشمول»[(٣)]. وفي موضع آخر يقول: «توكيد الفعل بمصدره هو عوض من تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل»[(٤)].

أساليب التوكيد:

١) منها التوكيد بنون التوكيد الثقيلة.

٢) التوكيد بسوف

٣) التوكيد بإنّ وأنّ المشددتين.

٤) التوكيد المعنوي.

٥) التوكيد اللفظي.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢: ٣٩٠).

(٢) الطراز (ص:٣٨).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٦١٠).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٦١١)

أغراض التوكيد:

١) التحقيق، فالكلام إذا تأكد صار حقيقة لا مراء فيها، وبات لا شك فيه ولا نزاع.

٢) التقرير.

٣) الرد على منكري البعث.

خلاصة:

إن في التوكيد بطرقه المختلفة تقوية المعاني، ورعايةً للانسجام مع المواقف التي تعترض ذلك، وقد جاء التوكيد في صور شتى للإقناع والبيان.

أقسام التوكيد التي جاءت بأسلوب الاحتراس(١):

١- رفع توهم المجاز(٢): أكد غير واحد من المفسرين(٣)، أن التوكيد يأتي لرفع توهم المجاز، وحمل الآية على حقيقتها، ومن ذلك قوله: تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

٢- التأكيد لرفع الإبهام، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [النحل: ٥١]، فإن ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ للتثنية، فاثنتين بعدّه صفة مؤكدة للنهي عن الإشراك، ولإفادة أن النهي عن إلهين إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط»(٤).

٣- التأكيد لدفع توهم الاشتراك، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿بِدَيۡنٍ﴾ فائدة ذكره تخليص المشترك ودفع الإيهام(٥).

---

(١) أكتفي بالعرض المجمل في هذا المبحث، وسوف يكون التوسع في علاقة الاحتراس بفنون البلاغة في الدراسة التحليلية.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (ص ٦١١).

(٣) ينظر: التفسير الكبير (٣: ٧٩)، فتح القدير (١: ٢٣٨)، روح المعاني (٣: ١٩٢).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (ص ٦١٩).

(٥) التحرير والتنوير (٣: ٩٩)، حاشية زادة (٢: ٦٧٩).

٤- التأكيد لدفع توهم الاختصاص، نحو قوله تعالى: ﴿ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، حيث إن التأكيد ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ﴾ للمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص بأحدهما بعينها»[(١)].

يتبين ويتضح من عبارات المصنفين السالفة، أهمية التوكيد، وارتباطه الوثيق بمصطلح الاحتراس، فكل منهما يسعى لسلامة المعنى ووضوحه، وخلوه من كل ما يدخل الخلل والوهم.

وقد سبقت جملة من الآيات القرآنية فيها أنماط من التوكيد المختلفة بأسلوب الاحتراس، ذكر العلماء فيها أن الغرض من التوكيد هو إزالة اللبس ورفع الوهم.

❀❀❀

(١) إرشاد العقل السليم (١: ٣٢١).



المبحث الثاني
نشأة الاحتراس وتطوره

وفيه مطلبان:

المطلـــب الأول: نشأة الاحتراس وتطوره عند اللغويين.

المطلـب الثـاني: نشأة الاحتراس وتطوره عند المفسرين.

المطلب الأول

نشأة الاحتراس وتطوره عند اللغويين

يتعلق تطور مصطلح الاحتراس عند اللغويين بتطور البلاغة عامةً، ويبدو للناظر -من الوهلة الأولى- تأصيل الاحتراس بوصفه فنّاً من فنون الإطناب، وقد ذكر ذلك غير واحد من البلغاء، وأورده الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) في كتابيه التلخيص والإيضاح.

وسار على ذلك من جاء بعدّه من شُراح التلخيص، فهو فن من فنون علم المعاني، لا يكاد ينفصل عنه بحال، إلا أن أصحاب البديعيات أخرجوا الاحتراس من علم المعاني، وصنفوه من علم البديع؛ لكونه محسناً بديعياً، ولعل ذلك بسبب اختلاف منهج المدرستين مدرسة المتكلمين، والمدرسة البديعية في علمي البيان والمعاني، وكذلك التداخل بين المصطلحات ذاتها.

ونتيجة لهذا التداخل انتقل الاحتراس من علم المعاني إلى علم البديع محسناً بديعياً، وكان لهذا الانتقال العديد من الدوافع.

ومن الأسباب التي نقلت الاحتراس من علم المعاني إلى علم البديع - عند البديعيين- اختلاطه بفنون أخرى شبيهه به كالتتميم، ومن الأسباب كذلك أن البديع كان يطلق على البلاغة بعامة.

لذا سأورد عرضاً موجزاً لنشأة علم المعاني[1]، وتطوره وأثنّي بنشأة علم البديع؛ لكون الاحتراس ورد في هذين العلمين، مع الاعتراف بانتمائه لعلم المعاني.

---

(١) للمزيد ينظر علم المعاني، عبد العزيز العتيق (ص: ١٩-٢٦)، والبلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس (ص: ٨٥، ٨٨).

علم المعاني هو أحد العلوم الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع، وقد كانت البلاغة في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد، وظل الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١)[(١)] ووضع نظرية علم المعاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، ونظرية علم البيان في كتابه (أسرار البلاغة)، كما وضع ابن المعتز من قبله أسس علم البديع.

وسار من جاء بعدّه على منهجه، ووقفوا عنده، ولم يتجاوزه إلى عمق وابتكار، وأكبوا على القواعد البلاغية التي وظفها في ترتيب أبوابها، وفي اختصارها. ومن أوائل الذين اتجهوا إلى الاختصار الفخر الرازي (ت:٦٠٦) في كتابه (نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز) و(أسرار البلاغة) وفي ذلك يقول: «لما وفقني الله لمطالعة كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، التقطت منهما معاقد فوائدها، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية»[(٢)].

وقد سارت فنون البلاغة على منهاج عدم الفصل بين علوم البلاغة حتى جاء السكاكي (ت: ٦٢٦)[(٣)] حيث أصل للبلاغة، ووضع لها القواعد والنظريات في القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم)، وأفرد هذا القسم للكلام عن علمي المعاني والبيان ولواحقهما من البلاغة والفصاحة والمحسنات البديعية، وبذلك يكون قد جمع ما تناثر

(١) هو: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، العالم النحوي، وأحد علماء الكلام على مذهب الأشاعرة، له تصانيف كثيرة تدل على سعة علمه، اشتهر منها دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة وغيرهما، توفي سنة (٤٧١)، ينظر: شذرات الذهب (٣٠٨:٣)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١:٢٧١).

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للرازي، نشر دار الكتب الحديثة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ (ص: ٤).

(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، إمام زمانه في العربية والبيان والأدب والشعر، اشتغل بعلوم الفلسفة والمنطق، والفقه وأصوله، واللغة والبلاغة، من مصنفاته: كتاب مفتاح العلوم، وتوفي سنة (٦٢٦)، ينظر: شذرات الذهب (١٢٢:٥)

عند سابقيه من أفكار، وصياغتها بصيغ مضبوطة ومحكمة مستعيناً بقدرته المنطقية في التعليل والتعريف والتقسيم والتفريغ والتشعيب، وبذلك تحولت البلاغة في مفهومه أولاً، وفي تلخيصه ثانياً إلى علم قائم بذاته.

وقد عَرّف السكاكي علم المعاني بقوله: «إنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليُحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[١].

وقد لقي كتابه شهرة فائقة في ميدان البلاغة، وعكف العلماء قرابة خمسة قرون على شرحه وتلخيصه ونظمه، وكأنه لم يؤلف في البلاغة غير هذا الكتاب.

ولانتقال الاحتراس من علم المعاني إلى علم البديع عند أصحاب البديعيات، أعرض بإشارات موجزة لنشأة علم البديع وتطوره.

علم البديع:

البديع في اللغة[٢]:

يرجع أصل البديع إلى (بدع)، بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه، وبدع الركيّة[٣]: استنبطها وأحدثها، وركيّ بديع: أي حديث الحفر، والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي: ما كنت أول من أُرسل، وقد أُرسل قبلي رسلٌ كثير، والبدعة: الحدث وكل محدثة، والبديع من أسماء الله تعالى؛ لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، فمعاني البديع تدور حول الجدة، والطرافة، والحداثة، والاختراع.

---

(١) مفتاح العلوم (ص: ١٨١).

(٢) لسان العرب، مادة (بَدَعَ).

(٣) الركية: البئر.

البديع في الاصطلاح:

«هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة»[(١)].

أما مصطلح (البديع) بمعناه الفني فقد ذكر الجاحظ (ت: ٢٥٥)[(٢)]، أن الرواة أول من أطلق البديع على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية، وعلى بعض الصور البيانية[(٣)].

عَرف العرب في شعرهم كل الخصائص الفنية والأساليب البيانية التي تُضفي عليه سمة الجمال والإبداع، وكان الشاعر منهم بحسه الفطري وسليقته العربية الفصيحة- وعلى غير دراية منه بأنواع هذه الأساليب ومصطلحاتها البلاغية- يستخدمها عفو الخاطر وتلقائياً، ومن يقرأ أشعار العرب في الجاهلية وصدر الإسلام يجدها زاخرة بفنون القول، وألوان البلاغة من تشبيه واستعارة، وكناية وجناس وغيرها، من غير أن يعرفوا لها أسماء أو يطلقوا عليها هذه المصطلحات.

ثم جاء المُحْدَثُون[(٤)] فترسموا آثار القدماء في المعاني والأغراض، وتطلعوا إلى التجديد في الصياغة، فبحثوا عن تلك الألوان في الشعر القديم، ونقبوا عن هذه

---

(١) التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق:عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ص: ٢٢٩).

(٢) هو عمرو بن بحر، أبو عثمان، المعروف بالجاحظ البصري المعتزلي، أديب لغوي متكلم، له العديد من التصانيف من أشهر كتبه: البيان والتبيين، والحيوان، توفي سنة (٢٥٥)، ينظر: تاريخ بغداد (١٢: ٢١٢)، وسير أعلام النبلاء (١١: ٥٢٦).

(٣) البيان والتبيين (١: ٥٨٤)

(٤) مصطلح المحدثين مصطلح أطلق على الشعراء الذين خرجوا على أصول لشعر القديم، واستحدثوا مذهباً للتجديد ابتداء من بشار بن برد فصاعداً، ينظر: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، محمد الواصلي (ص: ٩ وما بعدّها).

الألوان حتى أكثروا منها، وصارت سمة على أشعارهم، وفي ذلك يقول القاضي علي الجرجاني (ت: ٣٩٢)(١): «فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها، فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط»(٢).

ومعنى ذلك أن البديع في شعر القدماء كان قليل التكلف؛ ؛ لأنهم لم يقصدوا إليه قصداً. وأما المُحْدَثُون فقد أغرقوا شعرهم بتلك المحسنات حتى غلبت عليه، بل ربما جعله بعضهم خاصاً بالشعر العربي، وفي ذلك يقول الجاحظ (ت: ٢٥٥): «والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان»(٣).

كما وقع الخلاف في أول من أطلق اسم البديع من الشعراء المحدثين، وأكثر منه في شعره، وهو خلاف لا يعنينا في هذا المقام، وقد أجاب ابن المعتز (ت: ٢٩٦)، عن هذا الإشكال في مقدمة كتابه فقال:«قد قدمنا في أبواب كتابنا بعض ما وجدنا في القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، ليُعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس، ومن تقيّلهم(٤)، وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه»(٥).

---

(١) هو علي بن عبد العزيز الجرجاني، فقيه شافعي، ولغوي بارع، قاضي الري، توفي سنة (٣٩٢). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧: ١٩)، والبداية والنهاية (١٥: ٤٩٨).

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي الجرجاني، تحقيق: علي محمد البجاوي وزميله، نشر دار إحياء الكتب العربية، بالقاهرة (ص: ٣٨).

(٣) البيان والتبيين (٤: ٦٥)

(٤) حاول التشبه بهم.

(٥) البديع، لابن المعتز(ص: ١).

أما البحث في نشأة علم البديع بصفته فناً وعلماً فقد وجد منذ وقت مبكر، من بدايات التدوين، وذلك بإشارات متناثرة في بطون المصنفات المختلفة ككتب التفسير واللغة، بل حتى في كتب النحو، من غير أن يُشار إليها على أنها لون بديعي أو بلاغي، ومن ذلك ما حواه كتاب (الكتاب) لسيبويه (ت: ١٨٠) حيث ضمنه كثيراً من المسائل البلاغية التي تلقفها عنه من جاء بعدّه، ومن تلك الإشارات ما جاء في باب «ما جاء على اتساع الكلام والاختصار... قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢] إنما يريد أهل القرية»[(١)].

وقد ذكر الجاحظ (ت: ٢٥٥) في كتابه (البيان والتبيين) العديد من المصطلحات البلاغية في إشارات سريعة[(٢)]، باعتبارها أنواعاً طريفة مثل الاستعارة، والتشبيه، والإيجاز، وغيرها.

كما وجدت المصطلحات البلاغية في المصنفات بعد الجاحظ، فهذا ابن قتيبة (ت:٢٧٦)[(٣)] يشير في كتابه (مشكل القرآن) إلى ألوان البديع وتبعه المبرد (ت: ٢٨٥)[(٤)] الذي أشار إلى بعض فنون البديع كالكناية والتشبيه وغيرها.

---

(١) الكتاب (١: ١٤١).

(٢) البيان والتبيين (١: ٩٦، ١٠٦، ١٥٢، ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٨٥) (٢: ٦، ١٩، ١١٦، ١٤٧..).

(٣) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبومحمد الدينوري، الكاتب اللغوي، يعدّمن الأعلام البارزين، له من المصنفات: تأويل مشكل القرآن، وغريب القرآن، توفي سنة(٢٧٦). ينظر: وإنباء الرواة (٢: ١٤٣)، وتاريخ بغداد (١٠: ١٧٠).

(٤) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد البصري، إمام في النحو، لغوي، صاحب المصنفات التي أربت على الأربعين مصنفاً وأشهرها كتاب الكامل، توفي سنة (٢٨٥). ينظر: بغية الوعاة (٢: ٢٦٩)، وسير أعلام النبلاء (١٣: ٥٧٦).

أما تدوين البديع بصفته فناً مستقلاً، فإن ابن المعتز (ت: ٢٩٦) أول من جمع مسائل البديع وفنونه في مصنف مستقل، فكان أول كتاب ينفرد بالتأليف البلاغي، وقد كانت المصنفات قبل ذلك تجمع فنوناً شتى، وتعالج قضايا عديدة في اللغة، والأدب، والنحو، وكانت مسائل البلاغة تأتي عرضاً بين طيات تلك المصنفات، حتى جاء (البديع) لابن المعتز، وقد أشار في مقدمة كتابه أنه لم يُسبق في هذا الجمع، وفي التأليف، كما بين أقسام البديع وألوانه، ثم ذكر بعد بيانه لألوان البديع أن هذه على سبيل التمثيل لا الحصر، حيث قال: «إنها أكبر من أن يُحاط بها»[1].

ثم سرت فكرة (مصطلح البديع) في ذلك العصر والعصور التالية، فهذا قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧)، يذكر فنون البديع، ويزيد ألواناً لم يوردها ابن المعتز (ت: ٢٩٦)[2]، منهجه في ذلك تطبيق أصول المنطق على الشعر العربي، وفيه يتبين مدى طغيان الروح العلمية وأسلوب التفكير على منهجه، واستبداد الفلسفة، والمنطق بعقلية قدامة بن جعفر[3].

كما كان لكتابي (البديع) و(نقد الشعر) أثر واضح في توجيه الفكر البلاغي وتنميته، ويظهر أثرهما جلياً في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥)، وقد سلك المنهج نفسه في حصر وجوه البديع وتسميتها، وإيراد الشواهد من الشعر والنثر على حد سواء، لكنه زاد على سابقيه بزيادة فنون أخرى في علم البديع، حيث أضاف مصطلح الإرداف والتوابع[4]، فقد اقتصر قدامة على الإرداف، وزاد (في تجاهل العارف) مزج

---

(١) البديع لابن المعتز (ص: ٣).

(٢) نقد الشعر لابن قدامة، (ص: ١١، ٤٧، ٤٨، ٥٥، ٦١، ٥٧، ٦٣..).

(٣) البديع بين المتقدمين والمتأخرين، إبراهيم التلب، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، (ص: ٥٨) بتصرف.

(٤) ويقصد به: أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الخاص الدّال عليه، ويأتي بلفظ هو ردفه وتابعٌ له، ينظر: كتاب الصناعتين (ص: ٣٨٥).

الشك باليقين[١]، حيث سبقه ابن المعتز (ت: ٢٩٦)، وسماه تجاهل العارف وغيرها. وقد ترك أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥) بصمات واضحة في علم البديع.

ويأتي القرن الخامس الهجري، ويبرز من أعلامه ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦)، الذي استفاد من المصنفات السابقة في تقسيم البديع، وتسمية مصطلحاته، وقد زاد ضروباً من البديع لم تُعهد عند سابقيه. وتميزت دراسة ابن رشيق لما ذكره من فنون البديع بأنها أكثر تفصيلاً، وجمعت بين الدقة العلمية والروح الأدبية، فقد كان دقيقاً في التفريق بين الأنواع، وتمييز الأضرب المتداخلة منها، كتمييزه بين (الاستطراد، وحسن الخروج من معنى إلى معنى آخر)، وهو يحسن اختيار الشواهد من فصيح الكلام شعراً ونثراً، ولا يكتفي بذكرها بل يعقب عليها، ويناقش ويرجح[٢].

ومن المعاصرين لابن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦)، ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦)، حيث وضع كتابه (سر الفصاحة) الذي أودع فيه فنون البديع[٣]، لكنه تميز عن سابقيه بأنه كان يرد الألوان المتشابهة إلى أصل واحد، كالسجع والازدواج، والترصيع، وغير ذلك مما يرجع إلى شيء واحد، وكان يرفض بعض الألوان التي لا تتعلق بنقد الكلام[٤].

كما بيّن الخفاجي (ت: ٤٦٦) أن من أنواع البديع ما يرجع إلى اللفظ، ومنه ما يرجع إلى المعنى، وما فعله من التفرقة بين اللفظي والمعنوي، كان من أهم الدعائم التي بنى عليها المتأخرون تقسيمهم الألوان البديعية، إلى لفظية ومعنوية[٥].

---

(١) ويقصد به: إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه؛ ليؤيده تأكيداً. ينظر: كتاب الصناعتين (ص: ٤٤٥).

(٢) البديع بين المتقدمين والمتأخرين، إبراهيم التلب، (ص: ١٤٨) بتصرف يسير.

(٣) سر الفصاحة (ص: ١٨١، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٨).

(٤) البديع بين المتقدمين والمتأخرين، إبراهيم التلب (ص: ١٦١) بتصرف.

(٥) البديع لابن أبي الإصبع، تحقيق: حنفي محمد شرف، نشر دار النهضة مصر، الطبعة الثانية، مقدمة المحقق (ص: ٢٥) بتصرف يسير.

وفي القرن الخامس أيضاً يأتي شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١) الذي وصلت البلاغة بعامة معه إلى مرحلة النضج والكمال، ويورد في كتابيه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) ضروباً من البديع متفرقة، لكن إيراده لفنون البديع لم يكن مقصوداً لذاته، وإنما جاء كلامه عنها في معرض الاستدلال على نظريته القائلة: «بأن الألفاظ ليست لها مزية ذاتية من قبل التراكيب، وصورة نظمها وتأليفها، ذلك لأن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التراكيب والترتيب»[1].

وفي القرن السادس الهجري، بدأ علم البديع بالنضج والكمال، فظهر أسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤)، وكتابه الذي ضمنه فنون البديع، وقد بلغت عنده خمسة وتسعين باباً ضمنها كثيراً من المحسنات البديعية، وهو بذلك فاق من سبقه من حيث جمع ألوان البديع، وقد سار على خطى سابقيه في التمثيل والاستشهاد.

ويظهر في القرن السابع الهجري، علم من أعلام البلاغة ترك أثراً واضحاً فيمن جاء بعدّه، إنه العلامة السكاكي (ت: ٦٢٦)، الذي تبع الزمخشري في تقسيم علم البلاغة قسمين هما: المعاني والبيان[2]، ووجوه تحسين الكلام (البديع)، فأصبحت البلاغة على يديه تنقسم إلى ثلاثة علوم «علم المعاني، وعلم البيان، ووجوه تحسين الكلام»[3].

ثم يصل الحديث إلى علم من أبرز علماء البلاغة وهو ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤)، حيث وضع كتابه بديع القرآن، وهو كتاب عظيم في بابه، حيث جمع فيه ألوان البديع في القرآن الكريم، وزاد ألواناً من البديع لم تكن معروفة عند سابقيه.

---

(١) علم البديع، لعبد العزيز عتيق، نشر دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ، (ص: ٣١).

(٢) ينظر الكشاف (١:٧).

(٣) مفتاح العلوم، السكاكي (ص: ١٦١ وما بعدّها) و(ص: ٤٢٩، وما بعدّها).

ومن أبرز علماء القرن الثامن، الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) وأطلق على تلك المحسنات البديع، وأقبل على القسم الثالث من كتاب المفتاح للسكاكي(ت: ٦٢٦) فوضع كتابه تلخيص المفتاح، وذكر في مقدمته: «أن القسم الثالث من مفتاح العلوم أعظم ما صنف في البلاغة من الكتب؛ لكونه أحسنها ترتيباً وأتمها تحريراً، وأكثرها للأصول جمعاً»(١). فجاء كتاب تلخيص المفتاح الذي جمع فيه مسائل البلاغة ورتبها، ثم شرحه بمؤلف آخر وسماه الإيضاح.

وعلى يد الخطيب القزويني تأصلت وتكاملت البلاغة بفنونها الثلاثة، وقد حذا حذو سابقيه، واتبع مدرسة السكاكي (ت: ٦٢٦) ،وهي الطريقة التقريرية التي تقوم على الاهتمام بوضع القواعد، وذكر الحدود الجامعة المانعة، وضبط الأقسام وحصرها مع الاستعانة بمصطلحات أخرى من المنطق والفلسفة (٢)، وبذلك أخذت البلاغة وعلومها وضعها الأخير، فتحددت موضوعاتها، وانفصلت أقسامها، وعلى ذلك سارت الدراسات البلاغية فيما بعد.

بديع القرآن:

سبق الحديث عن علم البديع كيف نشأ وتطور إلى أن استقرت مصطلحاته المختلفة، وألوانه المتعددة، والتي انبثق عنها دراسات خاصة بالبديع في القرآن الكريم بعامة، أو بتخصيص لون من ألوان البديع بالدراسة والبحث بخاصة (٣).

---

(١) تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني (ص: ٥).

(٢) البديع بين المتقدمين والمتأخرين، لإبراهيم التلب (ص: ١٨٩) بتصرف.

(٣) ينظر على سبيل المثال: تأويل القرآن لابن قتيبة، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وتأويل مجازات القرآن للشريف الرضي، وتشبيهات القرآن، لابن ناقيا البغدادي، وإعجاز القرآن لكل من الرماني، والكرماني، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وغيرها.

أطلق بعض المصنفين لفظ (بديع القرآن) إطلاقاً شاملاً، يتناول ما في القرآن الكريم من شواهد علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، إذ أن المصنفين يسعون في مصنفاتهم إلى بيان ما في القرآن الكريم من بلاغة وإعجاز، ولم يكن هدفهم إفراد أي علم أو فن بلاغي بالبحث.

والبحث في البديع في القرآن الكريم غير ميسور في مثل هذه المقدمة اليسيرة، تاركة الاستقصاء لمباحث أخر تتمم ما يأتي في هذه العجالة.(١)

إن أول مرحلة في البحث في بديع القرآن تبدو متناثرة في كتب التفسير، وعلوم القرآن، وكتب المتكلمين والأدباء، الذين حرصوا على بيان إعجاز القرآن، مع تداخل علم البديع بفنون البلاغة الأخرى، ويندر أن يوجد كتاب صنف في القرن الثاني أو الثالث الهجري إلا وعلوم البلاغة في تلك المصنفات، مثل الكتب التي تحدثت عن معاني القرآن، أو مجاز القرآن، أو متشابه القرآن وغيرها(٢).

أطلق ابن المعتز (ت: ٢٩٦) مصطلح (البديع) على كتابه الذي عُني بجمع المسائل البلاغية المستخرجة من القرآن الكريم، وإيراد الشواهد المختلفة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والشواهد الشعرية.

كما خصص ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) كتاباً باسم بديع القرآن، جمع فيه مسائل البديع، وبذلك تميز عن سابقه الذي أدخل فنون البديع بغيرها، وله العذر، فالفضل

---

(١) ينظر مبحث الاحتراس عند المصنفين في البلاغة وعلوم القرآن (ص:١١٣)، ومبحث عناية اللغويين بالبلاغة القرآنية (ص:١٤٨).

(٢) على سبيل المثال: كتاب معاني القرآن للفراء (ت: ٢٠٧)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت: ٢٧٦) ومعاني القرآن للزجاج (ت: ٣١١)، ومعاني القرآن للنحاس (ت: ٣٣٨)، وإعجاز القرآن للباقلاني (ت: ٤٠٣) وغيرها.

للمبتدئ، وإن أحسن المقتدي، فلم تكن المصطلحات قد استقرت والبلاغة لم تكن قد قسمت، وهناك العديد من المصنفات التي لم تخل من العناية بالبديع في القرآن كجزء من العناية بالبلاغة القرآنية، و سيأتي الحديث عنها مفصلاً.

تطور مصطلح الاحتراس:

يُعدّ أسلوب الاحتراس، أحد الأساليب التي استعملها العرب في كلامهم، بطبيعتهم وسليقتهم الفطرية من دون تكلف أو عناء في البحث عن السمات الجمالية للعبارة، ومن يقرأ شعر العرب في الجاهلية وصدر الإسلام يجده زاخراً بفنون البلاغة، من غير أن يعرفوا لها مصطلحات، فهذا الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد، يستحضر هذا الأسلوب في قوله:

فَسَقى ديارَكِ، غيرَ مُفسِدِها ... صوْبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهْمي

فجملة (غيرَ مُفسِدِها) احتراس، فطلب الغيث يكون على قدر الحاجة؛ لأن الزائد قد يهلك، وقد جاء في حديث النبي ﷺ «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا سَرِيعًا، غَدَقًا طَبَقًا، عَاجِلا غَيْرَ غَائِثٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ»(١).

والاحتراس من أساليب العرب يجري على ألسنة الشعراء، وهناك من الشواهد في هذا المجال ما يضيق المقام لعرضه، وسأورد بعض الشواهد على سبيل التمثيل، لا الحصر، منها قول الشاعر(٢):

فَسَقاكِ حَيثُ حَلَلْتِ غَيرَ فَقيدَةٍ ... هزِجُ الرواحِ وديمةٌ لا تقلعُ

---

(١) أخرجه البخاري، في (١٥) كتاب الاستسقاء (٢٤) باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته رقم (١٠١٣)، ومسلم (٩)، صلاة الاستسقاء (٢) باب الدعاء في الاستسقاء.

(٢) البيت للشاعر الأموي جرير، ينظر: ديوانه، اعتنى به حمد وطماس، نشر دار المعرفة، ببيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ(ص:٢٤٤).

فجملة (غير فقيدة) احتراس، غير فقيدة أي غير ميتة.

أيضاًقول الشاعر[(١)]:

صَبَبْنا عَلَيْها ظالِمينَ سِياطَنا فَطارَتْ بِها أَيْدٍ سِراعٌ وَأَرْجُلُ

جاء الاحتراس في قوله: (ظالمين)، ولو لم يقل ذلك لتوهم أن هذه الفرس ليست من الخيول الجياد، ولا تتمتع بسرعة الخيول، فدفع ذلك التوهم بقوله: (ظالمين) وأنها لا تستحق الضرب بالسياط.

وغير ذلك من الشواهد التي تُنبئ عن أصول هذا المصطلح في الأساليب العربية، واستمر الأمر على ذلك - أي دون تسمية - حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ولا يستطيع الباحث في هذه المرحلة الجزم بوجود اصطلاحات بلاغية ناضجة ومستقرة، فعلم البلاغة لم يزل في طور النشأة، ولا يزال يسعى سعياً حثيثاً نحو التميز والاستقرار، والبحث في مصطلح الاحتراس يتوجب البحث فيما حفظ من المصطلحات والإشارات المتناثرة في بطون المصنفات المختلفة، وأول إشارة يقف عليها البحث، وتنبئ عن بداية الظهور لمصطلح الاحتراس ما أورده الجاحظ (ت: ٢٥٥) في معرض حديثه عن حُسن البيان حيث قال: «ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به، ويفضلون إصابة المقدار ويذمون الخروج[(٢)] ثم أورد بيت طرفة بن العبد السالف الذكر، ثم قال: «طلب الغيث على قدر الحاجة؛ لأن الفاضل ضار، وقال النبي ﷺ في دعائه: (اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ) ؛ لأن المطر ربما جاء في غير إبان الزراعات، وربما جاء و التمر في الجُرْنِ و الطعامُ في البيادر »[(٣)].

(١) هو الخليفة العباسي ابن المعتز، ينظر: ديوانه (ص: ٣٢١)، العمدة (٢: ٢٤).

(٢) البيان والتبيان، الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي،نشر دار صعب، بيروت (١: ١٢٧).

(٣) المرجع السابق.

ولم يكن يقصد الجاحظ عندما ذكر إصابة المقدار التأصيل له بوصفه نوعاً من أنواع البديع، بل جاء به في معرض حديثه عن حسن البيان، لكنه أشار في أثناء حديثه عن أحد الشواهد إلى معنى الاحتراس حيث قال: «فقد أصاب الشاعر المقدار بقوله: «إذا ما وازنت القوم بالقوم.... فرفع هذا الوهم بتضمين كلامه هذه العبارة»[(١)].

والمتتبع لبعض آراء السابقين لا يجدها تفصح عن مرادها، ولم يكن لها دور سوى التمهيد لانبثاق مصطلح جديد، وما يُلحظ عند السابقين من طول عناوين المصطلح[(٢)] ينبئ عن عدم إيراد المصطلح لذاته؛ ؛ لأنه لا يزال في مراحل التطور، وغير دقيق في الدلالة على المصطلح، إذ يمتزج فيها مفهوم المصطلح مع حدوده أو لوازمه، بل ربما مرادفاته، وكذلك كان حال الاحتراس في بداياته، ثم بدأ تطور المصطلح فحاول البلاغيون أن يشتقوا اصطلاحاتهم مما تدل عليه لغوياً، حتى استقامت لهم واطردت، وأصبحوا يدلون بلفظ واحد على ما كانوا يعبرون عنه بجملة أو أكثر.

ثم يورد ابن المعتز (ت: ٢٩٦) مصطلحاً آخر يقصد منه دفع التوهم وإزالة اللبس، وقد استمدّ ابن المعتز مفهوم الاحتراس من الجاحظ، وسمَّاه اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه[(٣)].

---

(١) البيان والتبيين (١: ١٢٧).

(٢) كالجاحظ (ت: ٢٥٥) عندما أطلق (إصابة المقدار) وعند ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦)، حيث أطلق على الاحتراس التحرز مما يوجب الطعن، وفي أبواب البلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم، الهزل ويراد به الجد، كذلك سيبويه (ت: ١٨٠)، كان يورد العناوين في كتابه الكتاب، بشكل مطول.

(٣) معالم في تاريخ البلاغة (ص:٦٣)، والبلاغة تطور وتاريخ (ص:٨٨).

حيث أورده في كتابه البديع بقوله: ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه، ثم يعود إليه فيتمّمه في بيت واحد؛ كقول بعضهم من الطويل[(١)]:

فَظَلّوا بيومٍ - دَعْ أخَاكَ - بِمِثلهِ   عَلَى مشرعٍ يُروَى ولَمّا يُصَرَّدِ[(٢)]

وبعد «مصطلح الاعتراض» يظهر مصطلح (**التتميم**)[(٣)] بوصفه مصطلحاً يقوم مقام الاحتراس، ويعبر عنه وعن مقصده، وأول من قال به - فيما وصل إليه علمي - قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧)، حيث أورد شاهداً شعرياً[(٤)]:

قفِ العيسَ في أطلالِ مَيَّةَ فاسألِ   رسوماً كأخلاقِ الرداء المسلسلِ

أظنُّ الذي يُجْدي عليك سؤالُها   دموعاً كتبديدِ الجمانِ المفصَّلِ

ثم قال: «(فالمفصل) تتميم، وهو في القافية يسمى تبليغاً وتتبيعاً، وفي الحشو يسمى تتميماً واحتراساً»[(٥)]. حيث أورده في نعوت المعاني إذ قال: «ومن نعوت المعاني التتميم... وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، وتكمل جودته شيئاً إلا أتى به وإلا كان المعنى منقوص الصحة كقول الشاعر[(٦)]:

بِهَا نِلْنَا القَرَائِبَ مِنْ سِوانا   وأحرَزْنَا القَرَائِبَ أنْ تُنَالا

---

(١) لم أهتد إلى قائله. ينظر: كتاب الصناعتين (ص: ١١٩)، والعمدة في محاسن الشعر (ص:١٢٤).

(٢) البديع لابن المعتز (ص:٩٨).

(٣) وممن أطلق مصطلح التتميم أبوهلال العسكري في كتابه (الصناعتين) (ص: ٤٣٤)، وابن رشيق القيرواني في العمدة (٢: ٦٥٣)، وابن الأثير في كفاية الطالب (ص: ١٩٤)، والسلجماسي في تجنيس أساليب البديع (ص: ٣٢٣) وغيرهم.

(٤) البيت لذي الرمة، ينظر: ديوانه (١: ١٤٥)، والبيت موجود في كتاب الصناعتين (ص: ٣٨٠)، وخزانة الأدب (٢: ٢٧١) وما بعدها.

(٥) البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، تحقيق: عبدآ علي مهنا، دار الكتب العلمية (ص: ٨٨- ٨٩).

(٦) البيت للأخطل، ينظر ديوانه، صناعة السكري، تحقيق فخري قباوة، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ، (ص:٥٦٦).

فالذي أكمل جودة هذا البيت قوله: «وأحرزنا القرائب أن تنالا»، مع أنهم نالوا القرائب من سواهم»(١) كما ذكر العديد من الشواهد يطول المقام بذكرها.

فقدامة ابن جعفر لم يفرق بين التتميم والاحتراس في أثناء التطبيق، وبذلك تتبين بدايات ظهور الاحتراس، حيث ظهر مرتبطاً بفن ولون بديعي آخر، وقد حملت عباراته دلالة على الاحتراس وما مقصوده، ومن ذلك في قوله: «التي تتم بها صحته» فهو يلمح لمقصد الاحتراس وهو صيانة المعنى، فلو لم يذكر لتوهم غير المراد، ولتسرب الخلل والدخل على المعنى، وقوله: «وإلا كان المعنى منقوص الصحة» إذ إن المعروف عند المتأخرين أن التتميم لا ينقص تركه أصل المعنى وصحته(٢). والأمثلة التي ساقها لا تحمل معنى التتميم عند المتأخرين، بل الشواهد في مجملها تدل على معنى الاحتراس.

ويتابع الحاتمي (ت: ٣٨٨): قدامة فيما ذهب إليه، ويؤكد أن التتميم هو المحافظة على المعنى مما قد يعتريه من خلل أو دخل، وقد نطقت عبارات الحاتمي بالاحتراس عند شرحه لبيت طرفة بن العبد حيث قال: «ولا أعلم أحداً تقدمه في الاحتراس للدار عند استسقائه الغيث لها من الفساد وتعفيتها»(٣).

كما أصّل الحاتمي لوقوع الاحتراس في أول الكلام، عندما رد اعتراض من انتقد بيت ذي الرمة(٤):

أَلَا يا اِسلَمِي يا دارَ مَيَّ عَلى البِلَى وَلا زالَ مُنهَلاً بِجَرعائِكِ القَطرُ

---

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، (ص: ١٣٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) حلية المحاضرة (ص: ٣٤).

(٤) ديوان ذي الرمة (ص:١٢٥).

حيث قال: قد احترس من هذا الاعتراض صدّر به البيت في قوله: «اسلمي على البلى»[١].

ثم يأتي أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥) بعبارة (**التحرز**) لكنه لم يورده مصطلحاً، بل جاء في أثناء حديثه على شواهد التكميل، وبذلك يكون العسكري أول من أحدث هذا المصطلح، وأسهم في انتقال الاحتراس من التتميم إلى مصطلح آخر مستقل عن غيره، حيث ذكر مصطلح التحرز في تعليقه على بيت طرفة بن العبد ،فقال: "غير مفسدها إتمام المعنى، وتحرز من الوقوع فيما وقع فيه ذو الرمة في قوله:

أَلَا يــا اِسـلَمِي يــا دارَ مَــيَّ عَــلى الـبِلَى وَلا زالَ مُــنهَلاً بِجَرعائِــكِ القَطــرُ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها؛لأن القطر إذا انهل فيها دائماً فسدت»[٢].

وأيضاً مما يوضح اختلاف فهم العسكري لمصطلح التتميم عن من سبقوه هو تناوله للاحتراس في باب الاستثناء عندما جعله الضرب الثاني منه؛ حيث قال: «والضرب الآخر استقصاء المعنى والتحرُّز من دخول النقص فيه»[٣].

ثم يأتي ابن رشيق القيرواني (ت:٤٥٦) ويصرّح **بمصطلح الاحتراس** عندما عرّف التتميم فقال: «باب التتميم، وهو التمام، وبعضهم يسمي ضرباً منه **احتراساً واحتياطاً**. ومعنى التتميم: أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئًا يتم به حسنه إلا أورده وأتى به، **إمَّا مبالغة، وإمَّا احتياطًا واحترَاسًا من التقصير**»[٤].

(١) حلية المحاضرة (ص:٨٣).

(٢) كتاب الصناعتين(ص: ٤٣٥).

(٣) كتاب الصناعتين (ص:٣٥٥).

(٤) العمدة في صناعة الشعر ونقده (٢:٦٥٢).

ونظر ابن رشيق للاحتراس أكثر دقة حيث ميز بين الاحتراس وغيره، حيث قال في أحد المواضع في تعليقه على شواهد الاستثناء: «وليس من هذا الباب عندي، إنما هو من باب الاحتراس والاحتياط، فلو أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطال، ولخرجنا فيه من مقصده وغرضه، ولكل نوع موضع»(١).

ويتابعه ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦)؛ لكنه يؤصل له مصطلحاً مستقلاً بذاته، ويضع له تعريفاً خاصاً به، ويورد له الشواهد، ويسميه (التحرز مما يوجب الطعن)،ثم يعرفه بقوله: «أن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي بما يتحرز به من ذلك الطعن»، ومن الاحتراز قول ابن المعتز في صفة الخيل:

صَبَبْنا عَلَيْها ظالِمينَ سِياطَنا فَطارَتْ بِها أَيْدٍ سِراعٌ وَأَرْجُلُ

فإنه لو لم يقل:(ظالمين)(لكان المعترض أن يقول: إنما ضربت هذه الخيل لبطئها كما عابوا قول امرئ القيس(٢):

فلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللساق دِرَّة وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِب

وقالوا: إذا أحوج إلى هذا كله فليس بسريع، فقال عبد الله: «ظالمين» تحرزاً من هذا الطعن»(٣) ويختار أبو طاهر البغدادي (ت: ٥١٧)(٤) مصطلح (التكميل)، فيقول في

---

(١) العمدة (٢: ٦٥٢).

(٢) ديوان امرئ القيس (ص: ١٤).

(٣) سر الفصاحة (ص: ٣٢٢) بتصرف.

(٤) هو أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي، كان شاعراً بليغاً مجيداً، حسن الشعر ورقيقه، من مصنفاته: قانون البلاغة وغيره، توفي سنة (٥١٧). ينظر: فوات الوفيات (٢: ٣٢٩)، والنجوم الزاهرة (٥: ٣٧٢).

القسم الثاني من بلاغة الشعر ونقده: «هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتمم صحته، ويكمل معها شيئاً إلا أتى به كقول الشاعر[(١)]:

لَو أَنَّ عَزَّةَ خاصَمَتْ شَمسَ الضُحى ... في الحُسنِ عِندَ مُوَفَّقٍ لَقَضى لَها

فقوله: (عند موفق) من التكميل»[(٢)].

وتبدأ مرحلة الاستقرار للاحتراس ويلقي عصا الترحال، حيث أفرده أسامة بن منقذ (ت:٥٨٤) بباب مستقل وفرّق بينه وبين الفنون الأخرى، وبيّن الفرق بين مصطلحي الاحتراس والتتميم، وبيّن أن التتميم قد أخذ مفهومًا لدى العسكري وابن رشيق وغيرهما يخالف ما كان عليه قدامة والحاتمي.

لذا يجعل ابن منقذ الاحتراس لوناً مستقلاً، ولولا أن ابن رشيق قال: «وهناك من يسمي ضرباً منه احتراساً»، لجاز القول بأن أول من وضع الاحتراس مصطلحاً هو ابن منقذ رغم مجيئه في تعليقات المتقدمين. فقال: «أعلم أن الاحتراس هو أن يكون على الشاعر طعن، فيحترس منه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٩] .

لأن الاشتراك في المصيبة يخفِّف منها، ويسلِّي عنها، فأعلمهم تعالى أنه أول ما يعاقبهم به أنه لا يلهمهم التأسي، ولا يقضي عليهم بالتسلي. نعوذ بالله من عقابه، ونسأله سبحانه من ثوابه»[(٣)].

---

(١) للشاعر كثير عزة، ينظر: ديوانه (ص: ١٤٠).

(٢) قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي طاهر البغدادي، تحقيق: محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ(ص:١٠٥).

(٣) البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، تحقيق عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت (ص: ٩٠).

كما يسهم ابن معطي (ت:٦٢٨)[١] في تعزيز مصطلح التكميل الذي عزّزه البغدادي (ت:٥١٧)، وقد سبقهم إليه العسكري (ت:٣٩٥) بجعل الاحتراس مرادفًا للتتميم، فيقول ابن معطي في منظومته:

وَهَاكَ مِنَ التَّكْمِيلِ وَهُو مَجِيئُهُ ... بلفظٍ حوَى المعنى التَّمامَ لنَاظمِ
يَسْتَغْرِقُ اللَّفظُ المُعَانِيَ كُلَّهَا ... على صحةٍ تنفِي مقالاً لواهمِ
أناسٌ إذا لمْ يُقبلِ الحقُّ منهُمُ ... وَيُعطَوهُ عَاذُوا بالسُّيوفِ الصَّوارِمِ[٢]

فقد أشار في منظومته لمقصود الاحتراس وهو: (دفع التوهم) في قوله:«: على صحة تنفي مقالاً لواهم».

كما جعل بعض البلاغيين الاحتراس مصطلحاً مرادفاً لمصطلح التكميل[٣]، وقريناً له في التعريف، وكأنهما وجهان لعملة واحدة، ومن هؤلاء الجرجاني (ت: ٧٢٩) حيث أشار إلى ذلك في التعريف ،فقال: «التكميل- ويسمى الاحتراس- وهو: أن يكون الكلام محتملاً خلاف المقصود منه، فيؤتى بكلام آخر مزيل للاحتمال غير المقصود»[٤]. كما فرّق الجرجاني بين التكميل والتذييل فقال: «والفرق بينه وبين التذييل بوجهين:

---

(١) يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي، أبوالحسين، زين الدين: عالم بالعربية والأدب، واسع الشهرة في المغرب والمشرق. من أشهر كتبه « الدرة الألفية في علم العربية في النحو. توفي سنة (٦٢٨). ينظر: الأعلام: (٨: ١٥٥).

(٢) البديع في علم البديع (ص:١٥٤).

(٣) ومن أطلق مصطلح (التكميل) على الاحتراس (أبوهلال العسكري) في كتابه الصناعتين (ص: ٤٣٤)، وأبو طاهر البغدادي (ت: ٥١٧) في قانون البلاغة (ص: ١٠٥)، والخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) في كتابيه الإيضاح (ص: ١٩٤)، والتلخيص (ص: ٢٢٩) وغيرهم.

(٤) الإشارات والتنبيهات (ص: ١٦٠).

الأول: أن يكون الكلام الثاني فيه لا يكون بمعنى الأول بخلاف التذييل.

الثاني: أن احتمال غير المقصود فيه أقوى من التذييل»[١].

وتبعه فيما ذهب إليه الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) في كتابيه الإيضاح والتلخيص فقال: «وأما التكميل - ويسمى الاحتراس أيضاً- وهو: أن يؤتى به في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»[٢]، ثم بيّن أقسامه وذكر الشواهد لذلك.

ثم توالت شروح التلخيص في السير على نهج الخطيب القزويني في جعلهما مترادفين، وكل واحد منهما يقوم مقام الآخر.

ولم يخرج الشُّراح عن مصطلحات الخطيب القزويني، بل لم يتعقبوها بالبحث والتمحيص، بل إن منهم من يكتفي بما يورده القزويني من الشواهد ولم يزد عليه[٣].

ويُختم بالقزويني عصر التجديد في البلاغة العربية ويُصيبها الجمود، وتظهر شروح لكتاب التلخيص والبديعيات لم تزد في فنون البديع شيئاً، فاستقر المقام بمصطلح الاحتراس مصطلحاً مستقلاً بذاته، لكن هناك من البلاغيين من يَجعله مثل التكميل، وآخرون جَعَلوه كالتتميم، ولم يَطرأ تَغَيير على اسم المصطلح، وبذلك يكون ألقى الاحتراس عصا الترحال، واستقر به المقام، بعد أن قضى قروناً ما بين إشارة له بمدلوله أو بمقصوده.

ومن تتبع ما كتبه البلاغيون في مصطلح الاحتراس يلحظ أن البلاغيين تنبهوا إلى اختلاط الاحتراس بفنون أخرى وثيقة الصلة على اختلافهم في تصنيفها وتحديدها،

---

(١) الإشارات والتنبيهات (ص: ١٦٠).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ص: ١٩٢).

(٣) مثل السبكي في عروس الأفراح (ص: ٢٣٢)، والتفتازاني في كتابه المختصر على التلخيص (ص: ٢٣٢)، وابن يعقوب المغربي في كتابه مواهب الفتاح (ص: ٢٣٢) وغيرهم.

فقد فرق بعضهم بين الاحتراس والتتميم والتكميل، وفنون أخرى في المجال النظري التأصيلي، لكنهم في أثناء عرض الشواهد يظهر التداخل، فالشواهد هي نفسها شواهد التكميل والتتميم والاحتراس، وأحياناً الاستدراك والاستثناء، فالناحية التطبيقية يصعب التفريق بينها، وتبقى سمة التداخل سمة ظاهرة بين فنون البديع، حتى أن كبار العلماء قال بهذا كعبد الباقي اليماني (ت: ٧٤٣) والسيوطي (ت:٩١١)، فقال اليماني: «ولا يكاد البديعيون يحررون ثلاثة أشياء: التتميم والتكميل والاحتراس، كما قال السيوطي -بعد عرضه لمسألة التداخل-: «ولا يكاد يتبين لي الفرق بين الاحتراس والتكميل»[(١)].

❀❀❀

(١) شرح عقود الجمان، السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨، (ص: ٧٥).

المطلب الثاني
نشأة الاحتراس وتطوره عند المفسرين

ليس البحث في نشأة الاحتراس وتطوره بمعزلٍ عن نشأة البحث في البلاغة القرآنية، فمعلوم أن البحث في بلاغة القرآن الكريم مرّ بأطوار عديدة من بداية نشأته، مروراً بمراحله المختلفة حتى استقر.

وقد أسهم في النهوض بالبلاغة القرآنية العديد من الجهود، والكثير من الإسهامات المختلفة بدءاً بسيبويه ومن في طبقته من النحاة الذين فتحوا الباب، لتطوره من الإشارات التي جاءت في مصنفاتهم، وقد أضاءت هذه الإشارات وتلك الإلماحات طريق من جاء بعدّهم، فظهرت في كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩)[١] (مجاز القرآن) وابن قتيبة (ت: ٢٧٦) في كتابه (تأويل مشكل القرآن)، والعز ابن عبدالسلام (ت: ٦٦٠)[٢] في (الإشارة إلى الإيجاز)، وكذلك جهود علماء الإعجاز الذين جعلوا المجاز وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني.

كل هؤلاء أسهموا في النهوض بالبلاغة القرآنية، وهذه الجهود جديرة بأن يُشار إليها، لكن أرجئ الحديث عنها إلى مواضع أخرى، مع أهميتها، ذلك أن جُلها إسهامات اللغويين، ومن في حكمهم، وقد أفردت لها مبحثاً مستقلاً[٣]، والذي يُهِمُ في هذا المقام هو عناية المفسرين بمصطلح (الاحتراس).

---

(١) هو معمر بن المثنى التيمي أبوعبيدة، من اللغويين البارزين، من مصنفاته: مجاز القرآن، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن، توفي بين سنتي (٢٠٩-٢١٣). ينظر: (تاريخ بغداد ١٣: ٢٥٤)، سير أعلام النبلاء (٩: ٤٤٥).

(٢) هو أبومحمد عز الدين بن عبد السلام السلمي، الملقب بسلطان العلماء، برع في الفقه، والأصول، والعربية، وأُقر له ببلوغ مرتبة الاجتهاد، من مصنفاته: فوائد في مشكل القرآن وغيره، توفي سنة (٦٦٠). ينظر: شذرات الذهب (٥: ٣٠١)، وطبقات الشافعية (٨: ٢١٤).

(٣) ينظر: عناية اللغويين بالبلاغة القرآنية (ص:١٥٢).

إن المتتبع للتفسير في رحلته الطويلة، يلحظ أن الاحتراس عُرف لدى المفسرين منذ البدايات الأولى للتفسير، بيد أنه لم يكن معروفاً لديهم بهذه التسمية؛ لكنهم يقفون على استعمالاته، فكثيراً ما يذكر المفسرون ما يدل عليه أو على مقصوده ؛ كقولهم في الآيات التي يرد فيها: «لئلا يتوهم» أو«حتى لا يتوهم» أو«لدفع احتمال» أو، «لئلا يظن ظان» أو «لئلا يلتبس»، أو «نفي اللبس»[(١)]، ونحوها من العبارات التي توحي بأن لم تخل كتب التفسير من الاحتراس، وإن لم تنطق به أقلامهم، كما لم يغب مقصوده منذ البدايات الأولى للتفسير.

فالاحتراس لم يبد في تلك الحقبة مصطلحاً قائماً بذاته، فالمصطلحات لم تكن نشأت، أو أنها في بداية التأصيل وأطوار النمو، وتقلبات مراحلها.

ولعل أولى مراحل التصنيف في القرن الثاني الهجري، حيث أثمر ذلك القرن كتاب (معاني القرآن) للفراء (ت: ٢٠٧)[(٢)]، وتأتي أهمية هذا الكتاب كونه من أوائل ما وصل إلينا منا كتب تفسير القرآن الكريم، مع أن مصنفه لم يلتزم فيه بتفسير جميع آيات القرآن، إنما اكتفى بالوقوف على غريبه، وفي أثناء تفسيره كان يذكر ما يشير إلى الاحتراس أو يدل على مقصوده.

ويستمر الوضع على تلك الإشارات لمقصود الاحتراس حتى نهاية القرن الثالث، وبداية القرن الرابع الهجري، فيظهر تفسير الإمام ابن جرير الطبري جامع البيان في تأويل

---

(١) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان (١: ٤٢٤)وزاد المسير (٢: ٥٨)، ومفاتيح الغيب (٤: ٢٥، ٨٥، ١١٤)، وأنوار التنزيل (١: ٢٤٠) (٢: ٣٣) (٤: ٥٥٧) (٣: ٤١٩)، والتسهيل (١: ١٥٦)، ومدارك التنزيل (٢: ١٠٥).

(٢) هو يحيى بن زياد، أبوزكريا الفراء، إمام الكوفة في النحوواللغة، من مصنفاته: معاني القرآن، والحدود وغيرهما، توفي سنة (٢٠٧). ينظر: مراتب النحويين (١٣٩ - ١٢١)، طبقات النحويين واللغويين (ص: ١٣١ - ١٣٣).

القرآن (ت:٣١٠)[١]، والذي يُعدّ أضخم تفسير يمثل ذلك العصر، ومؤلفه إمام عصره حتى عُد أباً للتفسير، وشيخاً للمفسرين، والمتأمل في تفسير الإمام الطبري يلحظ الإشارات البلاغية المتنوعة في أبوابها المختلفة، يبرز في عرض الآيات وفي توجيهها، لكن الإمام الطبري تفرد بلفظه في بيان الاحتراس لم أقف عليها عند غيره، وهي قوله: نفي اللبس، ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، حيث قال: «لو أطلق في ذلك بغير تبيين الحولين بالكمال، وقيل: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ محتملاً أن يكون معنياً به حول وبعض آخر، نفى اللبس عن سامعه بقوله: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ أن يكون مراداً به حول وبعض آخر، وأُبين بقوله: ﴿كَامِلَيْنِ ﴾»[٢].

فقول الطبري: «نفى اللبس» دل على الاحتراس، فلو لم تأتِ لفظة ﴿كَامِلَيْنِ ﴾ لتوهم السامع فجيء بها يبين المراد ويدفع اللبس.

وهناك الكثير من الإشارات المتناثرة[٣] التي تدل على معنى الاحتراس عند الإمام الطبري، ومن أنعم النظر في (جامع البيان) وجد الكثير من نظائرها، وربما تكون أوضح في الدلالة.

وقد جاءت متناثرة في التفسير، والطبري لم يكن يهدف في تفسيره لبيان بلاغة القرآن الكريم، إنما كان يهدف لتفسير القرآن بالمأثور، المسوق بالأسانيد، وما ورد من إشارات

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد، أبوجعفر الطبري، العالم الفقيه، النحوي، المفسر، جامع العلوم، إمام عصره من مصنفاته: جامع البيان في تأويل القرآن (وهوأجلها)، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار وغيرها، توفي سنة (٣١٠)، ينظر: تاريخ بغداد (٢: ١٦٣)، وسير أعلام النبلاء (١٤: ٢٧٠).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨(٢: ٥٠٤).

(٣) ينظر: جامع البيان ١: ٤٢٤.

إنما جاءت لكون المقام يقتضيها، مع عناية الطبري باللغة العربية، وبالتوجيهات النحوية، وبيان مناهج المدرستين (البصرة والكوفة) واستشهاده بالشعر.

ثم يأتي النحاس (ت: ٣٣٨)[(١)] ويورد العديد من الإشارات التي تنبئ عن مقصود الاحتراس دون ذكر لمصطلح الاحتراس أو أحد مرادفاته، ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] حيث قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وقد عُلم أنها عشرة، وأحسن ما قيل في هذا أنه لو لم يقل ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ جاز أن يتوهم السامع أنه إنما عليه أن يصوم ثلاثة في الحج، أو سبعة إذا رجع؛ لأنه لم يقل: وسبعة أخرى،لتوهم غير المراد. وقال محمد بن يزيد بن المبرد (ت: ٢٨٥)[(٢)]: «لو لم يقل: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ جاز أن يتوهم السامع بعدّها شيئاً آخر فقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ بمنزلة قولك في العدد: فذلك كذا وكذا»[(٣)].

فالنحاس (ت: ٣٣٨) يشير بوضوح لمقصد الاحتراس، فلو لم يذكر الاحتراس في ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾؛ لتوهم غير المراد، وعمي على السامع المعنى، وأمثلة في هذا النوع متعددة أشير إليها؛ لئلا يطول المقام[(٤)].

إن جميع المفسرين للقرآن في تلك الحقبة المتقدمة (القرون الأربعة الأولى) وقفوا عند الاحتراس بمعناه وبمقصوده.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل أبوجعفر النحاس، المصري، كان واسع العلم، غزير الرواية، إمام العربية في زمانه، من مصنفاته: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والقطع والائتناف وغيرها، توفي سنة (٣٣٨). ينظر: طبقات النحويين واللغويين (ص: ٢٢٠)، ومعجم الأدباء (٤: ٢٢٤).

(٢) هو محمد بن يزيد، أبوالعباس المبرد، إمام العربية ببغداد بزمانه، من مصنفاته: الكامل، والمقتضب، توفي سنة (٢٨٥)، ينظر: بغية الوعاة (١: ٢٦٩).

(٣) معاني القرآن، للنحاس، تحقيق: يحيى مراد،نشر دار الحديث، بالقاهرة، ١٤٢٥هـ، (١:٤٩) بتصرف يسير.

(٤) ينظر على سبيل المثال: معاني القرآن (١: ١٩٢– ٢٦٠).

ويتبع الجصاص (ت: ٣٧٠)[١] من سبقه ويصرّح بالاحتراس، ويشير إلى مقصد الاحتراس ومعناه، وأورد ذلك في آيات عدة كلها تشير إلى أن مفهوم الاحتراس واضح لديه، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقوله: تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥].

فقال: «فإن قيل: فما فائدة شرط الله الإحصان في قوله: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ وهي محدودة في حال الإحصان وعدمه؟ قيل: لما كانت الحرة لا يجب عليها إلا الرجم.. أخبر الله أنهن وإن أحصن بالإسلام وبالتزويج فليس عليها أكثر من نصف حد الحرة، ولولا ذلك لكان يجوز أن يتوهم افتراق حالها في حكم وجود الإحصان وعدمه، فإذا كانت محصنة يكون عليها الرجم، وإذا كانت غير محصنة فنصف الحد، فأزال الله تعالى توهم من يظن ذلك، وأخبر أنه ليس عليها إلا نصف الحد في جميع الأحوال، فهذه فائدة شرط الإحصان عند ذكر حدها»[٢].

فالجصاص (ت: ٣٧٠) يرى أنه لو لم تُذكر عبارة الاحتراس ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾؛ لتوهم غير المراد، وهذا دلالة على أن الاحتراس جزء لا يتجزأ من فهم الآية على وجهها الصحيح، وهناك مواطن أخرى أكتفي بالإحالة إليها[٣].

(١) هو: أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص، فقيه قاضي أصولي، من أئمة الحنفية في وقته من مصنفاته: أحكام القرآن، وشرح مختصر الكرخي، وكتاب أصول الفقه، وغيرهما، توفي سنة (٣٧٠). ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (١: ١٤).

(٢) أحكام القرآن، للجصاص، تحقيق: محمد قمحاوي، نشر دار إحياء التراث ١٤٠٥هـ، (٣: ١٢٤).

(٣) ينظر على سبيل المثال: (٣: ٣٣، ٤٨، ١٢٦، ٢٦٨)، (٤: ٣٧٨) (٥: ١٧٦).

وبالإمام الجصاص يختم أعلام المفسرين في القرن الرابع الهجري(١).

ويتضح من العرض السابق، والموجز أن غير واحد من المفسرين للقرآن الكريم في تلك الحقبة المتقدمة، (القرون الأربعة الأولى)، وقفوا عند الاحتراس بمعناه، وفهموا مقصوده، بل إن الناحية التطبيقية وساحة التفسير تشهد لذلك، وتشهد بأن المفسرين وقفوا عند الاحتراس بمعناه التطبيقي، وأطالوا الوقوف عنده، لكنه لم يكن ظاهر المعالم كغيره من الألوان البلاغية الأخرى، كالكناية والاستعارة والمجاز والتشبيه وغيرها.

وفي القرن الخامس الهجري، يصل الحديث إلى تفسير الثعلبي (ت: ٤٢٧) (٢) الذي أورد إشارات تدل على الاحتراس، ومن ذلك ما ورد في قوله: تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] حيث قال: «والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبلغ في الحجة، وأبعد من الشبهة؛ ؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير، أو أن أرجلها غير سليمة»(٣)، فعباراته (لتوهم متوهم) تدل على معنى الاحتراس، فلو لم يذكر الاحتراس في قوله: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾، لتوهم أن الطير التي جاءت غير التي ذبحت، فجاء الاحتراس وأزال الإبهام والشك وأثبت المعجزة.

---

(١) يوجد في تلك الفترة تفسير ابن أبي زَمَنِين، محمد بن عبد الله بن عيسى، المتوفى سنة (٣٩٩)، لكن لم أقف على مصطلح الاحتراس أومقصده في ذلك التفسير.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، محدث ومفسر، عالم بالعربية، من مصنفاته :كتاب (الكشف والبيان، وقتلى القرآن وغيرهما، توفي سنة (٤٢٧). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧: ٤٣٢)، ومعجم المفسرين (١: ٦٢).

(٣) الكشف والبيان، للثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ونظير الساعدي،نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (٢: ٢٥٧).

كذلك لا يخلو تفسير الثعلبي من إشارات أخرى لمعاني الاحتراس، التي تنبئ أن الاحتراس جزء من فهم الآية، ولا يتضح المراد إلا ببيانه، ويتفاوت المفسرون في عرض ذلك المعنى والدلالة عليه.

وفي هذا القرن كذلك تفسير الماوردي (ت: ٤٥٠)[١] الذي لم يخل أيضاً من إشارات لمصطلح الاحتراس، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠] حيث أشار إلى الاحتراس بقوله: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ لئلا يتوهم أن النصر من قبل الملائكة لا من قبل الله»[٢]،ولم يخل الكتاب من إشارات أخرى تشير إلى مقصد الاحتراس، أكتفي بالإحالة إليها[٣].

ومن مفسري القرن الخامس الذين أشاروا لمصطلح الاحتراس أبو المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩)[٤]، حيث أورد في تفسيره دلالات جلية، تدل على معنى الاحتراس ومقصده، دون أن يُسمي المصطلح، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ

(١) هو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، القاضي الشافعي، أصولي فقيه مفسر. من مصنفاته :النكت والعيون، والأحكام السلطانية، وغيرها، توفي سنة (٤٥٠)، ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥: ٢٦٧)، ومعجم المفسرين (١: ٣٧٥).

(٢) النكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود،نشر دار الكتب العلمية، بيروت (٢: ٢٩٩).

(٣) ينظر: على سبيل المثال: النكت والعيون (١: ٤٦٧).

(٤) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر السمعاني، مفتي خراسان، الإمام العلامة من شيوخ الشافعية. من مصنفاته: منهاج أهل السنة، والانتصار، وكتاب التفسير وغيرها، توفي سنة (٤٨٩)، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤: ١١٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥: ٣٣٥).

يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فقال: «﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يوهم فقال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ليقطع توهم الزيادة»(١).

ومما سبق يتضح وقوع الاحتراس، وجاءت عبارة السمعاني (ت: ٤٨٩) مُدللة عليه، في قوله: (لقطع توهم) فلو لم يُذكر الاحتراس لتوهم غير المراد، وهذه الإشارة تماثلها إشارات أخرى أكتفى بالإحالة إليها(٢).

ومع بداية القرن السادس الهجري، بدأ يظهر الاحتراس في كتب التفسير، بعبارات وصيغ تدل عليه مع ندرة في إيراد مصطلح الاحتراس، ومن مفسري ذلك العصر أيضاً الزمخشري (ت: ٥٣٨)(٣) حيث أورد إشارات متعددة لمصطلح الاحتراس بعبارات شتى كلها تنبئ عن مقصود الاحتراس، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] حيث قال: «فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾، وقد علم أنه إذا لم يُثمر لم يؤكل منه؟ قلت: لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل: إذا أثمر، ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر؛ لئلا يتوهم أنه لا يباح إلاّ إذا أدرك وأينع»(٤)، فعبارة الزمخشري (لئلا يتوهم) دلالة صريحة على

(١) تفسير السمعاني، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم وزميله، نشر دار الوطن، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (١: ١٩٩).

(٢) ينظر على سبيل المثال: (١: ٤٩٧).

(٣) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الملقب بجار الله الزمخشري من شيوخ المعتزلة، مفسر، متكلم، نحوي، من مصنفاته: الكشاف، وربيع الأبرار، وغيرهما، توفي سنة (٥٣٨). ينظر: نزهة الألباء (ص: ٢٩٠)، ومعجم الأدباء (١٩: ١٢٦).

(٤) الكشاف، للزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ (٢: ٧٠).

الاحتراس، فلو لم يذكر لالتبس فهم المراد، وعبارة الزمخشري هذه من العبارات التي أوردها المفسرون للدلالة على مصطلح الاحتراس.

كما أن هناك العديد من الشواهد في هذا المضمار، أكتفي بالإحالة إليها.[١]

ومن أعلام هذا العصر أيضاً ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢)[٢] حيث أشار إلى الاحتراس بعبارة (؛ لئلا يتوهم) في غير موضع، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ، حيث قال: «... دخلت لا في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ لئلا يتوهم أن الضالين عطف على المغضوب عليهم»[٣] فعبارة (لئلا يتوهم) فيها دلالة واضحة على مقصد الاحتراس عند ابن عطية، وهناك إشارات أخرى ذكرها ابن عطية تدل على مقصد الاحتراس.

كما يظهر في أواخر القرن السادس علم من أعلام التفسير، وهو العلامة ابن الجوزي (ت: ٥٩٧)[٤]، فلم يزد ابن الجوزي على من سبقه إذ لم يصرّح بالاحتراس في تفسيره، وإن كان أشار إليه بإشارات مؤكدة تدل عليه، شأنه شأن من سبقه من المفسرين، ويقف المطلع على التفسير على إشارات جلية لمصطلح الاحتراس، تنبئ عن وقوع الاحتراس

---

(١) ينظر على سبيل المثال: (١: ١٨٦)، (٢: ٦٩- ٢٩٢).

(٢) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي الأندلسي، القاضي الفقيه المالكي، مشارك في عدد من العلوم كالتفسير والحديث واللغة، من مصنفاته: المحرر الوجيز، والفهرست، توفي سنة (٥٤٢). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩: ٥٨٧).

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام الشافعي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (١: ٧٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، أبو الفرج، مؤرخ، مفسر، محدث، فقيه، حنبلي، من أوعية العلم، درة عصره، من مصنفاته: زاد المسير، والناسخ والمنسوخ وغيرهما، توفي سنة (٥٧٩) ينظر: شذرات الذهب (٤: ٣٢٩)، ومعجم المفسرين (١: ٢٦٨).

في الآيات، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقوله: تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥١] ، فقال: «قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ ذكر الحق هاهنا توكيداً لكفرهم إزالة لتوهم من يتوهم أن إيمانهم ببعض الرسل يُزيل عنهم اسم الكفر»(١) وفي قوله: «إزالة لتوهم من يتوهم دلالة على مقصد الاحتراس، وليس هذا الموضع فحسب بل هناك مواضع أخرى يطول المقام بذكرها أحيل إليها (٢).

ثم توالت الإشارات لمصطلح الاحتراس حتى بدأ يظهر بجلاء باسمه في أواخر القرن السادس، وأوائل القرن السابع على يد فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦)(٣) الذي صرّح بمصطلح الاحتراس في أكثر من موضع، كما أورد نظائره الاحتراز والتكميل، وربما عبر عن الاحتراس بمقصوده أيضاً، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] حيث قال: «وإنما قالوا: ﴿جَهْرَةً﴾ تأكيداً ؛ لئلا يتوهم متوهم أن المراد بالرؤية العلم أو التخييل» (٤) فقوله: (؛ لئلا يتوهم) فيه إشارة إلى مقصد الاحتراس. وهناك العديد من الشواهد التي تصب في هذا المجال، أكتفي بالإحالة إليها (٥).

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق مهدي،نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (١: ٤٩٢).

(٢) ينظر على سبيل المثال: (١: ١٦٣).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين المعروف بفخر الدين الرازي، المفسر الأصولي، الفيلسوف، كان أشعرياً فيلسوفاً، ثم ترك هذه العقائد آخر عمره، من مصنفاته: التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، والمحصول في أصول الفقه.. وغيرهما، توفي سنة (٦٠٦) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١: ٥٠٠)، والوافي بالوفيات (٤: ٢٤٨).

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، (٣: ٧٩).

(٥) ينظر على سبيل المثال: (٣: ٧٩)، (٤: ٨٢)، (١٤: ٥٤)، (٦: ١٠٠)، (١٤: ٥٤)، (٢٥: ١١٥)، (٣٢: ١٦٣).

ثم تتوالى تسمية مصطلح الاحتراس باسمه في القرون التالية على تفاوت بين المفسرين في ذكره وإيراده، فهذا القرطبي (ت: ٦٧١) (١) يصرّح بمصطلح الاحتراس، بل ويجمعه مع نظائره في سياق واحد، دون التفريق بينها، كما يفعل البلاغيون، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤] حيث قال: «﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وهذا عندهم يسمى التتميم، ويسمى أيضاً الاحتراس والاحتياط، فتم بقوله: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾» (٢) ومع أن القرطبي (ت: ٦٧١) صرّح بالاحتراس وقال: إنه من مصطلحات البلاغيين، إلا أنه لم يلتزم بإيراده، بل كان في بعض المواضع يشير إلى مقصد الاحتراس ولا يذكره باسمه. ومن الشواهد الدالة على هذا ما أورده في تفسيره لقوله: تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥] فقال: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ «أي: نؤتيهم الثواب الأبديّ جزاءً لهم على ترك؛ لأنهزام، فهو تأكيد لما تقدم من إيتاء مزيد الآخرة، وقيل: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ من الرزق في الدنيا؛ لئلا يتوهم أن الشاكر يُحرم ما قُسم له مما يناله الكافر» (٣) يرى القرطبي معنى الاحتراس في الآية الكريمة، وقد عبر عنه بقوله: (لئلا يتوهم)، وهناك أمثلة أخرى شبيهة بهذا المثال، أكتفي بالإحالة إليها (٤).

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، أبو عبد الله القرطبي المفسر، الفقيه، الإمام، متبحر في عدد من العلوم من مصنفاته: الجامع في أحكام القرآن في التفسير، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وغيرهما، توفي سنة (٦٧١)، ينظر: الديباج المذهب (ص: ٣١٧- ٣١٨)، طبقات المفسرين للداودي (٢: ٦٥٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: عبدالله التركي، نشر مؤسسة الرسالة، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، (٣: ٦١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥: ٣٤٩).

(٤) ينظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن (١: ٢٣٣)، (٧: ١٣٣).

ويتّبع البيضاوي (ت: ٦٨٥)[1] خُطى من سبقه في التصريح بمصطلح الاحتراس أو أحد نظائره، مع الاستغناء عنه أحياناً بالإشارة لمقصوده، ومن المواضع التي أورد فيها أحد نظائره في تفسيره، لقوله تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء:٢٣]، فقال: «﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ احترازاً عن المُتبنّى»[2] فهذا النص واضح الدلالة على مصطلح الاحتراس، فلو لم يذكر الاحتراس لتوهم دخول الأبناء المُتبنَّين، لاختل فهم المراد.

كما يشير البيضاوي إلى مقصد الاحتراس في مواضع عدة منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النحل: ٩٨- ٩٩] فقال: ليس له تسلط وولاية على أولياء الله المتوكلين عليه، فإنهم لا يطيعون أوامره، وذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة؛ ؛ لئلا يتوهم أن له سلطاناً»[3].

وهناك العديد من النصوص التي تدل على مقصد الاحتراس، أوردها البيضاوي في تفسيره، والتي تدل على أنه كان يعرف مصطلح الاحتراس، إلا أنه لم يصرّح به، ويكتفي بتصدير العبارة بقوله: (إزاحة لما يتوهم)[4].

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن محمد، ناصر الدين البيضاوي، القاضي، الفقيه، من أعيان مذهب الشافعي، من مصنفاته: المنهاج، وأنوار التنزيل، وغيرهما، توفي سنة (٦٨٥)، ينظر: طبقات المفسرين للداودي (ص: ٢٠٢)، وشذرات الذهب (٥: ٣٩٢).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي،نشر دار الفكر، ببيروت، (٥: ٧٦).

(٣) أنوار التنزيل (٣: ٤١٩).

(٤) المرجع السابق (١: ١٧٩، ١٨٠، ٣٧٠، ٤٠٨، ٤٣٥، ٣٦٦، ٤٨١، ٥٨٧) (٢: ١٦٧، ٣٩٣) (٣: ٤٨، ٤١٩، ٢٨٥)، (٤: ٢٣٥، ٢٦٠، ٣٨٠) (٥: ٨٨، ٣٧٨).

ومع مطلع القرن الثامن الهجري يصل الحديث إلى تفسير النسفي (ت:٧١٠)[١] الذي أورد في تفسيره العديد من العبارات التي تشير إلى مقصد الاحتراس، كقوله: (؛ لئلا يتوهم) حيث أكتفى بها عن التصريح بالاحتراس، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٦] حيث قال:«فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم، إذا كان الله ساخطاً عليهم، كانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها، وإنما قيل ذلك ؛ لئلا يتوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم»[٢]، وهذا الذي ذكره النسفي (ت: ٧١٠) وذهب إليه تابعه عليه غير واحد من المفسرين[٣]، دال على معنى الاحتراس، وقد عبر عنه بعبارة (لئلا يتوهم)، وهي التي تعبر عن وجود الاحتراس، وقد أوردها في كثير من المواضع في تفسيره أكتفي بالإحالة إليها[٤].

ثم توالت إشارات المفسرين للاحتراس في القرن الثامن الهجري، فأورده غير واحد من المفسرين، فهذا نظام الدين القُمِّي النيسابوري (ت: ٧٢٨)[٥] يُشير إلى مقصد الاحتراس في مواطن عدة، ولم أقف على موضع صرّح فيه بالاحتراس، ومن ذلك ما

(١) هو: عبدالله بن أحمد بن محمود أبوالبركات النسفي، إمام في الفقه والأصول والحديث، من مصنفاته: منها المنار في أصول الفقه، وشرح الكافي، وكنز الدقائق وغيرها، توفي سنة (٧١٠)، ينظر: الدرر الكامنة (٢: ٢٤٧).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات النسفي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت (٢: ١٤١).

(٣) ينظر على سبيل المثال: ابن جزي في التسهيل (٢: ٧٩)، والزمخشري في الكشاف (٢: ٢٩٢)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٣: ٨٢)، والألوسي قي روح المعاني (٦: ٦).

(٤) ينظر على سبيل المثال: (١: ٩٦، ١٢٨، ١٥٥، ٣٤٩)، (٢: ١٠٥)،(٣: ٢٥٣)،(٤: ٩٨، ١٠٢).

(٥) هو الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني، نظام الدين النيسابوري، من أساطين العلم، معدود من كبار الحفاظ والمقرئين، وعلى جانب من الزهد والتصوف، وظهر ذلك في تفسيره، من مصنفاته: شرحه على متن الشافية في فن الصرف لابن الحاجب، وتوضيح التذكرة، وغيرهما، توفي سنة (٧٢٨) ينظر: بغية الوعاة (١: ٣٩٦).

أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥١-٥٢] حيث قال: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾... لقائل أن يقول: لعل أثبت في اللوح لاحتمال الخطأ أو النسيان، فتدارك ذلك بقوله: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾..[(١)] ومما سبق يتبين إشارة المصنف لمصطلح الاحتراس بقوله: (فتدارك ذلك)، فكأنه لو لم تختم الآية بـ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾»[(٢)] لتوهم وفهم غير المراد، فاحترس بذلك عن توهم الخطأ والخلل، وكتاب النيسابوري مليء بتلك الإشارات الدالة على الاحتراس.

كذلك ابن جزي الكلبي (ت:٧٤١)[(٣)] يورد في تفسيره ما يدل على الاحتراس بمرادفه، ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ، فقال: «﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ تخصيص تحرز به ممن لم يهاجرن كالطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح»[(٤)].

فقد ذكر ابن جزي (التحرز) وهو من مرادفات الاحتراس، وربما يشير إلى دلالة الاحتراس فيقول: (لئلا يتوهم)، و(لذلك الوهم) وغيرها من العبارات، فأورد في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة:١٩٦] فقال: «فائدته أن السبع تُصام بعد الثلاثة فتكون

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، (٤: ٥٥٢).

(٢) المرجع السابق (١: ٢٣٩، ٥٤٦)، (٣: ١٥١).

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، فقيه مالكي، برع في علم الأصول والحديث والتفسير، من مصنفاته :كتاب التسهيل في علوم التنزيل، وغيره. توفي سنة (٧٤١)، ينظر: الديباج المذهب (ص: ٢٩٥)، معجم المفسرين (٢: ٤٨١).

(٤) التسهيل في علوم التنزيل، للكلبي،نشر دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ، (٣: ١٤١).

عشرة، ودفع ؛ لئلا يتوهم أن السبعة بدل الثلاثة»[١] وفي هذا دلالة على أن ابن جزي كان يعلم معنى الاحتراز ومقصوده، لكنه لم يسع لبثه في تفسيره؛ لأنه لم يؤلفه ليكون كتاباً بلاغياً، لكنه يذكر ما يحضره من إشارات في أثناء تفسيره[٢]، وقد بدأ ذلك جلياً في مصنفه.

ومن أعلام هذا القرن أيضاً الخازن (ت: ٧٤١) [٣] حيث عرض لمقصد الاحتراس في تفسيره دون التصريح به، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقوله: تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥١] حيث قال: «يعني يقيناً، وإنما قال ذلك توكيداً لكفرهم؛ ؛ لئلا يتوهم متوهم أن الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم، وليُعلم أن الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بهم كلهم» [٤].

وفي عبارة الخازن (ت: ٧٤١) :(لئلا يتوهم) إشارة لمقصد الاحتراس ولم تكن الإشارة الوحيدة، بل عضدتها إشارات أخرى في مواضع متفرقة [٥].

وعند الوقوف على تفسير أبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥) [٦] تظهر العديد من العبارات التي يُعبر بها عند دلالة الاحتراس، فتارة يذكره باسمه، وأخرى بمرادفه

---

(١) المرجع السابق (١: ٧٤).

(٢) المرجع السابق (١: ١٥٦).

(٣) هو علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، أبوالحسن الخازن، من فقهاء الشافعية، من مصنفاته :لباب التأويل، وشرح عمدة الأحكام وغيرها، توفي سنة (٧٤١)، ينظر: الدرر الكامنة (٣: ٩٧)، وطبقات المفسرين للداودي (ص: ١٨٧).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، نشر دار الفكر، بيروت، ١٣٩٣هـ، (١: ٦١٦).

(٥) ينظر على سبيل المثال: (١: ٦٢، ١٧٩)، (٢: ١٢٢، ٢٢٥).

(٦) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الجياني الأندلسي، من علماء الأندلس، برع في التفسير والعربية والقراءات والأدب، حتى اشتهر، وذاع صيته، له من المصنفات: تحفة الأريب في غريب القرآن، ومنهج السالك إلى ألفية ابن مالك، وطبقات نحاة الأندلس، والنهر الماد، وغيرها، توفي سنة (٧٤٥)، ينظر: الدرر الكامنة (٤: ٤٠٢)، وشذرات الذهب (٦: ١٤٥).

(الاحتراز)، وثالثه ببيان المقصد. فصرّح بالاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣] حيث قال: «والاحتراس في قوله: ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ احترز من اللاتي لم يدخل بهن، وفي ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ احتراس من اللاتي ليست في الحجور»[١].

فقد ذكر أبو حيان الاحتراس وذكر مرادفه في موضع واحد. وربما ذكر كلاً على حدة، ومن ذلك في قوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٤] فقال أبو حيان: المحصنات قد يراد بها الأنفس المحصنات فيدخل تحتها الرجال، فاحترز بقوله: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾»[٢].

وهناك العديد من المواضع صرّح أبو حيان فيها بالاحتراس[٣]، أو بمرادفه[٤]، أو بالإشارة إلى مقصده[٥].

كذلك من أعلام القرن الثامن الإمام ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١)[٦]، حيث أورد الاحتراس بأقوى نظائره وهو الاحتراز، في غير موضع من كتابه (التبيان في أقسام القرآن)، وأول مثال لذلك ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا

---

(١) البحر المحيط، لأبو حيان الأندلسي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، (٣: ٣٢٠).

(٢) البحر المحيط (٣: ٣٢١).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٣: ٣١٩، ٣٢٠).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٢:٣٢٠، ٣٢١)، النهر الماد (٢: ٤٩).

(٥) ينظر: المرجع السابق (١: ١٧١)، (٣: ٢٨٧، ٣٠٩).

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحدث، المفسر، الفقيه، الأصولي، علم عصره، له الكثير من التآليف منها: زاد المعاد، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، شفاء العليل وغيرها، توفي سنة (٧٥١). ينظر: شذرات الذهب (٦: ١٦٨).

وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] حيث قال: «لما تضمنه ذلك من الاحتراز الدافع لتوهم متوهم إنما مستحقه من أتى بجميع الصالحات، فرفع ذلك بقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾»(١)، ويظهر من مقولة ابن قيم الجوزية تلك أن مفهوم الاحتراز لديه، هو دفع توهم متوهم، فهو يعني مراد الاحتراس والمقصود به، إلا أنه لم يُعبر عنه بمصطلحه، إنما ذكر مرادفه وأورد مقصوده كذلك.

ويتابع السمين الحلبي (ت: ٧٥٦) سابقيه فيذكر الاحتراس تارة باسمه وأخرى بمرادفه، وثالثة بالدلالة على مقصده، ولقد صرّح بالاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٢٢] . فقال: «﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ سُمي عند أهل البيان الاحتراس، وهو أن يُؤتى بشيء يرفع توهم من يتوهم غير المراد، وذلك أن البياض قد يراد به البرص والبهق، فأتى بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ نفياً لذلك»(٢).

كما يُشير السمين الحلبي إلى أحد نظائر الاحتراس (كالتتميم)، فقد ذكر التتميم وبين أن المراد منه دفع لتوهم ورفع للاحتمال، فقال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] «قوله: ﴿ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ التتميم وهو: إرداف الكلمة بأخرى ترفع عنها اللبس وتقربها من الفهم، وذلك أن العزة تكون محمودة ومذمومة، فمن مجيئها محمودة ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] ، و﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] فلو أطلقت لتوهم فيها بعض من لا عناية له المحمودة، فقيل: ﴿ بِٱلْإِثْمِ ﴾ تتميماً للمراد، فرفع اللبس بها»(٣).

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن الجوزي، نشر دار الفكر، ببيروت (١: ١٣٨).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (٥: ١٦).

(٣) الدر المصون (١: ٥٠٧).

فالمصنف لم يذكر مصطلح الاحتراس لكنه أورد مرادفه، ومعلوم أن البلاغيين أنفسهم خلطوا بين التتميم والاحتراس وغيره من ألوان الإطناب، وليس المقام هنا مقام بسطها، لكن السمين بين مراده بقوله: «فلو أطلقت لتوهم فيها تتميماً للمراد فرفع اللبس».

وهناك العديد من الإلماحات التي أشار فيها المصنف إلى مقصود الاحتراس ودلالته أحيل إليها[١].

ثم يأتي ابن كثير (ت: ٧٧٤)[٢] ويشير إلى معنى الاحتراس في تفسيره، ويذكر عبارات تدل على مقصد الاحتراس، ومن هذه العبارات قوله: (لئلا يتوهم) فقد أوردها في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨] حيث قال: «﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي غير مقطوع، ؛ لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثَمَّ انقطاعاً أو لبساً أو شيئاً، بل ختم له بالدوام، وعدم الانقطاع»[٣]، فقد ذكر الإمام ابن كثير المراد من الاحتراس بقوله: (لئلا يتوهم متوهم)، فكأنه لو لم تذكر عبارة ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ لتوهم غير المقصود، ولتأكيد ذلك قال في نهاية الآية: «وهنا طيب القلوب وثبت المقصود»[٤]، وهناك العديد من المواضع التي ذكر ابن

---

(١) ينظر على سبيل المثال: (١: ٢٧١، ٣٨١، ٤٨٩، ٥٠٣)، (٢: ١٠٧، ٣١٥، ٤٦٦)، (٥: ٤٢٠).

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير أبوالفداء القرشي الدمشقي من أعلام الإسلام، الإمام، الحافظ، المحدث، المؤرخ، له كثير من المصنفات التي تدل على إمامته،منها: فضائل القرآن، واختصار علوم الحديث، والبداية والنهاية وغيرها، توفي سنة (٧٧٤)، ينظر: الدرر الكامنة (١: ٤٠٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي السلامة،نشر- دار طيبة، بالرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ، (٤: ٣٥٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤: ٣٥٢).

كثير فيها مقصود الاحتراس، بعبارات متقاربة كقوله: (دفع توهم)، (؛ لئلا يتوهم)، (لئلا يتوهم متوهم) ونحوها[١].

كما يورد الزركشي (ت: ٧٩٤) الاحتراس، ويُفرد له باباً في كتابه (البرهان في علوم القرآن)[٢]، ويذكر العديد من الآيات بعد تعريف الاحتراس، ومن تلك الآيات قوله: تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] فقال: «فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان عقبهم بالدعاء عليهم، ووصفهم بالظلم، ليعلم أن جميعهم كان مستحقاً للعذاب، احتراس من ضعف يوهم أن الهلاك بعمومه ربما شمل من لا يستحق العذاب، فلما دعا على الهالكين، ووصفهم بالظلم علم استحقاقهم لما نزل بهم، وحل بساحتهم مع قوله: أولاً: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]»[٣].

وقد صرّح الزركشي بمقصد الاحتراس في كتابه بعبارات شتى، كقوله: (رفع الاحتمال)أو (لئلا يتوهم)، ومن ذلك قوله: في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ والسقف لا يكون إلا من فوق؛ ؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة، فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم، وسقفاً لآخرين.

فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين، قوله: ﴿عَلَيْهِمُ﴾ ولفظه: ﴿ فَخَرَّ﴾؛ لأنها لا تستعمل إلا فيما يهبط أو سقط من العلو إلى سفل»[٤].

---

(١) ينظر: على سبيل المثال (٦: ٢٢٨)، (٨: ٢٧٠).

(٢) أدرجت الزركشي في طائفة المفسرين؛ لأن له جهوداً في التفسير وعلوم القرآن، وإن لم يكن له تفسير، كما أن له إشارات واضحة في الاحتراس، كما أدرجه بعض أصحاب التراجم في طبقات المفسرين.

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣:٦٥).

(٤) المرجع السابق (٣:٦٧).

كما أورد الزركشي الاحتراس بمصطلحه أو بمقصده في أبواب أخرى لوجود صلة وثيقة بين تلك الفنون، فأورده في باب الاستثناء وباب الاستدراك، وباب التتميم، وفي باب التكرار على وجه التأكيد، وتأكيد المدح بما يشبه الذم[١].

ويختم القرن الثامن الهجري ولا يزال الاحتراس متناثراً في بطون كتب التفسير على قلة في التصريح به، والتعرض لمصطلحه، ويستمر ذلك حتى بداية القرن التاسع الهجري، حيث يصل الحديث إلى ابن عرفة المالكي (ت: ٨٠٣) [٢]حيث ذكر الاحتراس في تفسيره في غير موضع، منها ما أورده في تفسيره قول الله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٢- ٢٣] فقال: «﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ هذه الجملة احتراس؛ لأنه تعالى وصفها بالعلو، وشأن المكان العالي أن تكون ثماره كذلك، فأزال ذلك بأنها مع علو ثمارها قريبة التناول، سهلة المأخذ»[٣] ويؤيد هذا المثال شواهد أخرى، كلها تصرّح بمصطلح الاحتراس[٤].

كما يُعدّ ابن عرفة (ت: ٨٠٣) من المفسرين الذين برعوا في عرض مصطلح الاحتراس، إذ ظهر في تفسيره بجلاء في مواطن متفرقة ومتعددة، مقارنة بغيره من مفسري هذا القرن، وفي هذا بيان لدقة نظر ابن عرفة في استنباط الاحتراس واستخراجه من الآيات.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ١١، ٤٨، ٧٠).

(٢) هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، المالكي، أبوعبد الله، برع في عدد من العلوم، له من المصنفات تفسيره برواية تلميذه: أبي عبد الله محمد بن خلفة الأُبي، توفي سنة (٨٠٣)، ينظر: إنباء الغمر (٤: ٣٣٦، ٣٣٨)، شذرات الذهب (٧: ٣٧).

(٣) تفسير ابن عرفة، لابن عرفة، تحقيق جلال الأسيوطي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، (٤:٢٨١).

(٤) ينظر على سبيل المثال: (٢: ٦٦٤، ٦٧٢، ٧٥٠، ٧٥٢).

وفي تفسير ابن شهاب الدين السيواسي (ت: ٨٦٠) [١]، كثير من الإشارات لمقصد الاحتراس أوردها بعبارات متقاربة، كقوله: «(لنفي احتمال) أو (لدفع توهم) أو (للاحتراز) ومن ذلك في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] حيث قال في تفسيرها: «أي: نخصك بطلب المعونة منك على جميع أمورنا، وتكرير ﴿إِيَّاكَ﴾ لنفي احتمال: ونستعين بغيرك، وقدمت العبادة على الاستعانة لأن الوسيلة تقدم على الطلب» [٢]، وقد ذكر السيواسي مرادف الاحتراس (الاحتراز) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، حيث قال: «﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ أي: معلوم الأول والآخر، احترازاً عن الحصاد لعدم التسمية» [٣]، وهناك مواضع أخرى أورد فيها ما يدل على الاحتراس أحيل إليها [٤].

كما يجد الناظر في تفسير الجلالين [٥] ما يدل على مقصود الاحتراس، ومن ذلك ما

---

(١) هو أحمد بن محمود شهاب الدين السيواسي، كان عبداً مملوكاً، تعلم العلم منذ صغره، له عدة مصنفات تدل على علمه منها: رياض الأزهار في جلاء الأبصار، رسالة النجاة من شر الصفات، وغيرها، توفي سنة (٨٦٠) ينظر: مقدمة تفسير عيون التفاسير (١: ٨).

(٢) عيون التفاسير، شهاب الدين أحمد السيواسي، تحقيق: بهاء الدين دارشا، نشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، (١: ٢٥).

(٣) عيون التفاسير (١: ١٣٧).

(٤) ينظر على سبيل المثال: (١: ٩٩، ١٣٧، ١١٩).

(٥) الجلالان: المراد بهما (جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي)، وقد سبق التعريف بجلال الدين السيوطي.

أما جلال الدين المحلي، فهو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، الإمام العلامة، برع في الفنون فقهاً وكلاماً وأصولاً وغيرها، له من المؤلفات: شرح جمع الجوامع في الأصول، وشرح المنهاج في الفقه وشرح الورقات وغيرها، توفي سنة (٨٦٤)، ينظر: شذرات الذهب (٧: ٣٠٣)، وطبقات المفسرين للداودي (ص: ٢١٩).

ورد في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ [النساء: ١١] حيث قال بعد أن بيّن موقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾: «لدفع توهم زيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين، من جعل الثلث للواحدة مع الذكر»[١]، ولم أقف على مواضع صرّح فيها أحد الجلالين بمصطلح الاحتراس، أو بأحد مرادفاته، وهناك مواضع أخرى ورد فيها ذكر لمغزى الاحتراس ومقصده أحيل إليها[٢].

كما يظهر مصطلح الاحتراس بجلاء عند ابن عادل الحنبلي (ت: ٨٨٠)[٣]، حيث صرّح بالاحتراس في غير موضع، وقد يورد المقصد من الاحتراس دون التصريح به، ومن الشواهد التي صرّح فيها بالاحتراس، ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٢٢] حيث أشار لموقع الاحتراس في الآية، وهو قوله: ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ ثم قال: «يسمى عند أهل البيان الاحتراس: وهو أن يُؤتى بشيء يرفع توهم من يتوهم غير المراد، وذلك البياض قد يراد به البرص أو البهق، فأتى بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾»[٤]، وهناك العديد من الشواهد التي تصب في هذا المضمار أُحيل إليها[٥].

---

(١) تفسير الجلالين المطبوع على حاشية الصاوي على الجلالين، لأحمد محمد الصاوي، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢: ١٢، بتصرف يسير.

(٢) منها على سبيل المثال: (١: ١١٢).

(٣) هو أبوحفص عمر بن علي بن سراج الدين الدمشقي، المعروف بابن عادل الحنبلي، مشاركٌ بعدة علوم، كاللغة، والأصول، والتفسير، والحديث، من مصنفاته: اللباب في علوم الكتاب في التفسير، وحاشيته على المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد، توفي سنة (٨٨٠)، ينظر: شذرات الذهب (٢: ٦٩)، والأعلام (٥: ٥٨).

(٤) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وزملاؤه، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ (٣: ٢١٩).

(٥) ينظر على سبيل المثال: (٢: ٢٠٩)، (٢: ٥١١)، (٤: ١٦٩، ٤٧٩)، (٦: ٤٩٧)، (٨: ١٩، ١٠٧، ١٢٥)، (١٠: ٢٠٩)، (١٢: ٣٨)، (١٣: ٢٨١).

كذلك من أعلام القرن التاسع الهجري الذين جاء للاحتراس ذكر في تفاسيرهم ابن التمجيد (ت: ٨٨٠)(١) حيث عرض للاحتراس في غير موضع، وربما ذكره باسم أحد نظائره، ومن الشواهد على ذلك ما أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فأشار فيه إلى موضع الاحتراس وهو خاتمة الفاصلة القرآنية، ثم قال: «وذكر ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه، الحميد على ألسنة مؤمنهم، هذا فذكر ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾، يكون من باب التكميل، كقول كعب الغنوي:

حَلِيمٌ إِذا ما الحِلمُ زَيَّنَ أَهلَهُ ... مَعَ الحِلمِ في عَينِ العَدُو مَهيبُ»(٢)

عبر ابن التمجيد عن الاحتراس بنظيره التكميل، وهناك شواهد أخرى في هذا المقام، أكتفي بالإحالة إليها(٣).

ويورد برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥) (٤) الاحتراس في مواطن عدة من تفسيره يصرّح فيها باسم الاحتراس، ويذكر مقصده في آن واحد، ومن ذلك في تفسيره لقول

---

(١) هو مصطفى بن إبراهيم بن مصلح الدين ابن التمجيد، من المفسرين في القرن التاسع، كان معلم السلطان محمد الفاتح، أحد سلاطين الدولة العثمانية، له من المصنفات: حاشيته على تفسير البيضاوي. ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١: ٣٠)، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (١: ٦٢١).

(٢) حاشية ابن التمجيد، مطبوع بهامش حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٧: ٢١).

(٣) ينظر على سبيل المثال:(١٩: ١٧٦).

(٤) هو أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، المعروف ببرهان الدين البقاعي، من العلماء المتبحرين في علوم شتى، له من المصنفات: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، والفتح المقدسي في تفسير آية الكرسي، ينظر: طبقات المفسرين، الأدنوي (١: ٣٤٧).

الله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦] حيث قال: «ربما قال قائل: ما فائدة التأخير؟ وما المانع من التنجيز؟ قال: (والله) أي: المحيط بكل شيء قدرة وعلماً ﴿وَٱللَّهُ﴾ ترهيباً، وترغيباً، وتبعيداً، وتقريباً، واحتراساً مما قد يوهمه التردد من الشك وتدريباً»(١).

وقال في الآية التالية لها: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦] «ختام هذه الآية من بديع الختام، فإنه احتراس عما يتوهم فيما قبله، ودليل على ما بعدّه، ولذلك ختم قصتهم أيضاً بصفتي العلم والحلم»(٢). وهناك مواطن أخرى يطول المقام لذكرها(٣).

وببرهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥) يختم القرن التاسع الهجري، ولا تزال الإشارات متناثرة ويسيرة. ومع بداية القرن العاشر الهجري بدأ المصطلح يظهر بجلاء ويُلتفت إليه، لكن ليس بشكل كبير.

كما برع محيي الدين زاده (ت: ٩٥١)(٤) في عرض مصطلح الاحتراس بصور شتى في تفسيره، فقد يذكر المصطلح مفرداً، فيقول: (احتراس) وربما جمعه مع أحد نظائره فيقول: (احتراس وتكميل) أو يذكره بمرادفه الاحتراز، وربما أشار إلى مقصود

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، (٣: ٣٨٤).

(٢) نظم الدرر (٢: ٢٣٥ -٧٢٣)، (٣: ٣٨٥).

(٣) ينظر على سبيل المثال، نظم (٨: ٦٤).

(٤) هو محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي المعروف بشيخ زاده، من العلماء الأفذاذ برع في العديد من الفنون، وله كثير من المصنفات منها: شرح مفتاح العلوم للسكاكي، وشرح الوقاية في مسائل البداية، توفي سنة (٩٥١)، ينظر: هداية العارفين (٦: ٢٣٨).

الاحتراس بعبارات عدة، كقوله: (دفع توهم)، أو(لإزالة هذا الوهم)، أو (لئلا يتوهم)، أو (قطع توهم)، وغيرها من العبارات.

ومن الشواهد على ذلك ما أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧٠] حيث قال: «وفائدة التقييد بالصفة الاحتراز عن الإيمان باللسان أو التأكيد أو الثناء على الإيمان»[١]، أما الدلالة على مقصد الاحتراس فيُنبئ عنه ما أورده في قول الله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، حيث أبان أن الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ فقال: «فإن قيل: لمَ قال بعدَه: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ ولم يقتصر على أحد اللفظين؟ قيل: لما كان الإنسان قد يكون شاكراً في شيء ما، وكافراً في غيره صرّح أن يوصف بهما، على حسب النظر إلى فعليه، فلو اقتصر على قوله: ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِي ﴾ لكان يجوز أن ذلك نهي عن تعاطي فعل قبيح دون حث على الفعل الجميل، فجمع بينهما لإزالة هذا الوهم، ولأن في قوله: ﴿ وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ تنبيهاً على أن ترك الشكر كفر»[٢].

يشير المصنف في عباراته السابقة إلى مقصود الاحتراس، وإن لم يُصرّح به، وهناك أمثلة أخرى أشار فيها إلى مقصد الاحتراس تُنظر في محلها[٣].

(١) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، لمحيي الدين زاده، تصحيح وضبط محمد عبدالقادر شاهين، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ (٣: ٤٥٣).

(٢) حاشية شيخ زاده (٢: ٣٨٩).

(٣) ينظر على سبيل المثال: (١: ٨٩، ١٠٥)، (٢: ٣٨٩، ٦٧٩)، (٣: ١١٧)، (٤: ٥١، ٢١٣)، (٥: ٣٦، ٢١٧، ٣٢٢، ٣٢٣).

ويصل الحديث إلى الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧) [1] حيث لم يصرّح بالاحتراس في تفسيره، لكنه أورد نظيره «الاحتراز» للدلالة على معنى الاحتراس، كما أورد في غير موضع المقصد من الاحتراس بعبارات شتى، كقوله: (إزالة توهم) أو (قطع المجاز) أو (لئلا يتوهم) وغيرها من العبارات الدالة على الاحتراس، ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى: ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فقال: «فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ مع أن كل أحد يعلم أن الثلاثين مع العشر تكون أربعين؟ أجيب: بأنه تعالى إنما قال ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ إزالة لتوهم أن ذلك العشر من الثلاثين ؛ لأنه يحتمل أتممناها بعشر من الثلاثين، كأنه عشرين، ثم أتمه بعشر صار ثلاثين، فأزال هذا الإبهام» [2].

فالخطيب الشربيني أشار إلى الاحتراس بذكر مقصده حيث أورد عبارات تدل على ذلك، ومنها (إزالة توهم)، أو (فأزال هذا الإيهام) وقد حوى السراج المنير العديد من المواضع الشبيهة الدالة على مقصد الاحتراس [3].

أما الاحتراز فقد ذكره في تفسيره لقوله تعالى: «﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣] فقال: «﴿ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ «احتراز عن حليلة المتبني، فإنها لا تحرم على الرجل الذي تبناه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأة زيد بن حارثة» [4].

---

(١) هو محمد بن أحمد الشربيني شمس الدين المعروف بالخطيب الشربيني، الإمام، الفقيه، والمفسر، واللغوي، والنحوي، والمتكلم، مشارك في العديد من الفنون، له من المصنفات: السراج المنير، والفتح الرباني في حل ألفاظ تصريف عزالدين الزنجاني، ونور السجية في حل ألفاظ الأجرومية، وغيرها، توفي سنة (٩٧٧)، ينظر: شذرات الذهب (٨: ٣٨٤) ومعجم المؤلفين (٨: ٢٦٩).

(٢) السراج المنير، للخطيب الشربيني، نشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، (٢: ٢٤٩).

(٣) ينظر على سبيل المثال: (١: ٣٠، ٢٠٥، ٢٧٦، ٢٩٤، ٤٤٥)، (٢: ٩٨، ١١٠، ٢٤٩)، (٤، ١٦٣).

(٤) السراج المنير (١: ٤٥٨).

وفي تفسير أبي السعود (ت: ٩٨٢)[1] يظهر مصطلح الاحتراس بعدة أوجه، فتارة يورد بأحد نظائره: الاحتراز، أو التكميل، أو بالاحتياط، كما يورد الاحتراس بمقصده أو بما يدل عليه فيقول: لدفع توهم، أو دفع ما عسى يوهمه، أو لإزاحة التوهم، وغيرها من العبارات التي تُنبىء عن مقصد الاحتراس.

ومن نظائر الاحتراس التي أوردها في غير موضع ما ذكره في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فقال: «ولعل إيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾، لتأكيد الإبهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال بإحداهما بعينها، والتذكير بالأخرى»[2].

يرى أبو السعود وقوع الاحتراس وعبر عنه بمرادفه الاحتراز، وربما عبر عنه بالمراد منه وبمقصده في آية الدين في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢] حيث قال: «وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة أو التنبيه على تنوعه»[3].

وهنا إشارة لمصطلح الاحتراس وإن لم يُصرّح به، وهناك مواطن أخرى أورد فيها المصنف الاحتراس بنظائره[4] أو بمقصده[5] أحيل إليها.

---

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي الحنفي، الإمام العلامة، من العلماء المتبحرين، أطلق عليه سلطان المفسرين، من مصنفاته: إرشاد العقل السليم، توفي سنة (٩٨٢) ينظر: طبقات المفسرين، لأدنوي (١: ٣٩٨)، البدر الطالع (١: ٢٦١).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ (١: ٣٢١).

(٣) إرشاد العقل السليم (١: ٣٩١).

(٤) المرجع السابق (١: ٢٩٦، ٢٩٨)، (٣: ٣٠٢، ٣٢١)، (٤: ٢٤٢).

(٥) المرجع السابق (١: ٢٨، ٢٠٣، ٢٨٦، ٣١٩)، (٢: ١٠٢)، (٣: ١٨٢، ٣٥٤)، (٤: ٢٤٢).

وبأبي السعود (ت: ٩٨٢) تختم قافلة المفسرين في القرن العاشر الهجري، ولا تزال الإشارات متناثرة ومتباعدة في التفسير الواحد، لكنها بدت أوضح منها في العصور السابقة، التي كانت تُعد نادرة جداً.

ويصل الحديث إلى المفسر شهاب الدين الخفاجي (ت: ١٠٦٩) [1]، أحد أعلام القرن الحادي عشر، الذي تناول مصطلح الاحتراس بصور شتى، فيورده تارة باسمه، وأخرى بنظيره، وثالثة بمقصده، كل ذلك يدل على تأمل دقيق، ونظر عميق في الآية، ومن الاحتراس الذي صرّح بإيراده، ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] . فقال بعد أن عيّن الاحتراس في الآية: «﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ :احتراس؛ لأن ترك الجاني قد يكون لعجز في القدرة، أو إهمال ينافي الحكمة، فبيّن أن ثوابه وعقابه مع القدرة التامة والحكمة البالغة» [2].

والشواهد في هذا المضمار يضيق المجال لاستعراضها والوقوف عندها، وفي الإشارة إليها ما يغني عن ذكرها؛ لئلا يطول المقام [3].

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عمر المصري، شهاب الدين الخفاجي، القاضي الفقيه، المفسر، الأديب، كان مشاركاً في عدد من العلوم، من مصنفاته: كتاب السوانح، وشرح الفرائض، وديوان الأدب وغيرها، توفي سنة (١٠٦٩)، ينظر: هدية العارفين (١: ١٦٠).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي الموسومة بـ عناية القاضي، وكفاية الراضي، لشهاب الدين الخفاجي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (٣: ٥٨٩٠).

(٣) ينظر على سبيل المثال: حاشية الشهاب (١: ١٨٩، ٢٢١، ٢٤٠)، (٢: ٢١٩، ٢٤٠، ٢٨٤، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٨٨، ٦٠٩)، (٣: ٦، ٨، ١٨، ٣٩، ٢٤٠، ٣٩٦، ٢٨٩)، (٤: ٦٢، ١٨٩، ٢٥٤، ٣٠٠، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٦١، ٣٧٩).

وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري يصل الحديث إلى إسماعيل حقي (ت: ١١٢٧)(١)، حيث أورد الكثير من الإشارات التي تدل على مقصد الاحتراس، دون أن يصرّح بذلك، ومن ذلك ما أورده في قول الله تعالى: ﴿ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا ﴾ [البقرة: ١٣٣] فقال: «﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ بدل من "إله آبائك" وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرر المضاف، أو نصب على الاختصاص، كأنه قيل: نريد ونعني بإله إبائك إلهاً واحداً»(٢) وهناك إشارات أخرى في مواضع متعددة.(٣)

ثم يأتي القونوي (ت: ١١٩٥)(٤) ويبث الاحتراس في حاشيته بصور شتى، فتارة يورده باسمه، وأخرى بإحدى نظائره، وثالثة بمقصد الاحتراس، في عرض رائع، وأسلوب سلس، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥١-٥٢] فقال: «﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا

(١) هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي، الحنفي الخَلْوَتي، المولى أبوالفداء، مفسر، متصوف، له مصنفات باللغة العربية، وأخرى بالتركية، من مصنفاته: تفسير روح البيان، والأربعون حديثاً، والرسالة الخليلية وغيرها، توفي سنة (١١٢٧)، ينظر: الأعلام (١: ٣١٣)، ومقدمة التفسير (١: ٣).

(٢) روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي، ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، نشر. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (١: ٢٤٢).

(٣) ينظر على سبيل المثال: (١: ٢٥٩، ٣١٥)، (٢: ١٧٣)، (٤: ٢٠٤).

(٤) هو إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي أبوالمفدى عصام الدين، العلامة الإمام، متبحر في عدد من العلوم، له عدد من المصنفات: حاشيته على تفسير البيضاوي، والرسالة العلمية، والحاشية على المقدمات الأربع، توفي سنة (١١٩٥)، ينظر: الأعلام (١: ٣٢٥)، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (١: ٢٥٣).

يَنسَى﴾ تكميل واحتراس؛ لدفع ما عسى أن يتوهم أن إثباتها في اللوح، لاحتياجه إليه لاحتمال الذهاب، كما في المخلوق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[١].

كما أورد أحد نظائر الاحتراس، وقد جمعها مع مقصد الاحتراس في تفسيره لآية الكرسي، في قوله: تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال: «إن نفي السِنَة بعد نفي النوم يكون من باب التتميم، دفعاً لما عسى أن يتردد في أن نفي النوم لا يستلزم نفي السِنَة»[٢].

كما حوت حاشية القونوي (ت: ١١٩٥) العديد من المواضع التي أورد فيها الاحتراس بمصطلحه[٣] أو بنظير من نظائره[٤]، أو بمقصده[٥] أحيل إليها.

ويستمر الحديث عن الاحتراس عند المفسر سليمان العجيلي (ت: ١٢٠٤)[٦] حيث أورد الاحتراس في تفسيره في بعض المواطن، وفي مواطن أخرى كان يكتفي بإيراد مقصد الاحتراس ومغزاه، ومن الشواهد التي صرّح فيها بمصطلح الاحتراس عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:

---

(١) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، للقونوي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (١٢: ٣٦٤).

(٢) حاشية القونوي (٥: ٣٨٣).

(٣) المرجع السابق (١٢: ٣٣٣، ٣٦٥).

(٤) المرجع السابق (٨: ٢٢٠، ٢٢٤).

(٥) المرجع السابق (٥: ٣٨٤).

(٦) هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي، المعروف بالجمل الفقيه، المحدث المفسر، من أعيان المذهب الشافعي، صاحب التصانيف الماتعة، منها: حاشية على شرح الرملي لمنهاج النووي، والقول المنير في شرح الحزب الكبير، والمواهب المحمدية، وغيرها، توفي سنة (١٢٠٤). ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١: ٣١٢)، وعجائب الآثار في التراجم والأخبار (٢: ٨٨).

٢٢] فقال: «﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يُسمى عند أهل البيان الاحتراس، وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد، وذلك أن البياض قد يراد به البرص أو البهق ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ نفي لذلك»(١).

أما المواضع التي بين فيها مقصد الاحتراس فهي كثيرة منها،ما أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧] فقال في تفسيره لهذه الآية: «﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾... وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة، كالخيل، وآلة الحرب للرجال، وتحقيق أن لكل من الفريقين حقاً من كل ما دق وجل»(٢)، فكأن العجيلي ألمح إلماحاً إلى معنى الاحتراس، وهو أن تعطى المرأة من الميراث بغض النظر عن قلته أو كثرته أو نوعه، خروجاً عما كان في الجاهلية من عدم توريث النساء والصبيان، وهناك نماذج أخرى مثل هذا مبثوثة في حاشية الجمل، أكتفي بالإحالة إليها(٣).

ومن أبرز مفسري القرن الثالث عشر المفسر ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤)(٤) الذي صرّح بالاحتراس، وظهر لديه المصطلح وبجلاء في مواضع عدة، وربما استغنى عن إيراد

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، للعجيلي، الشهير بالجمل، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ (٥: ٦٣).

(٢) الفتوحات الإلهية (٢: ١٤).

(٣) ينظر: حاشية الجمل (١: ١٦٤، ٢٣٦)، (٢: ١٤، ٣٤، ١٥٩، ٤٢٥)، (٣: ٤٧٩)، (٤: ٢٨٦).

(٤) هو أحمد بن محمد بن المهدي المعروف بابن عجيبة، الحسني، برع في العديد من العلوم كالتفسير، واللغة، والفقه، فيه نزعة من التصوف والزهد، من المصنفات: الكشف والبيان في متشابه القرآن، وله حاشية على مختصر خليل، وسلك الدرر في ذكر القضاء والقدر وغيرها، توفي سنة (١٢٢٤) ينظر: مقدمة تفسيره البحر المديد (١: ٥)، والأعلام (١: ٢٤٥).

المصطلح بذكر مقصوده، ومن ذلك ما ورد في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال: «جمع بينهما (أي السِنّة والنوم)؛ ؛ لأنه لو اقتصر على نفي السِنّة عنه لتوهم أن النوم يغلبه ؛ لأنه أشد، ولو اقتصر على نفي النوم لتوهم أن السنة تلحقه لخفتها، والمراد تنزيهه تعالى عن آفات البشرية، وتأكيد كونه حياً قيوماً»(١) وهناك شواهد أخرى في هذا المضمار أكتفي بالإحالة إليها(٢).

لم أقف على الاحتراس عند الصاوي (ت: ١٢٤١)(٣) في حاشيته أو على أحد نظائره، لكن وجد في هذا التفسير ما يدل على مقصود الاحتراس ودلالته في عدة مواضع، صورتها عبارات وجدت عند غيره من المفسرين، كقوله: «لئلا يتوهم» أو «حتى يتوهم» وغيرها، ومن ذلك ما أورده في تفسيره، كقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ، فقال: «قوله ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة مؤكدة لدفع توهم تسمية الأقل منهما باسم الكامل تسامحاً، والمقصود من النص على الحولين قطع النزاع بين الزوجين، حيث أراد أحدهما أكثر من الحولين أو أقل والآخر الحولين»(٤)، وقال في موضع آخر في تفسيره لآية الدين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، فقال: «حكمة التصريح به وإن علم من تداينتم ليعود الضمير في قوله:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة، تحقيق عبد السلام العمراني، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، (١: ٢٥٢).

(٢) ينظر على سبيل المثال: (١: ٣٤، ١٩٨، ٢٥٢)، (٤: ٣١)، (٦: ٣٦٢).

(٣) هو أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي، من أعيان المذهب، من مصنفاته :أقرب المسالك لمذهب مالك، ورسالة في متشابهات القرآن وغيرها، توفي سنة (١٢٤١). ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١: ٨٥).

(٤) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، أحمد الصاوي،نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، (١: ١٤٤).

فاكتبوه عليه صراحة، وأيضاً لدفع توهم أن المراد بالمداينة المجازاة كقوله: كما يدين الفتى يُدان، أي كما يُجازِي يُجازَى»[١]، فالصاوي بين المقصود من الاحتراس، وهو دفع التوهم الناشئ لو لم تذكر عبارة ﴿ بِدَيْنٍ ﴾ لتوهم غير المراد، فدفع التوهم بهذه العبارة، وهناك كثير من المواضع ذكر فيها الصاوي (ت: ١٢٤١) ما يشير إلى مقصود الاحتراس ودلالته أحيل إليه[٢].

وأورد الشوكاني (ت: ١٢٥٠)[٣] الاحتراس وبيّن ما يدل عليه، ومن المواضع التي صرّح بها بمصطلح الاحتراس في قوله تعالى: «﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ حيث قال: وفي ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ ﴾ من المبالغة ما لم يكن في اسلك ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ أي من غير برص أو نحوه من الآفات فهو احتراس»[٤]، كما أنه ألمح إلى معنى الاحتراس ومقصده بعبارات شتى، كقوله: (لئلا يتوهم) أو(لدفع احتمال) أو(دفع الإيهام) وغيرها، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١] فقال: «إن فائدة زيادة اثنين هي أن يعلم أن النهي راجع إلى التعدد، وزيادة واحد دفع توهم أن المراد إثبات الإلهية دون الواحدية، مع أن الإلهية له

---

(١) حاشية الصاوي (١: ١٧٥).

(٢) ينظر على سبيل المثال: (١: ١٢١، ١٤٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٥، ٢٨٢)، (٢: ٢١٠، ٢٨٢، ٢٩١)، (٣: ١٠١).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني، من أبرز علماء اليمن، وإمام عصره، برع في العديد من الفنون، فكان مفسراً ومحدثاً ومجتهداً، له العديد من المصنفات التي تدل على إمامته ورسوخه في العلم، منها فتح القدير في التفسير، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، البدر الطالع، وغيرها، توفي سنة (١٢٥٠)، ينظر: مقدمة البدر الطالع (١: ٤)، وأبجد العلوم (٣: ١٨٨).

(٤) فتح القدير، للشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، نشر دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة الثانية، ١٤١٨ (٤: ١٦٩).

سبحانه مسلمة في نفسها، وإنما خلاف المشركين في الواحدية»[(١)] فالشوكاني بين المراد بالاحتراس ولم يصرّح به، وكذلك الحال في مواطن عدة من تفسيره، أكتفي بالإحالة عليها دون ذكرها[(٢)].

كذلك من أبرز ما أثمره القرن الثالث عشر الهجري تفسير الألوسي (ت:١٢٧٠)[(٣)] والذي يُعدّ بحق موسوعة لمصطلح الاحتراس ونظائره، فقد أورد ما يربو على مائة آية، توزعت بين التصريح بمصطلح الاحتراس[(٤)]، أو بذكر أحد نظائره الاحتراز[(٥)]، أو التكميل[(٦)]،أو الدلالة عليه بأحد أشباهه كالاستدراك[(٧)] مثلاً، وربما ألمح إلى معنى الاحتراس من عرضه لمقصده[(٨)]، بعبارات شتى، كقوله: (قطع توهم)أو (لئلا يتوهم)أو(دفع توهم) أو(استدراك لرفع توهم) أو(دفع إيهام) وغيرها من العبارات.

---

(١) فتح القدير (٣: ٢٣٣).

(٢) ينظر على سبيل المثال: فتح القدير (١: ٣٥٥، ٨٤٨، ٨٥١)، (٢: ١٦٠، ٤٤٦)، (٣: ٨٩، ٣٥٧، ٢٣٣).

(٣) هو السيد محمود أفندي أبوالثناء شهاب الدين الألوسي البغدادي، من العلماء المتبحرين في العديد من العلوم، يعدّإمام زمانه، مفسر وفقيه، أصولي، له من المصنفات كتابه في التفسير: روح المعاني، والنفحات القدسية... وغيرها، توفي سنة (١٢٧٠)، ينظر: حلية البشر (٢: ١٢٤).

(٤) روح المعاني، لشهاب الدين الألوسي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، (١: ١٦٤، ٤٧١)، (٨: ١٩٣)، (٩: ٤٩).

(٥) المرجع السابق: ينظر على سبيل المثال: (١: ٣١٢، ٣٨٠، ٤٣٣، ٤٥٢)، (٦: ٩٣)، (٧: ٣٦٢)، (٨: ٥٤، ١٥٧، ٤١٣، ٤٣٩، ٥٢٨)، (٩: ٤٢٣)، (١٠: ١٥٨).

(٦) ينظر على سبيل المثال (١: ١٦٤، ٣٨٩، ٤٧١، ٥٦٣)، (٣: ٢٢٦)، (٨: ١٩٣، ٤١٣، ٥١٧).

(٧) ينظر على سبيل المثال (١: ١٥٦، ٣١٢، ٣٨٠، ٤٣٣، ٤٥٢)، (٢: ٣٨٣)، (٣: ٢٢٦)، (٤: ٣٨٩)، (٧: ٤٧٢).

(٨) ينظر روح المعاني (١: ٩٣، ١٥٦، ٢٦٣، ٣٨٩، ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٨٠)، (٢: ١٠، ٥٤، ٤٤، ٢١٤، ٣٣٩، ٣٨٣، ٣٤١، ٣٤١)، (٣: ٤، ١١٥)، (٤: ١١٧، ٣٨٩)، (٥: ٢٧، ٤٢)، (٦: ٢٢٥، ٢٤٢، ٣٢٨، ٣٣٩، ٣٤١)، (٧: ٥، ٣٠٤، ٤٦٢، ٤٧٢)، (٨: ٤٧).

ومن المواضع التي صرّح بها بمجيء الاحتراس ما أورده في قول الله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥] حيث قال بعد ذكره للاحتراس: «وهو ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ قال بعض المحققين: إنه سبحانه لما أخبر بتمام كلمته وكان التمام يعقبه النقص غالباً، كما قيل:

إذا تـمّ أمـرٌ بـدا نقصُـهُ ترقَّـب زوالاً إذا قيـلَ تَـمْ

ذكر هذا احتراساً وبياناً؛ لأن تمامها ليس كتمام غيرها»[(١)].

ومن نظائر الاحتراس أورد هنا مثالاً لمصطلح الاحتراز، حيث استعمله الألوسي في عباراته ليقوم مقام الاحتراس في تفسيره لقول الله تعالى: «﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] قال: «﴿أَشَدُّ حُبًّا ﴾ عدل عن أحب إلى أشد ؛ لأنه شاع في الأشد محبوبية، فعدل عنه احتراز عن اللبس، وقيل: أحب أكثر من حب، فلو صيغ منه أفعل لتوهم أنه من المزيد»[(٢)]. ومما سبق يتبين كيف استعاض الألوسي بالاحتراز عن الاحتراس، وهناك العديد من النصوص، وقد سبقت الإشارة إلى مواضعها.

ويختم القرن الثالث عشر الهجري، ولا تزال الإشارات لمصطلح الاحتراس تظهر تارة وتخبو أخرى، متفرقة في العقود المختلفة، ومع بداية القرن الرابع عشر الهجري يصل الحديث إلى القنوجي (ت: ١٣٠٧)[(٣)]، حيث أورد العديد من الإشارات لمصطلح

---

(١) المرجع السابق (٤: ٤٥٦).

(٢) المرجع السابق (١: ٤٣٣).

(٣) هو صديق حسن علي أبو الطيب الحسيني القنوجي البخاري، من علماء الهند، مشارك في عدد من الفنون، وصنف باللغة العربية والفارسية والهندية، له من المصنفات: أبجد العلوم، والإدراك لتخريج أحاديث =

الاحتراس، وذكر نظيره (التتميم)كما ألمح لمقصد الاحتراس بإشارات كثيرة، ومن المواضع التي صرّح فيها بالاحتراس في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴾ [طه: ٢٢]، فقال: «﴿ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ﴾ أي: عيب، كنى به عن البرص، ويُسمى هذا عند أهل البيان الاحتراس وهو: أن يُؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد، وذلك أن البياض قد يراد به البرص، أو البهق، فأتي بقوله: ﴿ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ﴾ نفياً لذلك»[1].

لقد بيّن القنوجي الاحتراس بأوضح صورة بعد أن عرف المصطلح، وربما يذكر القنوجي أحد نظائر الاحتراس لتقوم مقامه في التعبير، ومن هذا أنه أورد مصطلح التتميم ليحل محل الاحتراس في تفسيره، لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] فقال: «في هذه الآية تتميم، وهو نوع من علم البديع، وهو عبارة عن إرداف الكلمة بأخرى ترفع عنها اللبس وتقربها إلى الفهم، وذلك أن العزة تكون محمودة ومذمومة فمن مجيئها محمودة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، فلو أطلقت لتوهم فيها بعض من لا دراية له أنها محمودة، فقيل: ﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾ توضيحاً للمراد، فرفع اللبس به»[2].

ومما سبق يظهر كيف استبدل القنوجي مصطلح التتميم بنظيره الاحتراس، ويدل عليه قوله: ﴿ بِٱلۡإِثۡمِ ﴾، «توضيحاً للمراد فرفع اللبس به».

= الإشراك، وغصن البان المورق بمحسنات البيان، وغيرها، توفي سنة (١٣٠٧)ينظر: مقدمة تفسيره، فتح البيان (١: ٥، ٧).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق القنوجي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (٤: ٣٣٦).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (١: ٢٩١).

أما إشارته لمقصود الاحتراس دون التصريح به، فقد جاء بعبارات شتى، كقوله: (لئلا يتوهم)، أو (دفع توهم)، أو (رفع اللبس)، أو (دفع الإبهام)، أو(دفع احتمال)، وغيرها من العبارات، أكتفي بالإحالة إليها ؛ لئلا يطول المقام(١).

ولا يزال الحديث متصلاً في بدايات القرن الرابع عشر الهجري، حيث المفسر جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢)(٢) الذي عرض وبث إشارات للاحتراس بصور متعددة شأنه في ذلك شأن من سبقه، فتارة يورد باسمه (الاحتراس)، وثانية بأحد نظائره كالتكميل، وثالثة بمقصده وما دل عليه. ومن المواضع التي صرّح القاسمي بمصطلح الاحتراس في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] فقال: «﴿ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ احتراس؛ لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز ينافي القدرة، أو لإهمال ينافي الحكمة، فبيّن أن ثوابه وعقابه مع القدرة التامة والحكمة البالغة»(٣).

وقد يورد أحد نظائر الاحتراس ليحل مكانه في التعبير، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾، فقال: «﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾،

---

(١) ينظر فتح البيان في مقاصد القرآن (١: ٢٧٩، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٦٩)، (٢: ١٨، ١٨٨، ١٨٥، ٣٦٨، ٤٤٥، ٥٥٩، ٥٧٠، ٦٠٣).

(٢) هو محمد (جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم، إمام الشام في عصره، علماً في علوم الدين، وتضلع من فنون الأدب، له من المصنفات: دلائل التوحيد، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، والفتوى في الإسلام وغيرها، توفي سنة (١٣٣٢)، ينظر: الأعلام للزركلي (٢: ١٣٥)، ومقدمة تفسيره محاسن التأويل (١: ٩)، وحلية البشر (٢:٢٠٣).

(٣) محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر مؤسسة التاريخ العربي، ببيروت، ١٤٢٢هـ (٣:٢٦٣).

تكميل؛ لأنه لما وصفهم بالتذلل ربما يتوهم أن لهم في نفوسهم حقارة، فقال: ومع ذلك هم أعزة على الكافرين»[(١)].

ومما مضى يتبين أن التكميل رديف للاحتراس عند القاسمي، حيث بين معناه بقوله: (ربما توهم) وهذا هو مقصد الاحتراس، كما أشار إلى مقصد الاحتراس في غير موضع من تفسيره[(٢)]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]، حيث قال: «قوله: ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ لو اقتصر على قوله: إنما هو إله لأوهم أن المهم إثبات الإلهية له، والغرض من الكلام ليس إلا إثبات الوحدانية»[(٣)].

ثم يأتي السعدي (ت: ١٣٧٦)[(٤)] ويذكر الاحتراس بمرادفه الاحتراز، ويكثر منه في تفسيره، بل ذكره في كتابه (القواعد الحسان)، تحت اسم المحترزات[(٥)]، وربما ذكر مقصده، وبما يدل عليه، ويذكر لذلك عبارات منها: (لئلا يتوهم متوهم)، أو(احتراز من أن يتوهم)، أو(إزالة الوهم) وغيرها من الألفاظ.

ومن المواطن التي ذكر فيها الاحتراز، في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]،

---

(١) محاسن التأويل (٣: ١٥٣).

(٢) المرجع السابق (٣: ٢٧٦، ٦٥٦)، (٤: ٣٣٩، ٥٦٣).

(٣) المرجع السابق (٤: ٥٦٣)، بتصرف يسير.

(٤) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من العلماء، ومن أوعية العلم، له كثير من المصنفات منها: تفسير تيسير الكريم الرحمن، والقواعد والأصول الجامعة، ومختصر أصول الفقه، وغيرها، توفي سنة (١٣٧٦).
ينظر: علماء نجد (٢: ٤٢٢).

(٥) ينظر: القواعد الحسان، للسعدي (ص: ٧٦- ٧٧).

فقال: «لما كان هذا النفي عاماً في جميع الأحوال، إن حمل ظاهر اللفظ على ظاهره، أي لا أبوة نسب، ولا أبوة ادعاء، وقد تقرر فيما تقدم أن الرسول ﷺ، أبٌ للمؤمنين كلهم وأزواجه أمهاتهم، فاحترز أن يدخل في هذا النوع بعموم النهي المذكور، فقال: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ أي هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المهتدى به، المؤمن له الذي يجب تقديم محبته على محبة كل أحد، الناصح»[1].

ومما سبق يتبين أن السعدي أطلق مصطلح الاحتراز على نظيره الاحتراس، وهو بحق أقرب نظائره من حيث المبنى والمعنى، وهناك العديد من الإشارات للاحتراز أحيل إليها[2].

ثم يصل الحديث إلى سيد قطب (ت: ١٣٨٧)[3] وتفسيره (في ظلال القرآن) إذ أورد إشارات سريعة لمصطلح الاحتراس[4]، دون الوقوف عليها وبيانها، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾، فقال: «﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ وهو احتراس لطيف دقيق»[5]. وهذه الإشارة السريعة لمصطلح الاحتراس دون الوقوف عندها بشيء من الإيضاح والبيان، لعله يحكمها

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، نشر مؤسسة الرسالة، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (ص: ٦٦٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩٥، ٣٠٥، ٥٧٥، ٦٤٩، ٦٦٧، ٨٣٩).

(٣) هو سيد قطب بن إبراهيم حسين الشاذلي، المفسر، والأديب، والمفكر، والناقد، من أعلام القرن الرابع عشر، له العديد من المصنفات مثل: في (ظلال القرآن) وغيرها، توفي سنة (١٣٨٦). ينظر: سيد قطب، لصلاح الخالدي، (ص: ٤٧) وما بعدها.

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، نشر الشروق، ببيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٠٨هـ (٤: ٢٠٢)، (٦: ٣٨٨٩).

(٥) في ظلال القرآن (٤: ٢٠٢).

طبيعة تفسير الظلال، ومنهج صاحبه فيه، ولم أقف على نظير أو شبيه للاحتراس، أو مقصد في الظلال، بل كان مصطلح الاحتراس فحسب.

يُعدّ الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)[(١)] من أشهر المفسرين اعتناء بالبلاغة القرآنية في القرن الرابع عشر الهجري، حتى عُد زمخشري هذا العصر، ومن يقرأ تفسيره يجد ذلك واضحاً جلياً، كما أنه ذكر مصطلح الاحتراس أكثر من غيره من المفسرين، على مدى الرحلة الطويلة للتفسير عبر قرونه المختلفة، حتى لتجده يذكر في الآية الواحدة أكثر من احتراس، فضلاً عن بيانه للأساليب البلاغية التي في الآية، وجاءت له كثير من العبارات المتفردة عن غيره في الدلالة على مصطلح الاحتراس وبيانه، وربطه مع غيره من فنون البلاغة، فتجده تارة يُصرّح بالاحتراس ومقصده، فيقول: «احتراس لدفع توهم»[(٢)]، وقد يفرده فيقول: احتراس[(٣)]، وأحياناً يورد نظيره، فيقول: احتراز[(٤)]، وربما قرنه بمصطلح آخر، وبيّن العلاقة بينهما ،فيقول: تتميم واحتراس[(٥)]، تكميل واحتراس[(٦)]، وإطناب، أو يجمعه مع غيره من فنون البلاغة، فيقول: تذييل جُعِل

---

(١) هو محمد الطاهر بن عاشور، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، فقيه،له من المصنفات التي تدل على تبحره في العلم منها: التحرير والتنوير، توفي (١٣٩٣ هـ)، ينظر: معجم المفسرين (٢: ٥٤١)

(٢) التحرير والتنوير (١: ٧٤٦)، (٢: ٧٢)، (٣: ٨٠)، (٨: ١٩٣)، (٢٠: ٥٧)، (٢١: ٢٠)، (٢٥: ٧٣، ٧٠٣)، (٢٦: ٢٧١)، (٢٧: ٢٤، ١٠٧، ٣٧٥، ٣٨٩)، (٢٨: ٤٢٣)، (٢٩: ٤٠٠)، (٣٠: ٢٨٦، ٤٦٥).

(٣) المرجع السابق (١: ٧٤٦)، (٢: ٧٢)، (٤: ٥٣، ٢٣٣، ٢٦١)، (٧: ١٣، ٢١، ٣٦٩، ٤١٦، ١٦٥)، (١٠: ٥٤، ١٠٦)، (١١: ٣١، ٢٧٨)، (١٢: ١٥، ٥٥)، (١٣: ٢٥)، (١٤: ٨٣، ٣٩٤)، (١٦: ٣١٢، ٣١٣)، (١٧: ١٢، ٧١)، (٢٦: ٤١)، (٢٧: ٩٠، ١٣٢).

(٤) التحرير والتنوير (٦: ١١٦)، (٩: ٢٩٢)، (١٤: ١٦٦)، (٢٢: ٦٩)، (٢٣: ٣٧٥)، (٢٦: ٢٣٥)،(٢٧: ٣٩، ١٥٠).

(٥) المرجع السابق (٢٧: ٢٧٠)، (٢٨: ٤٨، ٢٦٢)، (٢٩: ٢٣)، (٧: ١٣).

(٦) المرجع السابق (٢١: ٢١٤)، (٢٧: ٢٧٠)، (٢٨: ٣٠، ١٦٧).

كالاحتراس[1]، أو اعتراض بمنزلة الاحتراس[2]، أو اعتراض لقصد الاحتراس، أو استثناء لدفع توهم، أو استدراك لدفع توهم[3]، أو الجملة واقعة موقع الاحتراس[4]،أو استطراد وتتميم وتكميل[5]،أو تكميل واحتراس[6]، وغيرها من العبارات الدالة على الاحتراس وعلى مقصده[7].

ومن الأمثلة التي أوردها ابن عاشور في الاحتراس، ومن ذلك ما أورده في قول الله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [هود: ٢٩] فقال: «وجملة: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾، احتراس؛ لأنه لما نفى أن يسألهم مالاً، والمال أجر، نشأ توهم أنه لا يسأل جزاء على الدعوة، فجاء بجملة ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ احتراساً»[8].

وفي موضع آخر في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ ﴾ [المنافقون: ٤] ، قال ابن عاشور: «فجملة ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ﴾ معطوفة على جملة ﴿ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾، واقعة موقع الاحتراس والتتميم؛ لدفع إيهام من

---

(١) التحرير والتنوير (٢: ١٨٥)، (٥: ٢١١)، (٧: ٤١٦).

(٢) المرجع السابق (١٤: ٨٣)، (٢٣: ٣٣٧).

(٣) المرجع السابق (١٦: ٢٨٤)، (٢٨: ٢٣٨، ٢٤٨).

(٤) المرجع السابق (٥: ٢١١، (١٠: ١٨٧)، (٢٢: ١٨٥)، (٢٦: ١٢٣)، (٢٨: ٢٣٨).

(٥) المرجع السابق (٢٧: ٢٧٠)، (٢٨: ٤٨، ٢٦٢)، (٣٠: ١٦٧).

(٦) المرجع السابق (٣٠: ١٦٧).

(٧) المرجع السابق (١: ٧٤٦)، (٢: ٧٢)، (٣: ٢٨٠)، (٤: ٦٠، ١٥٣، ٢٣٣)، (٩: ١٤٢، ٢٨٢)، (١٠: ٧، ٦٤)، (١٧: ٧١)، (١٩: ٢٤٨)، (٢٠: ٥٧، ٢٠)، (٢٢: ٢٥٥)، (٢٧: ١٠٧)، (٢٨: ١١٩، ٢٣٥، ٢٤٨)، (٢٩: ٤٠٠)، (٣٠: ٤٩، ٢٨٦).

(٨) التحرير والتنوير (١٢: ٥٥).

يغره ظاهر صورتهم.. وأتبع انتفاء فقه عقولـه:م بالتنبيه على عدم الاغترار بحسن صورهم، فإنها أجسام خالية عن كمال الأنفس.. وتفيد مع الاحتراس تنبيهاً على تخاذلهم»[١]، فالمصنف جمع بين مصطلحي التتميم والاحتراس في عباراته، ثم بيّن المقصود وهو دفع الإيهام، وفي ذلك دلالة على تقارب المصطلحين عنده، وأن كل واحد منهما يقوم مقام الآخر في التعبير عن المراد.

كما يذكر الشنقيطي (ت: ١٣٩٣)[٢] الاحتراس بمصطلحه في تفسيره (أضواء البيان) لكنه يورده في مواضع يسيرة من غير إسهاب أو بيان، ومن ذلك ما أورده في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٢٢] حيث قال: «﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ أي من غير برص، وفيه ما يسميه البلاغيون احتراساً»[٣]، كما أورد المقصد من الاحتراس دون التصريح به بعبارات تنبئ عن مقصده، ومن ذلك قوله:(لئلا يتوهم)، أو (رفع الإيهام) وغيرها من العبارات الدالة على معنى الاحتراس.

يبدو للمتأمل في الرحلة الطويلة التي مر بها مصطلح الاحتراس في بعض كتب التفسير[٤]، أن البذرة الأولى للمصطلح ظهرت في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨: ٢٣٨) بتصرف يسير.

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، المفسر، الفقيه، الأصولي، اللغوي، كان مشاركاً في العديد من العلوم، من مصنفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومنع جواز المجاز، ومذكرة أصول على روضة الناظر، وغيرها، توفي وهوقافل من الحج عام (١٣٩١هـ)، ودفن بمكة، ينظر: أضواء البيان (٩: ٢٣).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٣: ٤٣٥).

(٤) من خلال البحث والنظر في كتب التفسير أجد أن بعضها لم يذكر الاحتراس، أو أحد نظائره أو مقصده، فيما وقفت عليه من آيات منها، نكت القرآن للكرجي (ت: ٣٦٠)، تفسير ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧) وتفسير ابن زمنين (ت: ٣٩٩)، وبحر العلوم للسمرقندي (ت: ٣٦٧)، والبسيط للواحدي (ت: ٤٦٨).

الثالث الهجري، لكنه لم يكن يُعرف بهذا المصطلح، وبتلك التسمية أورده من أورده على أنه جزء من التفسير ولازم من لوازمه.

كما سبقه في الظهور أحد نظائره وهو(الاحتراز) حيث ظهر في القرن الرابع الهجري، ومن النظر في أقول المفسرين وعباراتهم، يتبين أن المفسرين لم يغفلوا عن هذا المصطلح، بل كانوا يعرفون مقصده ومعناه، ويوردونه في مواطنه التي يظهر فيها، بيد أنهم يتباينون في إيراده وذكره كثرة وقلة، جلاً وخفاءً، فتارة يتجلى مصطلح الاحتراس ويذكر بلفظه أو بأحد نظائره، وأخرى ببيان مقصده الذي جاء من أجله.

ويتأخر ظهور الاحتراس بوصفه مصطلحاً إلى بدايات القرن السادس الهجري، لكنه ظهر لدى البلاغيين قبل ذلك.

وكما حصل خلط لدى البلاغيين حصل عند المفسرين، فتارة يذكرونه صراحة، وأحياناً بمقصده، وربما يذكر بأحد نظائره: (التتميم، أو التكميل، أو الاحتراز)مع التأكيد على الغرض الأول وهو دفع التوهم.

ومن البحث في غير واحد من كتب التفسير ظهر لي أنه لم يكن هناك حرصٌ لدى المفسرين في تحرير مصطلح الاحتراس، وتمييزه عن غيره من الفنون البلاغية كما وُجد عند أرباب البلاغة.

ولذلك أسباب من أهمها:

أولاً: التطور التاريخي لمصطلح الاحتراس، إذ تأخر ظهوره ونضجه.

ثانياً: مناهج المفسرين والمقصد من تأليف التفسير لدى مؤلفه، إذ إن غير واحد من المفسرين لم يكن يهدف لبيان البلاغة القرآنية، ولم يكن يُعنى بإظهار الوجه البلاغي للآية، إنما كان لديهم أهداف أخرى قد يفصح عنها في تفسيره، وقد يستخرج من

منهجه، كالتفسير بالمأثور، يُعنى ويهتم بجمع الروايات والآثار، ولا يُلقي بالاً في الغالب للبلاغة القرآنية[١].

ثالثاً: ثقافة المفسر والعلوم التي برع فيها لها الأثر الواضح في التفسير، بل حتى في ألفاظ المفسر ومفرداته، حيث تُصبغ بعبارات الفن الذي برع به، حتى إنها لتطغى على المناحي الأخرى، فالفقيه- مثلاً - يطيل النظر في آيات الأحكام، ويأخذ في الاستطراد كل مأخذ حتى يخرج عن معنى الآية وما تدل عليه فيورد الأحكام الأصولية، والقواعد الفرعية، فيخرج القارئ من التفسير ويدخل في علوم أخرى، وقل مثل ذلك عند اللغوي والمحدث، فضلاً عن النزعة العقدية التي تؤثر في مسار التفسير. وهذه التفاسير قلما تجد فيها ما يلمح إلى بلاغة القرآن أو إعجازه؛ لخوضها غمار فنون أخرى.

فالوقوف على البلاغة القرآنية يحكمه المخزون الفكري واللغوي والعلوم التي برع بها المفسر، ويُجلي ذلك ارتباطه بفنون البلاغة، ثم هي أفهام يؤتيها الله من يشاء، لذا يكون التباين بين المفسرين في أمور عدة، وليس في بيان وإيضاح مصطلح الاحتراس فحسب.

وبالنظرة الفاحصة لما سبق عرضه تتبين براعة المفسرين في العناية بمصطلح الاحتراس بصورة مختلفة في الناحية التطبيقية، وإن لم يؤصلوا له نظرياً، بخلاف أرباب البلاغة الذين أصلوا له بصفته فناً مستقلاً، ثم حصل له خلط واضطراب، سواء في عرض الآيات أو في بيان الفرق بينه وبين غيره من أضرب الإطناب الأخرى.

كما يتبين التدرج في العناية بالاحتراس وفقاً لمنهج المفسر في تفسيره، فقد قل الاحتراس أو عزّ في كتب التفسير بالمأثور، وفي التفاسير التي عُنيت بالأحكام، وظهر في

---

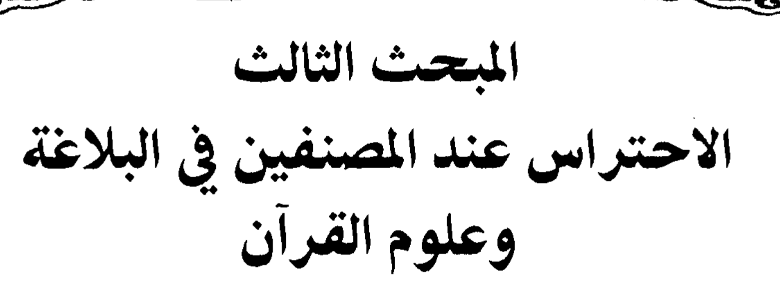
(١) كتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي، قام على جمع الروايات المسندة في التفسير، ولم تختلط بشيء آخر حتى التفسير بالرأي.

التفاسير التي لها عناية لغوية، بالإلماح إلى الاحتراس أو مقصده، وظهر جلياً في التفاسير المتأخرة التي لها عناية بالبلاغة القرآنية، وقد بدا ذلك جلياً في حواشي تفسير البيضاوي (ت:٦٨٥). وتفسير التحرير والتنوير.

وأخيراً:

من العرض السابق لأقوال المفسرين في مصطلح الاحتراس، أرى أنه لا تعارض بين ما ذكروه وبين ما اصطلح عليه البلاغيون، بل إن كل واحد منهما يدل على معنى الاحتراس، وإن تنوعت التسمية أو طريقة العرض والأسلوب.





المبحث الثالث
الاحتراس عند المصنفين في البلاغة وعلوم القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المصنفون في البلاغة.

المطلب الثاني: المصنفون في علوم القرآن.

المطلب الأول
المصنفون في البلاغة

عُني البلاغيون وأصحاب الدراسات القرآنية بمصطلح الاحتراس، واختاروا لذلك أمثلة من القرآن الكريم، أوردها كل من تحدث منهم في هذا الموضوع، وكانت نتائجهم متفقة وكأنها دراسة لشخص واحد.

وفيما يأتي عرض لرحلة الاحتراس في بطون المصنفات البلاغية [١].

١/ **الجاحظ** (ت: ٢٥٥) في كتابه (البيان والتبيين) يُعدّ أول من عرض لمصطلح الاحتراس، عرضاً موجزاً، أورده عند حديثه عن حُسن البيان فقال: «يذكرون الكلام الموزون ويمدحون به، ويفضلون إصابة المقادير، ويذمون الخروج من التعديل ثم قال: وقال طرفة في المقدار وإصابته.

فَسَقى دِيارَكِ، غيرَ مُفسِدِها صَوْبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهْمي

طلب الغيث على قدر الحاجة لأن الفاضل ضار» [٢].

فالجاحظ لم يصرّح بمصطلح الاحتراس، لكنه ذكر المغزى منه، وهو دفع التوهم، أي: سقى ديارك ما ينفعها ولا يفسدها، بقوله: «طلب الغيث على قدر الحاجة لأن الفاضل ضار»، وهي البذرة الأولى في مصطلح الاحتراس.

٢/ **قدامة بن جعفر** (ت:٣٣٧) **في كتاب (نقد الشعر):**

أطلق قدامة على الاحتراس مصطلح التتميم حيث أورده في الباب الرابع من نعوت المعاني حيث قال: «ومن أنواع نعوت المعاني: التتميم، وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا

---

(١) لم أقصد عرض كل ما صنف في البلاغة، إنما أقتصر على من عرض للاحتراس أو أحد نظائره في باب من أبوابه، وقد أترك الكثير من المصنفات مما ليس فيها ذكر للاحتراس أو أحد نظائره.

(٢) البيان والتبيين (١ : ١٢٧) بتصرف يسير.

يدع من الأحوال التي تتم بها صبحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به»...ثم أورد العديد من الشواهد منها: قول نافع بن خليفة الغنوي[١]:

رجالٌ إذا لم يقبلِ الحقُّ منهمُ ويعطوهُ عاذُوا بالسيوفِ القواطعِ

فإنما تمت جودة المعنى بقوله: ويعطوه، وإلا كان المعنى منقوص الصحة»[٢].

٣/ **أبو هلال العسكري** (ت: ٣٩٥) **في (كتاب الصناعتين):**

ذكر أبو هلال العسكري الاحتراس في الفصل التاسع عشر من الباب التاسع تحت اسم التتميم والتكميل، فأورد التعريف، ثم أورد شواهد مختلفة من القرآن الكريم فقال: «التتميم والتكميل: وهو أن توفي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره»[٣]، ثم شرع في بيان الشواهد والتعقيب عليها، فيذكر الاحتراس بنظيره (الاحتراز)، فيقول في أحد المواضع: (غيرَ مُفسِدِها) إتمام المعنى وتحرز من الوقوع في الخطأ[٤].

٤/ **علي الكاتب** (ت: ٤٠٧) **في كتابه (مواد البيان):**

لم يذكر الكاتب مصطلح الاحتراس باسمه هذا، لكنه أورد ما يدل عليه عند حديثه في باب التتميم والتكميل، ثم عرفه بقوله: «وهو أن يؤخذ في معنى فيؤتى بجميع المعاني المتممة لصحته، والمكملة لجودته، من غير أن يُخل ببعضها، ولا يغادر شيئاً

---

(١) البيت لنافع بن خليفة الغنوي، والبيت في سر الفصاحة (ص: ٢٧١)، ومعاهد التنصيص (١: ٣١٤)، وكتاب الصناعتين (ص: ٣٩٩).

(٢) نقد الشعر (١: ٢٤).

(٣) كتاب الصناعتين (ص: ٤٣٤).

(٤) كتاب الصناعتين (ص: ٤٣٥) بتصرف.

منها»[١]، فعبارة المصنف: «من غير أن يُخل ببعضها» تدل على مصطلح الاحتراس، فلو سقطت اللفظة التي بها الاحتراس، لأخل بالمعنى، وحصل لبس...، ثم أتى بشواهد التتميم والتكميل هي عند غيره من شواهد الاحتراس، ومن أهمها بيت طرفة بن العبد الشهير حيث قال: «فقد تم المعنى بقوله:»غير مفسدها»[٢].

فالكاتب يرى معنى الاحتراس في مصطلحي التتميم والتكميل وإن لم يذكره، وقد زاد عمن سبقه بذكر شواهد جديدة، كقول الشاعر:

رجالٌ إذا لم يقبلِ الحقُّ منهمُ ويعطوهُ عاذُوا بالسيوفِ القواطعِ

فتمت صحة المعنى بقوله: «ويُعطوه»[٣].

٥/ ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦)، **في كتابه (العمدة في صناعة الشعر ونقده):**

أورد ابن رشيق الاحتراس بمصطلحه، وجعله من نظائر التتميم فقال: «باب التتميم، وهو التمام، وبعضهم يسمي ضرباً منه احتراساً واحتياطاً ،وهو«أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده، وأتى به، إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير»[٤] ومثل لهذا اللون البديعي بالعديد من الأمثلة، ومن ذلك قول الشاعر[٥]:

فَلا تُبعدن إلا مِنْ السوء إنني إليكَ وإن شطّتْ بِكَ الدار نَازِعُ

---

(١) مواد البيان، لعلي بن خلف الكاتب، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح: طرابلس، ١٩٨٢م (ص: ٢٩٣).

(٢) المرجع السابق (ص: ٢٩٥).

(٣) مواد البيان (ص: ٢٩٥).

(٤) العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني(٢: ٦٥٣) بتصرف يسير.

(٥) البيت غير منسوب في كل من كتاب الصناعتين (ص: ٤٠٨)، وحلية المحاضرة (١: ١٦٢)، والبديع لابن منقذ (ص: ١٢٢).

فاستثناؤه «السوء» تتميم واحتراس جيد[١]، فقد جاء الاحتراس في (إلا مِنْ السوء) أي لا تبعد بك الدار، ولا تغيب إلا عن السوء، والأمر غير المحمود فإنك تبعد عنه.

فابن رشيق يرى أن هناك ضرباً من التتميم يطلق عليه (احتراس)، فليس كل تتميم احتراس، وهذا الرأي الذي رآه القيرواني وسط بين الآراء، وقد سبقت الإشارة إليه[٢].

وعلى الرغم من أن ابن رشيق لم يوسع دائرة الاحتراس بوصفه نظيراً للتتميم، إلا أنه لم يجد مناصاً من التعبير بمصطلح الاحتراس عند كثير من الشواهد، فقال عند أحدها: «تتميم للمعنى واحتراس»[٣]، وقال في موضع أخر: «فاحترس من ذلك»[٤].

وكذلك الحال لمصطلح الاستثناء، فليس كل استثناء احتراسٌ، وقد يأتي من الاستثناء ما هو بأسلوب الاحتراس، ومن ذلك ما أورده في باب الاستثناء قول الشاعر[٥]:

فنيتُ وما يفنى صنيعي ومنطقي   وكلُّ امرئٍ إلاَّ أحاديثه فانِ

فقال: «وليس من هذا الباب عندي – أي من باب الاستثناء- وإنما هو من باب الاحتراس والاحتياط، فلو أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطال، ولخرجنا فيه من قصده وعن غرضه»[٦].

مما سبق يتبين حرص القيرواني (ت: ٤٥٦) على التفريق بين المصطلحات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) العمدة في صناعة الشعر (٢: ٦٥٣).

(٢) للتوسع ينظر: ما كتب في مبحث (نظائر الاحتراس).

(٣) العمدة (٢: ٦٥٣).

(٤)المرجع السابق (٢: ٦٥٣).

(٥) البيت للربيع بن ضبع الفزاري، وهوفي كتاب الصناعتين (ص: ١٣٢)و حلية المحاضرة (١: ١٦٢).

(٦) العمدة (٢: ٦٥٢).

٦/ ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦)، **في كتابه (سر الفصاحة):**

ذكر ابن سنان الخفاجي مصطلح (التحرز مما يوجب الطعن)، مصطلحاً نظيراً للاحتراس[1] ويقوم مقامه، وقد سبق أن أشرت في غير موضع للأمثلة والشواهد التي أوردها الخفاجي، مسبوقة بتعريف التحرز مما يغني عن إعادتها هنا.[2]

وقد بيّن الخفاجي في أثناء تعليقه على الأمثلة مقصداً من مقاصد الاحتراس، وهو دفع التوهم، كانت شواهده من الشعر، ولم يأت بأمثلة من آيات القرآن الكريم.

٧/ أبو طاهر البغدادي (ت: ٥١٧)، **في كتابه (قانون البلاغة):**

لم يورد البغدادي الاحتراس بمصطلحه واسمه، لكنه أطلق عليه مصطلح (التكميل) في القسم الثاني من بلاغة الشعر ونقده، وعرفه بقوله: «هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتمم صحته ويكمل معها شيئاً إلا أتى به كقول الشاعر[3]:

لَو أَنَّ عَزَّةَ خاصَمَت شَمسَ الضُحى ... في الحُسنِ عِندَ مُوَفَّقٍ لَقَضى لَها

فقوله: (عِندَ مُوَفَّقٍ) من التكميل»[4].

وكما لم يكثر من إيراد الشواهد والأمثلة، أو التعليق عليها، إنما كان عرضه بإيجاز شديد.

٨/ أسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤)، **في كتابه (البديع في نقد الشعر):**

أورد ابن منقذ مصطلح الاحتراس في الباب الرابع عشر من كتابه، حيث عرفه بقوله: «اعلم أن الاحتراس: هو أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه، كما في قوله تعالى:

---

(١) ينظر: سر الفصاحة (ص: ٣٢٢).

(٢) ينظر: (ص: ٣٣).

(٣) البيت للشاعر كثير عزة، ديوانه (ص: ٤٩٣).

(٤) قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي طاهر البغدادي (ص: ١٠٥).

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٩]؛ لأن الاشتراك في المصيبة يخفف منها، ويُسلي عنها، فأعلمهم تعالى أنه أول ما يعاقبهم به أنه لا يلهمهم التأسي، ولا يقضى عليهم بالتسلي، نعوذ بالله من عقابه، ونسأله من ثوابه»[١]، ثم أتبعه بشواهد من القرآن الكريم والشعر، أحيل إليها فالمقام لا يتسع لعرضها[٢].

ومما سبق يتبين أن ابن منقذ فرق بينه وبين ضروب البلاغة الأخرى.

٩/ ابن شيث القرشي (ت: ٦٢٥)[٣]، في كتابه (معالم الكتابة):

أورد ابن شيث الاحتراس باسمه، وفرق بينه وبين التتميم. ويبرز من إعجاز البـ أربعة وثلاثين نوعاً، وميز في كتابه بين الاحتراس والتتميم، وعد التتميم باباً آخر، بيد أنه ذكر في شواهد التتميم ما عدّه آخرون من باب الاحتراس[٤].

١٠/ ابن الأثير الموصلي (ت: ٦٣٧)، في كتابه (كفاية الطالب):

ناب مصطلح التتميم عن مصطلح الاحتراس عند ابن الأثير، فقد نص في أثناء تعقب النصوص أنها من باب الاحتراس، ومن ذلك ما أورد عند استشهاده بقول الشاعر:[٥]

فَسَقاكِ حَيثُ حَلَلْتِ غَيرَ فَقيدَةٍ ... هَزِجُ الرواحِ وديمةٌ لا تقلعُ

---

(١) البديع في نقد الشعر (ص: ٩٠).

(٢) المرجع السابق (ص: ٩٠-٩١).

(٣) هو جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن حسين بن شيث القرشي الأموي، تفنن في الأدب، وفي حسن التأليف والنظم، من مصنفاته: معالم الكتابة ومغانم الإصابة. توفي سنة (٦٢٥)، ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢: ٣٠).

(٤) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، لابن شيث القرشي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (ص: ١٩٣).

(٥) البيت لجرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق ديوانه (ص : ٣٤٧).

قوله: (غَيرَ فَقيدَةٍ) تتميم لما أراد دنوها وسقياها غير راحلةٍ ولا ميتةٍ، إذا كانت العادة جارية بالدعاء للغائب والميت بالسقيا، فاحترس من ذلك»[١].

وقال في بيت طرفة بن العبد (غيرَ مُفسِدِها): تتميم واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر.

وبالرغم من أن ابن الأثير لم يذكر مصطلح الاحتراس بباب مستقل، أو ضمن باب آخر إلا أن عباراته تنطق بالاحتراس في كل بيت يورده، وفي ذلك إشارته إلى أن الاحتراس من لوازم التتميم لديه، وقد قال في تعريفه: «... تورده إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير»[٢].

١١/ ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤)، في كتابه (بديع القرآن):

تكلم ابن أبي الإصبع عن الاحتراس وعرّفه بقوله: «هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخلٌ فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي أصل الكلام بما يُخلصه من ذلك»[٣]

ثم أورد شواهد على هذا الفن البلاغي، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤] فقال: «﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فإنه تعالى لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم؛ ليُعلم أن جميعهم كان مستحقاً للعذاب احتراساً من ضعيف بتوهم أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق العذاب، فلما دعا على الهالكين ووصفهم بالظلم علم استحقاقهم لما نزل بهم، وحل بساحتهم»[٤].

---

(١) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: نوري القيسي.، وحاتم الضامن وزملائهم، منشورات جامعة الموصل، (ص: ١٩٤).

(٢) كفاية الطالب (ص: ١٩٤).

(٣) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع (ص: ٩٣) بتصرف يسير.

(٤) المرجع السابق.

وقد تفطن لتشابه الاحتراس بأنواع أخرى من البديع كالتتميم والتكميل، ففرق بينها، ثم لاحظ أن الاحتراس ربما يلتبس بالمواربة[١]، ففرق بينها وبينه، ولم يكتف بالتفريق بين الألوان المتشابهة من البديع، بل أراد أن يضيف نوعاً جديداً لكنه لم يسمه، فقال: «ومن الاحتراس نوع لطيف جداً، لم أسبق إلى استخراجه، وهو أن يذكر المتكلم جملة للدلالة على غرضه، ولو اقتصر عليها لم يتم غرضه الذي لجأ إليه، وذلك كقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٦]، فإنهم تكلموا ظناً منهم أن من أطاع الله وعصى الرسول كان مطيعاً، ثم علموا أن طاعة الرسول مشترطة مع طاعة الله، فأتوا بالجملة الثانية، بلفظ مشعر أنه مستقل في المعنى، ولم يقولوا: وأطعنا الرسول»[٢].

ومما سبق يتبين أن ابن أبي الإصبع فرق بين الاحتراس والفنون الأخرى نظرياً، ويتبين أنه كذلك فرق بين الاحتراس وما يلتبس به ،ففرق من حيث التقسيم بأن جعل لكل منها جزءاً مقسوماً، وفرق من حيث المصطلح، لكن المتأمل للشواهد التي أوردها يجد أن التفرقة كانت نظرية فحسب، وقد اشتبه عليه في التطبيق إيراد الشواهد والتمثيل، ومن ذلك ما أورده في شواهد التكميل، حيث ذكر قول الله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ، فقال: فإن المعنى قد تم من قوله: ﴿ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾، لكن يبقى على ظاهر الآية إشكال من جهة أن الضعيف إذا

---

(١) وهو من وَرَبَ العرق بفتح الواووالراء إذا فسد، فكأن المتكلم أفسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه، وحقيقتها أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما يُنكر عليه بسببه؛ لبعد ما يتخلص به، ما يخلصه منه من جواب حاضر أو حجة بالغة، أوتصحيف كلمة أوتحريفها، أو زيادة في الكلام، أو نقص، أو نادرة، أو طرفة مضحكة. ينظر: تحرير التحبير (ص: ٢٤٩).

(٢) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع (ص: ٢٤٨)، ذكر المحقق حنفي محمد شرف، أن زيادة النوع الأخير جاءت في إحدى النسخ.

سمع قوله: بعد حكاية التكذيب لنبيه أن يقول: إن ربهم ذو رحمة واسعة مقتصراً على ذلك يتوهم أن رحمته لسعتها ربما شملت من كذب نبيه، فاحترس من الاحتمال؛ بما جاء مكملاً للمدح، بالانتقام من الأعداء، كما يمدح بالرحمة للأولياء... ويشهد لكون الرحمة وإن وصفت بالسعة لا تسع إلا المحسنين»[(١)].

ويظهر كيف أن شواهد التكميل نطقت عباراتها بمفهوم الاحتراس، مما يؤكد على التداخل بين الاحتراس وغيره، وكذلك الحال في الشواهد الأخرى، فقد وردت عند غيره على أنها من شواهد الاحتراس.

١٢/ ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤)، **في كتابه (تحرير التحبير):**

أورد ابن أبي الإصبع مصطلح الاحتراس باسمه، فابتدأ بتعريفه، ثم فرق بينه وبين التتميم والتكميل، وزاد فنوناً أخرى، حيث فرّق بين الاحتراس والمناقضة والانفصال[(٢)] ثم شرع في بيان شواهده من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والشعر.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] «فإنه تبارك وتعالى لما نفى عن حبيبه ورسوله ﷺ أن يكون بالمكان الذي قضى فيه لموسى عليه السلام الأمر، عرض المكان بالجانب الغربي، ولم يقل في هذا الموضع كما قال في الإخبار عن موسى عليه السلام: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، أدباً مع نبيه وحبيبه محمد ﷺ أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذكر الجانب الأيمن تشريفاً لموسى، فألمح لطيف هذا الاحتراس من بلاغة الكتاب العزيز جلَّ المتكلمُ به»[(٣)].

---

(١) بديع القرآن (ص: ١٤٤) بتصرف يسير.

(٢) هو الإتيان بجملة تفصل الكلام عن المعنى المتبادر إلى الذهن، بديع القرآن (ص: ٣٢٦).

(٣) تحرير التحبير (ص: ٢٤٧) بتصرف يسير.

لقد فرق ابن أبي الإصبع بين الاحتراس وبعض فنون البديع، لكنه لم يجد مناصاً في أثناء التعليق على الشواهد، فنطقت عباراته بالاحتراس، إذ أورد شواهد في باب التكميل، وعلق عليها بأنها احتراس، ومن ذلك قول الشاعر:

حَليمٌ إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ ... معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ

فقوله: «حَليمٌ» مدح حسن، وقوله: «إذا ما الحلم زين أهله» احتراس، لولاه لكان المدح مدخولاً، إذ بعض التغاضي قد يكون من عجز يوهم أنه حلم، ولقد أحسن هذا الشاعر في احتراسه في صدر البيت وعجزه معاً، باحتراسين حسنين، أما الذي في الصدر فقد تقدم وهو قوله: «إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ»، وأما الذي في العجز فقوله: «معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ»؛ لأن المهابة قد تكون مع الجهل(١).

ومما يتبين أن ابن أبي الإصبع، قد جاء بالفروق من الناحية النظرية، لكن أعوزته الشواهد من الناحية التطبيقية؛ لذا تشابهت عنده وعند غيره، وهي ظاهرة تكاد تكون ظاهرة عند غير واحد من البلاغيين.

١٣/ ابن مالك الناظم (ت: ٦٨٦)، **في كتابه (المصباح):**

عدّ ابن مالك الاحتراس في النوع السابع في قسم ما يرجع إلى الفصاحة المعنوية، من الفصل الثاني، حيث عرف الاحتراس بقوله: «أن تأتي في المدح أو غيره بكلام، فتراه مدخولاً بعيب من جهة دلالة من طوقه أو فحواه فتردفه بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ.. كما قالت الخنساء (ت: ٢٤)(٢):

وَلَوْلا كَثْـرَةُ البـاكِينَ حَوْلِـي ... عـلى إخْـوانِهِمْ لَقَتَلْـتُ نفْسِـي

---

(١) تحرير التحبير (ص: ٣٥٨).

(٢) هي تماضر بنت عمروبن الشريد، المشهورة بالخنساء، أُشتهر شعرها بمراثيها في أخيها صخر، وفدت إلى النبي ﷺ، وأسلمت، قدمت أربعة من الأبناء شهداء في القادسية، توفيت سنة (٢٤) وقيل غير ذلك، ينظر: البداية والنهاية (١٤: ٦٦).

ففطنت لتوجه أن يقال لها: قد ساويت أخاك بالهالكين من إخوان الناس، فَلِمَ فرطت في الجزع عليه؟ احترست بقوله:[1]

وما يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي ولكنْ أُعَزِّي النَّفْسَ عنه بالتَّأَسِّي[2]

كما أورد المصنف عدداً من الشواهد في الاحتراس، أحيل إليها؛ لئلا يطول المقام[3].

١٤/ **السجلماسي** (ت: ٧٠٨)، **في كتابه (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع)**:

أورد السجلماسي في النوع الثاني من أساليب البديع نظائر الاحتراس، ولم يذكر الاحتراس بباب مستقل أو مجموعاً مع غيره، بل جاء ذلك عند حديثه عن التتميم فقال: «التتميم: قول مركب أحدهما وهو الثاني -تكملة الأول- واقعة في أثناء أو مبالغة، وإما احتياطاً واحترازاً من التقصير، وهذا النوع من المدعو أيضاً عند قوم التكميل»[4].

لم يذكر المصنف الاحتراس باسمه، لكنه جمع نظائره في مكان واحد، كالاحتراز والتكميل، فضلاً لإيراده لشواهد عدّها آخرون من باب الاحتراس، ومن ذلك عند إيراده لبيت طرفة بن العبد فقال: «فتم واحتاط بقوله: (غيرَ مُفسِدِها) احترازاً من التقصير اللاحق من الإطلاق بالتقييد»[5].

---

(١) ديوان الخنساء (ص: ١٥٣).

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبديع، لابن الناظم (ص: ٢١٥).

(٣) المصباح (ص: ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧).

(٤) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، للسجلماسي، تحقيق: علال الغازي، نشر مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، بدون بيانات نشر (ص: ٣٢٣).

(٥) المنزع البديع (ص: ٣٢٤).

فالمصنف ذكر مصطلح (الاحتراز) للمحافظة على سلامة المعنى من التقصير، أو ما يُخل بسلامة السياق، وأورد تلك العبارات في غير موضع من باب التتميم، وفي ذلك إشارة لتداخل المصطلحات لديه، والاحتراز الذي أورده هو عين مقصد الاحتراس وإن لم يسمه.

١٥/ شهاب الدين الحلبي (ت: ٧٢٥)[١]**، في كتابه (حسن التوسل إلى صناعة الترسل):**

أورد شهاب الدين الحلبي الاحتراس تحت مصطلح التكميل، فقال: «التكميل وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلم وأغراضه، ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم، أو بالبأس دون الحلم»[٢] ومثال ذلك قول الشاعر:

أخو ثقةٍ لا يُذهبُ الخمرُ مالَهُ ... ولكنّه قد يُذهبُ المالَ نائلُهْ

صرّح الحلبي بالاحتراس في باب الاستدراك، فقال عند شرحه لأحد الشواهد:

حَليمٌ إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ ... معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ[٣]

قوله: (إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ) احتراس لولاه لكان المدح مدخولاً، إذ بعض التغاضي قد يكون من عجز، وإنما يزين الحلم إذا كان عن قدره، ثم رأى أن يكون مدحه بالحلم وحده غير كامل؛ ؛ لأنه إذا لم يُعرف منه إلا الحلم طمع فيه عدوه فقال: «في عينِ العدو مَهِيبُ».

---

(١) هو أبو الثناء، شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الدمشقي، برع في الكتابة والإنشاء، ونظم الشعر، من مصنفاته، حسن التوسل، و منازل الأحباب، والذيل على الكامل لابن الأثير، توفي سنة(٧٢٥)، ينظر: شذرات الذهب (٢: ٣٧٨)، والدرر الكامنة (٨: ٩٢).

(٢) حسن التوسل إلى صناعة الترسل (ص: ٢٨٧).

(٣) البيت للسموءل بن عاديا، الحماسة (٨٢٤)، لم يمت في فراشه: كناية عن موته في الحرب، طل: أهدر.

كما جعل الاستدراك من مرادفات التكميل، فقال: «ومن ملح التكميل. قول الشاعر:

وما ماتَ منا سَيدٌ في فراشِهِ ... ولا طُلَّ منا حَيْثُ كانَ قتيلُ

لأن صدر البيت -وإن تضمن وصفهم بالإقدام والصبر- ربما أوهم العجز؛ لأن قتل الجميع يدل على الوهن والقلة فكمله بأخذ الثناء، وكمل حسنه بقوله: «حيث كان، فإنه أبلغ في الشجاعة»[(١)].

ومما سبق يتضح التداخل الشديد بين المصطلحات (الاحتراس، والتكميل، والاستدراك) لدى شهاب الدين الحلبي، فقد ميز بينها من الناحية النظرية، ولم يميز من الناحية التطبيقية، بل سبق لفظ الاحتراس عباراته، كما ذكر مقصود الاحتراس في أثناء حديثه، وإنه لدفع التوهم، لكنه لم يذكر مصطلح الاحتراس.

١٦/ **محمد بن علي الجرجاني** (ت: ٧٢٩)، **في كتابه (الإشارات والتنبيهات):**

عد الجرجاني الاحتراس في النوع الثامن من باب الإيجاز والإطناب، فقال: «التكميل، ويسمى الاحتراس، وهو أن يكون الكلام محتملاً خلاف المقصود منه، فيؤتى بكلام آخر مزيل لاحتمال غير المقصود»[(٢)]، وقد فرق الجرجاني في كتابه بين الاحتراس والتذييل، ثم شرع في إيراد الشواهد الدالة على الاحتراس، ومنها قول الشاعر[(٣)]:

أشدُّ منَ الرِّياحِ الهوجِ بطشاً ... وأسرَعُ في النَّدَى منها هُبُوبا

فعقب محمد بن علي الجرجاني على هذا الشاهد بقوله: «فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأوهم أنه عنف كله، فأزال هذا الوهم بقوله:

وأسرَعُ في النَّدَى منها هُبُوبا»[(٤)].

---

(١) حسن التوسل إلى صناعة الترسل (ص: ٢٨٨).

(٢) الإشارات والتنبيهات (ص: ١٦١).

(٣) البيت للمتنبي من قصيدة يمدح فيها علي بن يسار، ديوانه (١: ١٤٢).

(٤) الإشارات والتنبيهات (ص: ١٦٢).

جاء الاحتراس في الشطر الثاني من البيت، ولم يذكر الجرجاني أنه احتراس، بل جاء بمقصد الاحتراس، وهو إزاحة التوهم ودفع اللبس؛ ولذا قال: (لأوهم)، وهي عبارة تكررت في شواهده، وقد جعل المصنف الاحتراس مصطلحاً مرادفاً للتكميل يقوم مقامه، ولم يفرق بينهما، بل قرنهما في باب واحد.

كما فرق بين الاحتراس والتتميم والتذييل، ومع أنه ذكر الفرق بين الاحتراس والتذييل، إلا أنه في أثناء عرض الشواهد والتعليق عليها فجاءت عباراته ناطقة (بالاحتراس)، ودالة عليه، وإن لم يذكر اسم الاحتراس، ومن ذلك ما أورده في باب التذييل حيث استشهد بقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧] فقال: «أي عاقبناهم بما كفروا. وأكد الجملة بقوله: ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾؛ ليرفع احتمال المعاقبة بغير الكفر من أسباب أخرى»(١)، وعبارة (رفع احتمال) تكررت في شواهد التذييل، ومعلوم أن رفع الاحتمال من مقاصد الاحتراس ولوازمه، وبدونه يحصل الخلط والدخل في المعنى.

كما جاءت عبارة (دفع توهم) عند إيراده لشواهد التذييل، ومن ذلك عند إيراده لقول الشاعر(٢):

تزورُ فتىً يعطي على الحمد مَالَهُ ... وَمَنْ يُعْطِ أثمانَ المكارِمِ يُحْمَدِ

فقال: «لما كان زيارة الممدوح غير مستلزم لحمده جاز أن يتوهم أنه يزوره بلا حمد، فرفع الاحتمال بقوله:

وَمَنْ يُعْطِ أثمانَ المكارِمِ يُحْمَدِ»(٣)

---

(١) الإشارات والتنبيهات (ص: ١٥٨) بتصرف يسير.

(٢) البيت للحطيئة من قصيدة يمدح بها بغيض بن عامربن شماس، ديوانه (ص: ١٦١).

(٣) الإشارات والتنبيهات (ص: ١٥٩).

يتضح مما سبق أن الجرجاني (ت: ٧٢٩)، فرّق بين الاحتراس ونظائره في الناحية النظرية، إلا أنه لم يُفرق في الجانب التطبيقي، وقد أعوزته الأمثلة والشواهد، وألجأته للنطق بمدلول الاحتراس.

١٧/ **النويري** (ت: ٧٣٣)[1]، **في كتابه (نهاية الأرب في فنون الأدب):**

ذكر الاحتراس باسمه، وفرّق بينه وبين التكميل والتتميم، لكنه في أثناء التطبيق لم يجد مناصاً من ذكر الاحتراس في باب التكميل عند تعقيبه على النصوص، ومن ذلك ما ذكره عند استشهاده ببيت كعب الغنوي السابق، حيث قال بعدّها: «**في عينِ العدو مَهِيبُ**» «احتراس لولاه لكان المدح مدخولاً، إذ بعض التغاضي قد يكون عن عجز، وإنما يزين الحلم أهله إذا كان عن قدرة»[2].

يتبين من عبارة النويري السابقة التداخل بين الاحتراس والتكميل، حتى عدّهما لوناً واحداً في أثناء التطبيق.

١٨/ **ابن الأثير الحلبي** (ت: ٧٣٧)[3]، **في كتابه جوهرة الكنز «تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة»:**

لم يذكر ابن الأثير الحلبيّ الاحتراس، لكنه أورد ما يدل عليه عند حديثه في باب

---

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب، شهاب الدين النويري، العلامة المقرئ المؤرخ، اللغوي، مشاركاً في عدد من العلوم، من مصنفاته: كتاب التاريخ، ونهاية الأرب، توفي سنة (٧٣٣). ينظر: الدرر الكامنة (١: ٢٤٧)، النجوم الزاهرة (٩: ٢٩٩)، حسن المحاضرة (١: ١٨٦).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، تحقيق مفيد قمحية، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (٧: ١٣١).

(٣) هو أحمد بن إسماعيل بن الأثير، نجم الدين الحلبي، لقب بالصدر الكبير، من أعلام صناعة الإنشاء، من مصنفاته: جوهرة الكنز وغيرها، توفي سنة (٧٣٧)، ينظر: الوفيات (١: ١٣٧).

التتميم والتكميل، حيث مثّل بشواهد الاحتراس التي ذكرها البلاغيون، فمثلاً في باب التكميل أورد شاهداً واحداً، وهو قول الشاعر:

حَليمٌ إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ   معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ

فقال: «فوصفه بالحلم، وهذا معنى، ثم رأى وصفه لمجرد الحلم دون غيره ربما يطمع فيه عدوه فقال: معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ»[1] فابن الأثير لم يصرّح بالاحتراس، لكنه أشار إلى مقصده.

وفي باب التتميم عند تعريفه قال: «أن تذكر معنى فلا تغادر شيئاً يتم به ذلك المعنى إلا أتيت به مكملاً لنقصه، وفائدته تكميل نقص المعاني، وتوفيه المقاصد منها، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النحل: ٩٧]، ولو لم يقل: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ احتمل أن كل من عمل صالحاً يكون له الثواب الموعود به، فيدخل الكافر إذا عمل صالحاً، وليس المراد دخول الكافر في هذا العموم»[2].

فإن ابن الأثير أورد مقصد الاحتراس من عباراته،ولم يورده باسمه، بل أتى بمصطلحات أخرى نظيرة له وتقوم مقامه، والشواهد التي ذكرها في باب التكميل والتتميم هي شواهد الاحتراس عند غيره.

١٩/ الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) في كتابه (التلخيص في علوم البلاغة)[3]:

قرن الخطيب القزويني مصطلح الاحتراس بمصطلح التكميل في باب واحد، وكأنهما مترادفان، وقال في تعريفه «التكميل –ويسمى بالاحتراس أيضاً–: وهو أن يؤتى في كلام

(١) جوهرة الكنز، لابن الأثير الحلبي، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، بدون بيانات نشر (ص: ٢٣٤).

(٢) المرجع السابق (ص: ٢٢٠).

(٣) أصل هذا الكتاب تلخيص للقسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (ت: ٦٢٦).

يوهم خلاف المقصود بما يدفعه نحو قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾»[١] [المائدة: ٥٤]، ولم يرد عند الخطيب شواهد أخرى غير ما ذُكر، إلا شاهد شعري آخر.

فكأن القزويني (ت: ٧٣٩) يرى مصطلح الاحتراس والتكميل مترادفان، ينوب كلٌ منهما عن الآخر، وهذا الذي ذهب إليه تابعه عليه غير واحد من شُراح التلخيص، فلم يفرقوا بين الاحتراس والتكميل، بل إن بعضهم اكتفى بالشواهد التي ذكرها القزويني، ولم يزد عليها بشواهد أخرى أو باستدراك.

* شروح التخليص[٢]:

---

(١) تلخيص المفتاح (ص: ٢٣٩).

(٢) تصدى غير واحد من البلاغيين لشرح كتاب التلخيص (تلخيص المفتاح للخطيب القزويني) قُصد به توضيح المختصر، وبيان المبهم، وشرح المجمل، وتنافس البلاغيون في شرح هذا الكتاب، والعناية به تنافساً منقطع النظير، ومن جملة من شرحه مؤلفه الخطيب القزويني، في كتاب أسماه (إيضاح التلخيص)، قصد به توضيح مختصره، وضم إليه ما خلا منه مما تضمنه المفتاح، وزيادات أخرى من كتابي عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وهناك الكثير من الشروح فاقت الأربعين شرحاً، نظراً لشهرته الواسعة منها على سبيل المثال: ١/ شرح محمد بن المظفر الخلخالي (ت: ٧٤٥)، وسماه مفتاح تلخيص المفتاح، ٢/ شرح تاج الدين السبكي (ت: ٧٧٣)، عروس الأفراح، ٣/ شرح محمد البابرتي (ت: ٧٨٦)، وسماه شرح تلخيص المفتاح وغيرها من الشروح، وقد تباينت الشروح وإن اتفقت في المنهج، فقد سار الشراح على منوال الكتاب الأصلي، وكان أسلوبهم في الغالب ذكر كلمة أوعبارة من الأصل، ثم اتباعها بالشرح والبيان، وهذا يدل على الجمود والركود، الذي أصاب البلاغة منذ ذلك الوقت حيث أقفرت الملكات، وتحجرت وفقدت القدرة على التجديد والابتكار. وللإطلاع على المزيد من الشروح وتفاصيلها، ينظر: البيان العربي بدوي طبانة، (ص: ٣٣٩)، وما بعدّها، بحوث بلاغية لأحمد مطلوب (ص: ٣٥١) وما بعدّها.

* لم أثبت في البحث جميع شروح التلخيص، إنما اقتصرت على بعضها ليتبين ذلك الفن –أي فن الشروح– كما أنه لم يكن هناك كبير اختلاف عن الأصل، فرأيت أن إثباتها إنما هومن باب الحشو، وقد حصلت الفائدة فيما ذكر، فلا عبرة بالمزيد (والله الموفق).

٢٠/ الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩)، **في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة)**[(١)]:

يُعدّ هذا الكتاب شارحاً لسابقه، فقد زاد الخطيب القزويني في الشواهد، كما زاد في البيان والشرح، واستهل بيانه في بداية الباب فقال: «التكميل، ويسمى الاحتراس أيضاً، ثم بيّن أقسامه فقال: «وهو ضربان: ضرب يتوسط الكلام. وضرب يقع في آخر الكلام»[(٢)]، ثم أخذ في عرض الشواهد والأمثلة، منها قول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ثم قال القزويني: «فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ علم أنها منهم تواضع لهم»[(٣)].

ومن العرض السابق يتبين أن القزويني جعل التكميل مصطلحاً مرادفاً لمصطلح الاحتراس، كما عقد القزويني باباً خاصاً لمصطلح التتميم، وفرق بينه وبين الاحتراس والتكميل، بيد أن الشواهد التي أوردها في باب التتميم وردت عند آخرين على أنها من شواهد الاحتراس.

٢١/ السُبكي (ت: ٧٧٣)، **في كتابه (عروس الأفراح):**

لم يطل السُبكي في عرض مصطلح الاحتراس، حيث أوجز الحديث، ولم يزد إلا شيئاً يسيراً على شواهد تلخيص المفتاح. فقد قال بعد ذكره لبيت طرفة بن العبد: «لأن يفهم أن المراد سقاها ما لا يُفسدها، ولكن الإطلاق قد يوهم ما هو أعم، أو أنه دعاء عليه فصرف هذا الوهم بقوله: (غيرَ مُفسِدِها)، ولهذا عيب على القائل:

أَلَا يا اِسلَمِي يا دارَ مَيٍّ عَلى البِلَى ... وَلا زالَ مُنهَلاً بِجَرعائِكِ القَطرُ

---

(١) آثرت إيراده، ليعلم الفرق بين كتابي الإيضاح والتلخيص، للخطيب القزويني.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، (ص: ١٩٤).

(٣) المرجع السابق (ص: ١٩٥).

حيث لم يأت بهذا القيد، والعيب عليه»[١].

ومن تأمل شرح السُبكي (ت: ٧٣٣)، يجد أنه لم يطل النفس في أثناء الشرح، بل كانت عباراته قصيرة ومختصرة، كذلك لم يتوسع في شرح التلخيص.

٢٢/ التفتازاني (ت: ٧٩٢)[٢]، وكتابه (المختصر على تلخيص المفتاح):

يُعدّ مختصر التفتازاني أحد شروح التلخيص المهمة، فقد سار على منهج القزويني، بل لم يزد حتى في الشواهد، فاقتصر على الشاهدين اللذين وردا في التلخيص، فقال بعد إيراده لتعريف الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩): «التكميل، ويسمى الاحتراس ؛ لأن فيه التوقي والاحتراز عن توهم خلاف المقصد. وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بما يدفعه أي: دفع خلاف المقصود، وذلك الواقع يكون في وسط الكلام، ويكون في آخره»[٣].

كان ذلك ما ذكره سعدالدين التفتازاني في مختصره.

٢٣/ جمال الدين الآقسرائي (ت: ٨٣٤)[٤]، وكتابه «إيضاح الإيضاح»:

---

(١) عروس الأفراح، السبكي (مع شروح التلخيص) نشر دار الهادي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ (ص: ٢٣٢) بتصرف يسير.

(٢) هو مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني الإمام العلامة صاحب التصانيف البديعة،كان عالماً مشاركاً في عدد من الفنون، كالنحووالمنطق من مصنفاته: الإرشاد في النحو، وشرح التلخيص، وشرح العقائد في أصول الدين توفي سنة (٧٩٢)، وقيل: (٧٩١). ينظر: بغية الوعاة (٢: ٢٨٢)، والدرر الكامنة (٦: ١١٢).

(٣) الشرح الصغير، للتفتازاني، شروح التلخيص، نشر دار الهادي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ، (ص: ٢٣١)، وما بين الأقواس عبارات الخطيب القزويني.

(٤) هو محمد بن محمد جمال الدين الآقسرائي،كان عالماً فاضلاً عارفاً بالعلوم العربية والشرعية، مشاركاً في عدد من الفنون من مصنفاته: شرح الإيضاح في المعاني، وحاشية على الكشاف وغيرهما، توفي سنة (٨٣٤)، ينظر: الشقائق النعمانية (١: ١٤)، وديوان الإسلام (١: ١١).

يتابع جمال الدين الآقسرائي من سبقه، فيجعل التكميل مصطلحاً مرادفاً لمصطلح الاحتراس، وقد استهل الباب بتعريف للاحتراس، وبيان أنواعه، ثم بين الشواهد الشعرية، وهو بذلك يسير على نهج الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩)، لكنه توسع في إيراد الشواهد والأمثلة، ويبين مقصد الاحتراس، وموقعه عند كل شاهد يذكره، ومثال ذلك عند إيراده لقول الشاعر[١]:

رَهَنْتَ يَدِي بالعَجْزِ عن شُكْرِ بِرِّهِ   وما فَوْقَ شُكْرِي للشَّكُورِ مَزِيدُ

حيث قال: «فقوله: «وما فَوْقَ شُكْرِي للشَّكُورِ مَزِيدُ» تكميل؛ ؛ لأنه يدفع وهم أنه ممن يكفر النعمة، لأن رهن اليد عن الشكر معناه ترك الشكر»[٢].

ويلحظ أن المصنف قد أكثر من عبارات:(يدفع الوهم)، و(لأوهم)، و(فأزال هذا الوهم)[٣] عند بعض الشواهد التي ذكرها، وهو بذلك مقرر لمقصد الاحتراس، ذلك أن الاحتراس إنما يأتي لدفع التوهم، ولولا وجود الاحتراس لحصل التباس في المعنى، وعدم فهم للمراد، وقد يؤدي إلى خلل في المعنى والسياق.

كما أن -الآقسرائي- انفرد بإيراد شواهد من النثر على غير عادة من سبقه، إذ الغالب في الشاهد أن يكون من القرآن الكريم، أومن السنة النبوية، أومن الشعر. ومن النثر الذي أورده جزء مقتطع من رسالة عتاب وهي: «إني وليك الذي لا تزال تنقاد إليك

---

(١) البيت لـ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، تحرير التحبير (ص: ١٥٥)، خزانة الأدب (٢: ٩)، ومعنى البيت: أني حبست نفسي عن أداء شكر النعمة بسبب عجزي عن القيام بشكره؛ لأنه مجازاته لا يستطاع، والحال أني في آداء شكر النعم أشكر من شكر كل شكور، ولا يزيد شُكر شاكر على شكري. ينظر: إيضاح الإيضاح(ص:٩٨٧) بتصرف يسير.

(٢) إيضاح الإيضاح، لجمال الدين الأقسرائي، تحقيق: ميلاد إبراهيم القذافي،نشر دار ومكتبة الشعب، بليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، (ص:٩٨٧).

(٣) المرجع السابق (ص: ٩٨٩، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤).

مودته من غير طمع ولا جزع، وإن كنت لذي الرغبة مطلباً، ولذي الرهبة مهرباً.» فقوله: «وإن كنت لذي الرغبة مطلباً، ولذي الرهبة مهرباً»، تكميل لاحتمال أن يكون من لا يطمع فيه الطامع،ولا يجزع إليه الجازع، عاجزاً ضعيفاً،غير قادر على الكرم والمعاونة»[١].

٢٤/ ابن يعقوب المغربي (ت:١١١٠)[٢]، في كتابه (مواهب الفتاح):

سلك ابن يعقوب المغربي مسلك من سبقه، فيذكر عبارات القزويني (ت: ٧٣٩)، بين قوسين، ثم يشرع في شرحها وبيانها، ومن ذلك ما أورده عند تعريف التكميل، فتوقف عند عبارة القزويني (ويسمى الاحتراس أيضاً) فقال:«أي زيادة على تسميته بالتكميل، أما تسميته بالتكميل فلتكميله المعنى، بدفع خلاف المقصود عنه،وأما تسميته بالاحتراس، فهو من باب حرس الشيء حفظه، وهذا فيه حفظ المعنى، ووقايته من توهم خلاف المقصود»[٣]، كما بين الفروق بين التكميل والإيغال والتذييل، وذكر جملة من الأمور المهمة في بيان أوجه الشبه والفروق بين تلك المصطلحات، ومن ذلك قوله:«وبينه وبين الإيغال عموم من وجه لاجتماعهما فيما يكون في الخاتمة؛ لدفع خلاف المقصود، وانفراد الإيغال فيما ليس فيه خلاف المقصود»[٤] وقد ذكر فروقاً أخرى بين تلك المصطلحات أحيل إليها[٥].

---

(١) إيضاح الإيضاح (ص: ٩٩٠) بتصرف يسير.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالى، من اللغويين، من مصنفاته :حاشيته على المحلى، وشرح مختصر المنطق للسنوسي وغيرهما، توفي سنة (١١١٠). ينظر الأعلام (١: ٢٤١)

(٣) مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربي، تحقيق عبد الحميد هنداوي،المكتبة العصرية، بيروت،الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ (٢: ٧٢١) بتصرف يسير.

(٤) المرجع السابق (ص: ٢٣٢)

(٥) المرجع السابق (ص: ٢٣٢).

٢٥/ محمد الدسوقي (ت: ١٢٣٠)[١]، وحاشيته على مختصر السعد على التلخيص:

ثم يأتي الدسوقي، ويضع حاشية على شرح سعدالدين التفتازاني لكتاب التلخيص، ويتوسع في الحديث عن الاحتراس، ووجه تسميته بالتكميل، ثم يُردف الحديث في بيان الفروق بين التكميل والتذييل، فقال: «وجه تسميته بالتكميل فلتكميله المعنى بدفع إيهام خلاف المقصود عنه، وأما وجه تسميته بالاحتراس فلأن حرس الشيء حفظه، وهذا النوع فيه حفظ للمعنى، وقاية له من توهم خلاف المقصود»[٢].

وقد ناقش الدسوقي مسألة الفرق بين التذييل والتكميل على طريقة السؤال والجواب، ومن ذلك قوله: في شرح تعريف الاحتراس (بما يدفعه) أي: بقول يدفعه سوتء أكان ذلك القول مفرداً أو جملة، أو كان للجملة محل من الإعراب أو لا، فإن قلت: التذييل أيضاً لدفع التوهم ؛ لأنه للتأكيد، فما الفرق؟

قلت: التذييل مختص بالجملة وبالآخر لدفع التوهم في النسبة، والتكميل لا يختص بشيء منها»[٣].

كما ذكر الفرق بين التكميل والإيغال، وأتى بفوائد نفيسة[٤]، ليس هنا مجال ذكرها، وقد سبقت الإشارة إلى طرف منها[٥].

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، الأزهري، العلامة المحقق مشارك في عدد من العلوم، من مصنفاته: حاشية على شرح الشيخ الدردير في فقه المالكية.. وغيرها، توفي سنة(١٢٣٠). ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (٢: ٤٠).

(٢) حاشية الدسوقي على مختصر سعد التفتازاني، مجموعة مع شروح التلخيص، (ص: ٢٣١) بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق. (ص: ٢٣١)

(٤) المرجع السابق.

(٥) ينظر مبحث: (نظائر الاحتراس). ص (٢٨) وما بعدها.

والجدير بالذكر أن حاشية الدسوقي من الحواشي المهمة، فقد تميز مصنفها بالتحرير والدقة، وقل أن توجد التحليلات والاستنباطات عند غيره.

٢٦/ شرف الدين الطيبي (ت: ٧٤٣)(١)، **في كتابه (التبيان في علم المعاني والبديع والبيان):**

يتحدث الطيبي في الباب الثاني في (التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى) عن مصطلح التكميل كمرادف للاحتراس، ولم يذكر المصطلح باسمه حيث قال: «التكميل: وهو أن يؤتى بكلام في فن فيُرى ناقصاً فيُتم بكلام آخر»، ثم أورد شواهد على هذا اللون، ومنها قول الله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال عن هذه الآية: «فلو لم يأت بالثانية لأوهم الفظاظة والغلظة، فكمل بالثانية»(٢).

فالطيبي لم يذكر الاحتراس لكنه ذكر المقصود منه بقوله: «فلو لم يأت بالثانية لأوهم»، ومعلوم أن من أسمى مقاصد الاحتراس وأولها دفع التوهم،كما أن الشواهد التي أوردها والأمثلة التي ذكرها في باب التكميل(٣) وردت عند غيره من قبيل الاحتراس، منها قول الشاعر:

حَليمٌ إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ ... معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ

وقول الآخر:

ومَا مَاتَ منا سَيدٌ في فراشِهِ ... ولا طُلَّ منا حَيْثُ كانَ قتيلُ

وقد سبقت في غير موضع الإشارة إلى موضع الاحتراس، مما يُغني عن إعادته هاهنا.

---

(١) هو شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، عالم مشارك من أنواع العلوم، قال عنه السيوطي: العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان، من مصنفاته، التبيان في البيان، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وغيرهما توفي سنة (٧٤٣)، ينظر: شذرات الذهب (٦: ١٣٧)، والبدر الطالع (١: ٢٢٩).

(٢) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق هادي الهلالي، نشر عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، (ص: ٣٧٣).

(٣) المرجع السابق. (ص: ٣٧٤- ٣٧٥).

٢٧/ السيوطي (ت: ٩١١)، وكتابه (شرح عقود الجمان)[١]:

في نهاية القرن التاسع و بدية القرن العاشر يتجلّى الإمام السيوطي الذي صنف العديد من التصانيف في علوم القرآن واللغة، فقد ذكر الاحتراس مع مصطلح التكميل، ونقل الخلاف في تسميته، وأن هذين المصطلحين مما حصل فيهما خلط واضطراب، ولم يتحرر القول فيهما عند أصحاب الفن والذوق البلاغي، فأورد التكميل، تحت عنوان أسباب الإطناب، فقال: «ومن أسباب الإطناب. التذييل والتكميل والتتميم، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يرفع ذلك الوهم، فمنه ما يقع بين المسند والمسند إليه»[٢]، ثم أورد شواهد وأمثلة لتلك الفنون البديعية، ثم ختم المبحث بقوله: «تنبيه: ربما يسمى التكميل احتراساً، وقوم منهم أصحاب البديعيات فرقوا بينهما، قال ابن حجة (ت: ٨٣٧): «التكميل يأتي لنقص المعنى والوزن معاً، والاحتراس لدخل يتطرق المعنى، وإن كان كلاماً تاماً، ووزن الشعر صحيحاً، قلت: وهذا الفرق غير واضح»[٣]. ثم عرض السيوطي لجملة من الأقوال في بيان الفرق بين مصطلح الاحتراس ومصطلح التكميل، ثم قال: «ولا يكاد يتبين لي الفرق بين الاحتراس والتكميل»[٤].

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الإمام السيوطي سبقه إليه بعض البلاغيين، فهذا عبد الباقي اليماني (ت: ٧٤٣) يقول: «لا يكاد البديعيون يحررون ثلاثة أشياء: التتميم والتكميل والاحتراس، لتداخلها»[٥].

---

(١) أصل هذا الكتاب، نظم للكتاب تلخيص المفتاح،ثم شرحه السيوطي.

(٢) شرح عقود الجمان (ص: ٧٤).

(٣) المرجع السابق، (ص: ٧٤).

(٤) المرجع السابق (ص: ٧٥).

(٥) شرح عقود الجمان (ص: ٧٥).

ومما سبق يتضح أن السيوطي جعل الاحتراس من نظائر التكميل، وقد أتى بالشواهد التي ذكرها البلاغيون في باب التتميم والتكميل أوردها في أمثلة الاحتراس[١].

٢٨/ مرعي الحنبلي (ت: ١٠٣٣)[٢]، وكتابه (القول البديع في علم البديع):

أورد الحنبلي الاحتراس باسمه، وفرق بينه وبين غيره من المصطلحات كالتكميل والتتميم فقال: «باب الاحتراس: وهو أن يأتي المتكلم بمعنىً يتوجه عليه اعتراض، فيفطن له فيأتي لما يخلصه، وهذا هو الفرق بينه وبين التكميل»[٣]، ثم أورد شواهد للاحتراس، كما أنه أعاد شواهد التكميل في باب الاحتراس، مع أنه فرق بينهما نظرياً ومن ذلك بيت كعب الغنوي:

حَليمٌ إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ   معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ

فقال في باب التكميل: «فهو تكميل؛ لأن من لم يعرف منه إلا الحلم ربما طمع فيه عدوه»[٤].

وقال في باب الاحتراس: «فلولا زيادة ما بعد حليم لكان المدح معترضاً، إذ بعض الحلم قد يكون عن عجز، وليس بحلم حقيقة، والحلم إنما هو الصفح عن قدرة كما قيل[٥]:

وحلمُ ذي العجز ذُلٌّ أنتَ عارفهُ   والحلمُ عن قُدرة ضربٌ من الكرمِ[٦]

---

(١) شرح عقود الجمان، (ص: ٧٥).

(٢) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف المقدسي، الحنبلي، من أعيان الحنابلة في مصر، لغوي بارع من مصنفاته: بديع الإنشاء والصفات والمكاتبة والمراسلات، القول البديع في علم البديع، توفي سنة (١٠٣٣)، ينظر: السحب الوابلة (٣: ١١١٨).

(٣) القول البديع في علم البديع، لمرعي الحنبلي، تحقيق: محمد الصامل،نشر دار كنوز أشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ (ص: ١٥١).

(٤) القول البديع في علم البديع (ص: ١٥٠).

(٥) البيت للشاعر سالم بن واصبة، ينظر: تحرير التحبير (١: ٦٩)، خزانة الأدب (١: ٣٧٥)

(٦) القول البديع في علم البديع (ص: ١٥٢).

* البديعيات(١):

٢٩/ صفي الدين الحلي (ت: ٧٥٠)، في كتابه «شرح الكافية البديعية»:

ذكر الحلي الاحتراس في النوع الثاني والثلاثين بعد المائة، حيث ذكره باسمه، وأورد العديد من الشواهد والأمثلة، كما فرق بين التتميم والتكميل والاحتراس، وقد استهل الحلي المبحث ببيت من بديعته ضمنه ضرباً منه الاحتراس فقال(٢):

فَوَفِّنِيْ – غَيْرَ مأمُورٍ – وُعُودَكَ لِيْ فليس رؤياك أضغاثاً من الحُلُم

ثم عرف الاحتراس فقال: «هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجّه عليه فيه دخل فيفطن له، فيأتي بما يُخلصه من ذلك، ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ أَسْلُكْ يَدَكَ فِي

(١) ظهرت البديعيات في القرن السابع الهجري، وكانت تتضمن فنوناً بلاغية، معظمها في مدح النبي ﷺ من البحر البسيط على روى (الميم) غير أنها أخذت طابعها المعروف، حيث ذاع صيت التصوف، فانتشرت البديعيات، وكثير منها مطبوع، ومنها مخطوط، ولعل أبرز البديعيات بديعية ابن جابر الأندلسي (ت: ٧٨٠)، و بديعية ابن حجة الحمودي (ت: ٨٣٧)، و بديعية صفي الدين الحلبي (٧٥٠).

ينظر: الصبغ البديعي في اللغة العربية، أحمد إبراهيم موسى، والبديعيات في الأدب العربي، على أبو زيد (ص: ١٥- ٤٠)، وبحوث بلاغية (ص: ٢١١-٢٥٦) ومناهج بلاغية (ص: ٣١٧-٣٤٥) كلاهما لأحمد مطلوب، وأخيراً فنون بلاغية لأحمد مطلوب أيضاً.

* لم أذكر جميع البديعيات، وإنما اخترت منها؛ حتى لا يطول المقام عندها، وما اخترت منها إما لقدمها في التصنيف أولثناء العلماء عليها، وليس الغرض هنا استقصاء البديعيات، إنما الهدف بيان إسهام هذا اللون البلاغي في إظهار مصطلح الاحتراس.

(٢) ديوان الحلي (ص: ٧٠١)، والاحتراس في عبارة (غير مأمور) فإن لفظة" وَفِّنِيْ" فعل أمر، ومرتبة الآمر فوق مرتبة المأمور؛ لذا احتراس من ذلك بعبارة (غير مأمور).

جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [القصص: ٣٢]، فاحترس سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾، عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص»[١]، ثم أبان المصنف الفرق بين الاحتراس والتكميل والتتميم، فقال: «إنّ المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حُسنه، إمّا بفنّ زائد أو بمعنى، والاحتراس هو لاحتمال دخل يتطرق على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الكلام صحيحاً»[٢].

كما أورد العديد من الشواهد الدائرة في محيط الاحتراس أحيل إليها[٣].

٣٠/ ابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧)، **وكتابه: (خزانة الأدب وغاية الأرب):**

هذا الكتاب شرح لبديعية صفي الدين الحلي السابقة، وقد نقل عنه، فعرف الاحتراس، ثم بيّن الفرق بين الاحتراس والتتميم والتكميل، هي ذاتها التي ذكرها الحلي، وزاد بيت من بديعيته[٤]:

فإن أقفْ غيرَ مطرودٍ بحجرتِهِ ... لم أحترسْ بعدّها من كيدِ مختصمِ

حيث قال: (فقولي: غير مطرودٍ) «هو الاحتراس الذي يليق بمقام المادح، بالنسبة إلى مقام النبي ﷺ»[٥].

فقد أورد الحمويّ الاحتراس باسمه، وبيّن كذلك مقصده في أثناء شرحه للأبيات، وأن الاحتراس يأتي لحماية المعنى من أن يتطرق له دخل، وفرّق بينه وبين غيره من

---

(١) شرح الكافية البديعية، لصفي الدين الحلي (ص:٣١٦).

(٢) المرجع السابق (ص: ٣١٧).

(٣) المرجع السابق (ص: ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨).

(٤) خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (٢: ٤٨٧).

(٥) المرجع السابق (٢: ٤٨٧).

المصطلحات من ناحية التنظير، لكنه في أثناء التطبيق خلط بينها، ومن ذلك ما أورده في باب التتميم حيث أتى بشواهد الاحتراس، وليس ذلك فحسب، بل إن عباراته لتسوقه إلى تقرير معنى الاحتراس، فقال في تعريف التتميم ما يدل على الاحتراس: «فالذي في المعاني هو تتميم المعنى، والذي في الألفاظ هو تتميم الوزن، والمراد هنا تتميم المعنى، ويجيء للمبالغة والاحتياط»(١).

ثم قال عند استشهاده ببيت طرفة بن العبد (غيرَ مُفسِدِها): احتراس واحتياط»(٢).

فالحمويّ في تعريفه قال: «يجيء للمبالغة والاحتياط»، والاحتياط من لوازم الاحتراس، حتى لا يحصل خلط أو دخل في المعنى، ثم يأتي ثانية، ويصرّح بالاحتراس في تعليقه على بيت الشاعر الجاهلي، وتكرر التصريح بمصطلح الاحتراس في باب التكميل، فقال أيضاً عند استشهاده:

حَليمٌ إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ   معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ

قوله: «إذَا مَا الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ» احتراس لولاه لكان المعنى في المدح مدخولاً، إذ بعض التغاضي قد يكون عن عجز يوهم أنه حلم، فإن التجاوز لا يكون حلماً محققاً إلا عن قدرة، وهو الذي قصده الشاعر بقوله: «إذَا ما الحِلمُ زيَّن أَهلَهُ»(٣).

ومما سبق يظهر بجلاء أن الفصل بين المصطلحات إنما جاء من الناحية النظرية، لكن في أثناء التطبيق يسوقه الشرح إلى ذكر الاحتراس أو مقصده، مما ينبئ عن التداخل الشديد بين تلك الفنون البديعية عنده وعند غيره.

---

(١) خزانة الأدب (١: ٢٧١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق (١: ٣٧٤).

٣١/ علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت: ١١٢٠)[١]، وكتابه (أنوار الربيع من أنواع البديع):

أورد المدني الاحتراس، ومثل له بشواهد من الكتاب العزيز ومن النظم، شأنه شأن من سبقه، كما أورد شواهد الاحتراس من البديعيات الأخرى كبديعية الموصلي، والمقرئ، والعلوي وغيرهم.

كما عرّف الاحتراس بقوله: «الاحتراس في اللغة: التحفظ، وفي الاصطلاح: أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، أو يوهم خلاف المقصود، فيتنبه له فيأتي بما يُخلصه من ذلك، وهو في التنزيل كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، احتراس، ؛ لئلا يتوهم نسبة الظلم إلى سليمان»[٢]، ثم أورد شاهد الاحتراس من بديعته وهو قوله:

وكم مننتَ بلا منٍّ على وَجِلٍ   من احتراسِ حلولِ الخَطبِ لم يَنَمِ

فقولي: «بلا منٍّ» هو احتراس ؛ لئلا يتوهم أن قوله: «وكم مننت» من المنّ، بمعنى تعديد ما فعل من الصنائع، مثل أن يقال: أعطيتك وفعلت لك، وهو تكرير وتعيير تنكسر منه القلوب»[٣].

---

(١) هو علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين، المعروف بابن المعصوم المدني الحسيني الحسني، لغوي، مؤرخ، من مصنفاته: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، توفي سنة (١١٢٠)، وقيل: (١١١٩)، ينظر: ديوان الإسلام (١: ٨٨)، والبدر الطالع (١: ٤٢٨).

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، لعلي صدر الدين المدني، تحقيق: شاكر هادي، نشر مطبعة النعمان، بالنجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٩، (٦: ٢٨٥).

(٣) أنوار الربيع (٦: ٢٨٩).

ولعلي المدني كلام جد نفيس حول الفرق بين الاحتراس والتكميل، حيث يرى أن أكثر علماء المعاني جعلوا التكميل والاحتراس شيئاً واحداً، أما أصحاب البديعيات فقد فرقوا ، فقال: «التكميل يرد على المعنى التام، فيكمل أوصافه، والاحتراس يرد على المعنى الموهم خلاف المقصود فيدفع ذلك»(١).

كما عاب على ابن حجة الحموي تفريقه بين الاحتراس والتكميل، واعترض عليه في الشواهد التي أوردها، فقال:«وهل هذا إلا تهافت؟ وقد أورد الصفي أمثلة هي بنوع الاحتراس أولى»(٢).

ومع أن المدني عاب على غيره الاضطراب في تحرير المصطلحات، إلا أنه وقع بمثل ما وقعوا به، بل نقل عباراتهم في بيان الفروق، ولم يزد فروقاً أخرى.

---

(١) أنوار الربيع (٥: ١٨٦).

(٢) المرجع السابق (٥: ١٨٦) بتصرف يسير.

المطلب الثاني

المصنفون في علوم القرآن

إن المتتبع للدراسات القرآنية لا يجد لمصطلح (الاحتراس) ذكراً كبيراً إلا ما ورد من إشارات متناثرة في بطون الكتب، دون تأصيل أو تأسيس، أو بحث أو استقصاء، لكن الاحتراس جاء بإشارات متفرقة، وإلماحات سريعة عند من عُني بالتأليف في الدراسات القرآنية.

كما -بدا لي- أن مصطلح الاحتراس قليل الاستعمال في القرون الخمسة الأولى، وربما ورد في غير مصطلحه؛ لذا سأورد من تلك الإشارات ما أقف عليه من تضاعيف تلك المصنفات[1] التي عُنيت بعلوم القرآن.

١/ ابن قتيبة (ت: ٢٧٦) في كتابه (تأويل مشكل القرآن):

وردت الإشارات واضحة لمصطلح الاحتراس عند أبي قتيبة متناثرة في كتابه، وبخاصة ما يتعلق بنفي المجاز، ومن ذلك ما أوره في قول الله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] حيث قال: «أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار»[2].

---

(١) هناك غير واحد من المصنفات التي أولت العناية بعلوم القرآن بعامة، أو بلون من علوم القرآن، كالكتب التي عُنيت بمجاز القرآن، أوتوجيه متشابهه، أوفي مشكلات آيات القرآن أوغيرها، كل ذلك كان محور الدراسة، وقد سعيت جاهدة للوقوف على كثير منها أوما غلب على ظني أني أجد فيه ضالتي، وقرأت تلك المصنفات للوقوف على الاحتراس أو أحد نظائره أو مقصده، وربما فاتني منها، وحسبي أنني حاولت قدر المستطاع، كما أني رجعت إلى بعض المصنفات ولم أجد فيها ما يدل على الاحتراس، مثل: الإكسير في علم التفسير للطوفي، وفنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي، وملاك التأويل لأبن الزبير الغرناطي، وبدائع التفسير لابن قيم الجوزية، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي. وقد ظهر لي من خلال تتبع المصنفات في علوم القرآن أنها لم تعن بمصطلح الاحتراس باعتباره مصطلحاً قائماً بنفسه.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:١١١).

٢/ الباقلاني (ت: ٤٠٣)[١] في كتابه (إعجاز القرآن):

لم يذكر الباقلاني (الاحتراس) بمصطلحه لكنه أورد نظائره: (التكميل والتتميم) كما ذكر شواهد عدّها آخرون من باب الاحتراس، فقال: «ومن البديع التكميل والتتميم، كقول نافع بن خليفة:

رجالُ إذا لم يُقْبَلِ الحقّ مِنهمْ ... ويعطوهُ عَادوا بالسيوفِ القَواضب

وإنما تم جودة المعنى بقوله: «ويعطوهُ»[٢].

٣/ الخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠)[٣] في كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل):

خلا كتاب الإسكافي من الإشارة إلى مصطلح الاحتراس أو أحد نظائره، لكنه أبان عن مقصد الاحتراس، وذكره في قوله: «دفع التوهم»، ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فقال في عرضه للآيات المشابهة في الأمر باستقبال الكعبة من أي مكان: «كان يتوهم أن للقرب حرمة لا يثبت مثلها

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني من أعلام الأشاعرة، وله مصنفات كثيرة منها: إعجاز القرآن، والانتصار للقرآن وغيرهما، توفي سنة (٤٠٣). ينظر: تاريخ بغداد (٥: ٣٧٩).

(٢) إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار الجيل، ببيروت، ١٤٢٦هـ، (ص: ١٤٧).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، له الكثير من التصانيف التي تدل على علمه، منها مفقود، ومنها مخطوط، مثل: درة التنزيل وغرة التأويل، ولطف التدبير في سياسات الملوك، ومختصر كتاب العين وغيرها، توفي سنة (٤٢٠)، ينظر: الوافي بالوفيات (٣: ٣٣٧)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١: ١٤٩).

للبعد، فوقعت مظاهرة بالأمر بتولي القبلة في القرب والبعد»[١]، فزال توهم القرب بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾.

ولم أقف إلا على مواضيع يسيرة، ربما لأن مقصود الإسكافي في كتابه جَمْعُ الآيات المتشابهة، ولم يعنَ ببلاغة القرآن والوقوف عليها، وإن أشار إليها في مواضع ودعا إليها السياق، واقتضاها المقام.

٤/ زين الدين الرازي (ت: ٦٦٦) **في كتابه (أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها)**[٢]:

أورد الفخر الرازي الاحتراس في إجابته عما يُشكل من آي التنزيل، فيذكر الاحتراس باسمه، وأخرى بنظيره، وثالثة بمقصده، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١] حيث قال: ما فائدة قوله تعالى في وصف الأصنام: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾، بعد قوله: أموات؟ قلنا: فائدته أنها أموات لا يعقب موتها حياة، احترازاً عن أموات يعقب موتها حياة، كالنطف والبيض، والأجساد الميتة، ولعل ذلك أبلغ في موتها، كأنه قال: أموات في الحال، غير أحياء في المآل»[٣].

فالرازي لم يذكر مصطلح الاحتراس، وإنما أورد أحد نظائره وهو(الاحتراز).

وربما أورد المقصود من الاحتراس بالاستغناء عنه وعن نظائره، والاكتفاء بمقصده وما يدل عليه، ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] فقال: «فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ بعد قوله: ﴿كُلُوا۟

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي، تحقيق: محمد مصطفى آيدين،نشر معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (١: ٣٠٦) بتصرف يسير.

(٢) طبع هذا الكتاب بعنوان (إنموذج جليل من أسئلة وأجوبة غرائب التنزيل) تحقيق: د/ عبدالرحمن المطرودي.

(٣) أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، للرازي، نشر المكتبة العصرية، بصيدا، ١٤٢٦هـ، (ص: ١٥٩).

مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ ومعلوم أنه إنما يؤكل من ثمره إذا أثمر. قلنا: فائدته نفي توهم توقف الإباحة على الإدراك والنضج بدلالته على الإباحة من أول إخراج الثمر»[١].

وأخيراً فإن هناك العديد من النماذج في هذا المضمار أحيل إليها؛ لئلا يطول المقام[٢].

٥/ عز الدين بن عبد السلام (ت: ٦٦٠)[٣] في كتابه (فوائد في مشكل القرآن):

أورد عز الدين بن عبدالسلام (الاحتراز) مصطلحاً نظيراً لمصطلح الاحتراس، وأورد ما يدل على مقصوده بإيراده عبارات تدل على ذلك كقوله: (لدفع توهم) و(لرفع احتمال) و(احترازاً من التوهم) وغيرها من العبارات الدالة على مقصود الاحتراس، والمغزى منه، ومن ذلك ما أورده في قول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] حيث قال: «هل قوله: سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ تأكيد، أو يفيد فائدة؟.. والمقصود في هذه الآية الوفاء بالعهد الذي يقع بيننا، فأتى بـ(إذا) متضمنة للشرط للدلالة على الاستقبال احترازاً من توهم العهد الماضي يوم الذر[٤]»[٥].

---

(١) أسئلة القرآن المجيد (ص: ٨٩).

(٢) المرجع السابق (ص: ٢٠، ٢١، ٤٩، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ١٥٠، ١٥١، ١٥٩، ٢٠٤، ٢١٤، ٢٦٥، ٣٢٩).

(٣) هو أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، الملقب بسلطان العلماء برع في الفقه، والأصول، والعربية، وأقر له ببلوغ مرتبة الاجتهاد، من مصنفاته: فوائد في مشكل القرآن.وغيره، توفي سنة (٦٦٠)، ينظر: شذرات الذهب (٥: ٣٠١)، وطبقات الشافعية (٨: ٢١٤).

(٤) وهو العهد الذي أخذه الله من عباده وهم في صلب آدم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، ينظر: سورة الأعراف آية (١٧٣ - ١٧٤) إن الله عز وجل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، وقال: يا آدم هؤلاء ذريتك أخذنا ميثاقهم على أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً، قال آدم: نعم يا رب، فلما أخرجهم قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. ينظر: المستدرك كتاب الإيمان (١:٨٠)

(٥) فوائد مشكل القرآن، للعز بن عبد السلام، تحقيق: سيد رضوان، نشر دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، (ص: ١٥٥) بتصرف.

كما ذكر المقصود من الاحتراس دون ذكر المصطلح، ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٥]، فقال: ما فائدة قوله: ﴿ إِذَا كِلْتُمْ ﴾ مع أن الإنسان لا يمكنه أن يوفي الكيل قبل أن يكتال أو بعدّه، بل لا يمكنه ذلك إلا إذا اكتال.

الجواب: له فائدة حسنة، وهي أن الذي يباشر الكيل تارة يقبض لنفسه، وتارة يوفي غيره ،فإذا قبض لنفسه فيقال: اكتال، وإذا كان يوفي غيره يُقال: كال، والأمر بالوفاء إنما يكون إذا كال، وأما إذا اكتال فيؤمر بأن يترك ويُسامح، فلو لم يأت بقوله: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ لأوهم: إذا اكتلتم، وليس مراده»[١].

وهناك مواطن أخرى أورد فيها المؤلف المقصد من الاحتراس دون التصريح بذكره، أحيل إليها[٢].

٦/ **ابن النقيب** (ت: ٦٩٨)[٣] **في كتابه (مقدمة تفسير ابن النقيب)**[٤]:

أورد ابن النقيب (الاحتراس) في القسم التاسع والعشرين من أقسام المعاني، وعرّفه بتعريف -وإن لم يكن دقيقاً- لكنه أفصح عن المصطلح والمراد منه، فقال: «الاحتراس: وهو أن يذكر لفظة ظاهرها الدعاء بالخير والنفع، وذلك بما في ضمنه من الشر، فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم، وتدفع ذلك الوهن مثل قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي

---

(١) فوائد في مشكل القرآن (ص: ١٦٦ - ١٦٧).

(٢) ينظر على سبيل المثال (ص: ٥٨، ٧٥، ٨٨، ١١٦، ١١٧، ١٥٠، ١٦٦، ١٧٠..).

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب الحنفي المقدسي، المفسر الكبير، من مصنفاته: التفسير المسمى التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير، توفي سنة (٦٩٨). ينظر: الجواهر المضيئة (٢: ٤١٠).

(٤) نسب هذا الكتاب خطأ لابن قيم الجوزية، وهو في الحقيقة مقدمة تفسير ابن النقيب، وذكر ذلك غير واحد من الباحثين، فقالوا: إن الفوائد المشوق ليس لابن قيم الجوزية، ينظر: مدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة والجماعة، محمد الصامل (ص: ٩٦)

ﱡﭐﭐﭐٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﱠ [آل عمران: ٤٦]، وكان في العادة أن من تكلم في المهد لا يعيش، ولا يتمادى به العمر، فحصل الاحتراس بقوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ يريد أنه ليس يموت عاجلاً كأمثاله ممن تكلم في المهد، بل يعيش إلى أن يبلغ الكهولة»[1]، ثم أتبع هذا الشاهد بشواهد أُخر، وقال في نهايتها: «ومثله في القرآن والشعر كثير»[2].

وقد فرّق ابن النقيب بين الاحتراس والتكميل والتتميم، وجعل كل نوع في قسم، لكنه خلط في إيراد الشواهد، فتكررت تحت أبواب عدة، وفي ذلك إشارة إلى التداخل الكبير بين تلك الفنون، بل إنه في تعريف التتميم ألمح إلى مصطلح الاحتراس فقال: «التتميم: وهو أن تردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس، وتقرَّ به إلى الفهم، وتزيل عنه الوهم، وتقرّره في النفس»[3]، وهذا هو عين المقصد من الاحتراس، وإن ذكره بغير اسمه، وبغير ما اصطلح عليه البلاغيون.

٧/ ابن الريان (ت: ٧٧٠)[4] **في كتابه (الروض الريان في أسئلة القرآن):**

أورد ابن الريان الاحتراس في كتابه بعدة أسماء بمصطلحه، وأخرى بأحد نظائره، وثالثة بذكر مقصده، فيقول: «لئلا يتوهم»، أو «لدفع التوهم»، وغير ذلك. ومن ذلك ما ذكره في السؤال رقم (٥٤١)، في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١]، جميعهم كانوا تابعين للشياطين عابدين له، فما وجه قوله: ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾، وهو يدل على أن فيهم من لم يؤمن بالجن؟

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، المنسوب لابن قيم الجوزية، نشر مكتبة الهلال، ببيروت، (ص: ٢١٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) هو شرف الدين الحسين بن سليمان بن الريان الطائي الحلبي، من العلماء البارزين من مصنفاته: الروض الريان، وزهرة الربيع في علم البديع، وغيرهما. توفي سنة (٧٧٠)، ينظر: الدرر الكامنة (٢: ٥٥)، والوافي بالوفيات (١٢: ٣٧٤).

الجواب: احترازاً من الملائكة عن دعوى الإحاطة بهم؛ لأن الذين رأوهم، واطلعوا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن، ويؤمنون به، ولعل في الوجود من لم يُطلع الجن، ويؤمنون بهم، ولعل في الوجود من لم يُطلع الله الملائكة عليه من الكفار»(١).

وقال في موضع آخر في قول الله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] «ما فائدة ذكر أربعين لأن كل أحد يعلم أن الثلاثين مع العشرة تكون أربعين؟

الجواب: فيه إزالة التوهم أن تكون العشرة من نفس الثلاثين، فلما ذكر الأربعين زال الإبهام»(٢)، وهناك العديد من المواضع ذكر منها الاحتراس باسمه أو مقصده أحيل إليها(٣).

٨/ الزركشي (ت: ٧٩٤) في كتابه (البرهان في علوم القرآن):

أفرد الزركشي الاحتراس في القسم الثالث والعشرين من أنواع الخروج على خلاف الأصل.

فأورد تعريف الاحتراس، ومثّل له من آيات القرآن الكريم، فقال: «الاحتراس: وهو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال كقوله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [القصص: ٣٢] فاحترس سبحانه بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص»(٤).

كما أطال الزركشي (ت: ٧٩٤) في استعراض الآيات الكريمة التي جاء فيها أسلوب الاحتراس، أحيل إليها ؛ لئلا يطول المقام(٥).

---

(١) الروض الريان في أسئلة القرآن، لابن الريان، تحقيق: عبد الحليم السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (٢: ٣٣٩).

(٢) المرجع السابق (١: ٦٧).

(٣) ينظر على سبيل المثال: (١: ١٧٣، ٢٨٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٥).

(٥) ينظر على سبيل المثال (٣: ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨).

ومع أن الزركشي أفرد له باباً مستقلاً إلا أنه ذكره في ألوان أخرى، فذكر ما يدل على الاحتراس في حديثه عن الاستدراك، والاستثناء والتوكيد، مما يدل على أن الشواهد المحددة تتنازعها فنون عدة من فنون البلاغة.

٩/ السيوطي (ت: ٩١١) **في كتابه (الإتقان في علوم القرآن):**

قرن السيوطي بين الاحتراس والتكميل في النوع السابع عشر من أنواع الإطناب، فقال: «التكميل، ويسمى بالاحتراس، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، نحو: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فإنه لو اقتصر على ﴿أَذِلَّةٍ﴾ لتوهم أنه لضعفهم، فدفعه بقوله: ﴿أَعِزَّةٍ﴾، ومثله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، لو اقتصر على ﴿أَشِدَّاءُ﴾ لتوهم أنه لغلظهم»[١].

ثم أورد السيوطي الشواهد القرآنية على هذا النوع[٢]، ومما سبق يظهر أن السيوطي جعل التكميل مرادفاً للاحتراس، يقوم مقامه في التعبير، ويدل عليه إذا ذُكر، وقد تقدم أن السيوطي في كتابه (شرح عقود الجمان) فرّق بين الاحتراس والتتميم والتكميل. وذكر أن من الصعب التفريق بينها، وأن التفريق بينها من الأمور التي اضطرب فيها البلاغيون.

١٠/ السيوطي (ت: ٩١١) **في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن):**

يسير السيوطي على منهجه في كتابه السابق، فيقرن مصطلح الاحتراس بمصطلح التكميل في باب واحد، وكأنه بذلك جعله رديفاً له، ينوب عنه في السياق و في أثناء التعبير؛ فقال: «التكميل، ويسمى بالاحتراس، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم»[٣] نحو: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٦٢٧).

(٢) المرجع السابق (ص: ٦٢٧ وما بعدها).

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (١: ٢٧٩)، بتصرف يسير.

١٨]، فقوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ احتراس؛ ؛ لئلا يتوهّم نسبة الظلم إلى سليمان.

ومثله: ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] ، فالجملة الوسطى احتراس؛ لئلا يتوهم أن التكذيب في نفس الأمر»[(١)].

ثم يشرع السيوطي في عرض المزيد من الشواهد، في هذا المضمار، وهي قريبة من الشواهد التي ذكرها في كتابه الإتقان[(٢)].

١١/ أبو يحيى زكريا محمد الأنصاري (ت: ٩١٠)[(٣)]، وكتابه (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن):

يذكر أبو زكريا الأنصاري الاحتراس باسمه تارة، وبأحد نظائره تارة أخرى، ومن المواضع التي ذُكر فيها الاحتراس باسمه ما أورده في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فقال: «فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿بِدَيْنٍ ﴾ مع أنه معلوم من ﴿تَدَايَنتُم ﴾؟ قلت: فائدته الاحتراس عن الدين بمعنى المجازاة،يقال:داينت فلاناً بالمودة: أي جازيته بها، وهو بهذا المعنى لا كتابة فيه، ولا إشهاد»[(٤)].

---

(١) المرجع السابق (١: ٢٧٩).

(٢) المرجع السابق (١: ٢٧٩) وما بعدّها.

(٣) هو زكريا بن محمد أبويحيى الأنصاري، الشافعي، القاضي، المفتى الفقيه العلامة، مشارك في عدد من الفنون، كالتفسير والفقه والنحو، من مصنفاته: أدب القاضي على مذهب الشافعي، وتحرير تنقيح اللباب في الفقه، وفتح الباقي بشرح ألفية العراقي، وغيرها، توفي سنة (٩١٠) وقيل (٩٢٦)، ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (١: ٣٦٣)، وهدية العارفين (٥: ٣٧٤).

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ليحيى الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، نشر المكتبة العصرية، بصيدا، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، (ص: ٤٤).

كما أورد الأنصاري ما يدل على مقصد الاحتراس، بإيراده عبارات تدل على ذلك، كقوله: (دفع توهم، أو ؛ لئلا يتوهم) ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، حيث قال: «إن قلت: ما فائدته مع علمه مما قبله؟ قلت: فائدته التوكيد، والعلم بأن العشر ليال لا ساعات، ورفع توهم أن تكون العشر داخلة في الثلاثين، بمعنى أنها كانت عشرين وأتممت بعشر»[1]، وهناك العديد من الأمثلة في ذلك أحيل إليها[2].

١٢/ السعدي (ت: ١٣٧٦) **في كتابه (القواعد الحسان):**

ذكر السعدي الاحتراس في كتابه (القواعد الحسان) في القاعدة السابعة والعشرين، تحت مصطلح المحترزات بعنوان: (في أن المحترازات في القرآن تقع في كل المواضع في أشد الحاجة إليها) ولم يذكر تعريفاً لهذا المصطلح، إنما قال: «وهذا أعلى أنواع التعليم الذي لا يُبقي إشكالاً إلا أزاله، ولا احتمالاً إلا وضّحه»[3]، وهذا وإن لم يكن تعريفاً علمياً، إلا أنه ينبئ عن مصطلح الاحتراس والهدف الذي يرمي، ثم أورد السعدي جملة من الشواهد والأمثلة، منها قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [هود: ١٠٩]، حيث قال: «لما كان قد يقع في الذهن أنهم حجة وبرهان، فأبان بقوله: ﴿ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُ ﴾ أنهم ضُلال اقتدوا بمثلهم، ثم لما كان قد يتوهم المتوهم أنهم في طمأنينة من قوله:م، وعلى يقين من مذهبهم، وربما توهم

(١) فتح الرحمن (ص: ١٢١).

(٢) ينظر على سبيل المثال (ص: ٩، ٣٤، ٣٦، ٦٧، ٩٨، ١٥٥، ١٢١، ١٢٧، ١٧٥، ١٧٩، ٢٢٣، ٢٣٢، ٤١٦).

(٣) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، للسعدي، اعتناء خالد السبت، نشر دار ابن الجوزي، بالدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، (ص: ٧٦) بتصرف يسير.

أيضاً أن الأليق أن لا تبسط لهم الدنيا احترازاً من ذلك بقوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١٠٩- ١١٠]»(١).

ويتبين مما تقدم أن السعدي أشار إلى الاحتراس بنظيره، وهو الاحتراز، كما ذكر المقصد من الاحتراس وهو دفع التوهم، فأورده في مواطن عدة، منها في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد: ١٠]، فقال: «ربما توهم أحد أن المفضولين ليس لهم عند الله مقام ولا مرتبة، فأزال هذا الوهم بقوله: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ثم كان ربما يتوهم أن هذا الأجر يُستحق بمجرد العمل المذكور، ولو خلا من الإخلاص، فأزال هذا الوهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾»(٢)، كما ذكر السعدي العديد من الشواهد التي تدور حول معنى الاحتراس، ثم ختم الباب بقوله: «ومن كان حسن الفهم رأى من هذا النوع شيئاً كثيراً»(٣).

كانت تلك هي أهم المصنفات التي عَرضت لمصطلح الاحتراس في أطواره المختلفة، وقد حرصت جاهدة في الوقوف على أكثرها، وبيان مكان ومكانة الاحتراس في تلك المصنفات، ومن العرض التاريخي لرحلة الاحتراس لدى المصنفين في البلاغة وعلوم القرآن: تبين لي ما يلي:

- أن البلاغيين هم أكثر من عرض لمصطلح الاحتراس في مصنفاتهم، سواء أكان مستقلاً بذاته، أم من اقترانه بغيره كمصطلح التكميل مثلاً.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) القواعد الحسان (ص: ٧٧).

(٣) المرجع السابق.

- أن البلاغيين حصل لهم خلط في التفريق بين الاحتراس ونظائره تطبيقاً، حيث إن أكثرهم قد ذكر فروقاً بين الاحتراس ونظائره، فروقاً تكاد تكون جوهرية، لكن في أثناء التطبيق تعوزهم الأمثلة وتختلط عليهم، فتذكر الأمثلة والشواهد ذاتها حتى لدى المصنف نفسه.
- أن المصنفين في علوم القرآن لم يظهر لديهم الاحتراس مصطلحاً قائماً بذاته، إنما يوردون ما يدل على أن مصطلح الاحتراس هو مقصدهم سواء بذكر نظيره (الاحتراز)، أو بذكر المقصد منه، بعبارات تدل على ذلك، كقوله:م (لدفع توهم) أو(؛ لئلا يتوهم).. وغيرها.
- لم يغب لدى المصنفين في علوم القرآن معنى الاحتراس، وإن غاب عنهم اسمه ورسمه، ولعل في المناهج لتلك المصنفات دوراً في ذلك، حيث لم تهتم بالبلاغة القرآنية.
- أن مسألة استخراج الاحتراس وتسميته مسألة يحكمها الذوق البلاغي، والثروة العلمية.

❀❀❀

الفصل الثاني

الاحتراس في دراسات اللغويين

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عناية اللغويين بالبلاغة القرآنية.

المبحث الثاني: مواقع الاحتراس مع ما قبله وما بعدّه.

المبحث الثالث: علاقة الاحتراس بالإطناب وأنواعه.

المبحث الرابع: علاقة الاحتراس ببقية فنون البلاغة.

المبحث الأول
عناية اللغويين بالبلاغة القرآنية

ظهرت عناية اللغويين في البلاغة القرآنية في وقتٍ مبكرٍ، منذ بدايات التصنيف على اختلاف مجالاتها.

كما يرى الناظر والمتأمل في الدراسات التي عُنيت بالبلاغة القرآنية أنها انقسمت قسمين(١):

الأول: مصنفات لم تكن تهدف إلى البحث في البلاغة، أو البلاغة القرآنية ابتداءً، إنما صنفت في فنون أخرى، كالنحو والتفسير، وغير ذلك، لكنها لم تخلُ من إشارات بلاغية، أو ومضات بيانية، كانت لبنات في طريق تأصيل وتأسيس علم البلاغة، ولم يقصد أصحابها التمثيل لعلم البلاغة أو التصنيف فيه، وهي مصنفات كثيرة، جاءت منذ بدايات التصنيف في مختلف الفنون(٢).

الثاني: مصنفات قصد أصحابها أن تكون في البلاغة، ووُجِد فيها إشارات واضحة، وتأصيل لعلم البلاغة، وهذه المصنفات تنقسم قسمين:

الأول: مصنفات في البلاغة بعامة، ولم تعن بالبلاغة القرآنية، بصفته مطلباً أساساً، إنما جاءت الآيات القرآنية شواهد على فنون البلاغة، فلا يكاد يخلو كتاب بلاغي، أو

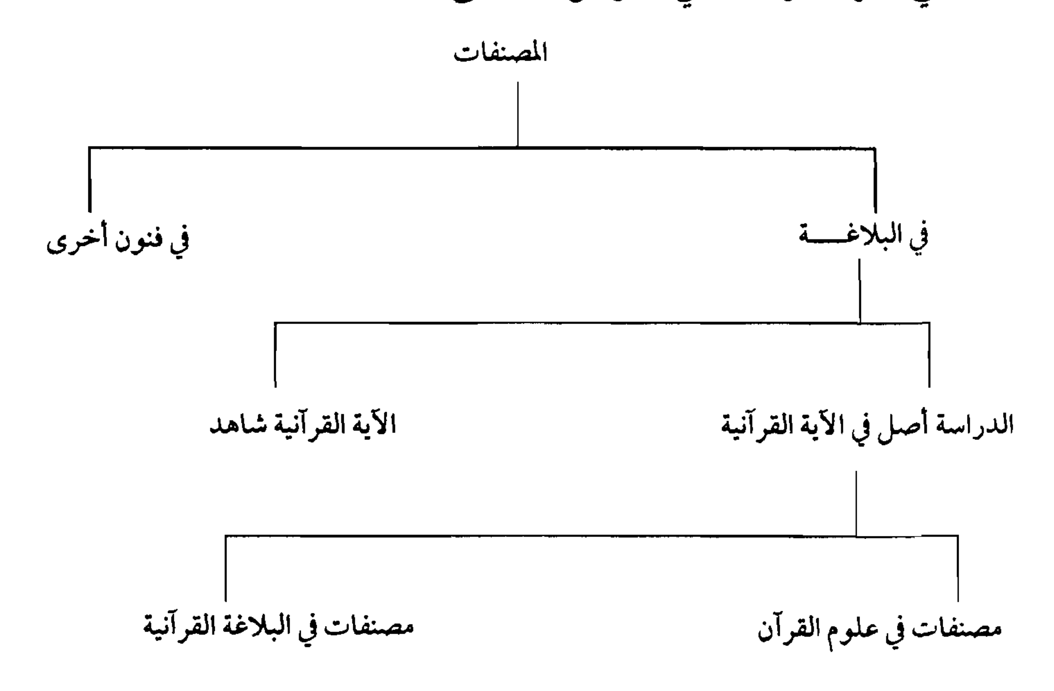
---

(١) حين وقفت على ما كتبه اللغويون في التصنيف في البلاغة القرآنية، وجدت أن لديهم تقسيماً جميلاً، فقد قُسم اللغويون إلى (لغويين، ونحاة، وكتاب، وشعراء، ونقاد) ممن لهم إسهام في البحث البلاغي بعامة، ولكنني آثرت التسلسل التاريخي، للدراسات لأقف على التطور التاريخي والحقيقي للعناية بالبلاغة القرآنية، بغض النظر عن المصنف وكتابه؛ هل هو لغوي أو نحوي أو نقدي. وما أشبه ذلك، و قد أخترت أن تأخذ الدراسة الطابع اللغوي المجمل بعيداً عن التفصيلات التي عُني به المختصون، لأن بسط تلك المسائل يتطلب بحثاً مختصاً، وهذا لا يمكن يستعرضه هذا المبحث اليسير.

(٢) ومن تلك المصنفات التي عُنيت بالبلاغة وهي في فنون أخرى، تفسير الإمام الطبري(ت: ٣١٠)، وتفسير القرطبي (ت: ٦٧١)، وتفسير البيضاوي (ت: ٦٨٥)، وحواشي تفسير البيضاوي، على اختلافها، وسيبويه (ت: ١٨٠) في الكتاب، والفراء (ت: ٢٠٧) في معاني القرآن، وابن قتيبة (ت: ٢٧٦) في تأويل مشكل القرآن، والزجاج (ت: ٣١١) في معاني القرآن و إعرابه.. وغيرها.

لغوي من الشاهد القرآني، إذ هو رأس شواهد الفنون البلاغية، فهو أول ما يورده البلاغي، لبيان أن هذا اللون، وذلك الفن موجود في الأسلوب واللسان العربي. وتكاد تكون عامة المصنفات البلاغية من هذا النوع[١].

الثاني: مصنفات قصد مصنفوها أن تكون آيات القرآن الكريم هي محور الدراسة، فعمدوا إلى بيان بلاغتها، والبحث في أسرارها وحِكمها وأحكامها، وهذا القسم تتنازعه المصنفات في علوم القرآن، من جهة والمصنفات في البلاغة القرآنية من جهة أخرى[٢]، وستكون الدراسة حول المصنفات التي تكون فيها الآيات القرآنية أصل، أما الآيات التي تكون شواهد فهي أكثر من أن تُحصى.



(١) ويدخل في هذا اللون -كما يبدولي- البديع لابن المعتز (ت: ٢٩٦)، والبيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥)، ونقد الشعر لابن منقذ (ت: ٥٨٤)، والتحرير والتحبير، لابن أبي الإصبع (ت: ٦٢٤).. وغيرها.

(٢) ويدخل في هذا اللون: معاني القرآن، للفراء (ت: ٢٠٧)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠)، ودرة التنزيل للإسكافي (ت: ٤٢٠)، والجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا (ت: ٤٨٥)، والروض الريان، لابن ريان (ت: ٧٧٠).. وغيرها.

وقبل أن نعرض لعناية اللغويين بالبلاغة القرآنية، تجدر الإشارة إلى بداية الاهتمام بها، والالتفات إليها، فأجد لزاماً أن أشير إلى أمور أراها وثيقة الصلة في البحث في البلاغة القرآنية بخاصة وهي:

أولاً: قضية الإعجاز القرآني، كانت دافعاً قوياً للبحث في البلاغة القرآنية.

ثانياً: نشأة الطوائف المبتدعة التي عمدت إلى تأويل كثير من الآيات التي تنافي معتقدهم الباطل، ولا سيما المتكلمين والمعتزلة[١].

ثالثاً: المصنفات التي تناولت البلاغة القرآنية تباينت في إيراد الآيات القرآنية بين كونها دافعاً لتأليف، أو شاهداً في التصنيف.

تلك في نظري أهم الخطوط الرئيسية التي نشأت فيها وترعرت البلاغة القرآنية[٢]، فأقول -وبالله التوفيق-: ارتبطت البلاغة القرآنية منذ البدايات الأولى بقضية الإعجاز القرآني، فقد نزل القرآن الكريم وكان حجة بلاغية، ومعجزة ظاهرة، وقف العرب حيالها مبهورين، لا يستطيعون لعجزهم رداً، ولا لتأثرهم إنكاراً، وثبت عجزهم، وقد تحداهم الله سبحانه وتعالى أن يأتوا بمثله أو بعشر سور، أو حتى بسوره، فصور القرآن الكريم حالهم بقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي

(١) لا يعني هذا أنه لم تكن هناك مؤلفات لأهل السنة في البلاغة القرآنية، بل كان لهم مصنفات تركت الأثر الواضح فيما أُلّفت بعدّها، لكن إذا ما قيست بالطوائف المبتدعة، فإنها ستبقيها في النشأة، ومن مصنفات أهل السنة والجماعة في البلاغة القرآنية: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ت: ٢٧٦)، وبيان إعجاز القرآن، للخطابي (ت: ٣٨٨) وغيرهما.

(٢) ينظر: بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، فتحي أحمد عامر. وأثر القرآن في تطور النقد العربي، لمحمد زغلول، والبلاغة تطور وتاريخ، لشوقي ضيف.

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣- ٢٤]، فثبت عجزهم، وهم أصحاب لسان وبلاغة، وما وجدوا سبيلاً للرد على عجزهم سوى محاربة النبي ﷺ، وقد سجل التاريخ كثيراً من أقوال كفار قريش وصناديدهم في وصف النبي ﷺ، ووصف ما جاء به، فصار ذلك شغلهم الشاغل.

كانت تلك هي اللبنة الأولى في الالتفات إلى بلاغة القرآن الكريم، وقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بقضية الإعجاز القرآني، وسرت هذه النزعة إلى القرون التالية، فأكبوا على القرآن الكريم تأملاً ودراسة، فتوقفوا عند ألفاظه ومعانيه؛ لاستخراج دقائق أحكامه وحكمه.

بل ربما ساقت آية من آيات الذكر الحكيم لتأليف مصنف، فقد ألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠)[١] سفره العظيم (مجاز القرآن)[٢]، بسبب آية في قصة طويلة،مفادها أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥] وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عُرف مثله، والعرب لم تر الشياطين ولا رؤوسها، فكيف يُخوفون بها لا

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري، مولى بني تيم، عالم بالعربية، ومن أكثر الناس رواية لها، من مصنفاته :كتابه المشهور: مجاز القرآن، توفي سنة (٢١٠) ينظر: مراتب النحويين (ص: ٧٧)، وطبقات النحويين واللغويين (ص: ١٧٥).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى-: (وأول من عُرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبوعبيدة معمر بن مثنى في كتابه (مجاز القرآن)، ولكن لم يُعن بالمجاز ما هوقسيم الحقيقة، إنما عنى بمجاز الآية ما يعبر عن الآية، ينظر: كتاب الإيمان، ابن تيمية (ص: ٣٥) مجموعة الفتاوى.
وهذا الرأي الذي ذهب إليه ابن تيمية (ت: ٧٢٨) ليس على إطلاقه، ولعل الذي حمله على هذا القول عنوان الكتاب (مجاز القرآن) والذي يحمل عنواناً بلاغياً واضحاً، والصحيح أنه سبق بإشارات متناثرة في بطون الكتب، ولعل بداياتها ما كان مبثوثاً في (الكتاب) لسيبويه.

يَعرفون، فيبين أبو عبيدة للسائل: أن الله تعالى كلم العرب بأسلوبهم وقد ورد ذلك في كلامهم، واستشهد ببيت الشاعر الجاهلي امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالَمشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أغْوَالِ[(١)]

والعرب لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به.»، ثم عزم من تلك الساعة أن يضع كتاباً في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج من علمه أسماه: مجاز القرآن»[(٢)].

ولعل من أولى الإشارات للبلاغة القرآنية، ما ورد عند سيبويه (ت: ١٨٠) في سفره الكبير (الكتاب)، الذي ضمنه كثيراً من المسائل البلاغية التي تلقفها عنه من جاء بعدّه، واستفاد من تلك الإشارات، وقد وردت تلك الإشارات من غير أن يطلق عليه أسماء لمصطلحات، إنما أوردها لوناً من ألوان التعبير التي عُني به العرب في أساليبهم.

كما أفاد عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١)، من تلك الإشارات البلاغية، وصرّح في مواضع بطرف من ذلك، حيث قال: «قال صاحب الكتاب -وهو يذكر الفاعل والمفعول-: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى»[(٣)].

---

(١) ديوان امرئ القيس (ص: ٣٣)، والمشرفي: السيف منسوب إلى قرى بالشام يُقال لها المشارف، والمسنونة الزرق: السهام المحدودة.

(٢) شك الدكتور مساعد الطيار – حفظه الله- في صحة هذه الرواية، وأنها غير صحيحة لأمور:
الأول: أن أبا عبيدة لم يذكر هذه القصة في مقدمة كتابه، كما هي عادة المؤلفين في ذكر السبب الداعي إلى التأليف.
الثاني: أن أبا عبيدة لم يتعرض لتفسير هذه الآية في موضعها، وكيف يغفلها وهي سبب تأليف الكتاب.
ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص: ٣٣٨) بتصرف يسير، وأضيف بأن هذه القصة ذكرت في معجم الأدباء، ولم تذكر في مظانها في مقدمة الكتاب.

(٣) دلائل الإعجاز، للجرجاني (ص: ١١٧).

وقد شط بعض الباحثين وعدَّ سيبويه (ت: ١٨٠) من وضع علم المعاني والبديع[١]، مستنداً إلى الإلماحات البلاغية المتناثرة بين طياته.

ولا يمكن في هذه العجالة تتبع الإشارات البلاغية التي أوردها سيبويه، فليس المقام يتسع لها، وليست مقصد هذا المبحث.

كما أملى أبو زكريا الفراء (ت: ٢٠٧) كتابه من حفظه، وكانت مدة إملائه سنتين، ولا يخفى على المطلع على هذا الكتاب ما حوى من التراكيب اللغوية، والأساليب العربية، والأوجه البلاغية، ويمكن الاستشهاد لذلك بما أورده في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، حيث قال: «ربما قال القائل: كيف تربح التجارة، وإنما يريد الرجل التاجر؟ وذلك من كلام العرب: ربح بَيْعك وخسر بيعُك، فحسن القول بذلك؛ لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة فعلم معناه، ومثله من كلام العرب: هذا ليل نائم»[٢].

وفي هذا المثال يشير الفراء (ت: ٢٠٧)، إلى لون بلاغي، عُرِفَ بالاستعارة، وهناك ألوان أخرى أحيل إليها[٣].

كذلك من الذين عنوا بالبلاغة القرآنية أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠) في كتاب (مجاز القرآن).

حيث عُني فيه صاحبه ببعض آيات السورة الواحدة، أو ببعض المفردات، والتراكيب من آية واحدة في لمحات سريعة، تكشف عن المراد، وتوضيح المطلوب،

---

(١) ذكر ذلك الأستاذ: أحمد مصطفى المراغي، في كتابه تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها (ص: ٤٣- ٥٧).

(٢) معاني القرآن، للفراء، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، نشر دار السرور (١: ١٦).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء، (١: ١٤، ٢٣٠) (٢: ١٦، ٥٧، ٧٢)، (٣: ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٨٦).

ومن الإشارات البلاغية التي ذكرها أبو عبيدة (ت: ٢١٠) ما أورده في قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] حيث قال: «إنها من مجاز ما حُذف فيه مضمر (أي أهل القرية، ومن في العير)، وهذا ما يُعرف لدى البلاغيين، باسم إيجاز الحذف، أو المجاز المرسل...»[1]، وهناك العديد من الظواهر البلاغية التي أشار إليها أبو عبيدة، في كتابه مجاز القرآن، والتي تنبئ عن عناية أبي عبيدة بالبلاغة القرآنية، أحيل إليها[2].

كذلك كان كتاب (معاني القرآن) للأخفش الأوسط (ت: ٢١٥)[3]، ميداناً للكثير من الإلمحات البلاغية، التي تدل على التفاته لبلاغة القرآن الكريم، ولو بإشارات موجزة، إلا أنه لم يذكر المصطلحات بأسمائها، ومن ذلك ما أورده تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ١] حيث ذكر مسألة التقديم والتأخير، فقال: «القدم هاهنا «التقديم» كما تقول: هؤلاء أهل القدم في الإسلام، أي: الذين قدموا خيراً، فكان لهم فيه تقديم»[4].

وهناك العديد من الإلماحات التي لا تخفى على القارئ، حيث عرض لمجموعة من الفنون البلاغية، كوضع الظاهر موضع المضمر، والتقديم والتأخير، والالتفات وغيرها.

---

(١) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد الخانجي، (١ : ٨).

(٢) مجاز القرآن (١ : ٢٣، ٣٢، ٣٥، ٤٥، ٧٩، ٩٦، ١٤٩، ٢٠٦، ١٨٦، ٢٤١، ٢٨٧..).

(٣) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري، عُرف بالأخفش الأوسط، من حُذاق النحويين، من أحذق أصحاب سيبويه، وليس للكتاب طريق إلا من جهته، له مؤلفات في النحووالعروض والقوافي، منها: الأوسط في النحو، الاشتقاق، معاني القرآن ،وغيرها، توفي سنة (٢١٥). ينظر: طبقات النحويين واللغويين (ص: ٧٢٠).

(٤) معاني القرآن،للأخفش الأوسط، تحقيق: هدى قراعة، نشر مكتبة الخانجي،القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، (١: ٣٦٩).

كما أن للكُتاب أثراً واضحاً في البلاغة عامة، والبلاغة القرآنية خاصة، ومن هؤلاء الجاحظ (ت: ٢٥٥)، فقد حوى كتابه «البيان والتبيين» العديد من المسائل في البيان، ولم يخل من إشارات إلى بلاغة القرآن الكريم[(١)]، وله كتاب مفقود بعنوان «نظم القرآن» في البلاغة القرآنية، قال عنه: «ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن؛ لتعرف فضل الإيجاز، والحذف، وفرق بين الزوائد، والفضول، والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبه لك، في باب الإيجاز، وترك الفضول»[(٢)].

ثم يأتي بعدّه ابن قتيبة (ت: ٢٧٦) ، وقد تأثر في كتابه بأسلوب ومنهج أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠) من حيث الرجوع إلى أساليب العرب في التعبير، والقياس عليها، والاهتداء بها، واستخدام كلمة المجاز بالمفهوم الذي قصده أبو عبيدة، كما أن لابن قتيبة السبق في إطلاق بعض المصطلحات التي عرفت بها فيما بعد، منها الاستعارة، والتمثيل، والتقديم، والتأخير.. ثم يختم ذلك بقوله: «وبكل هذه المذاهب نزل القرآن»[(٣)].

كما أفاض ابن قتيبة (ت: ٢٧٦)، في حديثه عن المجاز، فهو يرى وجود المجاز في اللغة، ومثل له بأمثلة، كما ذكر في كتابه كثيراً من الأساليب البلاغية، ومن ذلك قوله: «ومن الاستعارة: اللسان يوضع موضع القول؛ لأن القول يكون بها، قال الله عز وجل: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] أي ذكراً حسناً»[(٤)]، ويرى البلاغيون المتأخرون أن

(١) البيان والتبيين، للجاحظ (١: ٢٠).

(٢) الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون (٣: ٧٦).

(٣) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر دار التراث، بالقاهرة، ١٣٩٣هـ (ص: ٢٠-٢١).

(٤) تأويل مشكل القرآن، (ص: ١٤٦).

هذا الأسلوب من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته الآلية، باعتبار أن اللسان آلة الكلام.

كذلك من اللغويين الذين عنوا بالبلاغة القرآنية المبرد (ت: ٢٨٥)، له رسالة في البلاغة، كما نثر في كتابه (الكامل) كثيراً من المسائل البلاغية. ومن الألوان البلاغية التي أوردها المبرد في الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٩٣] قال: «والطّبْعُ أسوأُ الطّمَعِ، وأصلُه أنّ القلبَ يعتادُ الخُلّةَ الدنيئة فتَرْكبَهُ، كالحائل بينه وبين الفهم لِقُبْحِ ما يظهر منه، وهذا مثل وأصله في السيفِ وما أشبهه، يقال: «طبع السيف إذا ركبه صدأ يستر حديده، وطبع الله على قلوبهم من ذا»[١] وهناك العديد من الشواهد أحيل إليها[٢].

كما استفاد ابن المعتز (ت: ٢٩٦)، من جهود سابقيه: الجاحظ (ت: ٢٥٥)، وابنِ قتيبة (ت: ٢٧٦)، والمبردِ (ت: ٢٨٥)، وغيرِهم، فألف كتابه (البديع) حيث حرص على استخراج فنون البلاغة من القرآن الكريم، وحشد كتابه بالعديد من الأمثلة والشواهد[٣].

وفي القرن الثالث ظهرت مصنفات أولت البلاغة القرآنية عناية فائقة ،ومنها نظم القرآن لأبي حنيفة الدينوري (ت:٣٠٧)، وإعجاز القرآن الكريم في نظمه للواسطي (ت: ٣١٦)، ونظم القرآن للبلخي (ت:٣٢٢)، ونظم القرآن لابن الإخشيد (ت:٣٧١).

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، برزت عدة مؤلفات للمتكلمين، تحدثوا عن قضية الإعجاز القرآني. وعلى رأسهم الرماني (ت: ٣٨٦)[٤]، الذي ضمن

---

(١) الكامل، للمبرد، نشر دار نهضة مصر، بالقاهرة، (٤: ٣٩).

(٢) الكامل، (١: ٣٣، ٤٣، ١٧٥، ١٨٣، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣٧٨)، (٢: ٢٩١)، (٣: ٩٢، ٩٨).

(٣) البديع لابن المعتز (٧، ١٣، ٢٧، ٥٣).

(٤) هو علي بن عيسى الرماني، لغوي، ونحوي، بارع، أحد أعلام المعتزلة في عصره، وله مصنفات كثيرة في التفسير واللغة والنحووعلم الكلام، منها النكت في إعجاز القرآن، توفي سنة (٣٨٦).

كتابه (النكت في إعجاز القرآن) كثيراً من الفنون البلاغية، كما تطرق إلى جمال النظم والتعبير. وقد حاول خدمة معتقده الاعتزالي في كل آية يرى أنها تسمح بذلك[1]، أما الجوانب البلاغية التي جاءت، فهي أكثر من أن تُحصى في هذه العجالة، ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] حيث قال: «حقيقته حصلت عليهم الذلة، والاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبت ما حصل عليهم من الذلة، كما يثبت الشيء بالضرب؛ لأن التمكين به محسوس، والضرب مع ذلك ينبئ عن الإذلال والنقص، وفي ذلك شدة زجر لهم، والتنفير من حالهم»[2].

ثم يصل الحديث إلى الباقلاني (ت: ٤٠٣)[3] وهو يتحدث عن نظرية النظم القرآني، ويُفصِّل القول في وجوه الإعجاز والبلاغة القرآنية، ويستهل كتابه في التعرض لمطاعن الملاحدة بأسلوب الذكر الحكيم، ويشير إلى أن الحاجة إلى الحديث في إعجاز القرآن أولى من الحاجة إلى المباحث النحوية، وأبان في كتابه جملة من الفنون البلاغية، كالاستعارة، والإيغال، والتتميم.. وغيرها. بل عقد فصلاً بعنوان: «وصف وجوه من البلاغة»، وفيه يلخص الوجوه العشرة للبلاغة التي صورها الرماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)[4].

---

(١) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، (ص: ١٠٤، ١٠٥، ١٦٨).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص: ٨٣).

(٣) صنف الباقلاني كتابه في الرد على الرافضة، والجهمية، والمعتزلة، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق: محمد خفاجي، نشر دار الجيل، ١٤٢٦هـ، (ص: ١٢٠ إلى ١٥٨).

وألف القاضي عبدالجبار (ت: ٤١٥)[1]، كتابه المغني في أبواب التوحيد والعدل، ويقع إعجاز القرآن في الجزء السادس عشر من الكتاب، وعرض فيه رأيه في الإعجاز.

وذكر رأيه في النظم، فقال: «واعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد أن يكون لكل كلمة صفة»[2]، ويشرح نظرية النظم، وبيان ما للنظم من مزايا معتبرة.. وقد أفاد من جاء بعدّه من نظرية النظم.

كما ألف الشريف الرضي (ت: ٤١٦)[3]، في «مجاز القرآن» فبين ما اشتمل عليه القرآن الكريم من مجاز، وسار على منهج أبي عبيدة (ت: ٢١٠)، في العرض، وتحدث عما في القرآن الكريم من استعارة ومجاز، على ترتيب السور، حيث عرض لجميع السور، يقف عند الآية إذا اشتملت على لون من ألوان المجاز، ومن الشواهد التي أورد فيها شيئاً من بلاغة القرآن ما أورده في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فقال: «وهذه استعارة، والمراد بها: إخراج المؤمنين من الكفر إلى الإيمان، ومن الغي إلى الرشاد، ومن عمياء الجهل إلى بصائر العلم»[4]، وقد حوى الكتاب المواضيع العديدة من هذا اللون.

---

(١) أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن الأسد الأبادي، كان أشعرياً، ثم انتقل إلى الاعتزال بعد اتصاله بالعلم المعتزلي أبي إسحاق بن عياش، فصار من أعلام المعتزلة، من مصنفاته: شرح الأصول الخمسة، وتنزيه القرآن عن المطاعن، ومتشابه القرآن.. وغيرها، توفي سنة (٤١٥). ينظر: تاريخ بغداد (١١: ١١٣).

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار (١٦: ١٩٩) بتصرف نقلاً عن كتاب البديع، بسيوني فوده (ص:٥٣).

(٣) هو محمد بن الحسين الشريف الرضي، متكلم، لغوي، من مصنفاته: تلخيص البيان في مجاز القرآن، وكتاب المجازات النبوية، وغيرها، توفي سنة (٤٠٦). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧: ٢٨٥).

(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، نشر دار عالم الكتب، ببيروت، (ص: ٢٣).

وفي القرن السابع[١]، نجد الزملكاني (ت: ٦٥١)[٢]، يصنف في بلاغة القرآن وإعجازه كتابه" التبيان في علم البيان"، و كتاباً آخر بعنوان "البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن"، وقد عرض في كتابه الأول عدداً من مسائل البلاغة، وإعجاز القرآن؛ مما يدل على حرص المصنفين في كل عصر ومصر على البحث في أسرار البلاغة القرآنية.

كذلك ابن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤)، سعى للبحث في بلاغة القرآن خاصة، فصنف كتابه «بديع القرآن»[٣] وذكر ما حوى القرآن الكريم من فنون بلاغية في علم البديع، وقد أفاد من دراسات السابقين له.

وتمتد العناية بالبلاغة القرآنية، فهذا العز بن عبدالسلام (ت: ٦٦٠)، يصنف كتابه «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز» فيذكر المجاز في القرآن الكريم، وربما وقع في تأويل بعض الصفات في كتابه[٤]، وتتابع عناية اللغويين ببلاغة القرآن الكريم بحثاً وتصنيفاً.

---

(١) يبدو الفارق الزمني بين عصري الزملكاني (ت: ٦٥١) وسابقه واضحاً، ولا يعني ذلك أن تلك فترة ركود وجمود في التصنيف، بل في هذه الفترة أمهات التصانيف، لكن لم أوردها لكون الآية القرآنية جاءت فيها شاهداً وليس رأساً في الدراسة، ومن ذلك: كتاب العمدة لابن رشيق (ت: ٤٦٣)، وسر الفصاحة لابن سنان (ت: ٤٦٦)، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز للجرجاني (٤٧١)، وقانون البلاغة لابن طاهر البغدادي (ت: ٥١٧)، وكتاب البديع في النقد لأسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤)، والرازي (ت:٦٠٦) وكتابه نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز والسكاكي (ت: ٦٢٦)، وكتابه مفتاح العلوم.. وغيرها.

(٢) هو كمال الدين أبو المكارم عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري المشهور بابن خطيب (زملكا) من علماء المعاني والبيان ،ومشارك في فنون العلوم والمعارف، وبرع في التأليف مثل البرهان الكاشف عند إعجاز القرآن، والتبيان في علم البيان، وغيرها، وتوفي سنة (٦٥١)، ينظر: شذرات الذهب (٥: ٢٥٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥: ٣٣).

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبد السلام (ص: ١٠٦، ١٠٧).

وأخيراً تجدر الإشارة إلى مسألة مهمة شاركت في تطور البحث في بلاغة القرآن الكريم، وهي مسألة (إعجاز القرآن الكريم) وهي من أولى القضايا التي شغلت بال اللغويين بعامة، ودفعهم ذلك إلى الخوض في دراسة البلاغة ليستطيعوا الوصول إلى أسراره، من دراسة أسلوبه ونظمه، وألفت الكتب في مسألة إعجاز القرآن[١]، وقد سبقت الإشارة إلى طرف منها.

وقد انتهى ابن خلدون (ت: ٨٠٨)[٢]، إلى ثمرة البلاغة، وهي فهم الإعجاز فقال: «إنما هي فهم الإعجاز من القرآن؛ لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه لجميع مقتضيات الأحوال منطوقة، ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام، مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها، وجودة وصفها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه»[٣].

ومما سبق يتضح مدى عناية اللغويين على اختلاف مشاربهم ببلاغة القرآن الكريم، سواء من النظر المجمل في الآيات القرآنية، أو تصنيف الآيات وفق موضوعات مخصصة لبحثها، كالبحث في بلاغة التشبيه، أو في الأمثال، أو الجناس، أو البديع.. وغيرها.

وأما من كتب في البلاغة بعامة، ولم يخصص بحثه لبلاغة القرآن الكريم؛ فإنه لا يملك سوى أن يورد شواهد قرآنية لما يذكره من الفنون، ويُعدّ الشاهد القرآني في قمة

---

(١) من أولى المصنفات للإعجاز- ولم تسبق الإشارة إليها- إعجاز القرآن لمحمد بن يزيد الواسطي (ت: ٣٠٦)، وبيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨).

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون القاضي المؤرخ المالكي، له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية، ومن مصنفاته: شرح الرجز لابن الخطيب في الأصول، وتاريخ العبر، وغيرهما، توفي سنة (٨٠٨). ينظر: هدية العارفين (٥: ٥٢٩)

(٣) مقدمة ابن خلدون (ص: ٥٥٢) بتصرف يسير.

الشـواهد؛ لـذلك يحرص المصنفون عـلى ذكـره ابتـداء، ولا يكـاد يخلـو مصنف عـلى اختلاف فنه أو لونه، من الشاهد القرآني، فقد ملئت به كتب النحو والأدب والبلاغـة وغيرها، ومن الصعوبة بمكان تتبع كل تلـك المصنفات، وهـي أوسع مـن أن يسعها هذا المبحث.



المبحث الثاني
مواقع الاحتراس النحوية مع ما قبله وما بعدّه

توطئة:

تُعد علاقة الإعراب بالمعنى في اللغة العربية من الأمور الواضحة التي لفتت نظر القدماء والمحدثين من عرب ومستشرقين.

«فنظام الإعراب عنصر أساس من عناصر اللغة العربية، وليس من إلهام عبقري ولا من اختراع عالم، وإنما تكون صورة تلقائية في أحقاب طويلة، كما يتكون اللؤلؤ في جو الأصداف، وكما تتكون الأحجار الكريمة من فلذات الأرض الطيبة»[(١)].

فالإعراب إذاً «هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدور، ولا نعت من تأكيد»[(٢)].

وظاهرة الإعراب في العربية هي سمة «من أقدم السمات التي فقدتها جميع اللغات السامية خصوصاً في بواكيرها، وإنما يدل على أن هذه اللغات لم تحتفظ بالنظام الإعرابي في أطوارها المختلفة».

إلا أن من أهم ما يدل عليه انفراد العربية بملازمة الإعراب لها طوال مراحل تطورها هو الأثر المباشر للقرآن الكريم من ناحية، وللرواية الشفوية من ناحية أخرى في استمرار وجود الإعراب بحركاته في هذه اللغة، وفي ما يرد توهماً سيطر على بعض الدارسين مؤداه أنه «لم تكن الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء،

---

(١) فقه اللغة، لعلي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر القاهرة، الطبعة السابعة، ١٣٩٣هـ، (ص:٢١٥).

(٢) الصاحبي (٤٣).

كما يزعم النحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يُحتاج إليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض»[١].

آثار العلاقة بين المعنى والإعراب واضحة في آيات القرآن الكريم، وقد بني عليها عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١) أساس نظريته في النظم حيث ذكر: «أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه»[٢].

وقد سرت في تقسيم الاحتراس في هذا المبحث بالنظر إليه من حيث التركيب سواءً أكان جملة أم شبة جملة، أم مفرداً. وقد ورد الاحتراس على هذه التراكيب جميعها.

أولاً: الاحتراس بجملة.

تعريف الجملة:

الجملة في اللغة[٣]:

والجملة: الجماعة، أَجْمَل الشيءَ؛ جَمَعه عن تفرقة، وأَجْمَل له الحساب كذلك، والجُمْلة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، يقال :أَجْمَلت له الحساب والكلام، قال الله تعالى «﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] وقد أَجْمَلت الحساب إذا رددته إلى الجُمْلة.

---

(١) من أسرار اللغة (ص: ٢٠٢).

(٢) دلائل الإعجاز (ص: ٨١).

(٣) لسان العرب مادة جَمَلَ.

تعددت مذاهب النحاة في تعريف الجملة، فعرفت بأنها: « القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كقام زيد، والمبتدأ وخبره، كزيد قائم»(١).

أنواع الجملة:

جرى النحاة على تقسيم الجملة بحسب محلها الإعرابي قسمين:

١- جمل لها محل من الإعراب(٢):

وهي التي يمكن أن تؤوّل بمفرد، وتأخذ تلك الجملة إعراب المفرد، وسمى المفرد بهذه التسمية؛ ؛ لأنه ليس جملة ولا شبه جملة، فهو غير مركب، ويعرب مباشرة بعلامة الإعراب الأصلية سواء أكان مقداره واحداً، أم مثنى أم جمعاً.

أنواع الجمل التي لها محل من الإعراب:

الجملة الأولى: هي الواقعة خبراً، ومحلُّها من الإِعراب الرفع أو النصب بحسب الخبر المفرد الذي وقعت موقعه.

الجملة الثانية: هي الواقعة مفعولاً به، ومحلُّها من الإعراب النصبّ، مثل: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم: ٣٠] فجملة :«إنّي عبد الله» في محلّ نصب مفعول به لفعل«قال».

الجملة الثالثة: هي الواقعة موقع المضاف إليه، ومحلّها من الإعراب الجرّ، مثل: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩] فجملة ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ في محل جرّ ؛ لأنها في تأويل مفرد ؛هو مضافٌ إليه، والتقدير: يَوْمُ نَفْعِ الصِدْقِ للصادقين.

---

(١) مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن مبارك، نشر دار الفكر، ببيروت،الطبعة السادسة، ١٩٨٥م (ص: ٤٩٠).

(٢) المرجع السابق.

الجملة الرابعة: هي الواقعة جواباً لشرطٍ جازمٍ، وشرطها أنْ تقترن بالفاء أو إذا الفجائية، ومحلُّها من الإعراب الجزم، مثل: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٣-٣٤].

فكل جملة من هاتين الجملتين: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ ﴾ و﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ واقعة موقع فعل مجزوم هو جواب الشرط.

الجملة الخامسة: هي الواقعة موقع الصفة، ومحلُّها من الإعراب بحسب الموصوف بها، مرفوعاً كان أو منصوباً أو مجروراً.

الجملة السادسة: هي الجملة التابعة لجملة لها محلٌّ من الإعراب، ومحلُّها من الإعراب يكون بحسب الجملة التي هي تابعة لها، رفعاً أو نَصْباً أوجرّاً.

الجملة السابعة: هي الجملة الواقعة موقع الحال، ومحلُّها من الإعراب النصب، كالحال التي جاء لفظها «مفرداً غير جملة» ومؤولة بمفرد. ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦].

٢- الجمل التي لا محل لها من الإعراب:

الجملة التي لا محل لها من الإعراب: «هي الجملة التي لا تحل محل كلمة مفردة، ومن ثَمَّ لا يقال فيها: إنها في موضع رفع أو نصب أوجر أو جزم»(١) وهي أنواع يمكن ترتيبها على النحو التالي:

«الجملة الابتدائية،و الجملة المستأنفة، والجملة المعترضة، والجملة التفسيرية، وجملة جواب القسم، والجملة الواقعة جواباً لشرط غير جازم ، وجملة الموصول وصلته، والجملة التابعة لجملة لا محل لها من الإعراب».

---

(١) المرجع السابق (ص: ٥٣٦).

١ - الجملة الابتدائية:

وهي الجملة التي يفتتح بها الكلام سواء أكانت اسمية أم فعلية. كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]؛ فهي جملة ابتدائية تؤدي معنى مستقلاً، لا يصح أن يحل محلها لفظ مفرد ،وإلا ضاع المعنى؛ ولذلك يقال: إنها لا محل لها من الإعراب.

٢- الجملة المستأنفة:

وهي الجملة المنقطعة عما قبلها؛ أي أنها تعد جملة ابتدائية أيضاً، فيرى ابن هشام (ت: ٧٦١): (١) أن الجملة الابتدائية والمستأنفة بمعنى واحد، وتُسمى المستأنفة أيضاً، بينما يرى آخرون أن الابتدائية غير المستأنفة؛ فالابتدائية على اسمها، هي التي يبتدأ بها الكلام،وأما المستأنفة فهي التي تقع في أثناء الكلام، ولكنها منقطعة عما قبلها من ناحية الإعراب لا من ناحية المعنى. وعلى هذا فالجملة المستأنفة تختلف عن الجملة الابتدائية(٢).

ومن الجمل المستأنفة في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] ، فقوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ﴾ هذه الجملةُ استئنافٌ ليس إلاَّ، ومعناها التوكيدُ لِما قبلَها؛ ؛ لأنه لَمَّا تقدَّم أنَّ أحداً لا ينفعه كَسْبُ أحدٍ ،بل هو مختصٌّ به، إنْ خيراً وإنْ شراً فلذلك لا يُسْأل أحدٌ عن غيره، وذلك أنَّ اليهودَ افتخَروا بأسلافِهم فَأُخْبِروا بذلك(٣).

(١) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الشيخ جمال الدين الحنبلي النحوي، من مصنفاته: مغني اللبيب وغيره، توفي سنة (٧٦١) ينظر: بغية الوعاة (٢: ٤).

(٢) شرح مختصر قواعد الإعراب (ص: ٢٣).

(٣) الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١: ٣٨٢).

٣- الجملة المعترضة:

وهي الجملة التي تعترض بين شيئين يحتاج كل منهما للآخر، والنحويون يقولون: إن هذا الاعتراض يفيد توكيد الجملة وتقويتها، ويقع الاعتراض في مواضع، هي: بين الفعل ومرفوعه، وبين المبتدأ والخبر. ومن الجمل الاعتراضية في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠].

قال ابن عطية (ت: ٥٤٢): ﴿ فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ اعتراض في أثناء الكلام»[1].

٤- الجملة التفسيرية:

وهي الجملة التي تفسّر ما يسبقها، وتكشف عن حقيقته، وقد تكون مقرونة بحرف تفسير أو غير مقرونة. ومن الجمل التفسيرية في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢]، فجملة (تؤمنون) تفسير للتجارة.

٥- جملة جواب القسم:

وهي الجملة التي تؤكد بالقسم، ومن الجمل الواقعة جواب قسم في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٦] ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ جملة جواب القسم.

٦- الجملة الواقعة جوابًا لشرط غير جازم:

ذكر ابن هشام (ت: ٧٦١): « من الجمل التي لا محل لها من الإعراب ما وقعت جوابا لشرط غير جازم مطلقا أو جازم ولم تقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية، فالأول جواب

---

(١) المحرر الوجيز (١: ١٥٢).

«لو» و«لولا» و«لما» و«كيف»، والثاني نحو: إنْ تَقُمْ أَقُمْ، وإن قمت قمت، أما الأول فلظهور الجزم في لفظ الفعل، وأما الثاني فلأن المحكوم لموضعه بالجزم الفعل لا الجملة بأسرها»(١).

وأدوات الشرط غير الجازمة هي: (إذا، ولو، ولولا، ولوما).

٧- **الجملة الواقعة صلة لاسم أو حرف**، فالأول نحو جاء الذي قام أبوه، ف(الذي) في موضع رفع ،والصلة لا محل لها. وفي التنزيل قول الله عزَّ وجلَّ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٢].

فجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ صلة لموصول اسمي، لا محلّ لها من الإِعراب.

والموصول الحرفيّ هو الحرف المصدريُّ الذي يُؤوّل مع ما بعدّه بمصدر، والحروف المصدرية هي «أن» الناصبة للفعل المضارع و«أنَّ»، و«كَيْ»، و«ما المصدرية»، و«لو»، و«همزة التسوية»(٢).

من البحث تبين أن الاحتراس قد أخذ موقع الجملة التي لها محل من الإعراب، والجمل التي لا محل لها من الإعراب، ولم تضيق به تلك الجمل على تباينها.

الاحتراس في الجمل التي لها محل من الإعراب:

١- الجملة الحالية:

وقع الاحتراس في موقع الجملة الحالية في غير آية من آيات الذكر الحكيم، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

---

(١) مغني اللبيب (١: ٥٣٤).

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص: ٤٥١).

وقع الاحتراس في موقع الجملة الحالية ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾، فشرط الحياة الطيبة حال كونه مؤمناً، والواو حالية، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير ﴿مَنْ عَمِلَ ﴾»[١].

وقال أبو حيان (ت: ٧٤٥): ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ جملة حالية، والإيمان شرط في العمل الصالح»[٢].

وقال الألوسي (ت: ١٢٧٠) «﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ في موضع الحال من فاعل: ﴿ مَنْ عَمِلَ ﴾، وقيّد به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة الصالحة في استحقاق الثواب إجماعاً»[٣]

كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٩]، فجملة ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ تحمل دلالة الاحتراس، ينظر فيه إلى توفية أحد الفريقين، وهو الفريق المستحق للعقوبة ؛ ؛ لئلا يُحسب أن التوفية بالنسبة إليهم أن يكون الجزاء أشد مما تقتضيه أعمالهم»[٤].

فيمكن إطلاق لفظ القيد الوصفي على الجملة الاحتراسية؛ ؛ لأنها تصف طبيعة التوفية، وأنها توفية لا ظلم فيها نفياً؛ لاحتمال وجود الظلم والغبن في هذه التوفية.

ومما سبق يتبين كيف وقعت الجملة الحالية موقع الاحتراس، قد أسهمت في إيضاح المعنى ودفع توهم اللبس، وهناك العديد من الشواهد في هذا المضمار أكتفي بالإحالة إليها؛ ؛ لئلا يطول المقام[٥].

---

(١) بلاغة القرآن الكريم، لبهجت عبد الواحد (٥: ٤٤٣).

(٢) البحر المحيط (٥: ٦٧٧).

(٣) روح المعاني (٧: ٤٦٢).

(٤) التحرير والتنوير (٢٦: ٤١).

(٥) ينظر: (سورة البقرة: ١٣٥)، و(سورة النساء: ٩٢)، و(سورة يوسف: ٥٢- ٥٣)، و(سورة النمل: ١٨)، و(سورة الأحقاف: ٣٣)، و(سورة الطور: ٢١)، و(سورة الواقعة: ٨٣- ٨٥).

٢- الجملة الخبرية:

كما جاء الاحتراس في الجملة الخبرية[١] على اختلافها الابتدائي[٢]، والطلبي[٣]، والإنكاري[٤]. وشاهد الضرب الأول: ما جاء في قوله: تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [محمد: ١٥]. فقد ذكر الله عز وجل أنواعا؛ لأنهار في الجنة، وهي غير معهودة للسامع، ولما كان في معهود السامع في ألبان الدنيا أنها تتغير، دفع ذلك بالاحتراس بقوله: ﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ فالخبر قد ألقي لخالي الذهن، فلم يؤكد بأي مؤكد، وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى معنى هذا الاحتراس. وصرّح به الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) فقال: ﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾: «احتراس عن كراهة الطعام»[٥]، ويتبين من هذه الآية وآيات أخرى مشابهة لها في وقوع الاحتراس موقع الجمل الخبرية على اختلاف أنواعها[٦].

الاحتراس في الجمل التي لا محل لها من الإعراب:

١- الجملة المعترضة:

وقد جاء الاحتراس في أسلوب الجملة المعترضة، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

---

(١) الخبر: هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته. والتقسيم التالي إنما هوبحسب حال المخاطب.

(٢) هو ما يلقى للمخاطب خالي الذهن، ويكون خالياً من المؤكدات، بغية الإيضاح (١: ٣٥).

(٣) هو ما يلقى للمخاطب الشاك في الحكم المتردد في قبوله، ويؤكد بمؤكد واحد، بغية الإيضاح (١: ٣٥).

(٤) هو ما يلقى للمخاطب المنكر، ويؤكد بأكثر من مؤكد حسب درجة الإنكار، بغية الإيضاح (١: ٣٥).

(٥) التحرير والتنوير (١: ١٠٩).

(٦) ينظر على سبيل المثال: السور التالية (سورة البقرة: ١٢٦)، و(سورة التوبة: ١٠٧)، و(سورة فاطر: ٢٣-٤٤)، و(سورة الزمر: ٢٦)، و(سورة الرعد: ٦)، و(سورة غافر: ٣٧).

انتظم الاحتراس في أسلوب الجملة المعترضة: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ لبيان أن معرفة خفايا القلوب مردها إلى الله وحده، وأن الله تعالى وحده يعلم سرائرهن، ولكن عليكم الظاهر بما تستطيعون من الدلائل، فلو لم تأت جملة الاحتراس لتوهم أن المؤمنين مطالبون بمعرفة حقيقة إيمانهن ظاهراً وباطناً، ولحصل لهم في ذلك العنت والمشقة.

والاعتراض قريب من الاحتراس؛ إذ إن من مقاصد الاعتراض وأغراضه الاحتراسَ لدفع التوهم.

٢ - الجملة الواقعة في جواب القسم:

وقد جاء الاحتراس في أسلوب القسم في غير موضع، ومن ذلك ما جاء في قوله الله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٠]. حيث وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾. وقد أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، إلى الاحتراس بقوله: «﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾ هذا في معنى الاحتراس مما يقتضيه مفهوم: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ من عدم وقوع المشيئة لإرادته إياهم بنعوتهم»[(١)].

و(﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ﴾ لام جواب قسم محذوف، كأنه قال: ولتعرفنهم والله الآن. وقيل: تعرف سيماهم وصورهم»[(٢)].

٣ - الجملة الاستئنافية[(٣)]:

جاء الاحتراس في إطار الجملة الاستئنافية في غير موضع، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون:

(١) التحرير والتنوير (٢٦: ١٢١).

(٢) حاشية محيي الدين زاده (٧: ٥٩٦).

(٣) المستانف كلام مفيد مستقل، وإن كان مرتبطاً بما قبله ارتباطاً معنوياً.

١]، فجملة: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ استئنافية احتراس؛ لئلا يتوهم أن التكذيب مما في نفس الأمر(١)، وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين(٢).

ثانياً: الاحتراس بشبه الجملة:

وإعراب شبه الجملة عند النحاة كإعراب الجملة في الأهمية؛ لأن كلتيهما سادّة مسد المفرد، ومن ثمة كانت دلالتها في الأهمية كدلالة الجملة من حيث العموم، وتنوع دلالات حروف الجر والظروف يُعطي شبه الجملة ثراءً من حيث تنوع الدلالة بوجه خاص.

ويُلاحظ أن الاحتراس قد جاء في أحد تراكيبه على (شبه الجملة) يتبين منه دفع التوهم الذي قد ينشأ، والإسهام في تفسير الآية الكريمة، والكشف عن دقائق معانيها.

١ - الاحتراس بالجار والمجرور:

الجار والمجرور: «يقصد بهما الهيئة التركيبية المبدوءة بحرف مما يُعرف بحروف الجر»(٣).

وحروف الجر هي: «ما وضع للإفضاء بفعل أو شبهه أو معناه إلى ما يليه»(٤).

قال ابن يعيش (ت: ٦٤٣)(٥): «ليس في الكلام حرف جر إلا وهو متعلق بمعنى الفعل في اللفظ أو التقدير، أما اللفظ فقولك: انصرفت عن زيدٍ إلى بكر، فالحرف الذي هو

---

(١) شرح عقود الجمان (ص: ٧٦).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨: ٢٦٧)، التحرير والتنوير (٢٨: ٢٣٥).

(٣) الجملة العربية، محمد عبادة (ص: ١٢٦).

(٤) شرح كافية ابن الحاجب، الاستراباذي (٤: ٢٦٤).

(٥) هو يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش، من كبار العلماء بالعربية. من مصنفاته: شرح المفصل، وشرح التصريف للملوكي، توفي سنة (٦٤٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤: ١١٤).

(إلى) متعلق بالفعل الذي قبله، وأما تعلقه بالفعل في المعنى فنحو قولك: المال لزيدٍ، تقديره: المال حاصل لزيد، وكذلك: زيد في الدار، تقديره: زيد مستقر في الدار، أو: يستقر في الدار»[1].

أما عدد حروف الجر فالمشهور منها عشرون هي: «من، إلى، حتى، خلا، عدا، حاشا، في، عن، على، مذ، منذ، اللام، كي، واو القسم ،وتاؤه، الكاف، الياء، لعل، متى، كل حرف منها لا بدّ له من اسم بعدّه يجره»[2].

والمواضع التي جاء بها الاحتراس على صيغة الجار والمجرور أكثر من أن تحصى، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، حيث جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿بِدَيۡنٍ﴾ حيث جاء لإزالة اشتراك التداين؛ «فإنه يقال: تداينوا أي: جازى بعضهم بعضاً، فلما قال ﴿بِدَيۡنٍ﴾ دل على غير هذا المعنى، أو للتأكيد، أو ليدل على أي دين كان صغيراً أو كبيراً، وعلى أي وجه كان من سَلَمٍ أو بيع»[3].

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى وقوع الاحتراس بشبه الجملة، فقال الألوسي (ت: ١٢٧٠): «﴿بِدَيۡنٍ﴾ فائدة ذكره تخليص المشترك ودفع الإيهام؛ لأن ﴿تَدَايَنتُم﴾ يجيء بمعنى: ما تعاملتم به»[4]، وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «﴿بِدَيۡنٍ﴾ دفعاً لتوهم المجاز»[5].

(١) شرح المفصل لابن يعيش (٨: ٩).
(٢) النحو الوافي (٢: ٤٣١).
(٣) البحر المحيط (٣: ٣٦٢).
(٤) روح المعاني (٣: ٥٥).
(٥) التحرير والتنوير (٣: ٩٩).

ومن المواضع كذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ مع ﴿ خَرَّ ﴾ [النحل: ٢٦].

جاء الاحتراس في قوله تعالى: «﴿مِن فَوْقِهِمْ ﴾ حيث جيء بالجار والمجرور لدفع أن يكون قد خر وهم ليسوا تحته.

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى مدلول الاحتراس، فقال الزركشي (ت: ٧٩٤): «والسقف لا يكون إلا من فوق؛ ؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة؛ فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم وسقفاً لآخرين، فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين، وهما قوله: ﴿ عَلَيْهِمُ ﴾، ولفظة ﴿ خَرَّ ﴾ ؛ ؛ لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى سفل، وقيل: إنما أكّد ليُعلم أنهم كانوا حالِّين تحته، والعرب تقول: خرّ علينا سقف، ووقع علينا حائط، فجاء بقوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم، فقال: ﴿ مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ أي :عليهم وقع، وكانوا تحته، فهلكوا وما أفلتوا»[(١)].

وهناك العديد من الآيات التي وقع فيها الجار والمجرور موقع الاحتراس أحيل إليها ؛ لئلا يطول المقام[(٢)].

ثالثاً: الاحتراس بالمفردة:

جاء الاحتراس في المفردة وهي الكلمة، وقد نظر البلاغيون إلى الكلمة بما لها من قيمة جمالية وتعبيرية، فالكلمة عندهم من حيث هي دلالة على المعنى، قد تتميز عن

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٧).

(٢) ينظر: (سورة البقرة:٧٩- ٢٠٦)، و(سورة آل عمران: ٤٩)، و(سورة الأنبياء: ٧)، و(سورة المائدة: ٧٣)، و(سورة يونس: ٩٢)، و(سورة الرعد: ١٧)، و(سورة الأحزاب: ٤٠)، و(سورة غافر: ٢٦- ٢٧).

غيرها أحياناً، ومن حيث هي صوت، فهي أيضاًذات قيمة جمالية وتعبيرية. «وللكلمة دور ذو ركنين أساسيين هم الوفاء بالمعنى، والإمتاع بالجمال»(١).

والوفاء بالمعنى هو القيمة الوظيفية للكلمة الذي من أجله اختيرت لتقوم بإيصاله إلى المخاطب، وقد قام الاحتراس بدور فاعل في الجملة بعامة في الوفاء بالمعنى، وقد جاء بعدة صور نحوية، كالصفة والحال والعطف.

خصائص الكلمة في القرآن الكريم(٢):

تمتاز الكلمة القرآنية بميزات ثلاث رئيسة:

١- جمال وقعها في السمع.

٢- اتساقها الكامل مع المعنى.

٣- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى.

وقد جاء الاحتراس في كلمة في القرآن الكريم، وقد وقعت مواقع نحوية مختلفة ومن هذه الأنواع:

الاحتراس بالتوكيد:

من أبرز الأغراض التي جاء بها التوكيد دفع التوهم، وتأكيد المعنى المراد، وهذا هو المطلب الأساسي لمجيء الاحتراس.

ومثال التوكيد الذي وقع موقع الاحتراس، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] حيث جاء التوكيد بقوله: «﴿أَجْمَعُونَ﴾ احتراساً لدفع توهم أن يكون قد تخلف أحد عن السجود، قال الخليل وسيبويه: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ توكيد بعد توكيد، وسئل المبرد عن هذه الآية فقال: لو قال: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ احتمل أن يكون سجد بعضهم فبقوله: ﴿كُلُّهُمْ﴾ زال هذا الاحتمال ،فظهر أنهم بأسرهم

(١) بلاغة الكلمة والجملة، لمنير سلطان (ص: ٥٠).

(٢) المرجع السابق (ص: ٤٥).

سجدوا، ثم بعد هذا بقي احتمال آخر وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد منهم في وقت آخر، فلما قال: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة»[١].

ويتضح من المثال السابق أن التوكيد يقع موقع الاحتراس، وهناك مواضع أخرى مشابهة، أكتفي بالإحالة عليها ؛ لئلا يطول المقام[٢].

الاحتراس بالبدل:

ويُعرف بأنه: «تابع بلا واسطة، مقصود وحده بالحكم، والمتبوع ذُكر توطئة له»[٣].

أقسامه[٤]:

الأول: بدل كل من كل، وهو بدل الشيء مما هو طِبْقُ معناه، نحو: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ [الفاتحة: ٦] وَسَمَّاهُ الناظم البَدَل المُطَابِقَ لوقوعه في اسم الله تعالى نحو: ﴿صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١].

الثاني: بدل بَعْضٍ من كل، وهو بدل الجزء من كله، قليلاً كان ذلك الجزء أو مساوياً أو أكثر، ولا بُدَّ من اتصاله بضمير يرجع على المبدَلِ منه: مذكور كالأمثلة المذكورة، وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١] أو مُقَدَّرٍ كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] أي: منهم.

الثالث: بدل الاشتمال وهو بدلُ شيء من شيء يشتمل عاملُه على معناه اشتمالًا بطريق الإجمال.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٩: ١٤٥)، والمحرر الوجيز (٣: ٣٥٧)، وأنوار التنزيل (٣: ٣٦٩)، والبحر المديد (٢: ٥٥٣).

(٢) ينظر: (سورة النسا: ١٦٤)، و(سورة طه: ٧٧)، و(سورة الفجر: ٢١- ٢٢).

(٣) معجم القواعد العربية، لعبدالغني الدقر، نشر دار القلم، بدمشق،١٩٩٣م (٣: ٤).

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للأنصاري، تحقيق البقاعي، نشر دار الفكر، (٣: ٤٠١).

الرابع: البدل المُبَاين وهو ثلاثة أقسام:

- بَدَلُ الغلط أي: بدل عن اللفظ الذي هو غَلَطٌ لا أن البدل نَفْسَه هو الغلط كما قد يُتَوَهَّمُ.
- بدل نِسْيَان.
- بدل البَدَاء.

الغرض من البدل: «الإيضاح ورفع الالتباس وإزالة التوسع والمجاز».

وقد وقع البدل موقع الاحتراس في غير آية في القرآن الكريم، وفي البدل بيان للمراد بأوضح صورة وأدق معنى، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] حيث وقع الاحتراس في قوله: ﴿ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ لدفع توهم تعدد الإله، وقد أشار إلى ذلك غير واحد من المفسرين[١].

فقال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦): «وفائدة البدل والحال التنصيص على أن معبودهم فرد، إذ إضافة الشيء إلى كثير توهم تعدد المضاف، فنص على نفي ذلك الإبهام»[٢].

وهناك مواضع أخرى أكتفي بالإحالة إليها ؛؛ لئلا يطول المقام[٣].

الاحتراس بالعطف:

يمثل العطف وجهاً مهماً من أوجه السياق النحوي، و؛ لأنه متعدد الأدوات والعلاقات بين المتعاطفين، و؛ لأنه يصح تكرره في الجملة الواحدة بأداة واحدة أو بأكثر، لذلك كان مجال العطف مجالاً رحباً لكثير من الألفاظ البلاغية، ومنها الاحتراس.

---

(١) ينظر: الفتوحات الإلهية (١: ٨٠)، ومدارك التنزيل (١: ٧٢)، والبحر المحيط (١: ٥٧٧)، وفتح القدير (١: ٢٧٨).

(٢) الدر المصون (١: ٣٨١).

(٣) ينظر: (سورة الأعراف: ١٤٨)، و(سورة الشعراء: ٤٧ - ٤٨).

تعريف العطف[١]:

يعود أصل العطف في اللغة: إلى مادة (عَطَفَ): والعطف الميل إلى الشيء أو إمالته إلى غيره، ومن هذا الأصل أخذت مشتقاته التي تدل على الميل والانثناء والرحمة، ويظهر أن في أصل الاشتقاق اللغوي اعتباراً لعلاقة ميل بين المتعاطفين[٢]، إما بالإيجاب وإما بالسلب. فقوله:م: عطفت الشيء على الشيء، إذا أملته إليه، هي عطف إيجاب، وقوله:م: عطف يعطف عطفاً، هو عطف سلبي. وهذا يتلاءم مع معنى العطف الاصطلاحي، وهو صيغة من صيغ التعبير اللغوي بحيث يكون تابعاً يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه، ويتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة»[٣] وهي المسماة بحروف العطف، ويدل على الجمع مثل: (الواو، ثم)، وبعضها على التفريق مثل: (أو، بل).

ويقع العطف في عطف جملة على جملة، ومفرد على مفرد، ومثال الاحتراس في عطف المفرد على المفرد، ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] ، حيث وقع العطف موقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ «وعطف النصير على الولي احتراس؛ لأن نفي الولي لا يقتضي نفي كل نصير، إذ لا يكون لأحد (ولي) كونه دخيلاً في القبيلة، ويكون له أنصاره وجيرته، وكان القصد من نفي الولاية التعريض بهم في اعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، فَنُفِيَ ذلك عندهم حيث لم يتبعوا دعوة الإسلام ثم نُفِيَ الأعمُّ منه»[٤].

---

(١) لسان العرب مادة (عطف).

(٢) بلاغة العطف في القرآن الكريم، لعفت الشرقاوي،دار النهضة العربية، بمصر، ١٩٨٩م (ص: ٥٢).

(٣) التعريفات (ص:١٢٤).

(٤) التحرير والتنوير (١: ٦٩٥).

ومما سبق يتبين كيف جاء العطف بأسلوب الاحتراس، وكيف كان له أثرٌ واضحٌ في أداء المعنى، وهناك غير موضع في القرآن الكريم جاء فيه العطف من أجل الاحتراس ودفع التوهم، أكتفي بالإحالة إليها؛ لئلا يطول المقام[(١)].

الاحتراس بالحال:

وتعرف الحالُ بأنها: لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى بَيَانِ هَيْئَةِ الفَاعِلِ، أو المَفْعُولِ بِهِ، أوكِلَيْهِمَا»[(٢)].

كما جاء الاحتراس بأسلوب الحال لبيان المراد ودفع التوهم، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠] ، وقع الاحتراس في قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾، وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز فيه؛ لأنه كان في العادة أن من يتكلم في المهد أنه لا يعيش ولا يتمادى به العمر، فجعل الاحتراس بقوله: ﴿وَكَهْلًا﴾[(٣)]، فلما كان الحديث في المهد معجزة بذاتها، فقد يتصور وفاة المتكلم، وعدم بلوغه الكبر؛ لأنه إنما جاء لأمر معيّن، وقد حصل، فدفع ذلك التوهم وأنه سيكلم الناس كهلاً كذلك، وليس في حال المهد.

وقد أسهمت الحال في بيان الاحتراس بأوضح صورة، ودفعت ما قد يتبادر لـذهن من أن الحديث في المهد يأتي لمعجزة ويزول وقتها.

---

(١) ينظر: (سورة البقرة: ١٢٣ - ٢٥٢)، و(سورة آل عمران: ١٣٤)، و(سورة النساء: ١١ - ١٣٥ - ١٧١)، و(سورة المائدة: ٣٨)، و(سورة الأنبياء: ٦٩)، و(سورة الرحمن: ٤٦).

(٢) معجم القواعد العربية (٧: ٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٧).

الصفة:

وتسمى النعت عند بعض البلاغيين وهي: «النَّعْتُ، وَهُوَ التَّابِعُ الْمُشْتَقُّ أَو الْمُؤَوَّلُ بِهِ الْمُبَايِنُ لِلَفْظِ مَتْبُوعِهِ، وَفَائِدَتُهُ تَخْصِيصٌ أَو تَوْضِيحٌ أَو مَدْحٌ أَو ذَمٌّ أَو تَرَحُّمٌ أَو تَوْكِيدٌ».

النعت نوعان[1]:

١- **نعت حقيقي**: وهو ما دل على صفة في اسم قبله.

وعلامته: أن يشتمل النعت على ضمير مستتر يعود على المنعوت.

٢- **نعت سببي**: وهو ما دل على صفة في اسم له ارتباط بالمتبوع.

وعلامته: أن يأتي بعد النعت اسم ظاهر مرفوع بالنعت، مشتمل على ضمير يعود على المنعوت.

أشهر الأغراض التي يفيدها النعت:

١- التخصيص، إن كان المتبوع نكرة، والمراد به تقليل الاشتراك المعنوي في النكرة، وتضييق عدد ما تشمله.

٢- الإيضاح، إن كان المتبوع معرفة، والمراد به: إزالة الاشتراك اللفظي فيها، ورفع الاحتمال الذي يتجه إلى معناها.

٣- مجرد المدح.

٤- مجرد الذم.

٥- الترحم.

٦- التوكيد.

وقد وقعت الصفة موقع الاحتراس في غير موضع في القرآن، وتتميز الصفة بأنها تحدد المراد، وتُجليه بأوضح صورة وأدق معنى، ولا تترك مجالاً لأدنى توهم أو لبس يُخل بفهم المعنى المراد.

---

(١) أوضح المسالك (٣: ٢٩٩).

وجاءت الصفة مكان الاحتراس على تراكيب مختلفة، فوردت الصفة بجملة ووردت مفردة، والشواهد في هذا المضمار كثيرة، أكتفي بذكر مثال لكل نوع، وشاهد الصفة التي وقعت مفردة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤] لما ذكر الله عز وجل حال أصحاب النار بين أن لهم ظلاً يستظلون به في النار، ولكنه ليس كالظل المعهود يستظل به عن الحر، فنفى هذا التوهم بالاحتراس بقوله: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ فهو ليس كظل الدنيا لا يُنتفع به، ولا يلتجأ إليه، فهو عذاب فوق العذاب، وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين، فقال القونوي (ت: ١١٩٥)، في تفسيره لهذه الآية: «﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ صفتان للظل من قبيل الاحتراس لدفع توهم الاستراحة»[١].

وقد أشار البيضاوي (ت: ٦٨٥) لمعنى الاحتراس، ولم يُصرّح به، حيث قال: ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح»[٢]، وقد تلقف هذا المعنى عن أصحاب الحواشي، فذكروا الاحتراس[٣].

ويتبين مما سبق أهمية الصفة في بيان المراد، ودفع التوهم، وأن مجيء الصفة بأسلوب الاحتراس له أثر في وضوح المعنى، ودفع التوهم.

وقد جاءت الصفة المفردة في القرآن الكريم في غير موضع أكتفي بالإحالة إليها؛ لئلا يطول المقام[٤].

---

(١) حاشية القونوي (١٨: ٤٠٣).

(٢) أنوار التنزيل (٥: ٢٨٨).

(٣) ينظر: حاشية زاده (٨: ٨٦)، وحاشية ابن التمجيد (١٨: ٤٠٣).

(٤) ينظر (سورةالنساء: ٩٥)، و(الأعراف: ١٤٨)، و(سورة هود: ٤٤)، و(سورة محمد: ١٥)، و(الواقعة: ٣٢-٣٣).

وأما مجيء الصفة في جملة فيُجسدها المثال الآتي وهو قول الله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، وقع في الآية أكثر من احتراس ﴿يَمْشُونَ بِهَآ﴾، ﴿يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾، ﴿يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، حيث دفع التوهم أن يكون للأصنام التي صنعت أيديهم جوارح حية مع وجودها في الحقيقة، فهذه الأصنام لها أرجل لكنها لا تمشي بها، وتعقيب الجوارح بوظائفها احتراس رائع لرفع ما يتوهم ثبوته، فقد يكون للتماثيل أرجل وأيد وأعين وآذان، لكنها لا تمشي ولا تبطش ولا تبصر ولا تسمع، ولولا إضافة وظائفها إليها في سياق الإنكار والنفي لصح أن يكون الجواب بالإيجاب، فالإنكار والنفي مسلط على المقيدات، وهي كالأرجل والأيدي والأعين والآذان، وعلى القيود وهي: المشي،والبطش، والإبصار، والسمع»[١].

ويتبين مما مضى أهمية الصفة في بيان المراد، ودفع التوهم والالتباس، وكان للجملة فيها أثر بارز في بيان الاحتراس.

وهناك مواضع أخرى أكتفي بالإحالة إليها؛ لئلا يطول المقام[٢].

الاحتراس بالظرف:

الظرف هو: كل اسم زمان أو مكان مضمن معنى (في)؛ لكونه مذكوراً لواقع فيه من فعل أو شبهه، كقولك: (امكث هنا أزمناً) فـ«هنا» و«أزمنا» ظرفان لأنّ (هنا) اسم مكان، و(أزمنا) اسم زمان، وهما مضمنان معنى (في)؛ لأنهما مذكوران لواقع فيهما وهو المكث.

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام (١: ٤٣٧).

(٢) ينظر: سورة (الأنعام: ٣٨)، و(فصلت: ٦).

وقد وقع الظرف موقع الاحتراس، وجاء لدفع التوهم، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى ذلك، وأن الظرف ما جاء إلا لدفع توهم المجاز»[١]، في حين يرى آخرون إنه من باب التوكيد، ومن الذين أشاروا إلى وجود الاحتراس في الآية محيي الدين زاده (ت: ٩٥١) حيث قال: «الإسراء لا يكون إلا بالليل، فيكون المعنى: أسرى بعبده ليلاً واحداً من الليالي، أو نوعاً واحداً من أنواعها، دفعاً لتوهم أن يكون الإسراء في ليالي متعددة، كما في قوله تعالى: ﴿ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ ﴾ [سبأ: ١٨]»[٢].

ويؤكد الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩) في حاشيته على ذلك المعنى فيقول: «إن الإسراء كان في بعض أجزاء الليل، فالصواب أن تنكيره لدفع توهم أن الإسراء كان في ليالٍ، أو لإفادة تعظيمهن كما هو المناسب للسياق»[٣].

ويرى أبو حيان (ت: ٧٤٥): أن الظرف إنما جاء على سبيل التوكيد[٤].

وبالنظرة المتأملة لأقوال المفسرين يلحظ أن الظرف جاء لدفع التوهم الذي هو المغزى الأساسي للاحتراس[٥].

❁❁❁

(١) حصل خلاف بين العلماء في إسراء النبي ﷺ هل كان على الحقيقة، وهل كان في البدن والروح أم في الروح، والصحيح أنه أسري به على الحقيقة.

(٢) حاشية محيي الدين زاده (٥: ٣٤٨).

(٣) حاشية الشهاب الخفاجي (٦: ٦).

(٤) البحر المحيط (٦: ٨).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤: ١٠٩)، وحاشية القونوي (١١: ٤٣٦)، وحاشية ابن التمجيد (١١: ٣٤٦).

المبحث الثالث
علاقة الاحتراس بالإطناب وأنواعه

توطئة:

يُعدّ الإطناب أحد الأساليب العربية الحافلة بالأسرار والنكات البلاغية، وقد تنبه إلى أهميته العلماء، فبينوا أنواعه، واجتهدوا في بيان أغراضه التي تجتمع تارة، وتفترق تارة أخرى، وربما تداخلت الأنواع حتى لا تكاد تتميز، وهذا التداخل جعل الاحتراس يأتي في عدة صور من صور الإطناب.

أولاً: الإطناب لغة:

يعود الإطناب في أصله اللغوي لمادة (طَنَبَ) وتدل على الطول، والتتابع والمبالغة في الشيء، وقال أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥): «الطاء والنون والباء، أصل يدل على ثبات الشيء وتمكنه في الاستطالة، ومن الباب قوله:م: أطنب في الشيء إذا بالغ، كأنه ثبت عليه إرادة للمبالغة فيه، ويقولون: طُنب الفرس، وذلك طول المتن وقوتهن، فهو كالطنب الذي يُمّدُّ ثم يثبت به الشيء»[١].

والإطناب في الكلام «المبالغة في مدح أو ذم أو الإكثار فيه».

الإطناب اصطلاحاً:

«هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد»[٢]، وهو التعريف المختار عند غير واحد من البلاغيين [٣].

---

(١) مقاييس اللغة مادة (طنب).

(٢) الطراز،العلوي (ص: ٣١٤).

(٣) ينظر: المثل السائر (٢: ١٢٠)، والإيضاح (ص: ١٨٠)، والتلخيص (ص: ٢١١).

موقف العلماء من الإطناب:

يُعدّ الإطناب باباً مهماً من أبواب البلاغة بعامة، والبلاغة القرآنية بخاصة. وقد ذكره المصنفون في كتبهم، وبينوا أهميته، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥): «قال أصحاب الإطناب: المنطق إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يُحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء»[1].

كما جعل الرماني (ت: ٣٨٦) البلاغة في الإطناب فقال: «فأما الإطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل، فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعاً يكون به أولى من الآخر؛ لأن الحاجة إليه أشد والاهتمام به أعظم»[2].

وقال ابن رشيق (ت: ٤٥٦) في باب البلاغة: «ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة هي وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز، مع حسن العبارة، ومن جيد ما حفظته قول بعضهم: البلاغة شد الكلام معانيه وإن قصر، وحسن التأليف وإن طال»[3].

ويورد الباقلاني (ت: ٤٠٣) حداً للبلاغة فيؤكد بأنها «الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل»[4].

كما أشار السكاكي (ت: ٦٢٦) إلى أن الإيجاز والإطناب فلكونهما: «نسبيين لا تيسير الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم ،ولا بد من الاعتراف بذلك مقيساً عليه، ولنسمه متعارف

(١) كتاب الصناعتين (ص: ٢٠٩).

(٢) النكت في إعجاز القرآن الكريم (ص: ٧٢).

(٣) العمدة في محاسن الشعر والكتابة (٢: ٢٤٩).

(٤) النكت في إعجاز القرآن، للباقلاني (ص: ٢١٥).

الأوساط، وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم، فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته، سوتء أكانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل»[(١)]. كما جعل ابن الناظم (ت: ٦٨٦) الإطناب مقابلاً للإيجاز، ويقسم الإيجاز إلى ثلاثة أضرب، والإطناب إلى ثلاثة أضرب، ويجعل لكل منهما مراتب، فما صادف هذه المراتب الموقع الجيد حُمِد وإلا ذُمَّ، وسمى الإيجاز إذ ذاك عياً وتقصيراً، والإطناب إكثاراً وتطويلاً[(٢)].

ومن العبارات السابقة لعدد من البلاغيين تبين أهمية الإطناب في علم البلاغة، وأن له أثراً بلاغياً، وأثراً بالغاً في تحسين الكلام، وبيان المراد بأبهى صورة، وأجمل حُلة.

وبما أن الإطناب أسلوب من أساليب العربية، فقد جاء به القرآن الكريم، وقد زخرت به الآيات ذوات العدد، ولفتت الأنظار إليه، فذكره المصنفون في كتبهم، وأوردوا الشواهد الدالة على ذلك.

وقد أكد غير واحد من البلاغيين على وجود الإطناب -بألوانه المختلفة- في القرآن الكريم، وفي ذلك يقول أسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤): «وقد أتى القرآن بالتطويل والتقصير؛ لأنه يصلح للمكانين»[(٣)]. فابن منقذ يرى وقوع الإطناب في القرآن الكريم وعبر عنه (بالتطويل)، وعن مقابله (الإيجاز) بالتقصير، وفي قوله: «؛ لأنه يصلح للمكانين» دليل على وقوع الإطناب.

كما يؤكد ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٦) على ذلك المعنى فيقول: «هو كثرة العبارة بسبب كثرة المعاني»[(٤)].

(١) مفتاح العلوم، للسكاكي (ص: ٣٨٧).
(٢) المصباح لابن الناظم (ص: ١٤٢).
(٣) البديع في نقد الشعر (ص: ٤٢).
(٤) تحرير التحبير (ص: ١٠٦).

ويذهب ابن الأثير الحلبي (ت: ٧٣٧) إلى وقوع الإطناب في القرآن الكريم، ويرى أن ألفاظ القرآن الكريم «إما إطناب أو إيجاز، وفي كلا النوعين فهو بليغ بالنسبة إلى المقصود منه»(١).

وتحدث ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) في مقدمة تفسيره عن أساليب القرآن، فقال: «وسلك القرآن مسلك الإطناب لأغراض من البلاغة، ومن أهم مقامات الإطناب مقام توصيف الأحوال التي يُراد بتفصيل وصفها إدخال الروع في قلب السامع، وهذه طريقة عربية في مثل هذا»(٢).

وهناك الكثير من النصوص عن العلماء المتقدمين والمتأخرين التي تنص على أن الإطناب أسلوب من أساليب القرآن الكريم، وضرب من ضروب الإعجاز البياني التي تفرد بها القرآن الكريم، والتي يطول المقام لذكرها(٣).

وقد اتفق العلماء على وجود الإطناب في أساليب القرآن الكريم، لكنهم اختلفوا في بيان ألوانه وأقسامه، ما بين مقل ومستكثر، فعدّ الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) منها تسعة أنواع، لم يدَّعِ فيها الحصر، بل ترك المجال مفتوحاً لإدخال فنون أخرى بقوله: «الإطناب هذه الأنواع، وإما بغير ذلك»(٤) في حين يوصلها السيوطي (ت: ٩١١) إلى واحد وعشرين قسماً، لكن المشهور لدى البلاغيين ما ذكره الخطيب القزويني والعمل عليه، وهي كالآتي:

---

(١) جوهرة الكنز (ص: ٣٦).

(٢) التحرير والتنوير (١: ١٢٣).

(٣) ينظر على سبيل المثال: البرهان في علوم القرآن (٢: ٣٨٥ وما بعدّها)، ومعترك الأقران (١: ٢٥٢)، والنكت في إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ١٤٤ وما بعدّها)، والزيادة والإحسان (٦: ١٠٤) وما بعدّها.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٩٧).

١- الإيضاح بعد الإبهام. ومن الإيضاح بعد الإبهام باب (نعم وبئس، والتوشيع).

٢- ذكر الخاص بعد العام.

٣- التكرير.

٤- الإيغال.

٥- التذييل.

٦- التكميل (الاحتراس).

٧- التتميم.

٨- الاعتراض.

وقد استبعدتُ بعض هذه الأنواع في الدراسة؛ لتقدم الحديث عنها في نظائر الاحتراس، وهي التكميل، والتتميم.

كما استبعدتُ بعض الأقسام لكون الاحتراس لم يأتِ في أسلوبها[١].

أولاً: الإيضاح بعد الإبهام:

تعريف الإيضاح والإبهام في اللغة والاصطلاح:

الإيضاح لغةً: (وَضَحَ الأَمْرُ) والشَيءُ (يَضِحُ، وُضُوحاً، وضِحَةً) كعِدَة، (وضَحَةً)، بالفتح لمكان حرْف الحلْقِ، (وهو واضِحٌ، ووَضَّاحٌ. واتَّضَحَ، وأَوْضَحَ، وتَوَضَّحَ: بانَ) وظَهَرَ. (ووَضَّحَه) هو، تَوْضيحاً، (وأَوْضَحَه) إيضاحاً، وأَوضَحَ عنه. وتَوَضَّحَ الطَّرِيقُ: استبانَ[٢].

---

(١) ذكر غير واحد من العلماء أن أسلوب الإيغال لم يأتِ في آيات القرآن الكريم. ينظر: الإطناب في القرآن الكريم، لمختار عطية، نشر دار الجامعة الجديدة،الأزاريطة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م (ص: ٤٨٤).

(٢) لسان العرب مادة (وَضَحَ).

والإبهام في اللغة:

ويقال: أُبْهِم عن الكلام وطريقٌ مُبْهَمٌ إذا كان خَفِيًا لا يَسْتَبين، واستَبْهَم عليهم الأَمرُ لم يدْرُوا كيف يأْتون له واسْتَبْهَم عليه الأَمر أَي استَغْلق، والبُهَم جمع بُهْمَة بالضم، وهي مُشكلات الأُمور، وكلام مُبْهَم: لا يعرَف له وَجْه يؤتى منه، مأخوذ من قوله:م:حائط مُبْهَم إذا لم يكن فيه بابٌ. أَبْهَمَ عليّ الأَمْرَ إذا لم يَجعل له وجهاً أَعرِفُه، وإِبْهامُ الأَمر أَن يَشْتَبه فلا يعرَف وجهُه، وقد أَبْهَمه وحائط مُبْهَم لا باب فيه، وبابٌ مُبْهَم مُغلَق لا يُهْتَدى لفتحِه(١).

الإبهام في الاصطلاح:

وعرّفه ابن أبي الإصبع (ت:٦٥٤) بقوله: «هو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهرة لَبس، ثم يوضّحه في بقية كلامه»(٢).

أهمية الإيضاح بعد الإبهام وعلاقته بالاحتراس:

يُعدّ الإيضاح بعد الإبهام ضرباً من ضروب الإطناب بخاصة، وأسلوب من أساليب البلاغة العربية بعامة، له منزلته وأهميته التي تسهم في الكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

ويبيّن الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) أهميته بقوله: «ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس أفضل تمكن؛ فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم أو لتكمل اللذة بالعلم به»(٣).

---

(١) لسان العرب مادة (بَهَمَ).

(٢) تحرير التحبير (ص: ١٢٤)، وبديع القرآن (ص: ٢٥٩).

(٣) الإيضاح (ص: ١٨٦).

وقريب من هذا المعنى ما ذكره العلويّ (ت: ٧٤٩): «اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فإنه يفيده بلاغة، ويكسبه إعجاباً وفخامة؛ وذلك ؛ لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب، ومصداق هذه المقالة قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، ثم فسّره بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، ويؤيد ما ذكرناه هو أن الإبهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه، فلا تزال نفسه تنزع إليه وتشتاق إلى معرفته والاطلاع على كنه حقيقته»(١).

ويتضح من العبارات الماضية مكانة الإيضاح بعد الإبهام،وتكمن أهميته في التشوق للعلم بهذا الإبهام؛ لأن الشيء إذا عُرف من وجهٍ ما تشوقت النفس للعلم به من باقي وجوهه، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذتُه أشدَ من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة، وكذلك فإن الإيضاح بعد الإبهام يمكن المعنى السابق في الذهن تمكيناً زائداً.

ويلحظ المتأمل في ضربي (الإيضاح بعد الإبهام) و(الاحتراس)، أن ثمة روابط تربط بين هذين الفنين، يلحظها الفكر المتأمل لدقة المسلك بينهما، فهناك تشابه بينهما من حيث التعريف ومن حيث المقصد، وإن وجد اختلاف بينهما في مناحي أخرى، فيعرف الاحتراس بأنه: «.. أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»(٢).

وعرّف الإيضاح بعد الإبهام: «أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس فلا يفهم من أول الكلام ثم يوضحه في بقية كلامه»(٣).

ويبدو وجه الشبه بين هذين الفنين أن كلاً منهما في شطره الأول لا يفهم المراد منه، ولا يكتمل المعنى، فلما يؤتى بالشطر الأخير يتبين المراد ويتضح المقصد.

---

(١) الطراز (ص: ٢٤٠).

(٢) الإيضاح (ص: ١٩٢).

(٣) شرح الكافية البديعية (ص: ٣٢٠).

كذلك من الروابط بين (الاحتراس) والإيضاح بعد الإبهام أن كلاً منهما يهتم بسلامة المعنى وتمامه، والاحتراس يحرس المعنى من أن يختل الفهم.

وكذلك (الإيضاح بعد الإبهام) يأتي ليبين سلامة المعنى، وإيضاح المقصد الذي إذا لم يذكر وبقي على إبهامه، يختل المعنى، ولا يظهر المراد ولا يتبين المقصد.

وبذلك يتبين الارتباط الوثيق بين الاحتراس وبين الإيضاح بعد الإبهام، والذي منشؤه ومنبعه المحافظة على سلامة المعنى(١).

ومن أبرز الشواهد على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٢٢] فقد ذكر غير واحد من المفسرين(٢): أن قوله: ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ احتراس، فلو لم تذكر وخلا منها السياق القرآني لتوهم أن هذا البياض ناتج عن عيب كالبهاق أو البرص، فلما ورد هذا الاحتراس دُفع ذلك التوهم.

---

(١) لقائل أن يقول: إن البلاغة إيضاح المراد بأوجز عبارة، وبأقصر طريق، وما لم يتم معناه لا يعدّنظماً، فضلاً أن يحوي نكتة بلاغية.

فالذي أرآه -والله تعالى أعلم- أن هذا الأسلوب من الأساليب العربية الإيضاح بعد الإبهام جاء لنكتة بلاغية سبقت الإشارة إليها، وهي التشويق حتى تشتاق النفس لمعرفة ما كان مبهماً، وبذلك يحصل اللذة عند العلم به، فإذا حصل كمال العلم به دفعة واحدة لم تحصل به لذة، فضلاً أن فيه تمكين المعنى في الذهن لأنه كرر وبصورتين متباينتين الأولى مبهمة والأخرى موضحة.

والإيضاح بعد الإبهام من الأساليب العربية التي ألفها العرب في لغتهم، ونطقت بها ألسنتهم، فجاء القرآن الكريم على لغتهم بيد أنه فاقها جلالاً وجمالاً، وجاء في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية على هذا الأسلوب.

(٢) ينظر على سبيل المثال: إعراب القرآن (٤: ٦٧٤)، والبحر المحيط (٦: ٢٩٤)، وحاشية الشهاب (٦: ٣٤٠)، والدر المصون (٥: ١٥)، واللباب في علوم الكتاب (١٣: ٢١٩)، والفتوحات الإلهية (٥: ٦٣)، وروح المعاني (١٦: ٨)، وأضواء البيان (٣: ٤٣٥).

وهذا الشاهد أيضاً جاء في باب الإيضاح بعد الإبهام، فجاء الإبهام في قوله: تعالى: «﴿بَيۡضَآءَ﴾ فيها إبهام، فما سبب ورود البياض في يد موسى عليه السلام، هل كان عن مرض أو عرض، فلما جاء التوضيح بقول: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ تبين أن هذا البياض ليس عن مرض أو عن سوء كالبهاق أو البرص، إنما جاء عرضاً في سلسلة من معجزات نبي الله موسى عليه السلام وليست هذه حال اليد على الدوام، وإنما جاءت على سبيل التحدي.

فهذا النص وهذا الشاهد يبين مدى الانسجام والتآلف بين فني الاحتراس والإيضاح بعد الإبهام، ويتبين كذلك أن هناك رابطاً دقيقاً يجمع بينهما، وإن باعدت بينهما المسميات والمصطلحات، فالإيضاح بعد الإبهام يحرس المعنى من أن يعتريه دخل يُخل بفهم المعنى المراد، وهذا هو مقصد الاحتراس.

ومن هذا القبيل أيضاً قوله تعالى: «﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، فقد ذكر الزركشي (ت: ٧٩٤) هذه الآية في باب الإيضاح بعد الإبهام وقال منها: «اعلم أنه يخرج لنا مما سبق جوابان في ذكر العشرة بعد الثلاثة والسبعة؛ إما الإجمال بعد التفصيل، وإما رفع الالتباس»(١).

فعبارة الزركشي السابقة جمعت بين الاحتراس وبين الإيضاح بعد الإبهام، وفي هذا دلالة واضحة في الارتباط بين هذين الفنين، وذكر في موضع آخر: «أن الثلاثة لما عطف عليها السبعة احتمل أن يأتي بعدّها ثلاثة أو غيرها من الأعداد، فقيّد بالعشرة ليعلم أن المراد كَمُل، وقطع الزيادة المفضية للتسلسل»(٢).

وهناك الآيات ذوات العدد التي جاء فيها الاحتراس بأسلوب الإيضاح بعد الإبهام.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢: ٤٧٩).

(٢) المرجع السابق (٢: ٤٨١).

فالتفصيل في مواطن الإبهام أو الإجمال، يزيد المعنى ظهوراً وجلاءً، وتدفع عنه آفة اللبس والوهم، وهذا هو الأصل في باب الاحتراس.

ثانياً: ذكر الخاص بعد العام[١]:

تعريف الخاص والعام في اللغة والاصطلاح:

الخاص: «هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد، المراد بالمعنى الذي وضع له اللفظ عيناً كان أو عرضاً، بانفراد اختصاص اللفظ بذلك المعنى»[٢].

والعام: «كون اللفظ موضوعاً بالوضع الواحد لكثير غير محصور مستغرق جميع ما يصلح له»[٣].

أهمية عطف الخاص على العام وعلاقته بالاحتراس:

يُعدّ عطف العام على الخاص لوناً من ألوان الإطناب المتعددة، ويأتي تأكيداً على أهمية الخاص «وللتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات»[٤].

كما عد الزركشي (ت: ٧٩٤) هذا اللون من أقسام التوكيد، لأن فيه إعادة لذكر الخاص مرتين: الأولى: مع أفراد جنسه في العام، والأخرى: مستقلاً بذاته، وقد أطلق عليه (التجريد) كأنه جُرّد من الجملة الأولى، وأفرد بالذكر تفصيلاً[٥].

---

(١) علم العام والخاص بابه واسع ومتشعب، وتتنازعه أبواب عدة، فهو يدخل في علوم القرآن الكريم، ويبحث في علم الأصول، وليس هذان موضع الدراسة، إنما الذي يشتمل فيه على نكتة بلاغية، وأتى بمعنى يضم مقصد الاحتراس.

(٢) مصطلحات علوم القرآن، اعتناء عبدالحليم عويس،نشر دار الوفاء، بالمنصورة، ١٤٢٨هـ (٢: ٩٧).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢: ٥٣١).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٢: ٤٦٤).

(٥) المرجع السابق (٢: ٤٦٥).

كما يُعدّ هذا الفن وهذا اللون البلاغي وطيد الصلة بفنون أخرى، وقد سبقت الإشارة إلى علاقته بالتوكيد، وأن العطف بين العام والخاص راجع إلى أسلوب التوكيد، بل هو لون من ألوانه.

وللاحتراس أثر أيضاً واضح في عطف العام على الخاص، وفيه بيان لأهميته ودفع لتوهم خروجه من إفراد العام، أو أن العموم لا يشمله.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]. حيث عطف الخاص: ﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ على العام وهو ﴿ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ فلو لم يعطف الخاص على العام لتوهم أنه خارج من عموم الآلهة، وأن هناك آلهة أخرى هي المعنية، فلما عطفت تبين أنها هي المرادة، وهي بذاته المقصودة، وأزيل بذلك توهم خروجها من العموم، وهذا هو مقصد الاحتراس.

ثالثاً: التكرار:

تعريف التكرار في اللغة والاصطلاح:

التكرار في اللغة:

التكرار والتكرير: (كرر) الكَرُّ: الرجوع، يقال:كَرَّه وكَرَّ بنفسه وكَرَّرَ الشيء: أعاده مرة بعد أُخرى،ويقال: كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا ردّدته عليه وكَرْكَرْتُه عن كذا كَرْكَرةً إذا رَدَدْته، والكَرُّ: الرجوع على الشيء ومنه التَّكْرارُ»(١).

في الاصطلاح: «هو أن يأتي المتكلم بلفظ، ثم يعيده بعينه، سوتء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً ،أو يأتي عليه الحديث إذا رددته عليه»(٢).

(١) لسان العرب مادة (كَرَرَ).

(٢) المثل السائر، لابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ (٢: ١٤٦).

والتكرار قد يكون مذموماً، وقد يكون ممدوحاً، فالمذموم: وهو ما كان مستغنى عنه، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول؛ ؛ لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول، وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

والمحمود: ما كان بخلاف هذه الصفة، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه، وتدعو إليه الحاجة، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه، ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط، والنسيان فيها، ولاستهانة تعددها»[١].

والتكرار قسمان:

١- تكرار في اللفظ: وهو إعادة الكلمة بعينها أو الكلام بألفاظه، وهو أكثر وقوعاً من غيره[٢].

٢- التكرار في المعنى: وهو إعادة الكلام بمعناه، ويسميه ابن قتيبة (ت: ٢٧٦) «تكرار المعنى بلفظين مختلفين»[٣].

أهمية التكرار وعلاقته بالاحتراس:

يُعدّ التكرار من الأساليب البلاغية التي عرفها العرب، وجرت بها ألسنتهم منذ القديم، وعدّها الجاحظ (ت: ٢٥٥) من الإطناب أو الإطالة، وقال ابن قتيبة عنه: «وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق أخذ القول ومآخذه، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار...»[٤].

(١) بيان إعجاز القرآن (ص: ٤٧ - ٤٨)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(٢) العمدة (٢: ٨٦٣).

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٤٢.

(٤) المرجع السابق (ص: ٢٠).

وقد تنبه العلماء إلى أهميته، فأشاروا إليه، وأشادوا بذكره، بل ربما أفرده بعضهم بالتصنيف، كما فعل الكرماني (ت: ٥٠٥)[١] عندما صنف كتابه «البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان»، ويعرف كذلك بـ«أسرار التكرار في القرآن».

وعدّه ابن الأثير (ت: ٦٣٧) من مقاتل علم البيان لأهميته، حيث قال: «واعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ»[٢]، كما يرى غيره أنه أشهر وأكثر ألوان الإطناب ذيوعاً وأمثلة.

ويرى ابن مالك (ت: ٦٨٦) أن التكرار منه تقرير للمعنى وتأكيده، «ويحسن في مقام النفي»[٣]، وقيل في فضل التكرار: «التكرار لطرد الفضلة وتأكيد الحجة»[٤].

وقال أكثر أهل المعاني: «نزل القرآن بلسان العرب، وعلى مجاري خطابهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام»[٥].

وقد ورد أسلوب التكرار في القرآن كثيراً، وروده في القرآن دليل على قيمته، والقرآن الكريم خاطب العرب بما يألفون من الأساليب، وبكلام يدركون مواقعه ومراميه.

قال أبو عبيدة (ت: ٢١٠): «ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف... ومجاز المكرر للتوكيد»[٦].

---

(١) هو محمود بن حمزة بن نصر أبوالقاسم برهان الدين الكرماني، كان أحد العلماء، له من التصانيف: لباب التفسير وعجائب التأويل، وأسرار التكرار في القرآن، وغيرها، توفي سنة (٥٠٥) ينظر: معجم الأدباء (١٩: ١٢٥).

(٢) المثل السائر (٢: ١٤٦).

(٣) المصباح (ص: ٢٣٢).

(٤) الكشف والبيان (٩: ١٨٠).

(٥) المرجع السابق (١٠: ٣١٥).

(٦) مجاز القرآن (١: ١٨- ١٩).

وقال عنه السيوطي (ت: ٩١١): «وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة... وله فوائد، منها التقرير. وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر... ومنها التأكيد، ومنها زيادة التنبيه على نفي التهمة ليكمل تلقي القبول،... ومنه التعظيم والتهويل»(١).

ويؤكد العلماء على ربط التكرار بالفائدة والنكتة البلاغية، واستعداد المقام له ليكون مقبولاً بعيداً عن العيب، وكأنهم يشيرون بذلك إلى أن من التكرار ما هو مذموم، ومنه ما هو محمود، وقد أشرت إلى ذلك آنفاً.

وذكر أبو طاهر البغدادي (ت: ٥١٧) أن «إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه»(٢).

وقد عُني البلاغيون بإبراز أسرار التكرار ونكته بما يدل على أثره وقيمته في البيان(٣). وقد نص غير واحد من العلماء على أن للتكرار فوائد عِدة، كالتأكيد والتنبيه والتهويل والتعظيم وغيره، وقد عدت جماعة من العلماء أن التكرار إنما يؤتى به للتأكيد.

في حين يرى آخرون أن التكرار أبلغ من التأكيد، لكنه يحوي زيادة، وفي ذلك يقول الزمخشري (ت: ٥٣٨): «إن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً في الصدور»(٤)، ويؤيده في ذلك الزركشي (ت: ٧٩٤) حيث يقول: «إن التكرار أبلغ من التأكيد؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس، وهو أبلغ من التأكيد، فإن التأكيد يقرر إرادة المعنى الأول وعدم التجوز»(٥).

---

(١) الإتقان (ص: ٦١٢) بتصرف يسير.

(٢) قانون البلاغة (ص: ٤٤).

(٣) ينظر: على سبيل المثال: الإيضاح (ص: ١٨٨)، والمثل السائر (١: ١٤٧) وما بعدّها، والعمدة (١: ٦٣٤).

(٤) الكشاف (٣: ٣٢٣).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٣: ١١).

كما يرى الزركشي أن الغرض الأساسي للتكرار هو التأكيد، ويعقد لذلك قسماً خاصاً من (البرهان في علوم القرآن) يُطلق عليه (التكرار على وجه التأكيد)، يرى أن التكرار من أسمى مواقع الفصاحة وأساليبها، فيقول: «وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظناً أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه، وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه،أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة»(١).

ويتابعه السيوطي (ت: ٩١١) في ذلك، فيقول: «وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة ،خلافاً لبعض من غلط، وله فوائد منها: التقرير، وقد قيل: إن الكلام إذا تكرر تقرر.. ومنها التأكيد»(٢).

أما عن تعلق التكرار بالاحتراس فيبدو ظاهراً جلياً من آيات الذكر الحكيم، حيث إن التكرار ورد في مواضع شتى من القرآن الكريم تكراراً في اللفظة، أوفي العبارة، أوفي المعنى، وفي طياتها تحمل معنى الاحتراس. ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١] ف ﴿دَكًّا﴾ الثانية؛ تكرار لـ﴿دَكًّا﴾ الأولى، والدك هو: هدم الجبل أو الحائط. وقيل الدك «الدق، دَكَكْتُهُ أي: دققته، وقيل: الأرض السهلة، و﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ أي: جُعِلَتْ بمنزلة أرض سهلة لينة بعد أن كانت ذات جبال وآكام»(٣).

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ١١).

(٢) معترك الأقران (١: ٢٥٨).

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ،السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (٢: ١٩).

فالتكرار في هذه الآية الكريمة حمل معنى الاحتراس، فلو لم يأت التكرار لتوهم أن هذا الدك إنما هو من باب المجاز، واندفع هذا الاحتمال بالاحتراس المتمثل في التكرار، ويؤيد هذا ما ذكره الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) في تفسيره لهذه الآية حيث قال: ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ فـ﴿دَكًّا﴾ الأول مقصود به رفع احتمال المجاز عن ﴿دُكَّتِ﴾ الدك هو دك حقيقي، و﴿دَكًّا﴾ الثاني منصوباً على التوكيد اللفظي لدكا، الأول لزيادة تحقيق إرادة مدلول الدك الحقيقي؛ لأن دك الأرض العظيمة أمر عجيب، فلقرابته اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقي»[(١)].

فابن عاشور (ت: ١٣٩٣) يرى أن في التكرار دفعٌ لتوهم المجاز، وقد تبين من البحث أن دفع توهم المجاز أسلوب من أساليب الاحتراس، ونوع من أنواعهِ. وقال به غير واحد من المفسرين[(٢)].

ويرى غير واحد من المفسرين[(٣)] أن التكرار من قبيل التأكيد[(٤)]، وفي ذلك يقول السمرقندي (ت: ٣٦٧) عند تفسيره لهذه الآية: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١]، يعني زلزلت الأرض زلزلة، والتكرار للتأكيد»[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠: ٣٣٦).

(٢) ينظر على سبيل المثال ما ذكره المفسرون عند تفسير قوله: تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

(٣) ينظر على سبيل المثال: تفسير بحر العلوم (٣: ٥٥٧)، ومفاتيح الغيب (٣١: ١٥٨)، وفتح القدير (٥: ٥٨٧)، وروح المعاني (٣: ٤٣٢).

(٤) أشار إلى ذلك الزركشي في البرهان (٣: ١١)، وابن أبي الإصبع في تحرير التحبير (ص: ٧٥)، وابن الأثير في المثل السائر (٢: ١٤٧)، والحلي في شرح الكافية البديعية (ص: ١٣٤)، وابن حجة الحموي في خزانة الأدب (١: ٣٦١).

(٥) بحر العلوم (٢: ٥٥٧).

وقد ألمح إلى معنى الاحتراس في هذه الآية غير واحد من المفسرين،فقال الشهاب (ت: ١٠٦٩) عند تفسيره لهذه الآية: «فليس الثاني تأكيداً، بل التكرير للدلالة على الاستيعاب»(١).

لما نفى الشهاب معنى التأكيد في الآية الكريمة تبين أن هناك غرضاً آخر غير التوكيد، فبقوله: «للدلالة على الاستيعاب» دلالة على معنى الاحتراس، فلو لم يذكر ﴿ دَكًّا ﴾ الثانية لتوهم أن دك الأرض لم يشمل جميع أنحاء الأرض، إنما كان في نواحي دون أخرى، فلما كرر ﴿ دَكًّا ﴾ تبين أن المراد جميع الأرض، وفيه إظهار لمشهد من مشاهد أهوال يوم القيامة، وهذا الرأي يراه كذلك القونوي (ت: ١١٩٥) في حاشيته، وتبعه الجمل (ت: ١٢٠٤) فيما ذهب إليه ونقل عنه عباراته.

وبذلك يتبين أن ﴿ دَكًّا ﴾ الثانية جاءت بأسلوب الاحتراس، وفي هذا بيان للعلاقة الوثيقة بين الاحتراس والتكرار، والكشف عن هذه العلاقة يعتمد على الذوق البلاغي والفهم السليم للآية، والله تعالى أعلم.

وهناك عدد من الآيات الكريمة جاء التكرار فيها غرضاً للاحتراس، أُحيل إليها؛ لئلا يطول المقام بذكرها(٢).

رابعاً: التذييل:

تعريف التذييل في اللغة والاصطلاح:

التذييل في اللغة(٣) الذَّيْلُ: آخِرُ كُلِّ شَيْء، وذَيْل الثوب والإِزارِ: ما جُرَّ منه إذا أُسْبِل والذَّيْل: ذَيْلُ الإِزار من الرِّداء، وهو ما أُسْبِل منه فأَصاب الأَرض، وذَيْل المرأَة: لكل ثوب تَلْبَسه إِذا جرَّته على الأَرض من خلفها».

(١) حاشية الشهاب (٩: ٤٨٩).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (٢٠: ٢٦٠)، والفتوحات الإلهية (٨: ٣١٨).

(٣) لسان العرب مادة (ذَيَل).

التذييل في الاصطلاح:

هو «أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل؛ ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه»[(١)].

أهمية التذييل وعلاقته بالاحتراس:

للتذييل أهمية كبيرة في علم البيان بعامة، وتتضاعف قيمته عند اجتماعه مع الاحتراس، وقد أشار إلى ذلك غير واحد من أرباب البلاغة، فقد أشار أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٦) إلى تلك الأهمية بقوله: «وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزداد به انشراحاً والمقصد اتضاحاً»[(٢)].

كما عدّه الزركشي (ت: ٧٩٤) أحد أساليب التأكيد، وذكره في القسم الرابع والعشرين، وأكد على أهمية التذييل وأنه يُسهم في بيان المعنى المراد عند من لم يدركه، ويزيد من وضوحه عند مَنْ فهمه وأدرك مغزاه، بل عدّه كالدليل على وضوح المعنى، والتعريف السابق يدل على ذلك.

وغير ذلك من أقوال البلاغيين التي تشيد بالتذييل، وتذكر أهميته،يدور أغلبها حول معنى التأكيد[(٣)]، وأن التذييل يفهم به المعنى، ويتأكد به المراد، بل إنه من أهم أغراض التذييل.

وقد قسم البلاغيون التذييل قسمين:

القسم الأول: ضرب يخرج مخرج المثل[(٤)]، ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣، ١٤].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٨).

(٢) كتاب الصناعتين (ص: ٤١٣).

(٣) ينظر: تحرير التحبير (ص: ٤١٦)، وحاشية الدسوقي (٣: ٢٢٥)، وخزانة الأدب (١: ٢٤٥).

(٤) المثل في اللغة: الشبه وفي الاصطلاح: (القول الوجيز المرسل ليعمل عليه). ينظر: المثل السائر (١: ٥٣).

فقوله: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾، تذييل لقوله: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾.

القسم الثاني: ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقفه على ما قبله، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ٢، ٣] فجملة ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ تذييل لجملة ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾، ومعنى ﴿ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ أي مستبعد.

إن الغرض الأساسي الذي تساق من أجله جملة التذييل هو ذاته الغرض الذي من أجله يساق الاحتراس بفارق بينها، وهو أن التذييل يأتي لبيان المراد، وهو الغرض الأساسي، ويأتي لغرض آخر مغاير لما عليه الاحتراس.

فالتذييل يأتي على مناحٍ مختلفة، فيُجلّيها ،ويزيدها وضوحاً، ويقوي أثرها في النفس، وكذلك كان الاحتراس، بيد أن الاحتراس يفوقه في أنه يدفع التوهم، ويزيد من وضوحه وتأكيده.

والمتأمل في مواقع الاحتراس يجد أنها تأخذ مواقع التذييل في كثير من المواضع، وخاصة ما كان في آيات الاعتقاد، فيأتي الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية، وما ذلك إلا للصلة بين الاحتراس والتذييل، ففي بعض الآيات تبدو الصلة واضحة وقريبة لا تحتاج إلى مزيد من إعمال الفكر، وإطالة النظر، وربما لا تبدو الصلة واضحة وتحتاج إلى إعمال فكر، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فقد وقع الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية في قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وقد أشار غير واحد من المفسرين[1] إلى هذا الاحتراس ، فقال

---

(١) ينظر على سبيل المثال: روح المعاني(٧: ٦٩)، ومحاسن التأويل (٣: ٢٦٣).

السيوطي (ت: ٩١١): «الوصف بـ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ احتراس حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته»[(١)]، كما تابعه الخفاجي (ت: ١٠٦٩) فيما ذهب إليه، فقال: «إنه احتراس؛ لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز ينافي القدرة، أو لإهمال ينافي الحكمة، فبيّن أن ثوابه وعقابه مع القدرة التامة والحكمة البالغة»[(٢)] ومثل ذلك قال غيرهما من المفسرين.

ويتبيّن من موقع الاحتراس السابق الرابط بينه وبين التذييل، إذ قد يأتي الاحتراس بصورة من صور التذييل، ويتضح من عبارة ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٦) أن هناك تشابهاً بين مصطلح الاحتراس والتذييل وإلا لما حصل الخلط.

وكذلك نقلت أوجه اختلاف أخرى عند ابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧)[(٣)] شبيه بالتي ذكرها ابن أبي الإصبع مما يغني عن إعادتها هاهنا.

والتأمل في الصلة والروابط التي تجمع بين الاحتراس والتذييل، تقود إلى باب عظيم، وآفاق رحبة من أبواب البلاغة القرآنية التي يقصر عنها هذا المقام.

أما عن أوجه الشبه التي جمعت بين مصطلحين **فأولهما**: أن كلاً من الاحتراس والتذييل يحرص على سلامة المعنى، ويأتي ليبين ذلك؛ فالاحتراس يأتي لدفع توهم فهم معنى غير المراد، وكذلك التذييل يأتي ليبين المعنى عند من لم يفهمه، ويزيده وضوحاً لمن فهمه.

الثاني: اشتراكهما في الموقع حيث يأتي كلٌّ منهما في نهاية الجملة، ويزيد الاحتراس بتوسطه في الجملة.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٦٨٤).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي (٣: ٢٥٨).

(٣) خزانة الأدب (١: ٢٤٤، ٢٤٥).

الثالث: يجمع الاحتراس والتذييل احتواؤهما على معنى التأكيد.

وقد أشار ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) إلى أن هناك تداخلاً وتشابهاً بين هذين اللونين فقال: «قد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة، وهي باب الإيغال، والتكميل، والتمكين، والتذييل[١] والفرق بينه وبين التكميل، أن التكميل يرد على معنى يحتاج إلى الكمال، ولا كذلك التذييل»[٢].

خامساً: الاعتراض:

تعريف الاعتراض في اللغة والاصطلاح:

الاعتراض في اللغة: المنع، يُقال: يقال اعتَرَضَ الشيءُ دون الشيءِ أي حال دونه، واعتَرَضَ الشيءَ: تَكَلَّفَه، وأَعرَضَ لك الشيءُ من بَعِيدٍ: بدَا وظَهَر»[٣].

الاعتراض في الاصطلاح:

«هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل»[٤].

وعرفه ابن مالك الناظم (ت: ٦٨٦): «أن يأتي في أثناء الكلام بكلام يفيد: إما برفع الشك، أو الإغناء عن تقدير السؤال»[٥].

---

(١) قد يتبادر إلى الذهن أن ابن أبي الإصبع فرق بين مصطلحي الاحتراس والتكميل، فكيف ساغ هنا أن تذكر علاقة الاحتراس بالتذييل، وهي معنى مغاير لدى ابن أبي الإصبع؟! فأشير هنا إلى أنه وإن فرق بينهما من الناحية التنظيرية والتأصيلية إلا أنه خلط بين الشواهد وأعاد ذكرها، لذا جاز أن يذكر هنا، لأن المصطلح لم يتحور لديه والله تعالى أعلم.

(٢) تحرير التحبير (ص: ٤١٦).

(٣) لسان العرب مادة (عَرَضَ).

(٤) الإيضاح (ص: ١٩٤).

(٥) ينظر: المصباح من المعاني، والبيان والبديع (ص: ٢١٩).

أهمية الاعتراض وعلاقته بالاحتراس:

يُعدّ الاعتراض لوناً من ألوان الإطناب، وجاء على طريقة العرب وأساليبهم في الكلام، وفي ذلك يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥): «إن من سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام لا يكون إلا مفيداً»(١).

بل عدّه ابن المعتز (ت: ٢٩٥) من محاسن الكلام والشعر حيث قال: «من محاسن الشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود الشاعر فيتمه في بيت واحد»(٢).

والاعتراض ليس وسيلة لتحسين الكلام فحسب، وليس حشواً يمكن الاستغناء بل إنه إذا وقع في مكانه المناسب كان من مقتضيات النظم، ومن متطلبات المقام.

وفي ذلك يقول صفي الدين الحلّي (ت: ٧٥٠): «وأما الاعتراض ففيه من المحاسن المتممة للمعنى المقصود ما يكاد يمتاز على أكثر الأنواع»(٣).

وقال فيه ابن جني (ت: ٣٩٢)(٤): «اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء في القرآن، وفصيح الشعر، ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم، ولا يستنكر عندهم أن يعترض بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذاً أو متأولاً»(٥).

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة (ص: ٦٣).

(٢) البديع لابن المعتز (ص: ٥٩).

(٣) شرح الكافية البديعية (ص: ٣٢١).

(٤) هو عثمان بن جني، أبو الفتح النحوي المعتزلي، من أعلم أهل زمانه بالنحو والتصريف، له تآليف كثيرة منها: الخصائص، وسر الصناعة، وغيرهما، توفي ببغداد سنة (٣٩٢)، ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٢٤٤-٢٤٦).

(٥) الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، نشر دار عالم الكتب، ببيروت (١: ٣٣٥).

وقال الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩): «ووجه حسن الاعتراض على الإطلاق: حُسنُ الإفادة، مع أن مجيئه مجيء ما لا معول عليه في الإفادة، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها»(١).

وأسلوب الاعتراض من الفنون البلاغية التي اشتملت على كثير من اللطائف والأسرار، وقد ورد أسلوب الاعتراض في القرآن كثيراً، وو روده في القرآن دليل على قيمة أدائه في التعبير البياني، والقرآن الكريم قد خاطب العرب بما يألفون من الأساليب، وبكلام يدركون مواقعه ومراميه.

ويلحظ المتأمل في ضربي الاحتراس والاعتراض أن ثمة ترابطاً بينهما، فقد جاءت الجملة المعترضة في مواضع لإفادة معنى الاحتراس.

وهذا الترابط قد تنبه له غير واحد من المصنفين، فذكروه في مصنفاتهم، ومن ذلك ما أورده ابن جني في تعليقه على قول الشاعر:

تعلَّم -ولو كاتمتَهُ الناس- أنني ... عليك ولم أظلِم بذلك عاتِب

حيث قال: «فقوله: (ولو كاتمته الناس) اعتراض بين الفعل ومفعوله، وقوله: (ولم أظلم بذلك) اعتراض بين اسم (أن)وخبرها»(٢).

ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن الناظم (ت: ٦٨٦)، حيث قال: «الاعتراض وهو أن تأتي في أثناء الكلام بكلام يفيد: إما رفع الشك»(٣).

فعبارة رفع الشك تفيد معنى الاحتراس، فلو لم تأت جملة الاعتراض لَتُوهِّمَ غيرُ المعنى المراد، وَفُهِمَ غيرُ المقصود من السياق.

---

(١) الإيضاح في علم البلاغة (ص: ١٩٢).

(٢) الخصائص (١: ٣٣٥).

(٣) المصباح (ص: ٢١٩).

وقد أشار غير واحد من العلماء إلى ضروب من التشابه بين هذين الفنين سواء أعبّر عن ذلك صراحة، أم ألمح إلى ذلك بين طيات حديثه.

وممّن صرّح بهذا التشابه والتداخل الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) فقال في التلخيص: «ثم جوّز بعضهم وقوعه آخر جملة لا تليها جملة متصلة بها، فيشمل التذييل، وبعض صور التكميل»(١).

وقال في الإيضاح: «ومن الناس من لا يفيد فائدة الاعتراض بما ذكرنا، بل جوّز أن تكون لدفع إيهام خلاف المقصود»(٢).

كما ذكر الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) أن من البلاغيين مَنْ جَعَلَ الاعتراض يشمل التتميم والتكميل، وربما أخرج بعضهم هذه الأنواع من الاعتراض، وهو خلاف يطول المقام لبيانه.

كذلك يرى غير واحد من البلاغيين وإن لم تجود عباراتهم بذلك، فقد ألمحوا إليه في أثناء تعريف الاعتراض(٣)، ومن هؤلاء السيوطي (ت: ٩١١)، حيث قال: «الاعتراض هو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإبهام»(٤).

ففحوى كلام السيوطي يشير إلى معنى الاحتراس، وكأن معنى الاحتراس في الجملة المعترضة معنى أصيل لا يكاد يتحول، وقد تعضده نُكت أخرى غير دفع التوهم، لكنها لا تغني عنه، وهذا واقع مشاهد في عدد من الآيات القرآنية.

---

(١) التلخيص (ص: ١١٢).

(٢) الإيضاح (ص: ١٩٧).

(٣) معاهد التنصيص (١: ٢٧٠).

(٤) معجم مقاليد العلوم، للسيوطي، تحقيق: محمد عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (ص: ٩٧).

وهناك لفتة قيمة تشير إلى التشابه القائم بين الاحتراس والاعتراض، وإنه ربما يأتي أحدهما عوضاً من الآخر.

ومن ذلك ما ذكره أسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤)، في باب الاعتراض حيث عرّف الاعتراض، وأورد له شواهد، لكنه لم يجد مناصاً من الإشارة إلى الاحتراس في تعليقه على أحد الشواهد، حيث أورد قول الشاعر(١):

وتَحتقـرُ الـدّنيا احتقـارَ مُجَرِّبِ ... ترى كلَّ ما فيها وحاشاكَ فانيَا

فقال: «احترز بقوله: (وحاشاك) من دخوله في الفناء»(٢) عبارة (احترز) وهي أقوى نظائر الاحتراس، أتى بها للدلالة على معنى الاحتراس، فلو لم يحترس بعبارة (وحاشاك) لفهم عكس المراد، ولخرج من معرض المدح إلى الدعاء على الممدوح.. والله أعلم.

وقد تنبه لهذا التشابه للترابط غير واحد من المفسرين، فذكروا في تفسير الآيات أن هذا الاعتراض يراد منها الاحتراس، ومن الشواهد الدالة عليه ما ورد في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] «فجملة: ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ معترضة للاحتراس من أن يظن هامان وقومه أن دعوة موسى أوهنت منه يقيناً بدينه وآلهته»(٣).

فجملة الاعتراض في الآية الكريمة كان الغرض منها الاحتراس. وفي موضع آخر في قول الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ

(١) البيت للمتنبي، ديوانه (٤: ٢٩٦).

(٢) البديع في نقد الشعر (١: ٢٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤: ١٤٧).

وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٣]. والمقصود من هذا الاعتراض الاحتراس من توهمهم أنهم أصبحوا آمنين من المؤاخذة على عدم التذكر»[(١)].

يبدو من النصين السابقين والعبارات التي سبقتها أن الاعتراض يأتي ويكون من أغراضه الاحتراس، وقد يأتي الاحتراس شبيهاً بالجملة المعترضة، وأنه لا تنافي ولا تضاد بينهما، وقد يقوم أحدهما مقام الآخر إن كان السياق يدعو لذلك، فيأتي الاعتراض إضافة لدفع التوهم لأغراض بلاغية أخرى، كالتنزيه، والتعظيم، والتنبيه، وغير ذلك.

يلحظ الناظر في ضروب الإطناب -بعامة- التداخل الكبير، ليس بين الاحتراس وغيره فحسب، بل بين الفنون بعضها مع بعض، حتى أشكل تحرير مسائلها على حذاق البيان، فهذا السيوطي (ت: ٩١١) على رسوخ قدمه في غير واحد من الفنون العربية إلى أنه يذكر الإشكال وعدم التمييز بين الاحتراس والتكميل والتتميم»[(٢)].

أما عن علاقة الاحتراس بفنون الإطناب فهي علاقة وثيقة العُرى، تكاد تتجلى مع كل فن يصل إلى حد التشابه، وكما أن هذه الألوان قد تأتي في النظم، ويكون الغرض منها الاحتراس.

وقد شَكّل الاحتراس الركيزة المهمة في باب الإطناب لذا جاء متشابهاً ومتشابكاً مع جميع ألوانه، حتى إنه يأتي في كل موقع من هذه الألوان، فيأتي الاحتراس في منزلة الاعتراض، وربما كان الغرض من الاعتراض هو الاحتراس، ودفع الإيهام، كما يأتي الاحتراس في مقام الإيضاح بعد الإبهام، وهذا (الإيضاح) ما هو إلا لدفع التوهم الذي قد يُخل بفهم المعنى، ويدفعه عن وجهه الصحيح، ومثل هذا في بقية فنون الإطناب فضلاً عن الألوان التي وصل فيها التشابه إلى حد أن يكون نظيراً للاحتراس يقوم مقامه في كل آن.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠: ٣٠٨).

(٢) شرح عقود الجمان (ص: ٧٥).

والذي يبدو أن مدار فنون الإطناب المختلفة على فن الاحتراس؛ فبه يفهم المعنى، وبه يندفع الخلل عن معرفة المقصود، وقد قيل: «كانت العرب تطنب ليسمع منها، وتوجز ليحفظ عنها»[١]، فالإطالة تأتي لإفهام السامع المعنى المقصود، وصيانته من كل خلل أو دخل يخل بهذا المعنى.

وقد كشفت الشواهد القرآنية عن مدى هيمنة الاحتراس على أنواع الإطناب،حتى إنها لتسعى لمعناه ومقصوده، وإن باينته في التسمية والتقسيم.

كما كشفت الشواهد القرآنية أن للاحتراس أثراً بلاغياً وفنياً في الكلام، وأن له قدرةً واضحةً على إعطاء الكلام ميزة بلاغية خاصة، وإن جاء بموقع أحد أنواع الإطناب، وقد تنبه المفسرون لذلك، فجاءت عباراتهم دالة على ذلك، تشير إلى اجتماع ضروب الإطناب في الآية الواحدة، وقد فاضت عباراتهم بما يدل على هذا ومنه:

- (أن التكرار لنفي توهم المجاز)[٢].
- (تذييل جعل كالاحتراس...)[٣].
- (عطف بقصد الاحتراس)[٤].
- (جملة معترضة للاحتراس)[٥].

وغيرها من النصوص التي تؤكد على هيمنة الاحتراس على صنوف الإطناب الأخرى.

❀❀❀

---

(١) كتاب الصناعتين (ص: ٢١١).هذا القول لأبي عمرو بن العلاء .

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨: ٧٢٣)، والتحرير والتنوير (٣٠: ٤٦).

(٣) التحرير والتنوير (٥: ٢١١)، (٧: ٤١٦).

(٤)المرجع السابق (٥: ٢٢٦).

(٥) المرجع السابق (٣٠: ٣٠٨).

المبحث الرابع
علاقة الاحتراس ببقية فنون البلاغة

توطئة:

عُنِيَ الاحتراس بوضوح العبارة، وسلامة المعنى من الخلط والاضطراب، فجاء في عدة صور من صور البلاغة؛ ذلك أن سلامة النظم من الخلط والإيهام تكسب الكلام مزية بلاغية من حيث الظهور والوضوح؛ «لتكون الأعناق إليه أَمْيَلَ، والعقولُ عنه أَفْهَمَ، والنفوسُ إليه أسرعُ»(١).

وفيما يأتي عرض للألوان البلاغية التي جاء الاحتراس في أسلوبها للكشف عن الصلة التي ربطت بينهما، وبيان المقصد الذي جمع بينهما.

أولاً: الاستثناء(٢):

باب الاستثناء باب واسع ومتشعب، كثر الخلاف فيه، وتباينت فيه الآراء، سواء أكان ذلك في أدواته أم أنماطه، أم في قضاياه التركيبية، أم من حيث دراسته والاهتمام به من النحويين أو من البلاغيين.

وقد تباينت آراء البلاغيين فيه حتى عدّه بعضهم ضرباً من الاحتراس(٣).

«وليس كل استثناء يُعدّمن المحسنات البديعية، بل يشترط فيه اشتماله على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي حتى يستحق به نظمه في سلك أنواع البديع، وإلا لم يكن منه»(٤).

---

(١) البيان والتبيين (١: ٧).

(٢) سبقت الإشارة إلى تعريف الاستثناء، وآراء العلماء فيه في مبحث أشباه الاحتراس، مما يغني عن إعادته هنا. (ينظر ص: ٤٧).

(٣) كتاب الصناعتين (ص: ٤٦٠).

(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع (٣: ١٠٩).

ولا شك في أن المعنى الزائد على الاستثناء هو النكتة البلاغية التي يحملها، والتي تشتمل على معنى الاحتراس؛ إذ يشغل الاحتراس في بعض أنماطه موقع الاستثناء.

وقد أدرك البلاغيون الصلة بين الاحتراس والاستثناء، وأكّد عليها المفسرون، فجاءت عباراتهم دالة على ذلك.

فلو لم يأت الاستثناء بأسلوب الاحتراس لما اندفع التوهم في تلك المواطن.

فقد جاء الاحتراس في بعض صوره بأسلوب الاستثناء، فلو لم يأت الاحتراس فيما وراء أداة الاستثناء لتوهم العموم في الحكم.

وفيما يأتي عرض لبعض الآيات القرآنية التي جاء الاحتراس فيها بأسلوب الاستثناء، والتي أشار إليها ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]، حيث قال: وزيادة ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ احتراس لإثبات شفاعة محمد ﷺ بإذن الله تعالى»(١).

وفي موضع آخر ينص ابن عاشور على أن المقصود من الاستثناء هو الاحتراس، فيقول في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٨]: «واستثنى: ﴿مَن ظُلِمَ﴾ فرخّص له بالجهر بالسوء من القول، والمستثنى منه هو فاعل المصدر المقدر الواقع في سياق النفي، المفيد للعموم... والمقصود من هذا هو الاحتراس في حكم: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾»(٢).

ويتبيّن أن ابن عاشور يرى موقع الاحتراس هو ما بعد الاستثناء ﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير (١١: ٨٨).

(٢) التحرير والتنوير (٦: ٦).

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩-١١].

كما ذكر الاستثناء الوارد في الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ ثم قال: «احتراس باستثناء من الإنسان»(١). فجمع بين مصطلحي (الاستثناء) و(الاحتراس) في سياق واحد للدلالة على اشتراكهما في بيان المعنى وإيضاحه.

والجدير بالذكر أنّ صلة الاحتراس بالاستثناء ذكرها ابن عاشور في تفسيره في غير موضع(٢)، مما يدل على اتساقهما في الموضع الواحد دون أن يكون هناك اختلاف أو تنافر؛ لأن الهدف هو الوضوح وعدم اللبس، وإفهام المتلقي والتأثير فيه، فالوضوح أصل من الأصول التي يقوم عليها البيان» وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان، وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب»(٣)

ومما سبق يتبين أن الوضوح وعدم الالتباس هو من أسمى مقاصد البيان في الدلالة على المعاني، فإذا حصل فيها الخفاء أوالوهم فإنها تبقى في حيز عدم الوضوح، وبذلك

---

(١) التحرير والتنوير (١٢: ١٥).

(٢) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (٣: ٢٨٠)، (٥: ٢١١)، (٦: ٦)، (٧: ١٦٥)، (٨: ١٠٥)، (١١: ٨٨)، (١٢: ٢٧٨)،(١٢: ١٥)،(١٢: ٥٥)،(١٧: ٣٢٣)،(٢١: ١٥١)،(٢٧: ٤٢٣)،(٣٠: ٦٧).

(٣) البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، طه حسين، طبعة دار الكتب المصرية، بيروت، ١٤٠٠ (ص: ٧).

يختل البيان، ولا ينتفع المتلقي بما يلقى إليه من المعاني؛ ؛ لأنها بقيت في حكم الخفي، أو على الأقل لم يدرك المعنى المراد، وهذا من عيوب الكلام.

ثانيا: الاستدراك:

يُعدّ الاستدراك أحد ضروب البيان التي تسهم في وضوح المعنى وسلامته من الدخل الذي يؤدي إلى الخلط والاضطراب.

وفي مقام الحديث عن بلاغة الاستدراك وعلاقته بالاحتراس أجد من المهم الإشارة إلى النكت البلاغية التي يأتي بها الاستدراك، ومنها التقرير والتوكيد، ودفع التوهم، وغير ذلك.

وهذه الأغراض تكاد تتفق مع أغراض الاحتراس، ومن ثم كان هناك ترابطٌ بين هذين الفنين.

ومن أبرز الروابط التي تجمع بين الاحتراس والاستدراك الحرصُ على سلامة النظم، ووضوح المعنى، فالوضوح أصل من الأصول التي يقوم عليها البيان والبلاغة، وهو شرط من شروط جودة الأسلوب،ومقياس من مقاييس جماله،وفي هذا المعنى يقول الجاحظ (ت:٢٥٥): «وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح كانت الإشارة أبين وأنور... وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب»[(١)].

فالوضوح مظهر من مظاهر جمال النظم، فلو عُدِمَ الاستدراك في سياق يقتضيه لفهم غير المعنى المراد.

وقد تنبه غير واحد من المفسرين[(٢)] للصلة التي تجمع بين الاحتراس والاستدراك، وأن الاحتراس قد يأتي بأسلوب الاستدراك، وقد يكون الغرض من الاستدراك هو

(١) البيان والتبيين: (١: ٧٥).

(٢) كالقرطبي (ت: ٦٧١)، والبيضاوي (ت: ٦٨٥)، والألوسي (ت: ١٢٧٠)، وابن عاشور (ت: ١٣٩٣).

دفع التوهم، فدارت عباراتهم في ذلك الفلك، وأن الاستدراك إنما يأتي لدفع التوهم مطلقاً، ومن تلك العبارات: (استدراك لرفع التوهم)[١]، (استدراك لرفع ما قد يتوهم)[٢]، (استدراك في موقع الاحتراس)[٣].

كذلك تفطن غير واحد من البلاغيين إلى وجود صلة وثيقة بين فني الاستدراك والاحتراس؛ لذا اشترطوا في الاستدراك أن يحتوي على نكتة زائدة على كونه استدراكاً حتى يدخل في فنون البديع.

لكن عباراتهم لم تفصح عن هذه الصلة،ولم تجد ألفاظهم بتوصيفه بالاحتراس أو قريب منه، لكنها تحمل مقصود الاحتراس، ومن ذلك ما ذكره ابن حجة الحموي (ت:٨٣٧) في تعقيبه على أحد الشواهد الشعرية، وهو قول الشاعر:

أخو ثقةٍ لا يُذهبُ الخمرُ مالَهُ ولكنّه قد يُذهبُ المالَ نائلُهْ

فقال: «فإنه لو اقتصر على صدر البيت دل على أن ماله موفور، وتلك صفة ذم، فاستدرك ما يزيل هذا الاحتمال، ويُخلص الكلام للمدح المحض»[٤]، وقد نقل هذا الرأي عن أبن أبي الإصبع (ت:٦٥٤)، في كتابه «تحرير التحبير» ولم يشر إلى ذلك.

ومن الشواهد التي جمعت بين مصطلح الاستدراك ومغزى الاحتراس ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣: ١٩٤)، وروح المعاني (٢: ٣٨٢)، (٣: ١٨٩، ١٩٤)، (٤: ٣٨٩)، (١٠: ٣٦٣)، والتحرير والتنوير (٦: ٢٨)، (٨: ٩٢ – ١٢٣ – ١٥١ – ١٩٢)، (٩: ٢٩٤)، (١٠: ٦٤)، (١٤: ٣٩٤)، (١٦: ٢٨٤)، (٢٠: ٢٥١، ١٥٩)، (٢٢: ٤٣)، (٢٧: ٣٤٤).

(٢) روح المعاني (١٣: ٣١٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٤: ٣٩٤).

(٤) خزانة الأدب (١: ١٤٧).

وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فقد تحدثت الآية الكريمة عن صنوف من العذاب حلت بأقوام كفروا بالله عز وجل، وكان استحقاق العذاب الذي نزل بساحتهم هو ظلمهم لأنفسهم، وكفرهم بالله عز وجل، فجاء الاستدراك لنفي توهم الظلم أنه من الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وبيان أن ظلمهم لأنفسهم كان سبب هلاكهم.

وقد أشار إلى هذا الاستدراك الذي جاء لمغزى الاحتراس غير واحد من المفسرين، ومن تلك الأقوال ما أورده ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، حيث قال: «الاستدراك ناشئ عن نفي الظلم عن الله في عقابهم؛ لأنه يتوهم منه انتفاء موجب العقاب، فالاستدراك لرفع هذا التوهم»[١].

ومن النص السالف يتبين أن ابن عاشور قد جمع إلى مصطلح الاستدراك، المغزى من إيراد الاحتراس وهو دفع التوهم، وصاغه في قالب واحد، وكل ذلك ينبئ عن مدى الترابط بين هذين الفنين.

وفي دلالة أوضح يجمع ابن عاشور بين هذين المصطلحين، وذلك في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦].

حيث يرى ابن عاشور أن هذا الاستدراك إنما جاء للاحتراس من أن يظن أن الكفر حكمه بدون إكراه كحكم المُكره، حيث يقول: «والاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ

(١) التحرير والتنوير (٢٠: ٢٥٢).

بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ استدراك على الاستثناء، وهو احتراس من أن يفهم من الاستثناء أن المكره مرخص له أن ينسلخ عن الإيمان من قلبه»(١).

ومن المواضع كذلك ما ورد عند قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١].

فقال الألوسي (ت: ١٢٧٠) في تفسيره لهذه الآية: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استدرك على ما قبله رافع لما يتوهم منه، وذلك على ما قيل أن القوم لما أثبتوا له الضلال أرادوا به ترك دين الآباء ودعوى الرسالة، فحين نفى الضلالة توهم منه أنه على دين آبائه، وترك دعوى الرسالة، فوقع الإخبار بأنه رسول وثابت على الصراط المستقيم استدراكاً لذلك»(٢).

ويشير الألوسي إلى المغزى من هذا الاستدراك بقوله: «... ولا يخفى أن هذا الاستدراك غير الاستدراك بالمعنى المشهور، وقد ذكر غير واحد من علماء العربية أن الاستدراك في (لكن) أن تنسب لما بعدّها حكماً مخالفاً لما قبلها سواء تغايراً إثباتاً ونفياً»(٣).

ويتبين من النظر في علاقة الاحتراس بفنون البلاغة المتنوعة، أن الاحتراس يأتي في صورة تلك الفنون، ويأخذ موقعها.

كما أن تلك الأنواع قد يأتي من أغراضها دفع التوهم، وإزالة اللبس من لوازم الاحتراس، وقد نطقت به عبارات المصنفين، وإن لم يصرّحوا بالاحتراس، لكنهم لم يجدوا مناصاً من ذكر الغرض الذي من أجله سيق ذلك الفن سواء أكان استدراكاً أم استثناءً أم تأكيداً، وأن الغرض من ذلك إنما هو لدفع التوهم وإزالة اللبس عن المعنى المراد.

---

(١) التحرير والتنوير (١٤: ٢٩٤).

(٢) روح المعاني (٨: ١٥١).

(٣) المرجع السابق (٨: ١٥٢).

ثالثاً: التوكيد:

يُعدّ أسلوب التوكيد من الأساليب التي تستخدم لتأصيل المعاني، وبيان الصورة، وفي ذلك تثبيت للمعاني، وبيان للمراد، ودفع للتوهم الخلط والاضطراب.

كما يرد أسلوب التوكيد بطرق متعددة، ومفاهيم واسعة تتجاوز الأساليب المصطلح عليها، فتؤكد المعاني بسبل شتى، وكل أسلوب يلحظ فيه تقوية المعنى، وتثبيتٌ للغرض، وهو في الحقيقة يستقي من مورد التوكيد، ويغرف من نبعه.

ولا يقتصر استخدام هذا الأسلوب في القرآن على غرض التوكيد فحسب، بل يتجاوزه لأغراض أخرى كالاحتراس لدفع التوهم.

بل إن القرآن الكريم حافل بالآيات التي جاءت بأسلوب التوكيد في قضايا شتى، فيرد التوكيد في صفات الباري -عز وجل- وفي العقائد والعبارات والمعاملات، وغيرها.

وهناك لون من التأكيد في القرآن جاء بأسلوب الاحتراس، فلا يكتفى بتأكيد المعنى، بل يدفع عنه التوهم الذي ربما يكتنف المعنى، ويميط عنه اللبس.

وللاحتراس اشتراك واضح مع التوكيد بأساليبه المتنوعة، وألوانه المتعددة، إذ الرابط في هذه العلاقة سلامة النظم ووضوح المعنى من اللبس أو الخلل.

فالتوكيد يسعى إلى تقوية المعنى وتمكنه بالنفس، والاحتراس يحرص على ذلك، ويؤكد عليه.

وقد أشار غير واحد من المصنفين إلى ذلك، وإلى اتفاق المغزى من هذين اللونين، كما جمعت عباراتهم بين التوكيد والمغزى من وراء الاحتراس في سياق واحد، ومن ذلك: «تأكيد لدفع توهم المجاز، وتأكيد يرفع توهم المجاز»[١]، و«توكيد لدفع

---

(١) ينظر على سبيل المثال: البحر المحيط (١: ٤٤٣)، (٨: ٧٢٣)، وإرشاد العقل السليم (١: ١٢٠).

توهم الاشتراك»[(١)]، و«توكيد لدفع توهم التخصيص»[(٢)]، و«توكيد لدفع توهم العموم والشمول»[(٣)]، وغيرها من العبارات التي تشير إلى اشتراك بين هذين الفنين في بعض الخصائص.

ويظهر ذلك الارتباط بجلاء في الشواهد والأمثلة، ومن الشواهد والأمثلة الدالة على اجتماع الاحتراس مع التأكيد ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠]، فقد جاء الاحتراس بأسلوب التوكيد فلو لم يؤكد بـ﴿أَجْمَعُونَ﴾ لاحتمل أن بعضهم لم يسجد، فلما أكد بـ﴿أَجْمَعُونَ﴾ زال هذا الاحتمال، وينقل عن المبرد (ت: ٢٨٥) في هذه الآية قوله: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ احتمل أن يكون سجد بعضهم، فلما قال: ﴿كُلُّهُمْ﴾ زال هذا الاحتمال ، فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم بعد هذا بقي احتمال آخر، وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة، أو سجد كل واحد منهم في وقت آخر، فلما قال: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة»[(٤)].

ومما سبق يتأكد أن معنى الاحتراس الذي نطقت به عبارات المبرد بقوله: (فزال الاحتمال) دالٌ على أن التوكيد يزيل الاحتمال كالاحتراس تماماً.

وكما يتبين من النص السابق أن الغرض الذي من أجله سيق التوكيد إنما هو للاحتراس من الخلل في فهم المعنى.

(١) ينظر على سبيل المثال: اللباب (٢٠٩:٢)، (٨: ١٢٥)، وإرشاد العقل السليم (١: ١٢٠) والبحر المحيط (١:٢٦٨)

(٢) ينظر على سبيل المثال: إرشاد العقل السليم (١: ٢٧٠)، والتحرير والتنوير (٢٩: ٢٣).

(٣) ينظر على سبيل المثال: إرشاد العقل السليم (٢: ١٧٤)، وروح المعاني (٤: ٢٣١).

(٤) المحرر الوجيز (٣: ٣٥٧)، وأنوار التنزيل (٣: ٣٦٩).

كذلك من الروابط التي جمعت بين النوعين الموقع الأعرابي، فقد يأتي الاحتراس بموقع التوكيد أو بمصدر مؤكد.

وقد يأتي الاحتراس بموقع المصدر المؤكد، ومثال ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] فاحترس لنبيه موسى عليه السلام من أن يتوهم السامع أن التكليم ليس على الحقيقة، وإنما جاء بأحد طرق الوحي، فلما أكد بالمصدر انتفى كل احتمال وزال كل شك، وتبين أن التكلم إنما كان على الحقيقة، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذا التأكيد إنما جاء لنفي توهم المجاز(١)، وبذلك يتقرر أن الاحتراس شبيه بالاحتراس في هذا الموطن والمواطن المشابهة(٢).

ومن أساليب التوكيد التي جاءت لغرض الاحتراس دفع توهم عدم الشمول والإحاطة، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، حيث اجتمع الاحتراس والتوكيد في قوله: ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ لتوهم أن ليس على إطلاقه، وقد يخرج من هذا الوعيد أحد، فلما احترس بقوله: ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ انتفى ذلك الوهم، وتأكد المعنى، بأن الوعيد شامل لجميع الأفراد، وفي ذلك يقول الألوسي (ت: ١٢٧٠): «وفائدة التأكد ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ دفع توهم عدم الشمول والإحاطة بجميع الأفراد»(٣).

---

(١) ينظر على سبيل المثال: معاني القرآن (١: ٢٦٠)، وبحر العلوم (١: ٣٨٢)، ومعالم التنزيل (١: ٥٠٠)، والبحر المحيط (٣: ٣٦٢)، وإرشاد العقل السليم (٢: ٢٢٢)، وحاشية الشهاب الخفاجي (٣: ٣٩٧)، وحاشية الصاوي (١: ٨٢).

(٢) ينظر: (سورة البقرة: ٥٥، ٢٨٢)، و(سورة الأنعام: ٧، ٣٨)، و(سورة الأعراف: ٩٥، ١٤١)، و(سورة النور: ١٥)، : ٣٤)، و(سورة الملك: ١٩)، و(سورة الفجر: ٢١، ٢٢).

(٣) روح المعاني (٦: ٣٥٩).

يتبين من عبارة الألوسي الماضية أن التوكيد يكون من أغراضه التي يُساق من أجلها هو دفع التوهم، وهو مقصود الاحتراس لكن بعبارة أخرى.

وكما اشتركا -أي الاحتراس والتوكيد- في الموقع الإعرابي فقد اشتركا في موقعهما من النظم، فالاحتراس، والتوكيد يأتي في وسط الجملة وفي آخرها.

ومثال الاحتراس الذي جاء بأسلوب التوكيد في وسط الجملة ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥] حيث جاء الاحتراس بقوله: ﴿جَهْرَةً﴾ وهو توكيد حيث أكد بنو إسرائيل طلبهم بأن يروا الله عياناً بأبصارهم دون سائر، كما ذكر غير واحد من المفسرين[١] أن المراد بـ﴿جَهْرَةً﴾ لدفع توهم المجاز.

والجدير بالذكر أن الاشتراك بين الاحتراس والتوكيد يقود الحديث إلى فن ثالث، وهو (التكرار)، وكما هو معلوم أن التكرار ينضوي تحت مظلة التوكيد بقسميه اللفظي والمعنوي، بل إن بعض المصنفين عدّه من مقاتل البيان[٢]، ووصفه آخرون بأنه أبلغ من التوكيد[٣].

ومن الشواهد الدالة على اجتماع هذه الألوان الثلاثة ما ورد في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] فكلمة ﴿دَكًّا﴾ الأولى مقصود به دفع احتمال المجاز عن ﴿دُكَّتِ﴾ الدك هو دك حقيقي، و﴿دَكًّا﴾ الثاني منصوب على التوكيد اللفظي لـ﴿دَكًّا﴾

---

(١) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان (١: ٣٢٨)، واللباب (٢: ٨٥)، وإرشاد العقل السليم (١٦: ١٣٦).

(٢) المثل السائر (٢: ١٤٦).

(٣)الكشاف (٣: ٣٢٣) والإتقان (ص: ٦١٢).

الأول زيادة تحقيق إرادة مدلول الدك الحقيقي؛ لأن دك الأرض العظيمة أمر عجيب، فلغرابته اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقي»[١].

رابعاً: القصر:

تعريف القصر:

القصر في اللغة:[٢] يعود في أصله اللغوي إلى مادة (قَ صَ رَ) وهو الحبس، ومنه قوله: تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات: ٤٨].

القصر في اصطلاح البلاغيين:

هو تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص[٣] «والشيء الأول هو المقصور، والثاني هو المقصور عليه، والطريق المخصوص هو أدوات القصر، والمراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره، وبهذا تكون جملة القصر في قوة جملتين»[٤].

طرق القصر:

ويراد بها الأساليب التي تدل على القصر، وهي طرق كثيرة اقتصر في عرض أربعة منها، وهي التي تواتر البلاغيون على ذكرها دون غيرها:

أولاً العطف:

حروف العطف التي يكون بها القصر هي (لا)، و(بل)، و(لكن)، ويُعدّ العطف أقوى دلالة على القصر للتصريح فيه بالإثبات والنفي[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠: ٣٣٦).

(٢) لسان العرب مادة (قصر).

(٣) الإيضاح (ص:١١٨).

(٤) بغية الإيضاح (٢: ٣).

(٥) بغية الإيضاح (٢: ٩).

ثانياً: النفي والاستثناء:

يقع في المرتبة الثانية بعد العطف، ويستخدم في الأمور التي هي مجال للشك والإنكار، ويجيء النفي والاستثناء لبيان تأكيد الأمر في نفس قائله[١].

ثالثاً: إنما:

تستعمل لإثبات ما بعدّها ونفي ما عداه؛ وذلك لتضمنها معنى (ما وإلا)، ولما كانت (إنّ) لتأكيد إثبات المسند إليه، ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة ناسب أن تضمن معنى القصر؛ «لأن قصر الصفة على موصوف وبالعكس ليس إلا تأكيداً للحكم على تأكيد»[٢].

رابعاً: تقديم ما حقه التأخير:

وهو على ثلاثة أقسام: أولها: تقديم المسند إليه، وثانيها: تقديم المسند، وثالثها: تقديم بعض القيود[٣].

وهناك طرق أخرى للقصر أعرض عن ذكرها ؛؛ لئلا يطول المقام[٤].

والقصر باعتبار طرفيه قسمان[٥]: قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة، والقصر باعتبار الحقيقة والواقع قسمان أيضاً[٦]:

١- **حقيقي:** هو أن يختص بالمقصور عليه بحسب الحقيقة، والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلاً، نحو: لا إله إلا الله.

---

(١) من بلاغة القرآن، لأحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، (ص: ١٢٢) بتصرف يسير.

(٢) مفتاح العلوم (ص: ٤٠٣).

(٣) بغية الإيضاح (٢: ١٣).

(٤) للاستزادة ينظر: من بلاغة القرآن (ص: ١٢١ – ١٢٥).

(٥) معجم البلاغة العربية،لبدوي طبانة(ص ٥٥٥).

(٦) المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي (ص: ٦٢٢).

٢- **إضافي:** هو الذي يختص فيه المقصورُ المقصورَ عليه، بالنسبة إلى شيء معين بحيث لا يتعداه إلى جميع ما عداه.

والقصر باعتبار المخاطب ثلاثة أقسام(١):

١- قصر إفراد، وذلك إذا اعتقد المخاطب الشراكة في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

٢- قصر قلب، وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته بالقصر.

٣- قصر تعيين، وذلك إذا كان المخاطب متردداً في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

وقد استخدم القرآن ضروباً من القصر عندما يريد إثبات حكم معين لمذكور ونفيه عما عداه(٢).

وذكر البلاغيون أغراضاً للقصر، منها :أنه «يقصد به تمكين الكلام وتقريره في الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أوشك» (٣).

و قد جاء الاحتراس بأسلوب القصر بأساليبه المختلفة في غير موضع في القرآن الكريم(٤).

وكان الغرض من القصر هو الاحتراس؛ لئلا يتوهم خلاف المراد، فلو لم يذكر لتوهم خلاف المراد، والشواهد والأمثلة في هذا المقام أكثر من عرضها في هذه العجالة، بيد أنها سترد مفصلة في الدراسة التحليلية.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي (ص١٢٢) بتصرف يسير.

(٣) بغية الإيضاح (٢: ٣).

(٤) ينظر: سور (البقرة:١٣٩، ١٤١)، و(آل عمران: ١١٠)، و(النساء: ١٤٨)، و(المائدة: ٩٠)، و(الأعراف: ١٥٩)، و(يونس: ٣)، و(هود: ٢)، و(الرعد: ٣٠)، و(القصص: ٥٨)، و(النمل: ٩١)، و(يس: ٣٢)، و(النجم: ٢٢، ٣٦، ٤٠)، و(الحديد: ٢٧)، و(الإنسان: ٢٩، ٣٠)، و(التكوير: ٢٩)، و(الغاشية: ٢٣)، و(القدر: ٥).

ومن الشواهد الدالة على وقوع الاحتراس بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣].

وانتظم الاحتراس بأسلوب القصر في قوله: ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾، وقد أشار غير واحد من المفسرين[١] إلى أن هذه الآية جاءت رداً على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم مشركين كانوا أو أهل كتاب، وفي ذلك يقول ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١): «﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي: ما يشفع إليه أحد من بعد أن يأذن هوله في الشفاعة، وهذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم»[٢].

وقد صرّح الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بمجيء الاحتراس، فقال: «وزيادة ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ احتراس ؛لإثبات شفاعة محمد ﷺ بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والمقصود من ذلك نفي الشفاعة لآلهتهم من حيث إنهم شركاء لله في الإلهية، فشفاعتهم عنده نافذة كشفاعة الند عند نده»[٣].

وقد بدا الاحتراس واضحاً في عبارة ابن عاشور، فلو لم يذكر الاحتراس لتوهم متوهم أن شفاعة المعبودات من دون الله جائزة ونافذة، فنفى الاحتراس هذا التوهم، وأثبت أن الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى لا تقع إلا بعد أن يأذن للشافع في الشفاعة[٤].

---

(١) ينظر: غرائب القرآن (٣: ٥٥٦)، وروح المعاني (٦: ٦٣)، وفتح القدير (٢: ٥٩٦).

(٢) ينظر: التسهيل (١: ٤٧٩)، وأنوار التنزيل (٢: ٨٩).

(٣) التحرير والتنوير (١١: ٨٨).

(٤) ذكر العلماء شروطاً للشفاعة هي: الأذن في الشفاعة، والإذن للشافع في الشفاعة، والرضى عن المشفوع له.

وهذا الاحتراس «تقرير لعظمته عز جلاله، ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله»[(١)]، وقد جاء الاحتراس في الآية الكريمة لنفي الشفاعة إلا بإذن الله تعالى، وإبطال لمعتقد المشركين وأهل الكتاب أن معبوداتهم من دون الله تشفع لهم، ولإثبات هؤلاء المشركين لزعمهم الباطل جاء نفي ذلك الزعم على أبلغ الوجوه.

«ويستعمل النفي والاستثناء عند الإنكار»[(٢)]، ولما كان النفي لجميع أفراد الشفعاء باستعمال (من) الاستغراقية: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ أتى بـ«استثناء مفرغ من أعم الأوقات، أي: ما من شفيع يشفع لأحد في وقت من الأوقات إلا بعد إذنه»[(٣)].

وقد أشار إلى الاحتراس غير واحد من المفسرين، فقال البقاعي (ت: ٨٨٥): «ولما كانت إضافتها إليه إنما هي لمحض التشريف قال: احتراساً عما لعله يتوهم ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٩١] أي من غيرها مما أشركتموه به وغيره خلقاً وملكاً، وليس كالملوك الذين ليس لهم إلا ما حملوه على غيرهم»[(٤)].

وكذلك يرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) فيقول: «وتعقيب هذا بجملة ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ احتراساً؛ لئلا يتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها، ليعلم أن تلك الإضافة لتشريف المضاف إليه، لا لتعريف المضاف بتعيين مظهر ملكه»[(٥)]، وإلى هذا المعنى أشار غير واحد من المفسرين»[(٦)].

---

(١) أنوار التنزيل (٣: ١٨٤).

(٢) بغية الإيضاح (٢: ١٠).

(٣) إرشاد العقل السليم (٣: ٢١٠).

(٤) نظم الدرر (٥: ٤٥٧).

(٥) التحرير والتنوير (٢٠: ٥٧).

(٦) ينظر: جامع البيان (١٠: ٢٤)، والمحرر الوجيز (١٢: ١٣٨)، ومفاتيح الغيب (٢٤: ١٩١)، والبحر المحيط (٧: ١٣٢)، واللباب (١٥: ٢١٠)، وفتح القدير (٤: ٢٠٦)، ومحاسن التأويل (٥: ٤١٤).

يلحظ المتأمل في اجتماع أسلوبي الاحتراس والقصر ـ في موضع الغرض الأصلي للاحتراس (وهو دفع التوهم مطلقاً)، وباجتماعه مع القصر ـ يحدد أغراضاً للاحتراس أكثر دقة، ومنها دفع توهم الشراكة، فلو لم يحترس بالقصر لتوهم المشاركة، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٣٩]، «فهو احتراس من أن يكون المسلمون مشاركين للمخاطبين في أعمالهم»[(١)]، كذلك دفع توهم الاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة: ١٤١]، فهو استيفاء لتحقيق معنى الاختصاص في كل فريق مختص به عمله، ولا يلحق به عمل، وتبعه الفريق الآخر[(٢)].

فجاء القصر بالغرض الأول للاحتراس، وزاد عليه أمور أكثر دقة وتحديداً، واجتماع القصر مع الاحتراس في موطن يزيد المعنى وضوحاً.

خامساً: الكناية:

تعريف الكناية[(٣)]:

الكناية في اللغة: يعود الأصل اللغوي إلى مادة (كنى)، والكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكَنَى عن الأمر بغير يكنى كِناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه.

الكناية في الاصطلاح: «لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ»[(٤)]، وعرّف كذلك: «أن يعبر عن شيء بلفظ غير صريح في الدلالة عليه كغرض من الأغراض، كالإبهام على السامع، أو لنوع فصاحة»[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٧٤٦).

(٢) مفاتيح الغيب (٤: ٨٢).

(٣) لسان العرب، مادة (كنى).

(٤) الإيضاح (ص: ٣٠١).

(٥) التعريفات (ص: ٢٤٠).

وتعدّ الكناية من أساليب العرب، ومن طرق الفصاحة والبيان، وقد أجمع غير واحد من العلماء على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، وتواترت عباراتهم على ذلك، ومن ذلك ما ذكره الزركشي (ت: ٧٩٤): «الكناية من البراعة والبلاغة، وهي عندهم أبلغ من التصريح»[١].

كما تعد الكناية من أساليب العرب في كلامهم «وكتاب الله هو نهاية البلاغة، وهي أعلى طبقات البيان، وأرفعها عماداً، وأكثرها مداداً، ولأسلوب الكناية من ذلك نصيب وافر»[٢].

أقسام الكناية:

«جرى تقسيم الكناية في الدرس البلاغي عند العرب، باعتقاد معيارين أساسيين هما:

- نوع المكنى عنه: صفة أو موصوف أو نسبه.
- المسافة الفاصلة بين اللفظ والمعنى المقصود،و التلويح، والإشارة، والتعريض»[٣].

وفيما يأتي بيان لأقسام الكناية من حيث المكنى عنه:

أولاً: الكناية عن صفة:

هي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالكرم والشجاعة وأمثالها، ولكنك لا تريد هذه الصفة ،وإنما تريد لازمها، بمعنى أنك تستر الصفة مع أنها هي المقصودة، وتذكر الموصوف وهو الملزوم الذي تلزم عنه الصفة أو تلازمه، ومنه تنتقل إليه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢: ٣٠٢).

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، لفضل حسن عباس، نشر-دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، (ص: ٢٥٩).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢: ٣٠٢)، وبغية الإيضاح (٣: ١٥١).

أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢] «فهذه الآية قد اشتملت على نكت سبع، كلها دالة على حسن المطابقة لمقصد الكناية التي وقعت من أجله»[(١)].

ثانياً: كناية الموصوف:

«وهي التي يطلب بها نفس الموصوف، وضابط هذا النوع من الكناية أن نذكر الصفة والنسبة، ولا نذكر الموصوف المكنى عنه، والشرط هنا أن تكون الكناية مختصة بالمكنّى عنه لا تتعداه، وذلك ليحصل الانتقال منها إليه، بمعنى أننا نذكر هنا الصفة، والغرض من ذكرها أن نتوصل بها إلى الموصوف وسير الموصوف مع أنه المقصود»[(٢)].

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف: ١٨]،«ففي الآية الكريمة كناية، فاللفظ المكنى هو: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ أما المكنى عنه فهو النساء، وإذا نظرت إلى الصفة، وهي التنشئة في الحلية، وجدتها مختصة بالنساء»[(٣)].

ثالثاً: كناية النسبة:

وبها يذكر الموصوف، ويذكر معه شيء ملازم له، وتذكر الصفة، ثم تنسب هذه الصفة إلى الشيء الملازم للموصوف، فهي إذن تخصيص الصفة بالموصوف، أو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، أو بعبارة أخرى النسبة هي إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه»[(٤)].

---

(١) البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية، لمحمد القاسم، نشر مكتبة الرشد، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، (ص: ١٠٧)، بتصرف يسير.

(٢) البلاغة القرآنية (ص: ١١٢).

(٣) أساليب اللسان، لفضل حسن عباس، نشر دار النفائس، بالأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، (ص: ٣٤٥).

(٤) البلاغة القرآنية، لمحمد القاسم (ص: ١١٥).

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦] (فجنب الله كناية عن حق الله وطاعته)(١).

و يلحظ المتأمل في آيات القرآن الكريم اجتماع الكناية مع أسلوب الاحتراس في موطن واحد في غير موضع(٢).

وتقوم الكناية القرآنية بنصيبها كاملاً في أداء المعاني وتصويرها خير أداء وتصويرها، وهي حيناً راسمة مصورة موحية، وحيناً مؤدبة مهذبة، تتجنب ما ينبو على الأسماع، وحيناً موجزة تنقل المعنى وافياً في لفظ قليل، ولا تستطيع الحقيقة أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية، وقد جاء الاحتراس في طيات الكناية في القرآن الكريم في غير موضع(٣)، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، فقد جاء الاحتراس في موطن الكناية ﴿حَرْثَكُمْ﴾، وقد أشار إلى هذا الاحتراس الزركشي بقوله: «وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؛ لأنه يحتمل معنى (كيف) و(أين) احتراس بقوله: ﴿حَرْثَكُمْ﴾؛ لأن الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور، وبنبت الزرع، وهو المحل المخصوص»(٤)، وقد أشار إلى هذا المعنى غير واحد من المفسرين(٥).

---

(١) المرجع السابق (ص: ١١٦).

(٢) ينظر: (سورة الحجر: ٨٨)، و(سورة الكهف: ٣٣)، و(سورة العنكبوت: ٥٥).

(٣) على سبيل المثال: (سورة الحجر: ٨٨)، و(الكهف: ٣٣)، و(العنكبوت: ٥٥)

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٧).

(٥) ينظر: حاشية القونوي (٥: ٢٢٤)، والسراج المنير (١: ٢٢٩)، وحاشية زاده (٢: ٥٣٥)، والفتوحات الإلهية (١: ٢٧٠)، والتحرير والتنوير (٢: ٣٧١).

ويتضح الاحتراس بجلاء من ما قاله الزركشي؛ لأنه لما قال: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ قد يتبادر إلى الأذهان أن هناك صوراً لا تحسن، فدفع ذلك الوهم بهذا الاحتراس، ولاسيما أن هذا الاحتراس يعضده ويقويه ما روي في سبب نزول هذه الآية ،وهو أن اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من خلفها في قبلها، ثم حملت، جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾(١).

لقد كنى القرآن الكريم في هذه الآية بكلمة (الحرث) عن المعاشرة الزوجية، وهذا اللفظ فضلاً عما فيه من الأدب وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية، وتنطوي تحته معان كثيرة، تحتاج في التعبير عنها إلى آلاف الكلمات.

فالتشبيه بين صلة الزارع بحرثه، وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال الخاص، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، وذلك النبت الذي تخرجه الزوجة، وما في كليهما من تكثير عمران وفلاح، كل هذه الصور والمعاني تنطوي تحت كلمة ﴿حَرْثٌ﴾ التي كنى بها القرآن عن المعاشرة الزوجية»(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الكناية أشار إليها غير واحد من المفسرين، ومن الباحثين في بلاغة القرآن، وذكروا أن السبب في هذه الكناية أن من عادات القرآن الكريم أن يكني عن ما يُسْتَحَى منه، أو يَفْحُشُ ذكره في السمع، فتأتي الكناية بما لا ينبو عنه الطبع(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٣٩)، باب ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾رقم ٤٥٢٨، ومسلم في كتاب النكاح، رقم (١٤٣٥).

(٢) الأسلوب الكنائي نشأته وتطوره، بلاغته، لمحمود السيد شيخون، دار الهداية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، (ص: ٩٢).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢: ٣٠٣)، والإتقان في علوم القرآن (ص: ٥٧٦).

ومما سبق يتبين وقوع الكناية بأسلوب الاحتراس، وجاء دفع التوهم ليسهم في إجلاء الصورة ووضوحها دون تصريح، وقد تأتي الكناية والغرض منها الاحتراس «والعرب تفعل ذلك لوجوه -أي الكناية- وتستعمله في أوقات ومواطن، ومن ذلك ما استعملوه للتعظيم أو للتخفيف... أو للاحتراس»(١).

كما يتبين اتساق وائتلاف فن الكناية مع الاحتراس، ومجيئها في سياق واحد، بل في موضع واحد، وقد تضمنت أحكاماً شرعية كانت مثار استفسار الصحابة واستيضاحهم، فجاءت الإجابة بألطف عبارة، وأرق أسلوب.

سادساً: الالتفات:

تعريف الالتفات:

الالتفات في اللغة(٢): يعود إلى مادة (لَفَتَ) بفتح الفاء: لَفَتَ وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتاً، والتَفَّتُّ أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتلفت إليه: صرف وجهه إليه، والالتفات واللفت: اللّي، ويُقال لفت فلاناً عن رأيه، أي: صرفته عنه»

وقد أشار ابن الأثير (ت:٦٣٧) إلى أن دلالة الالتفات مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وعن شماله، وهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا» (٣).

الالتفات في الاصطلاح:

هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى، فيعترضه إما شك فيه، أو ظن أن راداً يرده عليه، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإما أن يجلي الشك فيه أو يؤكده»(٤).

---

(١) الكناية، لمحمد جابر فياض،نشر دار المنارة، بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، (ص: ٣٧).

(٢) لسان العرب، مادة (لَفتَ).

(٣) المثل السائر (٢: ٣).

(٤)تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١: ١١)

ويُعدّ الالتفات من الأساليب العربية الأصلية، والعرب يستكثرون من (الالتفات)، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب«أدخلُ في القلوب عند السامع، وأحسنُ نظرية لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه»[١].

كما أن للالتفات أهمية بالغة في علم المعاني، وقد لقب بشجاعة العربية[٢]، وإنما سمي بذلك؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، والرجل الشجاع هو الذي يرد الموارد الصعبة»[٣].

ووصفه السكاكي (ت: ٦٢٦) بـ(قرى الأرواح)، وتناوله في باب (علم المعاني) وألمح إليه في (علم البديع)[٤].

وقد عدّ العلوي (ت: ٧٤٩)، الالتفات من أجّل علوم البلاغة[٥].

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨) في الالتفات: «وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه بأسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد»[٦].

كذلك قد امتدحه أبو السعود (ت: ٩٨٢) بقوله: «التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتلوين للنظم من باب إلى باب، جارٍ على نهج البلاغة في افتنان الكلام، ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام، لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أَدْخَلُ في استجلاب النفوس، واستمالة القلوب، يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين»[٧].

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع (١: ٣٩٢).

(٢) ذكره ابن ألأثير في المثل السائر (٢: ٣)، وهذا الوصف سبقه إليه ابن جني في الخصائص (٢: ٢٦).

(٣) المثل السائر (٢: ٣).

(٤) مفتاح العلوم (ص: ٩٥).

(٥) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة (ص: ٢، ٩٠).

(٦) الكشاف (١: ٢٥).

(٧) إرشاد العقل السليم (١: ٢٥).

وقد ذكر الخطيب القزويني تعريفاً للالتفات قال فيه: «هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام»(١)، وكأنه بذلك يلمح لمعنى الاحتراس.

وأسلوب الالتفات هو أحد المسالك التعبيرية أو الألوان البلاغية التي يشيع استخدامها في لغة القرآن الكريم، وهو واسع الانتشار في القرآن الكريم، ونتيجة لذلك ارتبط بكثير من الفنون البلاغية، ويتبين أن ثمة علاقة تربط بين فن الالتفات بفن الاحتراس، وهذه الرابطة تكاد تكون ظاهرة في الآيات التي جاء فيها الاحتراس، ولكن بأسلوب الالتفات(٢)، ومن ذلك ما ورد في فاتحة الكتاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، حيث جاء الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ضمير المخاطب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقد أشار إلى الاحتراس الوارد في الآية غير واحد من المفسرين(٣)، وقال الطبري (ت: ٣١٠) في تفسيره لهذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ «وإياك ربنا نستعين على عبادتنا إليك وطاعتنا لك وفي أمورنا كلها لا أحد سواك». وهذا الذي ذكره الإمام الطبري أشار إليه غير واحد من المفسرين.

وقد حقق هذا العدول في السياق الكريم أكثر من غرض بلاغي منها:

أولاً: ذكر ابن الأثير (ت:٦٣٧): «أن الحمد دون العبادة، ولما صار إلى العبادة التي هي

---

(١) الإيضاح(ص: ١٩٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٦:١)، وحاشية محيي الدين زاده (١: ٨٩)، وروح المعاني (١: ٨٨).

(٣) ينظر: (سورة البقرة: ١٩٦)، و(الأعراف: ١٣٧)، و(النحل: ٥١٩)، و(محمد: ٣٠ – ٣١)، و(فصلت: ١١).

أخص الطاعات قال عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فخاطب بالعبادة إصراحاً بها، وتقرباً منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدود منها»[(١)].

ثانياً: يرى الزمخشري (ت: ٥٣٨) أنه تعالى: «لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام ،تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق الثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات.

وقيل: إياك يا من هذه صفاته، تخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك، ولا نستعينه؛ ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له؛ لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به»[(٢)].

ثالثاً: أن أسلوب الخطاب أخص من أسلوب الغيبة، والعبادة أخص من الحمد، وفي ذلك يقول أبو السعود (ت: ٩٨٢): «وقد تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور، فاستدعى استعماله صيغة الخطاب»[(٣)].

ولا يخفى ما حققه الالتفات في السياق القرآني، وقد تزامن مع الاحتراس في آية واحدة من بيان للإعجاز البياني في القرآن الكريم.

وقد ذهب بعض البلاغيين[(٤)] إلى أن في السورة الكريمة (الفاتحة) التفاتاً آخر، فقد انتقل السياق القرآني في أول السورة من الغيبة إلى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب، ثم من الخطاب انتقل -في آخر السورة- إلى الغيبة إلى قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فصرّح بالخطاب لما ذكر النعمة، ثم انتقل إلى الغيبة، فقال تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾.

---

(١) المثل السائر: (٢: ٥).

(٢) الكشاف (١: ٢٤).

(٣) إرشاد العقل السليم (١: ٢٥).

(٤) المثل السائر (٢: ٢٤).

ولا يخفى ما حققه الالتفات في السياق القرآني، وقد تزامن مع الاحتراس في آية واحدة من بيان للإعجاز القرآني، وقد أشار غير واحد من البلاغيين وغيرهم إلى أن الفنون البلاغية لا تتعارض، وقد تجتمع في صعيد واحد.

كذلك من الآيات القرآنية التي جاء فيها الاحتراس بأسلوب الالتفات ما ورد في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

جاء الاحتراس في الآية الكريمة في موقع الالتفات في قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقد أشار إلى هذا الاحتراس ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، فذكر: «أنها متعلقة بالتي وليتها، فتكون احتراساً ،أي: لا نكلفكم تمام القسط في الكيل والميزان بالحبة والذرة، ولكنا نكلفكم ما تظنون أنه عدل ووفاء، والمقصود من هذا الاحتراس أن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة، فيقضي ذلك إلى تعطيل منافع جمة»(١).

ويجلّي ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) أهمية أسلوب الالتفات في موطن الاحتراس فيقول: «وقد عدل في هذا الاحتراس عن طريق الغيبة الذي يُبنى عليه المعقول ابتداء من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ؛لما في هذا الاحتراس من الامتنان، فتولى الله خطاب الناس فيه بطريقة التكلم مباشرة زيادة في المنة، وتصديقاً للمبلغ»(٢).

ويتضح من العرض السابق اتساق فن الاحتراس مع فن الالتفات في الآية الواحدة، وفي الموضع الواحد ؛ لغرض عظيم ، وهو دفع الحرج عن النفس الإنسانية عندما تكلف بتكاليف الشرعية.

---

(١) التحرير والتنوير (٨: ١٦٥).

(٢) التحرير والتنوير (٨: ١٦٦).

سابعاً: التعليل:

تعريف التعليل:

يعود في أصله اللغوي إلى (علّل) فهو: سقي بعد سقي، وجنى الثمرة مرة بعد أخرى.. وتَعَلّل بالأمر، واعتَلَّ: تشاغل.. وعَلَّلَهُ بطعام وحديث ونحوهما: شغله بهما، والمُعِلِّلُ: اسم فاعل، وهو: دافع جابي الخراج بالعلل، ومن يسقي مرة بعد أخرى، ومن يجني الثمرة مرة بعد مرة، والمُعَلَّل: اسم مفعول، وهو الذي يكون لوجوده سبب من الأسباب متقدم بالوجود عليه وبالكون قبله [١].

وفي الاصطلاح:

هو: «أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع، فيقدم قبل ذكره عِلّه وقوعه لكونه رتبة العلّة أن تقدم على المعلول» [٢].

و«التعليل في السياق القرآني يراد به تبيين الغرض من إيقاع الفعل، أو سبب وقوعه نفي بالفعل الأمر الذي يستدعي تعليلاً، والتعليل على قسمين: تعليل بالغرض، وتعليل بالسبب، يعلّل الفعل بأن يذكر المراد من إيقاعه، والباعث له في التعليل بالغرض، ويعلل بذكر المؤثر والمسبب له في التعليل بالسبب» [٣].

وللتعليل أهمية في الميدان البلاغي، وقد أشار إلى تلك الأهمية غير واحد، فقال العلوي (ت: ٩٤٧): «إن إثبات الشيء معللاً آكد من إثباته مجرداً من التعليل» [٤]، وقال السيوطي (ت:٩١١): «التعليل يفيد التقرير والأبلغية» [٥].

---

(١) لسان العرب، مادة (عَلَلَ).

(٢) تحرير التحبير (ص: ٥٨).

(٣) أسلوب التعليل وطرائقه، ليونس الجنابي، نشر المدار الإسلامي، طرابلس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، (ص: ٣٤٣).

(٤) الطراز: (ص: ٨٣).

(٥) معترك الأقران (١: ٢٨٢).

وقد اجتمع الاحتراس مع التعليل في موضع واحد في غير موضع من آيات القرآن الكريم[(١)] كلها تدل على علاقته الوطيدة مع التعليل.

ومن الأمثلة التي جاء فيها الاحتراس على هيئة أسلوب التعليل ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٩٥]، جاء الاحتراس في قوله: تعالى: ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ وهي العلة من عدم تمني الموت، فلو لم يأت الاحتراس لتوهم أن عدم تمني الموت هو حبهم للحياة.

وقد أشار إلى ذلك المعنى الرازي (ت: ٦٠٦)، حيث قال: «فبيان للعلة التي لها لا يتمنون الموت ؛ لأنهم إذا علموا سوء طريقتهم وكثرة ذنوبهم دعاهم ذلك إلى أن لا يتمنوا الموت، فقد يتوهم عدم تمني الموت حبهم للحياة فقط»[(٢)].

وهذا الذي أورده الرازي أشار إليه غير واحد من المفسرين[(٣)].

ومن الأمثلة كذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ وهو موطن التعليل، فلو لم يذكر لتوهم أن سعيه في الأرض لغرض آخر، وهو الإصلاح أو طلب الرزق والكسب للعيش، فلما ذُكر التعليل زال التوهم، واتضح المعنى المراد، وقد أشار إلى ذلك المعنى غير واحد من المفسرين[(٤)]، ومن ذلك ما ذكره ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «﴿ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾» دفع

(١) ينظر سورة (البقرة: ٢٨٢)، و(آل عمران ١٤٠)، و(الأعراف: ١٦٠)، و(طه: ١٠٦)، و(الشورى: ٤٨).

(٢) مفاتيح الغيب (٣: ١٧٥).

(٣) ينظر: التسهيل (١: ٥٤)، والمحرر الوجيز (١: ١٨١)، وإرشاد العقل السليم (١: ١٢٠).

(٤) الدر المصون (١: ٥٠٧).

توهم أن المراد بالسعي طلب الرزق.»(١)، فابن عاشور لم يُصرّح بالاحتراس؛ لكنه ذكر ما يدل عليه ،وهو دفع التوهم.

كما جاء التعليل في آيات أُخَرَ قام فيها مقام الاحتراس، أعرض عنها ؛ لئلا يطول المقام(٢).

ثامناً: الطباق والمقابلة:

تعريف الطباق:

الطباق في اللغة(٣): الموافقة، ومأخوذ من مطابقة الغرس والبعير لوضع رجله مكان يده عند السير.

وفي الاصطلاح: «الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة»(٤)، «بأن يكون بينهما تقابل أو تنافٍ ولوفي بعض الصور»، سوتء أكان التقابل حقيقاً كتقابل القدم والحدوث، أو اعتبارياً كتقابل الإحياء والإماتة»(٥).

أقسام الطباق:

١- طباق إيجاب كقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم: ١]، ويأتي في اسمين أو فعلين أو حرفين.

٢- طباق سلب، ومثال قوله سبحانه: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الروم: ٦-٧].

---

(١) التحرير والتنوير (٢: ٢٦٩).

(٢) ينظر على سبيل المثال: سورة (البقرة: ٢٨٢)، و(آل عمران: ١٤٠)، و(الأعراف: ١٦٠)، و(طه: ١٠٦)، و(الشورى: ٤٨).

(٣) لسان العرب، مادة (طبق).

(٤) الإيضاح (ص: ٣١٧).

(٥) معجم البلاغة العربية، لبدوي طبانة (ص: ٤٧١).

تعريف المقابلة:

المقابلة في اللغة[١]: من فعل قَبل يَقْبُلُ، وقابل المرء: واجهه، وقابل الشيء بالشيء: عارضه به.

وفي الاصطلاح: «إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى، واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»[٢].

والمقابلة لا تكون إلا في معنيين أو أكثر ومثال ذلك قوله: تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وجمهور البلاغيين على أن المقابلة غير الطباق، والمقابلة عندهم أن يؤتى بمعنيين فأكثر، ثم يقابل هذه المعاني، أما الطباق فلا يكون إلا بين معنى واحد وما يقابله[٣].

تعد المقابلة من الأساليب التي جاء الاحتراس في طياتها، وكان لها الأثر البارز في إيضاح المعنى، والدلالة عليه، وقد ورد في غير موضع، ومن الشواهد الدالة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ انتفى ذلك الوهم، وثبتت لهم العزة والقوة، وإن السهولة إنما هي وضع خاص للمؤمنين»[٤].

ويلحظ أن أسلوب المقابلة جاء في الجملتين، العزة تقابلها الذلة، والإيمان يقابله الكفر، وقد جاءت هذه المقابلة في أسلوب الاحتراس، فأسهمت في إيضاح المعنى المراد،

---

(١) لسان العرب، مادة (قَبَل).

(٢) كتاب الصناعتين (ص: ٣٧١).

(٣) أساليب البيان، لفضل عباس، نشر دار النفائس،بالأردن،٢٠٠٧هـ (ص: ٣٦٦).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦١).

ودفعت عنه تبعة التوهم التي قد تنشأ لو لم تسهم المقابلة في دفعها لتوهم غير المعنى المراد، وبذلك تتجلى أهمية اجتماع الاحتراس مع ما سواه من أساليب البلاغة والبيان.

كذلك من شواهد الطباق التي جاءت بأسلوب الاحتراس قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ وهو أسلوب الطباق؛ لدفع توهم قد ينشأ أن من لا تدركه الأبصار لا يعلم أحوال من لا يدركونه(١).

وهناك كثير من الشواهد التي جاء فيها الاحتراس بأسلوب الطباق والمقابلة، وكان له الأثر البارز في تجلية المعنى وإيضاحه دون أدنى لبسٍ، ولم تكن تقوم أساليب أخرى مقامه(٢).

يتبيّن من العرض السابق أن علاقة الاحتراس بفنون البلاغة المختلفة علاقة وطيدة، فقد جاءت تلك الفنون وغيرها(٣) بأسلوب الاحتراس.

ولم يكد يرد الاحتراس في أسلوبه فرداً، وإنما كانت تحف به الألوان البلاغية المتعددة، وفي ذلك دلالة على أصالته وعمقه، فهو ضارب في جذور النظم القرآني، ومن قوته ورسوخه أنه لم يترك قسماً من أقسام البلاغة(٤) إلا وحل به، وبذلك يكون من خصائص النظم القرآني الراقي؛ ؛ لأنه لا يأتي إلا دعامةً من دعائم المعنى، وحارساً له من أن يتطرق له خلل أو دخل يخل بالمعنى.

---

(١) ينظر: حاشية محيي الدين زادة (٤: ١١٤)، والتحرير والتنوير (٧: ٤١٦)، وإعراب القرآن (٢: ٤٣٥).

(٢) ينظر سورة (آل عمران: ٧٢ – ١٣)، و(الفتح: ٢٩)، و(النجم: ٤٤)، و(الأعلى: ١١ – ١٢).

(٣) جاء الاحتراس بأسلوب بعض ألوان الإطناب مثل الإيضاح بعد الإبهام، والاعتراض وغيرها.

(٤) المراد علم المعاني والبيان والبديع.

كذلك من الشواهد على أصالته أنه يأتي بفوائد ونكت غير دفع التوهم كالتقرير والتعظيم والتنزيه، وغير ذلك من الأغراض المتباينة التي لم تكن ترد إلا في فن الاحتراس.

ولما تقدم أرى أن الاحتراس فن واسع من فنون البلاغة، وقد جاءت الأساليب تبعاً له ولخدمته، وهو حاكم عليها، وبذلك يتجاوز المحسنات البديعية إلى المعاني التأصيلية، فهو ضرورة من ضرورات النظم، ولو عدم الاحتراس من موقع يقتضيه لاختل المعنى، ولم يفهم المراد على وجهه الحقيقي.

❀❀❀



الفصل الثالث

أنواع الاحتراس وأغراضه وألوانه في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أنواع الاحتراس في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أغراض الاحتراس في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: القيمة الفنية للاحتراس.

المبحث الأول
أنواع الاحتراس في القرآن الكريم

أشار غير واحد من البلاغيين إلى أضرب الاحتراس في الكلام، واتفقوا على ضربين هما: ضرب يتوسط الكلام، وضرب في آخره.

وقد ذكر ذلك الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩) فقال: «الاحتراس وهو أن يؤتى في كلام يُوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وهو ضربان: ضرب يتوسط الكلام كقول طرفة:

فَسَقى ديارَكِ غيرَ مُفسِدِها   صَوْبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهْمي

وضرب يقع في آخر الكلام، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾»[1] [المائدة: ٥٤]، فسار على هذا التقسيم من جاء بعد القزويني، وهذان الضربان محل اتفاق عند البلاغيين -مجيء الاحتراس في وسط الكلام وفي آخره- والشواهد عليهما لا تُحصى من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والشعر.

بيد أن هنالك ضرباً ثالثاً لم يذكره أحد من المتقدمين صراحة، وإن وجد في عبارات بعض المصنفين وهو مجيء الاحتراس في بداية الكلام، وقد ألمح إلى هذا الضرب بعض البلاغيين، وإن لم يذكروه صراحة، ومن هؤلاء الحاتمي (ت: ٣٨٨)، وابن رشيق (ت: ٤٥٦)، وابن منقذ (ت: ٥٨٤) في ردهم على من انتقد بيت ذي الرمة.

فقال الحاتمي: «وهذا من باب لطيف جداً لا يتيقظ له إلا من كان متوقد القريحة، متباصر الآلة، طباً بمجاري الكلام، عارفاً بأسرار الشعر، متصرفاً في معرفة أفانينه، ولا أعلم أحداً أحسن من إحسان طرفة في قوله:

فَسَقى ديارَكِ غيرَ مُفسِدِها   صَوْبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهْمي

---

(١) الإيضاح (ص: ١٩٢).

لأنه احترس للدار من تعفية آثارها ومحو رسومها بقوله:(غيرَ مُفسِدِها) وسلم في تعليقه على بيت ذي الرمة:

أَلَا يـا اِسـلَمِي يـا دارَ مَـيٍّ عَـلى الـبِلَى وَلا زالَ مُـنهَلاً بِجَرعائِـكِ القَطْـرُ[1]

فإن جماعة من أصحابنا تتبعوا قوله:(وَلا زالَ مُنهَلاً بِجَرعائِكِ) قالوا:«وإذا كان الأمر كذلك، طمس معالمها، وعفى رسومها، ولعمري إن في ذلك بعض التعلق، ولكنه احترس من هذا الاعتراض احتراساً مقدماً في صدر البيت في قوله: (اِسلَمِي يا دارَ مَيٍّ عَلى البِلَى)، فدعا لها بالسلامة على تعاقب الأحوال وتصرفها،التي توجب بلى الدار، واندراس الآثار، ثم استسقى لها بأن قال: (وَلا زالَ مُنهَلاً بِجَرعائِكِ) فتعلق المعنى الثاني بالأول، ودخل تحت الدعاء لها بالسلامة، وإنما ذهب في الدعاء لها بقوله:«وَلا زالَ مُنهَلاً بِجَرعائِكِ القَطرُ»[2].

ومن النص السابق يتبين التفات الحاتمي إلى هذا الضرب، وهو وقوع الاحتراس في أول الكلام، وكذلك ابن رشيق القيرواني (ت:٤٥٦) في دفاعه عن بيت ذي الرمة السالف الذكر حيث ذكر:«أن الشاعر قدّم الدعاء بالسلامة للدار في أول البيت وهذا هو الصواب»[3].

كذلك انتقد ابن منقذ (ت: ٥٨٤) من عاب على من انتقد البيت الماضي بقوله:«فعابه من لا يعرف في النقد شيئاً، وقال: كأنه إنما دعا عليها بالهدم، وقال النقاد: إنه لا مطعن عليه؛ أنه قد دعا لها بالسلامة»[4].

---

(١) ديوان ذي الرمة (ص: ١٢٥).

(٢) حلية المحاضرة، (ص: ٣٤).

(٣) العمدة في محاسن الشعر (ص: ١٢٦).

(٤) البديع في نقد الشعر (٢: ٦٥٢).

«ويعيب قدامة بن جعفر هذا البيت؛ لأن الشاعر لم يكمل جودة المعنى فيه، فلم يأتِ بلفظة (غيرَ مُفسِدِها) وفي ذلك «إفساد للدار التي دعا لها، وهو أن تغرق بكثرة المطر»، والناظر إلى المعنى في البيت في غاية في الجمال، وأن دعاء الشاعر على الدار بأن ينهل بجرعائها القطر يحمل ظلالات نفسية وأسطورية تباين التصور المنطقي الذي يذهب إليه قدامة»[١].

وفي أقوال البلغاء السابقة يتبين ثبوت وقوع الاحتراس في ابتداء الكلام، وأنه مسلكٌ دقيقٌ لم يتفطن له إلا أفذاذ العلماء، وقد ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر.

وقبل الحديث عن ضروب الاحتراس تجدر الإشارة إلى قضية مهمة، وهي علاقة السياق القرآني بوقوع الاحتراس في بداية الآية.

تعريف السياق:

السياق في اللغة: من السوق يقال: انساقت الإبل، وتساوقت إذا تتابعت، والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضاً.

ويطلق الاتساق أيضاً على الانتظام، والنظام: العقد من الجوهر والخرز ونحوهما، سمي بذلك لنظمه الجوهر والخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، واتساق واحد[٢].

السياق اصطلاحاً: «الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل»[٣].

النظم اصطلاحاً: «تآخي معاني النحو فيما بين الكلم، على حسب الأغراض التي يصاغ بها الكلام»[٤].

---

(١) نظرية المعنى عند قدامة بن جعفر، الدكتور عايش الحسن، مجلة تشريف للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٢٧)، العدد (٢)، ٢٠٠٥، (ص: ٥٠).

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (سوق).

(٣) ينظر: التعريفات (ص: ٣١٠).

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز (ص: ٨٨)، الإيضاح (ص: ٨١).

إن آيات القرآن الكريم ترتبط مع بعضها بوحدة موضوعية، ولا يُسلم لتفسير انتزع الآية من سياقها، وقد أطبق العلماء على تعظيم شأن السياق، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، فقد عقد له الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤)[١]: «باباً في كتابه الرسالة أسماه «باب تبيين سياقه ومعناه».

ويُؤيّد الجويني (ت: ٤٧٨)[٢] «بأن فهم المعاني يتعلق معظمها بفهم السياق»[٣]. وقال ابن القيم (ت: ٧٥١): «السياق يرشد إلى تبيين المجمل،وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته»[٤].

قال العز بن عبدالسلام (ت: ٦٦٠): «السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨): «فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية»[٦].

---

(١) هو محمد بن إدريس الشافعي، إمام عصره بلا منازع، له اليد الطولى في العديد من الفنون، له من المصنفات كتاب الرسالة وكتاب الأم، وغيرهما، توفي سنة (٢٠٤هـ).

(٢) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، يلقب بإمام الحرمين، من أعلام الشافعية، من مصنفاته: العقيدة النظامية، والبرهان في أصول الفقه، وغيرهما، توفي سنة (٤٧٨). ينظر: وفيات الأعيان (١: ٢٨٧).

(٣) البرهان في أصول الفقه، الجويني، تحقيق: عبدالعظيم الديب، نشر دارالوفاء، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ، (٢: ٨٧٠).

(٤) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية،نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (٥: ١١).

(٥) الإمام في بيان أدلة الأحكام، للعز الدين عبدالسلام، تحقيق رضوان مختار بن غريبة، دار البشائر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، (١: ١٥٩).

(٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٦: ١١٤).

وللسياق أهمية كبيرة في توضيح المعنى الدقيق، ودفع توهم اللبس والخطأ، وهو بهذا يتفق مع الاحتراس، فلولا السياق لتوهم غير المراد، وتمام السياق هو الاحتراس؛ ففيه بيان للمعنى، وتحديدٌ للمقصد مساندٌ، بل إن الاحتراس يسهم في ترجيح وتقديم دلالة السياق عند الاختلاف، والترجيح بدلالة السياق من القواعد المعتبرة عند المفسرين عند الاختلاف في معنى الآية، بل يُعدّ السياق من القواعد المقدمة على ما سواها عند تزاحم القواعد[1].

ويلحظ المتأمل الاتفاق بين الاحتراس والسياق، إذ قد يتحدان في الموقع، فلولا السياق لتوهم غير المراد، وتمام السياق هو الاحتراس.

الضرب الأول: وقوع الاحتراس في ابتداء الآية:

وعوداً على بدء فسأعرض النماذج من وقوع الاحتراس في القرآن الكريم، ومن الشواهد الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فقد جاء الاحتراس بهذه الآية كاملة، وقد أشار إلى هذا ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، حيث قال: «عطفت جملة: ﴿ وَأَعِدُّواْ ﴾ على جملة: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ ﴾، أو على جملة: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، فتفيد مفاد الاحتراس عن مُفادها؛ لأنّ قوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ﴾ فتفيد توهيناً لشأن المشركين، فتعقيبه بالأمر بالاستعداد لهم؛ لئلا يحسب المسلمون أنّ المشركين قد صاروا في مكنتهم، ويلزم من ذلك الاحتِراسِ أنّ

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ : ١٢٧) وما بعدّها.

الاستعداد لهم هو سبب جعْل اللهَّ إيّاهم لا يُعجزون اللهَّ ورسوله، لأنّ الله هيّأ أسباب استئصالهم ظاهرها وباطنها»(١).

ومن ذلك الضرب قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

حيث جاء الاحتراس في الآية كاملة، لما ذكر عز وجل عدة الطلاق، واتصل بذكرها ذكر الإرضاع، ذكر عدة الوفاة أيضاً؛ لئلا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق»(٢).

ومن هذا الضرب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩- ١٦٠]، فقد جاء الاحتراس في قوله: تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ ؛ لئلا يتوهم تعميم الحكم حتى بعد التوبة والبيان، وقد جاء هذا الاحتراس في أول الكلام تبعاً للسياق قبله.

وقد وقع الاحتراس هذا الموقع في غير آية من القرآن الكريم أكتفي بالإحالة إليها؛ لئلا يطول المقام(٣).

وكما جاء الاحتراس في القرآن الكريم، جاء في السنة النبوية وفي الشعر.

ومثال وقوع الاحتراس في ابتداء الكلام في الحديث النبوي، ما روي في حديث الشمائل: «كان النبي ﷺ أَجْوَد النَّاس، وَأَجْوَد مَا يَكُون فِي رَمَضَان»، وقد قال ابن حجر

(١) التحرير والتنوير (١: ٥٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤: ٢٠٨).

(٣) ينظر: سورة (البقرة: ١٩٣- ٢٤٠)، و(النساء: ٥- ٩٨- ١٦١- ١٦٢)، و(المائدة: ٨٧)، و(سورة الأعراف: ٥٦: ١٤٧)، و(التوبة: ٢- ٣٦)، و(الرعد: ٤١)، و(فاطر: ٤٤)، و(الشورى: ٣١).

(ت:٨٥٢)[١] في أثناء شرحه للحديث: «قوله: «كَانَ النَّبِيّ ﷺ أَجْوَد النَّاس» اِحْتِرَاس بَلِيغ؛ لئلا يُتَخَيَّل مِنْ قوله: «وَأَجْوَد مَا يَكُون فِي رَمَضَان» أَنَّ الْأَجْوَدِيَّة خَاصَّة مِنْهُ بِرَمَضَان فِيهِ، فَأَثْبَتَ لَهُ الْأَجْوَدِيَّة الْمُطْلَقَة أَوَّلًا، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهَا زِيَادَة ذَلِكَ فِي رَمَضَان»[٢].

كذلك وقع الاحتراس في أول الكلام في الشعر، ومن ذلك قول الشاعر[٣]:

غَيرَ اخْتِيارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ لي ... والجُوعُ يُرْضي الأُسُودَ بالجِيَفِ

فقوله:(غَيرَ اخْتِيارٍ) تكميل أتى به في أول الكلام؛ ليدفع ما قد يتوهم من أن قبول البر به كان عرضاً، وطيب نفس واشتهاء له؛ لأن المتنبي في هذا البيت يخاطب أبا دلف لما ذمه عند والى حمص»[٤].

ويدخل في ذلك قول الخنساء:

ولَوْلا كَثْرةُ الباكينَ حَوْلي ... على إخْوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نفْسي

حيث تخيلت أن قائلاً قال لها: ساويتِ أخاك بالهالكين من إخوان الناس، ثم احترستْ من ذلك بقوله:ا:

وما يبكُونَ مِثْلَ أخِي ولكن ... أُعَزِّي النَّفْسَ عنه بالتَّأسِّي

وقد جاء هذا الاحتراس بالبيت كاملاً بالنسبة لما قبله.

---

(١) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الحافظ، عمدة المحدثين، فريد عصره، ووحيد دهره، محيي السنة الغراء، من مصنفاته: فتح الباري، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، وغيرهما. توفي سنة (٨٥٢هـ).

(٢) فتح الباري، لابن حجر، تحقيق الشبل، نشر دار السلام، بالرياض، ١٤٢٤هـ(٩: ٤٤).

(٣) البيت للمتنبي. ينظر ديوانه (ص:١٠٣)

(٤) من صور الإطناب التكميل والتتميم، عبد الله هنداوي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد السابع عشر، ١٩٩٧م-١٤١٧، (ص: ٦٢٩).

الضرب الثاني: ضرب يقع في وسط الكلام:

ويُعدّ هذا الضرب من أكثر الأنواع شيوعاً في فن الاحتراس، وقد جاء على أنماط مختلفة ومواقع عدة كالاستثناء، والاستدراك، والاعتراض.. وغيرها.

والشواهد في ذلك أكثر من أن يسعها هذا المقام، في القرآن الكريم وفي الحديث وفي الشعر.

ومن الاحتراس الوارد في القرآن الكريم ما جاء في قوله الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]، وقع في هذه الآية الكريمة أكثر من احتراس، وكلاهما في وسط الآية، الاحتراس الأول في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهذا الاحتراس يدفع توهم أن القاعد بعذر يدخل في مفهوم عدم الاستواء الذي أشارت إليه الآية الكريمة؛ لأن المتخلف بعذر له أجر المجاهد، كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ: «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»(١).

ويتبين من الحديث السابق كيف أسهم الحديث النبوي في وقوع الاحتراس، حيث أكد النبي ﷺ حصول الأجر لمن أقعدّهم العذر، عن الخروج لساحة القتال.

ويُلمح ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى موضع الاحتراس فيقول: «﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ كيلا يحسب أصحاب الضرر أنهم مقصورون بالتحريض فيخرجوا مع المسلمين...أو يظنوا أنهم مقصورون بالتعريض فتنكسر لذلك نفوسهم زيادة على انكسارهم بعجزهم»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، حديث رقم (٤٤٢٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزومرض،حديث رقم (١٥١٨).

(٢) التحرير والتنوير (٥:١٧٠).

«قال زَيْدَ بن ثَابِتٍ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فَقَالَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَو أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ فَخِذُهُ عَلَيَّ، حَتَّى كَادَتْ فَخِذِي تَرُضُّ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]»[١].

وقد ذكر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) في تفسيره الآية ما يشير إلى معنى الاحتراس فقال:«فابن أم مكتوم فهم المقصود من نفي الاستواء، فظن أن التعريض يشمله وأمثاله؛ فإنه من القاعدين، ولأجل هذا الظن عُدِلَ عن حراسة المقام إلى صراحة الكلام، وهما حالان متساويان في عرف البلغاء»[٢].

أما الاحتراس الآخر فجاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لما ذكر الله -عز وجل- تفضيل المجاهد على القاعد بدرجة بين أن كل واحد من هؤلاء له فضل؛ ؛ لئلا يتوهم ذم المفضل عليه[٣]، وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين[٤]، فقال أبو السعود (ت: ٩٨٢) «﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.. اعتراض جيء به تداركاً لما عسى أن يوهمه تفضل أحد الفريقين على الآخر وحرمان المفضول»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥) كتاب تفسير القران (١٨) باب قوله تعالى ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ حديث (٤٥٩٢).

(٢) التحرير والتنوير (٥: ١٧٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٩٥).

(٤) ينظر: الفتوحات الإلهية (٢: ١٠٧)، وروح البيان (٢: ٢٧١)، ومحاسن التأويل (٢: ٤٤٤).

(٥) إرشاد العقل السليم (٢: ١٨٥).

ومن الأمثلة الدالة على وقوع الاحتراس في وسط الآية ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]، فقد وقع الاحتراس في قوله: تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ ؛؛ لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته سبحانه بالبلدة وحدها، قال البقاعي (ت: ٨٨٥): «﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ احتراس لما يتوهم»[(١)].

وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ «احتراس ؛ لئلا يتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها؛ ليعلم أن تلك الإضافة لتشريف المضاف إليه لا لتعريف المضاف بتعيين مظهر ملكه»[(٢)].

والجدير بالذكر أن وقوع الاحتراس في وسط الآية من أكثر الأنواع وقوعاً، وجاء على أساليب عدة، كالاستدراك والاستثناء، والاعتراض، وغيرها من الألوان البلاغية، وفي ذلك دلالة على أن الاحتراس ضاربة جذوره في عمق البلاغة، ومن الشواهد على ذلك مجيء الاحتراس في وسط الكلام بأسلوب التأكيد ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩] حيث وقوع الاحتراس في قوله: تعالى: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ وهو تأكيد لدفع توهم المجاز، فمعلوم أن الكتابة تكون باليد، فلما أكد ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ دفع توهم أن المراد بالكتابة غير الحقيقة، كالعلم والفهم، فلما ذكر ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ أكدت حقيقة الكتابة، ودفع توهم المجاز، وقد أشار إلى هذا المعنى غير واحد من المفسرين[(٣)].

---

(١) نظم الدرر (٥: ٤٥٧).

(٢) التحرير والتنوير (١: ٥٧٧)

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (١: ١٥٥)، وروح المعاني (١: ٣٠٢).

كذلك ورد الاحتراس بأسلوب الاستدراك في غير موضع في القرآن الكريم، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦]، حيث جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ حتى لا يتوهم أن المكره مرخص له بالكفر، وفي هذا المعنى يقول ابن عاشور (ت:١٣٩٣): «والاستدراك بقوله: «﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ استدراك على الاستثناء، وهو احتراس من أن يفهم من الاستثناء أن المكره مرخص له أن ينسلخ الإيمان من قلبه»[١].

والاستدراك وغيره من الأساليب البلاغية التي ورد فيها الاحتراس أوسع من أن تحصر في هذا المقام[٢].

ومن الاحتراس في الحديث النبوي قوله: ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقعدَه مِنْ النَّارِ**»[٣]، فقد جاء الاحتراس في قوله: **(وَهُو يَعْلَمُهُ)**، فلو لم يأت هذا الاحتراس لتوهم أن الحكم مطلق فيمن يعلم ومن لا يعلم، فلما قيّده بقوله: **(وَهُو يَعْلَمُهُ)** انتفى هذا الوهم.

يقول النووي في قوله: ﷺ: (وَهُو يَعْلَمه) تَقْيِيد لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ الْإِثْم إِنَّمَا يَكُون فِي حَقّ الْعَالِم بِالشَّيْءِ[٤]، وهنا يتضح أهمية الاحتراس في هذا التقييد وتأديته لأصل المراد.

---

(١) التحرير والتنوير (١٤: ٢٩٤).

(٢) ينظر: مبحث علاقة الاحتراس بالإطناب وأنواعه(ص: ١٧٩) وعلاقة الاحتراس ببقية فنون الإطناب (ص: ٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب (٥) حديث رقم (٣٥٠٨)، ومسلم في صحيحة كتاب الإيمان، باب بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُو يَعْلَمُ، حديث رقم (٢٢٦).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١: ١٥٥).



ومن ذلك أيضاً قول رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُ مِنْكُمْ الْمُوْتَ لِضُرٍّ نَـزَلَ بِـهِ، فَـإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»[١].

حيث جاء قوله: (لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ)، احتراس من النهي المطلق، حيث ينهى النبي ﷺ عن تمني الموت بسبب ما يصيب المسلم من ضرر كالمرض، أو الفاقة، أو أي محنة مما تشق على النفوس، ثم يحترس الرسول ﷺ بقوله: (لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ)؛ احتراساً من النهي العام، فللمسلم أن يتمنى الموت كمن يطلب الشهادة في سبيل الله في مظآنها، أو تمنى الموت لمن يخشى الفتنه في دينه،فهذا غير داخل في حيّز تمني الموت المنهي عنه.وإنما الموت المنهي عنه هو ما يكون بسبب ضر أصاب المسلم من مرض، أو محنة، أو غير ذلك من الضر الدنيوي؛ لما فيه من جزع في البلاء، وعدم الرضا بقضاء الله، والمؤمن الحق هو الذي يستسلم لقضاء الله وقدره؛ ؛ لأنه لا يدرك حقيقة ما فيه من ضر أو بلاء.

والشواهد في الحديث النبوي أوسع من أن يحيط بها هذا المقام، فأكتفي بإحالة إليها[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في(٨٣) كتاب الدعوات، باب(٢٩) الدعاء بالموت والحياة حديث رقم (٥٩٨٩)، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة باب كراهة تمني الموت لضر نزل به حديث رقم (٢٦٨١).

(٢) من الشواهد في هذا المضمار قول النبي ﷺ: (من اقتنى كلبا إلا كلباً ضاريا لصيد، أو كلب ماشية، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطاً و(والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء) و(من صام رمضان – إيمانا واحتسابا-؛ غفر له ما تقدم من ذنبه» و«من بنى مسجدا – يبتغي به وجه الله-؛ بنى الله له مثله في الجنة». من يقم ليلة القدر – إيمانا واحتساباً-؛ غفر له ما تقدم من ذنبه « ومن احتبس فرسا في سبيل الله – إيمانا بالله وتصديقا بوعدّه-؛ فإن شبعه، وريه، وروثه، وبوله، في ميزانه يوم القيامة » و« من شرب الخمر في الدنيا – ثم لم يتب منها-؛ حرمها في الآخرة»، إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه – فصبر-؛ عوضته منهما الجنة.

ومن الشواهد الشعرية على وقوع الاحتراس في وسط الكلام:

قول الشاعر[(١)]:

وقـــدْ ليَّنْـــتَ وحشهـــــمُ برفــــقٍ   وَتُعيــي النّــاسَ وَحشُــك أن تُصَــادَا

جاء الاحتراس في قول الشاعر: (برفقٍ)؛ فالشاعر يثني على الممدوح بأنه قد خضعت له الناس لكن برفق، ليس بعنف، وهذا يزيد من مناقب الممدوح؛ بكونه ملك الناس بحسن سمته وفعله، لا بسيفه وبطشه.

ومن الشواهد أيضاً قول الشاعر[(٢)]:

سَــأُثني عَــلى تَــيْمٍ بِـما لا يَسُــرُّها   إذا أرْكُــبٌ وَافَــوْا بــنَعمانَ أرْكُبَــا

وقع الاحتراس في قوله: (بِمالا يَسُرُّها) لدفع توهم أنه سيثني عليها بالمدح، فلما قال: (سَأُثْني)، توقّع السامع أن يكون ما وراءه مدح، فدفع هذا التوهم بالاحتراس، وتبيّنَ للسامع أن المقام مقام هجاء، ومن هذا اللون قول الشاعر[(٣)]:

رامــوا الخِلافَــةَ في غَــدرٍ فَأَخطَــأَهُم   مِنهــا صُــدورٌ وَفــازوا بِالعَراقيــبِ

لما ذكر أنهم راموا الخلافة قد يتوهم متوهم أنهم ما طلبوها إلا ؛ لأنهم الأحق والأجدر بها، فلما قال: (في غَدرٍ) دفع هذا التوهم، وتبين أنهم معتدون في سؤالهم للخلافة، ومنازعتهم الأمر أهله، ومع ذلك لم ينالوا مرادهم، بل نكصوا على أعقابهم..

وهناك الكثير من الشواهد في هذا المقام يطول المقام لعرضها، فأكتفي بما ذُكر.

وبذلك يتبين مجيء الاحتراس في وسط الكلام والأغراض التي حققها فضلاً عن دفع التوهم.

---

(١) ديوان جرير (ص: ١٢٦)

(٢) ديوان جرير (ص: ١٢)

(٣) ديوان الفرزدق (ص: ٨٩)

الضرب الثالث: الاحتراس الواقع في آخر الآية:

وهذا النوع أشار إليه البلغاء، وهو كثير الورود في القرآن الكريم، ويأخذ موقع الفاصلة القرآنية[١]، وانحصر هذا الضرب في نوعين: فاصلة ختمت بأسماء الله الحسنى وصفاته، وضرب لم يختم بها، ومن النوع الأول ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، لما ذكر سبحانه وتعالى أن الله يرزق من يشاء من عباده بيّن أن هذا العطاء عن قدرة وعزة. قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «وعطف ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ على صفة ﴿لَطِيفُۢ﴾ أو على ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ وهو تمجيد الله بهاتين الصفتين، ويفيد الاحتراس من توهم أن لطفه عن عجز أو مصانعة، فإنه قوي عزيز، لا يعجز ولا يُصانع، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شح أو قلة؛ فإنه القوي والقوي، تنتفي عنه أسباب الشح»[٢].

يتبيّن منها سبق مجيء الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية، وذلك بختمها بأسماء الله الحسنى، كما تقع هذه الأسماء الحسنى موقع التذييل، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فقد جاء الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ ،فإنه سبحانه وتعالى لما أثبت لذاته العَلية إدراك الأبصار وإحاطته بها قد يتوهم أن من لا تدركه الأبصار لا يعلم أحوال من لا يدركونه، فنفى هذا التوهم بهذا الاحتراس، وقد ألمح ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى هذا المعنى، فقال:«وجملة ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ معطوفة على جملة ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾

---

(١) الفاصلة في اللغة: «هي ما يفصل بين شيئين، وفي الاصطلاح: الكلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام» ينظر: البرهان في علوم القرآن (١: ٥٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥: ٧٣).

فهي صفة أخرى أو تذييل للاحتراس دفعاً لتوهم أن من لا تدركه الأبصار لا يعلم أحوال من لا يدركونه»[١].

ويؤكد هذا المعنى محيي الدين الدرويش في كتاب «إعراب القرآن» هذا بقوله: «فإنه سبحانه لما أثبت له إدراك الأبصار اقتضت البلاغة فن الاحتراس تفادياً لأن يظن ظآن أنه إذا لم يكن مُدركاً لم يكن موجوداً، فجيء بـ ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ إثباتاً لذاته العلية تبارك وتعالى»[٢].

وهناك الكثير من الأمثلة على هذا اللون البلاغي يطول المقام في عرضها أكتفي بالإحالة إليها[٣].

وكما وقع الاحتراس في أواخر الآيات القرآنية وقع كذلك في الحديث النبوي، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَل مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ المَسَاجِدِ إِلَّا المَسْجِد الحَرَام»[٤]، حيث جاء الاحتراس في قوله: (إِلَّا المَسْجِد الحَرَام)، وفائدة هذا الاحتراس دفع توهم ما قد يتسرب إلى بعض الأذهان أن الصلاة في مسجد الرسول ﷺ خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، ومنها المسجد الحرام .

وجاء هذا الاحتراس الرفيع بياناً لفضل الصلاة وثوابها الجزيل في مسجد الرسول ﷺ المدينة، والمسجد الحرام بمكة، وأن الصلاة فيهما خير من ألف صلاة فيما سواهما؛ ذلك أن مسجد الرسول ﷺ أسس على التقوى، والمسجد الحرام قِبْلَة الناس وإليه حجهم.

---

(١) التحرير والتنوير (٧: ٤١٦).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة التاسعة، ١٤١٢، (٢: ٤٢٥) بتصرف.

(٣) ينظر: مبحث الاحتراس في أسماء الله الحسنى وصفاته (ص:٢٧٥).

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب المساجد، باب فضل الصلاة في مسجد مكة رقم الحديث (١١٩٠).

وقد أشار إلى ذلك أحد شُراح الحديث بقوله: «ويجوز في هذا الاستثناء أن يكون المسجد الحرام مساوياً لمسجد المدينة أو فاضلاً، أو مفضولاً، والأول أرجح»[(١)].

وقوله: (فِي مَسْجِدِي هَذَا) إشارة إلى أن تضعيف الصلاة وزيادة أجرها وثوابها مختص بمسجده عليه الصلاة والسلام الذي كان في زمانه مسجداً، بخلاف ما أحدث فيه بعدّه من الزيادة في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدّهم؛ تغليبا لاسم الإشارة؛ ولهذا ذكر ابن حجر أنه «ينبغي أن يحرص المصلي على الصلاة في الموضع الذي كان في زمانه ﷺ دون ما زيد بعدّه؛ لأن التضعيف إنما ورد في مسجده، وقد أكده بقوله: (هذا)، بخلاف مسجد مكة فإنه يشمل جميع مكة»[(٢)].

ومن الشواهد كذلك قول النبي ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُو يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[(٣)].

وقع الاحتراس في قوله: (فِي الحَقِّ)؛ لئلا يتوهم أن إنفاق المال في غير وجهه مما يُحسد عليه المرء، وقد علق ابن حجر (ت: ٨٥٢) في شرحه لهذا الحديث، فقال: قوله: (فَهُو يُهْلِكهُ فِي الْحَقّ) فِيهِ اِحْتِرَاس بَلِيغ، كَأَنَّهُ لَمَّا أَوْهَمَ الْإِنْفَاق فِي التَّبْذِير مِنْ جِهَة عُمُوم الْإِهْلَاك قَيَّدَهُ بِالْحَقِّ[(٤)].

والمتتبع للبلاغة النبوية يجد الكثير من الشواهد الدالة على ذلك، أكتفي بالإحالة إلى بعضها[(٥)].

---

(١) فتح الباري (٤: ١٩١).

(٢) فتح الباري (٤: ١٩١).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٣)كتاب العلم(١٥) باب الاغتباط في العلم والحكمة (رقم: ٧٣).

(٤) فتح الباري (١٤:٢٣٤).

(٥) من الأمثلة على وقوع الاحتراس ما جاء في قول الرسول الله : «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه»: و« أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً».

وكما جاء الاحتراس في آخر الكلام في القرآن الكريم والحديث النبوي جاء في الشعر، ومن الشواهد الشعرية الدالة على الاحتراس قول الشاعر[(١)]:

تكشفتِ الظلماءُ عن نورِ وجهِهِ   لِضَوْءِ شِهَابٍ ضَوْءُهُ غيرُ خَامِدِ

فقد جاء الاحتراس في آخر البيت في قوله: (غَيرُ خَامِدِ) حيث يصف الممدوح بأنه تكشفت الظلماء وهي (المواقف الصعبة) عن نور وجهه، وأفعاله، وشبّهه بضوء الشهاب ،لكنه احترس أن الشهاب قد يخمد ضَوْءُهُ ويَغِيبُ، لكن الممدوح فاق على ضوء الشهاب بأنه غير خامد.

ومن الأمثلة كذلك قول الشاعر[(٢)]:

هَلْ تَعرِفُ الرَّبعَ إذ في الرَّبعِ عامرُهُ   فَاليَوْمَ أصْبَحَ قَفْراً غَيرَ مَعمُورِ

جاء الاحتراس في قول الشاعر: «غَيرَ مَعمُورِ»، لما ذكر الشاعر منازله حين كانت عامرة بصحبه ذكر رحيلهم، وكيف خلت الدار منهم، قد يتوهم متوهم إن الدار وإن خلت من صحبه لا تزال عامرة بآخرين، فاحترس وبين أنها غير معمورة، فاندفع بذلك التوهم.

ولعلي أختم بهذا الشاهد حيث قال الشاعر[(٣)]:

لَعَمْرِي لَقَدْ أشجَى تَمِيماً وَهَدّها   على نَكَباتِ الدّهرِ مَوْتُ الفَرَزْدَقِ
عَشِيّةَ رَاحُوا للفِرَاقِ بِنَعْشِهِ   إلى جَدَثٍ في هُوّةِ الأرْضِ مُعمَقِ
لَقَد غادَرُوا في اللَّحْدِ مَنَ كان ينتمي   إلى كُلّ نَجْمٍ في السّماءِ مُحَلِّقِ

---

(١) ديوان جرير (ص: ١٢٦)

(٢) ديوان جرير (ص: ١٧٦).

(٣) ديوان جرير (ص:٣٩٤).

ورد الاحتراس في قوله: (مُـحَلِّقٍ)، فلو لم يُذكر لتوهم أنه من النجوم التي خبا ضوءُها، وغاب برقيها، فاحترس بأنه كالنجم المحلق في جو السماء الذي لم يغب.

ومما سبق تبيّن للناظر مواقع الاحتراس في النظم القرآني، وأنه جاء على ثلاثة أنحاء، وإن لم يكن جلها محل اتفاق، لكن البحث أثبت وقوع الاحتراس في ابتداء الكلام، وإثبات هذا اللون الجديد يدل على أهمية الاحتراس، وصلته الوثيقة بالسياق القرآني، ولو خلا من الاحتراس لاختل النظم، ولو اقتطع من السياق لحصل التوهم والخلل.



المبحث الثاني
أغراض الاحتراس في القرآن الكريم

توطئة:

يرد الاحتراس لأغراض بلاغية دقيقة يُستدل عليها بالمقامات وقرائن الأحوال، وقد نبه البلاغيون إلى الغرض الرئيس من إيراد الاحتراس، وهو إزالة اللبس صيانة للمعنى، ودفع التوهم، فهو يُلقى أصلاً لذلك الغرض، لكنه قد يتجاوزه لأغراض أخرى، ومن هنا قد يكون الغرض الذي يظهر من القراءة الأولى هو الاحتراس، لكن وراءه مقاصد وأغراض أخرى، تحفل بها الصياغة اللغوية من مضامين يعيها القارئ بفطنته ودربته، ويلتقطها من بين السطور مستعيناً في ذلك بذوقه البلاغي، والقرائن التي يوحي بها الموقف التعبيري.

غير أنه ينبغي التنبيه على أن تلك الأغراض لدقتها وخفائها، قلّ أن يتفق على تحديدها واستنباطها من النص، وسأكتفي بالإشارة إلى أهمها بعرض مجمل، وستأتي مفصلة في مواضعها - بإذن الله- في مباحث مستقلة في الباب التحليلي.

وقد ألمح العلماء إلى الأغراض التي من أجلها سيق الاحتراس، عند ذكرهم لتعريفه، أوفي تعليقهم على شواهد الاحتراس، ومن ذلك ما ورد في تعريف الاحتراس عند بعض المصنفين بقوله:م: «هو أن تردف الكلام بكلمة ترفع اللبس، وتقربه إلى الفهم، وتزيل عنه الوهم، وتقرره في النفس»[1]، فهذا التعريف قد جمع أغراضاً عدة للاحتراس، كدفع التوهم، والتقرير والتأكيد، بيان المقصد ووضوحه.

كذلك حوت عبارات المصنفين عديداً من الأغراض التي جاء بها الاحتراس، ومن هذه العبارات: «... احتراسٌ واستيفاء لتحقيق معنى الاختصاص..»[2]، و«احترازٌ عن

(١) تفسير ابن النقيب لا يزال مخطوط، ومقدمته كتاب الفوائد المشوق لعلوم القرآن (ص:١٣٣).

(٢) مفاتيح الغيب (٤: ٨٢).

توهم التعيين»[١]، و«دفعٌ لتوهم المجاز»[٢]، و«لتأكيد الإبهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم الاختصاص»[٣]، و«زيادة لتشنيع التكبر»[٤]، و«لدفع التوهم» و«لزيادة تقبيح حال المتبعين»[٥]، و«احتراس جميع بين الامتنان والتخويف»[٦]، وغيرها من العبارات التي سيقت غرضاً للاحتراس، كما أن هناك من الأغراض ما استُنْبِطَ من تدبر الآية... وسيأتي - بإذن الله - بيان ذلك مفصلاً في الباب التحليلي.

الغرض الأول: دفع التوهم (وإزالة اللبس).

يكاد يتفق كل من ألف في البلاغة وعلوم القرآن على أن الغرض من الاحتراس هو: دفع التوهم وإزالة اللبس، بل يذكر هذا الغرض في صلب التعريف كلازم من لوازمه، وأورد هذا المقصد.

فكل من عَرّف الاحتراس قديماً وحديثاً بَيَّنَ ذلك الغرض، قال الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩): «.. هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»[٧].

وعرفه الزركشي (ت: ٧٩٤) بقوله: «هو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال»[٨].

إذاً فدفع التوهم وإزالة الالتباس المقصد الأول من مقاصد الاحتراس، ولا ينفك مطلقاً، وقد تزاحمه أغراض أخرى، كما تتزاحم الوجوه البلاغية في المكان الواحد.

---

(١) إرشاد العقل السليم (١: ٢١٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣: ٩٩).

(٣) ينظر: أحكام القرآن (٣: ٣٣)، وإرشاد العقل السليم (١: ٢٧٠).

(٤) التحرير والتنوير (٨: ١٠٥).

(٥) روح المعاني (١٢: ١٣٣).

(٦) التحرير والتنوير (١٧: ٣٢٣).

(٧) التلخيص في علوم البلاغة (ص: ٢٢٩).

(٨) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٥).

وقد جمع ابن النقيب (ت: ٧٤٥) في مقدمة تفسيره[١] وجوهاً من أغراض الاحتراس، ولم يأت عليها كلها، فقال: «هو أن تردف الكلام بكلمة ترفع اللبس، وتقربه إلى الفهم، وتزيل عنه الوهم، وتقوده في النفس»[٢].

فهذه المعاني كلها من مقومات الاحتراس ومن لوازمه، فدفع التوهم وإزالة الالتباس من أولى مقاصد الاحتراس، وقد عبّر عنها غير واحد من المفسرين والبلاغيين بعبارات شتى كقولهم: (لئلا يتوهم)،أو(حتى لا يتوهم)، أو (لدفع توهم)، وغيرها من العبارات التي تدل على المراد[٣].

ومن البحث والتأمل في الآيات التي ورد فيها الاحتراس تبيّن أن دفع التوهم وإزالة اللبس، ينقسم عدة أقسام ،كلها تحقق معنى الاحتراس، وهي:

أ- دفع توهم المجاز[٤]:

من أقسام الاحتراس في دفع التوهم: دفع توهم واحتمال المجاز، فلو لم يذكر الاحتراس لتوهم وقوع المجاز في الآيات، وحصل التعسف في تأويلها. فيأتي الاحتراس ويؤكد المعنى، وينفي المجاز، ويُبقي الآية على ظاهرها، ومن ذلك الاحتراس الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] فلو لم تأت لفظة: ﴿جَهْرَةً﴾، لتوهم أن المراد الرؤيا القلبية، وهي ليست مقصودة.

---

(١) تفسير ابن النقيب ما يزال مخطوط، ومقدمته كتاب الفوائد المشوق لعلوم القرآن، ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة والجماعة، د. محمد الصامل (ص: ٩٦).

(٢) الفوائد المشوق لعلوم القرآن (ص: ١٣٣).

(٣) ينظر: مبحث المصنفون في البلاغة وعلوم القرآن، (ص:١١٧).

(٤) ليس على إطلاقه؛ فالمجاز واقع في القرآن الكريم، إنما الاحتراس يسهم في دفع التعسف في تأويل الآيات، وصرفها عن ظاهرها بلا قرينة يقتضيها المقام، كأصحاب المذاهب العقدية المنحرفة عندما يعمدون إلى تأويل النصوص.

كذلك ما ورد في قول الله تعالى: «﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام: ٥٥]، جاء الاحتراس في قوله: ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ وقد أشار إليه الألوسي (ت: ١٢٧٠) فقال: «﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز»[1].

والشواهد التي تشير إلى دور الاحتراس في نفي توهم المجاز أوسع من حصرها في هذا المقام وعرضها في هذه العجالة، بيد أنها سترد في الباب التحليلي إن شاء الله[2].

ب- دفع توهم التخصيص:

الأصل في آيات الذكر الحكيم أن تُحمل على عمومها ما لم يرد نص بالتخصيص[3]، وقد يوهم بعض ظواهر الآيات حملها على الخصوص، فيأتي الاحتراس، ويدفع ذلك التوهم، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧]، جاء الاحتراس في قوله: ﴿ قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾ وقال أبو السعود (ت: ٨٩٢) في تفسير هذه الآية: «وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال، وتحقيق أن لكلٍ من الفريقين حقاً من كل ما دَقَّ وجَلَّ»[4].

وقال السعدي (ت: ١٣٧٦) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ

(١) روح المعاني (٤: ٦١) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: معاني القران للفراء (١: ٢٦٠)، والمحرر الوجيز (٤: ٣١١)، و(البحر المحيط: ٣: ٣٦٢).

(٣) الأصل أن تكون الآيات عامة إلا ما جاء مخصصاً بتخصيص بعض أفراد العموم، ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢: ٥٢٧)، والبرهان (٢: ١٨)، والتعارض والترجيح، للبزرنجي (١: ٣٣٧)، والإتقان (ص: ٥٠٦).

(٤) إرشاد العقل السليم (٢: ١٠٢).

ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٩١] «﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ من العلويات والسفليات؛ أتى به؛ لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده»[(١)].

وهذه الأمثلة وغيرها[(٢)]، تبرز أثراً الاحتراس في دفع توهم الاختصاص في الآيات، وتبقيها على عمومها ما لم يرد لها مخصص، وقد جاء هذا النمط من الاحتراس في آيات الأحكام.

ج- دفع توهم الاشتراك[(٣)]:

يُسهم الاحتراس في تحديد المعنى، وبيان المراد منه، ويدفع وهم التعدد الناشئ من الاشتراك اللفظي، ومن ذلك الاحتراس الوارد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، حيث أشار محيي الدين شيخ زاده

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦١١).

(٢) ينظر على سبيل المثال: إعراب القرآن (٥: ٥٦٣)، وفتاوى ابن تيمية (١٤: ٨٨)، وتفسير أبي السعود (٣: ٤٠)، (٤: ١٢٠،٩١)، وروح المعاني(٣: ٢٤، ٦٨: ١٣٧، ٧: ٤٦٢)، والتحرير والتنوير (٩: ١٤٢)، (٢٠: ٥٧).

(٣) الاشتراك يراد به المشترك اللفظي، وعرّفه السيوطي (ت: ٩١١)، بقوله: «اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة» ينظر: المزهر (١: ٣٦٩).

حاز الاشتراك اللفظي على اهتمام علماء الأصول والمنطق، وأولوا المشترك اللفظي عناية خاصة بوصفه من القضايا اللغوية التي لها أثر كبير في استنباط الأحكام الفقهية، وتحديد المعاني المنطقية، فتقصوا مسائله، وتعمقوا في دراستها.

كما اختلفوا في وقوع المشترك اللفظي في القرآن الكريم، وقد ذكر السيوطي (ت: ٩١١) أن هذه الظاهرة القرآنية من أعظم إعجاز القرآن الكريم حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً، وأكثر وأقل ولا يوجد في كلام البشر). معترك الأقران (١:١١٦).

لمزيد من النظر حول هذه المسألة ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢: ١٩٦)، ومعترك الأقران (١: ١١٦) والمشترك اللفظي عبد العال مكرم (ص: ١٨)، وما بعدّها، والاشتراك اللفظي في القرآن، محمد نور الدين المنجد (ص: ٦٠) وما بعدّها.

(ت: ٩٥١) إلى نفي الاشتراك، فقال: «﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ يدل عليه التداين كما يطلق على المعاملة المشتملة على (الدين) يطلق أيضاً على معنى المجازاة، كما في قولهم (كما تدين تدان)، فذكر قوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ ليتعين المراد، ولا يذهب الوهم إلى معنى المجازاة»[١].

وإلى هذا أشار غير واحد من المفسرين[٢]، وفي السياق ذاته كثير من الشواهد أكتفي بالإحالة إليها[٣].

د- دفع توهم النسخ:

الأصل في آيات الذكر الحكيم عدم نسخها[٤] وإعمالها في مقامها وسياقها الذي وردت به، ولا يتحول عن هذا الأصل إلا إذا تعذر الجمع بين الآيات بحال من الأحوال، وعُلم المتأخر منها على المتقدم.

وللاحتراس أثرٌ بارز في بيان هذه القاعدة وتقريرها، ودفع توهم النسخ بالنظر للآية الكريمة من منظور بلاغي، وقد قرر ذلك غير واحد من المفسرين،ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ

---

(١) حاشية محيي الدين زاده (٢: ٦٧٩).

(٢) البحر المحيط (٢: ٣٥٩)، والتحرير والتنوير (٣: ٩٩).

(٣) ينظر على سبيل المثال: إرشاد العقل السليم (٢: ٢٩٣)، وفتح القدير (١: ٥٠٠)، وروح المعاني (٤: ٩١ - ١١٧)، والتحرير والتنوير (١: ٧٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤: ٤٠٣).

(٤) قرر المفسرون قاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها، أو انتفى حكمها من كل وجه، وهذه القاعدة العامة يدخل تحتها القواعد التالية: إذا وقع التعارض بين احتمال النسخ واحتمال التخصيص فالتخصيص أولى. إذا وقع التعارض بين النسخ والاشتراك فالاشتراك أولى. وإذا وقع التعارض بين النسخ والمجاز فالمجاز أولى. وإذا وقع التعارض بين النسخ والنقل، فالنقل أولى. وللتوسع في هذه المسائل ينظر: قواعد الترجيح لحسين الحربي (١: ٧١- ٨٥).

إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] فقد جاء الاحتراس بقوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم (من شهد) ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

الغرض الثاني: إثبات وحدانية الله عز وجل وتفرده بالألوهية.

جاء الاحتراس للمقصد من أسمى المقاصد، وهو إثبات الوحدانية لله -عز وجل،- ويتبع هذا المقصد العظيم مقاصد أخرى وثيقة الصلة به.

أ- إفراد الله عز وجل بالألوهية:

هذا المقصد عليه مدار الدين، وهو أصل دعوة المرسلين، وقد جاءت آيات القرآن الكريم بذلك، وقد أسهم الاحتراس في بيان هذا الأصل العظيم في غير موضع من القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، حيث جاء الاحتراس في قوله: «﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وفائدتها: «دفع توهم أن المراد إثبات الألوهية دون الوحدانية مع أن الإلهية له سبحانه مسلمة في نفسها، وإنما خلاف المشركين في الوحدانية »

وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من **المفسرين**[١]، وبذلك يتبين كيف أسهم الاحتراس في إثبات الوحدانية لله عز وجل.

والشواهد القرآنية في هذا المضمار أكثر من تجمع في هذه العجالة، لذلك أحيل إليها؛ ؛ لئلا يطول المقام.[٢]

ب- إثبات الصفات لله تعالى، ونفي التأويل والتشبيه والتعطيل:

جاء الاحتراس مسهماً في إثبات الصفات لله عز وجل ومؤيداً لمذهب أهل السنة والجماعة نافياً عن الصفات زيف الضالين وانتحال المبطلين وشُبه الفرق الضالة، ومن

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٤: ٢٥٧)، وروح المعاني (٧: ٤٠٢)، وفتح القدير (٣: ١٦٨).

(٢) ينظر: (البقرة: ١٣٣-)١٦٣، و(الأنعام: ١٠١).

الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿تَكْلِيمًا﴾ حيث دفع توهم كون تكليم الله عز وجل لموسى عليه السلام من باب المجاز، وفي ذلك إثبات لمذهب أهل السنة في إثبات صفة الكلام لله عز وجل، وأنه كلم موسى عليه السلام على الحقيقة، وقد أكد غير واحد من المفسرين(١) أن ﴿تَكْلِيمًا﴾ مصدر مؤكد لدفع توهم المجاز.

وهناك غير موضع في القرآن الكريم جاء الاحتراس فيه لإثبات الصفات لله عز وجل(٢) وتأييداً لمذهب أهل السنة.

ج- التعظيم والتمجيد والتنزيه:

التنزيه: تسبيح الله عز وجل، وإبعاده عما يقول المشركون، قال الأزهري (ت:٣٧٠): «تنزيه الله تعبيده وتقديسه عن الأنداد والأشباه».

وقد انتظم الاحتراس في غير آية من القرآن الكريم لهذا الغرض، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، جاء الاحتراس في قوله: ﴿الْكَبِيرُ﴾ فلما وصف الله عز وجل نفسه بأنه العلي العالي في ذاته وصفاته، نزه نفسه عن العلو المعهود في أحوال البشر، أن كل عالي يصغر في عين الرائي، فجاء الاحتراس لنفس ذلك، ولتنزيه الله عن أحوال المخلوقين قال: ﴿الْكَبِيرُ﴾ وهو مع علوه كبير(٣).

---

(١) ينظر: بحر العلوم (١: ٣٨٢)، وتفسير السمعاني (١: ٥٠٣)، ومعالم التنزيل (١: ٥٠٠)، والجامع لأحكام القرآن (٧: ٢٢٥)، والمحرر الوجيز (٤: ٣١١)، والبحر المحيط (٣: ٣٦٢)، وإرشاد العقل السليم (٢: ٢٢٢).

(٢) ينظر: (البقرة: ٥٥، ١٣٣- ٢٥٥)، و(الأنعام: ١٠٣)، و(طه: ٥١- ٥٢).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٥: ٢٢١)، وبحر العلوم (٣: ٢٨٤)، والبحر المديد (٦: ٨٠).

الغرض الثالث: التقرير والتوكيد.

التقرير ومفهومه: توكيد الكلام بما يرفع احتمال المجاز والتخصيص، والتقرير تثبيت الشيء في مقرره.

التأكيد: هو أن يكون اللفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته، والتأكيد يرفع الإبهام عن نفس المتبوع في النسبة، ويرفع أيضاً إبهام ما عسى يتوهم في النسبة.

من الأغراض التي يأتي من أجلها الاحتراس التقرير والتوكيد، فيزيل الشك، ويرفع الإبهام، وهو أدل على الإلزام، وقد تكرر في كثير من الآيات التي ورد فيها الاحتراس، وذكره المفسرون والبلاغيون في مصنفاتهم، ونطقت عباراتهم.

ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١]، جاء الاحتراس في قوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ وقد قال غير واحد من العلماء في هذه الآية: قوله: «﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ توكيد بعد توكيد، وسئل المبرد عن هذه الآية فقال: «لو قال ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ احتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ زال هذا الاحتمال ،فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم بعد هذا بقي احتمال آخر، وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة، أو سجد كل واحد منهم في وقت آخر، فلما قال: ﴿أَجْمَعُونَ ﴾ ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة»(١).

وقال البيضاوي (ت: ٦٨٥) «أكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص، وقيل: أكد بالكل للإحاطة، و﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة واحدة»(٢)

---

(١) المحرر الوجيز: (٣: ٣٥٧).

(٢) أنوار التنزيل (٣: ٣٦٩).

ومما سبق يتبين كيف كان للاحتراس أثر في تقرير المعنى وتوكيده، وهناك عدد من المواضع جاءت لهذا المقصد.

الغرض الرابع: دفع الشبهة والمظنة.

يأتي الاحتراس ويراد منه دفع الشبهة والظن الذي ينشأ قبل التبيّن والتثبت، وينتج عنه الخطأ وعدم الفهم السليم، ومن الشواهد التي جاء الاحتراس لدفع سوء الفهم قوله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٢٢]، حيث جاء الاحتراس بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ دفعاً لظن ظآن أن هذا البياض قد يكون برصاً، وبخاصة أنه لم يُعهد من موسى عليه السلام، وهذا المثال أشهر شواهد الاحتراس على الإطلاق، وكل من يذكر الاحتراس يذكره، وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين[(١)]، فقال الألوسي (ت: ١٢٧٠): «فإنه لو اقتصر على قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ لأوهم أن ذلك من برص، ويجوز أن يكون الاحتراس عن توهم عيب الخروج عن الخلقة الأصلة»[(٢)].

كذلك ما جاء في قوله: الله تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]، حيث ورد في الآية أكثر من احتراس: الأول في قوله: تعالى: ﴿إِلَّآ أَذًى ﴾ حيث احترس عن دوام عدم الضرر بأنه سَيَلُم بهم أذى، والثاني: في حروف العطف ﴿ثُمَّ﴾ يقول صاحب إعراب القرآن وبيانه: «لو عطف بالواو مثلاً لظن قصار النظر أنهم إنما وعدوا بالنصر في تلك الحالة ليس غير، فدفع هذا الظن بكلمة ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ التي تقطع قطعاً لا يريد عليه الشك، بأن النتيجة الحتمية هي النصر المؤزر للمؤمنين»[(٣)].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٤: ٦٧٤)، والدر المصون (٢: ١٨٨)، والتحرير والتنوير (٤: ٥٤).

(٢) روح المعاني (١٦: ١٨٠).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش (١: ٥٠٨).

وهذا الغرض الذي سيق من أجله الاحتراس جاء في غير موضع من القرآن الكريم، يطول المقام بذكرها،و أكتفي بالإحالة إلى نماذج منها.(١)

الغرض الخامس: توضيح الحكم وبيانه.

جاء الاحتراس لغرض عظيم وهو بيان الأحكام الشرعية وتوضيحها، وإزالة اللبس عنها، وقد اختصت بهذا الغرض آيات الأحكام، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ للتأكيد والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال بإحداهما بعينها والتذكير بالأخرى، وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «لئلا يتوهم منه أن شهادة المرأتين لا تقبل إلا عند تعذر الرجلين»(٢)، ومثال ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٣] ، جاء الاحتراس بالاستثناء ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ للاحتراز عن إفادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات في بداية الآية(٣).

وقد قام الاحتراس بأثر واضح في تقرير الأحكام وبيانها، وإيضاحها في غير موضع في القرآن الكريم(٤).

الغرض السادس: تحديد المقصد وبيان المراد.

يقصد بهذا الغرض تحديد المراد بعينه ودفع توهم اشتراكه مع غيره مما قد يتبادر إلى الذهن، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾

---

(١) ينظر: (سورة المائدة: ٥٤)، و(سورة الفتح: ٢٥)، و(سورة المنافقون: ١).

(٢) التحرير والتنوير (٣: ١٠٩).

(٣) إرشاد العقل السليم (٢: ١٦٢).

(٤) ينظر: على سبيل المثال (سورة البقرة: ٢١٩- ٢٢٣- ٢٤٠- ٢٨٢)، و(سورة النساء: ٥- ٧- ١٠- ٢٣- ٢٤- ٢٥-٤٣- ٩٢)، و(سورة المائدة: ٤).

[الأعراف: ١٢١ - ١٢٣] وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ ؛ لئلا يتوهم أن السحرة قد آمنوا بفرعون.فلما جاء الاحتراس اتضح المراد، وزال اللبس، وأن السحرة قد أمنوا مع موسى برب العالمين، فذكروا موسى؛ ؛ لئلا يتوهم الملأ أن الإيمان بفرعون، لما تقدم في علمهم من ادعاء الألوهية.

ويذكر ابن عادل (ت: ٨٨٠) القصد من الاحتراس فيقول:«وفائدةُ ذلك نَفْيُ تَوَهُّمِ مَنْ يَتَوَهَّمُ أنَّ ربَّ العالمين قد يُطلق على غير الله تعالى، لقول فرعون ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾»(١).

وهناك كثير من الآيات التي تدخل تحت هذا المقصد، يطول المقام بذكرها(٢).

الغرض السابع: بيان مكانة المخاطب.

من الأغراض التي جاء الاحتراس لبيانها والتأكيد عليها الإشارة لمنزلة المخاطب ومكانته، وقد جاءت في حق النبي ﷺ، بل إن أعجب احتراس في القرآن الكريم جاء لهذا المقصد العظيم، وهو قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [القصص: ٤٤] ، حيث جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ وقال عنه المفسرون: «وأعجب احتراس وقع في القرآن قوله: تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام ﴾: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ وقال حكاية عن موسى: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴾ فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرف المكان بالغربي، ولم يقل في هذا الموضع: «الأيمن» كما قال: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾؛ لئلا يفهم منه «أن ينفي عنه كونه بالجانب

---

(١) الدر المصون (٩: ٢٦٥).

(٢) ينظر: على سبيل المثال: (النور: ٣٣).

الأيمن أو يسلب عنه لفظاً مشتقاً من اليمن أو مشاركاً لمادته، ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذكر الجانب الأيمن تشريفاً لموسى»(١).

ويتبين من النص السابق كيف جاء الاحتراس لغرض عظيم وهو بيان مكانة النبي ﷺ عند ربه.

كذلك جاء الاحتراس لبيان مكانة نبي الله سليمان عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: «﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ تبرئة من الله لسليمان، وقد نسبته اليهود إلى السحر والعمل به، فجاء الاحتراس لتبرئته ودفع التوهم أن يكون قد كفر سليمان؛ لأن العمل بالسحر كفر، وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى ذلك الاحتراس والغرض الذي سيق من أجله.(٢)

الغرض الثامن: دوام الحكم وعدم الانقطاع.

يأتي الاحتراس لبيان دوام الحكم وثبوته وعدم انقطاعه، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤٣- ٤٤]، فقد ذكر الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ إذا لما ذكر الباري عز وجل صفة الظل قد يتوهم أن له صفة من صفات الظل في الدنيا من الظل والبرودة والاستراحة دفع التوهم بأنه ليس كظل الدنيا ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾»(٣).

ومن هذا المقصد ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٦)، وإعراب القرآن، للدرويش (٥: ٦٢٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (١: ١٨٦)، ومفاتيح الغيب (٣: ١٩٨).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٧: ٤١١)، وحاشية القونوي (١٨: ٤٠٣)، وحاشية زاده (٨: ٨٦).

٢٥] فقد جاء الاحتراس بقوله: تعالى: «﴿ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ احتراساً من توهم الانقطاع بما تعودوا من انقطاع اللذات في الدنيا، لأن جميع اللذات في الدنيا معرضة للزوال»[(١)]، والجدير بالذكر أن هذا المقصد العظيم قد جاء في وصف الجنة ونعيمها والنار وعذابها، وهناك مواطن أخرى أكتفي بالإحالة إليها[(٢)].

الغرض التاسع: التجسيم والتصوير.

يأتي الاحتراس كذلك لتصوير المشاهد وتجسيمها، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٦]، حيث وقع الاحتراس في قوله: ﴿ عَلَيْهِمُ ﴾ مع ﴿ فَخَرَّ ﴾ لدفع توهم أن يكون قد خرّ وهم ليسوا تحته[(٣)]، قال الزركشي (ت: ٧٩٤): «والسقف لا يكون إلا من فوق؛ لأنه سبحانه دفع الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون تحت بالنسبة، فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم وسقفاً لآخرين، فرفع هذا الاحتمال بشيئين هما قوله: ﴿ عَلَيْهِمُ ﴾، ولفظة ﴿فَخَرَّ﴾؛ لأنهما لا تستعملان إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى سفل»[(٤)].

والتصوير وتجسيم المعاني بصور حسية قد جاء في القرآن الكريم في غير موضع، وقد أسهم الاحتراس في تصويرها وبيانها، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٣- ٨٥]،

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٣٥٧).

(٢) ينظر: (سورة النساء: ١٦٨- ١٧١)، و(سورة المائدة: ١٨)، و(سورة الأنعام: ١١٥)، و(سورة هود: ١٥- ١٠٧- ١٠٨- ١٠٩)، و(سورة طه: ٤٧).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٤: ٢٣٨)، وروح المعاني (١٤: ١٢٥).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٧).

فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ «جملة معترضة، فهي احتراس لبيان أن ثمة حضوراً أقرب من حضورهم عند المحتضر، ولكن لا تبصرون، لرفع توهم قائل: كيف يكون أقرب إلى المحتضر من العُوَّاد الحافين حوله، وهم يرون شيئاً غيرهم يدفع ذلك بأنهم محجوبون عن رؤية أمر الله تعالى»(١).

مما سبق يتبين كيف أسهم الاحتراس في وضوح الصورة وتجسيم المعاني بصور محسوسة وملموسة، وقد وفى الاحتراس بهذا المقصد في غير موضع من القرآن الكريم أكتفي بالإحالة إليها ؛ لئلا يطول المقام(٢).

الغرض العاشر: بعث الأمن والطمأنينة في النفوس.

جاء الاحتراس لمقصد بعث الأمن والطمأنينة، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢] ، فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ احتراساً من أن يظن ظآن أن الإنجاء من الغرق»(٣)، وقد جاء لغرض نشر الطمأنينة في نفوس بني إسرائيل بهلاك عدوهم وموته، ووقوفهم على مصرعه عياناً.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠- ١٢] ، حيث جاء الاحتراس في قوله: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ لبعث الأمن في النفوس، وأن من أنفق

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧: ١٩٢).

(٢) ينظر: (سورة الكهف: ٣٢- ٣٣)، و(سورة النور: ٣٩)، و(سورة القصص: ٢٣)، و(سورة العنكبوت: ٥٥)، و(سورة الزمر: ٢٠)، و(سورة غافر: ١٨)، و(سورة الطور: ٤ - ٥)، و(سورة النجم: ١)، و(سورة القمر: ٢٣٩، و(سورة الواقعة: ٧٦).

(٣) التحرير والتنوير (١١: ٢٧٨).

بعد الفتح غير منقوص الأجر، بل لكل فريق من هؤلاء أجر معلوم عند الله عز وجل، وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين[١]، فقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: «احتراس من أن يتوهم متوهم أن اسم التفضيل مسلوب المفاضلة، وعبر بـ(الحسنى)؛ لبيان أن الدرجة هي درجة الحسنى؛ ليكون للاحتراس معنى زائداً هو التأكيد، وهو ما فيه من البيان»[٢].

الغرض الحادي عشر: الوعد والوعيد.

الوعد: «هو الخبر المتضمن إيصال النفع إلى الغير، أو دفع الضرر عنه في المستقبل، سواء أكان حسناً، مستحقاً أم لا»[٣].

الوعيد: «هو كل خبر يتضمن إيصال الضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسناً مستحقاً وبين أن لا يكون كذلك»[٤].

يُعدّ الوعد والوعيد من المقاصد التي جاء الاحتراس من أجلها، وهي متنوعة ومتباينة فيما بينها، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢]، فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عطف على ﴿فَسِيحُواْ﴾، داخل في حكم التفريع، لأنه لمّا أنبأهم بالأمان في أربعة الأشهر عقبه بالتخويف من بأس الله احْتراساً من تطرّق الغرور، وتهديداً بأنّ لا يطمئنوا من أنْ يسلّط الله المسلمين عليهم في غير الأشهر الحرم، وإن قبعوا في ديارهم»[٥].

(١) حاشية القونوي (١٨: ٤٤٦)، ونظم الدرر (٧: ٤٤٢)، وروح المعاني (١٤: ١٦٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧: ٣٧٥).

(٣) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار (ص: ١٣٤).

(٤) المرجع السابق (ص: ١٣٥).

(٥) التحرير والتنوير (١٠: ١٠٦- ١٠٧).

وقد جاء الاحتراس لهذا الغرض في غير موضع في القرآن الكريم أكتفي بالإحالة إليها[١].

ومثال الاحتراس الوارد لغرض الوعد في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، فقد جاء الاحتراس في قوله: «﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، لدفع توهم أن يكون هناك انقطاع في نعيم الجنة، و؛ لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة وعدم الانقطاع »[٢].

الغرض الثاني عشر: التعجيز.

يرد الاحتراس في القرآن الكريم لغرض التعجيز عن فعل شيء أو قوله:، ومن ذلك ما جاء في قوله: الله تعالى: «﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤]، حيث وقع الاحتراس في قوله: ﴿فَظَلُّواْ﴾ خشية أن يكون عروجهم في الظلام فيتعللوا به على عدم الاهتداء[٣]، وفيه تعجيز لهؤلاء الطالبين لدليل وبرهان حتى يؤمنوا؛ لأنهم إن جاءهم ما يطلبون فهم مصرون على الكفر والعناد.

ولذلك قال سبحانه في الآية: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥].

وهذا المقصد ورد في غير موضع القرآن الكريم، أكتفي بالإحالة إليها؛ لئلا يطول المقام[٤].

---

(١) ينظر: (سورة البقرة: ١٢٦)، و(سورة الأعراف: ٣٨- ١٤٧).

(٢) إرشاد العقل السليم (٣:٣٥٤).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش (٤: ١٨٤).

(٤) ينظر: سورة (الزخرف: ٣٩).

الغرض الثالث عشر: جدال المشركين وإبطال حججهم.

جاء الاحتراس في مقام محاجة المشركين وإبطال مزاعمهم على مَرِّ أزمانهم، وتنوع أنبيائهم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨- ٣٩] .

وقع الاحتراس في قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ ﴾ وبذلك يتبين بطلان مزاعم من قال: إن أصنامهم ومعبوداتهم من دون الله تشفع لهم يوم القيامة، فنفى الاحتراس كل شفاعة، وإنه لا يشفع أحد إلاَّ بعد أذن الرحمن في شفاعته.

الغرض الرابع عشر: التشنيع.

ومن أغراض الاحتراس التي لا تنكر مجيئه للتشنيع، وتقبيح الفعل، وهذا الغرض من أندر المقاصد وجوداً فيما -وصل له علمي-. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] ، فقد جاء الاحتراس في قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ والآية وسياقها يدلان على أنهم يتكبرون في الأرض، والتكبر لا يكون إلا بغير الحق، وزيادة ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ لتسجيل العتو والظلم عليهم، وفيها «زيادة لتشنيع التكبر، بذكر ما هو صفة لازمة له وهو مغاير للحق، وقد جعله الزمخشري قيداً للاحتراز»[١].

❀❀❀❀

(١)التحرير والتنوير (٩: ١٠٧).

المبحث الثالث
القيمة الفنية للاحتراس

توطئة:

يُعدّ الاحتراس أسلوباً من أساليب العربية في الكلام، وفناً من فنونها، وهو فن راق من فنون التعبير، ووسيلة بيانية لا تظهر إلا في العالي من الكلام، وقد جاء القرآن الكريم بأعلى أساليب البلاغة، والاحتراس وسيلة بيانية لا تظهر إلا في بيئة نالت حظاً صالحاً من التهذيب الاجتماعي والخلقي، وأصبح من بين أهلها من يفرض على نفسه في مخاطبة الآخرين قيوداً تخرج من تحتها عباراته، وهي مصفاة مما يجرح المشاعر، أو يخدش الحياء.

وإذا كان الاحتراس طبقة عالية من الكلام، وفناً من فنونه العصية لا يَنقاد ولا يَستسهل لكل من رامه، أو حَام حول حماه، فإنه في كتاب الله تعالى يَصّاعد ويعلو ويدق، حتى لا ينتبه إليه إلا من آتاه الله بصيرة يَنْفُذُ منها إلى دلالات العبارة القرآنية.

والاحتراس كثير الوقوع في القرآن الكريم يدركه من تتبع مواقعه، ويدرك إيثار القرآن للاحتراس إياه على غيره – من ضروب البلاغة –في مقامات مختلفة.

وفي هذا المبحث أحاول – بعون الله تعالى– أن أتتبع القيمة الفنية للاحتراس من وروده في موضوعات مختلفة.

تتمحور محاولة النفاذ لقيمة الاحتراس الفنية من محورين أساسين:

المحور الأول: النظر الخارجي وحضور الاحتراس لدى ثلة من العلماء، على اختلاف توجهاتهم، وتنوع طبقاتهم، من مفسرين ولغويين وغيرهم.

المحور الثاني: النظر الداخلي نابع من النظر في الاحتراس ذاته، ودلالة حضوره في النص، وأهميته في السياق، وقوته ومكانته في النظم، والمقاصد القرآنية التي جاء بها الاحتراس.

المحور الأول: النظر الخارجي للاحتراس .

لقد وظَّف الاحتراس (مفهوماً بلاغياً) في خدمة تفسير القران الكريم الكثيرُ من العلماء على تعدد مشاربهم، وتنوع علومهم، فكل يذكره بمصطلحه أو بمرادفه أو بنظير من نظائره وربما ذُكر بإشارةٍ أو بعبارةٍ تدل عليه. وما ذلك إلا لموقعه في النظم، وأهميته في المعنى، إذا لا يتم المراد إلا به، **فهو زيادة تحت إلحاح من المعنى، لتأدية أصله، والحفاظ على معطياته**؛ لذا تمسك به البلاغيون في إطار علم المعاني، واختلفوا في مدى تماشيه مع أصل الإطناب[(١)].

والمتتبع للتفسير في رحلته الطويلة، يلحظ أن الاحتراس عُرف لدى المفسرين منذ البدايات الأولى للتفسير، بيد أنه لم يكن معروفاً لديهم بهذه التسمية؛ لكنهم وقفوا على استعمالاته، فيذكر المفسرون ما يدل عليه أو على مقصوده،كقوله:م في الآيات التي يرد فيها: (لئلا يتوهم، حتى لا يتوهم، لدفع احتمال؛ لئلا يظن ظان؛ لئلا يلتبس)[(٢)]، ونحوها من العبارات التي تُوحي بأن الرعيل الأول من المفسرين لم تخل كتبهم من الاحتراس، وإن لم تنطق به أقلامهم، كما لم يغب مقصوده منذ البدايات الأولى للتفسير.

---

(١) تأدية أصل المعنى من مصطلحات البلاغيين، والخلاف حول أن الاحتراس ليس من الإطناب موجود في حواشي التلخيص.. وهو يؤكد أن الاحتراس بعيد كل البعد عن البديع...ويؤكد على أهمية الاحتراس.

(٢) ينظر على سبيل المثال: زاد المسير (٢: ٥٨)، ومفاتيح الغيب (٤: ٢٥، ٨٥، ١١٤)، وأنوار التنزيل (١: ٢٤٠) (٢: ٣٣) (٤: ٥٥٧) (٣: ٤١٩)، والتسهيل (١: ١٥٦)، ومدارك التنزيل (٢: ١٠٥)، والدر المصون (١: ٥٠٧)، وحاشية زاده (٣: ١١٧)، وإرشاد العقل السليم (١: ٦٥، ١٦٧، ٢٧٠)، والتحرير والتنوير (١: ٤٠٥) (٤: ٦٠، ١٥٣)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦، ٢٠٠، ١٨٦).

كما أنه لم يظهر في تلك الحقبة بصفته مصطلحاً قائماً بذاته، فالمصطلحات لم تكن نشأت، أو أنها في بداية التأصيل وأطوار النمو وتقلبات المراحل.

إن جميع المفسرين للقرآن الكريم في القرون الأربعة الأولى وقفوا عند الاحتراس بمعناه وبمقصوده، بل إن الناحية التطبيقية وساحة التفسير تشهد لذلك، وفي القرون المتوالية كان له حضور ظاهر، لكنه لم يعرف بمصطلحه إنما عُرف بمدلوله.

وكل ذلك محصور في إطار التباين في ثقافات المفسرين والعلوم التي برعوا فيها، والغاية من كتابة التفسير، فلم أقف على من كانت غايته من التفسير إظهار البلاغة القرآنية بصفته غاية، إنما جاءت البلاغة القرآنية تبع لأغراض أخرى، لذا لم يظهر الاحتراس بمصطلحه،إلا أن الاحتراس لم يغب مدلوله عنهم، وكان له الأثر الواضح في الآيات.

وسبق الحديث عن تطور الاحتراس عند المفسرين والبلاغيين فكلها تحمل دلالات عنايتهم بالاحتراس، وتبيّن براعة المفسرين في العناية بالاحتراس بصورة مختلفة من الناحية التطبيقية، وإن لم يصلوا له نظرياً، بخلاف أرباب البلاغة الذين أصلوا له بصفته فن مستقل، ثم حصل خلط واضطراب، سواء في عرض الآيات أم في بيان الفرق بينه وبين غيره من أضرب الإطناب الأخرى.

والحديث عن المحور الثاني: الذي يُعدّ صُلب القيمة الفنية والبلاغية **للاحتراس ينبثق منه في عدة محاور:**

النظر في قيمة الاحتراس في السياق: الاحتراس وسيلة بيانية لا تظهر إلا في العالي من الكلام، وقد جاء القرآن الكريم بأعلى أساليب البلاغة.

وقد ثبت من دراسة الآيات ثبوتاً -لا يدع مجال للشك- أن الاحتراس من مقتضيات النظم ومتطلبات المقام، فهو مقتضى حال جيء به لدفع توهم خلاف المراد، وصيانة للمعنى، وحفظاً له، ولزوماً للدقة في التعبير عن المراد، ولا شك في أن

الاحتراس إنما يُلجأ إليه ؛ لئلا يتسرب الوهم، ويفهم غير المراد، وفي البيان تجلية وتوضيح، وكلما كان النص جلياً في معناه واضحاً في مرماه كان الفهم أسرع.

ويكاد يطبق عليه عامة العلماء على اختلاف مشاربهم، أن الاحتراس إنما يؤتى به لدفع التوهم.

وتضاعفت هذه القيمة في علاقتها بمقاماتها التي جاء عليها؛ ؛ لأنها مقامات تتصل بالعقيدة والشريعة، وما يتفرع عليها من ترغيب وترهيب، وتشريع، وتعليم، وغير ذلك مما هو أحوج إلى الاحتراس؛ حفظا للمعنى، وصيانة له من توهم خلاف ما يراد.

النظر في قوة الاحتراس: يلحظ المتأمل للاحتراس وللسياق الوارد فيه أنه جاء بعدد من السمات التي تعطيه القوة، وتميزه عن غيره من فنون البلاغة، فهو **ضرورة في النظم** لا يمكن تمام المعنى بدونه، بل إنه يصون المعنى عن الخطأ الذي عليه مدار علم المعاني، قال السكاكي (ت:٦٢٦): «علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ **ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ** في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره»(١).

ويجعل الخطيب القزويني (ت:٧٣٩) مدار البلاغة على الاحتراس عندما يذكر: «أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى **الاحتراز عن الخطأ** في تأدية المعنى المراد»(٢)، فالاحتراس إنما يؤتى به للاحتراز عن الخطأ في الكلام، وبذلك يثبت للاحتراس أنه أصل علم المعاني، إن لم يكن أصل العربية.

و يقول ابن جني (ت:٣٩٢): «باب في الاحتياط، اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له»(٣).

---

(١) مفتاح العلوم (ص:١٦١).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (١: ١٧).

(٣) الخصائص (٣: ١٠١).

وورود الاحتراس مورد القوة في السياق فيقوم على **وضوح العبارة** والمقصد والمدلول، ودقتها واختيار الكلمات غير المشتركة بين معان عدة، بعيد كل البعد عما يسمى مترادفات، فلا ترد كلمة أو عبارة تبعث الإبهام، كيف لا؟! والبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذا هو دور الاحتراس حتى لا يصير المعنى ذاهب المعالم، والشواهد أكثر من أن تذكر فهي تتجلى في كل موطن من مواطن الاحتراس، وعلى سبيل التمثيل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فقد جاء الاحتراس في قوله: ﴿جَهْرَةً﴾ ؛ لئلا يتوهم أن المراد بها الرؤيا القلبية، أو العلم أو التخييل، فلما وردت ﴿جَهْرَةً﴾ انقطع التوهم وزال الاشتراك، ولم يبق إلا المعنى الواضح الصريح الذي يمنع ما يعتري الفكر من اختلاط ودخل.

النظر للاحتراس من تنوع التراكيب:

من تتبع مواقع الاحتراس النحوية مع ما قبله وما بعدّه تبين أن الاحتراس يأتي جملة لها محل من الإعراب،كالجملة الواقعة خبراً، والواقعة حالاً، والواقعة مفعولاً، ويأتي جملة لا موقع من الإعراب كالجملة الابتدائية، الجملة المستأنفة، الجملة المعترضة، الجملة التفسيرية، جملة جواب القسم، الجملة الواقعة جواباً لشرط.

كما أن الاحتراس يتجاوز مرحلة الحصر في تركيبٍ معين سواء أكان مفردًا أم جملة ليصل لمرحلة الشمول[١] قال التفتازاني (ت: ٧٩٢): «فإن التكميل قد يكون بجملة، وقد يكون بغيرها، والجملة التكميلية ذات إعراب، وقد لا تكون»[٢].

وهذا ما يلحظ مع شواهد الاحتراس وتنوعها بتنوع أقسام الكلام عند النحاة: مفرد، جملة، شبه جملة، فقد جاء الاحتراس مفرداً ،ومن الشواهد قول الله تعالى:

---

(١) لا أقصد الشمول بمعناه الواسع، وإنما أقصد أنه وقع في كثير من ألوان النحوية.

(٢) حاشية الدسوقي على مختصر السعد (ص:١٣٥)

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ ؛ليزول توهم المخاطبة من باب المجاز، «فذكر في أول الآية وحيه إلى نوح والنبيين من بعدّه، ثم خص موسى من بينهم بالإخبار بأنه كلمه، وهذا يدل على أن التكليم الذي حصل له أخص من مطلق الوحي الذي ذكر في أول الآية،ثم أكده بالمصدر الحقيقي الذي هو مصدر كلم هو التكليم رفعا لما يتوهمه المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أنه إلهام أو إشارة أو تعريف للمعنى النفسي- بشيء غير التكليم، فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة، ورفع توهم المجاز، قال الفراء (ت:٢٠٧): «العرب تسمى ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر، فإذا حققته بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام»[(١)].

كذلك وقع الاحتراس شبه جملة، ويقصر النحويون شبه الجملة على الظرف والجار والمجرور.

ومثال الاحتراس الواقع شبه جملة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩-٨٠] .

حيث جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾، فلو لم يذكر لتوهم أن المراد الكتابة مجازٌ فلما جاء الاحتراس ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ تأكيد المعنى ودفع توهم المجاز[(٢)].

وأيضاً جاء الاحتراس بالجملة على اختلاف أنواعها، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦].

---

(١) التفسير القيم، لابن قيم الجوزية،تحقيق محمد الفقي،نشر- دار الكتب العلمية، ببيروت،الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ (ص: ٣٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط (١: ٤٤٣)، وإرشاد العقل السليم (١: ١٢٠)، وروح المعاني (١: ٣٠٢).

جاء الاحتراس في قوله: ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾ ؛ لئلا يتوهم متوهم أن ما لحقهم من عذاب في الدنيا يخفف عنهم العذاب في الآخرة، فلما جاء الاحتراس زال هذا التوهم، واندفع اللبس، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «احتراس ؛ لئلا يحسب السامعون أن حظ أولئك من العقاب هو عذاب الإهلاك بالريح، فعطف عليه الإخبار بأن عذاب الآخرة أخزى، أي لهم ولكلٍّ مَن عُذِّب عذاباً في الدنيا لِغَضب الله عليه»(١).

ومما سبق يظهر أن الاحتراس سرى في جميع التراكيب النحوية، فلم يقف عند عبارة، ولم يحد بجملة، بل إن فضاءه أرحب وأوسع، فشمل التراكيب النحوية، والصور البلاغية، الألوان البديعية، وما ذلك إلا للقيمة العالية،والراسخة في جذور المعاني، فلا يُستغنى عنه بحال من الأحوال.

مقاصد الاحتراس:

فالمقاصد لا يستغني عن معرفتها وإدراكها أحد سوتء أكان مفسراً أم فقيهاً، والمقاصد هي الروح، **وبلا إدراك المقاصد تبقى هداياته بعيدة عن التناول، وفوائدة عزيزة المنال**، وهنا تبرز القيمة الكبرى للاحتراس، فهي التي توصل إلى إدراك معاني القرآن وفهمها الفهم الصحيح، وينفذ من الاحتراس إلى دلالات الآيات القرآنية.

كما يؤتى بالاحتراس لدفع توهم خلاف المقصود وصيانة للمعنى، وحفظاً له، ولزوماً لدقة في التعبير عن المراد، وتتضاعف هذه القيمة في علاقتها بمقاماتها التي جاء عليها؛ لأنها مقامات تتصل بالعقيدة والشريعة، وما يتفرع عنها مما هو أمس وأحوج إلى الاحتراس.

وللاحتراس أثرٌ ظاهر في بيان المعاني وإظهارها على أتم وجه، فقد جاء في مقام تقرير العبودية لله عز وجل وإفراده بالتوحيد، وفي مقام بيان العظمة لله تبارك وتعالى، وتنزيه عما لا يليق بذاته العلية، والشواهد في ذلك جمة، وأحسب أن الإشارة إلى نماذج تفي بالغرض،

(١) التحرير والتنوير (٢٤: ٢٦١).

ومثال الاحتراس في تقرير العبودية لله عز وجل ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ لدفع أن يكون هناك آلهة متعددة، وفي هذا يقول الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩): «وفائدة الإبدال بأنها تدفع توهم التعدد الناشئ من ذكر الإله مرتين»[(١)]، وهذا الذي ذهب إليه الخفاجي قرره غير واحد من المفسرين[(٢)] في مصنفاتهم، وأن الغرض من التنصيص إنما هو لدفع توهم تعدد الإله، وبذلك يتبين الأثر الرئيس الذي قام به الاحتراس للدلالة على المعنى، بدفع ما يوهم خلاف المقصود.

ويتبين مما مضى أن أسلوب الاحتراس هو أمثل الطرق في المحافظة على سلامة المعنى، وأكثرها ملاءمة في تقرير الأمور الغيبية بعامة، فهو يُجلي المعنى ويوضحه دون أدنى لبس، وهو خير طريق لسلامة النظم.

كذلك كان الاحتراس فيصلاً في مقام الجدل الديني، ومواقف الأنبياء مع أقوامهم، وما يتصل بذلك من خصومات مذهبية.

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، هذه الآية جاءت في معرض موسى عليه السلام مع فرعون، عندما دعاه موسى للتوحيد، وقد سأله عن أخبار القرون الأولى ليطيل الجدال فقطع موسى عليه السلام ذلك بقوله: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ وجاء الاحتراس

---

(١) حاشية الشهاب (٢: ٥٩).

(٢) ينظر على سبيل المثال: أنوار التنزيل (١: ٤٠٨)، والبحر المحيط (١: ٥٧٧)، وإرشاد العقل السليم (١: ١٣٦)، وفتح القدير (١: ٢٧٨)، والدر المصون (١: ٢٢٩).

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ فدفع ما يتوهم أن الإثبات في اللوح للاحتياج لاحتمال خطأ أو نسيان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[١]، لقد لقن الله سبحانه وتعالى موسى هذا الأدب، وتلك الحجة في خطاب فرعون الذي نازع الله في ربوبيته حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، فقطع حجة فرعون بهذا الاحتراس الرائع، وترك مخاشنته في الحوار. وذلك أقرب إلى الدعوة وأسرع إلى تحقيق غايتها: اهتداء المدعو إن أجاب، أو إقامة الحجة عليه إن أعرض.

واستقراء مواقف المجادلة والمحاجة ومقامات الحوار والجدل في القرآن، يبدو أسلوب الاحتراس أكثر مما يبدو غيره من الأساليب، وفي ذلك يظهر أن أسلوب الاحتراس وسيلة مواتية لا تعدلها وسيلة أخرى، وأسلوب لا يقوم مقامه أسلوب، ومن النموذج السابق يتبين كيف ألزم موسى عليه السلام الحجة فرعون على ألطف وجه وأحسنه.

كذلك كان للاحتراس أثر بارز في سياسة الخصم والحجاج ؛ كيلا ينقطع حبل الحوار، وحتى يروض لسماع الحق والتفكر فيه، وحتى يلزم الحجة ولا يكابر.

إن سياسة الخصم في هذا الجو - المليء غالباً بأسباب التعصب،والبعد عن الإنصاف - من أدق وأشق ما يواجهه الأنبياء في دعوة أقوامهم.

والاحتراس من أدوات هذه السياسة في الحجاج، تملك بها ناصية الخصم، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [هود: ٢٩]، هذه العبارة ترددت على لسان غير واحد من الأنبياء، فقد نفى أن يكون سبب الدعوة هو طلب المال والأجر على نجاتهم، فنفي سؤال المال قد ينشئ توهم أنه لا

---

(١) ينظر: روح المعاني (٨: ٥١٧)، وحاشية القونوي (١٢: ٣٦٤)، وحاشية الشهاب (٦: ٣٥٧)، ومحاسن التأويل (٥: ١٠٣).

يسأل جزاء على الدعوة، فجاءت جملة ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ احتراساً، والمخالفة بين العبارتين في قوله: ﴿مَالًا﴾ و﴿أَجْرِيَ﴾ تفيد أنه لا يسأل مالاً، ولكنه يسأل ثواباً[1].

وهذا أدخل في نفوس المخاطبين لتلقي الدعوة، وفي هذا الخطاب ترجيح لكفة الخصم، وهضم النفس.

فلا يستطيع الخصم – إزاء هذا الاحتراس – أن يكابر أو يلج أو يعاند، كيف لا وقد جاءت الدعوة في ذلك الجو من الإنصاف والتناصف، وبذلك تنتصر الدعوة بتجفيف منابع المعارضة، وما ذلك إلا ثمرة من ثمار الاحتراس.

ومن المقامات التي كان الاحتراس رائداً فيها مقامات التشريع والتعليم، وذلك للحاجة الماسة لحفظ المعنى وصيانته من توهم خلاف ما يراد، وغير خفي أن كثرة الاحتراس في آيات الأحكام تدل على تحرير المعنى وصيانته، تحريراً لا يدع مدخلاً للتوهم أو النقص، ولا سيما أن الأمر يتصل بالشريعة وتعاليمها.

وعلاقة الاحتراس بمقام التشريع علاقة تفرضها البلاغة وتحتمها، وذلك أن التشريع والأحكام يتعلق بالحل والحرمة، فالاحتراس يحفظ المعنى ويصونه دفعاً لتوهم خلاف المقصود، حتى يكون الحكم الشرعي واضحاً لا لبس فيه ولا إيهام، وحتى يكون تاماً لا نقص فيه، وهذه هي قيمة الاحتراس البلاغية في مقام التشريع.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، فقد جاء الاحتراس في قوله: تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ وبذلك يدفع توهم

---

(١) التحرير والتنوير (١٢: ٥٥) بتصرف.

اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل، وآلات الحرب للرجال(١). وبهذا يتقرر حق المرأة في مال مورثها، وقد أسهم الاحتراس في إظهار هذا الحكم - بجلاء- ودفع ما يتوهم من خلافه، وما كان سائداً في أعراف الجاهلية، من عدم توريث المرأة والصبي.

وليس كالاحتراس مسعفاً فيما يوجب استحياء المخاطب أو احتشامه، وقد جاءت غير واحدة من آيات الذكر الحكيم في مقام الكناية، وكان للاحتراس أثر في وضوح الصورة دون أدنى لبس، كما في قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣](٢).

كذلك كان للاحتراس أثر بارز في مقام المعاملات، وفي مقام الآداب والأمثال، حيث يوصل المعنى إلى ذهن المتلقي دون أدنى التباس، ومن الأمثلة في هذا المضمار قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ «فجاءت صفة العفو عن الناس احتراساً وتتميماً للخلق عظيم، وهو كتم الغيظ، فقد لا يستطيع كل من كتم غيظه أن يعفو؛ لأن كظم الغيظ قد تعترضه ندامة، فيستعدي على من غاظه بالحق، فلما وصفوا بالعفو عمن أساء إليهم دل ذلك على أن كتم الغيظ وصف متأصل فيهم»(٣).

ومما سبق يتبين أن الاحتراس أسهم في كشف جانب من الإعجاز البياني القرآني، من توظيفه الاحتراس أداة بيانية في تفسير الآيات الكريمة.

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢: ١٦٨)، وإرشاد العقل السليم (٢: ١٠٢).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣: ٣٠٣) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير (٤: ٩١).

الباب الثاني

الدراسة التحليلية للآيات التي وقع فيها الاحتراس

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الاحتراس في أمور الاعتقاد.

الفصل الثاني: الاحتراس في آيات الأحكام والآداب والأمثال والقسم.



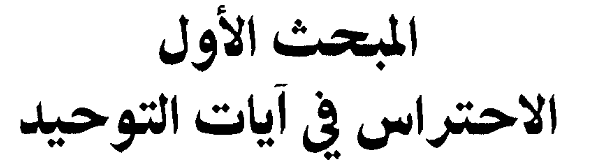
الاحتراس في أمور الاعتقاد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاحتراس في آيات التوحيد.

المبحث الثاني: الاحتراس في الآيات التي ذكرت اليوم الآخر.

المبحث الثالث: الاحتراس في آيات النبوة والأنبياء.



المبحث الأول
الاحتراس في آيات التوحيد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاحتراس في الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: تذييل الآيات القرآنية بالأسماء الحسنى ودلالتها.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الأسماء والصفات.

توطئة:

تجدر الإشارة هنا إلى معنى هذا العنوان، وهو الذي يُحدد مسار المبحث ومقاصده وحدوده، لذا جاء هذا التمهيد ليبين المراد بالاعتقاد.

المراد بالاعتقاد:

الاعتقاد في اللغة: من العقد على معنى الإحكام والإلزام والتوكيد والتوثيق والربط بشدة، بخلاف الحل.

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥): «العين والقاف والدال: أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه يرجع فروع الباب كله»[(١)]، يقال: اعتقد الشيء: اشتد وصلب، واعتقد الإخاء بينهما: صدق وثبت، واعتقد الأمر: عقد عليه قلبه وضميره تصديقاً به والتزاماً له فلا ينزع عنه[(٢)].

العقيدة في الاصطلاح:

«هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره»[(٣)].

والعقيدة بذلك تشتمل على عدة موضوعات، منها : التوحيد، والإيمان، والإسلام، والغيبيات ،والنبوات، والقدر، وسائر أصول الدين والاعتقاد، والرد على أهل الأهواء والملل والنحِل، وعلى هذا فآيات الاعتقاد هي الآيات التي يُستدل بها على أصول الإيمان، ويرد بها على المخالفين.

ومقصود هذا الفصل: الآيات القرآنية التي جاء الاحتراس لخدمة العقيدة أو الرد على مخالفيها.

❀❀❀

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (عَقَدَ).

(٢) المعجم الوسيط، مادة (عَقَدَ).

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، تأليف محمد خليل هراس، نشر دار الثقافة، بمكة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ (ص:١٥).

المطلب الأول

الاحتراس في الأسماء والصفات

توطئة:

الاحتراس فن جميل، يسري في أنماط الكلام سريان النسيم، يكشف عن خبيئات المعاني، ودقائق الأسرار، يحوي عدداً من الدلائل، شأنه شأن أساليب اللغة، وهذا ما تكشف الدراسة عنه إن شاء الله تعالى.

وهذا المبحث مقصور على ما ورد في الأسماء والصفات، وما يدخل فيها من آي كإثبات التوحيد على لسان أحد الأنبياء في قوله تعالى حكاية عن أبناء يعقوب: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وما شابهها من آيات، كذلك إثبات الصفات لله تعالى.

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

هذه الآية الكريمة تناظرها في القرآن الكريم آية أخرى لها نفس الملامح السمات، آثرت ذكرها هاهنا لاشتراكهما في موقع الاحتراس، وهي قول الله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض سياق تعداد النعم على بني إسرائيل، وكان الحديث قد بدأ من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠]، والقائلون هم السبعون المختارون، وجاء هذا القول منهم بعد العفو عن عبادتهم العجل.

اتفق غير واحد من المفسرين على أن المراد بـ﴿جَهْرَةً ﴾ أي :عياناً، قال الإمام الطبري (ت: ٣١٠هـ) في تفسيره لهذه الآية:«واذكروا إذ قلتم يا موسى لن نصدقك، ولن نقر بما جئتنا به حتى نرى الله جهرة عياناً، برفع الساتر بيننا وبينه، وكشف الغطاء دوننا ودونه»(١).

وقال ابن عادل (ت: ٨٨٠): «الجهر ضد السر، وهو الكشف والظهور»(٢).

وقال أبو السعود (ت:٩٨٢): ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ أي حتى نراه عياناً (٣).

*** الاحتراس وموقف العلماء منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿جَهْرَةً ﴾، ومعنى ذلك لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة رؤية بصرية بأعيننا.

اتفق غير واحد من المفسرين على هذا المعنى، وإن لم يذكروا مصطلح الاحتراس في عباراتهم، وقد سبقت الإشارة إلى قول الإمام الطبري (ت: ٣١٠)، وفي قوله ما يدل على مقصود الاحتراس، القرطبي (ت: ٦٧١هـ) فألمح إلى مدلول الاحتراس، وأشار إلى الغرض الذي من أجله ذكر الباري سبحانه وتعالى ﴿جَهْرَةً ﴾. وأوضح دلالة وقفت عليها في الاحتراس ما ذكره نظام الدين النيسابوري (ت: ٧٢٨) فقال: «﴿جَهْرَةً﴾ إنما أكّدوا بهذا ؛ لئلا يتوهم أن المراد بالرؤية العلم أو التخيل على ما يراه النائم»(٤).

---

(١) جامع البيان (١:٣٢٨) بتصرف يسير.

(٢) اللباب (٢: ٨٥).

(٣) إرشاد العقل السليم (١: ٥٧).

(٤) غرائب القرآن (١: ٢٩١).

ويتابع أبو حيان (ت: ٧٤٥) في تفسيره حيث قال: «الرؤية هنا هي البصرية وانتصاب جهرة على أنه مصدر مؤكد مزيل لاحتمال الرؤية أن تكون مناماً أو علماً بالقلب»(١).

ولم ينقل عن أحد من المفسرين - فيما ظهر لي - قول بأن المراد بجهرة الرؤية القلبية، بل اتفقوا على أن المقصود الرؤية بالعين (الباصرة) عياناً.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض الحديث عن بني إسرائيل ودعواهم، فبين الله سبحانه وتعالى أن يعقوب عليه السلام في اللحظات التي كان فيها حياً وبكامل وعيه، أوصى بنيه بوصية سلمت من القوادح، حين قال بنيه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ فالعبادة ثمرة الإيمان الكامل، وقد نطق بنوة بالإقرار الواضح بالالتزام بعقيدة التوحيد، بعبادة إله واحد هو إله آبائه من قبل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾: ليُزيل ما يقع في بعض الأفهام من أنهم سيعبدون إلهين اثنين، إله يعقوب، ثم إله إبراهيم وإسحاق.

---

(١) البحر المحيط (١: ٣٠٨).

لم أر في أقوال المفسرين من صَرَّحَ بمصطلح الاحتراس، إلا أن في عباراتهم ما ينطق بمدلول الاحتراس ومقصوده، ومنهم البيضاوي (ت: ٦٨٥) في تفسيره للآية، حيث قال: «وما فائدة التصريح بالتوحيد لدفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف»[١].

وتابعه فيما ذهب إليه غير واحد من المفسرين[٢]، فقال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦): «وفائدة البدل والحال التنصيص على أن معبودهم فرد؛ إذ إضافة الشيء إلى كثير توهم تعدد المضاف، فنص بها على نفي ذلك الإبهام»[٣].

ويصوغ ذلك أبو حيان (ت: ٧٥٤) بقوله: «وفائدة هذه الحال، أو البدل، هو التنصيص على أن معبودهم واحد فرد، إذ قد توهم إضافة الشيء إلى كثيرين تعداد ذلك المضاف، فنهض بهذه الحال أو البدل على نفي ذلك الإيهام»[٤].

كما يتفق أبو السعود (ت: ٩٨٢) مع سابقوه فيما ذهبا إليه فقال: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ بدل من إله آبائك كقوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦][٥].

ويقَرِّرُ ذلك الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ) بقوله: «وفائدة الإبدال بأنها تدفع توهم التعدد الناشئ من ذكر الإله مرتين...»[٦].

ويتضح من العرض السابق فهم غير واحد من المفسرين لمعنى الاحتراس، فلو لم

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١: ٤٠٨).

(٢) ينظر على سبيل المثال: الفتوحات الإلهية (١: ٨٠)، ومدارك التنزيل (١: ٧٢)، والبحر المحيط (١: ٥٧٧)، وروح المعاني (١: ٣٨٩)، وفتح القدير (١: ٢٧٨).

(٣) الدر المصون (١: ٢٢٩).

(٤) البحر المحيط (١: ٥٧٧).

(٥) إرشاد العقل السليم (١: ١٣٦).

(٦) حاشية الشهاب الخفاجي (٢: ٢٥٩).

يذكر ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ لتوهم التعدد في الإله، ولفهم غير المراد، وبذلك يتأكَّد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض الرد على كفار قريش، عندما طلبوا من النبي ﷺ أن ينسب لهم ربه[(١)]، فقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ فلا يتوهم أن هناك في الوجود غيره فيعبد، ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه، وصفته أنه ﴿ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

*** الاحتراس وموقف العلماء منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: أن المستحق للعبودية هو الله جل جلاله، ودفع ما قد يتوهم بوجود إله آخر.

وذلك المعنى محل اتفاق عند غير واحد من المفسرين، فقد ذهب أبو السعود (ت: ٩٨٢) في تفسيره إلى ذلك، فقال: «﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مقرِّرَ للوحدانية، ومزيح لما عسى أن يتوهم أن في الوجود إلهاً لكن لا يستحق العبادة»[(٢)].

ويتابعه الجمل في حاشيته (ت: ١٢٠٤) فيقول: «﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلهاً، ولكن لا يستحق منهم العبادة»[(٣)].

---

(١) ذكر العلماء في سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا وانسب ربك، فنزلت سورة الإخلاص، والحديث أخرجه الإمام أحمد، رقم (٢١٢١٩)، والترمذي، أبواب التفسير، باب ومن سورة الإخلاص (٥: ٣٨٠)، رقم (٣٣٦٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (١: ٢٢٥).

(٣) الفتوحات الألوهية (١: ١٩٢) بتصرف.

ويزيد القاسمي (ت: ١٣٢٢) على هذا المعنى بقوله: «لما بين بقوله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ وأنه المقصود بالعبادة والمستحق لها، وكان يجوز أن يتوهم أنه يوجد إله غيره، ولكن لا يُعبد ولا يستحق العبادة، أكَّده بقوله: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وحق هذا المعنى أن يكون مؤكداً عليه الألفاظ، إذ هو مبدأ مقصود العبادة ومنتهاها»(١).

ومما سبق يتبين اتفاق ثلة من المفسرين على معنى الاحتراس، بإثبات عقيدة التوحيد، ونفي كل إله يُعبد سوى الله جل في علاه.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

*** الدراسة والتحليل:**

آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم، واشتملت على اسم الله الأعظم، كما جمعت بين الثناء والتنزيه للبارئ جل في علاه، وفيها نفي الباري عن ذاته العلية السِنَةَ والنومَ تحقيقاً لكمال العلم، وأثبت لنفسه ملك السماوات والأرض تحقيقاً لإثبات الملك المطلق ومن فيهن، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه، ووسع علمه وإطلاعه ما بين أيديهم وما خلفهم.

*** الاحتراس وموقف العلماء منه:**

جاء في هذه الآية الكريمة أكثر من احتراس أورد هذه المواضع تباعاً.

أولاً: جاء الاحتراس في جملة: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ لما أثبت الله عز وجل لذاته

---

(١) محاسن التأويل (١: ٤٢١).

القيام الدائم، نفى أن يعتريه سنة أو نوم؛ لأنها من لوازم الحياة، فنفى ابتداءً أن تكون حياته سبحانه وتعالى مشابهة لحياة البشر، التي يتخللها السنة والنوم.

ويرى الزمخشري (ت: ٥٣٨) أن هذه الجملة تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك -أي السنة والنوم- استحال أن يكون قيوماً[(١)].

وقد تابع الزمخشري (ت: ٥٣٨) فيما ذهب إليه غير واحد من المفسرين[(٢)].

كما ذكر غير واحد من المفسرين الاحتراس الوارد في الآية الكريمة بأحد مرادفاته، فقال ابن عادل (ت: ٨٨٠) «إن هذه الآية من قبيل التكميل»[(٣)]، وقريبٌ منه ما ذهب إليه أبو السعود (ت: ٩٨٢) فقال: «الآية الكريمة من قبيل التكميل، والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حياً قيوماً؛ فإن من يعتريه أحدهما يكون موقوف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير»[(٤)].

وإن فحوى كلام أبي السعود (ت: ٩٨٢) ليدل على مقصد الاحتراس، وإن عبر عنه بأحد نظائره فجملة: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ جاءت لدفع توهم قد ينشأ من أن الحياة والقيام قد يعتريهما بعض النقص، فنفى سبحانه عن ذاته العلية ذلك بهذا الاحتراس.

وقد وصف آخرون الاحتراس في الآية بمصطلح التتميم، فقال ابن التمجيد (ت:٨٨٠): «إن نفي السنة بعد نفي النوم يكون من باب التتميم وفقاً لما عسى يتردد في أن نفي النوم لا يستلزم نفس السنة»[(٥)].

---

(١) الكشاف (١: ٢٩٥).

(٢) ينظر الدر المصون (١: ٦١٣)، والبحر المحيط (٢: ٤٤٤)، والسراج المنير (١:٢٦٥)، وروح المعاني (٢: ٩)، وإرشاد العقل السليم (١: ٢٩٦)، وأنوار التنزيل (١: ٥٥٢).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٤: ٣١٧).

(٤) إرشاد العقل السليم (١: ٢٩٦).

(٥) حاشية ابن التمجيد (٥: ٥٨٤).

ويتابع الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ) سابقوه في تسميته بالتتميم، فيقول: «وقيل :إنه على طريق التتميم، وهو أبلغ لما فيه من التأكيد، إذ نفي السنة يقتضي نفي النوم ضمناً»(١).

ويؤيد الألوسي (ت: ١٢٧٠) ما ذهب إليه سابقوه، حيث قال: «وقيل :إنه على طريق التتميم، وهو أبلغ لما فيه من التأكيد»(٢).

ويخالف القونوي (ت: ١١٩٥) ويصَرَّحَ بوقوع الاحتراس في الآية الكريمة حيث يقول: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ الجملة نفي للتشبيه، أي: نفي له بطريق الزوم؛ لأنه لمّا لم يعرض له السنة والنوم مع أنهما يعرضان لسائر الأحياء لزم منه نفي التشبيه للأحياء في عروض السنة والنوم، فالجملة تشبه الاحتراس؛ لأن قوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ يتوهم منه عروضهما مثل سائر الأحياء، فدفع ذلك بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (٣).

ويعضد هذا الرأي ما أورده الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) فقال: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ لرفع احتمال المبالغة فيها، فالجملة منزلة منزلة البيان لمعنى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ولذلك فصلت عن التي قبلها»(٤).

ومن العرض السابق يتبين تعدد استعمال المفسرين للمصطلح ما بين الاحتراس والتكميل والتتميم، مع اتفاقهم على أن الجملة جاءت لتأكيد الحياة والقيومية الدائمة لله عز وجل دواماً بلا انقطاع، وذلك بالتنصيص على الحياة.

الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي (٢: ٥٧٩).

(٢) روح المعاني (٢: ١٠).

(٣) حاشية القونوي (٥: ٣٨٤).

(٤) التحرير والتنوير (٣: ١٩).

* الدراسة والتحليل:

جاء هذا الجزء من آية الكرسي؛ لنفي حصول الشفاعة في الآخرة[١]، و- في ذلك الموقف العظيم- إلا بعد إذن الباري جل في علاه، وفي ذلك إبطال لمعتقد المشركين الفاسد من أن ما عُبد من دون الله في الدنيا يشفع ويقرب في الآخرة.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

انتظم الاحتراس في أسلوب (الاستثناء) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، فيكون معنى الآية: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلو لم يكن الاحتراس لتوهم نفي الشفاعة مطلقاً، وهي شفاعة الأنبياء والمؤمنين والصالحين، فلما جاء الاحتراس امتنع نفي الشفاعة مطلقاً، وثبتت الشفاعة فيمن أذن الله له أن يشفع، بشروط الشفاعة[٢]، وانتفت شفاعة من أشرك بالله، ممن عبد الأصنام، وقال: إنها ستشفع له عند الله.

و لم أقف على من صَرَّحَ بذكر الاحتراس أو مقصده، لكن وجد في عبارات المفسرين ما يلمح إلى ذلك، وغلب على ظني أن فيها احتراساً.

فقد أشار الطبري (ت: ٣١٠)، لمقصد الاحتراس في الآية الكريمة، وإن لم يُصَرِّحَ به، فقال: «﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ يعني بذلك من ذا الذي يشفع لمالكيه إن أراد عقوبتهم، وإنما قال ذلك -تعالى ذكره-؛ لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله، فقال الله لهم: لا تعبدوا الأوثان التي تزعمون

(١) كان المشركون يزعمون أن الأصنام تشفع لهم عند الله، وكانوا يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وفي هذه الآية إبطال لمزاعمهم، وأنه لا يشفع أحد إلا بإذن الله تعالى.

(٢) ذكر العلماء شروطاً للشفاعة، وهي: الأذن في الشفاعة، والرضا عن الشافع، والرضا عن المشفوع، للاستزاده ينظر: العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٤- ١٨٠).

أنها تقربكم منى زلفى، فإنها لا تنفعكم عندي، ولا تُغني عنكم شيئاً، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي»[١].

وأشار الطبري إلى معنى الاحتراس فقال: فكأن المشركين بالله تعالى يظنون أن معبوداتهم تقربهم، فنفى الله ذلك بأسلوب الاستثناء ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

وهذا المعنى الذي ذكره الطبري (ت: ٣١٠) يكاد يتفق عليه جميع المفسرين، ولم أقف على مخالف لهذا المعنى، ويوجز الواحدي (ت: ٤٦٨) ما ذهب إليه الطبري (ت: ٣١٠)، بعبارات يسيرة بقوله: «لا يشفع عنده أحد إلا بأمره؛ إبطالاً لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم»[٢]، فعبارة الواحدي: (إبطالاً لزعم الكفار) فيها دلالة قوية على معنى الاحتراس، فلو لم يذكر الاحتراس، وهو بالاستثناء في قوله ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ لتوهم نفي الشفاعة مطلقاً.

وكذلك يرى أبو حيان (ت: ٧٤٥)، فيقول: «هذه الآية أعظم دليل على ملكوت الله، وعظم كبريائه، بحيث لا يمكن أن يقدم أحد على الشفاعة إلا بإذن منه تعالى»[٣].

ويؤيد الشوكاني (ت: ١٢٥٠) هذا المعنى، فيقول: «في هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر على أن ينفع أحداً منهم بشفاعة أو غيرها، والتقريع والتوبيخ له ما لا مزيد عليه»[٤].

---

(١) جامع البيان (٣: ١٠).

(٢) الوجيز (١: ١٨٣).

(٣) البحر المحيط (٢: ٤٤٦).

(٤) فتح القدير (١: ٤٦٥).

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى معنى الاحتراس، وإن لم يُصَرَّح به، وفي عباراتهم ما يدل عليه، ولا تخرج عن المعاني السابقة، وأكتفي بالإحالة عليها(١).

كما أعرض آخرون(٢) عن ذكر المقصد من الاحتراس ومعناه، إلا ما كان من إشارات نحوية، لم ألمح بها ما يخدم الاحتراس أو مقصده؛ لخوضهم غمار مسائل أخرى، أضرب عنها صفحاً.

وربما نظر بعض العلماء إلى هذه الآية بمنظور آخر، لكنه غير بعيد عن الاحتراس، ويرون أن في هذه الآية دلالة على انفراد الله تعالى بالملك، ولا يتصرف أحد في ملكه إلا بما يشاء، وفي هذا المعنى يقول أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥)(٣): ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر، وأن من يملك الشفاعة فإنما يملك بتشريفه إياه، والأذن فيه، وهذا نفي للشركة عنه في الملك والأمر»(٤).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (٢: ٢٣١)، وتفسير السمعاني (١: ٢٥٨)، ومعالم التنزيل (١: ٢٣٩)، وزاد المسير (١: ٢٢٩)، والتسهيل (١: ٨٩)، وحاشية ابن التمجيد (٥: ٣٨٥)، وحاشية محيي الدين زاده (٢: ١٢٦)، وحاشية الشهاب الخفاجي (٢: ٥٧٩)، وحاشية القونوي (٥: ٣٨٦)، والفتوحات الإلهية (١: ٣١٣)، وفتح البيان (١: ٣٦٩)، وتيسير الكريم الرحمن، (ص: ١١٠).

(٢) ينظر: بحر العلوم (١: ١٩٣)، وتفسير ابن زمنين (١: ٢٥١)، وحقائق التفسير (١: ٧٦)، والمحرر الوجيز (١: ٣٣٩)، ومفاتيح الغيب (٧: ٩)، وتفسير العز بن عبد السلام (١: ٢٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (٤: ٢٧١)، وأنوار التنزيل (١: ٥٥٤)، ومدارك التنزيل (١: ١٢٤)، والجواهر الحسان (٢: ٢٣١)، والدر المصون (١: ٦١٤)، وإرشاد العقل السليم (١: ٢٩٦)، وروح البيان (١: ٤٠٧)، والتحرير والتنوير (٣: ٣٠)، وصفوة الآثار والمفاهيم (٣: ٤٥٦).

(٣) هو محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، برع في علوم كثيرة، وله تصانيف منتشرة في فنون متعددة، قال عنه ابن كثير: كان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه: من مصنفاته: إحياء علوم الدين، وغيره، توفي سنة (٥٠٥). ينظر: البداية والنهاية (١٦: ٢١٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (٦: ١٩١).

(٤) جواهر القرآن، لأبي حامد الغزالي، تحقيق محمد رشيد القباني، نشر دار إحياء العلوم، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، (ص: ٧٤).

وقريب منه ما ذكره ابن التمجيد (ت: ٨٨٠): «وهذه الجملة الإنشائية اعتراض لبيان الكبرياء، واقع بين الجمل المقَرَّرَة للقيومية،لا أحد يُساوي الله تعالى، أو يدانيه، بحيث يستقل بأن يدفعه ويعاوقه عناداً ومناصبة أي عداوة»[١].

وتابعه فيما ذهب إليه غير واحد من المفسرين[٢]، فقال الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧): «﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ له الكبرياء شأنه، وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة وتواضعاً، فضلاً أن يدفعه عناداً ومخاصمة»[٣].

ويؤيد الألوسي (ت: ١٢٧٠) من سبقه، فيقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ استفهام إنكاري، والمقصود منه بيان كبرياء شأنه تعالى، وأنه لا أحد يُساويه أو يدانيه، بحيث يستقل أن يدفع ما يريده دفعاً على وجه الشفاعة والخضوع، فضلاً عن أن يستقل بدفعه عناداً أو مناصبة وعداوة، وفي ذلك تيئيس للكفار حيث زعموا أن آلهتهم شفعاء لهم عند الله»[٤].

ويتبين من العرض السابق لأقوال المفسرين بوجهات نظرهم المختلفة وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وإن لم يُصَرِّحَ به أحد منهم، لكن سياق الآية يدل عليه، ومعانيها تنادي إليه.

الآية السادسة:

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

---

(١) حاشية ابن التمجيد (٥: ٣٨٦).

(٢) ينظر على سبيل المثال حاشية محيي الدين زاده (٢: ١٢٦)، وحاشية الشهاب الخفاجي (٢: ٥٧٩)، وحاشية القونوي (٥: ٣٨٦)، والفتوحات الإلهية (١: ٣١٣)، والبحر المديد (١: ٢٥٢).

(٣) السراج المنير (١: ٢٦٥).

(٤) روح المعاني (٢: ١٠).

* الدراسة والتحليل:

هذه الآية خطاب للنبي محمد ﷺ أن هناك رسلاً قد قصصناهم عليك، وآخرين لم نقصصهم، لا يعلم خبرهم إلا الله، وختم الآية بتأكيد تكليم الله تعالى لموسى تكليماً حقيقياً ينتفي فيه المجاز.

* موقع الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ فلو اقتصر-جل شأنه على قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ لتوهم أن المراد بالكلام بعض أنواع الوحي، كالإلهام أو بالواسطة عن طريق جبريل عليه السلام، فأكَّد بقوله: ﴿ تَكْلِيمًا ﴾، فزال بذلك التوهم الذي ينشأ قبل تمام الآية.

ويكاد يتفق ثلة من المفسرين على أن المراد بـ ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ مصدر مؤكد لدفع توهم المجاز، وفي ذلك يقول الفراء (ت:٢٠٧هـ): «إن العرب تسمي ما وصل الإنسان كلاماً بأي طريق ما لم يؤكد بالمصدر، فإذا أكَّد به لم يكن إلا حقيقة الكلام»[(١)] فالفراء يرى بقوله: ﴿تَكْلِيمًا ﴾ مزيلاً لإبهام، ومانعاً دخول الأنواع الأخرى من الكلام، وعبارة الفراء تلك نقلها عنه غير واحد من المفسرين[(٢)]، كما صدّر المفسرون عباراتهم بقولهم: رفع احتمال،و دفع توهم، وغيرها من العبارات التي تنطق بمدلول الاحتراس، ومن ذلك ما ذكره ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢) حيث قال:«أكَّد تعالى الفعل بالمصدر، وذلك منبيء في الأغلب عن تحقيق الفعل و وقوعه ، وأنه خارج عن وجوه المجاز والاستعارة»[(٣)].

(١) معاني القرآن (١: ٢٦٠) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: بحر العلوم (١: ٣٨٢)، وتفسير السمعاني (١: ٥٠٣)، ومعالم التنزيل (١: ٥٠٠)، والجامع لأحكام القرآن (٧: ٢٢٥).

(٣) المحرر الوجيز (٤: ٣١١).

والمعنى نفسه يذكره السمعاني (ت: ٤٨٩)، بقوله: (﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ «مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلاماً في شجرة، فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به متكلماً»[(١)].

ويرى أبو حيان (ت: ٧٥٤) أنه «أكَّد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه، وهذا هو الغالب، وقد جاء التأكيد بالمصدر في المجاز»[(٢)].

وكذلك قال أبو السعود (ت: ٩٨٢): «مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز»[(٣)] وبعبارة أخرى يذكر الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩): «أنه مصدر يدل على أنه عليه السلام سمع كلام الله على حقيقته»[(٤)] وقال الصاوي (ت: ١٢٤١) في حاشيته:«إنما أكَّد رفعاً لاحتمال المجاز؛ لأن الله كلم موسى بكلامه الأزلي القديم»[(٥)].

وهذا الرأي يراه الشوكاني (ت: ١٢٥٠) كذلك إذ يقول:«﴿ تَكۡلِيمٗا ﴾ مصدر مؤكد، وفائدته رفع توهم كون التكلم مجازاً»[(٦)].

ومن العرض السابق يتبين اتفاق المفسرين على كون المصدر ﴿تَكۡلِيمٗا ﴾ دافعاً للتوهم، وهي عبارة غير واحد من المفسرين، وفيها تأكيد على معنى الاحتراس، وإن لم يُذكر.

وأخيراً: فإن هذه الآية من الآيات التي استدل بها أهل السنة والجماعة، على إثبات صفة الكلام لله عز وجل، وهي من الصفات التي نفاها المعتزلة.ومع أن هذه الآية من

(١) تفسير السمعاني (١: ٥٠٣).

(٢) البحر المحيط (٣: ٣٦٢).

(٣) إرشاد العقل السليم (٢: ٢٢٢).

(٤) حاشية الشهاب الخفاجي (٣: ٣٩٧).

(٥) حاشية الصاوي (١: ٨٢).

(٦) فتح القدير (١: ٨٤٨).

الآيات التي يتأولها المعتزلة، إلا أن الزمخشري (ت: ٥٣٨)، لم يطل الوقوف عندها بالنفي، إنما أكتفي بقوله:«ومن بدع التفاسير أنه من الكَلْمِ، أن معناه :وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن» [١]، وصدق الزمخشري وأنصف بإنها من بدع التفاسير.

الآية السابعة:

قال تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة براءةً لعيسى بن مريم – عليه السلام – من افتراءات قومه، ومما نسبوه إليه من أنه ابن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ولم تأت هذه الآية على سبيل طلب الشفاعة لقومه، بل لتفويض الأمر لله –عز وجل- :إن تغفر لهم أو تعذبهم فإنك العزيز الذي لا يغلب.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ دالاً على المغفرة صادرة عن تمام العزة، وكمال القدرة مع إمكان وقوع العقوبة.

وقد صَرَّحَ بالاحتراس غير واحد من المفسرين، وذكروه في مصنفاتهم، كما أورده بعض من صنف في علوم القرآن كالزركشي (ت: ٧٩٤)، حيث قال في حديث طويل عن الفاصلة القرآنية: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ :«يوهم أن وجه الحكمة في بعض أفعاله، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكأن بالوصف بالحكيم احتراس حسن،أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض في ذلك، والحكمة فيما فعلته» [٢].

---

(١) الكشاف (١ : ٥٧٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١ : ٨٩) بتصرف.

وكذلك قال السيوطي (ت: ٩١١): «الوصف بالحكيم احتراس حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته»[(١)].

كما يتابع الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩) من سَبَقَهُ بقوله: «إنه احتراس؛ لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز ينافي القدرة، أو لإهمال ينافي الحكمة، فبيّن أن ثوابه وعقابه مع القدرة التامة والحكمة البالغة»[(٢)].

ويقَرِّرَ الألوسي (ت: ١٢٧٠) وجود الاحتراس، فيقول: «إن ذكرهما من باب الاحتراس؛ لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز في القدرة أو لإهمال ينافي الحكمة، فدفع توهم ذلك بذكرهما»[(٣)].

وينقل القاسمي (ت: ١٣٢٢) عبارات سابقيه ،فيقول: «... إنه احتراس؛ لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز ينافي القدرة، أو لإهمال ينافي الحكمة»[(٤)].

ويعرض السمعاني (ت: ٤٨٩) للاحتراس من منظور آخر، فيقول: «قال أهل النحو: ليس هذا على وجه طلب المغفرة، وإنما هذا على تسليم الأمر، وتفويضه إلى مراده، ألا تراه يقول: ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ولو كان على وجه طلب المغفرة لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم»[(٥)].

ويشير الإمام القرطبي (ت: ٦٧١) لمعنى الاحتراس، فيقول: «لم يقل: فإنك أنت الغفور الرحيم ،على ما تقتضيه القضية من التسليم لأمره، والتفويض لحكمة ولو قال:

---

(١) الإتقان (ص: ٦٨٤).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي (٣: ٥٨٨).

(٣) روح المعاني (٤: ٦٩).

(٤) محاسن التأويل (٣: ٢٦٣).

(٥) تفسير السمعاني (٢: ٨٣).

(فإنك أنت الغفور الرحيم) لأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه، وذلك مستحيل فالتقدير :إن تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فإنهم عبادك»[١].

ومن العرض السابق يتبيّن تحقق وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد عرضت لجملة من أقوال المفسرين الذين صَرَّحَوا بوجود الاحتراس.

والجدير بالذكر أنه نُقل هذه الآية الكريمة عن بعض المفسرين[٢] أن فيها تقديماً وتأخيراً، فيكون نظم الآية (إن تعذبهم فإنك عزيز حكيم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك).

والصحيح أن الآية: ليس فيها تقديم وتأخير، بل تبقى على ترتيبها عملاً بالقاعدة **(القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير)**[٣].

وقد أفاض غير واحد من المفسرين[٤] في بيان وجه الفاصلة القرآنية، ووجه مناسبتها للمقام بين موجز ومطنب، ومن ذلك ما ذكره الفخر الرازي (ت: ٦٠٦) إذ قال: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ «هاهنا أولى من الغفور الرحيم؛ لأن كونه غفوراً رحيماً يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة لكل محتاج، وأما العزة والحكمة فهما لا يوجبان المغفرة؛ فإن كونه عزيزاً يقتضي أنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يُريد»[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦: ٣٧٨).

(٢) ينظر على سبيل المثال: تفسير السمعاني (٢: ٨٣)، واللباب (٧: ٦٢٦).

(٣) وصورة القاعدة: (إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى، وكان خلافهم دائراً بين مُدَّعٍ للتقديم والتأخير في الآية، ومُبقٍ لها على ترتيبها، فأولى القولين بالصواب قول من قال: بالترتيب؛ لأنه الأصل في الكلام، ولا ينتقل عن الأصل إلا بدليل واضح، وقرينة بينة، ولا سيما إذا استقام المعنى دونه، فإذا احتمل الأمر، وعدم الدليل والقرينة، فالقول الحق أن يبقى الكلام على ترتيبه). ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢: ٤٥١).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٥٠).

(٥) مفاتيح الغيب (١٢: ١١٣).

ويعرض ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١) فيقول: «ما مناسبة قوله: ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

الجواب من أوجه:

الأول: يظهر لي أنه لما قصد التسليم والتعظيم فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له، والعزيز الذي يفعل ما يريد ولا يغلبه غيره، ولا يمنع عليه شيء أراده.

الثاني: لم يقل :(الغفور الرحيم)؛ لئلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة» (١).

الآية الثامنة:

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١] .

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة للرد على من نسب لله – سبحانه وتعالى– الولد، فأبطلت تلك الدعوى المتهافتة بأن الله جل جلاله قد أبدع السماوات والأرض، وأبدع خلقهن، وفي ذلك إنكار واستبعاد أن يكون خالق كل شيء محتاجاً إلى أن يكون له ولد، وعبر بـ(يكون) لدلالة على النفي في جميع الأزمان، ولما نفى السبب نفى المسبب ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ ،وخلق كل شيء ،ثم ختم الآية الكريمة بالتتميم لمعاني الكمال وصفاته: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في هذه الآية الكريمة احتراسان متتاليان:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لدفع توهم أن خلق ما سوى السماوات والأرض ليس لله لكونهما ذكرا ابتداءً: فذكر الاحتراس لدفع التوهم، وأن الكون كله لله.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١: ١٩٥) بتصرف.

الثاني: جاء في الفاصلة القرآنية: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾، حيث جاءت الفاصلة لرفع ما قد يتوهم من أن كثرة المخلوقات قد يترتب عليها عدم تعلق علم الله بها.

ويشير ابن عطية (ت: ٥٤٨) ضمناً إلى مدلول الاحتراس، فيقول: « ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ لفظ عام لكل ما يجوز يدخل تحته، ولا يجوز أن يدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه»[١] والمعنى نفسه ينقله أبو حيان (ت: ٧٥٤) في تفسيره فيقول: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ «هذا عموم معناه الخصوص، أي: وخلق العالم، فلا تدخل فيه صفاته ولا ذاته، كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ولا تسع إبليس ولا من مات كافراً»[٢].

ويتابع القونوي (ت: ١١٩٥) سابقيه فيقول: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾... فلا يتوهم كونه تعالى فيهما» [٣].

ويصَرَّحَ الجمل (ت: ١٢٠٤) في حاشيته بذكر الاحتراس بإيراد أحد نظائره، فيقول: «احتراز به عن ذاته» [٤].

ويرى الصاوي (ت: ١٢٤١)، أنه من قبيل دفع التوهم حيث يقول: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ «دَفَعَ بذلك ما يقال أن من جملة الشيء ذاته وصفاته» [٥].

أما الشوكاني (ت: ١٢٥٠)، فيرى أنها من قبيل التوكيد، فيقول:«﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ «لتقرير ما قبلها؛ لأن من كان خالقاً لكل شيء استحال أن يتخذ بعض مخلوقاته ولداً»[٦].

---

(١) المحرر الوجيز (٦: ١٢١).

(٢) البحر المحيط (٤: ٢٥١).

(٣) حاشية القونوي (٨: ٢٢٠).

(٤) حاشية الجمل (٢: ٤١١).

(٥) حاشية الصاوي (٢: ٢١٠).

(٦) فتح القدير (٢: ٢٠٨).

ومن العرض السابق يتبين إطباق ثلة من المفسرين على معنى الاحتراس بعباراتهم المتفاوتة، وآخرون غيرهم لم يسعهم المقام، فأكتفي بالإحالة إليهم[١].

الاحتراس الثاني: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

لما ذكر الله عز وجل أنه خلق كل شيء قد يتوهم أن من كثرة المخلوقات قد يترتب عليها عدم تعلق علم الله بها، فنفى الاحتراس هذا التوهم بأنه ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

ولم أقف – بعد بحث طويل– على من صَرَّحَ بذكر وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، على النحو الذي ذكرت إلا ما كان من صاحب كتاب التفسير البلاغي للاستفهام، حيث قال: «﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ :تذييل مؤكد لمضمون الكلام قبله، وهو في الإيجاز مثل ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، وفيه احتراس بديع؛ لرفع ما قد يتوهم من أن كثرة المخلوقات قد يترتب عليها عدم تعلق علم الله بها، ويدخل في معنى الاحتراس بوجه خاص الصفة المشبه باسم الفاعل ﴿عَلِيمٌ﴾ ؛ للدلالة على أن علمه بشؤون مخلوقاته مهما كثرت عِلْمٌ وثيقٌ لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء»[٢].

وهناك كثير من الإشارات التي أوردها غير واحد من المفسرين، توحي بمعنى الاحتراس من بعيد، ومن ذلك ما ذكره ابن التمجيد (ت: ٨٨٠)، حيث قال: ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ :ليس عين الأول، بل هو عام، يتناول الأشياء الموجودة والمعدومات المقَرَّرَة في علم الله تعالى، والأول خاص بالموجودات، فلا بد من لفظ آخر أعَمَّ من الأول؛ ليفيد

(١) ينظر: اللباب، لابن عادل (٨: ٣٤١)، وحاشية زاده (٤: ١١١)، وإرشاد العقل السليم (٢: ٤٣٢)، وروح المعاني (٤: ٢٢٨)، وفتح القدير (٢: ٢٠٨)، ومحاسن التأويل (٣: ٣٩٣).

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام، لعبد العظيم المطعني (١: ٣٣١).

ما لم يفده الأول؛ فإن مخلوقات الله تعالى أكثر من الموجودات لعدم تناهي المعلومات، وتناهي الموجودات»[١].

والذي يبدو- والله أعلم- أن قوله: ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، يتناول ما خلق وما لم يخلق، وهذا الذي يقصده ابن التمجيد، فهو يرى فاصلة الآية القرآنية احتراساً جاء في مقام التحميد والتمجيد لله العزيز. والله أعلم.

ويرى الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) أن جملة ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ «تذييل لإتمام تعليم المخاطبين بعض صفات الكمال الثابتة لله تعالى، فهي جملة معطوفة على جملة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ باعتبار ما فيها من التوصيف، لا باعتبار الرد»[٢].

و يبدو أن ابن عاشور يرى في هذه الآية معنى التتميم؛ لقصد التنزيه والكمال؛ فالآية قبلها تامة المعنى، وإنما جاءت هذه الآية لمعنى جديد.

ولم أظفر سوى بتلك الإشارات المتباعدة، ولم يذكر أحد من المفسرين -ممن وقفت على كتبهم[٣]- معنى الاحتراس، أو مقصده من قريب أو بعيد، مما قد يضعف القول بالاحتراس، لكن المتأمل لمعنى الآية يجد أن المعنى يدعو إليه، والسياق يدل عليه... والله تعالى أعلم.

---

(١) حاشية ابن التمجيد (٨: ٢٢١).

(٢) التحرير والتنوير (٧: ٤١٢).

(٣) ينظر: جامع البيان (٥: ٢٩٣)، وتفسير ابن زمنين (٢: ٨٩)، وحقائق التفسير (١: ٢١٠)، والكشف والبيان (٤: ١٧٥)، وتفسير السمعاني (٢: ١٣١)، ومعالم التنزيل (٢: ١١٩)، ومدارك التنزيل (١: ٣٣٨)، وأنوار التنزيل (٢: ٤٣٧)، والتسهيل (٢: ١٨)، والبحر المحيط (٤: ٢٥١)، والجواهر الحسان (٤: ١٧٥)، وتفسير الجلالين (١: ١٨٠)، واللباب (٨: ٣٤٣)، والسراج المنير (٢: ١٤٣)، وحاشية الشهاب (٤: ١٧٢)، والفتوحات الإلهية (٢:٤١١)، وحاشية الصاوي (٢: ٢١٠).

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣](١).

* الدراسة التحليل:

جاءت هذه الآية في معرض سياق الآية السابقة، وهو الرد على الكفار الذين نسبوا لله الولد سبحانه، فبعد أن نفى عن ذاته العلية الصاحبة والولد، بين في هذه الآية سعة علمه، وإحاطته بالمخلوقين، فلعظمته جل أن يُحيط به شيء من أبصار المخلوقين، ولكن الله يدرك الأبصار، ويحيط بها.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية: ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ لما جاءت الآية الكريمة بنفي إحاطة المخلوقات لله عز وجل قد يتبادر أن من لا تدركه الأبصار، ربما يعلم أحوال من لا يدركونه، فنفى هذا التوهم بهذا الاحتراس.

ويشير ابن عادل (ت: ٨٨٠) إلى معنى الاحتراس بقوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ في الدنيا، وهو يُرى في الآخرة، واللطيف معناه أنه يلطف عن أن تدركه الأبصار، الخبير بكل لطيف، وهو يدرك الأبصار، ولا يلطف شيء عن إدراكه»(٢).

ويُصَرِّحَ الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوجود الاحتراس في هذه الآية، فيقول: «وجملة ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ معطوفة على جملة ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فهي صفة

---

(١) هذه الآية من جملة الآيات التي استدلَّتْ بها المعتزلة على نفي رؤية الخالق عز وجل، والخلاف في ذلك قديم، ويرى أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٨: ٣٤٥) بتصرف.

أخرى أو تذييل للاحتراس، دفعاً لتوهم أن من لا تدركه الأبصار لا يعلم أحوال من لا يدركونه»[١].

ويؤكد هذا المعنى صاحب كتاب إعراب القرآن بقوله: «فإنه سبحانه لما أثبت له إدراك الأبصار، اقتضت البلاغة فن الاحتراس تفادياً لأن يظن ظآن أنه إذ لم يكن مُدْرَكاً لم يكن موجوداً، فجيء بـ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ إثباتاً لذاته العلية تبارك وتعالى»[٢].

وهناك غير واحد من المفسرين[٣] لم يذكر الاحتراس، ولم يشر إلى مدلوله، مع ما أولى الآية من بيان وإيضاح.

الآية العاشرة:

قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية لبيان المعجزة الكبرى (القرآن الكريم)، فقد تمت كلمات الله سبحانه وتعالى صدقاً فيما قال وعدلاً فيما شرع، والله يحكم لا معقب لحكمه، وأكَّد ذلك بقوله: ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ و﴿ٱلسَّمِيعُ ﴾: يسمع ما يقال، ولا يخفى عليه شيء، ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾: بعباده.

---

(١) التحرير والتنوير (٧: ٤١٦).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين الدرويش، (٢: ٤٢٥) بتصرف.

(٣) ينظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٤: ١٧٤)، واللباب (٨: ٣٤٧)، وإرشاد العقل السليم (٢: ٤٢٤)، وحاشية الصاوي (٢: ٢١١)، وفتح القدير (٢: ٢٠٨)، والفتوحات الإلهية (٢:٤١٣)، ومحاسن التأويل (٣: ٣٩٣).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ احتراس من أن يعتريها نقص أو تغيير أو تبديل، فلو لم يذكر (الاحتراس) قد يظن ظآن أن يلحق بها ما لحق بالكتب السابقة من تحريف وتغيير، فنفى الله جل في علاه ذلك ابتداءً.

وقد صَرَّحَ الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩) بوقوع الاحتراس في هذه الآية الكريمة، فقال: (﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾.. لما كان التمام يعقبه النقص غالباً كما قيل[(١)]:

إذا تــمَّ أمــرٌ بــدَا نقصــهُ تَيقــن زوالاً إذا قِيــل تَــمّ

ذكر قوله: ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ احتراساً وبياناً؛ لأن تمامها ليس كتمام غيرها»[(٢)].

ويشير الجمل (ت: ١٢٠٤) في حاشيته إلى هذا المعنى، فيقول: «﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ لما وصفها بالتمام، وهو في كلامه تعالى يقتضي عدم قبول النقص والتغيير، وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته، وبيان كماله من حيث إضافته إليه تعالى، والمعنى: لا أحد يقدر على تحريف القرآن كما فُعِلَ بالتوراة»[(٣)].

ويؤيد الألوسي (ت: ١٢٠٧) من سبقه، فيقول: «إنه سبحانه لما أخبر بتمام كلماته، وكان التمام يعقبه النقص غالباً... ذكر هذا احتراساً وبياناً؛ لأن تمامها ليس كتمام غيرها»[(٤)].

ويرى الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧): «أن الكلمات تبقى موصوفة بصفتها مصونة من التحريف والتغيير، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

---

(١) البيت لعبد الله بن المبارك. ينظر: ديوانه (١: ٢٥)، والبيت في المصون في الأدب (١: ٢٤)، ومحاضرات الأدباء (٢: ٤٠٠).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي (٤: ١٨٩).

(٣) الفتوحات الإلهية (٢: ٤٢٤) بتصرف.

(٤) روح المعاني (٤: ٢٥٦).

والمعنى نفسه ذكره غير واحد من المفسرين[(١)]، تقاربت فيه معانيهم، وربما اتفقت عباراتهم في الحديث عن صيانة القرآن وحفظه من التغيير والتبديل[(٢)].

ويتبين مما سبق اتفاق طائفة من المفسرين على وقوع الاحتراس، سواء أكان من التصريح أم التلميح.

الآية الحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣].

هذه الآية تناظرها في القرآن الكريم آية أخرى آثرت ذكرها هنا؛ لأنها ذات سمات وملامح مشتركة سواءً من حيث التركيب، أم من حيث الاحتراس، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق تعجب المشركين من أن يوحى إلى رجل منهم، وبينت هذه الآية إثبات أن لهذا العالم رباً يستحق أن يفرد بالعبادة والتوحيد، يدبر الأمر في ملكه كيف يشاء، ولا يشفع شافع إلا من بعد إذنه، وفيها دحض لمعتقد المشركين من أن أصنامهم يشفعون لهم عند الله، وتختتم الآية بتوبيخ من أعرض عن توحيد الله عز وجل بعد تلك الآيات الواضحات.

---

(١) غرائب القرآن (٣: ١٥١).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل (٢: ٤٤٦)، والبحر المحيط (٤: ٢٧١)، وإرشاد العقل السليم (٢: ٣٥)، وحاشية الصاوي (٢: ٢١٧).

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ فقد جاءت الآية بنفي الشفاعة، وقد يتوهم أن هذا النفي على إطلاقه، فجاء الاحتراس بالاستثناء دفعاً لهذا التوهم، وإثبات شفاعة من يأذن له الله تعالى.

وقد ذكر الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) الاحتراس بقوله: «وزيادة ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ احتراس لإثبات شفاعة محمد ﷺ بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] والمقصود من ذلك نفي الشفاعة لآلهتهم من حيث إنهم شركاء لله في الإلهية»(١).

وذكر غير واحد من المفسرين(٢)، أن في هذه الآية رداً على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم، مشركين كانوا أو أهل كتاب، وفي ذلك يقول الكلبي (ت: ٧٤١): ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ «أي: ما يشفع إليه أحد من بعد أن يأذن هوله في الشفاعة، وهذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم»(٣).

ولم أر من صَرَّحَ بمصطلح الاحتراس من المفسرين غير ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، لكن الاحتراس لم يغب عنهم، وإن اختلفت طريقتهم في التعبير عنه، وبغض النظر عن الألفاظ التي أوردوها في الدلالة عليه، فمعنى الاحتراس مقَرَّرَ لديهم، وبه تفهم الآية على وجهها الصحيح.

الآية الثانية عشرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

---

(١) التحرير والتنوير (١١: ٨٨).

(٢) ينظر على سبيل المثال: غرائب القرآن (٣: ٥٥٦)، وروح المعاني (٦: ٦٣)، وفتح القدير (٢: ٥٩٦).

(٣) التسهيل (٢: ٨٩).

* الدراسة والتحليل:

يقَرِّرَ الباري سبحانه وتعالى حقيقة، وهي أن الله لا يظلم الناس، ولا يفعل بخلقه ما لا يستحقون، ولا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إياه، ولا يعذبهم إلا بكفرهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم واقترافهم ما يوجب سخط الله عز وجل.

*** الاحتراس وموقف العلماء منه:**

وقع الاحتراس في الآية كاملة بالنسبة لما قبلها من أن الله سلب الهداية من بعض الناس، وهذا يدخل في حيز الظلم، فاحترس من ذلك، ودفع هذا التوهم ،وأن الله لا يظلم الناس، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

ولعل أقوى إشارة تدل على معنى الاحتراس ما ذكره الصاوي (ت: ١٢٤١) في حاشيته حيث قال في: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ :«هذه الآية سيقت لدفع توهم أن الله حيث سلبهم العقل والسمع والبصر، فتعذيبهم على عدم الهدى ظلم، فدفع ذلك بأن الظالم هو المتصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه - سبحانه وتعالى- فتقديره الشقاوة على أهلها ليس بظلم منه؛ لأنه هو المالك الحقيقي، وهو يتصرف في ملكه كيف يشاء»[1].

فالصاوي يقَرِّرَ معنى الاحتراس في عباراته، وإن لم يصَرِّحَ به، والمعنى الذي ألمح إليه الصاوي ذكره غير واحد من المفسرين[2]، فقال الواحدي (ت: ٤٦٨)[3]: «إنما نفي الظلم

(١) حاشية الصاوي (٣: ١٠١).

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية (٣: ٣٦٤)، وإرشاد العقل السليم (٣: ٢٤٤)، وروح المعاني (٦: ١٢٠)، والتحرير والتنوير (١١: ١٨).

(٣) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير، من مصنفاته: البسيط ،والوجيز ، وغيرهما، توفي سنة (٤٦٨). ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (١: ٨٩).

عن نفسه لأنه يتصرف في ملك نفسه، ومن كان كذلك لم يكن ظالماً، وإنما قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ لأن الفعل المنسوب إليهم بسبب الكسب»[1].

وقال الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧): « ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ﴾ أي: «لأنه تعالى في جميع أحواله متفضل وعادل، فيتصرف في ملكه كيف يشاء، والخلق كلهم عبيده»[2].

ويرى أبو حيان (ت: ٧٥٤): «أن ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه؛ لأنهم هم الذين تسببوا فيه باكتساب ذنوبهم»[3].

و مما سبق يتبين اتفاق غير واحد من المفسرين على ذلك، وأن الآية جاءت لدفع التوهم، وأن الله تعالى لا يظلم الناس بالعقاب، ولكن الناس يظلمون أنفسهم بالاعتداء على حدود الله وانتهاك الحرمات.

الآية الثالثة عشرة:

قوله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في سياق آيات تحدثت عن أحوال المتقين، فقال في هذه الآية ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ﴾: أمر الله نبيه ﷺ أن يخبر هذا الخبر كل من كان معترفاً بعبودية الله جل جلاله، ويدخل فيه المطيع والعاصي، والله تعالى غفور لجميع الذنوب، ورحيم بعباده، فوصف ذاته العلية بالمغفرة والرحمة، ولم يقل: وأنا المعذب الأليم، بل وصف العذاب

---

(١) التفسير الوجيز، الواحدي (١: ٤٩٩).

(٢) السراج المنير (٣: ٣٤).

(٣) البحر المحيط (٥: ٢١٠) بتصرف.

بالأليم؛ ذلك تغليب لجانب الرحمة على العذاب، وثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَّ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً،فَلَو يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهَّ من الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ من الْجَنَّةِ، وَلَو يَعْلَمُ الْمُؤْمن بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهَّ من الْعَذَابِ لَمْ يَأْمن من النَّارِ»[1].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ فقد جاءت الآية الكريمة في سياق يتحدث عن ما أعده الله للمتقين، فلو لم يأت هذا الاحتراس لكان سبباً لارتكاب الذنوب والمعاصي، فجاء الاحتراس للتنبيه أن الله سبحانه غفور رحيم، لكن عذابه العذاب أليم، وأن الله شديد العقاب، حتى لا يتكل العباد، ويذرو العمل الصالح، والله تعالى أعلى وأعلم.

وفي هذا المعنى يقول البقاعي (ت: ٨٨٥): ﴿ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾؛ أي: الذي أحاط محو الذنوب، وإكرامه لمن يريد بجميع ما يُريد، لا اعتراض لأحد عليه، ولما كان ذلك ربما لكان سبباً للاغترار الموجب للإصرار قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[2].

ويرى الألوسي (ت: ١٢٧٠) السبب في مجيء الاحتراس هو دفع التوهم، فيقول: «وفي ذكر المغفرة إشعار على ما قيل بأن ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب، إذ لو أريد ذلك لم يكن بذكرها موقع، وقيل: إن ذكرها حينئذ لدفع توهم أن غير أولئك المتقين لا يكون في الجنة بأن يدخلها، وإن لم يتب لأنه تعالى﴿ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في(٨١) كتاب الرقاق، (١٩) باب الرجاء مع الخوف حديث رقم (٦٤٦٩).

(٢) نظم الدرر (٤: ٢٢٥).

(٣) روح المعاني (٧: ٣٠٤).

وكأن الألوسي (ت: ١٢٧٠) غايَرَ في موقع الاحتراس، حيث يرى أنه وقع في ﴿أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ حتى لا يتوهم أن غير المتقي لا يدخل الجنة، وهذا أمر تحت مشيئة الباري عز وجل،وقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ منكُمْ بِعَمَلٍ»، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلا أَنَا، إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله منهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ»[1].

ويرى غير واحد من المفسرين أن الغرض الذي سيق من أجله الاحتراس إنما هو من باب التقرير والتوكيد لمعنى الآيات السابقة، فقال ابن عطية (ت: ٥٤٦) بعد أن أورد روايات في سبب نزول الآيات:«ولو لم يكن هذا السبب لكان ما قبلها يقتضيها، تقدم ذكر الجنة والنار، فأكَّد تعالى تنبيه الناس بهذه الآية»[2].

وقد سبقه إلى ذلك الزمخشري (ت: ٥٣٨) إذ قال:«لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (عبادي) تقريراً لما ذكر وتمكيناً له في النفوس»[3].

ويتابع البيضاوي (ت: ٦٨٥) من سبقه، فيقول: «وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده»[4].

ويرى أبو السعود (ت: ٩٨٢) أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد، وتقرير له»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في(٧٥) كتاب المرضي، باب (١٧) باب: تمني المريض الموت، رقم الحديث (٥٦٧٣)، ومسلم في الصحيح (٥١) كتاب التوبة،(١٨) باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله،بل برحمة الله تعالى، رقم الحديث (٢٨١٦).

(٢) المحرر الوجيز (١٠: ١٣٥).

(٣) الكشاف (٢: ٥٥٧).

(٤) أنوار التنزيل (٣: ٣٧٤).

(٥) إرشاد العقل السليم (٤: ٢٤).

كما ينقل الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩) عبارة البيضاوي بتمامها دون أن يعقب عليها[١].

ويؤكد الألوسي (ت: ١٢٧٠) ذلك الغرض بقوله: «هذا إجمال لما سبق من الوعد والوعيد وتأكيد له»[٢].

كذلك كان رأي القاسمي (ت: ١٣٢٢) في تفسيره حيث قال: «الجملة فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له»[٣].

ومما سبق يتبيّن اتفاق المفسرين على أن هذا الاحتراس جاء لتقرير وتوكيد المعنى السابق للآيات، فكما أن الله غفور رحيم فإن عذابه شديد للعاصين. وفي الآية بيان لرجحان جانب الرحمة على العذاب، وفي وصف ذاته تعالى بالرحمة على وجه القصر دون التعذيب إيذانٌ بأنها تقتضيها الذات، وأن العذاب إنما يتحقق بما يوجبه من الخارج[٤]، والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة عشرة:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١].

*** الدراسة والتحليل:**

يأمر الله تعالى في هذه الآية الناس أن لا يتخذوا إلهين اثنين؛ إنما هو إله واحد لا ثاني له، ويأخذ التعبير أسلوب التقرير والتكرير، فيتبع كلمة ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ بكلمة ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾،

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي (٥: ٥٢٤).

(٢) روح المعاني (٧: ٣٠٤).

(٣) محاسن التأويل (٤: ٤٩١).

(٤) إرشاد العقل السليم (٥: ٥٢٤).

ويتبع النهي بالقصر: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ويعقب على النهي والقصر بقصر آخر ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ دون سواي بلا شبيه أو نظير[١].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ففي زيادة ﴿وَٰحِدٌ﴾ حتى لا يتوهم أن المراد إثبات الإلهية دون الوحدانية، ومعلوم أن الخلاف مع المشركين كان في إثبات الوحدانية، وليس في إثبات الألوهية.

وقد أشار إلى مضمون هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين، وإن اختلفوا في طريقة بيان الاحتراس وإيضاحه.

وفي ذلك يقول الزمخشري (ت: ٥٣٨): «فما وجه قوله إلهين اثنين؟ قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين: الجنسية، والعدد المخصوص، فإذا أريد الدلالة على أن المعنى به منهما، والذي يساق إليه الحديث هو العدد، شُفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه، والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت: (إنما هو إله)، ولم تؤكده بـ(واحد) لم يحسن، وخيّل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية»[٢].

فالزمخشري يرى أنه لو لم يؤكد بالعدد لتوهم أن المراد إثبات الإلهية، وهو غير مراد.

ويذكر الرازي (ت: ٦٠٦): «أن الأثنينية والإلهية متضادتان، فقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ المقصود منه التنبيه على حصول المنافاة والمضاداه بين الإلهية والاثنينية. والله أعلم»[٣].

---

(١) في ظلال القرآن (٤: ٢١٧٦).

(٢) الكشاف (٢: ٥٨٦ - ٥٨٧).

(٣) التفسير الكبير (٢٠: ٣٩).

ويقَرِّرَ القرطبي (ت: ٦٧١): «أنه اقتصر على نفي التعديد إنما هو إله واحد»[١].

ويتابع البيضاوي (ت: ٦٨٥) من سَبَقَهُ،فيقول:«في قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الألوهية»[٢].

ويأتي القمي النيسابوري (ت: ٧٢٨) فيشير إلى معنى الاحتراس فيرى: «أن النهي راجع إلى التعدد لا إلى الجنسية، ولهذا لوقلت: إنما هو(إله) ،ولم تؤكده بـ(واحد)سَبق إلى الوهم أنك تثبت الإلهية، لا الوحدانية» [٣]، فالمفسر النيسابوري يرى أن ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ إنما جاءت لدفع التوهم وللتأكيد.

وقال أبو حيان (ت: ٧٤٥): «ألا ترى أنك إذا قلت: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ﴾ ولم تؤكده بـ(واحد) لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية... وأخبر تعالى أنه إله واحد كما قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ بأداة الحصر وبالتأكيد بالوحدة» [٤]،فكلام أبا حيان يلمح إلى وجود الاحتراس، فلو لم يؤكد بـ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لتوهم أن المراد إثبات الإلهية لا الوحدانية.

ويلمح أبو السعود (ت: ٩٨٢) إلى معنى الاحتراس كذلك فيقول: «إنما ذكر العدد مع أن صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على أن مساق النهي هي الاثنينية، وإنها منافية للألوهية، كما أن وصف الإله بالوحدة في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية، وأنها من لوازم الإلهية»[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢: ٣٣٦).

(٢) أنوار التنزيل (٣: ٤٠٣).

(٣) غرائب القرآن (٤: ٢٦٨).

(٤) البحر المحيط (٥: ٦٣٨).

(٥) إرشاد العقل السليم (٤: ٦٩).

ويتفق الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧) مع من سبقه، فقال: «﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ نهي عن إثبات التعدد فقط،ألا ترى أنك لو قلت: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ﴾ ولم تؤكده بـ(واحد) لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية، ثم علل تعالى ذلك النهي بما اقتضاه السياق من الوحدانية، فقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾»[١].

ويرى ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤) أن الاحتراس إنما جاء«لإثبات الوحدانية دون الإلهية، وأن الغرض المسوق له الكلام... النهي عن اتخاذ الاثنين من الإله»[٢].

ويشير الشوكاني (ت: ١٢٥٠) إلى مقصد الاحتراس في الآية بقوله: «إن فائدة زيادة (اثنين) هي أن يعلم أن النهي راجع إلى التعدد، لا إلى الجنسية، وفائدة زيادة (واحد) دفع توهم أن المراد إثبات الإلهية دون الوحدانية»[٣].

فالشوكاني بيّن مقصد الاحتراس بقوله (دفع توهم)، بينما يرى الألوسي (ت:١٢٧٠) الغرض المسوق له الكلام في الأول النهي عن اتخاذ الاثنين من الإله لا عن اتخاذ جنس الإله، وفي الثاني إثبات الواحد من الإله لا إثبات جنسه، فوصف إلهين باثنين وإله بواحد إيضاحاً لهذا الغرض وتفسيراً له»[٤].

وقد ساق غير واحد من المفسرين[٥] المغزى الذي جاء به الاحتراس، ما بين تأكيد

---

(١) السراج المنير (٣: ٣٤٢).

(٢) البحر المديد (٤: ٣١).

(٣) فتح القدير (٣: ٢٣٣).

(٤) روح المعاني (٧: ٤٠٢).

(٥) ينظر: تفسير مدارك التنزيل (٢: ٢٥٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢: ١٥٥)، وتفسير الجلالين (١: ٣٥٢)، وفتح القدير (٣: ٢٣٣)، وأضواء البيان (ص: ٤٦٧)، والنهر الماد (٣: ٤٨٩)، وحاشية الصاوي (٣: ٢٧١)، والفتوحات الإلهية (٤: ٢٣٢)، وحاشية محيي الدين زاده (٥: ٢٨٢)، وعيون التفاسير (٢: ٣١٣)، وروح البيان (٥: ٤٣)، والتحرير والتنوير (١٤: ١٧١٩).

وتقرير، أو التخصيص وغيرها، حتى لتكاد تتفق عباراتهم، وملخصها أنه من المعروف أنه لا يجمع بين العدد والمعدود إلا فيما وراء الواحد والاثنين، فيقولون: عندي رجال ثلاثة، ونساء ثلاث؛ لأن المعدود عارٍ عن الدلالة على العدد الخاص، فلو لم تشفعه بصفته لما فهمت العدد المراد ،فلا حاجة أن يُقال: رجل واحد، وامرأة واحدة، ورجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، أما في الآية فالاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية، وهو إله وإلهان، دال على شيئين على الجنسية، والعدد المخصوص، فإذا أريد الدلالة على أن المراد الذي يُساق إليه الحديث هو العدد، كان لا بد أن يشفع بما يؤكده، فإذا قيل: إله، ولم يؤكد بـ(واحد) لم يُحسن، ويخيل أن المراد تثبيت الإلهية لا الوحدانية، فكان لا بد من الاحتراس[1].

الآية الخامسة عشرة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥١- ٥٢].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في سياق محاجة موسى عليه السلام لفرعون، وكان قد سأله ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٩] ، فحاجه موسى بإثبات الربوبية لله عز وجل، وهنا يسأله عن القرون الماضية ليس طلباً للحق، بل ليصرفه عن دعوته، ويشغله بالقصص والحكايات، فيبيّن موسى أن هذا في علم الله جل جلاله في كتاب ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾، ولم يسترسل معه في الحديث عن تلك الأقوام، بل قطع عليه الحديث، وترك الحديث عنها؛ لأن علمها عند الله في كتاب.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين الدرويش (٤: ٢٥٧).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في فاصلة الآية في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ والمعنى أن علم تلك القرون عند ربي في كتاب محفوظ، فلو انتهت الآية عن قوله ﴿ فِي كِتَٰبٍ ﴾ لتوهم أن التقييد في الكتابة للتحرز من النسيان، فدفع هذا التوهم أن الله جل جلاله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾.

صَرَّحَ بوجود الاحتراس غير واحد من المفسرين، فذكر الشهاب الخفاجي (ت:١٠٦٩): أن « ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ يكون ترشيح للتمثيل، واحتراس أيضاً؛ لأن من يفعل ذلك إنما يفعله لخوف النسيان، والله تعالى منزَّهَ عنه» [(١)].

كما أيد القونوي (ت: ١١٩٥) ما ذكره سابقه بوجود الاحتراس، فقال: «قوله: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ يكون تكميلاً واحتراساً لدفع ما يتوهم أن إثباتها في اللوح لاحتياجه إليه، لاحتمال الذهاب كما في المخلوق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[(٢)].

مما تقدّم يبدو أنّ القونوي (ت: ١١٩٥) ذكر الاحتراس بمصطلحه وبنظيره وبمقصده، فالنظير هو التكميل، والمقصد هو دفع ما يتوهم، كما سمّى الألوسي (ت: ١٢٧٠) الاحتراس الوارد في الآية تكميلاً، وذكر السبب أنه دفع للتوهم، فقال: «فإن عدم الضلال والنسيان أوفق بإتقان العلم، والظاهر أن فيه الوجهين[(٣)]، دفع توهم الاحتياج؛ لأن الإثبات في الكتاب إنما يفعله لخوف النسيان، والله تعالى منزَّهَ عن

---

(١) حاشية الشهاب (٦: ٣٥٧).

(٢) حاشية القونوي (١٢: ٣٦٤).

(٣) يقصد بالوجهين ما ذكره حول المراد (في كتاب) أيكون المراد به اللوح المحفوظ، أم الدفتر كما هو معروف في اللغة، وقد سبقت هذه الإشارة إلى النص المنقول.

ذلك... إن هذه الجملة تكميل لدفع ما يتوهم من أن الإثبات في اللوح للاحتياج لاحتمال خطأ أو نسيان تعالى الله سبحانه عنه»(١).

كما نقل جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٢٢) ما ذكره الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩)، وأثبته في تفسيره، وهو مؤيد له فيما ذهب إليه(٢).

ومما سبق يتحقق وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد عرض له غير واحد من المفسرين سواء بالتصريح بالمصطلح أم نظيره، كما ألمح آخرون إلى وجود الاحتراس بذكر مقصوده، والدلالة عليه، فذكر الرازي (ت: ٦٠٦) في تفسيره لهذه الآية، ذلك فقال: «﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ يوهم احتياجه سبحانه وتعالى في ذلك العلم إلى ذلك الكتاب، وهذا إن كان غير واجب لا محالة، ولكنه لا أقل من أنه يوهمه من أول الأمر، ولا سيما للكافر... فيكون الغرض من هذا الكلام تأكيد القول بأن أسرارها معلومة لله تعالى بحيث لا يزول شيء منها عن عمله»(٣).

ويذكر القمي النيسابوري (ت: ٧٢٨) في هذه الآية مقصود الاحتراس فيقول: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾... لقائل أن يقول: «لعل أثبت في اللوح المحفوظ لاحتمال الخطأ والنسيان، فتدارك ذلك بقوله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾»(٤).

ويتابع برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥) من سبقه، فيقول: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، ولما كان ربما وقع في وهم واهم أن الكتاب لا يكون إلا خوفاً من نسيان الشيء أو الجهل بالتوصل إليه مع ذكر عينه نفى ذلك بقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾(٥).

---

(١) روح المعاني (٨: ٥١٧).

(٢) محاسن التأويل (٥: ١٠٣).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٢: ٥٩) بتصرف يسير.

(٤) غرائب القرآن (٤: ٥٥٢) بتصرف يسير.

(٥) نظم الدرر (٥: ٢٣) بتصرف يسير.

وكانت تلك إشارات واضحة الدلالة على معنى الاحتراس عند هؤلاء المفسرين، وإن لم يذكروا المصطلح بعينه، لكنهم على تيقن بالمقصد الذي جيء لأجله بفاصلة الآية القرآنية، وهي موقع الاحتراس.

ويتضح في هذه الآية الغرض الذي من أجله جيء بالاحتراس، وهو تنزيه الله عز وجل، وإثبات الكمال لعظمته، كما أن الضلال في الآية ليس هو النسيان، وقد خاض المفسرون واللغويون في التفريق بين المصطلحين، عملاً بقاعدة (التأسيس أولى من التأكيد)(١).

الآية السادسة عشرة:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

*** الدراسة والتحليل:**

هذه الآية لافتة زاجرة، تذكر الناس بنعم الله عز وجل، وتبين للناظر والمتأمل آيات قدرته في الكون في البر والبحر وفي السماء، وإنه جل جلاله بقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض ورحمة بعباده.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ ،فلما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه سخر لعباده ما في الأرض بيّن كذلك أن الفلك التي تسير في البحر مُسخرة بأمره كذلك، ولو

---

(١) من قواعد الترجيح عند المفسرين أن التأسيس مقدم على التوكيد، وصورة القاعدة: إذا احتمل اللفظ أو الجملة من كتاب الله تعالى أن يكون مؤكداً للفظ، أوجملة سابقة، أويكون مفيداً لمعنى جديد لم يسبق من الكلام ،فحمله على الإفادة أولى من حملة على الإعادة أ.هـ. ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي (٢: ٤٧٣).

لم يأت بأمره لتوهم متوهم أن الفلك تسير في البحر من تلقاء نفسها، أو بدفع الهواء، فلما وردت لفظة (بأمره) زال ذلك التوهم(١).

كما جاء احتراس آخر في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ ،وقد أشار إليه الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) ، فقال: «إن الله بتدبير علمه وقدرته جعل للسماء نظاماً يمنعها من الخرور على الأرض، فيكون قوله: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ ﴾ امتناناً على الناس بالسلامة مما يفسد حياتهم، ويكون قوله: ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ احتراساً جمع بين الامتنان والتخويف؛ ليكون الناس شاكرين مستزيدين من النعم، خائفين من غضب ربهم أن يأذن لبعض السماء بالوقوع على الأرض»(٢).

كانت تلك هي الإشارة الوحيدة التي ورد فيها ذكر الاحتراس، وإنما دار حديثهم حول توجيه الاستثناء في ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾، فقال ابن عطية (ت: ٥٤٢): «﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة،كأن طي السماء ونقض هذه الهيئة كوقوعها، ويحتمل أن يريد بذلك الوعيد لهم في أنه أذن في سقوط لكسفها عليهم سقطت»(٣).

ويرى البيضاوي (ت: ٦٨٥) أن معنى ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ :«إلا بمشيئته، وذلك يوم القيامة، وفيه رد لاستمساكها بذاتها، فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية، فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها»(٤).

ويرى الألوسي (ت: ١٢٧٠) أن الآية مسوقة مساق الامتنان لا للوعيد، كما جوزه

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام، عبد العظيم المطعني (٢: ٤٠١).

(٢) التحرير والتنوير (١٧: ٣٢٣).

(٣) المحرر الوجيز (١١: ٢١٦).

(٤) أنوار التنزيل (٤: ١٣٩).

بعضهم، وأيد قوله أن فاصلة الآية القرآنية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث سخر لهم ما سخر»[1].

وقد تبيّن من العرض السابق تحقق معنى الاحتراس في الآية، وقد جاء الاحتراس في أسلوب (الاستثناء)، ولو نزع من السياق لاختل المعنى، وفهم غير المراد، ويُعدّ الاستثناء شبيهاً قوياً بالاحتراس، وقد ورد في غير موضع كلها تدل على الاحتراس، وتُنبئ عن مقصده.

الآية السابعة عشرة:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في سياق الأمر للنبي ﷺ بالثبات أمام الكفر وأهله، وأن الله جل جلاله يعلم ما في السماء والأرض، ويحصي أعمال العباد عليهم، وكل ذلك في الكتاب، وفي اللوح المحفوظ، وذلك هيّن على الله ويسير، وصدرت الآية الكريمة بالاستفهام التقريري تأكيداً لهذه الحقيقة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قصد به دفع توهم أن يظن ظان مشقة الإحاطة بغيوب السماء والأرض على الله دون كتاب، فبين الله عز وجل أن هذا مع ما فيه من الاتساع والكثرة لكنه على الله يسير.

---

(١) روح المعاني (٩: ١٨٥).

وقد أكَّد هذا المقصد من الاحتراس غير واحد من المفسرين، وفاضت به عباراتهم، فكلهم يرى أن جملة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل هين. فقال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «إن الله يعلم كل ما يحدث في السماوات والأرض، وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه، والإحاطة بذلك، وإثباته وحفظه عليه يسير؛ لأن العالم بالذات لا يتعذر ولا يمتنع تعلق بمعلوم»[١]. وعبارة الزمخشري تناقلها غير واحد من المفسرين.

وقال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦): «أما قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فمعناه أن كتبه جملة الحوادث متى أرادها من الغيب مما يتعذر على الخلق، لكنها بحيث متى أرادها الله تعالى كانت، فعبر عن ذلك بأنه يسير»[٢].

وقال السمرقندي (ت: ٣٧٣)[٣]: «إن ذلك العلم مكتوب في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: هيّن حفظه على الله، أي: كتابته على الله يسير»[٤].

وقال البيضاوي (ت: ٦٨٥): «إن الإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ، أو الحكم بينكم على الله يسير؛ لأن علمه مقتضي ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء»[٥].

ويؤكد أبو السعود (ت: ٩٨٢) على ذلك المعنى، فيقول: «﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، فإن علمه وقدرته مقتضي ذاته، فلا يخفى عليه شيء، ولا يعسر عليه مقدور»[٦].

---

(١) الكشاف (٣: ١٦٦).

(٢) التفسير الكبير (٢٣: ٥٨).

(٣) هو أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، من فقهاء الحنفية من مصنفاته: بحر العلوم، وكتاب النوازل في الفقه، وخزانة الفقه... وغيرها، توفي سنة (٣٧٣)، وقيل: (٣٧٥). ينظر: معجم الأدباء (١٧: ٤٣)، وطبقات المفسرين، للداودي (ص ٣٢٧).

(٤) تفسير السمرقندي (٢: ٤٦٩).

(٥) أنوار التنزيل (٤: ١٤٠).

(٦) إرشاد العقل السليم (٤: ٣٩٦).

ويتضح مما سبق تواتر المفسرين على معنى الآية ومقصدها وإن لم يذكر أحدٌ منهم الاحتراس أو مقصوده، لكن المتأمل في سياق الآية الكريمة يجد أن المعنى العام للآية يُصدق ذلك، والسياق يتحدث عن يوم القيامة، وأن الله سبحانه وتعالى يحكم بين عباده، ويجازي كلاً من المسيء والمحسن بما هو أهل له، وأنه يعلم ما في السماء وما في الأرض، ولا يخفى عليه شيء، كل ذلك في كتاب، وهو على الله تعالى يسير، حين يجمع أول أهل الأرض مع آخرهم، ويُحاسبهم على أعمالهم في صعيد واحد، كل ذلك كان على الله يسيراً. والله تعالى أعلم.

الآية الثامنة عشرة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٩١].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية بعد بيان أحوال البعث وشرح أحوال القيامة، فجاء الأمر للنبي ﷺ قل يا محمد للكفار: إنما أمرني ربي أن أعبد رب هذه البلدة ،أي: مكة، وخصصها تشريفاً لها، وتفخيماً لشأنها، وإجلالها لمكانتها، فجعلها حرماً آمناً، وملتجأ يأوي إليه الخائف، وله كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً، وتختم الآية بـ(أُمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين له.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ ؛ لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده، بعد أن ذكر أنه رب البيت، فأردف بقوله: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾، وهذه الآية جاءت في مجال المحاورة والمجادلة للمشركين، فهي من باب عطف العام على الخاص.

وقد أشار إلى وجود الاحتراس أو مقصده غير واحد من المفسرين، فقال البقاعي (ت: ٨٨٥) في تفسيره لهذه الآية: «.. ولما كانت إضافتها إليه إنما هي لمحض التشريف، قال: احتراساً عما لعله يتوهم: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ ﴾ أي من غيرها مما أشركتموه به وغيره خلقاً وملكاً، وليس كالملوك الذين ليس لهم إلا ما حموه على غيرهم»[(١)].

فالبقاعي يرى أن ذكر ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ ﴾ بعد ذكره ملكه سبحانه وتعالى لمكة - شرفها الله - ذكر أنها جزء يسير من ملكه سبحانه وتعالى.

ويتابعه فيما ذهب إليه ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) فيقول في ذلك: «وتعقيب هذا بجملة ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ احتراساً؛ لئلا يتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها؛ ليعلم أن تلك الإضافة لتشريف المضاف إليه لا لتعريف المضاف بتعيين مظهر ملكه»[(٢)].

ويشير إلى الاحتراس كذلك أحد الباحثين حيث قال: «في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ احتراس بديع... وإنه يؤتى به دفعاً لتوهم يتوجه على الكلام، فقد أضاف سبحانه اسمه إلى مكة تشريفاً لها، وذكراً لتحريمها، ولما أضاف اسمه إلى البلدة... أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها»[(٣)].

ومن الإشارات الواضحة في مقصد الاحتراس ما ذكره السعدي في تفسيره (ت: ١٣٧٦)، فقال: «﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ من العلويات والسفليات أتى به؛ لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده»[(٤)].

---

(١) نظم الدرر (٥: ٤٥٧).

(٢) التحرير والتنوير (٥٧:٢٠).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش (٥: ٥٦٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦١١).

كانت تلك هي أوضح الإشارات التي وقفت عليها في الدلالة على الاحتراس، أو مقصده، ولكن هذا لا يعني خلو كتب التفاسير السابقة منها، والمتصفح لتلك الكتب يلمح فيها معنى الاحتراس، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المراد بقوله ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ أي: له كل شيء ملكاً وتصرفاً، ودارت جل عباراتهم حول ذلك المعنى، ومن ذلك ما ذكره الطبري (ت: ٣١٠) في تفسيره لهذه الآية حيث قال: «﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ ولرب هذه البلدة الأشياء كلها، فإياه أمرت أن أعبد... وإنما خصها بالذكر دون سائر البلدان، وهو رب البلاد كلها؛ لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله ﷺ الذين هم من أهل مكة بذلك نعمته عليهم، وإحسانه إليهم»[١].

وقال ابن عطية (ت: ٥٤٢): «﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ معناه بالملك والعبودية»[٢]، كذلك قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦): «﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ هذا إشارة إلى ما تقدم من الدلائل المذكورة، وفي هذه السورة على التوحيد من كونه تعالى خالقاً لجميع النعم، فأجمل هنا تلك المفصلات»[٣].

ويقَرِّرَ ذلك المعنى أبو حيان (ت: ٧٤٥) ،فيقول: «﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ أي جميع الأشياء داخلة في ربوبيته، فشرفت البلدة بذكر اندراجها تحت ربوبيته على جهة الخصوص، وعلى وجه العموم»[٤].

وهذا الذي ذكره أبو حيان من أنه من باب عطف الخاص على العام، مسألة قال بها

---

(١) جامع البيان (١٠: ٢٤).
(٢) المحرر الوجيز (١٢: ١٣٨).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٤: ١٩١).
(٤) البحر المحيط (٧: ١٣٢).



غير واحد من المفسرين[١]، فقال ابن كثير (ت: ٧٧٤) :قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ من باب عطف العام على الخاص، أي: هو رب هذه البلدة، ورب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو»[٢].

كما يتابع أبو السعود (ت: ٩٨٢) من سَبَقَهُ فيما ذهبوا إليه، فيقول: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: «أي خلقاً وملكاً وتصرفاً من غير أن يشاركه شيء في شيء من ذلك، تحقيقاً للحق، وتنبيهاً على أن إفراد مكة بالإضافة لما ذُكِر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجيمع الموجودات»[٣].

ويسوق الألوسي (ت: ١٢٧) المعنى نفسه، فيقول: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً من غير أن يشاركه سبحانه شيء في شيء.. وتنبيه على إفراد مكة بالإضافة من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات»[٤].

ومما عرضت من أقوال أئمة التفسير في هذه الآية يتحقق وجود الاحتراس فيها، وإن صَرَّحَ فيه بعضهم، أو ألمح لمقصده آخرون، لكن المعنى يؤيد، والسياق يدعو إليه، بخاصة أن هذه الآية وردت في تقرير عقيدة التوحيد أمام المشركين الذين يعظمون البيت، فأولى بهم تعظيم رب هذا البيت، وعدم إشراك غيره في العبادة، وحري بهم أن يؤمنوا به.

---

(١) ينظر: روح البيان (٦: ٤٠٣)، واللباب (١٥: ٢١٠)، وفتح البيان (٥: ١٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٦: ٢٢٦)، وفتح القدير (٤: ٢٠٦)، ومحاسن التأويل (٥: ٤١٤)، وتفسير المراغي (٧: ١٤٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦: ٢١٨).

(٣) إرشاد العقل السليم (٥: ١٠٨).

(٤) روح المعاني (١٠: ٢٤٨).

الآية التاسعة عشرة:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: ٦].

هذه الآية الكريمة تماثلها آية أخرى في موقع الاحتراس ،ونوعه،أذكرها هنا للتطابق التام بينهما، وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

*** الدراسة والتحليل:**

بيّن الله عز وجل اتصافه بما ذكر من خلق السماوات والأرض والاستواء على العرش، وتدبير الأمور (أمور الكائنات العلوية والسفلية)، ذكر بعدها: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ،فيدبر الأمر حسبما تقتضيه الحكمة، فهو العزيز الذي لا يغلب ،والرحيم بعباده، وقدم الغيب على الشهادة؛ لأنه أقوى وأشد إنباء عن كمال العلم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء احتراسان في هذه الآية، **الأول**: وهو مشترك بين الاثنين في قوله تعالى ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ،فعطف الشهادة على الغيب، حيث ذكر الله عز وجل أنه عالم الخافي عن علم الناس، فعطفه على علم الشهادة؛ لبيان إحاطته وعلمه بأدق التفاصيل.

وقد أشار الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى هذين الاحتراسين في كلتا السورتين، فقال في **الأولى**: «وأما عطف ﴿ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ فهو تكميل واحتراس»(١).

أما الموضع الآخر في سورة الحشر فقال فيه: «وإنما ذكر منه متعلقات علمه بأمور الغيب لأنه الذي فارق به علم الله تعالى علم غيره، وذكر معه علم ﴿ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾

(١) التحرير والتنوير (٢١: ٢١٤).

للاحتراس من تَوهُم أنه يعلم الحقائق العالية الكلية فقط، كما ذهب إليه فريق من الفلاسفة الأقدمين»(١).

وعوداً على الاحتراس في آية السجدة، فلم أقف على من أشار إلى الاحتراس أو مقصده من المفسرين أو غيرهم، وإنما كان حديثهم منصباً على المراد بالغيب، والمراد بالشهادة، ما بين مسرف ومقتصد، فقال الطبري (ت: ٣١٠): ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور، وتخفيه النفوس، وما لم يكن بعد مما هو كائن، والشهادة يعني ما شاهدته الأبصار، فأبصرته وعاينته، وما هو موجود»(٢).

وقال الرازي (ت: ٦٠٦): «﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ يعلم ما في الأرواح، ﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ يعلم ما في الأجسام»(٣).

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ أي: المدبر لهذه الأمور، الذي هو شهيد على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها»(٤).

وغير ذلك مما أورده المفسرون في بيان معنى الغيب والشهادة.(٥)

أما الاحتراس الثاني فقد وقع في ختام الفاصلة القرآنية في قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾، فجاء الاحتراس بعد وصفه تعالى بـ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: أي: القوي المنيع، وصف نفسه بـ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾، حتى لا يتوهم أن هذه العزة والقوة والمنعة خالية من اللطف والرحمة بعباده.

---

(١) التحرير والتنوير (٢١: ٢١٤).

(٢) جامع البيان (١٠: ٢٣٢).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٥: ١٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦: ٣٦٠).

(٥) ينظر: تفسير السمرقندي (٣: ٣١)، وتفسير ابن زمنين (٣: ٣٨١)، وتفسير السمعاني (٤: ٢٤٣)، ومعالم التنزيل (٣: ٤٩٨)، والمحرر الوجيز (٤: ٣٥٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣: ١٣)، والبحر المحيط (٧: ٢٦١)، وفتح القدير (٤: ٣٢٨)، وروح المعاني (١١: ١٢٠).

وصَرَّحَ بمجيء الاحتراس القونوي (ت: ١١٩٥) في حاشيته حيث قال: «﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ كالتكميل والاحتراس دفعاً لتوهم الوجوب، والإيجاب في ذلك التدبير، نبه على ذلك بقوله تفضلاً وإحساناً، واختير ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على ﴿ٱلرَّحْمَنُ﴾ لرعاية الفاصلة أو للتنبيه على أن مراعاة المصلحة من آثار اسم الرحيم، فما ظنكم باسم الرحمن»[1].

فالقونوي (ت: ١١٩٥) يرى وقوع الاحتراس في لفظ الجلالة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾، فلو لم تذكر لتوهم الوجوب والإيجاب في تدبير أحوال الكائنات.

كما ألمح إلى معنى الاحتراس البيضاوي (ت: ٦٨٥) حيث قال:«... فيدبر أمرهما على وفق الحكمة ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على العباد في تدبيره، وفيه إيماء بأنه سبحانه يراعي المصالح تفضلاً وإحساناً»[2].

فكأن البيضاوي (ت: ٦٨٥) يرى معنى الاحتراس فيه إيماء بأنه سبحانه يراعى المصالح تفضلاً وإحساناً، فلو لم يذكر اسم الجلالة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لتوهم أن العزة والقوة لله عز وجل خالية من الرحمة، فجاءت الفاصلة لتنبيه على أن الباري عز وجل رحيم بعباده فيما يفعل.

وعبارة البيضاوي تلك نقلها عنه أصحاب الحواشي، لكن لم يذكر أكثرهم وجود الاحتراس، إلا ما كان من القونوي وقد تقدم.

كما أشار إلى هذا المعنى الألوسي (ت: ١٢٧) فقال: «﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ للعباد، وفيه إيماء بأنه عز وجل متفضلٌ فيما يفعل جل وعلا»[3].

---

(١) حاشية القونوي (١٥: ٢٥١).

(٢) أنوار التنزيل (٤: ٣٥٥).

(٣) روح المعاني (١١: ١٢٠).

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة في الموضعين، وإن لم يذكر ذلك بعض المفسرين، لكن المتأمل لهذه الآية يظهر له هذا، والله أعلم وأعلى.

الآية العشرون:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١].

*** الدراسة والتحليل:**

افتتحت سورة الأحزاب بتوجيه النداء والأمر للنبي ﷺ ،فصدر النداء بوصف النبوة دون اسمه تشريفاً له، وأُمر بتقوى الله عز وجل، وبعدم طاعة الكافرين والمنافقين، والوثوق بهم، فجاءت الجملتان بالاقتصار على تقوى الله سبحانه وتعالى، ثم أردف الجملة بجملة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ تعليلاً للنهي.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في خاتمة الفاصلة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ فكأن معنى الاحتراس: يا محمد أطع الله، ولا تطع الكافرين والمنافقين؛ لأنه سبحانه وتعالى عليم حكيم ،فلا يأمر إلا بما فيه صلاح.

وقد أشار إلى مقصد ذلك الاحتراس الرازي (ت: ٦٠٦هـ) فقال: (﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ إشارة إلى دفع وهم متوهم، وهو أن متوهماً لو قال: إذا قال الله شيئاً، وقال جميع الكافرين شيئاً آخر، ورأوا المصلحة فيه، وذكروا وجهاً معقولاً.. فقال الله تعالى: إنه حكيم ولا تكون المصلحة إلا في قول الحكيم، فإذا أمرك الله بشيء فاتبعه»[1].

---

(١) التفسير الكبير (٢٥: ١٦٥) بتصرف يسير.

كانت تلك هي الإشارة الوحيدة لمقصد الاحتراس، ولم يستوقف هذا المعنى أحد من المفسرين ممن وقفت على تفاسيرهم، إذ لم يرد عنهم إشارة للمعنى الذي ذكره الرازي (ت: ٦٠٦)، إذ لا مقارنة بين ما يأمر الله تعالى به، وبين ما يأمره به غيره، فضلاً عن أن يكون كافراً أو مشركاً.

وقد أشار الإمام الطبري (ت: ٣١٠) إلى معنى هذه الآية دون تكلف، فقال: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ اتق الله بطاعته وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك... ولا تطع الكافرين الذي يقولون لك: اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك، والمنافقين الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه. ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبير أمرك وأمر أصحابك»[1]، وهذا الذي ذهب إليه الطبري أيّده غير واحد من المفسرين[2]، ولم يوجد عند أحد منهم معنى الاحتراس أو مقصده.

كما يرى أبو السعود (ت: ٩٨٢) «أن هذه الجملة تعليل للأمر والنهي، مؤكد لوجوب الامتثال بهما»[3].

وهذا الرأي نُقل أيضاً عن الجمل (ت: ١٢٠٤)، والألوسي (ت: ١٢٧٠)، مما يُغني عن إعادة ذكره هاهنا[4].

---

(١) جامع البيان (١٠: ٢٩٢).

(٢) ينظر: الوجيز (٢: ٢٥٧)، والكشف والبيان (٨:٥)، وتفسير السمعاني (٤: ٢٥٦)، والمحرر والوجيز (٤: ٣٦٧)، وزاد المسير (٣: ٤٤٦)، وأنوار التنزيل (٤: ٣٦٢)، مدارك التنزيل (٣: ٣٩٥)، التسهيل (٣: ١٣٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦: ٣٧٥).

(٣) إرشاد العقل السليم (٥: ٢٠٩).

(٤) ينظر: الفتوحات الإلهية (٦: ١٤٩)، وروح المعاني (١١: ١٤٢).

الآية الحادية والعشرون:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣].

*** الدراسة والتحليل:**

لما كان عُباد الأصنام يرون أن أصنامهم ستشفع لهم عند الله، وحكى ذلك عنهم القرآن، وحكى مقالتهم، وأن السبب في عبادتهم لتقربهم عند الله، أنزل الله هذه الآية والآية التي قبلها، وهي: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ [سبأ: ٢٢].

وفيها تقنيط وتيئيس للمشركين من أصنامهم، فهم لا يملكون شيئاً لا في السماوات ولا في الأرض، وأن الشفاعة عند الله لا تنفع إلا لمن أذن له. كما تحكي الآية ضرباً من أهوال القيامة، وصعوبة الموقف في انتفاء الشفاعة، وانقطاع الخُلة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في هذه الآية الكريمة احتراسان: **الأول** في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ فيكون المعنى: لا تنفع شفاعة إلا بعد إذن الباري عز وجل للشافع والمشفوع، فلو لم يذكر الاستثناء لتوهم نفي الشفاعة مطلقاً، وقد تقدّم مثل هذا الاحتراس في آية الكرسي، ولم يشر أحد من المفسرين إلى وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، لكن المقام - فيما أرى - يقتضيه، وإنما دار جل حديثهم عن الشفاعة يوم القيامة، فذكر الزمخشري (ت: ٥٣٨): ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أن يكون على أحد هذين الوجهين أي: لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له، أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له أي: لشفيعه»[1].

(١) الكشاف (٣: ٥٦٣).

وقال ابن عطية (ت: ٥٤٢): «﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ المعنى أن كل من دعوتم إلهاً من دون الله لا يملكون مثقال ذرة، ولا تنفع شفاعتهم إلا بإذن فيمن آمن»[١].

وقال ابن جزي (ت: ٧٤١): «لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع؛ فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، وقيل: لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الله أن يشفع فيه، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله»[٢].

ويرى أبو السعود (ت: ٩٨٢) هذا المعنى، فيقول: «لا تقع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة، فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية، أما من جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الإذن لها ضرورة استحالة الإذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق، وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلأن إذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها»[٣].

ويؤكد الشوكاني (ت: ١٢٥٠) ذلك المعنى بقوله: «لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أن يشفع من الملائكة والنبيين ونحوهم»[٤].

وذلك المعنى قد قرَّرَه غير واحد من المفسرين، أكتفي بالإحالة لما فيه من التشابه الكبير[٥].

أما الاحتراس الثاني فقد وقع في ختام الآية: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾، لما ذكر الباري عز وجل أن من صفاته العلي، أردفه بذكر الكبير؛ لأن الشيء إذا علا صغر في عين الرائي، فاحتراس من ذلك بقوله ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ تنزيهاً لله عز وجل عما يألفه البشر من الأحوال والأوضاع.

---

(١) المحرر الوجيز (٤: ٤١٨).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٣: ١٤٩).

(٣) إرشاد العقل السليم (٥: ٢٥٩).

(٤) فتح القدير (٤: ٤٢٨).

(٥) ينظر: جامع البيان (١٠: ٣٧٢)، ومعالم التنزيل (٣: ٢٥٧)، وتفسير الجلالين (١: ٥٦٧)، وروح المعاني (١١: ٣١١)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٧٩).

وهذا الاحتراس يدعو له السياق، ولم أقف على من صَرَّحَ بوقوعه من المفسرين السابقين، لكن أصحاب الدراسات البلاغية قالوا ذلك، فقال عبد العظيم المطعني: «﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ثناء على الله وابتهاج بتفريج كرب المكروبين.. والجمع بين هذين الوصفين مع تقديم العلو على الكبر؛ لأن الثاني احتراس لطيف عما يتوهم من العلو؛ لأن الشيء إذا علا صغر في عين الرائي، فجاء قوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ مزيلاً لذلك التوهم، ومثبتاً تنزيه الله عن صفات الحوادث، وما يألفه الناس من أحوالها وأوضاعها»[(١)].

وقد أفاض المفسرون في تفسير لفظ الجلالة ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ بعبارات لا تخلو أن تكون إشارات خفية لمعنى الاحتراس، فقال الرازي (ت: ٦٠٦): «﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ إشارة إلى أنه فوق الكاملين في ذاته وصفاته، وهذا يبطل القول بكونه جسماً في حيز؛ لأن كل من كان في حيز فإن العقل يحكم بأنه مشار إليه»[(٢)]. ويظهر من قول الرازي – والله أعلم – أن كل من كان في حيز فإنه يكون محدداً، والله سبحانه وتعالى كبير عالٍ على عرشه، ولذا جاءت صفة الكبير بعد العلي، فهو على علوه كبير سبحانه وجل شأنه.

ويشير ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤) إلى هذا المعنى، فيقول: «﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ أي: المتعالي عن سمة الحدوث، وإدراك العقول، الكبير الشأن، فلا يقدر أحد على شفاعةٍ بلا إذنه»[(٣)].

كما ذكر غير واحد من المفسرين أن تذييل الآية الكريمة بهاتين الصفتين إنما هو تنزيه لله تعالى وتمجيد، فقال السمرقندي (ت: ٣٦٧): «﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ يعني هو أعلى وأعظم وأجل من أن يوصف له شريك»[(٤)].

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام، عبد العظيم المطعني (٣: ٢٩١).

(٢) التفسير الكبير (٢٥: ٢٢١).

(٣) البحر المديد (٦: ٨٠).

(٤) بحر العلوم (٣: ٨٤).

وقال السمعاني (ت: ٤٨٩): «﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ أي المتعالي العظيم في صفاته»[١].

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه»[٢] وعبارة الزمخشري هذه تناقلها غير واحد من المفسرين[٣]، فنقلها عنه البيضاوي (ت: ٦٨٥)، والنسفي (ت: ٧١٠)، ويوجز أبو حيان (ت: ٧٤٥) فيقول: «﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ تنزيه منهم له تعالى وتمجيد»[٤].

وكذلك قال الألوسي (ت: ١٢٧٠): «والظاهر أن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ تتمة كلام الشفعاء قالوه اعترافاً بعظمة جناب العزة جل جلاله، وقصور شأن كل من سواه أي: هو جل شأنه المتفرد بالعلو والكبرياء، لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه»[٥].

قال السعدي (ت: ١٣٧٦): «العلي بذاته فوق جميع المخلوقات، وقهره لهم، وعلو قدره بما له من الصفات العظيمة الجليلة المقدار، الكبير في ذاته وصفاته»[٦].

وبعد استعراض أقوال أئمة التفسير في معنى هذه الآية يتبين اتفاق آرائهم في معنى الاحتراس الذي دل عليه معنى الآية، وإن لم يشر إليه أحد من المتقدمين، ويكون المعنى أن الله سبحانه عالٍ على عرشه، ومع هذا العلو فإنه جل شأنه كبير دفعاً لما يتوهم أن ذلك كأحوال النظر في الدنيا، فكل بعيد وعالٍ فهو صغير لعين الرائي، ويصور ذلك قول الشاعر[٧]:

إِنَّ الكواكبَ في عُلوِّ محلّها لَتُرى صِغاراً وهي غَيرُ صغارِ

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني (٤: ٣٣٢).

(٢) الكشاف (٣: ٥٦٣).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل (٤: ٤٠٠)، ومدارك التنزيل (٣: ٣٢٦).

(٤) البحر المحيط (٧: ٣٦٧).

(٥) روح المعاني (١١: ٣١٠).

(٦) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٧٩).

(٧) القصيدة لأبي الحسن التهامي يرثي ابناً له مات صغيراً. ينظر: ديوانه (١: ٢٨٠).

ومعنى ذلك أن الكواكب التي ترى صغاراً للناظرين هي في الأصل أجرام كبيرة، لكن بُعْدَها وعُلوها يُعطي الناظر بُعداً غير حَقِيقِي عن أصلها وكُنهها.

وختاماً فإنه قد تحقق وجود الاحتراس في الآية الكريمة، وإن لم تفصح عنه عبارات المفسرين، لكن معناه معروفٌ لديهم، ومقصده حاضر في أذهانهم، وإن لم تجُد به عباراتهم. وقد عرضت أقوال المفسرين التي فيها إلماحات واضحة للاحتراس. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية والعشرون:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

*** الدراسة والتحليل:**

افتتحت السورة بالحمد والشكر لله على نعمه، وقدرته على خلق السماوات والأرض وإبداعها في أحكم نظام، وأكمل صورة، جاعل الملائكة وسائط بين الله جل جلاله وبين رسله؛ لتبليغ رسالاته وغير ذلك، ومن عظم هيئتهم أنهم أصحاب أجنحة متعددة، ينزلون من السماء إلى الأرض بها، وهم متفاوتون في عدد الأجنحة وحجمها، يزيد الله في عظم خلق الملائكة ما يشاء من الخلق والقدرة وغيرها، فالله على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وقد روي أنّ النبي ﷺ «رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (٧)، باب (إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة آمين)، حديث رقم (٣٢٣٥٠)، وأخرجه كذلك في التفسير، باب(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)، حديث (٤٦١٢)، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان (٧٦٠)، باب ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (١٧٤).

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، فيكون المعنى أن الله جل في علاه خلق الملائكة ذوي وأجنحة مثنى وثلاث ورباع، فلو لم تذكر جملة الاحتراس: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ لتوهم أن ذلك هو مبلغ عدد أجنحة الملائكة، فدفع هذا التوهم بهذا الاحتراس: أن الله يزيد في عدد أجنحة الملائكة خاصة وخلقهم عامة بما يشاء، وبما يتوافق مع المهام التي توكل إليهم.

كما بين الاحتراس لفتة هامة، وهي التوافق بين عظم خلق السماوات والأرض، وعظم خلق الملائكة، وقد ثبت في الصحيح أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

وقد أشار الألوسي (ت: ١٢٧٠) إلى مقصد الاحتراس، فقال: «﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ استئناف مقَرَّرَ لما قبله من تفاوت الملائكة عليهم السلام في عدد الأجنحة... وكأن الجملة لدفع توهم عدم الزيادة على الأربعة، والحق أن ذلك من باب التمثيل لا الحصر»[(١)]، فعبارة الألوسي (لدفع التوهم) دالة على مقصد الاحتراس، فكأنها لو لم تذكر - أي ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ - لدخل الوهم على المعنى، ولفهم غير المراد.

وكانت تلك هي الإشارة الوحيدة التي وقفت عليها وفيها دلالة على معنى الاحتراس، وإن لم يصَرَّحَ به أو يذكر مقصوده.

ذكر غير واحد من المفسرين أن جملة: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ جملة مستأنفة مقَرِّرَة لما قبلها من تفاوت أحوال الملائكة، فيكون المعنى أن الله عز وجل يزيد في خلق الملائكة ما يشاء.

---

(١) روح المعاني (١١: ٣٣٨).

فقال الطبري (ت: ٣١٠) قوله: «﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه، يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه... وله القدرة والسلطان»[١].

وقال السمعاني (ت: ٤٨٩): «أظهر الأقاويل أن الله تعالى يزيد في خلق الملائكة وأجنحتهم ما يشاء»[٢].

ويتابع الزمخشري (ت: ٥٣٨) من سَبَقَهُ،فيقول: «الزيادة مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق»[٣].

لا تكاد تخرج عبارات المفسرين عن هذه المعاني[٤]، وربما أغرق بعضهم في بيان نوع هذه الزيادة، فقيل: الملاحة، وقيل: حسن الصوت، وقيل: زيادة العقل والتمييز.. وغير ذلك، لكن أئمة التفسير[٥] رجحوا أن هذه الزيادة مطلقة، ويدخل فيها كل هذه المعاني.

ويظهر من العرض السابق وجود الاحتراس في الآية الكريمة، وإن لم يذكره أحد من المفسرين، وقد يبدو أن اتفاق غير واحد من المفسرين على أن الآية عامة في مسألة خلق الملائكة بعامة، وعدم قصرها على الأجنحة، يضعف وجود الاحتراس في الآية.

---

(١) جامع البيان (١٠: ٣٩٣).

(٢) تفسير السمعاني (٤: ٣٤٥).

(٣) الكشاف (٣: ٥٧٧).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٤: ٤٢٩)، وزاد المسير (٣: ٥٠٥)، ومفاتيح الغيب (٢٦: ٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٧: ٣٤٢)، وأنوار التنزيل (٤: ٤٠٩)، ومدارك التنزيل (٣: ٣٣٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٤) وغيرها.

(٥) ينظر: البحر المحيط (٧: ٣٩٤)، والدر المنثور (٧: ٤)، وفتح القدير (٤: ٤٤٦)، والسراج المنير (٦: ٥٤)، وحاشية الصاوي (٥: ٧٥)، وفتح البيان (٥: ٤٥٨)، والبحر المديد (٦: ٩٩).

والذي يظهر -والله تعالى أعلم- أنها تعود على خلق الأجنحة خاصة، ويقوي هذا الرأي قاعدتان من قواعد الترجيح: الأولى: إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال ، فهو مرجح له

والقاعدة الثانية: أن الأصل إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر.

القاعدة الأولى: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه).

وصورة القاعدة: «إذا ورد الخلاف بين المفسرين في تفسير آية من كتاب الله تعالى، وتعددت أقوالهم فيها، فالقول الذي يؤيده خبر عن النبي ﷺ هو المقدم على غيره؛وذلك لأن ورود معنى هذا القول في قول النبيِّ ﷺ يدل على صحته، وترجيح غيره ترجيح بلا مرجح، ومخالفة لحديث النبي ﷺ دون مستند»[1] ويعضد هذا الرأي ما ثبت أن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ[2].

وروي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ من زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ على ربه الفرية، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الْأُفُقِ[3].

والأحاديث الواردة في بيان عظم خلق الملائكة وهيئاتهم أوسع من أن تذكر في هذا المقام.

وأما القاعدة الأخرى[4] التي تقوي هذا الرأي في الاحتراس فهي: (إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر).

---

(١) قواعد الترجيح، حسين الحربي (١: ٢٠٦).

(٢) الحديث سبق تخريجه

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق (٧)، باب: إذا قال أحدكم: آمين، حديث رقم (٣٢٣٢).

(٤) هناك أيضاًقاعدة أخرى، وهي الترجيح بالسياق، وسياق الآية الكريمة يقتضي الحديث عن أجنحة الملائكة، فيكون: (يزيد في الخلق ما يشاء) عائدة كذلك على الأجنحة.

وصورة القاعدة: «إذا احتمل السياق إعادة الضمير إلى مذكور، أو إعادته إلى مقدر، واختلف العلماء على احتمالين، فإعادة الضمير إلى المذكور أولى وأحسن؛ لأن الإعادة إلى المقدر مع إمكان الإعادة إلى المذكور فيه إخراج للآية عن نظمها دون موجب»[1].

وعوداً على بدء فالآية الكريمة قد تحدثت عن خلق الملائكة، وعن عدد أجنحتهم، ولم تعرض لخلقهم بالكامل، فعود جملة الاحتراس على عدد الأجنحة أولى حتى لا يتفرق نظام الآية الكريمة دون موجب قوي.

وهناك لفتة أخرى أن الله سبحانه وتعالى ذكر الحديث عن عدد أجنحة الملائكة، وهي جزء من كل، فتحدث عن الجزء، وترك الكل؛ ليدل على عظم خلقهم وهيئاتهم وهو أدل على القدرة، والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة والعشرون:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن المشركين، وقبل أن يوجّه إليهم الإعلام بأن الله غني عنهم، وُجِّهَ إليهم إعلام بأنهم الفقراء إلى الله، وأن الله غني عنهم، ومع غناه فإنه حميد بجوده، فهو يحمد من يتوجه إليه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في ختام الآية الكريمة في قوله: ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ ،فيكون المعنى: أن الله تعالى غني عن عباده، فإذا كان كذلك فقد يتوهم أن المشركين معذورون في ترك عبادته، فاحترس من ذلك بقوله: ﴿حَمِيدٌ﴾ يحمد من يعبده ويوحده ويتوجه إليه بالعبادة.

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢: ٥٩٣).

وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين، فقال الطاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣): «واتباع صفة ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ بـ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ تكميل؛ فهو احتراس لدفع توهمهم أنه لما كان غنياً عن استجابتهم وعبادتهم فهم معذورون في أن لا يعبدوه، فنبه على أنه موصوف بالحمد لمن عبده، واستجاب لدعوته»[(١)].

كما أشار غير واحد من المفسرين لمقصد الاحتراس بعبارات شتى تبعاً لنظرة كل مفسر، فرأى غير واحد من المفسرين أن هذه الآية من قبيل التكميل (أي: الاحتراس) فقال ابن التمجيد (ت: ٨٨٠) في حاشيته: «فإن قلت: فقد قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه، وغناه عنهم، وليس كل غني نافعاً بغناه، إلا إذا كان جواداً منعما، وإذا جاد وأنعم حمده بالمنعم عليهم... وذكر ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ ليدل به على أنه الغني النافع بغناه عن خلقه، الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه، و﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ على ألسنة مؤمنيهم، هذا فذكر ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ يكون من باب التكميل، كقول كعب الغنوي:

حَليمٌ إذَا مَا الحِلمُ زيَّنَ أَهلَهُ   معَ الحلمِ في عينِ العدو مَهِيبُ

وبهذا القول قال محيي الدين زاده (ت: ٩٥١): «إشارة إلى أن الحميد كناية عن الملزوم، وهو المنعم، وأنه تكميل لقوله: ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾؛ لأنه تم به فائدة المقابلة، وتعريض بأنه مع استغنائه على الإطلاق جواد منعم»[(٢)] كما يرى الألوسي (ت: ١٢٧٠) أن هذا من قبيل التكميل، فيقول في ذلك: (﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المنعم على جميع الموجودات المستحق بإنعامه سبحانه للحمد، وأصله المحمود، وأريد به ذلك على طريق الكناية، ليناسب ذكره بعد

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢: ٢٨٦).

(٢) حاشية محيي الدين زاده (٧: ٢١).

فقرهم إذ الغني لا ينفع الفقير، إلا إذا كان جواداً منعماً، ومثله مستحق للحمد، وهذا كالتكميل لما قبله»[١].

كانت تلك هي أهم الإشارات التي وقعت عليها في معنى الاحتراس، يتبين من خلالها اتفاق المفسرين على وقوع الاحتراس في الآية الكريمة على اختلاف في طريقة البيان والأسلوب، ولا يعني هذا أنه لم توجد إشارات عند غيرهم،بل وجدت ولكنها إشارات بعيدة عن معنى الاحتراس، وذكر غير واحد من المفسرين أن المقصد من قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الجواد المنعم، فهو محمود على ما يسديه من النعم، مستحق للحمد[٢]، وهذا يتفق مع ما أورده المفسرون الذين صَرَّحَوا بذكر مصطلح الاحتراس.

وممن ذكر ذلك الزمخشري (ت: ٥٣٨) حيث قال:«فإن قلت: قد قوبل الفقراء بالغنى، فما فائدة ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴾؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه، وغناه عنهم- وليس كل غنيٍّ نافعاً بغناه، إلا إذا كان الغنيُّ جواداً منعماً ،فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم الحمد – ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع...»[٣]، وعبارة الزمخشري تلك نقلها عنه غير واحد من المفسرين[٤].

---

(١) روح المعاني (١١: ٣٥٦).

(٢) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان، (١٠: ٤٠٤)، ومفاتيح الغيب (٢٦: ١٢)، وزاد المسير (٣: ٥٠٩)، واللباب (١٦: ٨٨٠)، ولباب التأويل (٥: ٣٠٠)، ومدارك التنزيل (٣: ٣٤٠)، ولطائف الإشارات (٣: ٦٥)، وتفسير القرآن العظيم (٦: ٥٤١)، وفتح البيان (٥: ٤٧)، ومحاسن التأويل (٦: ٣١)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٧).

(٣) الكشاف (٣: ٥٨٨).

(٤) ينظر: السراج المنير (٦: ٦٨)، والفتوحات الإلهية (٦: ٢٥٥)، والبحر المديد (٦: ١١٢).

كما يتابع النسفيّ (ت: ٧١٠) الزمخشريّ، فيما ذهب إليه، فيقول: ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾؛ ليدل على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم، إذ ليس كل غنيٍّ نافعاً بغناه، إلا إن كان الغنيُّ جواداً ومنعماً، إذا جاد وأنعم حمده الناس»[١].

ويرى البيضاوي (ت: ٦٨٥): أن «﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ المستغني على الإطلاق، المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد»[٢].

وقال الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩): «﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الحميد فإن أصل معناه المحمود، لكن المراد به هنا بطريق الكناية ذكره بعد فقرهم؛ إذ الغني لا ينفع الفقير،إلا إذا كان جواداً منعماً، ومثله مستحق للحمد، فأريد به المستحق للحمد لإنعامه»[٣].

وفي السياق ذاته تأتي عبارات الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧) فقال: «فإن قيل: قد قابل الفقر بالغنى، فما فائدة قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: المحمود في صنعه بخلقه؟ أجيب: بأنه لما أثبت فقرهم إليه، وغناه عنهم، وليس كل غني نافعاً بغناه، وذكر ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ ليدل به على أنه الغني النافع بغناه، خلقه الجواد المستحق بإنعامه أن يحمدوه»[٤].

وأخيراً لا تكاد تخرج أقوال المفسرين عن تلك الإلماحات، وهناك كثير من تلك الأقوال مبثوثة في كتب التفاسير، لا يوجد في عرضها كبير أهمية، أُعرض عن ذكرها ؛ لئلا يطول المقام. والله أعلى أعلم.

---

(١) مدارك التنزيل (٣: ٣٤٠).

(٢) أنوار التنزيل (٤: ٤١٥).

(٣) حاشية الشهاب (٧: ٥٨١).

(٤) السراج المنير (٦: ٦٨).

الآية الرابعة والعشرون:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

* الدراسة والتحليل:

افتتحت الآية الكريمة باستفهام تقرير وتوقيف للفت الأنظار إلى عظم قدرة الله تعالى إلى الماء الذي أنزله من السماء، فأخرج به نباتاً شتى، ثم لفت الأنظار إلى بديع صنعه في الجبال، وأخرى في الأرض، وأخيراً في النفس، وكلها دلائل تدل على عظمته وقدرته التي تدعو لخشيته، وقد قُصرت الخشية على العلماء العارفين بالله، ثم ختمت الآية ببيان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في ختام الفاصلة القرآنية على غرار الآية السابقة، فيكون المعنى – والله أعلم – أنه لما ذكر الله عز وجل الآيات الدالة على قدرته وعظمته، قد يُحدث ذلك اليأس والقنوط، فأتبعه بذكر صفة الغفور؛ للدلالة على أنه يقبل التوبة ويعفو عن السيئات.

وقد أشار إلى هذا المعنى غير واحد من المفسرين، وإن لم يذكروا الاحتراس حيث استعاضوا عنه بذكر نظيره التكميل، فقال الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩): «تعليلها بالعزة الدالة على كمال القدرة على الانتقام ظاهرة، وأما دلالتها على خصوص المغفرة ففيها خفاء، وقد قال الطيبي: إنه دال على القدرة التامة؛ لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة، وقد يقال: إنه تكميل، كما في قوله:

حَلِيمٌ إذَا مَا الحِلْمُ زيَّنَ أَهلَهُ ... مَعَ الحلمِ في عينِ العدوِّ مَهِيبُ

فتأمل»[1].

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي (٧: ٥٨٧).

ويتابع الألوسي (ت: ١٢٧٠) الطيبي فيما ذهب إليه، فقال في ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ تعليل لوجوب الخشية؛ لأن العزة دالة على كمال القدرة على الانتقام، ولا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة، وقد قيل: ذكر ﴿غَفُورٌ ﴾ من باب التكميل نظيره ما في بيت الغنوي»[1].

ويتابع ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) من سبقه، فيرى أن هذه الآية من باب التكميل، فيقول: «وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ تكميلٌ؛ للدلالة على استغناء الله تعالى عن إيمان المشركين، ولكنه يريد لهم الخير، ولما كان هذا الوصف ضرباً من الإعراض عنهم مما قد يحدث يأساً في قلوب المقاربين منهم، أُلفت قلوبهم بإتباع صفة ﴿عَزِيزٌ ﴾ بوصف ﴿غَفُورٌ ﴾ أي: فهو يقبل التوبة منهم»[2].

ومما تقدم يظهر معنى الاحتراس عند من سبق من المفسرين، إذ يرونه من باب التكميل[3]، وهو أحد نظائر الاحتراس، فهم يرون مجيئه في ختام الفاصلة القرآنية، وهذا الذي قَرَّرَه بعض المفسرين، وأورده غير واحد من المتقدمين بيد أنهم لم يذكروا المصطلح لديهم بهذه التسمية، فهذا الزمخشري (ت: ٥٣٨)، يقول في تفسيره لهذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ تعليل لوجوب الخشية؛ لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم، وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم»[4].

---

(١) روح المعاني (١١: ٣٦٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢: ٣٠٥).

(٣) سبق في الدراسة النظرية أن هناك طائفة من العلماء على تنوع علومهم يرون أن الاحتراس نظير للتكميل ومقابل له يقوم مقامه، وإن اختلفت التسمية، وتشابه الأمثلة يدل على ذلك، ومن هؤلاء الخطيب القزويني.

(٤) الكشاف (٣: ٥٩٣).

وكذلك الرازي (ت: ٦٠٦) حيث قال: «ذكر ما يوجب الخوف والرجاء، فكونه عزيزاً ذا انتقام يوجب الخوف التام، وكونه غفوراً لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ»[١].

ويبدو من حديث الزمخشري (ت: ٥٣٨)، والرازي (ت: ٦٠٦)، أنه لو لم تذكر عبارة ﴿غَفُورٌ﴾ لتوهم أن الله لا يعفو ،ولا يصفح عن العاصين إذا تابوا، فلما وردت ﴿غَفُورٌ﴾ زال ذلك التوهم، وفُتِحَ باب الدعوة للتوبة.

وهذا الرأي الذي سبق -وقول الزمخشري خاصة- أورده غير واحد من المفسرين، فقال القرطبي (ت: ٦٧١): «العصاة وقهرهم، وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم، والمعاقِبُ والمثيبُ حقهٌ أن يُخشى»[٢].

ويقَرِّرَ ذلك أيضاً البيضاوي (ت: ٦٨٥) فيقول: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية؛ لدلالته على أنه معاقب للمُصرِّ على طغيانه، غفور للتائب عن عصيانه»[٣].

ويرى القمي النيسابوري (ت: ٧٢٨) أن «العزة توجب الخوف من أليم عقابه، والمغفرة توجب الطمع في نعيمه وثوابه»[٤].

ويتابع الخازن (ت: ٧٤١)[٥] من سَبقَه فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ يعني: لذنوب عباده، وهو تعليل لوجوب الخشية؛ لأنه المثيب المعاقب، وإذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويُتقى»[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٦: ٢٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧: ٣٧٧).

(٣) أنوار التنزيل (٤: ٤١٨).

(٤) غرائب القرآن (٥: ٥١٦).

(٥) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عمر بن الخازن الشيحي، نسبة لبلدة اسمُها شيحةً، من أعمال حلب، البغدادي، من علماء الشافعية، ومن مصنفاته: لباب التنزيل، وشرح عمدة الأحكام، وغيرهما، توفي سنة (٧٤١هـ)، ينظر: الدرر الكامنة (٣: ٩٧)، وطبقات المفسرين للداودي (ص: ١٧٨).

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل (٥: ١١٨).

وأبو حيان (ت: ٧٤٥) يرى أن هذه الآية في مقام التعليل، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية؛ إذ العزة تدل على عقوبة العصاة وقهرهم، والمغفرة على إنابة الطائعين والعفو عنهم»(١).

وقال أبو السعود (ت: ٩٨٢) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمُصِرِّ على طغيانه، غفور للتائب عن عصيانه»(٢).

وقد دلَّتْ أقوال من سَبَقَ على مقصد الاحتراس، وإن لم يذكره أو يُذكر ما يدل عليه، لكن المعنى يؤكده، والسياق يدل عليه، فكل تلك النقول تصبُّ في معين واحد، ومعنى متفق، فلو لم يذكر ﴿غَفُورٌ﴾ للتوهم أن الباري يعاقب العصاة والمشركين، ولا يقبل التوبة من أحد، فاحترس من ذلك بـ﴿غَفُورٌ﴾، والله تعالى أعلم.

وهذه الآراء وتلك النصوص أيدتها نصوص أخرى عند غير واحد من المفسرين، لا تزيد عن تلك التي ذكرت، أحيل إليها حتى لا يطول المقام(٣).

الآية الخامسة والعشرون:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

*** الدراسة والتحليل:**

ذكر الله عز وجل استكبار الذين كفروا في الأرض ومكرهم السيء، وتوعدهم بأن المكر السيء لا يُهلك إلا أهله، وقد صدرت الآية بالاستفهام للتقرير، وحثهم على

---

(١) غرائب القرآن (٥: ٥١٦).

(٢) إرشاد العقل السليم (٥: ٢٨١).

(٣) ينظر على سبيل المثال: معالم التنزيل (٣: ٥٧٠)، والسراج المنير (٦: ٧٥)، والبحر المديد (٦: ١٢٠)، واللباب (١٦: ٦٨٨)، وفتح البيان (٥: ٤٧٧)، وفي ظلال القرآن (٥: ٢٩٤٣)، ونظم الدرر (٦: ٢٢٢)، ومحاسن التأويل (٦: ٣٥)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٨).

الاعتبار بما يُشاهد من آثار من أهلكهم الله، «وفي السير مجاز مرسل، حيث أطلق السبب، وهو السير، وأراد المسبب، وهو التأمل والاعتبار»[(١)]، ثم وجههم للنظر والعلم في عواقب الأمم المكذبة، وقد كانوا أشد قوة، ثم بين الله عز وجل أنه لكمال قدرته لا يعجزه شيء أبداً، ثم أكَّد ذلك بتذييل الجملة بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ دفعاً لتوهم أن يفوت أحد أراد الله إهلاكه، وقد جاء الاحتراس بأسلوب الوعيد والتهديد، وقد أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى وقوع الاحتراس في الآية حيث قال: «لما عرض وصف الأمم السابقة بأنهم أشد قوة من قريش في معرض التمثيل بالأولين تهديداً واستعداداً لتلقي مثل عذابهم، أتبع ذلك بالاحتراس عن الطماعية في النجاة من مثل عذابهم بعلة أن لهم منجيات ما لم يكن للأمم الخالية»[(٢)].

وقال في موضع آخر: «وجيء بلام الجحود مع (كان) المنفية، لإفادة تأكيد نفي كل شيء يحول دون قدرة الله وإرادته، فهذه الجملة كالاحتراس»[(٣)].

وهذا الاحتراس الذي ذكره الطاهر ابن عاشور، وأكَّد عليه في أكثر من موضع، سبقه لذكر معناه غير واحد من المفسرين، فقال الطبري (ت: ٣١٠): قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: «ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة، المكذبون محمداً، فيسبقونا هرباً في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله عز وجل لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض»[(٤)].

(١) التفسير البلاغي للاستفهام (٣: ٣١٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢: ٣٣٨)

(٣) التحرير والتنوير (٢٢: ٣٣٩).

(٤) جامع البيان (١٠: ٤٢٣).

فالمعنى الذي يريد الطبري هو ذاته مقصد الاحتراس، عند ابن عاشور، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾، دفعاً لتوهم قد يتوهمه أحد من قريش من أنهم يستطيعون النفاذ من عذاب الله تعالى، وقد حكى القرآن الكريم في غير موضع مقولتهم تلك.

كما يرى الرازي (ت: ٦٠٦) هذا الرأي، فقال: «أن يكون قطعاً لأطماع الجهال، فإن قائلاً لو قال: هب أن الأولين أشدُّ قوةً، وأطولُ أعماراً، لكنا نستخرج بذكائنا ما يزيد على قواهم ،ونستعين بأمور أرضية لها خواص أو كواكب سماوية لها آثار، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾»[١].

ويرى غير واحد من المفسرين[٢] أن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ أي: لا يفوته من شيء، ولا يستطيع أحد أن يفلت من عذابه إن أراد تعذيبه.

في حين يرى أبو السعود (ت: ٩٨٢) أن قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ «أي: ليسبقه ويفوته ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض مقرِّرَ لما يفهم مما قبله من استئصال الأمم السالفة»[٣].

ويتابع العجلي (ت: ١٢٠٤) من سَبقَهُ فيقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ «تقرير لما يفهم قبله من استئصال الأمم السابقة، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾؛ تعليل لذلك التقرير»[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٦: ٣٣).

(٢) ينظر: على سبيل المثال: بحر العلوم (٣: ١٠٧)، وتفسير ابن زمنين (٤: ٣٧)، والكشاف (٣: ١٠٦)، والمحرر الوجيز (٤: ٤٤٤)، وأنوار التنزيل (٤: ٤٢٤)، ومدارك التنزيل (٣: ٣٤٧)، والتسهيل (٣: ١٦٠)، البحر المحيط (٧: ٤٢٣)، والدر المنثور (٧: ٣٦)، وفتح القدير (٤: ٤٦٩).

(٣) إرشاد العقل السليم (٥: ٢٧٦).

(٤) الفتوحات الإلهية (٦: ١٧١)

وكذلك يرى الألوسي (ت: ١٢٧٠)، فيقول: «والجملة اعتراض مقَرِّرَ لما يفهم مما قبله من استئصال الأمم السالفة»[١].

ولم أقف على غير تلك الإشارات التي تشير لمصطلح الاحتراس، لكن الناظر والمتأمل يجد أن السياق يحتمل وقوع الاحتراس، وبخاصة أن الآية الكريمة جاءت في معرض الوعيد والتهديد، وأخبار إهلاك الأمم السالفة، فقد يتبادر لأذهان أولئك المكذبين أنهم يستطيعون أن ينفذوا من الهلاك إذا أراد الله إنزاله عليهم، فردت هذه الآية ذلك الوهم، وجاءت بتقرير وتأكيد قدرة الله تعالى، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

الآية السادسة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الزمر: ٧].

*** الدراسة والتحليل:**

وإن تكفروا يا أيها الناس بالله سبحانه وتعالى- مع ما تقدم من بيان يوجب عليكم الإيمان والشكر- فإن كفركم لن يضر الله شيئاً؛ فهو الغني عن سائر خلقه، ولكنه تعالى لا يحب الكفر لعباده، ولا يأمرهم به، وإنما يحب لعباده أن يؤمنوا به، ويشكروه على نعمه وأفضاله عليهم، وكل نفس تحاسب عما عملت من خير وشر، ولا تُسْأَلُ نفسٌ عما فعلته نفسٌ أخرى، ويوم القيامة يرجع الخلق إلى الله، فيخبرهم بما عملوا، وبما أسروا في أنفسهم، وما أعلنوه، ويحاسبهم عليه؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا تحمل نفسٌ عن نفس شيئاً أو إثماً.

---

(١) روح المعاني (١١: ٣٧٨) بتصرف.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ ؛ لئلا يتوهم السامع أن الشكر والكفر عند المولى عز وجل سواء، فجاء الاحتراس بقوله ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وشفع الاحتراس بأن الله - وقد أضاف العباد إليه- ففيه مقام تشريف .

لم يغب هذا المعنى عن أذهان المفسرين وإن غاب المصطلح، فكل يذكر أن المراد أن الله عز وجل لا يرضى لعباده الكفر رحمة بهم، قال أبو السعود (ت: ٨٩٢): «عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم، ودفع مضرتهم رحمة عليهم، لا لتضرره تعالى به، و﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرضى الشكر لأجلكم ومنفعتكم؛ لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين، لا لانتفاعه تعالى به، وإنما قيل: (لعباده) لا: (لكم)لتعميم الحكم وتعميمه بكونهم عباده تعالى»[1].

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس ،فقال: «قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ اعتراض بين الشرطين لقصد الاحتراس من أن يتوهم السامعون أن الله لا يكترث بكفرهم، ولا يعبأ به ،فيتوهموا أنه والشكرَ سواء عنده، ليتأكّد بذلك معنى استعمال الخبر في تنبيه المخاطب على الخطأ. وبهذا تعيّن أن يكون المراد من قوله: ﴿لِعِبَادِهِ﴾ العباد الذين وُجّهَ الخطابُ إليهم في قوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ ،وذلك جريٌ على أصل استعمال اللغة لفظ (العباد)، وإن كان الغالب في القرآن في لفظ (العباد) المضاف إلى اسم الله تعالى أو ضميره أن يطلق على خصوص المؤمنين والمقرَّبين»[2].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٥: ٣٨١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣: ٣٣٧).

ومغزى الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين، وإن لم يذكروا الاحتراس صراحة، ويتابع السعدي (ت:١٣٧٦) من سَبقَهُ، فيقول: « ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يَدَعوا ما خلقهم لأجله»(١).

وقد أسهم الاحتراس في دفع توهم الاختصاص، وأثبت عموم الآية، وأنها شاملة لجميع العباد دون تخصيص مؤمن وكافر، فكلهم عباده.

وقد ثبت عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، عز وجل، أنه قال: «يَا عِبادي، لَو أنَّ أَولَكُم وآخِرَكُم وإِنسَكُم وجِنَّكُم كَانُوا عَلى قَلب أَتقَى عَبدٍ منكُم لَم يَزد ذَلك فِي مُلكِي شَيئاً، ولَو كَانُوا عَلى أفجَر قَلبِ رَجُلٍ لَم يَنقُص ذَلك من مُلكِي شَيئاً، ولَو اجتَمَعُوا فِي صَعيدٍ واحدٍ فَسألُونِي فَأعطيتُ كُلَّ إِنسانٍ منهُم مَا سَألَ لَم يَنقُص ذَلك من مُلكِي شَيئاً إلا كَما يَنقُصُ البَحرُ أَنْ يَغمِس فِيه المَخِيطُ غمسةً واحدةً، يا عِبادِي إِنَّما هِي أَعمالُكُم أجعَلُها عليكُم فَمن وجَد خَيراً فَليحمَدِ الله، ومن وَجدَ غَيرَ ذَلك فَلا يَلُومُ إلا نَفسهُ»(٢).

ثم قابل الكفر بالشكر، فقال: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ تؤمنوا به تعالى وتوحدوه ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

الآية السابعة والعشرون:

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣) [الشورى: ١١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧١٩).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح(٤٥) كتاب البر والصلة (١٥)باب :تحريم الظلم حديث رقم (٢٥٧٧)

(٣) تعد هذه الآية الكريمة إحدى الآيات التي استدل بها أهل السنة والجماعة في الرد على فرقتي المعطلة والمشبهة في آن واحد، يرى المعتزلة فنفي صفتي السمع والبصر عن الله عز وجل، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
=

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية لبيان أصل عظيم من أصول الإيمان، فالله جل جلاله لا يشبهه في شيء من صفاته شيء من الوجود، وإذا كان نظام الله في الكائنات قائماً على التزاوج والتناسل فإن الله عز وجل ليس له زوجة ولا ولد، وهو منفرد في ذاته، وفي صفاته.

وختم الله تعالى الآية بإثبات صفتين من صفات ذاته العلية؛ فهو سميع لا يدق عليه شيء من الأصوات مهما خبا، وبصير بكل ما يُرى وما لا يُرى، جل في علاه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ،فلما نفت الآية الكريمة في جزء منها أن يكون لله تعالى شبيه أو مثل، فهو لا يشبهه شيء من الأشياء، في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ جاءت الفاصلة القرآنية: ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ حتى لا يتوهم أنه –جل وعلا– لا صفة له، كما أن لا مثيل له.

وقد أشار إلى ذلك المعنى غير واحد من المفسرين، فقال النسفي (ت: ٧١٠): «﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لجميع المسموعات بلا إذن ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ لجميع المرئيات بلا حدقة، وكأنه ذكرهما ؛ لئلا يتوهم أنه لا صفة له كما لا مثل له»[1].

= يقول الشهرستاني (ت: ٥٤٨): (واتفقت المعتزلة على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته تعالى، لكن اختلفوا في وجود وجودها، ومحامل معانيها) ويحكي الشهرستاني آراء المعتزلة في معنى كونه سميعاً بصيراً، فيقول:(.. ومن قال من المعتزلة: إن المعنى بكونه سميعاً بصيراً، أنه حي لا آفة به) وقال في موضوع آخر:(إن الحي إذا سلمت نفسه عن الآفة سمي سميعاً بصيراً).

أما مذهب أهل السنة والجماعة، فهو إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى، وقد دل عليها النقل والعقل، والقول بنفيها مخالفة للنقل الصريح من الكتاب والسنة، وما خالفهما باطل بالاتفاق. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١: ٤٩).

(١) مدارك التنزيل (٤: ٩٨).

ويشير إلى ذلك المعنى أيضاً البقاعي (ت: ٨٨٥) حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لربما قال أهل التعنت: هذا معناه أنه ليس شيئاً؛ لأنا قد علمنا أن المثل هو الشيء، ولما كان قد أبطن نفسه سبحانه بهذا التنزيه إبطاناً عظيماً، وكان هذا الإغراق في البطون لا تحمله العقول، فلا يؤمن عليها النزوع إلى التعطيل، قربه بنوع ظهور بذكر ما نعقله من الأوصاف بعد الأمن من التشبيه لمن يأمل الكلام، وحكم العقل وطرد الوهم، فأتى بأوضح مما نحسه من أوصافنا، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)].

ومما تقدم يتبين من كلام البقاعي أن الله تعالى لما نفى عن ذاته العلية أن يشبه شيء طَرَدَ ما قد يتوهم من تعطيل صفاته، فذكر صفتي السميع البصير.

ويقَرِّرَ هذا المعنى كذلك إسماعيل حقي (ت: ١١٢٧) فيقول: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ «لئلا يتوهم أنه لا صفات له كما لا مثيل له، فقد ضمنت الآية لإثبات الصفة ونفي التشبيه»[(٢)].

ويؤيد ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤) من سَبَقَهُ في هذا الاحتراس، فيقول: «﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ذكرهما ؛ لئلا يتوهم أنه لا صفة له، كما لا مثل له، وقدم تنزيهه عن المماثلة على وصفه بالسمع والبصر؛ ليعلمنا أن سمعه وبصره ليس كسمعنا وبصرنا»[(٣)].

فابن عجيبة يرى أنه لو لم تذكر صفتي السميع والبصير لتوهم أنه لا صفة له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وكذلك ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، يرى أن هذه الآية واقعة في موقع الاحتراس ، فيقول: «لما أفاد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ صفاتِ السُلوبِ أعقب بإثبات صفة العِلم لله تعالى، وهي من الصفات المعنوية ،وذلك بوصفه بـ: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

(١) نظم الدرر (٦: ٦٠٦- ٦٠٧) بتصرف.

(٢) روح البيان (٨: ٣٢٥).

(٣) البحر المديد (٦: ٣٦٢).

الدالين على تعلق علمه بالموجودات من المسموعات والمبصرات تنبيهاً على أن نفي مماثلة الأشياء لله تعالى لا يتوهم منه أن الله منزَّهَ عن الاتصاف بما اتصفت به المخلوقات... ولكن صفات المخلوقات لا تشبه صفاته تعالى في كمالها»(١).

ومما سبق يتضح بجلاء وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وإن لم يذكره صراحة من أشار إليه، لكن بيانه بذكر مقصده لازم من لوازم الاحتراس أيضاً.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المراد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نفي تشبيه من كل وجه، ولم يتطرقوا للإشارة لمعنى الاحتراس، والشاهد في ذلك قول الطبري (ت: ٣١٠): قوله: «﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، يقول جل ثناؤه واصفاً نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء»(٢).

وقال أبو السعود (ت: ٩٨٢): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أي: ليس مثله شيء في شأن من الشؤون التي من جُمْلَتِها هَذا التدبيرُ البديعُ، والمراد من مثله في ذاتُه... ثم سُلكتْ هذه الطريقة في شأنِ من لا مثلَ لهُ، وقيلَ: مثلُه صفتُه، أي: ليسَ كصفتِه صفة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»(٣).

وهناك أقوال أخرى لعدد من المفسرين، لا تخرج عن هذا الإطار، أكتفي بالإحالة عليها(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥: ٤٨) بتصرف يسير.

(٢) جامع البيان (١١: ١٣٣).

(٣) إرشاد العقل السليم (٦: ١١).

(٤) ينظر على سبيل المثال: بحر العلوم (٣: ٢٢٦)، والكشف والبيان (٨: ٣٠٩)، والمحرر الوجيز (٥: ٣٢)، ومفاتيح الغيب (٢٧: ١٣١)، وغرائب القرآن (٦: ٧٠)، وأنوار التنزيل (٥: ١٢٦)، والبحر المحيط (٧: ٦٧٧)، ولباب التأويل (٦: ١١٨)، والوجيز (٢: ٩٦٤)والسراج المنير (٦: ٣٧٩)، وحاشية القونوي (١٧: ٢١١)، والفتوحات الإلهية (٧: ٤٥)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٣)، والتفسير الحديث (٤: ٤٤١)، وروح المعاني (١٣: ١٩)، والتفسير المنير (١٣:٣٣).

ومما سبق يتبين وبجلاء وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد صَرَّحَ به غير واحد من المفسرين، وأشار لمعناه آخرون، وقد جاء الاحتراس في هذه الآية الكريمة؛ ليقَرَّرَ أصلاً من أصول التوحيد، وهو توحيد الله بأسمائه وصفاته، ويسهم هذا الأسلوب (الاحتراس) في نفي التشبيه عن الله تعالى، وإثبات صفات الكمال، والعظمة في أسمائه وصفاته.

الآية الثامنة والعشرون:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩].

*** الدراسة والتحليل:**

بينت هذه الآية الكريمة أن الله تعالى كثير اللطف بعباده، بالغ الرأفة بهم، ومن ألطافه ومنافعه أنه يرزق جميع عباده البر والفاجر، يرزق من يشاء منهم، فيوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، وهو العظيم القوي الذي لا يغلب، والمنيع الذي لا يقهر.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله: ﴿ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ بعد أن ذكرت الآية أن الله لطيف بعباده، يرزق من يشاء منهم، فقد يتوهم أن هذا العطاء عن عجز وعدم قدرة، فختمت الآية بنفي ذلك، وبينت أن الله قوي عزيز، يرزق من يشاء عن قوة وعزة.

وقد صَرَّحَ بمجيء الاحتراس في الآية الكريمة ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «وعُطف: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ على صفة ﴿ لَطِيفٌۢ ﴾ أو على: ﴿ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ وهو تمجيد لله تعالى بهاتين الصفتين، ويفيد الاحتراس من تَوَهُّمَ أن لطفه عن عجز أو مصانعة فإنه قوي عزيز لا يَعجز، ولا يُصانع، أو عن تَوَهّم أن رزقه لمن يشاء عن شح أو قلة، فإنه القوي، والقوي تنتفي عنه أسباب الشح»[1].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥: ٧٣).

ولم أقف على من ذكر الاحتراس في تفسيره لهذه الآية[1]، لكن هناك إشارات بعيدة تلمح لمقصد الاحتراس عند هذه الآية، ومن ذلك ما ذكره القونوي (ت: ١١٩٥)، حيث قال: «فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ مؤكد لقوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ ، و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ مقَرِّرَ لقوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ ؛لأن معناه لا يغلب على ما يريده، ففيه طريق لف ونشر مرتب»[2].

ويرى القونوي (ت: ١١٩٥) أن الله يرزق من يشاء من عباده إذا شاء، والله قوي لا يغلبه أحد على ما يريد، وإلى هذا المعنى يشير أيضاً عبد الرحمن الميداني حيث يقول: «﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾، ومع كون الله تبارك وتعالى لطيفاً بعباده يعطيهم الرزق، هو أيضاً قوي عزيز، وهو وحده كامل القوة، وكامل العزة، لا يشاركه من كمالها أحد»[3].

الآية التاسعة والعشرون:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان (١١: ١٤٠)، وإرشاد العقل السليم (٦: ٥)، وحاشية الشهاب (٨: ٣٤٥)، والفتوحات الإلهية (٧: ٥٣)، وبحر العلوم (٣: ٢٢٩)، وحقائق التفسير (٢: ٢٢٧)، والكشف والبيان (٨: ٣٠٨)، والوجيز (٢: ٩٦٣)، ومعالم التنزيل (٤: ١٢٣)، والمحرر الوجيز (٥: ٣٢)، ومفاتيح الغيب (٢٧: ١٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٨: ٤٥٩)، وأنورا التنزيل (٥: ١٢٦)، ومدارك التنزيل (٤: ١٠٠)، والتسهيل (٤: ١٩)، وروح المعاني (١٣: ٢٨)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٦) وغيرها.

(٢) حاشية القونوي (١٧: ٢٢٣).

(٣) معارج التفكر ودقائق التدبر (١٢: ٦١٢).

*** الدراسة والتحليل:**

صُدِّرَتْ هذه الآية بالاستفهام الإنكاري ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾؛ للرد على شبهات منكري البعث، فضرب لهم مثلاً، فخلق السماوات والأرض - من حيث هو - أيسر من خلق الإنسان، ولفت الانتباه إلى عظيم القدرة، فقال: ﴿ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ ، فجاء الاحتراس لتعظيم الله عز وجل، وبيان كمال قدرته.

*** الاحتراس وموقف المفسرين:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾،فيكون معنى الآية: إن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات، ولم يعجزه خلقهن، فجاء الاحتراس:﴿ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ دفعاً لتوهمٍ قد يتبادر إلى أذهان منكري البعث، فدفع هذا التوهم بتعظيم الله وإثبات قدرته.

ولم أقف على من صَرَّحَ بالاحتراس من المتقدمين، أو ذكره مقصده ،لكن وجدت إشارة عند صاحب(التفسير البلاغي للاستفهام)، حيث صَرَّحَ بالاحتراس، فقال: ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ احتراسٌ وتمدُّحٌ، احتراس لدفع ما يتوهم ثبوته، من أن الله أصابه جهد وإعياء من جراء خلقه السماوات والأرض، وتمدُّحٌ بكمال قدرة الله عز وجل.

فالمؤلف يرى وقوع الاحتراس في قوله: ﴿ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾، ويرى أن هذا الاحتراس جاء للتَمَدُحِ بكمال قدرة الله عز وجل[1].

وهذا المعنى الذي ذكره في الاحتراس وُجِدَ عند غير واحد من المفسرين، لكنه لم يتضمن إشارة للاحتراس، أو ما يدل على مقصده بالعبارات المعهودة التي سبق أن سطرها المصنفون للدلالة على موقع الاحتراس؛إنما جاء بأسلوب آخر، وهو أسلوب التفسير التحليلي لمعنى الآية.

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام (٤: ١٠٥).

ومن ذلك ما ذكره الإمام الطبري (ت: ٣١٠) حيث قال: «ويعلموا أن الله الذي خلق السموات السبع والأرض، فابتدعهنّ من غير شيء، ولم يعي بإنشائهنّ، فيعجز عن اختراعهنّ وإحداثهنّ ﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، فيخرجهم من بعد بلائهم في قبورهم أحياءً كهيئتهم قبل وفاتهم»[١].

ويتبيّنُ من حديث الطبري أن معنى الاحتراس جاء لتمجيد الله والثناء عليه؛ فالله سبحانه (لم يعجز عن اختراعهن وإحداثهن) – أي السماوات–، وهذا الذي أورده الطبري تابعه عليه صاحب(التفسير البلاغي)، وبخاصة أن الآية الكريمة جاءت في مقام مجادلة منكري البعث.

وقريب منه ما ذكره السمعاني (ت: ٤٨٩)، بَيْدَ أنه أوجز في العبارة، إذ قال: «أي: لم يعجز ولم يتعب، بخلاف ما قالته اليهود: إنه تعب من خلقهن، فاستراح يوم السبت»[٢].

وهذا المعنى تواتر عليه غير واحد من المفسرين[٣]، وقد خلت أقوالهم من الإشارة للاحتراس، أو مقصده، أو معناه.

ويرى الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): أن «﴿وَلَمۡ يَعۡىَ﴾ دالاً على سعة علمه بدقائق ما يقتضيه نظام السماوات والأرض»[٤].

---

(١) جامع البيان (١١: ٣٠١).

(٢) تفسير السمعاني (٥: ١٦٤).

(٣) ينظر على سبيل المثال: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٠: ٣٢٩٧)، وبحر العلوم (٣: ٢٧٩)، وتفسير ابن زمنين (٤: ٢٣٢)، وحقائق التفسير (٢: ٢٤٥)، ومعالم التنزيل (٤: ١٧٥)، والكشاف (٤: ٣٠٥)، ووالجامع لأحكام القرآن (١٩: ٢٣١)، ومدارك التنزيل (٤: ١٤٣)، والتسهيل (٤: ٤٥)، والبحر المحيط (٨: ٩٥)، النهر الماد (٥: ١٧٩)، والجواهر الحسان (٩: ٢٤)، وتفسير الجلالين (ص: ٦٧١)، والدر المنثور (٧: ٤٥٣)، وحاشية زاده (٧: ٥٧٥)، وحاشية الشهاب (٨: ٢٨٢)، وغرائب القرآن (٦: ٢٥)، والدر المصون (٦: ٤٤)، ونكت القرآن (٤: ١٤٧)، واللباب (١٧: ٤١٨)، ونظم الدرر (٧: ١٤٤).

(٤) التحرير والتنوير (٢٦: ٦٥).

ولم أقف على من ذكر الاحتراس من المفسرين من قريب أو بعيد، لكن الناظر والمتأمل في الآية يلمح الاحتراس ظاهراً؛ فالله عز وجل لفت الانتباه إلى خلق السماوات والأرض، وفي ذلك إثبات لقدرته، ومن تمام عظمته أنه﴿ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾، فلو لم يأتِ الاحتراس لتوهم خلاف المراد، و بخاصة أن الآية الكريمة وردت في معرض مجادلة منكري البعث، وبهذا يثبت وجود الاحتراس في الآية. والله أعلم.

الآية الثلاثون:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣] .

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في سياق آيات في التمجيد والثناء على الله عز وجل؛ فهذه الآية تبين جزءاً من صفات الله عز وجل، فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، يعلم الظاهر والباطن، ولا يخفى عليه شيء.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾،لما ذكر الله عز وجل الظاهر والباطن أردفه بقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾؛ حتى لا يتوهم أن بطونه تعالى عن الأشياء يستلزم بطونها عنه، فجاءت الفاصلة القرآنية لدفع ذلك التوهم، وإثبات سعة العلم لله عز وجل.

وقد أشار إلى مقصد الاحتراس دون التصريح به غير واحد من المفسرين، فقال محيي الدين شيخ زاده (ت: ٩٥١): «وعلى هذا يكون التذييل بقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾؛ لئلا يتوهم أن بطونه تعالى عن الأشياء يستلزم بطونها عنه تعالى» (١).

---

(١) حاشية محيي الدين شيخ زاده (٨: ١٠٣).

وهذا الرأي ذاته نقله الألوسي (ت: ١٢٧٠)، فقال: «التذييل بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ لئلا يتوهم أن بطونه تعالى عن الأشياء يستلزم بطونها عنه عز وجل»[(١)].

ويتضح من عبارات المفسرين مقصد الاحتراس، وإن لم يصرِّحوا به، حيث اكتفوا بذكر مقصده بعبارة دالة على ذلك بقولهم: (لئلا يتوهّم).

وهذا المعنى والمقصد الذي أشاروا إليه ذكره غير واحد من المفسرين؛ لأنه دال عليه معنى الآية، وسياق الحديث، فقال البقاعي (ت: ٨٨٥): «﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي لكون الأشياء عنده على حد سواء، والبطون والظهور إنما هو بالنسبة إلى الخلق، أما هو سبحانه فلا باطن من الخلق عنده، بل هو في غاية الظهور لديه؛ لأنه هو الذي أوجدهم»[(٢)].

ويوافق الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧) من سَبَقَهُ فيقول: «﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: لكون الأشياء عنده على حد سواء، والبطون والظهور إنما هو بالنسبة إلى الخلق، أما هو سبحانه وتعالى فلا باطن من الخلق عندهم، بل هو في غاية الظهور لديه؛ لأنه الذي أوجدهم»[(٣)].

كما يؤيد هذا الرأي القونوي (ت: ١١٩٥) فيقول: «ويستوي عنده الظاهر والباطن، إلا فيما بينكم، وإلا فكل الأشياء ظاهرة عنده، والشيء هنا عام للواجب والممكنات والممتنعات»[(٤)].

وهذا المعنى الذي أورده من سبق يكاد يتفق عليه غير واحد من المفسرين، وإن اختلفت عباراتهم في إيراده، والتعبير عنه، لكنهم متفقون أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إنما

---

(١) روح المعاني (١٤: ١٦٧).

(٢) نظم الدرر (٧: ٤٣٦).

(٣) السراج المنير (٧: ٣٠٦).

(٤) حاشية القونوي (١٨: ٤٣٩).

عنى الظاهر والباطن، بالنسبة للمخلوقين، أما الباري عز وجل فالأمر كله إليه، ولا يعزب عنه شيء في الوجود، في الظاهر والباطن، وأقوال المفسرين في ذلك التي تؤيد هذا المعنى مبثوثة في مواطن كثيرة يطول ذكرها، أكتفي بالإحالة عليها(١).

وبذلك يتحقق وجود الاحتراس في الآية الكريمة؛ لاتفاق غير واحد من المفسرين على مقصده، وإيراد آخرين معنى الاحتراس، ويقوي ذلك كله سياق الآية الذي يدعو إليه ويؤكده. والله أعلم.

الآية الحادية والثلاثون:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في هذه الآية الكريمة أكثر من احتراس، فكل اسم من أسماء الله الحسنى احتراس بالنسبة لسابقه، أذكرها تباعاً، كما أوردها ابن عاشور (ت: ١٣٩٣).

ذكر الطاهر ابن عاشور الاحتراسات الواردة في الآيات:

الأول قال: «وعقب بـ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ وصف ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ للاحتراس، إشارة إلى أنه منزَّهَ عن نقائص الملوك المعروفة، من الغرور والاسترسال في الشهوات، ونحو ذلك من نقائص النفوس».

(١) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان (١١: ٦٧٠)، والكشف والبيان (٩: ٢٣١)، والوجيز (٢: ٦٦)، وتفسير السمعاني (٥: ٣٦٥)، وتفسر مدارك التنزيل (٤: ٢١٤)، والجلالين (١: ٧١٨)، والبحر المحيط (١: ٣٠٧)، والتسهيل (٤: ٩٥)، والدر المنثور(٨: ٤٩)، وإرشاد العقل السليم (٦: ١٩٩)، وغرائب القرآن (٦: ٢٥٢)، والفتوحات الإلهية (٧: ٤١٢)، وفتح القدير (٥: ٢٢٠)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٩)، والتحرير والتنوير (٢٧، ٣٦٣).

الثاني: ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ بالنسبة لما قبلها، بعد أن عقب بـ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾؛للدلالة على نزاهة ذاته عُقب بـ ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾؛للدلالة على العدل في معاملته الخلق، وهذا احتراس أيضاً.

الثالث: وذكر وصف ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ عقب الأوصاف التي قبلها إتماماً للاحتراس، من توهم وصفه تعالى بـ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ أنه كالملوك المعروفين بالنقائص، فأفيد أولاً نزاهة ذاته بوصف ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾، ونزاهة تصرفاته المغيبة عن الغدر والكيد بوصف ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾، ونزاهة تصرفاته الظاهرة عن الجور والظلم بوصف﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾[(١)].

«وتعقيب ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾؛ لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف أو عن مجافاة غيره، فأُعْلِموا أن تأمينه لحكمته مع أنه رقيب مطلع على أحوال خلقه فتأمينه إياهم رحمة بهم»[(٢)].

ولم أقف على من ذكر الاحتراس في هذه الآية، سوى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، لكن المتأمل في الاحتراس يجد أن هذا الذي أورده ابن عاشور قد ذكره غير واحد من المفسرين على اختلاف أعصارهم في شرحهم لأسماء الله الحسنى، غير أنه مجرد عن مصطلح الاحتراس، ومن ذلك ما أورده الثعلبي (ت: ٤٢٧)، حيث قال: «﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ الظاهر من كل عيب، المنزَّهَ عما لا يليق به»[(٣)].

وهذا هو عين ما ذكره ابن عاشور إذ يرى أن ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ احتراس، حتى لا يتوهم أن له مثل أوصاف الملوك التي تحفها النقائص والعيوب.

قال الثعلبي (ت: ٤٢٧): «﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ قال بعضهم: المصدق لرسله بإظهار

(١) التحرير والتنوير (٢٨: ١٢٠- ١٢١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧: ١٢٢)

(٣) الكشف والبيان (٩: ٢٨٧).

معجزاته عليهم، ومصدق للمؤمنين ما وعدهم من الثواب، وقابل إيمانهم، ومصدق للكافرين ما أوعدهم من العقاب، ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾: المسيطر»[١].

كما قَرَّرَ غير واحد من المفسرين ذلك ما بين موجز ومطنب في شرح أسماء الله الحسنى وما تدل عليه، وأختار منها ما ذكره القاسمي (ت: ١٣٢٢) لإيجازه في العبارة ودلالته على المعنى، حيث قال: «﴿ٱلۡقُدُّوسُ﴾ أي: المنزَّهَ عما لا يليق بجلاله تنزيهاً بليغاً، ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ الذي يسلم خلقه من ظلمه، أو المبرأ من النقائص كالعجز، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ أي: لأهل اليقين بإنزال السكينة، ومن فزع الآخرة، ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ أي: الرقيب على كل شيء باطلاعه واستيلائه وحفظه، ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: القوي الذي يغلب ولا يُغلب»[٢].

وهناك مواضع أخرى في هذا المعنى عند مفسرين آخرين أحيل إليها؛ لئلا يطول الكلام[٣].

ومما سبق من نصوص يتبين تحقق وقوع الاحتراس في عدة مواضع في هذه الآية الكريمة، وإن لم تنطق بها عبارات المفسرين، لكن معنى الآيات يشهد له، واللغة كذلك، فلما وصف نفسه تعالى بالملك نَزَّهَ نفسه عن ملك ملوك الدنيا؛ فملكه تعالى ليس كملكهم؛ فهو منزَّهَ عن العيوب والنقائص في ذاته العلية، وفي ملكه أيضاً، بينما ملوك الدنيا يعتريهم

---

(١) الكشف والبيان (٩: ٢٨٧) بتصرف يسير.

(٢) محاسن التأويل (٧: ٧٣).

(٣) ينظر على سبيل المثال: وبحر العلوم (٣: ٤١٠)، وتفسير ابن زمنين (٤: ٣٥٣)، والوجيز (٢: ١٨٦)، وتفسير السمعاني (٥: ٤٠٨)، ومعالم التنزيل (٤: ٣٢٦)، والمحرر الوجيز (٥: ٢٩٢)، وزاد المسير (٤: ٢٦٤)، والجلالين (١: ٧٣٤)، ومفاتيح الغيب (٢٩: ٢٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠: ٣٩٠)، وأنور التنزيل(٥: ٣٢٤)، ومدارك التنزيل (٤: ٢٣٥)، والتسهيل (٤: ١١١)، والبحر المحيط (٨: ٣٥١)، والجواهر الحسان (٩: ٢٨٧)، والسراج المنير (٧: ٣٨٨)، ونظم الدرر (٧: ٥٣٧)، وحاشية زاده (٨: ١٨٧)، روح المعاني (١٤: ٢٥٦)، والفتوحات الإلهية (٧: ٤٧٠)، وعيون التفاسير (٤: ٢٠٣).

النقص لبشريتهم، كذلك يعتري ملكهم النقص والزوال، كذلك لما ذكر من صفاته جل وعلا ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ أردفها بصفات تدل على القوة والعظمة، والله تعالى أعلم.

الآية الثانية والثلاثون:

قال تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١][(١)].

*** الدراسة والتحليل:**

افتتحت السورة الكريمة بتعظيم الله عز وجل الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وملك الدنيا والآخرة، وسلطانه نافذ، وملكه ليس كملك ملوك الدنيا، ثم أكّد تمام الملك بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾)،وفيه دلالة على الوحدانية والتفرد بالألوهية.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ بعد أن ذكر الله عز وجل أنه بيده الملك المطلق للسماوات والأرض ومن فيهن، مَيَّزَ مُلْكَهُ عن ملك ملوك الدنيا بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ تكميلاً لقدرته وعظمته، لا يمنعه مانع، ولا يحول دونه حائل.

---

(١) هذه الآية من الآيات التي تأولها المعتزلة، فجعلوا المراد باليد القدرة، وقد وردت في القرآن الكريم آيات تدل على أن لله يدياً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]. وقد رفضت المعتزلة ما تدل عليه الآيات من إثبات اليد لله عز وجل، لذلك أولوها بالقدرة، والملك والنعمة وغير ذلك.

يقول القاضي عبد الجبار (ت:٤١٤): إن اليد في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ (ص:٧٥) بمعنى القوة، وذلك ظاهر في اللغة، يقال: ما لي في هذا الأمر يدٌ: إي قوة.

وتأويل المعتزلة لليد بتلك التأويلات باطل، وأما مذهب أهل السنة والجماعة فهو إثبات الصفات لله تعالى، وإمرارها كما جاءت من غير تشبيه أونفي أوتعطيل. وقد جاء الاحتراس بهذه الآية الكريمة شاهداً لمذهب أهل السنة والجماعة ،وهوإثبات اليد لله تعالى .ينظر: المعتزلة وأصولهم، عواد المعتق (ص: ١٤٤).

وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين في عبارات متفاوتة، وألفاظ متباينة كلها تدل على الاحتراس ومقصده.

حيث أورد ابن التمجيد (ت: ٨٨٠) الاحتراس في هذه الآية تحت اسم (التكميل) فذكر: «أن الآية من باب التكميل؛ فالقرينة الأولى تدل على التصرف التام في الموجودات على مقتضى إرادته ومشيئته من غير منازع ولا مدافع، تصرف الملاك في ملكهم، لا يتصرف فيها غيره حقيقة، ولذلك قُدِّمَ الظرف للتخصيص، قال الإمام: هذه اللفظة إنما تستعمل لتأكيد كونه سبحانه وتعالى ملكاً ومالكاً، كما يقال: بيد فلان الأمر والنهي، والحل والعقد، والقرينة الثانية دالة على القدرة الكاملة الشاملة، ولو اقتصر على القرينة الأولى لأوهم أن تصرفه مقصور على تغيير أحوال الملك، فقرنت بالثانية؛ ليؤذن أنه عز سلطانه قادر على التصرف، وعلى إيجاد الأعيان المتصرف فيها، وعلى إيجاد عوارضها منها الذاتية وغيرها»[1].

ويرى ابن التمجيد (ت: ٨٨٠) أنه لو لم تذكر الفاصلة القرآنية: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأوهم أن تصرفه تبارك وتعالى مقصور على الملك والتصرف في أحواله، فجاء الاحتراس لنفي ذلك، وإثبات مطلق الملك لله عز وجل.

وبعبارة أوضح يرى البقاعي (ت: ٨٨٥) الاحتراس ويصوره بقوله: «لما كان المتصرف في الملك ربما يكون قدرته تامة ولا عامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ﴾ أي وحده له عظمة تستولي على القلوب، وسياسة تعم كل جلب نفع، ودفع ضر؛ لأنه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: يمكن يشاؤه من الملك وغيره من باطنه، وهو الملكوت وغيره مما وجد وما لم يوجد، ﴿قَدِيرٌ﴾ أي: تام القدرة»[2].

---

(١) حاشية ابن التمجيد (١٩: ١٧٦).

(٢) نظم الدرر (٨: ٦٤) بتصرف يسير.

وبنظرة أخرى يرى محيي الدين زاده (ت: ٩٥١) الاحتراس في هذه الآية بقوله: «بين الله تعالى بقوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أنه المستولي على التصرف في الموجودات كلها، وبقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قدرته على المعدومات الممكنة بأسرها، وأنه لا يخرج شيء من المعدومات الموجودات عن ملكه وقدرته، فيكون ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تكميلاً لقوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[1].

كما يوافق الصاوي (ت: ١٢٤١) من سَبَقَهُ فيقول: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تذييل لما قبله، قصد به إفادة أن قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الأحوال، بل عامة التعلق بها، وإيجاد الأعيان المتصرف فيها، أو تغييرها من حال إلى حال[2].

ولم يورد الصاوي ما يدل على الاحتراس، لكن عباراته نطقت بمقصده، فهو يرى أن الفاصلة القرآنية جاءت لدفع توهم اختصاص قدرة الباري عز وجل بالملك والتصرف، وإثبات أن قدرته مطلقة عامة تشمل ما كان وما لم يكن.

ويؤيد الألوسي (ت: ١٢٧٠) من سَبَقَهُ بعبارات قريبة مما ذكره ابن التمجيد (ت: ٨٨٠هـ) فقال: «﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تكميل لذلك؛ لأن القرينة الأولى تدل على التصرف التام في الموجودات على مقتضى إرادته سبحانه ومشيئته من غير منازع، ولا مدافع ولا متصرف فيها غيره عز وجل، كما يؤذن به تقديم الظرف، وهذه تدل على القدرة الكاملة الشاملة، ولو اقتصر على الأولى لأوهم أن تصرفه تعالى مقصور على تغيير أحوال الملك، كما يشاهد من تصرف الملاك المجازي»[3].

---

(١) حاشية محيي الدين زاده (٨: ٢٦٧).

(٢) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٦: ١٣٩).

(٣) روح المعاني (١٥: ٤) بتصرف يسير.

كانت تلك هي أبرز الإشارات التي وقفت عليها، والتي تدل على معنى الاحتراس، كما لم يخل الأمر من إشارات، لكنها بعيدة متناثرة بين طيات كتب التفسير، وأشير إلى ما أرى أنه ذو دلالة قوية على المراد من الاحتراس، ومن ذلك ما ذكره أبو السعود (ت:٩٨٢) فقال: «﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء ﴿قَدِيرٌ﴾ مبالغ في القدرة عليه، يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة، والجملة معطوفة على الصلة، مقَرِّرَة لمضمونها، مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلائل الأمور ودقائقها»[(١)].

يفهم من عبارة أبي السعود (ت: ٩٨٢) أن قوله: «مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلائل الأمور ودقائقها» وكأن هذا هو ما أفاده قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو أعم من قوله: (له الملك)؛ فالملك قد يدخل به أفراد من ملوك الدنيا بأيديهم مقاليد الحكم والتصرف في أحوال الرعية، فجاءت الفاصلة القرآنية لتخصيص الباري وانفراده بملك كل شيء، والقدرة على كل شيء سبحانه وتعالى.

وكذلك يرى الشوكاني (ت: ١٢٥٠)، فيقول: «﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الأشياء بتصرف في ملكه كيف يريد من إنعام وانتقام، ورفع ووضع وإعطاء ومنع»[(٢)].

وهذه المقولة المجملة من كلام الشوكاني سبقه إليها غير واحد من المفسرين، وإن تباينت عباراتهم في طريقة عرضها؛ فهي في طياتها تحمل معنى عام للقدرة[(٣)].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٦: ٢٧٣).

(٢) فتح القدير (٥: ٣٤٣).

(٣) ينظر على سبيل المثال: مفاتيح الغيب (٣٠: ٤٨٠)، وأنوار التنزيل (٥: ٣٦٠)، وتفسير القرآن العظيم (٨: ١٧٦)، وفتح البيان (٧: ١٤٧)، والفتوحات الإلهية (٨: ٥٦٠)، وحاشية القونوي (١٩: ١٧٧).

كما أن هناك غير واحد من المفسرين(١) أجملوا الحديث في الآية دون البحث في أسرارها، ولم يعرضوا لذكر الاحتراس أو لغيره من فنون البلاغة.

الآية الثالثة والثلاثون:

قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩](٢).

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٢: ١٦٤)، وتفسير السمعاني (٦: ٦) ومعالم التنزيل (٤: ٣٦٩)، وزاد المسير (٤: ٣١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢١، ١٠٩)، والتسهيل (٤: ١٣٣)، والجلالين (١: ٧٥٤)، محاسن التأويل (٧: ١٤٦)، وحاشية زاده (٨: ٩٣)، وروح البيان (١٠: ٧٥)، وغرائب القرآن (٦: ٣٢٤)، والبحر المديد (٨: ٩١)، والدر المصون (٦: ٣٤٠).

(٢) هذه الآية من الآيات التي يتأولها المعتزلة، ولا يمرونها على وجهها؛ فهم يرون أن أفعال العباد هم المحدثون لها غير مخلوقة فيهم، وقال القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥) من أعلام المعتزلة:« اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه وتعالى خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه، وأحالوا حدوث فعل من فاعلين) (المغني في أبواب العدل والتوحيد (٨: ٣). كما ترى المعتزلة أن في القول بأن الله تعالى خالق أفعال العباد تجويراً له تعالى، قال: القاضي عبد الجبار: «... إنه لا يجوز أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد، هو أن أفعال العباد ؛ما هو ظلم وجور،فلو كان تعالى خالقاً لها لوجب أن يكون ظالماً جائراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» شرح الأصول الخمسة (ص: ٣٤٥).

ويرى أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد، بمنزلة الأسباب للمسببات، فالعباد لهم قدر ومشيئة وإرادة، لكنها داخلة تحت قدرة الله ومشيئته، كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. ينظر: مجموع الفتاوي (٨: ٩٣)، ويقول الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد» شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٩٣).

وقد جاء الاحتراس في الآية الكريمة مقَرَّراً لمذهب أهل السنة والجماعة، فيقَرِّرَ الاحتراس أن مشيئة العبد تحت مشيئة الخالق، ويبدو هنا أسلوب الاحتراس أنه وسيلة مواتية لإثبات مذهب أهل السنة، ولا يُعدّها وسيلة أخرى.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

انتظم الاحتراس في آخر الآية: «﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لما ذكرت الآية: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أتبعها بمشيئة الله عز وجل احتراساً من أن يتوهم أن للعبد مطلق المشيئة، والاحتراس أن المشيئة أمرها إلى الله، «وكل ميسر لما خلق له»[(١)].

وقد صَرَّحَ بوقوع الاحتراس في الآية ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «والمقصود التكميل والاحتراس في معنى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، أي: لمن شاء له ذلك من العالمين»[(٢)].

تلك كانت هي الإشارة الوحيدة التي صَرَّحَ فيها بمصطلح الاحتراس ممن وقفت على تفاسيرهم، لكن معنى الاحتراس الذي ذكره ابن عاشور ذكره غير واحد من المفسرين، وقَرَّرَوه في عباراتهم، وإن لم تنطق حروفهم (**بالاحتراس**)، لكن المعنى يدل عليه، والسياق يدعو له، فمن كتب في تفسير هذه الآية ذكر أن مشيئة العبد تحت مشيئة الباري عز وجل، ومن ذلك ما أورده القرطبي (ت: ٦٧١): «﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي: يتبع الحق ويُقيم عليه، وقال أبو هريرة: لما نزلت: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فنزلت: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)] فيتبين بهذا أنه لا يعمل العبد خيراً إلا بتوفيق الله، ولا شراً إلا بخذلانه»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب (٢٤) قوله تعالى: (فاقرؤوا ما تيسر منه، حديث رقم (٧٥٥١، ٧٥٥٢). أخرجه مسلم في كتاب القدر، حديث رقم (٤٧٠٩).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠: ١٦٧)

(٣) أخرجه الطبري (١٢: ٤٧٥)، عن سليمان بن موسى، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٥٣)، والسيوطي في لباب النقول (ص: ٢٨٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٢: ١١٩).

وهذا الرأي يوافقه ابن كثير (ت: ٧٧٤) حيث قال: «﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن؛ فإنه منجاة، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي ليست المشيئة موكلة إليكم، فمن شاء اهتدى، ومن شاء ضل، بل ذلك تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين»(١).

وتواترت على هذا الرأي آراء وأقوال غير واحد من المفسرين، وهو يدل ابتداء على المعنى المراد من الاحتراس،و يضيق المقام عن ذكرها، فأكتفي بالإحالة إليها(٢).

❀❀❀

(١) تفسير القرآن العظيم (٨: ٣٤٠)

(٢) ينظر على سبيل المثال: وجامع البيان (١٢: ٤٧٥)، وبحر العلوم (٣: ٥٣١)، والكشف والبيان (١٠: ١٤٤)، ومعالم التنزيل (٤: ٤٥٤)، والمحرر الوجيز (٥: ٣٣٦)، وأنوار التنزيل(٥: ٣٥٩)، ومدارك التنزيل (٤: ٣٢١)، والجواهر الحسان (١٠: ١٤٤)، وعيون التفاسير (٤: ٢٨٩)، ونظم الدرر (٨: ٣٤٤)، وحاشية الشهاب (٩: ٤٣٢)، ومفاتيح الغيب (٣١: ٦٩)، والدر المصون (٦: ٤٨٧)، وروح البيان (١٠: ٣٦٠)، والبحر المديد (٨: ٢٥١)، وحاشية الصاوي (٦: ٢٤٤)، وروح المعاني (١٥: ٢٦٦)، ومحاسن التأويل (٧: ٢٧٤)، وفتح البيان (٧: ٣٧٦).

المطلب الثاني

تذييل الآيات القرآنية بالأسماء الحسنى ودلالتها

توطئة:

يقف المتأمل لكتاب الله على ختم الآيات بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته، وهو ما يُعرف بالفاصلة[١].

فجاء القرآن مفصلاً بالفواصل؛ ليعجز العرب الذين برعوا في تزيين الكلام بالأسجاع[٢]، وتوشيح العبارات بالكلمات المتماثلة في النطق، المؤدية لمعاني شتى، فوجدوا فيه ما يبهر الأسماع، وتتقاصر عن بلوغ معانيه قرائحهم، ويتراجع أمام فواصله بلاغتهم، وصدق الله القائل: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١] .

ومن روائع الفواصل ما ختم بأسماء الله تعالى الحسنى، حيث ختمت آيات كثيرة بذلك، مما يشي بأن لها دلالات ومعاني تؤديها، ولذا كان لا بد من الوقفة المتأملة لهذه الظاهرة، والتي يستدعي في المقام الأول الوقوف على معنى (**التذييل**) ومفهوم الدلالة؛ ليفهم المراد من هذا المطلب.

---

(١) فرق أبوعمروالداني (ت: ٤٤٤)، بين الفواصل ورؤوس الآي ،فقال: «أما الفاصلة فهي: الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغيره، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب؛ لتحسين الكلام بها»، وتعريف الفاصلة كما ذكره الزركشي. (ت: ٧٩٤):« هي: كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع». ينظر: البرهان في علوم القرآن (١ : ٥٣).

(٢) السجع: يكون مقاطع الكلام فيه متحدة في الحروف، والفاصلة أعم من السجع، والقرآن منزَّهَ عن أن يقال فيه سجع.

التذييل: عرفه الزركشي (ت: ٧٩٥) بقوله: ذَيْلٌ مصدرُ (ذَيلَ) للمبالغة، وهي جعل الشيء ذيلاً للآخر.

اصطلاحاً:

أن يؤتي بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه»[١].

كما عرفه السيوطي (ت: ٩١١) بقوله: «هو أن يؤتى بجملة عقب جملة ثانية تشمل على المعنى الأول؛ لتأكيد منطوقه أو مفهومه؛ ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقَرَّرَ عند من فَهِمَهُ»[٢].

الدلالة في اللغة[٣]:

من :دل يدُلَّ دِلالة، والدليل: هو المرشد: أي ما يُسْتَدَلُّ به.

الدلالة في الاصطلاح[٤]:

هي: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول.

أما تعريف الدلالة اللفظية التي هي موضع البحث في هذا المقام فهي: كون اللفظ متى أُطْلِقَ أو تُخيلَ فُهِمَ منه معناه للعلم بوضعه.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٨).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢: ١٩٩).

(٣) لسان العرب، مادة (دَلَلَ).

(٤) التعريفات (ص: ١٣٩).

وتنقسم الدلالة اللفظية الوضعية ثلاثة أقسام، هي[(١)]:

١- **دلالة المطابقة**: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له.

٢- **دلالة التضمين**: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.

٣- **دلالة الالتزام**: دلالة اللفظ على خارج معناه، وجميع هذه الدلالات تدل عليها أسماء الله الحسنى؛ فدلالة المطابقة تدل على ذات المسمى - وهو الله عز وجل - وعلى الصفة التي اشتق منها؛ فإن اسم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ يدل على الله -عز وجل- ،ويدل على صفة البصر بالمطابقة.

ومثل ذلك في دلالة التضمين؛ فتدل الأسماء الحسنى على ذات الله وحده، أو على الصفة التي اشتق منها الاسم، فاسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يدل ضمناً على ذات ﴿ٱللَّهُ﴾، ويدل دلالة ضمنية على صفة الرحمة.

وأخيراً في دلالة اللزوم؛ فإن اسم ﴿ٱلْحَيُّ﴾ يدّل على وصفة الحياة بالالتزام، وكذلك سائر أسمائه وصفاته.

وإن ختم بعض آيات القرآن الكريم بأسماء الله الحسنى وصفاته ليُعدّ سراً من أسرار الإعجاز القرآني[(٢)].

ويلحظ المتأمل لكتاب الله تعالى اقتران ثنائي بين أسماء الله في الفواصل القرآنية، ونجد أن كل اسم يختتم به الآية يتناسب مع أوله من حيث المعنى، وهذا ما قَرَّرَه الاحتراس في مقاصده.

---

(١) مدارج السالكين (١: ٤٦)، وما بعدها. بتصرف.

(٢) سجل عديد من الرسائل تحت عنوان: (الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها)، في جامعة أم القرى لعدد من الباحثين منهم: عبد الودود مقبول حنيف، وداوود عبد الجبار، ومحمود مصطفى آيدين.
والاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم للفخري أحمد الجريسي،. جامعة الموصل، عام ١٩٩٨م.

وقد نجد في كل فاصلة أن الكلام يُخْتَمُ بما يتلاءم مع أوله في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾، فختمت الآية بما يتلاءم مع أولها؛ فـ﴿ ٱللَّطِيفُ ﴾ يلائم ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾،و﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ يلائم ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ وقد سبقت الإشارة إلى معنى ذلك.

كما قد يكون التناسب بين ختام الآية وبين ما ذكر في أولها خفياً لا يدرك إلا بعد طول تأمل وإطالة نظر، كما ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فإن قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ قد يوهم أن في الآية تقديماً وتأخيراً، فيكون: ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، لكن عند التأمل والتدبر في الآية، ومع استحضار أسلوب الاحتراس، يظهر أن الآية باقية على نظمها؛ لأنه لا يعذب ويقدر متى يشاء إلا العزيز الذي لا يغلب، والحكيم الذي يضع الأمور في موازينها، فالعفو عن المسيء مع كمال القدرة على التعذيب من الحكمة، ولا يقدر على ذلك إلا الله جل وعز.

وكثيراً ما تختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلَي، وهذا الختم له أسرارٌ وحِكَمٌ ينطوي عليها.

وقد تعددت وجهات نظر العلماء إزاء هذه الدلالات التي تدل عليها.

كما يلحظ أن ختم الآيات القرآنية قد جاء باقتران اسمين من الأسماء الحسنى، وهذا الاقتران جاء في غاية التناسب ، فتدركه الفطر السليمة، وكان العرب بذوقهم وسليقتهم العربية يدركون ما ينبغي أن تكون عليه الفاصلة.

ويؤكد الزركشي (ت: ٧٩٤) على هذا المعنى بقوله: «واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكَّد جداً ،ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه في النفس تأثيراً عظيماً» (١).

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١: ٦٠).

وقد حفظت لنا كتب التراث الإسلامي حوادث تدل على ذلك، فقد روي أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

فأكمل عمر بن الخطاب: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾، فقال النبي ﷺ: «هكذا أنزلت»[(١)].

وحكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، فأخطأ، وقال: (غفور رحيم)، فقال الأعرابي -ولم يكن يقرأ-: «إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه»[(٢)].

وروي عن الأصمعي[(٣)] (ت: ٢١٥) أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]، فأخطأ، فقال: (والله غفور رحيم)، فسمعه أعرابي كان معه فقال له: كلام من هذا؟ فقال الأصمعي: كلام الله. فقال الأعرابي: أعد، فأعاد الأصمعي (والله غفور رحيم)، ثم تنبه، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، قال الأعرابي: الآن أصبتَ، فقال الأصمعي: كيف عرفتَ؟ فقال: يا هذا عَزَّ وحكَمَ فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع»[(٤)].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٦٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٢٤٤)، وفي الأوسط (٥٦٥٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مطولاً، دون قوله: هكذا أنزلت.

(٣) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن أصمع، أحد أئمة اللغة، ومن مصنفاته: غريب القرآن، والمقصور والممدود، والأضداد، وغيرها، توفي سنة (٢١٥). ينظر: بغية الوعاة (٢: ١١٢-١١٣).

(٤) التفسير الكبير (١١: ١٨١).

وفيما سبق تظهر بجلاء الدلالات التي تنطق بها الفواصل القرآنية، وكيف أنها تدل على أن الحكم المذكور مناسب للاسم الذي به ختمت الآية، ويؤكد الإمام ابن القيم (ت:٧٥١) على ذلك بقوله: «إن العلم بالأسماء الحسنى أصل للعلم بكل معلوم؛ فإن المعلومات إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً[(١)]، وإما علم بما كونه أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه»[(٢)].

وفي موضع آخر يقول: «ومن كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى واستقراء آثارها في الخلق والأمر رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام، ورأى سريان آثارهما فيهما، وعلم -بحسب معرفته- ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله وما لا يليق، فاستدل بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله؛ فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته»[(٣)].

ولدقة المعاني التي انطوى عليها ختم الآيات الكريمة بالأسماء الحسنى فقد سعى العلماء للنظر في غوامض الدلالات واستخراج اللطائف والإشارات قديماً وحديثاً[(٤)]، سواء أكان بالتصنيف المستقل أم من خلال ما تناثر من لطائف بين طيات كتب

---

(١) اعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الخلق غير الأمر، وأن الفعل غير المفعول؛ فالفعل صفة لله، والمفعول هوالمخلوق، والأمر تنشأ عنه المأمورات والشرائع، والخلق تنشأ عنه المخلوقات كلها، وهذا القول الحق الموافق لما دل عليه القرآن، ولما هومفعول عند أولي الألباب، أما الجهمية ومن تبعهم من المتكلمين فحيث كان أصل قولهم: إن الفعل عين المفعول ،سووا بين الخلق والأمر، وهذا قول متناقض باطل مخالف للنقل بالعقل، ويثبتون فرعاً بلا أصل، وهل هذا إلا مبطل للفرع والأصل. ينظر: توضيح الكافية لابن سعدي، نقلاً عن منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى (ص: ١٦٠).

(٢) بدائع الفوائد (١: ١٧٩).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، نشر- دار ابن حزم، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (ص: ١١٤).

(٤) ينظر على سبيل المثال: الأسماء والصفات للبيهقي، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاجي، وأسماء الله الحسنى لابن القيم، والمقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى للغزالي، وغيرها.

التفسير، وقد تنبه غير واحد من العلماء لهذه الأهمية، فجاءت في فصول مستقلة تنبئ عن الالتفات إليها والإشارة إليها ومن هذه العنوانات ما ذكره ابن القيم (ت: ٧٥١)، حيث أفرد فصلاً في مفتاح السعادة بعنوان (آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى في العبودية)، وفي (مدارج السالكين) ذكر فصلين في دلالة الأسماء على أوصاف الكمال، ودلالة الأسماء على الذات والصفات، كما بنى الشيخ السعدي (ت: ١٣٧٦) قاعدة مهمة على هذه الأسماء،وهي «ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم»[1].

ودلالات ختم الآيات بأسماء الله الحسنى تحتاج إلى إعمال الفكر، وإمعان النظر في الآيات، مع استحضار الذوق البلاغي إزاء النظرية الفقهية والجانب التعبدي. وفيما يأتي أذكر أبرز الدلالات التي من أجلها كان الختام بهذا اللون من الألوان الفواصل:

١ - الدلالة على أن الشرع والأمر كله صادر من أسماء الله الحسنى، ومرتبط بها، فتجد آية الرحمة مختومة بصفات الرحمة، وآيات العقوبة مختومة بصفات العزة والقدرة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] «فبعد أن نهاهم عن أكل الأموال بالباطل وقتل النفس، ختم الآية باسمه الكريم، فمن رحمته عز وجل أن صان الأموال والنفوس، ونهى عن إضاعتها وإتلافها»[2].

٢ - أن أسماء الله الحسنى قد ترد بدلاً من التصريح بالحكم والجزاء تنبيهاً على أن معرفة الله باسمه العظيم تدل على ما يترتب عليه من أحكام، بمعنى أن هذا الحكم من أثر هذا الاسم.

---

(١) القواعد الحسان (ص: ٥١).

(٢) ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالتها، علي العبيد (ص: ٥١).

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٤] «يعني فإذا عرفتم ذلك وعلمتوه عرفتم أن من تاب وأناب فإن الله يغفر له ويرحمه، فيدفع عنه العقوبة، ويمدّه بالقوة على الطاعة»(١).

٣- أن أسماء الله الحسنى ترد كأنها دليل على ما تقدم في الآية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]، حيث ختمت باسمين كريمين، مما يدل على أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه، وليس أمراً اتفاقياً(٢).

٤- أن اختلاف أسماء الله الحسنى في الفواصل، والمحدث عنها واحد ،له دلالته في زيادة معنى الآية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾، فختم الآية الأولى بـ ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، والثانية بـ ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، مع أن لفظ الآيتين واحد، والفائدة من ذلك كما ذكر المفسرون في الموضع الأول وعد الله عز وجل بمغيبات ، فناسب ذكر العلم بقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾، وفي الموضع الثاني تقدم تعذيب الكفار والانتقام منهم، فناسب ذكر العزة بقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٣).

٥- قد تختم الآيات التي فيها دعاء باسم يتناسب مع الدعاء، ومثال ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] . فتختم آية باسم يناسب الدعاء(٤).

---

(١) القواعد الحسان (ص: ٥٤).

(٢) ختم الآيات بأسماء الله الحسنى (ص: ٤٥) بتصرف يسير.

(٣) ختم الآيات بأسماء الله الحسنى (ص: ٤٨) بتصرف يسير.

(٤) أسماء الله الحسنى، عبد الله الغصن، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، (ص: ١٠٣).

ويفهم من ذلك أيضاً أنه يحسن أن يكون الدعاء مناسباً للمطلوب في الدعاء، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، أي فاعبدوا الله بها، واطلبوه بكل اسم مناسب لمطلوبكم(١).

وهناك عددمن الدلالات التي جاهد العلماء في استنباطها، مما يطول المقام بذكرها، و كانت في غالبها النظرة التعبدية أو التشريعية، و قد سبق أن ذكرها.

كذلك ختم الآيات بأسماء الله الحسنى له صلة بالذوق البلاغي والإعجاز البياني، وقد فطن لذلك المفسرون، وأشاروا إلى اللطائف البلاغية والنكت البيانية التي دلَّتْ عليها، كذلك ذكره البلاغيون في مصنفاتهم شواهدَ للإعجاز القرآني، وبالنظرة المتأملة للآيات التي ختمت بأسماء الله الحسنى، والبحث في دلالتها وتراكيبها،يتبين أنها انطوت على معاني عظيمة تُسهم في تفسير كلام الله تعالى، والكشف عن مراده(٢).

وهناك غير واحد من الشواهد(٣) التي يتبين فيها أن ختم الآية بهذا اللون من الفواصل إنما جاء بأسلوب الاحتراس والإسهام في بيان المراد ودفع التوهم عن غير مقصود، وهي شواهد سبقت دراستها مستوفاة في المبحث السابق مما يغني عن إعادتها هنا، وإنما أكتفي بذكر شاهد واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، حيث ختمت الآية باسمين جليلين ﴿ٱلْغَنِيُّ ﴾ و﴿ٱلْحَمِيدُ ﴾؛ إذ جاء

---

(١) القواعد الحسان (ص: ٥٥).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (١: ٤٩-٥٠)، وبدائع الفوائد (١: ١٩٥-٢٠٨)، والقواعد الحسان (ص: ٥١-٥٧)، وختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالتها (ص: ٤١- ٥٧).

(٣) يُنظر: (سورة ص: ٣٠)، و(سورة السجدة: ٦)، و(سورة الأحزاب: ١)، و(سورة سبأ: ٢٣)، و(سورة فاطر: ١٥، ٢٨)، و(سورة الشورى: ١١، ١٩)، و(سورة الحديد: ٣)، و(سورة الحشر: ٢٣).

الاحتراس في الاسم المتأخر منهما ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ حيث اتبع الله عز وجل صفة ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ بـ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾، وقد صَرَّحَ بهذا الاحتراس غير واحد من المفسرين(١)، فقال الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): « و اتباع صفة ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ بـ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ تكميل، فهو احتراس لدفع توهمهم أنه لما كان غنياً عن استجابتهم وعبادتهم، فهم معذورون في أن لا يعبدوه، فنبه على أنه موصوف بالحمد لمن عبده، واستجاب لدعوته»(٢).

وأخيراً: فإن ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى تنطوي على معانٍ عظيمة أسهمت البلاغة القرآنية في الكشف عنها، ولا شك في أن مجال البحث في الآيات المختومة بأسماء الله الحسنى باب واسع يحتاج للكثير من الجهد؛ للكشف عن اللطائف البلاغية، وما سبق ما هو إلا إلماحات سريعة لم تكن على سبيل الاستقصاء، بل كان على سبيل التمثيل.

❁❁❁

(١) ينظر على سبيل المثال: حاشية ابن التمجيد (١٦: ٤٢)، وحاشية محيي الدين زاده (٧: ٢١)، وروح المعاني (١١: ٣٢٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢: ٢٨٦).

المطلب الثالث

مقاصد الاحتراس في آيات الأسماء والصفات

توطئة:

لا يشك من له أدنى تأمل في مواقع آيات الاحتراس الواردة في أسماء الله الحسنى وصفاته، أن هذا الاحتراس جاء لمغزى كبير، وهو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية، إضافة إلى الهدف الأول من الاحتراس بوجه عام، وهو: دفع التوهم الناشئ من كلام سابق.

وقد بدا في أثناء الدراسة أن ثمة أهدافاً أخرى للاحتراس في تلك الآيات غير دفع التوهم وإزالة اللبس، وإنه ليحار الناظر والمتأمل لعظم المقاصد التي جاء بها الاحتراس في هذا المبحث، حيث جاء لإثبات عقيدة التوحيد، ولتعظيم الله عز وجل، وتنزيهه وغيرها، وربما تداخلت الأغراض مع بعضها بعضاً، وربما جمعت الآية الواحدة عدداً من الأغراض والمقاصد، وكما هو مقَرَّرَ لدى البلاغيين أن الأغراض تتداخل بصورة كبيرة، وربما يتعذر الفصل بينها.

وفيما يأتي عرض وإظهار لأبرز تلك المقاصد:

المقصد الأول: دفع التوهم.

ومفهومه: «هو أن يؤتى في كلام لا يوهم المقصود بما يدفعه»[1].

وقد أكَّد على هذا المقصد غير واحد من المفسرين، ومن البلاغيين كذلك، وجاءت عباراتهم ناطقة بذلك، بغض النظر أكان دفعاً لاحتمال الوهم، أو لإزالة اللبس، أو صيانة المعنى من الدخل، كلها عبارات تصب في معين الاحتراس، وقد أشارت إلى هذا

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٩٤).

عبارات المصنفين، ومن ذلك: «أن يأتي في كلام، فتراه مدخولاً بعيب من جهة دلالة منطوقة أو فحواه، فتردفه بكلام آخر؛ لتصونه عن احتمال الخطأ»(١).

وقول الآخر: «هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي بما يُخلصه من ذلك»(٢)، وغير ذلك من العبارات التي سبق ذكرها في الدراسة التأصيلية.

ودفع التوهم المعنى الأول لوجود الاحتراس في آيات القرآن الكريم، ولو خلا السياق منه في مقام يستدعيه لاختل المعنى، ولفُهِمَ غير المراد.

كما يسهم الاحتراس في دفع توهم احتمال المجاز، ويبقى معنى الآية على حقيقته إن كان المقام يقتضيه، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥]، فقد ذكر غير واحد من المفسرين كون المراد بها عياناً دفعاً لتوهم احتمال المجاز.

وقد ينفرد مقصد دفع التوهم في الآية الواحدة، وربما شاركته مقاصد أخرى، وسمة التداخل تكاد تكون ظاهرة في البحث البلاغي.

ومن الشواهد في ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فدل الاحتراس ﴿ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ على نفي تعدد الآلهة.

المقصد الثاني: التقرير والتأكيد.

ومفهومه: «تمكين المعنى في النفس وتقويته، وإزالة الشكوك والشبهة»(٣).

(١) المصباح (ص: ٢١٥). بتصرف.

(٢) بديع القرآن (ص: ٢٤٩). بتصرف.

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢: ٣٨٥).

وقد جاءت بعض ضروب الاحتراس بأسلوب التوكيد، وكانت الجملة المؤكدة هي موقع الاحتراس، ومحله المناسب، كما نطقت عبارات المؤلفين بتلازم الجملة المؤكدة في نوع الاحتراس، ومن الدلائل على ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٩]، حيث جاء الاحتراس مؤكداً بإنها والجملة الأسمية، وهذا من أعلى درجات التوكيد.

فالاحتراس أوقع في نفس المخاطب، وأدل على الإلزام؛ لأنه يَلم شعث الفكر، ويقطع وساس الصدر، ولا يدع العقل يتعنت في تحديد المعنى المراد، ولا ينصرف الذهن لغير المقصود.

وقد جاء الاحتراس على نمط التأكيد، ولا يُغني عن مقصده الأول «دفع الوهم وإزالة اللبس»، فجاء لتأكيد الفعل بمصدره، ومثال تأكيد الفعل بمصدره قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فلو لم يأت المصدر لتوهم أن الله تعالى كَلَّمَ موسى بطريقة من طرق الوحي(١)، ولم يخاطبه مباشرة، فجاء المصدر؛ لإزالة ذلك اللبس، ولإثبات الشرف لموسى عليه السلام، وكذلك إثبات صفة الكلام لله عز وجل، خلافاً لما قالته المعتزلة الذين ينفون الكلام عن الله عز وجل.

وقد يأتي الاحتراس بأسلوب التأكيد بمصدر فعل آخر،ويأتي أيضاً بإيضاح المراد في لازم من لوازم التأكيد العددي، ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]. فدل الاحتراس على نفي تعدد الآلهة، وإنما هو إله واحد، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] فجاء الاحتراس في تأكيد الأعداد بقوله: ﴿اثْنَيْنِ﴾

(١) من طرق الوحي إرسال جبريل عليه السلام، أو من وراء حجاب، ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب النبي المرسل إليه، وغيرها من الطرق. ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني (١: ٦٤).

بعد ﴿ إِلَـٰهَيْنِ ﴾، مع أنها مفهومة من منطوق اللفظ، وكذلك ﴿وَٰحِدٌ ﴾ بعد أسلوب القصر ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ ﴾؛ وذلك للتأكيد على الوحدانية، ولو لم يؤكد بـ﴿ وَٰحِدٌ ﴾ لَتُوُهِّمَ أنه إثبات الإلهية لا الوحدانية.

وجاء أسلوب الاحتراس للتأكيد العددي في غير موضع لإثبات توحيد الله عز وجل، وقد سبق أن ذكرت آيات من هذا اللون في المبحث السابق[١].

المقصد الثالث: إثبات وحدانية الله وتفرده بالألوهية.

هذا المقصد جاء في أسنى مقاصد الاحتراس وأسماها؛ جاء للتأكيد على توحيد الله عز وجل، وترك ما يُعبد من دون الله، وليس هذا في الآيات التي جاءت بأسلوب الاحتراس فحسب، بل في آيات القرآن الكريم الدالة على توحيد الله عز وجل، فجاء أسلوب الاحتراس بجانب أساليب أخرى؛ ليؤكد هذا المقصد، ومن هذا اللون الاحتراس الوارد في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] ، الاحتراس بنفي تعدد الإله، إثبات إنما هو إله واحد.

كذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾، حيث انتظم الاحتراس بأسلوب القصر؛ لقصر الآلهية على الله عز وجل، وأن ما سواه لا يستحق أن يكون إلهاً.

وهناك نماذج أخرى فيها الاحتراس لبيان ولإثبات عقيدة التوحيد الحق[٢]، فكل آية في القرآن الكريم والكون الفسيح تنطق بتوحيد الله جل جلاله عن الند والشريك.

---

(١) ينظر: (سورة البقرة: ٦٣)، و(سورة فاطر: ١).

(٢) ينظر: (سورة البقرة: ١٦٣)، و(سورة الأنعام: ١٠١)، و(سورة يونس: ٣)، و(سورة النحل: ٢١)، و(سورة السجدة: ٦).

المقصد الرابع: إثبات الصفات لله تعالى ونفي التأويل.

جاء الاحتراس في آيات الصفات[1] موافقاً لمذهب أهل السنة والجماعة، وهي إقرار الصفات كما وردت بلا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل، وفي النظرة البلاغية إبطال للمذاهب التي تأولت الصفات تأويلاً فاسداً، ومن ذلك الاحتراس الوارد في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهذه الآية تناولت الرد على فرقتي المشبهة والمعطلة، فالله تعالى لا يشبهه شيء، وهو سميع بصير، فأثبت صفة السمع والبصر خلافاً لمن يتأول صفة السمع بالعلم.

كذلك الاحتراس الوارد في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، تأولت المعتزلة اليد بالقدرة والسيطرة والهيمنة، فجاء الاحتراس ليبطل تلك الدعوى بـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فإذا تأولت اليد بالقدرة فما تأويل القدرة في الشطر الثاني من الآية، وبهذا أثبت لله اليد؛ لأنه وصف ذاته العلية لكن لا يُعلم كيفيتها، ولا يُسأل عنها.

المقصد الخامس: التعظيم وبيان كمال القدرة.

جاء الاحتراس في أسماء الله الحسنى وصفاته؛ ليدل على جلال الله وكمال قدرته، فأسهم في بيان عظمة الله عز وجل وقدرته على كل شيء، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومثال ذلك الاحتراس الوارد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] .

فالله عز وجل بقدرته يمسك السماوات أن تقع على الأرض، وكما قال ابن عاشور

---

(١) ينظر (سورة البقرة: ٥٥)، و(سورة النساء: ١٦٤)، و(سورة الأنعام: ١٠٣)، و(سورة التكوير: ٢٩).

(ت:١٣٩٣): «ويمسك السماء امتناناً على الناس بالسلامة مما يفسد حياتهم، ويكون قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ احتراساً جمعاً بين الامتنان والتخويف»[١].

ومن ذلك أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]. فلو لم يُذكر الاحتراس ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ لَتُوُهِّم أن خلق أجنحة الملائكة فيما ذكر، فدفع هذا التوهم بذلك الاحتراس، ويتبين من هذه الآية وغيرها[٢]، أثر الاحتراس في بيان دلائل قدرته وعظمته، إضافة للهدف والمقصد الأول، وهو (دفع التوهم وإزالة اللبس).

ويدخل في عظمة الله وكمال قدرته سِعَةُ عِلْمِه،وإحاطتُهُ بالأمور كلها دُقها وجُلها، وقد جاء الاحتراس لإثبات ذلك[٣] وأنه لا فرق في علم الله بين من أسرّ القول ومن جهر به، ومن ذلك الاحتراس الوارد في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦].

كذلك جاء الاحتراس مقَرِّراً لكمال الله تعالى في حكمته في تدبير شؤون خلقه، ومن ذلك ما ورد في قول الباري عز وجل: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقال السيوطي (ت: ٩١١) في هذه الآية: «الوصف بالحكيم احتراس حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد، والحكمة فيما فعلته»[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (١٧: ٣٢٣).

(٢) ينظر ما ذكر في الآيات: (سورة البقرة: ٢٥٥)، و(سورة الأنعام: ١٠١)، و(سورة يونس: ٣)، و(سورة الحج: ٧٠)، و(سورة النمل: ٩١)، و(سورة السجدة: ٦)، و(سورة فاطر: ٤٤)، و(سورة الحديد: ٣)، و(سورة الحشر: ٢٣)، و(سورة الملك: ١)، و(الشورى: ١٩).

(٣) ينظر الآيات: (سورة الأنعام: ١٠١- ١٠٣-١١٥)، و(سورة النمل: ٩١)، و(سورة السجدة: ٦)، و(سورة الحشر: ٢٢)، و(سورة الأحزاب: ١)، و(سورة الحديد: ٣).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٦٨٤).

وكمال الله وجلاله وعظمته تظهر في كل آية من آيات الذكر الحكيم التي يطول المقام عندها وقد سبق أن بُحثت.

المقصد السادس: تمجيد الله وتنزيهه.

التنزيه[1]: تسبيح الله عز وجل وإبعاده عما يقول المشركون، قال الأزهري (ت: ٣٧٠): «تنزيه الله: تعبيده وتقديسه عن الأنداد والأشباه، وفي الحديث أن النبي ﷺ يُصلي من الليل، فلا يمر بآية فيها تنزيه إلا نَزَّهَه».

ومقام تمجيد الله عز وجل وتنزيهه في طليعة مقاصد الاحتراس في هذا المبحث، فقد جاء الاحتراس لمطلب أسنى سوى (دفع التوهم)، وهو تنزيه الله عز وجل وتقديسه، وهذه سمة غالبة على آيات هذا المطلب،حتى لتكاد تتنازع الآية الواحدة مقاصد عدة، ويدخل في هذا المقام قول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥١-٥٢].

حيث انتظم الاحتراس في فاصلة الآية في قوله: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾،فلما ذكر أن علم القرون الأولى محفوظ عند الله في كتاب، بَيَّنَ أن ذلك الحفظ في الكتاب واللوح ليس خوف النسيان، ولا يحتاج للوح، ولكن لحكمة يعلمها الله، وقد تجلى أثر الاحتراس في تنزيه الباري عز وجل عن النسيان.

وفي المقام ذاته قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، فلما وصف الله عز وجل بأنه العلي العالي في ذاته وصفاته نَزَّهَ نفسه عن العلو المعهود في أحوال البشر؛ لأن كل عالٍ يصغر في عين الرائي، فجاء الاحتراس لنفس ذلك ولتنزيه الله عن أحوال الخلق، فقال: ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾، وهو مع علوه كبير.

---

(١) لسان العرب، مادة (نَزَّهَ).

وهناك آيات أخرى انتظمت في هذا المقصد، يطول المقام عندها، وقد سبق أن درست، فأكتفي بالإحالة إليها[١].

المقصد السابع: الوعد والوعيد (التحذير).

الوعد: «هو الخبر المتضمن إيصال النفع إلى الغير، أو دفع الضرر عنه في المستقبل، سواء أكان حسناً مستحقاً أم لا»[٢].

الوعيد: «هو كل خبر يتضمن إيصال الضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسناً مستحقاً، وبين أن لا يكون كذلك»[٣].

يُعدُّ الوعد والوعيد من المقاصد البلاغية التي نادى بها الاحتراس، ودلَّتْ عليه عبارات المفسرين.

فجاء الاحتراس لبيان التحذير والتخويف في آية جمعت بين الوعد والوعيد، وبين الخوف والرجاء، وهذا المقصد أقلُّ المقاصد وروداً، ومن هذا اللون الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، ذكر غير واحد من المفسرين أن الشطر الأول من الآية قد يكون سبباً للاغترار الموجب للإصرار على الذنب، فجاء الاحتراس:﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾؛ للتنبيه على عدم الاغترار، والتخويف من مغبة الذنب.

ويمثل هذا المقصد أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فجاءت هذه الآية لمقصد التحذير بإزاء مقاصد أخرى، كالتنبيه على أن من غفر الله له فبرحمته، ومن عذبه فلحكمة.

---

(١) ينظر: (سورة الأنعام: ١٠١-١٠٣)، و(سورة يونس: ٤٤)، و(سورة الحجر: ٤٩-٥٠)، و(سورة الحج: ٧٠)، و(سورة فاطر: ١٥- ٤٤)، و(سورة الشورى: ١١-١٩)، و(سورة الحشر: ٢٣).

(٢) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى (ص: ١٣٤).

(٣) المرجع السابق (ص: ١٣٥).

وهناك آيات أخرى قد تدخل في هذا المقصد، أكتفي بالإحالة إليها(١).

وإن المتأمل والناظر في المقاصد التي جاء بها الاحتراس في أسماء الله الحسنى وصفاته ليلمح سمة تكاد ظاهرة، وربما تتكرَّر في مواطن أخرى، وهي تزاحم المقاصد في الآية الواحدة، فيجد الناظر أن هناك آيات جمعت أكثر من مقصد، إضافة للمقصد الأصلي، وهو (دفع التوهم وإزالة اللبس).

والحقيقة أن المقاصد وإن كثرت وتنوعت إلا أنه لا يمنع من اجتماعها مانع في مثال واحد، إن لم يكن بينها تضاد، وإن كنتَ في ريب مما أقول فاقرأ إن شئت قول الله عز وجل: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]، فقد جمعت هذه الآية الكريمة عدداً من الألوان البلاغية ذات المقاصد المتباينة، ومن هذه الفنون(٢):

١- المناسبة اللفظية التامة بين ﴿ أَقۡلِعِي ﴾ و﴿ٱبۡلَعِي ﴾؛ فقد جمع بين لفظين موزنانِ مقفيان بزنة وقافية واحدة، وهذه هي المناسبة التامة.

٢- المطابقة بين (السماء) و(الأرض) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾.

٣- المجاز المرسل في قوله ﴿ وَيَٰسَمَآءُ ﴾ والحقيقة: يا مطر السماء، والعلاقة: المجاورة.

٤- الإشارة: وهي أن يدل اللفظ القليل على المعنى الكثير بحيث يكون اللفظ لمحة دالة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾؛لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء ، فدل هذا التركيب القليل: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ على أن كل ذلك قد حدث.

---

(١) ينظر: (يونس: ٤٤).

(٢) ينظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع (ص: ٤٤، ٨٠، ٩٣، ١٦٤، ١٧٩، ٢٤١، ٣٤٠)، وخصائص التعبير القرآني، عبد العظيم المطعني (٢: ٤٦٢).

٥- الإرداف: في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾.

٦- التعليل: لأن ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ علة الاستواء.

٧- التمثيل: في قوله تعالى: ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾.

٨- الاستعارة: في قوله تعالى: ﴿ أَقْلِعِى ﴾ و﴿ ٱبْلَعِى ﴾.

٩- الاحتراس: من توهم متوهم أن الماء قد عَمَّ من لا يستحق الهلاك، وتحقق الاحتراس بالدعاء على الهالكين.

١٠- الانفصال: لأن لقائل أن يقول: إن لفظة ﴿ لِّلْقَوْمِ ﴾ ستغني عنها للمعنى، إذ لو قيل: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لتم الكلام.

وكذلك المقاصد، فقد تجتمع، إذ هي تعتمد في المقام الأول على دقة نظر المتأمل واختياره.

وبهذا تختم مقاصد الاحتراس في هذا المبحث، مبحث الأسماء والصفات، عرضت من خلالها أهم ما وقفت عليه، وبدا لي أن فيه احتراساً، والله تعالى أعلم.



المبحث الثاني
الاحتراس في آيات اليوم الآخر

وفيه أربعة مطالب:

المطلــــب الأول: الاحتراس في اليوم الآخر في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاحتراس في وصف الجنة ونعيمها.

المطلب الثالث: الاحتراس في وصف النار وعذابها.

المطلب الرابع: مقاصد الاحتراس في اليوم الآخر.

المطلب الأول

الاحتراس في اليوم الآخر في القرآن الكريم

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٠ – ٣١].

*** الدراسة والتحليل:**

صورت الآية حال الملأ الأعلى عندما أسجدهم الله تعالى لآدم عليه السلام فسجد الملائكة كلهم، ولم يتخلف أحد عن الأمر الرباني، ثم أكّد بمؤكد آخر «﴿أَجْمَعُونَ﴾، فلم يكن ثمّ أحد عصى هذا الأمر؛ ليستن به إبليس أو يقلده.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله: ﴿ وَهُوَ ﴾، بعد أن ذكر الباري – عز وجل – سجود الملائكة كلهم قد يتبادر إلى الذهن أن هناك من الملائكة من لم يمتثل لأمر السجود، فتبعه إبليس في ذلك فنفى هذا التوهم وذلك اللبس بتأكيده بقوله ﴿أَجْمَعُونَ﴾، حيث قطعت كل توهم يذهب إليه العقل.

وقد أشار إلى هذا المعنى غير واحد من المفسرين، وإن لم يرد الاحتراس صراحة، لكن عباراتهم تنبيء عن ذلك، فقال المبرد (ت: ٢٨٥): «كان من المحتمل عن ذلك أن بعضهم سجد، فذكر ﴿كُلُّهُمْ﴾؛ليزول الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة،فزال هذا الإشكال بقوله: ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾[1].

(١) لم أقف على موضع الاحتراس في كتب المبرد (ت: ٢٨٥)،وقد نقل عنه هذا غير واحد من العلماء، وربما كان في موضع لم أهتد إليه، أوفي كتاب له مفقود، والله تعالى أعلم.

وهذا الذي ذكره المبرد هو مقصد الاحتراس، كما نقل عنه هذا القول غير واحد من المفسرين[١] وفي أخذهم لقوله موافقة له فيما يعتقده، وفي هذا المعنى أيضاً يقول السمعاني (ت: ٤٨٩) «قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه سؤال معروف وهو أنه لمّا يقال: لِمَ قال: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فما فائدة قوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾؟ والجواب أنه كان من المتحمل أن بعضهم سجد فذكر ﴿كُلُّهُمْ﴾؛ ليزيل هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فذكر ﴿أَجْمَعُونَ﴾؛ ليزيل الالتباس»[٢].

فهذا الذي ذكره السمعاني هو المقصد من الاحتراس، وقد أشار إليه بعبارات شتى كقوله: «كان من المحتمل» ، وقد يثير هذا الاحتمال شبهة تنقل المعنى عن مقصده الصحيح إلى معنى آخر غير مراد.

كذلك قوله: «ليزيل هذا الإشكال»، فهذه العبارة فيها دلالة واضحة على مقصد الاحتراس.

ويؤيد ابن عطية (ت: ٥٤٢) من سَبَقَهُ فيشير إلى معنى الاحتراس بعبارات متقاربة فيقول: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ رفع الاحتمال في أن يبقى منهم أحد، واقتضى الكلام أن جميعهم سجد[٣]، فابن عطية يرى أن ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ جاءت لرفع احتمال.

ويتابع النسفي (ت: ٧١٠) من سَبَقَهُ ويقرِّرَ مقصد الاحتراس بعبارات مماثلة، فيقول في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾: «فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص، فقطع باب التخصيص بقوله: ﴿كُلُّهُمْ﴾، وذِكر الكل احتمل تأويل التفرقة، فقطعه بقوله:

(١) ينظر على سبيل المثال ما أورده كل من: البغوي في معالم التنزيل (٣: ٤٩)، والخازن في لباب التأويل (٤: ٦٥)، والرازي في مفاتيح الغيب (١٩: ١٤٥) والقمي النيسابوري في غرائب القرآن (٤: ٢٢١)، وابن عادل في اللباب (١١: ٤٥٦)، والشوكاني في فتح القدير (٣: ١٧٩).

(٢) تفسير السمعاني (٣: ١٣٨).

(٣) المحرر الوجيز (٣: ٣٦٠) بتصرف.

﴿أَجْمَعُونَ﴾»[١]، وفيما سبق دلالة واضحة على مقصد الاحتراس، فلو أطلق العموم لاحتمل التخصيص من بعض أفراده، لكنه قُطع ذلك التخصيص بالاحتراس بقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

وحمل قول السيواسي (ت: ٨٦٠) إشارات واضحة في معنى الاحتراس، حيث قال: «السبب في ذكر قوله تعالى: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ للتأكيد؛ «لأن من المحتمل أنه سجد بعضهم، فذكر كلهم، ومن المحتمل أنهم سجدوا متفرقين في أوقات مختلفة فدفع ذلك بذكر ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾»[٢]، فالسيواسي (ت: ٨٦٠) يرى أنه لو لم يأتِ الاحتراس بقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ لتوهم غير المعنى المراد.

ويورد محيي الدين زاده (ت: ٩٥١) عبارات دالة على مقصد الاحتراس، فيقول: «الفائدة في تكرار التأكيد المبالغةُ في الدلالة على سجود الكل؛ فإنه لو قيل: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ من غير تأكيد لاحتمل أن يكون الساجد بعض الملائكة، فلما قيل: ﴿كُلُّهُمْ﴾ زال هذا الاحتمال، وظهر أنهم سجدوا بأسرهم، ثم كرَّر التأكيد للمبالغة في إزالة كون الساجد بعضهم»[٣].

ضمن زاده كلامه عبارات تدل على أصل الاحتراس كقوله: «زال هذا الاحتمال»، و«للمبالغة في إزالة».

كما ذكر غير واحد من المصنفين أن هذه الآية الكريمة أكَّدت بمؤكدين[٤] مما يزيل الشك والوهم،ويدفعه نهائياً، وأول إشارة وقفت عليها كانت عند سيبويه (ت: ١٨٠) حيث

---

(١) مدارك التنزيل (٢: ٢٤١).

(٢) عيون التفاسير (٢: ٢٩٢).

(٣) حاشية محيي الدين زاده (٥: ٢١١).

(٤) ينظر على سبيل المثال بحر العلوم (٢: ٢٥٥)، والكشف والبيان (٥: ٣٤٠)، والجواهر الحسان (٥: ٢٣٤٠)وتفسير الجلالين (ص: ٣٤٠)، وأنوار التنزيل (٣: ٣٦٩)، ولباب التأويل (٤: ٦٥)، ونكت القرآن (٢: ٤٣)، واللباب (١١: ٤٥٦)، وروح البيان (٤: ٤٨٨)، والبحر المديد (٣: ٣٩٦).

قال: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ توكيد بعد توكيد، وعبارة سيبويه تلك تناقلها عنه المصنفون بعده[١]، فقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) قوله: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ قال فيه سيبويه والخليل هو توكيد بعد توكيد»[٢].

وقال النيسابوري (ت: ٧٢٨): «قال سيبويه والخليل: ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾توكيد بعد توكيد، ورجح الزجاج هذا القول»[٣].

والذي حدا بهؤلاء وغيرهم إلى القول: بإنها من باب التأكيد؛كونها احتوت على صيغ التوكيد (كل، وأجمع)، لكن الذي يظهر أن ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ جاءت لغرض آخر غير التوكيد.

وحملت طائفة من المفسرين هذا اللون من التأكيد على غرض آخر، و(زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)، وجاءت لفظة ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ للاحتراس، وهو معنى زائد على معنى التوكيد، ومعنى جديد عملاً بالقاعدة: (إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس أولى)[٤]، وقد حمل جملة من المفسرين الآية على ذلك المعنى، فيرون أن مجيء التوكيدين للمبالغة في إثبات العموم، ومنع أن يخرج أحد من هذا العموم بتخصيص أو

(١) ينظر على سبيل المثال: معالم التنزيل (٣: ٤٩)، واللباب (١١: ٤٥٦)، وفتح القدير (٣: ١٧٩).

(٢) زاد المسير (٢: ٥٣٤).

(٣) غرائب القرآن (٤: ٢٢١).

(٤) وصورة القاعدة: إذا احتمل اللفظ أو الجملة من كتاب الله أن يكون مؤكداً للفظ - أو جملة - سابقين، أو يكون مفيداً لمعنى جديد لم يسبق في الكلام، فحمله على الإفادة أولى من حمله على الإعادة؛ لأن إفادة معنى جديد أولى من إلغاء هذا المعنى بجعله مؤكداً؛ لما تقَرَّرَ في كلام سابق، فالتأكيد خلاف الأصل، لأن الأصل في وضع الكلام إنما هو إفهام السامع ما ليس عنده، فإن تعذر حمله على فائدة جديدة حمل حينئذ على التأكيد. ينظر قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي (٢: ٤٧٣).

نحوه، ومن أبرز القائلين بذلك البيضاوي (ت: ٦٨٥) حيث قال: «﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ أكَّد بتأكيدين للمبالغة في التعميم، ومنع التخصيص»(١).

ويؤيد أبو السعود (ت: ٩٨٢) من سَبَقَهُ فيقول: «أكَّد بتأكَّدين مبالغة في التعميم»(٢).

وعبارة «أكَّد بتأكَّدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص» تناقلها غير واحد من المفسرين(٣)، كلهم يعتقد فيها أن التأكيد للتعميم يدفع احتمال اختصاص بعض الأفراد، أو خروج بعضهم.

وأوضح من ذلك دلالة على معنى الاحتراس ما ذكره إسماعيل حقي (ت: ١١٢٧) حيث قال: «فإن قوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ظاهره في سجود جميع الملائكة؛ لأن الجمع المعرف باللام ظاهر في العموم يتناول كل واحد من الأفراد كالمفرد، لكنه يحتمل التخصيص وإرادة البعض كما في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران:٤٢] أي: جبريل فبقوله ﴿كُلُّهُمْ﴾ انقطع ذلك الاحتمال وصار نصاً؛لازدياد وضوحه على الأول ولكنه يحتمل التأويل والحمل على التفرق، فبقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ انسدَّ ذلك الاحتمال، وصار مفسراً لانقطاع الاحتمال عن اللفظ بالكلية»(٤).

ويقَرِّرُ القونوي (ت: ١١٩٥) هذه القاعدة، ويرى وجوب أن تحمل الآية على التأسيس لا التأكيد، وأن حملها على التأسيس أبلغ في إعجاز القرآن، فيقول: «التأكيد يقَرِّرَ أمر المتبوع، ولا دلالة فيه على الاجتماع فيكون تأسيساً لا تأكيداً»(٥).

---

(١) أنوار التنزيل (٣: ٣٦٩).

(٢) إرشاد العقل السليم (٤: ١٨).

(٣) ينظر على سبيل المثال: حاشية الشهاب الخفاجي (٥: ٥١٢)، والبحر المديد (٣: ٣٩٦)، وروح المعاني (٧: ٢٨٩).

(٤) روح البيان (٤: ٤٨٨).

(٥) حاشية القونوي (١١: ١٥٠) بتصرف.

كما يتابعهما فيما ذهبا إليه الألوسي (ت: ١٢٧٠) ،فيقول: «فالحق في المسألة مع الفراء والمبرد، وذلك هو الموافق لبلاغة التنزيل»[١].

والذي يبدو من العرض السابق يتبين تحقق وقوع أسلوب الاحتراسفي الآية الكريمة، ولئن غاب مصطلح الاحتراس في عباراتهم فما غابت دلالاته ومعناه، وقد تنافس المفسرون في عرضه وإيضاحه.

فحديث القونوي (ت: ١١٩٥) يدل على أنه يرى معنى الاحتراس؛ لأنه يرى في ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ معنى زائداً على التوكيد.

ويؤيد هذه القاعدة قول المبرد (ت: ٢٨٥) السابق الذي ألمح فيه لمعنى الاحتراس وإن لم يُصَرَّحَ به، كما أشاد غير واحد من المفسرين برأي المبرد، وقالوا فيه: بإنه الأولى على بلاغة التنزيل؛ ومن ذلك ما ذكره الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩) في تفسيره لهذه الآية حيث قال معقباً على ما أورده المبرد:«ومنه تعلم أن ما قاله المبرد هو الحق، والموافق لبلاغة التنزيل»[٢] وكذلك قال القونوي (ت: ١١٩٥) بعد تحريره للمسألة[٣].

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠-٥١] .

*** الدراسة والتحليل:**

ينبه الله تعالى بني آدم إلى عداوة إبليس لهم، ولأبيهم آدم قبلهم: اذكر لقومك إذ قال الله للملائكة: اسجدوا لآدم اعترافاً بفضله واعتذاراً عما قالوه بحقه: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

(١) روح المعاني (٧: ٢٧٩).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي (٥: ٥١٣).

(٣) حاشية القونوي (١١: ١٥٠).

يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ، فامتثلوا جميعاً لأمر ربهم الكريم إلا إبليس كان من الجن، فامتنع عن السجود، وخرج عن أمر الله، فكيف تتخذون العدو لكم وذريته أولياءَ لكم من دون الله، وتطيعون أوامرهم، وهم على عداوةٍ لآدم وذريته، فبئس ما فعلتم: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾.

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ لما ذكر الله عز وجل ما أمر به الملائكة من السجود لآدم،فلما ذكر سجود الملائكة وعصيان إبليس، قد يتوهم متوهم أن إبليس كان من جملة الملائكة لكنه عصى.، فجاء الاحتراس ودفع اللبس وأزال الوهم، وأن إبليس لم يكن ملكاً، وإنما كان من الجن، فاتضح بذلك المراد، وتبين المعنى.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس لم يختلف فيه أحدٌ من المفسرين، وقد أشار الزمخشري (ت: ٥٣٨) إلى الاحتراس حيث قال:«﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ كلام مستأنف جارٍ مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأنّ قائلاً قال: ما له لم يسجد ؟ فقيل: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ ، والفاء للتسبيب أيضاً، حيث جعل كونه من الجن سبباً في فسقه ؛ لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأنّ الملائكة معصومون البتة ،لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس، كما قال: ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧] »[١] وهذا الكلام المعترض لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم، فعبارة الزمخشري: «لصيانة الملائكة» فيها دلالة على مقصد الاحتراس، فلو لم يأت الاحتراس لتوهم أن إبليس من جملة الملائكة.

---

(١) الكشاف (٢:٦٧٩).

وعبارة الزمخشري تلك نقلها عنه غير واحد من المفسرين(١)، وبذلك فهم موافقون له في موقع الاحتراس.

وكذلك يرى البيضاوي (ت:٦٨٥) حيث قال: «﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ : استئناف للتعليل، كأنه قيل: ما له لم يسجد؟ فقيل: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ، فخرج عن أمره بترك السجود، والفاء للسبب، وفيه دليل على أن الملك لا يعصيْ» (٢).

مما سبق يتبين وقوع الاحتراس، وقد دفع ما كان قد يتوهم من إبليس من جملة الملائكة، وقد جاءت عدد من الآيات التي تدل على فضل الملائكة وعبادتهم التي يستبعد أن يشذ منهم من يعصي أمر الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، وبذلك يكون الاحتراس قد أسهم في بيان شدة عبادة الملائكة، وأنه لا يمكن أن يقع منهم هذا العمل.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٥، ٢٦].

هذه الآية تماثلها آيات أخر في موقع الاحتراس ،، وهي:

- قوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٤].
- قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٢٧].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٦: ١٦٩)، وإرشاد العقل السليم (٤: ١٩٦).

(٢) أنوار التنزيل (٣: ٥٠٣).

- قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦].
- قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٣] .

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآيات في سياق تقرير البعث والجزاء ،وبَيَّنَ الله عز وجل أن من الأمم السابقة من كذبت رسلها ، فصب الله العذاب على الذين كذبوا رسله، وأخذهم بغتة وهم لا يشعرون، فأخزاهم في الحياة الدنيا بما أنزله بهم من العذاب والنكال، وإن عذاب الآخرة أكبر وأشد نكالاً من عذاب الدنيا لو كانوا من أهل العلم والنظر والتقدير.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ لما ذكر الله عز وجل ما حل بالأقوام المكذبة، وأن الله أخزاهم في الحياة الدنيا ،فقد يتوهم متوهم أن هذا العذاب هو نصيبهم وأنهم نالوا جزاءهم بعذاب الاستئصال في الحياة الدنيا، لكن الاحتراس أبطل هذا المعتقد وبَيَّنَ أن هناك عذاباً أشد ينتظرهم في الآخرة، وهو العذاب الأكبر الذي لا يُعدّله خزي الدنيا وعذابها .

أشار غير واحد من المفسرين إلى هذا المعنى، وأن عذابهم في الآخرة أعظم وأشد إهانة وخزياً من عذاب الدنيا، فالمعنى ظاهر لدى المفسرين وإن لم يصَرَّحوا بالمصطلح. وقد تتابعت الإشارات في كتب التفسير في ذكر هذا المقصد.

فقال ابن عادل (ت: ٨٨٠): «﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني : أنَّ أولئك وإن نزل بهم العذاب والخزي في الدنيا فالعذاب المدخر لهم يوم القيامة أكبر وأعظم من ذلك الذي وقع بهم في الدنيا»(١) .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٦ : ٥٠٦).

فقول ابن عادل: «وإن نزل بهم العذاب والخزي في الدنيا فالعذاب المدخر لهم يوم القيامة أكبر» فيه دلالة على معنى الاحتراس ومقصده.

ويتابع أبو السعود (ت: ٩٨٢) من سَبَقَهُ فيقول: «استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي إثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الأخروي، أي: كَذّب الذين من قبلهم من الأمم السالفة، فأتاهم العذاب المقدر لكل أمة منهم من حيث لا يشعرون، من الجهة التي لا يحتسبون، ولا يخطر ببالهم إتيان الشر منها، (فأذاقهم الله الخزي) أي: الذل والصغار في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ونحو ذلك من فنون النكال، ولعذاب الآخرة المعد لهم أكبر؛لشدته وسرمديته لو كان من شأنهم أن يعلموا شيئاً لعلموا ذلك واعتبروا به»[(١)].

ولم أقف على من صَرَّحَ بالاحتراس إلا ابن عاشور (ت:١٣٩٣) حيث قال: «﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: أن عذاب الآخرة هو الجزاء، وأما عذاب الدنيا فقد يصيب الله به بعض الظلمة زيادة خزي لهم»[(٢)]، وقال في موقع مشابه: «﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾» احتراسٌ ؛ لئلا يحسِب السامعون أن حظ أولئك من العقاب هو عذاب الإهلاك بالريح، فعطف عليه الإخبار بأن عذاب الآخرة أخزى، أي: لهم ولكل من عذّب عذاباً في الدنيا لغضب الله عليه»[(٣)].

وقد جاء موقع الاحتراس: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مستأنفة، وجواب «لو» محذوف تقديره: ما كذبوا، وجملة الشرط مستأنفة»[(٤)].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٣: ٣٩٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣: ٣٩٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥: ٣٢).

(٤) مشكل إعراب القرآن (١: ٤٦١).

ويتضح من النصوص السابقة موقع الاحتراس، وأنه أسهم في كشف اللبس وإثبات شدة عذاب الآخرة، وأنه أكبر من عذاب الدنيا أضعافاً مضاعفة. لكونه لا ينقطع بخلاف عذاب الدنيا؛ فإنه منقطع.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٧، ٣٨] .

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس:

قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦] .

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩] .

*** الدراسة والتحليل:**

جاء السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء المستلزمة لعقيدة التوحيد والنبوة بعد أن ذكر تعالى حال الطغاة الفجار، وبَيَّنَ مصيرهم غاية البيان، ثَنّى بذكر المتقين الأبرار وبَيَّنَ مصيرهم، وأنهم في جناتٍ تجري من تحتها الأنهار.ثم بَيَّنَ موقفاً من مواقف العرض عليه جل في علاه، ومن صعوبة الموقف: أن الملائكة على جلالة أقدارهم ورفيع درجاتهم يقومون بين يدي ربهم صفاً، لا يستطيعون أن يتكلموا في هذا اليوم إجلالاً لربهم العظيم ووقوفاً عند منازلهم إلا إذا أذن لهم ربهم .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ ،فَيُقَالُ:يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّى بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمنيهِ رَبِّى، ثُمَّ أَشْفَعُ ،فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ،فَأُخْرِجُهُمْ من النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ،ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي

،ثُمَّ يُقَال: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ قُلْ تُسْمَعْ ،سَلْ تُعْطَهْ ،اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّى بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمنيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ من النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجُنَّةَ»[١].

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في الآيات الكريمة أكثر من احتراس الأول:

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لما ذكرت الآيات الكريمة وصف الجنة ونعيمها أعقبها بوصف لمشهد من مشاهد العرض، فلما ذكر اسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قد يتوهم أن من المخلوقات من يستطيع خطاب الله ومراجعته فجاءت الآية بدفع التوهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾،وأنه لا أحد يستطيع أن يكلم الله إلا بإذنه.

ويرى غير واحد من المفسرين أن الآية الكريمة تشير إلى معنى الاحتراس من طرف خفي، وتقَرِّرَ مقصوده ،وموقع الاحتراس هو: استئناف مقَرِّرَ لما أفادته الربوبية العامة من غاية العظمة واستقلالاً له تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه سبحانه وتعالى.

وفي هذا المعنى يقول أبو السعود (ت: ٩٨٢): «﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ استئناف مقَرِّرَ لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء، واستقلاله تعالى ما ذُكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه»[٢].

ويتابع إسماعيل حقي (ت: ١١٢٧) سابقه فيما ذهب إليه،فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ «استئناف مقَرِّرَ لما أفادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (٤٩٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (٦: ٣٦١).

(٣) روح البيان (١٠: ٣١٣).

والعبارة بتمامها نقلها الألوسي (ت: ١٢٧٠)(١)، وغيره (٢).

فالمعنى الذي يرمي إليه أبو السعود (ت: ٩٨٢)، وكذلك إسماعيل حقي (ت: ١١٢٧) هو: الاحتراس، فلما ذكرت الآية في مطلعها عظمة الله عز وجل وقدرته، وأنه رب السموات والأرض واتصافه بالرحمة، جاء الاحتراس لتقرير عظمته في ربوبيته وهيبته وكبرياء، فلا ينطق أحد إلا بعد الإذن له، وهذا هو المعنى الذي ذكره ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) في تفسيره، لكن لم تفض عبارتهم بذكر الاحتراس. والله تعالى أعلم.

وقد كانت تلك هي أهم الإشارات التي وقفت عليها في الدلالة على معنى الاحتراس أو مقصده، ولم أقف على غيرها، وأكثر ما أورده المفسرون الحديث عن المراد بالخطاب، والشفاعة وشروطها، دون أن يشار إلى الاحتراس (٣).

قال ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤): «وهو استئناف مقَرِّرَ لما أفادته الربوبية العامة، من غاية العظمة والكبرياء، واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء، من غير أن يكون لأحد قدرة عليه»(٤).

فعبارات ابن عجيبة توحي بمعنى الاحتراس حيث قَرَّرَ أن عظمة البارئ وكبريائه تمنع أي مخلوق من الكلام مع الله بمعذرة أو شفاعة إلا بإذنه، مع ما وصف نفسه من

---

(١) روح المعاني (١٥: ٢١٩).

(٢) يُنظر: حاشية الصاوي (٦: ٢٢٦)، وفتح القدير (٥: ٤٩٠).

(٣) ينظر على سبيل المثال: بحر العلوم (٣: ٢١٧)، وتفسير ابن زمنين (٥: ٨٦)، والكشف والبيان (١٠: ١١٩)، وتفسير السمعاني (٦: ١٤٢)، ومعالم التنزيل (٤: ٤٤٠)، والمحرر الوجيز (٥: ٤٢٨)، وزاد المسير (٤: ٣٩١)، ومفاتيح الغيب (٣١: ٢١) وأنوار التنزيل (٥: ٤٤٣)، والتسهيل (٤: ١٧٤) والبحر المحيط (٨: ٥٧٩)، والجواهر الحسان (١٠: ١١٩) والدر المنثور (٨: ٣٩٩)، والفتوحات الإلهية (٨: ٢٢١) والسراج المنير (٨: ٢٤٠)، محاسن التأويل (٧: ٢٤٧)، عيون التفاسير (٤: ٢٨٠)، الدر المصون (٦: ٤٦٨)، التفسير المنير (١٥: ٣٩١).

(٤) البحر المديد (٨: ٢٢٢)

الرحمة، وهذا المعنى تشهد له آيات عدة في القرآن العظيم ؛قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨] .

ويذكر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «استئنافاً ابتدائياً لإبطال مزاعم المشركين أو للاحتراس لدفع توهم أن ما تشعر به صلة رب من الرفق بالمربوبين في تدبير شؤونهم يسيغ إقدامهم على خطاب الرب»[1].

وقد جاء الاحتراس لإبطال مزاعم المشركين الذين يرون أن لهم شفعاء ووسطاء عند الله تعالى احتراس،وإبطالِ اعتذار المشركين حين استشعروا شناعة عبادتهم الأصنام التي ذكرها القرآن حين قالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

ولم أقف على من صَرَّحَ بوجود الاحتراس في الآية إلا ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، لكن وجدت في عبارات المفسرين ما يشير إلى وجود الاحتراس من طرف خفي، ولو عدمت تلك الإشارات فإن في الآية الكريمة ما يدل عليه ويقويه، ولتكاد تنطق به من خلال التأمل الدقيق للآية الكريمة، فقد ذكر الله عز وجل أنه رب السموات والأرض وما بينهما، وهذا يشير إلى إفراده بالعبودية لعظمته و كبريأه، لكنه رحيم رحمن بعباده، ومع ذلك في هذا الموقف العصيب لا يستطيع أحد أن يتخاطب مع الرحمن إلا بعد الإذن، وهو ما تقريره الآية الآتية.

الآية الخامسة:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨] .

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ،فبعد أن بينت الآيات الكريمة شدة الموقف وعظمته وأن الخلائق جميعاً ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبأ: ٣٧] ربما يفهم منه

---

(١) التحرير والتنوير(٣٠: ٤٩).

أنه سَدٌّ وإغلاق لباب الشفاعة، فجاء الاحتراس لدفع ذلك التوهم الناشئ عن عدم تمام المعنى، فقال: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ؛ فإنه يتكلم ويشفع، ولا يشفع إلا من توافرت فيه شروط الشفاعة»(١).

وقد اتفق أهل العلم على أن لا أحد يشفع إلا بعد أن يأذن الرحمن ويرضى، ولم ينقل خلاف في المسألة، قال أبو السعود (ت: ٩٨٢): «﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ بدل من ضمير (لا يتكلمون) العائد إلى أهل السموات والأرض، الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم؛ لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته، وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام»(٢).

وقد أفاد الاحتراس في دفع التوهم وفي إبطال الحجة، وكذلك تأكّد المعنى؛ فإنه لما ذكر أن أحداً من الخلق لا يمكنه أن يخاطب الله في شيء أو يطالبه بشيء قَرَّرَ هذا المعنى وأكّده، فقال تعالى: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾.

❦❦❦

(١) للشفاعة شروط مقرَّرَة في كتب العقيدة ،وهي «:رضا الله عن الشافع، ورضا الله عن المشفوع له، وإذن الله تعالى للشافع أن يشفع. وهذه الشروط مجملة في قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾.

(٢) إرشاد العقل السليم (٦: ٣٦٢).

المطلب الثاني
الاحتراس في وصف الجنة ونعيمها

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض الحديث عن نعيم الجنة وما أعد الله فيها للمتقين، حيث أعد لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وقد سبقت هذه الآية بآية بينت جزاء الكافرين والعصاة، من باب المقابلة والبشرى للمؤمنين، ثم زاد في النعيم أنهم خالدون فيه، لا يعتريه نقص أو زوال.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ والمعنى : لما ذكر الباري عز وجل نعيم أهل الجنة بالجنة فقد يتوهم متوهم أن هذا النعيم محدود بزمن ، وربما انقطع ،فدفع هذا التوهم وذلك اللبس بهذا الاحتراس: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقد صَرَّحَ بهذا الاحتراس غير واحد منْ المفسرين، ومنْ ذلك ما ذكره الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) وقوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: احتراس من توهم الانقطاع بما تعودوا من انقطاع اللذات في الدنيا؛ لأن جميع اللذات في الدنيا معرضة للزوال»[(١)].

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٣٥٧).

كما أشار إلى معنى الاحتراس غير واحد من المفسرين، فهذا الإمام البيضاوي (ت:٦٨٥) يذكر ما يدل على معنى الاحتراس في تفسيره لهذه الآية حيث قال: «... فإن كل نِعَم جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية عن شوائب الألم بشر المؤمنين بها... وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود؛ ليدل على كمالهم في التنعم والسرور»[1].

فعبارة البيضاوي: «وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود؛ «يدخل فيها معنى الاحتراس، وقريب من هذا المعنى ما ذكره القمي النيسابوري (ت:٦٨٥) حيث قال: «...ثم أزال عنهم نقص الزوال بقوله: ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ إتماماً للنعمة والحبور، وتكميلاً للبهجة والسرور»[2].

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة حيث اتفق عامة المفسرين[3] على أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي: ماكثون فيها أبداً، والخلد والخلود: البقاء الدائم الذي لا ينقطع. وهناك عدد من الأحاديث النبوية التي تشهد لهذا المعنى، ومن ذلك قول النبي ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ،وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ خُلُودٌ»[4].

---

(١) أنوار التنزيل (١: ٢٥٣).

(٢) غرائب القرآن (١: ١٩٨).

(٣) ينظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن (١: ٣٦٢)، والبحر المحيط (١: ١٧١)والسراج المنير (١: ٧٠)، صفوة الآثار والمفاهيم (٢: ٥٦) وتفسير ابن عرفة (١: ٧٨)، وفتح البيان (١: ٨٣)، واللباب (١: ٤٥٨).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٨١) كتاب الرقاق(٥٠) باب يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ حديث رقم:(٦٥٤٤).

فقال الرازي (ت: ٦٠٦): «العقل يدلُّ على دوامه؛ لأنه لو لم يجب دوامه لجوزوا انقطاعه، فكان خوف الانقطاع ينغص عليهم تلك النعمة؛ لأن النعمة كلما كانت أعظم كان خوف انقطاعها أعظم وقعاً في القلب»[1].

وإلى هذا المعنى أشار غير واحد من المفسرين، فقال صاحب (إرشاد العقل السليم) (ت: ٩٨٢): «واعلم أن معظم اللذات الحسية لما كان مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء،وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات، إذ كل نعمة وإن جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال، فإنها منغصة غير صافية من شوائب الألم ، بَشَّرَ المؤمنين بها وبدوامها تكميلاً للبهجة والسرور»[2].

وهذا المعنى الذي ذكره المفسرون جَسَّدَهُ وبَيّنه الشاعر[3]:

لا خيرَ في العيش ما دامتْ منغَّصَةً ... لذاتُه بادكارِ الموتِ والهَرمِ

وبذلك يتحقق وقوع الاحتراس في الآية الكريمة والله تعالى أعلم.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧].

هذه الآية تناظرها آيات أخرى في موقع الاحتراس وهي:

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٢].

---

(١) مفاتيح الغيب (١: ١٢١).

(٢) إرشاد العقل السليم (١: ٩٦).

(٣) البيت في أوضح المسالك (١: ٢٤٢)، وتخليص الشواهد (ص: ٢٤١)، وشرح ابن عقيل (ص: ١٤٠).

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٩].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤- ٦٥] .

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١١].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة: ٨] .

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ أَبَدًا ﴾ في جميع الآيات الماضية ؛ لئلا يتوهم أن المراد بها المكث الطويل، فجاء الاحتراس لدفع توهمٍ ، ويثبت أن المراد الخلود الأبدي.

واتفق المفسرون على أن المراد الخلود الأبدي، فهو أدعى في معرفة النعيم في الجنة، كذلك التخويف من النار، وسأورد عبارات متفرقة من أقوال المفسرين في الدلالة على الأبدية، ومن ذلك ما ذكره ابن عادل (ت: ٨٨٠) في قوله :«العقلُ يَدُلُّ على دوامه؛ لأنه لو لم يجب الدوام، لجوّزوا انقطاعه، فكان خوف الانقطاع ينغص عليهم تلك النعمة؛ لأنَّ النِّعْمَةَ كُلَّما كانت أعظم كان خوف انقطاعها أعظم وقعاً في القَلْبِ، وهذا يقتضي ألا ينفك أهل الثواب البتة من الغم والحسرةِ، وقد يجابُ عنه بأنَّهم عرفوا ذلك بقرينة قوله: ﴿أبَدًا﴾»[1]، وقال كذلك: «واعلم: أنه - تعالى - في أكْثَر آيَاتِ الوَعْدِ ذَكَرَ ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ولو كان الخلودُ يفيد التأبيدَ والدوامَ لزم التكْرَار، وهو خلافُ الأصْل، فعلمنا أن الخُلُود عبارة عن طول المُكْثِ لا عن الدَّوَام، وأما في آيات الوَعِيد فإنه يذكُر الخُلُودَ، ولم يذكُرِ التَّأبِيدَ إلاَّ في حَقِّ الكفارِ، وذلك يَدلُّ على أن عِقابَ الفساقِ منقطعٌ»[2].

وقال ابن عجيبة (ت: ١٢٢٣): «﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، أكَّد الخلود بالتأبيد؛ لأنه قد يطلق على طُول المكث»[3].

وقال: «﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ من غير انتهاء». وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠) :﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: يدخلهم جهنم خالدين فيها، وهي حال مقدرة. وقوله: ﴿ أَبَدًا﴾ منصوب على الظرفية، وهو لدفع احتمال أن الخلود هنا يراد به المكث الطويل.

كما يعضد ذلك ما ورد من الأحاديث التي تدل على الخلود الأبدي وهي كثيرة منها، ما ورد عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «من يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَنْعَمُ ،لاَ يَبْأَسُ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ ،وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ»[4].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (١: ٤٥٨).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٧: ٢٩).

(٣) البحر المديد (٣: ٨٥).

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (٨١) باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة حديث رقم:(٧٣٣٥).

وأيضاً عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يُنَادِي منادٍ أَنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَأَنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَأَنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا وَلَا أَنْ تَهْرَمُوا، وَأَنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا وَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾»(1).

ومما سبق تبين وجود الاحتراس في الآيات، وقد أسهم الاحتراس في دفع توهم أن المراد به المكث الطويل، وفيه مزيد من نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار؛ لأنها لا انقطاع لها، كما أسهم في دفع شبهة الجهمية الذين يرون أن الجنة والنار تفنى.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ [هود: ١٠٨].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله تعالى بحال السعداء بطاعة الله في الدنيا وفي الآخرة بالجنة، فيقول: أَمَّا السُّعداءُ الذِين اتَّبَعُوا الرُّسُلَ، وَآمنوا بالله، وَعَمِلُوا صالحاً ،فَيَصِيرُونَ إلى الجَنَّةِ، وَيَمْكُثُونَ فيها خالدين أَبداً ما دَامَتْ هُنَاكَ سماوَاتٌ وأَرْضٌ، إلا مَا شاء اللهُ.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل حال أهل الجنة، والنعيم الذي امتَّن به عليهم ذكر بعدها ما يدفع توهم نقص أو زوال ذلك النعيم؛ لتنعم النفس وترتاح؛ لأن تذكر زوال النعم من المنغصات.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (١١٩٠٥).

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين(١) ،فقال ابن كثير (ت:٧٧٤): «﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي: غير مقطوع ؛ لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاعًا أو لبساً أو شيئًا، بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع»(٢)، فابن كثير يرى أن الاحتراس جاء دفعاً لتوهم الانقطاع. ويتابع أبو السعود (ت:٩٨٢) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: «دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه»(٣).

كما أشار الألوسي (ت: ١٢٧٠) إلى لاحتراس فقال: «﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ،فهو رافع للإبهام ومبالغة في التأبيد ، ودفعاً لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من الانقطاع، وقيل: إن ذلك لبيان أن ثواب أهل الجنة لا ينقطع، فيعلم منه أن الاستثناء ليس للدلالة على الانقطاع كما في العقاب، بل للدلالة على ترادف نعم ورضوان من الله تعالى(٤).

وقد أكّد غير واحد من المفسرين أن الاحتراس جاء لدفع توهم الانقطاع،، ولإثبات الخلود والدوام لنعيم أهل الجنة.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله تعالى عن نعيم أهل الجنة أنهم لا يسمعون صوت لهيب النار أو احتراق

---

(١) ينظر: لباب التأويل (٣: ٢٥٤)، ومفاتيح الغيب (١٨: ٥٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤: ٣٥٢).
(٣) إرشاد العقل السليم (٣: ٣٥٤).
(٤) روح المعاني(١٢: ١٤٦).

الأجساد فيها، فقد سكنوا منازلهم في الجنة، وأصبحوا فيها تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها مقيمين إقامةً دائمة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ لما أعقب ذكر النار ذكر الجنة، وأن الله أمتنّ على طائفة من عباده بإبعادهم عن جهنم، فقد يتوهم متوهم أن أهل الجنة يسمعون شيئاً من زفرات جهنم، أو أصوات أهل النار؛ لما عهد في الدنيا أنه ربما سمع البعيد أصوات من هم بعيدون عنه، جاء الاحتراس ودفع هذا التوهم وأن أهل الجنة لا يسمعون شيئاً من ذلك.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين، فقال النيسابوري (ت:٧٢٨): «﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ تأكيد للإبعاد؛فربما يدخل النار ويسمع حسيسها»[(١)].

و يدل النص السابق على أن الاحتراس إنما جاء لتوكيد البعد، وكما هو معلوم أن التوكيد يؤتى به لدفع توهم الظن، فكأنه «مبالغة في الإبعاد، فلا يقربوها،حتى لا يسمعوا صوتها أو صوت من فيها»[(٢)].

وقد صَرَّحَ القونوي (ت: ١١٩٥) بالاحتراس، فقال: «﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ مبالغة في إبعادهم عنها ؛لأنه يدل على طول البعد، والبعد لا يدل على القرب، إلا بملاحظة قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فيمكن حينئذ أن لا يسمعوا حسيسها احتراساً وتكميلاً ؛ لأن الورود مظنة التأذي ،فيكون لدفع هذا الوهم»[(٣)].

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان(٥: ٥٦).

(٢) البحر المديد (٤: ٤٨٣).

(٣) حاشية القونوي (١٢: ٥٩٥).

ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) أن الاحتراس بيان لمعنى ﴿مُبْعَدُونَ﴾، «أي: مبعدون عنها بُعداً شديداً بحيث لا يَلفَحَهُم حرّها، ولا يُرَوعهم منظرها، ولا يسمعون صوتها، والصوت يبلغ إلى السمع من أبعد مما يبلغ منه المرئي»(١).

فيذهب ابن عاشور إلى أن الاحتراس جاء تفسيراً لما أجمل ابتداءً، وبذلك يكون فَصَّلَ المعنى المراد، فتبين المعنى المراد.

ومما مضى يتبيّن ورود الاحتراس، وقد دفع التوهم غير المراد، كما أنه بيّن تمام النعمة على أهل الجنة بإبعادهم عما كل ما مِنْ شأنه أن يُكدرَ صَفو نعيمهم.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

*** الدراسة والتحليل:**

يصف الله تعالى الجنة التي وعد المتقين بإدخالهم إليها، فيقول تعالى: إنها جنة تجري فيها أنهار من مياه غير متغيرة الطعم؛ لطول مكثها وركودها، وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يفسد، وفيها أنهار من خمر لذيذة الطعم والمذاق لشاربيها، لا تغتال العقول، ولا ينكرها الشاربون، وفيها أنهار من عسل قد صفي من الشمع والفضلات. وللمتقين في الجنة من جميع الفواكه المختلفة الأنواع والطعوم والمذاق والراحة، ولهم فوق ذلك مغفرة من الله تعالى؛ فهو يتقبل ما قدموه من عمل، ويتجاوز عن هفواتهم التي اقترفوها

(١) التحرير والتنوير (١٧: ١١٣).

في الدنيا، فهل يتساوى هؤلاء المتقون مع الأشقياء الذين أدخلهم الله النار؛ ليبقوا فيها خالدين أبداً، جزاءً لهم على كفرهم وتكذيبهم رسل ربهم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في الآية الكريمة أكثر من احتراس أوردها تباعاً:

الأول: وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل ماء الجنة أردفه بوصفه ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ ؛لما تعوده الإنسان من تغير الماء بالركود أو بالعوامل الأخرى، فلما جاء الاحتراس دفع توهم التشابه بين مياه أنهار الجنة وأنهار الدنيا.

وهذا المعنى لم يغب عن أذهان المفسرين قاطبة من دفع وجه التشابه بين نعيم الجنة، وما يشبه في الدنيا فهو يشبه بالاسم فحسب، أما الجسم والكنه فهو مختلف، قال الله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، وذلك لتقر أعين المؤمنين بنعيم الجنة، ويزداد الشوق للجنة، قال الإمام الطبري (ت: ٣١٠) «يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وُعِدَها المتقون ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ يقول تعالى ذكره هذه الجنة التي ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح»[1].

وبنحو قول الإمام الطبري قال غير واحد من أهل التفسير والبيان. ويجلي ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) الاحتراس ،فيقول: «ورأيت من محاسن التشبيه عندهم كمال الشبه، ورأيت وسيلة ذلك الاحتراس ،وأحسنه ما وقع في القرآن، كقوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ احتراس عن كراهة الطعام ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ احتراس عن أن تتخلله أقذاء من بقايا نحلة»[2].

---

(١) جامع البيان (١١: ٣١٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦: ٩٤).

ومما سبق يتأكَّد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة،وأن المعنى لينادي عليه، وإن لم يُذكر الاحتراس صراحة.

أما الاحتراس الثاني فجاء في قوله تعالى: ﴿ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن في الجنة أنهاراً من لبن ، ولما كان من المعروف أن الألبان في الدنيا تفسد، ويتغير طعمها، نفيت هذه الصفة بهذا الاحتراس، حتى لا يتبادر إلى الأذهان أن ألبان الجنة كألبان الدنيا ، وإن الشبه لفي المسميات فحسب.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤) غاية في البياض والحلاوة والدسومة، وفي حديث مرفوع «لم يخرج من ضروع الماشية، ولم تعصرها الرجال بأقدامهم»[(١)].

وقال أبو السعود (ت: ٩٨٢): «لبن لم يتغير طعمه بأن صار قارصاً ولا خازراً[(٢)] كألبان الدنيا»[(٣)].

أما الاحتراس الثالث فقد جاء في قوله تعالى: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾.

وصف خمر الجنة بأنه لذيذ للشاربين حتى لا يتوهم ما عهد من خمر الدنيا، فهو مخالف له في كل شيء إلا في الاسم،وإن خمر الجنة ليست كخمر الدنيا ،وأن الله نفى عنها عيوب خمر الدنيا، فقال: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾.

قال ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤): ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ «أي: لذيذ ليس فيه كراهة طعم وريح وغائلة سكر، وإنما تلذذ محض، و«لذة»: إما تأنيث لَذٍّ بمعنى لذيذ، أو مصدر نُعِتَ به للمبالغة»[(٤)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧: ٣١٣).

(٢) القارص: هو الذي يلذع اللسان لسان العرب مادة (قرص).والخازر: لم أقف على معناه.

(٣) إرشاد العقل السليم (٦: ٨٧).

(٤) البحر المديد (٧: ١١٤).

ومن النصوص الماضية يتبيَّن أن معنى الاحتراس ومقصده لم يغب عن أذهان المفسرين، وقد جاءت عباراتهم بها.

أما الاحتراس الرابع:

قوله: ﴿مُّصَفًّى﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾، فلو لم يذكر الاحتراس لتبادر إلى الذهن أنه كعسل الدنيا مليء بالشوائب، فلما جاءت الصفة: (مصفى) زال اللبس، وزال الشبهه بينه وبين عسل الدنيا.

وقد ذكر الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) ذلك، فقال: (﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ احتراس عن: «أن تتخلله أقذاء من بقايا نحلة»[(١)].

ويُبيّن أبو السعود (ت: ٩٨٢) صفة المصفى، فيقول: ﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها»[(٢)].

ومما مضى يتبين كيف أسهم الاحتراس في بيان المراد، ودفع التوهم عن الأذهان، وتجلية المعنى في أجمل صورة، وبأسهل أسلوب.

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله تعالى العباد عما يتفضل به على المؤمنين الصالحين من عباده، فإنه تعالى يُلحق بهم مَنْ آمن من ذريتهم في المنزلة؛ لتقر به عيونهم في الجنة وإن كان عمل هؤلاء لا

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦: ٩٧).

(٢) إرشاد العقل السليم (٦: ٨٧).

يبلغهم هذه المنزلة، فيتفضل الله تعالى برفع ناقصي- العمل إلى مرتبة الكاملي العمل، تكرماً منه وتفضلاً، ولا يُنقص الله تعالى درجات الآباء بسبب ذنوب أبنائهم، بل يرفع منزلة الأبناء.

ثم يخبر تعالى بأن العدل يقضي بألا يؤاخذ بذنب أحد، وأن كل واحد مرتهن بعمله، ولا يحمل عليه ذنب غيره من الناس.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ لما ذكرت الآية الكريمة أن الله عز وجل يرفع منزلة الأبناء ليصلوا إلى مرتبة الآباء، فقد يتوهم متوهم أن هذه المنزلة قد حازوها؛ لما أخذوا من أعمال آبائهم، فجاء الاحتراس بنفي ذلك الوهم، وإزالة ذلك اللبس، وأن أعمال آبائهم لم تنقص شيئاً، وإنما ذلك فضل من الله ومنة على عباده، ثم عزّز الاحتراس بالتوكيد على أن من كمال عدل الله تعالى أنه لا يأخذ أحداً بجريرة غيره.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين(١)،فقال ابن القيم (ت: ٧٥١): «لما أخبر سبحانه بإلحاق الذرية ولا عمل لهم بآبائهم في الدرجة، فربما توهم متوهم أن يحط الآباء إلى درجة الذرية، فرفع هذا التوهم بقوله ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: ما نقصنا من الآباء شيئاً من أجور أعمالهم بل رفعنا ذريتهم إلى درجتهم، ولم نحطهم إلى درجتهم بنقص أجورهم،ولما كان الوهم قد يذهب إلى أنه يفعل ذلك بأهل النار كما يفعله بأهل الجنة قطع هذا الوهم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾»(٢).

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩٠:٣)، والبحر المحيط (٨: ١٤٤).

(٢) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين(٤: ١٧١)، والتبيان في أقسام القرآن (٢: ٢٧٧).

فبيّنَ الاحتراسُ المعنى بأوضح صورة وأجمل أسلوب، حيث قطع وهم من يتوهم نقص أعمال الآباء لبلوغ الأبناء لمنزلتهم.

ويتابع ابن عادل (ت: ٨٨٠) ابن القيم فيما ذهب إليه ،فقال: «﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ تطييب لقلوبهم، وإزالة وَهَمِ المتوهِّم أن ثواب عمل الأب يوزع على الوَالِدِ والوَلَدِ بل للوالد أجْر عَمَلِهِ، ولأولاده مثل ذلك فضلاً من الله ورحمة»(١).

فابن عادل أشار لمقصد الاحتراس الذي جاء به وهو إزالة وهم النقص.

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس فذكر: «أن الله ألحق بهم ذرياتهم في الدرجة في الجنة فضلاً منه على الذين آمنوا دون عوض، احتراساً من أن يحسبوا أن إلحاق ذرياتهم بهم بعد عطاء نصيب من حسناتهم لذرياتهم ليدخلوا به الجنة»(٢).

وقد دلَّتْ هذه الآية على أن الإنسان قد ينتفع بسعي غيره(٣)؛ وذلك خاص في الآخرة، وأن هذا الانتفاع إنما جاء مزيداً من نعيم الجنة، بأن أقر الله عيون الآباء برفع أولادهم إليهم؛ ليتمتعوا في الجنة برؤيتهم.

وقد أحاط بالاحتراس قرائن عدة تبينه وتدل عليه، وهي التوكيد بقوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ لتوكيد النفي وإفادة الإحاطة والشمول للنكرة، ويتمم الاحتراس بقوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس، وقد أسهم في دفع التوهم عن الآيات وبيان فضل الله وكرمه على عباده المؤمنين.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٨: ١٣١).

(٢) التحرير والتنوير (١٤: ٢١٢).

(٣) فصّل الشنقيطي في هذه المسألة. ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص:٢٧٦).

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٨ - ٤٠].

*** الدراسة والتحليل:**

بينت هذه الآيات أنه ليس للإنسان من ثواب يوم القيامة إلا ما سعى في تحصيله بنفسه،وأن عمله في الدنيا من خير وشر سوف يرى علانية، ويجزى به -خيراً كان أم شراً -الجزاء الأكمل الأتم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ لما ذكر الله عز وجل أن لا أحد، يحمل ذنوب أحد ولا يعاقب أحد على خطيئة غيره، عدلاً منه سبحانه وتعالى، أردفه بقصر الجزاء على ما اقترفت يدا المرء، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]، فلما جاء الاحتراس اندفع الوهم ،وأن الإنسان ليس له إلا ما كسب، وتبيّن المعنى المقصود.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس صَرَّحَ ابن عاشور بوقوع الاحتراس حيث قال: «لا تحصل لأحد فائدة عمل إلا ما عمله بنفسه، فلا يكون له عمل غيره، ولام الاختصاص أن المراد ما سعاه من الأعمال الصالحة، وبذلك يكون ذكر هذا تتميماً لمعنى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ احتراساً من أن يخطر بالبال أن المدفوع عن غير فاعله هو الوزر، وأن الخير ينال غير فاعله»[1].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧: ١٣٤).

ويُلمح البقاعي (ت: ٨٨٠) لمعنى الاحتراس، فيقول: «ولما نفى أن يضره إثم غيره نفى أن ينفعه سعي غيره، فقال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ ﴾ (كائناً من كان) إلا ما سعى»(١).

هذا المعنى الذي حمله الاحتراس دلَّتْ عليه آيات من القرآن الكريم، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء:٧]، وقوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت:٤٦]، وقوله: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم:٤٤].

كما يرى بعض العلماء أن هذه الآية من العام المخصوص: «﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ لفظ عام مخصّص؛ فقد جاءت نصوص تقتضي انتفاعه بعمل غيره إذا وهب له من صدقة ودعاء وشفاعة واستغفار، ونحو ذلك»(٢).

والذي يظهر أن الإنسان قد ينتفع بسعي غيره، وقد جاءت آية من كتاب الله تدل على ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور:٢١].

وقد جمع الإمام الشنقيطي (ت:١٣٩٣) بينهما، فقال: «قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ هذه الآية الكريمة تدل على أنه لا ينتفع أحد بعمل غير؛ وقد جاءت آية أخرى تدل على أن بعض الناس ربما انتفع بعمل غيره، وهي قوله تعالى: وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ الآية، فرفع درجات الأولاد سواء قلنا إنهم الكبار أو الصغار، نفعٌ حاصلٌ لهم، وإنما حصل لهم بعمل آبائهم لا بعمل أنفسهم. اعلم أولاً أن ما روي عن ابن عباس من أن هذا كان شرعاً

---

(١) نظم الدرر (٧: ٣٣١).

(٢) البحر المديد (٧: ٣٦٢).

لمن قبلنا، فنسخ في شرعنا، غيرُ صحيح، بل آية ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ ﴾ محكمةٌ، كما أن القول بأن المراد بالإنسان خصوص الكافر غير صحيح أيضاً ،**والجواب من ثلاثة أوجه:**

الأول: أن الآية إنما دلَّتْ على نفي ملك الإنسان لغير سعيه، ولم تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره؛ لأنه لم يقل: وأن لن ينتفع الإنسان إلا بما سعى. وإنما قال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ ﴾ وبين الأمرين فرق ظاهر؛ لأن سعي الغير ملك لساعيه، إن شاء بذله لغيره ،فانتفع به ذلك الغير، وإن شاء أبقاه لنفسه،وقد أجمع العلماء على انتفاع الميت بالصلاة عليه، والدعاء له، والحج عنه ،ونحو ذلك مما ثبت الانتفاع بعمل الغير فيه.

الثاني: أن إيمان الذرية هو السبب الأكبر في رفع درجاتهم؛ إذ لو كانوا كفاراً لما حصل لهم ذلك، فإيمان العبد وطاعته سعيٌ منه في انتفاعه بعمل غيره من المسلمين كما وقع في الصلاة في الجماعة، فإن صلاة بعضهم مع بعض يتضاعف بها الأجر، زيادة على صلاته منفرداً ،وتلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير، سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة. وهذا الوجه صلاة بعضهم مع بعض يتضاعف بها الأجر زيادة على صلاته منفرداً، وتلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة. وهذا الوجه يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾.

الثالث: أن السعي الذي حصل به رفع درجات الأولاد ليس للأولاد كما هو نص قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾، ولكنه من سعي الآباء؛ فهو سعي الآباء أقرَّ الله عيونه؛ بسببه بأن رفع إليهم أولادهم؛ ليتمتعوا في الجنة برؤيتهم، فالآية تصدق الأخرى، ولا تنافيها؛ لأن المقصود بالرفع إكرام الآباء لا الأولاد، فانتفاع الأولاد تبع، فهو بالنسبة إليهم تفضلٌ من الله عليهم بما ليس لهم، كما تفضل بذلك على الولدان والحور العين والخلق الذين ينشؤهم للجنة »[1].

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، نشر دار ابن تيمية، بالقاهرة، (ص: ٢٧٧).

والذي يظهر أن السعي المراد بالآية الأعمال السيئة التي تعد من كسبه، فكما أن الإنسان لا يحمل أوزار غيره، كذلك لا يحمل غيره أوزاره، وبذلك يتبيّن معنى الاحتراس، ويتم معناه.

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٥٦].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآيات في سياق الحديث عن الجنة ونعيمها، وقد ذكر الله عز وجل ما أعدّه لعباده المتقين، بأن يزوجهم بالحور عين، ومن أوصافهن أنهن نساء غضيضات البصر، فلا ينظرن إلى غير أزواجهن، فلا يرين فيها شيئاً أحسن منهم، وهن أبكار لم يمسسهن قبل أزواجهن أحد لا من الإنس ولا من الجن.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

لما جاءت الآية بذكر نعيم أهل الجنة ووصف حورها قد يتوهم متوهم أن هناك من طمثهن قبلهم، فجاء الاحتراس بالنفي والاختصاص، حيث لم يقربهن أحد قبلهم.

وهذا المعنى ذكره عامة أهل التفسير ولم يغب عنهم وإن لم يذكروا الاحتراس صرّاحة، قال الطبري (ت: ٣١٠): «وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ يقول: لم يمسهنّ إنس قبل هؤلاء الذين وَصف جلّ ثناؤه صِفتهم، وهم الذين قال فيهم: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾»(١).

وقال ابن عطية (ت: ٥٤٢): «ويحتمل اللفظ أن يكون مبالغة وتأكيداً ،كأنه قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ شيء أراد العموم، التام لكنه صَرَّحَ من ذلك بالذي يعقل منه أن يطمث»(٢).

---

(١) جامع البيان (١١: ٦٠٦).

(٢) المحرر الوجيز (١٥: ٣٤٥).

صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بذكر الاحتراس، فقال: ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ أي لم يطمثهن أحد قبلهم، وقوله: ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ تتميم واحتراس وهو إطناب دعا إليه أن الجنة دار ثواب لصالحي الإنس والجن، فلما ذُكِرَ ﴿إِنسٌ﴾ نشأ توهم أن يمَسهن جن، فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس»[(١)].

ومما سبق يتبين أن الاحتراس جاء في سياق امتنان الله على عباده المتقين بذكر نعيم الجنة، حتى تتطلع نفوسهم وتتشوق للجنة، وفي الآية دلالة على الاختصاص ؛لأن الحور حين خلقهن الله خلقهن ليكنَّ في الجنة.

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآيات في بيان ما أعده الله للمؤمنين، حيث أخبر تعالى عن كمال نعيمهم في الجنة، ومن النعيم المقيم لأهل الجنة.وما ورد الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»[(٢)] ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾، أي وماء دائماً لا ينقطع، يجري في غير أخدود. ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ متنوعة، ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ ليست بالقليلة العزيزة، كما كانت في بلادهم، ولا تنقطع كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء، وليست ممنوعة عن أحد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تنقطع إذا جنيت، ولا تمتنع من أحد إذا أراد أخذها.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨: ٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري(٥١) كتاب تفسير القرآن بَاب قَوْلُهُ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ رقم (٤٨٨١).

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل نعيم الجنة،وذكر طعام أهل الجنة، قد يتبادر إلى الأذهان أنها كفاكهة الدنيا محددة بمواسم معينة، فلها وقت، ثم تنقطع، فجاء الاحتراس؛ لنفي هذا التوهم، ولبيان تمام النعمة أن فاكهة الجنة بل نعيمها دائمان أبداً لا ينقطعان.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس لم يغب عن أذهان المفسرين، وقد أوردوه بعباراتهم الدالة على معناه ومقصوده.وقد أشار إلى هذا المعنى غير واحد من المفسرين ، فقال الثعلبي (ت:٤٢٧): ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ بالأزمان ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ بالأثمان[1].

وبعبارة أكثر تفصيلاً يورد الرازي (ت: ٦٠٦) ما يدل على الاحتراس، فيقول: «﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ في غاية الحسن؛ لأن فيه إشارة إلى دليل عدم القطع، كما أن في: ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ دليلاً على عدم المنع، وبيانه هو أن الفاكهة في الدنيا لا تمنع إلا لطلب العوض، وحاجة صاحبها إلى ثمنها لدفع حاجة به، وفي الآخرة مالكها الله تعالى ولا حاجة له، فلزم أن لا تمنع الفاكهة من أحد كالذي له فاكهة كثيرة، ولا يأكل ،ولا يبيع، ولا يحتاج إليها بوجه من الوجوه ،لا شك في أن يفرقها، ولا يمنعها من أحد. وأما الانقطاع فنقول الذي يقال في الدنيا: الفاكهة انقطعت، ولا يقال عند وجودها: امتنعت، بل يقال: منعت؛ وذلك أن الإنسان لا يتكلم إلا بما يفهمه الصغير والكبير، ولكن كل أحد إذا نظر إلى الفاكهة زمان وجودها يرى أحداً يحوزها ويحفظها، ولا يراها ينفسها تمتنع، فيقول: إنها ممنوعة، وأما عند انقطاعها وفقدها لا يرى أحداً قطعها حساً وأعدمها ،فيظنها منقطعة بنفسها ؛لعدم إحساسه بالقاطع، ووجود إحساسه بالمانع.

(١) الكشف والبيان (٩: ٢٠٨).

وقال: قَدَّمَ نفي كونها مقطوعة؛ لما أن القطع للموجود والمنع بعد الوجود؛ لأنها توجد أولاً ،ثم تمنع، فإن لم تكن موجودة لا تكون ممنوعة محفوظة، فقال: «لا تقطع فتوجد أبداً،، ثم إن ذلك الموجود لا يمنع من أحد وهو ظاهر،، غير أنا نحب أن لا نترك شيئاً مما يخطر بالبال ويكون صحيحاً»(١).

وهذا الرأي الذي أورده الرازي ذكره غير واحد من المفسرين، ومن ذلك ما ذكره ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) «وصفت بـ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ وصفاً بانتفاء ضد المطلوب، إذ المطلوب أنها دائمة مبذولة لهم. والنفي هنا أوقع من الإثبات، لأنه بمنزلة وصفٍ وتوكيده، وهم لا يصفون بالنفي إلا مع التكرير بالعطف، كقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾»(٢) [النور: ٣٥] فعبارة ابن عاشور «إذ المطلوب أنها دائمة مبذولة» دالة على الاحتراس.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ١٥-٢١].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآيات الكريمة في وصف نعيم أهل الجنة وما أعده الله لهم،فجاء السياق الكريم في ذكر ما أعد الله تعالى للأبرار من عباده المؤمنين المتقين، يطوف عليهم الخدم الوصفاء بآنية من فضة، يرى باطنها من ظاهرها؛ لصفائها ،مادتها فضة، وصفاؤها صفاء الزجاج،﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ أي: خمرا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا ﴾ أي: ما تمزج به

(١) مفاتيح الغيب (٢٩: ١٤٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧: ٣٠٠).

﴿زَنجَبِيلًا ﴾ من عين في الجنة ﴿ تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾. حيث يطُوفُ عليهم خدم الجَنَّة بأَوَانِي الطَّعَام، وهِي من فِضَّةٍ خَالِصَةٍ، وَبِأَكْوَابِ الشَّرَاب من فِضَّةٍ، وقد جُعلتْ هذه الأَكْوَابُ جَامِعَةً بَيَاضَ الفِضَّةِ، وَصَفاءَ الزُّجَاج وَشَفَافِيَّتَهُ.

ويطوف على أولئك الأبرار في الجنة ولدان غلمان مخلدون، لا يهرمون ،ولا يموتون، حالهم دائماً لا تتغير.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

حوت الآيات السابقة أكثر من احتراس جاء في إثبات النعيم لأهل الجنة:

الاحتراس الأول:

في قوله تعالى: ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾ حيث جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ لما ذكرت الآية السابقة أن الآنية التي يطاف بها على أهل الجنة من فضة عَطف ببيان نوع الأكواب، فوصفت بأنها قوارير، وقد يتوهم السامع أن هذه القوارير كانت من الزجاج، فجاء الاحتراس بقوله: ﴿ مِن فِضَّةٍ ﴾؛لبيان أصلها ونوعها، ودفع ما يتوهم، وزيادة في إثبات نعيم أهل الجنة.

وقد أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى موضع الاحتراس، فقال: ولفظ ﴿ قَوَارِيرَا۟ ﴾ الثاني يجوز أن يكون تأكيداً لفظياً للنظيرة؛ لزيادة تحقيق أن لها رقة الزُّجَاج... وعطف ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ على ﴿بِـَٔانِيَةٍ﴾ من عطف الخاص على العام»[1].

وبعبارة أوضح «ويقتضي- أنها من زُجَاج ومن فضة، وذلك متمكن؛ لكونه من (زجاج) في شفوفه، ومن (فضة) في جوهره، وكذلك فضة الجنة شفافة »[2] فهي جامعة

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩: ٣٩٢). بتصرف.

(٢) المحرر الوجيز (١٦: ١٨٩).

لبياض الفضة وحُسنها، وصفاء القوارير وشفوفها، حتى يُرى ما فيها من الشراب من خارجها، قال ابن عباس: قوارير كل أرض من تربتها، وأرض الجنة فضة

ويجلي ابن عادل (ت:٨٨٠) موقع الاحتراس فيقول : « فإن قيل: كيف تكون هذه الأكوابُ من فضة ومن قوارير؟.

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن أصل القوارير في الدنيا الرمل، وأصل قوارير الجنة هو فضة الجنة، فكما أن الله تعالى قاذر على أن يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية، فكذلك قادر على أن يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة، فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على أن نسبة قارورة الجنة إلى قارورة الدنيا كنسبة الفضة إلى الرمل، فكما أنه لا نسبة بين هذين الأصلين فكذا بين القارورتين.

وثانيها: ما تقدّم من قول ابن عباس رضي الله عنهما أنه ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، أي: أنها جامعة بين صفاء الزجاج وشفافيته وبين نقاء الفضة وشرفها.

وثالثها: أنه ليس المراد بالقوارير الزجاج، بل العرب تسمي ما استدار من الأواني التي تجعل فيها الأشربة مما رق وصفا قارورة، فالمعنى: وأكواب من فضة مستديرة صافية[1] ومما مضى يتبيّن أثر الاحتراس في جلاء التوهم وإزالة اللبس واتضاح المعنى.

ومما سبق يتبيّن كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم في وصف نعيم أهل الجنة، وكيف كان للاحتراس أبلغ الأثر في بعث الأمن والطمأنينة في نفس السامع، حين يعلم أن نعيم الجنة دائم لا ينقطع.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب(٢٠: ٣٥).

الاحتراس الثاني:

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾، لما كان قد يتبادر إلى الأذهان أن هؤلاء الولدان يشبون، ثم يهرمون ،جاء الاحتراس؛ لدفع التوهم وإن هؤلاء الغلمان تبقى صفتهم، ولا تتغير، وأن هذا من تمام النعمة على أهل الجنة.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المراد بـ﴿ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أي: باقون على تلك الصفة، لا يهرمون ولا يتغيرون[١].

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥) :﴿ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أي: دائمون[٢].

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «وصفوا بأنهم ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ ؛ للاحتراس مما يوهمه اشتقاق ﴿وِلْدَانٌ﴾ من أنهم يشبون ويكتهلون، أي: لا تتغير صفاتهم؛ فهم ولدان دوماً»[٣].

ومما سبق يتبيّن كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم في وصف نعيم أهل الجنة، وكيف كان للاحتراس أثر في بعث الأمن والطمأنينة في نفس السامع حين يعلم أن نعيم الجنة دائم لا ينقطع.

الاحتراس الثالث:

في قوله تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١] .

لما كان المعهود من شراب الدنيا، وما يعتريه من الأقذار وعدم الصفا، وكذلك ما يعتريه من أرجاس؛ لكونه يؤثر في العقل، جاء الاحتراس بدفع التوهم أن يكون

---

(١) البحر المحيط (٨: ٣٨٩)، والكشف والبيان (٦: ١٦٨)، ومفاتيح الغيب (٣٠: ٢٢١)، وإرشاد العقل السليم (٩: ٧٤)، واللباب (٢٠: ٤٠).

(٢) أنوار التنزيل (٥: ٤٢٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩: ٣٩٧).

شراب الجنة على هذه الصفة غير مرغوبة؛ فهو شراب طاهر مطهر من الأقذار و ، الأكّدار وبذلك زال التوهم.

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى هذا المعنى الذي دل عليه الاحتراس، ولم ترد إشارات لمصطلح الاحتراس.

فقال أبو حيان (ت: ٧٤٥) : «﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ﴿طَهُورًا﴾: صفة مبالغة في الطهارة، وهي من فعل لازم؛ وطهارتها بكونها لم يؤمر باجتنابها، وليست كخمر الدنيا التي هي في الشرع رجس، أو لكونها لم تدس بِرِجْلٍ دنسةٍ، ولم تمس بيد وَضِرَةٍ، ولم توضع في إناء لم يُعْنَ بتنظيفه»(١).

وهذا الذي ذكره أبو حيان يكاد يتفق مع ما ذكره المفسرون، حيث يرى غير واحد منهم أن خمر الآخرة لا تشبه خمر الدنيا إلا بالاسم، وتختلف عنه في الكُنه والصفة(٢).

ويصَرِّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوجود الاحتراس، فيقول: «﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: هذا احتراس مما يوهمه شربهم من الكأس الممزوجة بالكافور والزنجبيل من أن يكون فيها ما في أمثالها المعروفة في الدنيا ومن الغول وسُوء القول والهذيان، فعبّر عن ذلك بكون شرابهم طهوراً بصيغة المبالغة في الطهارة وهي النزاهة من الخبائث، أي: منزَّهاً عما في غيره من الخباثة والفساد.

وأسند سقيه إلى ربهم إظهاراً لكرامتهم، أي: أَمَرَ هو بسقيهم، كما يقال: أطعمهم رب الدار وسقاهم(٣).

❀❀❀

---

(١) تفسير البحر المحيط (٨: ٣٩٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٢: ٣٧٢)، وتفسير القرآن العظيم (٨:٢٩٣)، والسراج المنير (٨: ٢١٥)، واللباب (٢٠: ٤٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩: ٤٠٠).

المطلب الثالث
الاحتراس في وصف النار وعذابها

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٤-٥٥].

هذه الآية تماثلها آية أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

* الدراسة والتحليل:

يخبر الله عز وجل رسوله بقوله: يستعجلونك بإنزال العذاب بهم، وهو واقع بهم لا محالة، ولو علموا ما هم صائرون إليه لما تمنوا استعجال العذاب.

وفي يوم القيامة يغشاهم العذاب، ويحيط بهم من كل جانب: من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، وعن ميامنهم، وعن شمائلهم، ويقال لهم على سبيل التقريع: ذوقوا العذاب الذي أوصلكم إليه سوء عملكم.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ في الآية الأولى لما ذكر الله وجل أنَّ لو كان أهل الكتاب أقاموا دينهم وِفق ما أوجب الله عليهم لرزقهم، فذكر أنه سَيَرْزُقهم من فَوقهم، ربما يتوهم متوهم أن الرزق سينزل من السماء كنزول المائدة على بني إسرائيل، فدفع هذا التوهم بأنه يأتيهم الرزق من فوقهم ومن تحت أرجلهم كناية عن كثرته، فدفع بذلك التوهم.

وقد أشار الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧) إلى هذا المعنى، فقال: «﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: عبارة عن التوسعة أي: لوسّع عليهم أرزاقهم؛ بأن يُفيض عليهم من بركات السماءِ والأرضِ، أو أن تَكثُر الأشجار المثمرة والزروع المغلّة أو أن يرزقهم الجِنان اليَانعة الثمار، فيجنونها من رأس الثمر والشجر، ويلتقطون ما تساقط على الأرض، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بيّن سبحانه وتعالى بذلك أن ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم، لا بقصور الفيض، ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين»[1].

ومما مضى يتبيّن وقوع الاحتراس في الآية، ومعنى الاحتراس له آيات تشهد له، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ -١٢]، وقوله عن هود وقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود:٥٢].

الآية الثانية:

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

*** موقع الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

لما ذكر الله عذاب جهنم أنه سَيغشاهم من فوقهم ربما توهم متوهم اختصاص العذاب بجهات معينة، فلما جاء الاحتراس دفع التوهم، وتبيّن أن العذاب يحيط بهم من جميع الجهات.

---

(١) تفسير السراج المنير (١: ٤٤٥).

فالاحتراس في الآيتين فيه دليل على الإحاطة والشمول.

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس ،فقال: «قوله: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ بيان للغشيان لتصويره تفظيعاً لحاله وتأكيداً لمعنى الغشيان؛لرفع احتمال المجاز، فهو في موضع الحال من ﴿الْعَذَابِ﴾ ، وهي حال مؤكدة.وقوله: ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ احتراس عما قد يُوهمه الغشيان من الفوقية خاصة، أي: تصيبهم نار من تحتهم تتوهج إليهم وهم فوقها»(١).

وقال في موضع آخر: «﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ احتراس عما قد يوهمه الغشيان من الفوقية خاصة، أي: تصيبهم نار من تحتهم تتوهج إليهم وهم فوقها، ولما كان معطوفاً على الحال بالواو، وكان غير صالح لأن يكون قيداً لـ ﴿يَغْشَـٰهُمُ﴾ ؛ لأن الغشيان هو التغطية»(٢).

ويؤكد على هذا المعنى أبو السعود (ت:٩٨٢) فيرى أن اسمية الجملة فيها «دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها»(٣).

ومما مضى يتأكَّد وقوع الاحتراس في الآيات الكريمة، وقد جاء الاحتراس؛ لدفع التوهم، ولبيان الشمول والإحاطة.

الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨] .

---

(١) التحرير والتنوير (٢١: ١٩).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠: ١٩٣).

(٣) إرشاد العقل السليم(٥: ١٥٨).

* الدراسة والتحليل:

كشفت الآية الكريمة مشهداً من مشاهد يوم القيامة، عند اجتماع أصحاب النار فيها، فكلما دخل أهل ملة لعنوا أهل ملتهم، وإنما تلاعنوا لأن بعضهم ضل باتباع بعض، فيسأل الأتباع الله جل جلاله أن يُضاعف لهم العذاب؛ لأنهم سبب هلاكهم ودخولهم النار، فتزاد الحسرة بأنّ لكل ضعفاً ولكن لا يعلمون ما هو.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

انتظم الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فيكون معنى الآية : لكل ضعف من العذاب، ولكن لا يعلم الأتباع ما للمتبوعين، ولا والمتبوعون ما للقادة، فلو لم يذكر الاحتراس: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ لتوهم أن عذاب القادة والأتباع أشد من عذاب المتبوعين، فجاء الاحتراس، ودفع هذا الوهم.

ولم أقف على من صَرَّحَ بوقوع الاحتراس في الآية، لكن وجدت في عبارات المفسرين ما يشير إلى معنى الاحتراس، وأوضح عبارة وقفت عليها ما ذكره الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال:«والاستدراك في قوله: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ لرفع ما توهمه التسوية بين القادة والأتباع في مضاعفة العذاب، والمعنى: أنكم لا تعلمون الحقائق ،ولا تشعرون بخفايا المعاني» (١).

فابن عاشور يرى أن الاستدراك جاء لرفع توهم التسوية، فلو لم يأتِ الاستدراك لتوهم أن العذاب مُنْصَبٌّ على القادة ؛ لأنهم سبب في ظلال من تبعهم.

كانت تلك هي الإشارة الوحيدة التي أشارت إلى معنى الاحتراس، بيد أنه لا يخلو الأمر من وجود إشارات متفرقة في بطون كتب التفسير،وإن كانت بعيدة، لكنها تحمل

(١) التحرير والتنوير (٨: ١٢٣).

المعنى الذي ذكره الطاهر ابن عاشور، فقال الطبري (ت: ٣١٠) قوله: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴾ يقول: «ولكنكم يا معشر أهل النار لا تعلمون ما قدرُ ما أعدَّ الله لكم من العذاب، فلذلك تسأل الضعفَ منه الأمُة الكافرةُ الأخرى لأختها الأولى»[1].

ويتابع السمعاني (ت: ٤٨٩) الطبري، فيقول: «لا يعلم القادة ما للأتباع، ولا الأتباع ما للقادة»[2].

وإلى هذا المعنى ذهب غير واحد من المفسرين[3] ولا تكاد تخرج أقوالهم عن ذلك، وفيها إشارات متباعدة لمعنى الاحتراس.

كما أن هناك طائفة من المفسرين[4] لم تتطرق لمعنى الاستدراك في الآية الكريمة من الناحية البلاغية، ولم تشر لمعنى الاحتراس من قريب ولا بعيد، إنما جاء تفسير الآية تفسيراً مجملاً.

لكن النظرة المتأملة للآية الكريمة تلمح معنى الاحتراس في الآية ، فلما قال الله عز وجل: ﴿لِكُلٍّ ضِعۡفٌ﴾ تطّلعتْ نفوس أهل النار لمعرفة العذاب للطائفة التي قبلها؛ لكونها سبباً في ظلالهم وانحرافهم عن السراط المستقيم، وانتظار العذاب الأشد للقادة والرؤساء؛

(١) جامع البيان (٥: ٤٨٣).

(٢) تفسير السمعاني (٢: ١٨١).

(٣) ينظر على سبيل المثال بحر العلوم (١: ٥٣٠)، ومعالم التنزيل (٢: ١٥٩)والكشاف (٢: ٩٩)، وأنوار التنزيل (٣: ١٩)، والتسهيل (٢: ٣٢)، وفتح القدير (٢: ٢٨٧)، وروح المعاني (٤: ٣٥٦).

(٤) ينظر على سبيل المثال، تفسير ابن زمنين (٢: ١٢٢)، والكشف والبيان (٤: ٢٣٢)، والوجيز (١: ٣٩٣)، والمحرر الوجيز (٢: ٣٩٨)، وتفسير القرآن العظيم (٣: ٤٠٠)، والجواهر الحسان (٤: ٢٣٢)، تفسير الجلالين (ص: ١٩٨)، والدر المنثور (٢: ٤٩٣)، والنهر الماد (٢: ٥٣٨)، وحاشية ابن التمجيد (٨: ٣٨٠)، وحاشية زاده (٤: ٢١٦)، والسراج المنير (٢: ١٩٥)، وحاشية الشهاب (٤: ٢٨٠)، وحاشية القونوي (٨: ٣٨٠)، والفتوحات الإلهية (٣: ٣٥)، وحاشية الصاوي (٢: ٢٦١).

لكونهم وراء غواية المتبوعين، فقطع الاحتراس ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ آمالهم، وأزال التوهم في نوع العذاب المنتظر. وفي هذا المعنى يقول القرطبي (ت: ٦٧١): ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا يعلم كل فريق ما بالفريق الآخر؛ إذ لو علم بعض من في النار أن عذاب أحد فوق عذابه لكان سلوةً له. وقيل: المعنى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ ما يجدون من العذاب»[1].

ولهذا المعنى آثرت القول بمجيء الاحتراس في الآية مع أنه لم يذكره أحد من المفسرين. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه: ٧٤].

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [الأعلى: ١١-١٣].

*** الدراسة والتحليل:**

يأمر الله تعالى النبي ﷺ بالتذكير؛فهو مأمور بالبلاغ ،فيبلغ الكافر والمؤمن، ويذكر الكافر والمؤمن،والأمر من قبلُ وبعدُ لله، فسيذكر ويتعظ من يخشى عقاب الله لإيمانه به ومعرفته له، ويتجنب التذكرة ﴿ ٱلْأَشْقَى ﴾ الَّذِي سيدخل النَّارَ يوم القيامة ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ من جراء عذابها، فيستريح، ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ فلا يهنأ ويسعد؛ إذ الشقاء لازمه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾، لما ذكر الله عز وجل العذاب الذي ينتظر الكافر المكذب، ذكر أنه سيدخل ناراً سيطول بها مكثه، قد يتوهم متوهم أنه سيموت لما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩: ٢١٦).

يَعرفُون من أحوال النار في الدنيا، فجاء الاحتراس،ونفى ذلك الظن الباطل، وبيَّن أن من هو في العذاب لا يموت في النار، بل يتجدد عليه العذاب.

أشار غير واحد من المفسرين إلى المعنى الذي جاء به الاحتراس، «لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه، بل هي مضرة عليه؛ لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب، وأنواع النكال»(١).

وقد أشار البقاعي (ت:٨٨٥) إلى الاحتراس بأقوى نظائره (الاحتراز)،فقال: «﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ أي:لا يتجدد له في هذه النار موت وإن طال المدى.

ولما كان من يدخل النار فلا تؤثر في موته قد يكون ذلك إكراماً له من باب خرق العوائد، احترز عنه بقوله: ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: حياة تنفعه؛ لأنه ما تزكى، فلا صدق، ولا صلى»(٢).

كما ذكر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) الاحتراس،فقال: «﴿لَا يَمُوتُ﴾:لا يزول عنه الإحساس؛ فإن الموت فقدان الإحساس،ومع ما في هذه الحالة من الأعجوبة وهي مما يؤكد اعتبار تراخي الرتبة في هذا التنكيل.

وتعقيبه بقوله: «﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ احتراس لدفع توهم أن يراد بنفي الموت عنهم أنهم استراحوا من العذاب ؛لما هو متعارف من أن الاحتراق يُهلك المحرَق»(٣).

ومما مضى يتبين ثبوت الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم في دفع التوهم وبيان شدة عذاب جهنم، ومعنى الاحتراس تشهد له آيات أخرى:

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (١٠: ١٨٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣: ٣١٤)، وتفسير القرآن العظيم (٨: ٣٨٠)، واللباب (٢٠: ٢٨٤).

(٢) نظم الدرر (٨: ٤٠٠).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠: ٢٨٦).

قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧]، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: ٣٦].

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٩، ٤٠].

*** الدراسة والتحليل:**

لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون بالعذاب ماذا أعد لهم ربهم من أليم العذاب في نار جهنم، وما يكون عليه حالهم في ذلك اليوم لما قالوا هذا القول، ولما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا لأنفسهم النكال والوبال؛ فنار جهنم ستحيط بهم من كل جانب، تلفح وجوههم،وتكوي ظهورهم، فلا يستطيعون ردها، ولا دفعها عن أنفسهم، ولا يجدون ناصراً لهم ينصرهم من عذاب الله.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى ﴿ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل عذاب أهل النار، وأنهم لا يستطيعون أن يدفعوا العذاب عن وجوههم، قد يتوهم متوهم أنهم يدفعون العذاب عن أماكن أخرى، جاء الاحتراس فأزال هذا التوهم وأن عدم ردهم للعذاب لأنهم لا يستطيعون؛ فالعذاب فوق طاقتهم.

ذكر الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) الاحتراس فقال: «وذِكر الظهور بعد ذكر الوجوه عن هذا الاحتمال احتراس لدفع توهم أنهم قد يكفّونها عن ظهورهم إن لم تشتغل أيديهم بكفها عن وجوههم»(١).

ويرى ابن عطية (ت: ٥٤٢) أن السبب في تخصيص الوجوه والظهور: «لشرفها من الإنسان، وأنها موضع حواسه، وهو أحرص على الدفاع عنه، ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار لجميع أبدانهم»(٢).

ويخالف أبو السعود (ت:٩٨٢) في وجه التخصيص، فيقول: «وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر؛ لكونهما أشهر الجوانب، واستلزام الإحاطة بهما الإحاطة بالكل، بحيث لا يقدرون على دفعها بأنفسهم من جانب من جوانبهم، ولا هم ينصرون».(٣)

وهذا المعنى الذي أشار إليه الاحتراس ورد في آيات أخرى بيّنت أن الكفار لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم العذاب؛ لكونه محيطاً بهم من جميع الجوانب، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر:١٦] ، ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف:٤١].

ومما سبق تبين كيف أسهم الاحتراس في تصوير عذاب الكفار، وبينّ إحاطته وشموله لجميع الجسم، وفي ذلك وعيد للكفار الذين يستعجلون بالعذاب.

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٩].

---

(١) التحرير والتنوير (١٧: ٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٤: ١٠١).

(٣) إرشاد العقل السليم (٤: ٣٣٧).

*** الدراسة والتحليل:**

ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيمة؛ بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وَفْق مرتبته؛ وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يُظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لما ذكر الله- عز وجل - دخول أهل النار النار بَيّنَ أن كلاً يحاسب على عمله، ولا يظلم.

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «وجملة ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ احتراس منظور فيه إلى توفية أحد الفريقين،وهو الفريق المستحق للعقوبة؛ لئلا يحسب أن التوفية بالنسبة إليهم أن يكون الجزاء أشد مما تقتضيه»[١].

صَرَّحَ ابن عاشور بالاحتراس، وأنه جاء لدفع توهّم أن يكون الجزاء والعقوبة أشد مما يستحقون.

وذهب ابن عادل (ت: ٨٨٠) إلى أن موقع الاحتراس توكيد، فقال: «إما استئناف، وإما حال مؤكَّدة»[٢].

كأنه قيل: ليوفيهم أعمالهم، ولا يظلمهم حقوقهم، فَعَلَ ما فَعَلَ من تقدير الجزاء على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار؛ فإنه على قدر أعمالهم.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦: ٤١).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٧: ٤٠١).

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس قال به غير واحد من المفسرين[(١)] فتوفية الأعمال أداؤها بمقدارها، ولا يُظلمون حُقوقهم، بل قَدّرَ جزاءهم على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات.

ومما سبق تبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد حمل إلى جانب دفع التوهم التهديد والوعيد.

الآية السابعة:

قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٦].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في السياق الكريم في بيان أحوال الأصناف الثلاثة التي انقسمت البشرية إليها عند خروجها من قبورها، فذكر حال السابقين وحال أصحاب اليمين، وذكر هنا حال أصحاب المشأمة، وهم أصحاب الشمال، فقال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ تنديد بحالهم وإعلان عن سوء عاقبتهم وما هم فيه من عذاب؛ إنهم ﴿ فِى سَمُومٍ ﴾: في ريح حارة تنفذ في مسام الجسم، ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ وشرابهم ماء حار شديد الحرارة، وظلالهم دخان أسود شديد السواد، ﴿ لَّا بَارِدٍ ﴾ كغيره من الظلال، ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أي: وليس بذي حسن في منظره. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ هذه علة جزائهم بالعذاب الأليم .

---

(١) ينظر: بحر العلوم (٢: ٢٧٥)، وأنوار التنزيل (٥: ١٨٢)، وتفسير القرآن العظيم (٧: ٢٨٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٨٢).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء في هذه الآية الكريمة أكثر من احتراس الأول في قوله تعالى: ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾. لما ذكر الله – عز وجل – أن لأهل النار ظلاً يستظلون به، وفياً يسترحون له، انصرفت الأذهان إلى المعهود من الظل في الدنيا من البرد والاسترواح، فجاء الاحتراس ؛لينفي تلك الصورة، ويجلي صفة الظل في النار بأنه ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ فاندفع بذلك الوهم ،وثبتت الصورة.

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥): ﴿ لَّا بَارِدٍ ﴾ كسائر الظل ،﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ ولا نافع ،نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح»(١).

أشار البيضاوي في عباراته تلك إلى المقصود وهو لاحتراس، فلما ذكر الظل قد يتوهم أنه ظِلٌّ نافعٌ، فجاء الاحتراس ونفى عن الظل أيّ نفع.

ويرى ابن التمجيد (ت: ٨٨٠) ذلك ،فيقول: «نفي لصفتي الظل عنه، يريد أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال، سماه ظلاً ثم نفى عنه برد الظلال وروحه ونفعه لمن يأوي إليه»(٢).

ويصَرِّحَ القونوي (ت: ١١٩٥) بمجيء الاحتراس في الآية الكريمة، فيقول: ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ صفتان للظل من قبيل الاحتراس؛ لدفع توهم الاستراحة.

إن إطلاق الظل على الدخان استعارة تهكمية، والاسترواح طلب للراحة، والمراد هنا الراحة قوله ﴿وَلَا كَرِيمٍ ﴾ للتأكيد لقوله: ﴿ لَّا بَارِدٍ ﴾؛لأن معناه: لا دافع يدفع أذى الحر فهو منفهم من نفي برودته»(٣).

---

(١) أنوار التنزيل (٥: ٢٨٢).

(٢) حاشية ابن التمجيد (١٨: ٤٠٣).

(٣) حاشية القونوي (١٨: ٤٠٣).

وهذا الاحتراس قد أشار إلى معناه عامة المفسرين، ولم يغفل عنه أحد منهم[١]، وقد جاء هذا الاحتراس؛ لدفع التوهم فضلاً عن السخرية والتهكم بأصحاب النار.

أما الاحتراس الآخر فوقع في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ .

فقد يتسأل سائل عن هذا العذاب، وربما توهم أنهم غير مستحقين له، فلما جاء الاحتراس دفع ذلك التوهم، وبين أن العقوبة لم تنزل بهم إلا بذنب .

قال الألوسي (ت: ١٢٧٠): «تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب، وسلك هذا المسلك في تعليل الابتداء بالعذاب اهتماماً بدفع توهم الظلم في التعذيب، ولما كان إيصال الثواب مما ليس فيه توهم نقص أصلاً، لم يسلك فيه نحو هذا، والمترف هنا بقرينة المقام هو المتروك بصنع ما يشاء، لا يمنع، والمعنى: أنهم عذبوا؛لأنهم كانوا قبل ما ذكر من العذاب في الدنيا متبعين هوى أنفسهم، وليس لهم رادع منها يردعهم عن مخالفة أوامره عز وجل،وارتكاب نواهيه سبحانه، كذا قيل. وقيل: هو العاتي المستكبر عن قبول الحق والإذعان له، والمعنى: أنهم عذبوا ؛لأنهم كانوا في الدنيا مستكبرين عن قبول ما جاءتهم به رسلهم من الإيمان بالله عز وجل، وما جاء منه سبحانه، وقيل: هو الذي أترفته النعمة، أي :أبطرته ،وأطغته»[٢].

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحديد: ١٤-١٥].

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم (٦: ١٩٠) والكشاف (٤: ٤٥١) ونظم الدرر (٧: ٤١١)، وإعراب القرآن محيي الدين الدرويش (٧: ٤٠٣).

(٢) روح المعاني (١٤: ١٤٤).

* الدراسة والتحليل:

جاءت هذه الآيات الكريمة بمشهد من مشاهد يوم القيامة، يوم ينادي المنافقون المؤمنين، ويقولون لهم: إننا كنا معكم في الحياة الدنيا ،نصلي معكم الجمع والجماعات، فيرد عليهم المؤمنون قائلين: نعم لقد كنتم معنا، لكنكم أهلكتم أنفسكم في النفاق، وشككتم في أمور البعث والنشور، وخدعتكم الأماني والآمال، فاليوم لا مهرب لكم ولا للكافرين من عذاب الله، ولا سبيل لكم إلى الافتداء منه، ولو جاء أحدكم بمثل الأرض ذهباً، وستصيرون جميعاً إلى نار جهنم، وستكون هي مأواكم ومثواكم، وساءت مصيراً.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

لما ذكرت الآيات موقفاً من مواقف القيامة، ذكر الله عز وجل أنه لا يقبل من هؤلاء المنافقين فدية ربما يتوهم متوهم أن هذا الحكم خاص بهم، فجاء الاحتراس، وأزال التوهم، وأنه لم يُعدّ هناك إلا الجزاء، فلا يؤخذ من المنافقين ولا من المشركين.

وهذا المعنى الذي حمله الاحتراس أورده غير واحد من المفسرين، فقال الخازن (ت: ٣٧١): «﴿ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾يعني المشركين،وإنما عطف الكفار على المنافقين وإن كان المنافق كافراً في الحقيقة؛لأن المنافق أبطن الكفر، والكافر أظهره، فصار غيرَ المنافق، فحسن عطفه على المنافق»[(١)].

فالخازن يرى استقلال الكافر عن المنافق، وإن كان بينهم اشتراك، فلو لم يذكر الكافر لتوهم اختصاص الحكم بالمنافق.

كذلك أشار القونوي (ت: ١١٥٩) إلى مقصد الاحتراس ، فقال: «﴿ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ذكرهم هنا لدفع توهم تخصيصه بالمنافقين؛ فإن ما قبله مختص بهم؛ لكونهم مع

(١) لُباب التأويل (٧: ٣٤).

المؤمنين ظاهراً، بخلاف الكفرة المجاهرين ،فلا مجال لهم التماس النور، فلذا خُصَّ المنافقون بالذكر»[١].

فعبارة :«لدفع توهم» حملت المقصد من الاحتراس، فلو لم يذكر لتوهم أن هذا الحكم خاص بالمنافقين.

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «﴿ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ قُصِدَ منه تعليلُ أن لا محيص لهم من عذاب الكفر، أي: الذين أعلنوا الكفر حتى كان حالةً يعرفون بها. وهذا يقتضي أن المنافقين كانوا هم والكافرون في صعيد واحد عندَ أبوابِ جهنم، ففيه احتراس من أن يتوهم الكافرون الصَّرَّحَاء من ضمير ﴿ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ أن ذلك حكم خاص بالمنافقين تعلقاً بأقل طمع، فليس ذكر ﴿ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مجرد استطراد»[٢].

ومما سبق تبين وقوع الاحتراس في الآية، وقد جاء لدفع توهم اختصاص الحكم بالمنافق.

❀❀❀

---

(١) حاشية القونوي (١٨: ٤٥٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧: ٣٨٩).

المطلب الرابع

مقاصد الاحتراس في آيات اليوم الآخر

المقصد الأول: دفع التوهم وإزالة اللبس.

دفع الوهم وإزالة اللبس هو المغزى الرئيس لورود الاحتراس، وقد جاء هذا المقصد في غير آية من آيات اليوم الآخر، وكما أنه أتى مع كل غرض من أغراضه.

ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ [الكهف: ٥٠-٥١] جاء الاحتراس في قوله تعالى ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ دفعاً لتوهم أن يكون إبليس من الملائكة وعصى ربه، وبذلك يكون زال التوهم، وثبت المعنى المراد.

المقصد الثاني: التوكيد.

جاء الاحتراس في غير موضع التوكيد المعنى وتقريره ودفع ما يجلب التوهم، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨] .

حيث أسهم الاحتراس في دفع توهم من يتوهم أن هناك من الملائكة من لم يسجد، أو تخلف عن السجود اقتداءً بإبليس، فلما جاء الاحتراس رفع الاحتمال في أن يبقى منهم أحد، أنَّ جميعهم سَجَدَ.

وهذا النوع من المقصد، وهو مقصد إزالة اللبس، حاضر مع كل آية من الآيات التي جاء فيها الاحتراس.

والشواهد الدالة على دفع الوهم وعلى هذا المقصد يطول المقام بذكرها، وقد جاءت متناثرة في البحث.

المقصد الثالث: دفع توهم التسوية .

كما جاء الاحتراس لدفع توهم التسوية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]؛ فقد جاء الاحتراس في قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ لرفع ما يتوهم من التسوية بين القادة والأتباع في مضاعفة العذاب، فلكل ضعف على حسب أعمالهم في الدنيا.

المقصد الرابع: بيان تمام النعمة.

جاء الاحتراس لمقصد أسمى، وهو تمام النعمة والنعيم لأهل الجنة،وبث الأمن والطمأنينة في النفوس، وقد اختص هذا الغرض في نعيم أهل الجنة، فقد جبلت النفوس على الخوف من المستقبل، وانقطاع الملذات والنعم، فلما غلب الخوف على النفوس حتى من زوال نعيم الجنة جاء الاحتراس ليؤكد على استمرار النعيم، وأنه دائماً وأبداً لا ينقطع، لا يحول ولا يزول، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. فقد جاء الاحتراس بقوله: ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ؛ لئلا يتوهم متوهم ثَمَّ انقطاع ،فدفع الوهم ببيان كمال النعم ودوامها.

المقصد الخامس: التشويق.

من مقاصد الاحتراس في وصف الجنة التشويق لها بمعرفة صفتها،فتتطلع النفوس لها وتَجِدُ في طلبها، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ

ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥] ، فعندما تسمع الآذان أوصاف الجنة تتشوق النفس لها، كما أن هناك كثيراً من الشواهد يطول ذكرها ،فأحيل إليها(١).

المقصد السادس: الدلالة على الثبات والدوام.

جاء الاحتراس لبيان صفة الدوام والثبات ،وهذا النوع إنما هو خاص بنعيم الجنة وعذاب النار، فقد جاء الاحتراس، وأثبت لهم الاستمرار وعدم الانقطاع، بإثبات صفة الخلود والتأبيد، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧] ، حيث وصف الباري عز وجل نعيم الجنة بالخلود، وأكّد الخلود بالتأبيد.

المقصد السابع: الوعد والوعيد.

جاء الاحتراس بأساليب شتى، ومنها الوعد والوعيد، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [الزمر: ٢٥- ٢٦] فقد جاء الاحتراس في قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾، إثبات لشدة العذاب، وأنه أكبر مما نالهم في الدنيا، وأكبر مما يتصورون.

---

(١) ينظر: سورة (البقرة: ٢٥) و(النساء:٥٧ -١٢٢- ١٦٩)، و(هود: ١٠٨)، و(النحل:٣١)، و(الواقعة: ٣٢-٣٣).

المقصد الثامن: إبطال لحجج المشركين.

جاء الاحتراس؛ لإبطال الشرك وحجج المشركين ومعتقداتهم بأدلة متعددة، كما جاء الجدل القرآني بأسلوب الاحتراس؛ لإبطال معتقد أهل الكتاب بالدليل القاطع والبرهان الساطع، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، فقد أبطل الاحتراس مزاعم المشركين عندما اعتقدوا أنهم سيكون لهم وسطاء عند الله يشفعون لهم، بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فجاء الاحتراس وأبطل هذه الحجة ،وبيّن أن لا أحد يشفع عنده إلا من بعد إذنه.

المقصد التاسع: تسلية النبي ﷺ.

ومن المقاصد التي جاء بها الاحتراس تسلية النبي ﷺ عما يلاقي من تكذيب قومه لدعوته ورفضهم للتوحيد، وأن ما عليه إلا البلاغ وحسابهم على ربهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩] فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾، وفي هذا الاحتراس تسلية للنبي ﷺ، وأن هذا التكذيب سنة جارية في دعوة الأنبياء جميعاً، وأن العذاب ينتظرهم يوم القيامة.

كما أن هذا الاحتراس قد جاء لغرض آخر وهو الإحاطة والشمول؛ فالعذاب يأتيهم من كل مكان،ولا يستطيعون أن يردوه عن أنفسهم.

المقصد العاشر: التهكم والسخرية.

جاء الاحتراس للتهكم بالكفار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣- ٤٤].

لما ذكر الله عز وجل الظل قد يتوهم أنه كظل الدنيا، فيطمع السامع، فلما نفى عنه لازم الظل، وهو البرد والاسترواح، جاءت السخرية والتهكم، فيكون أشجى لقلوبهم، وأشد حسرة في نفوسهم.

المقصد الحادي عشر: الإحاطة والشمول.

جاء الاحتراس لبيان الإحاطة والشمول، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٤- ٥٥] فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ ؛ للدلالة على أن العذاب شملهم من جميع الجهات، فلا يستطيعون دفعه عن أنفسهم.



المبحث الثالث

الاحتراس في آيات مواجهة الأنبياء مع أممهم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاحتراس في إثبات النبوة والرسالة.

المطلب الثاني: الاحتراس في قصص الأنبياء ودعوتهم.

المطلب الثالث: الاحتراس في أخبار الأمم السابقة.

المطلب الرابع: مقاصد الاحتراس في آيات النبوة والأنبياء.

المطلب الأول
الاحتراس في إثبات النبوة والرسالة

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن عيسى عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله وليس بابن الله، ولا إله مع الله. وقد جاءت الآية على لسان عيسى بأنه قد جاءهم بآيات من ربهم تدل على صدق رسالته ومن هذه الآيات أنه يخلق لهم من الطين على صور الطير،وينفخ فيها، فتكون طيراً بإذن الله، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وفي ذلك آية دالة على صدقه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾، وقد تكرّرت في الآية؛لما كان قوم عيسى عليه السلام قد غلو فيه، فأوصلوه إلى منزلة الألوهية، وما أتى به من أعمال هي فوق حد القدرة البشرية، بيّن لهم أنه يُبرئ ويحيي ﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾؛لئلا يتأكّد لديهم التوهم الذي ربما زاد من غلوهم وعتوهم عن الحق.

وقد أشار إلى معنى الاحتراس غير واحد من المفسرين[1] قال البيضاوي (ت: ٦٨٥):

---

(١) ينظر: محاسن التأويل (٢: ٦٥)، وروح المعاني (٢: ١٦٢)، وفتح البيان(١: ٤٦٨)، والتحرير والتنوير (٣:٢٥١).

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كرّر ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ دفعاً لتوهم الألوهية؛ فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية»(١).

ويتابع ابن عادل (ت: ٨٨٠) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: «قيّد قوله: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ﴾ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنه خارق عظيم، فأتى به دفعاً لتوهُّم الإلهية(٢).

وكذلك قال ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤): «﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾،لا بقدرتي، دفعاً لتوهم الألوهية؛ فإن الإحياء ليس من طوق البشر»(٣).

فعبارة (دفعاً التوهم) حملت مقصد الاحتراس ،فلو لم تُذكر لتوهم عكس المراد.

ومما سبق يتأكّد وقوع الاحتراس في الآية، وقد جاء الاحتراس بتركيز العقيدة الإسلامية بقوله: «بإذن الله» أي: أني لا أفعل ذلك من تلقاء نفسي، وأن الحياة والشفاء إنما ذلك بإذن الله»(٤).

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] .

*** الدراسة والتحليل:**

أخبر الله المسلمين أن فساق أهل الكتاب لن يضروهم إلا أذى يسيراً كإسماعهم الباطل وقولهم الكذب، وأنهم لو قاتلوهم ينهزمون أمامهم موليهم ظهورهم فارين من القتال، ثم لا ينصرون على المسلمين في أي قتال يقع بين الجانبين، ولن يضر-

---

(١) أنوار التنزيل (٢:٤٢).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٥: ٢٤٩).

(٣) البحر المديد (١: ٣٢٠).

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم (٤:١٢٧).

الفاسقون من أهل الكتاب المؤمنين ضرراً بليغاً يصيب أصل العقيدة الإسلامية، ولن يؤثروا بوجود الجماعة المسلمة في الأرض، وإنما يكون ضررهم عرضياً، كالإيذاء بالهجاء القبيح، والطعن في الدين، وإلقاء الشبهات، وتحريف النصوص... وحين يريدون قتال المسلمين، ويشتبكون معهم في الحرب، فالهزيمة مكتوبة عليهم، والنصر للمؤمنين في النهاية، ولا ناصر لهم من بأس الله وبأس المؤمنين.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في فاصلة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ ، قد يتوهم متوهم أن سبب توليتهم أنهم منحازون إلى فئة تنصرهم وتدفع عنهم، أو أنها خدعة من خدع القتال، فلما جاء الاحتراس أماط الوهمُ وبيَّن أن سبب هذا الانسحاب وتلك التولية إنما جاء عن ضعف ليس إلا.

صَرَّحَ بذكر الاحتراس ابن عاشور (ت:١٣٩٣) حين قال: «قوله: ﴿ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ احتراس، أي: يولوكم الأدبار تولية منهزمين لا تولية متحرّفين لقتال أو متحيّزين إلى فئة، أو متأمّلين في الأمر، وفي العدول عن جعله معطوفاً على جملة الجواب إلى جعله معطوفاً على جملتي الشرط وجزائه معاً إشارةٌ إلى أنّ هذا ديدنهم لو قاتلوكم، وكذلك في قتالهم غيركم»[(١)].

وقد أشار إلى هذا المعنى غير واحد من المفسرين، فقال الطبري (ت: ٣١٠) «وإن يقاتلكم أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى يُهزَموا عنكم، فيولوكم أدبارهم انهزامًا، فقوله: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ كناية عن انهزامهم؛ لأن المنهزم يحوِّل ظهره إلى جهة الطالب هربًا إلى ملجأ وموئل يئل إليه منه، خوفًا على نفسه، والطالبُ في أثره، فدُبُر المطلوب حينئذ يكون محاذي وجه

(١) التحرير والتنوير (٤: ٥٤).

الطالب الهازِمة. ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾، يعني: ثم لا ينصرهم الله،_ أيها المؤمنون_ عليكم؛ لكفرهم بالله ورسوله، وإيمانكم بما آتاكم نبيكم محمد ﷺ؛ لأن الله عز وجل قد ألقى الرعب في قلوبهم، فأيدكم أيها المؤمنون بنصركم»(١).

ويرى الإمام الطبري أن هذه الآية من الدلائل على نبوة نبينا محمد ﷺ حيث أخبر بأمور هي من الغيب، فتكون هذه الجملة كالمؤكدة للجملة قبلها؛ إذ تضمنت الإخبار أنهم لا تكون لهم غلبة ولا قهر ولا دولة على المؤمنين؛ لأنّ حصول ذلك إنما يكون سببه صدق القتال والثبات فيه، أو النصر المستمد من الله، وكلاهما ليس لهم.

ويتابع الشوكاني (ت: ١٢٥٠) من سَبَقَهُ فيقول: «﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ عطف على الجملة الشرطية: أي ثم لا يوجد لهم نصر ولا يثبت لهم غلب في حال من الأحوال، بل شأنهم الخذلان ما داموا، وقد وجدنا ما وعدنا سبحانه حقاً؛ فإن اليهود لم تخفق لهم راية نصر ولا اجتمع لهم جيش غلب بعد نزول هذه الآية، فهي من معجزات النبوة»(٢).

قال ابن أبي الإصبع (ت: ٦٥٤) :«﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾. والقياس أن يكون ﴿يُنصَرُونَ﴾ مجزومةً ؛ لأنها معطوفة على مجزوم، ولكن لما كان المراد الإخبار بأنهم ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ أبداً ألغى العطف، وأبقى صيغة الفعل على حالها؛ لتدل على الحال والاستقبال»(٣).

وهذا مذهب غير واحد من أهل العلم(٤).

---

(١) جامع البيان (٣: ٢٢٦).

(٢) فتح القدير (١: ٦٠٩).

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ٦٨).

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٤: ٢٩٦) والدر المصون (٢: ١٨٨)، ونظم الدرر (٢: ١٣٦)، ومحاسن التأويل (٢: ١١٨).

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

هذه الآية تشاكلها آية أخرى في موضع الاحتراس وفي السياق وهي:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت الآية في سياق الحديث عن أهل الكتاب، فبعد أن بيَّنَ تعالى باطلهم وما هم عليه من شر وسوء. دعاهم -وهو ربهم، وأرحم بهم من أنفسهم - إلى سبيل نجاتهم وكمالهم، دعاهم إلى الإيمان برسوله وكتابه، ذلك الرسول الذي ما اتبعه أحد وندم وخزي، ثم يصف اللهُ تَعَالَى الذين يشملهم برحمته الواسعة ،فيقول: إنهم الذين يتبعون محمداً النبي الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ، وقد جاء وصفه والبشارة به في التوراة والإنجيل، وهو يأمرهم بفعل الخيرات والمعروف، وينهاهم عن فعل المنكر، ويُحِلُّ لهم الطيبات من الرزق، ويضع عنهم التكاليف الشاقة، كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة، وتحريم السبت، فقد جاء محمد ﷺ بما هو يسرٌ وسماحة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأُمِّيِّ ﴾ جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل، فلما ذكر سبيل النجاة باتباع الرسول النبي، فقد يتوهم متوهم أنه أحد

أنبياء بني إسرائيل، فجاء الاحتراس، وأزال اللبس، و بيّنَ أن هذا النبي سيأتي، وستكون صفته أنه أمي ،فزال بذلك الوهم، و تبيّنَ المعنى المراد.

أشار السعدي (ت: ١٣٧٦) للاحتراس بأقوى نظائره الاحتراز، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ احتراز عن سائر الأنبياء؛ فإن المقصود بهذا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ﷺ»[(١)].

فالسعديّ يرى أنه لو يوصف النَّبِيُّ بـ﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾ لتوهم أن المقصود أحد أنبياء بني إسرائيل» ، والسياق في أحوال بني إسرائيل، وأن الإيمان بالنبي محمد ﷺ شرط في دخولهم في الإيمان، وأن المؤمنين به المتبعين هم أهل الرحمة المطلقة التي كتبها اللهّ له ، ووصفه بالأمي؛لأنه من العرب تلك الأمة الأمية التي لا تقرأ ولا تكتب، وليس عندها قبل القرآن كتاب»[(٢)].

وكذلك يرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث ذكر الاحتراس، فقال: «جرى القصر على معنى الاحتراس من الإيهام»[(٣)].

وقد سلك أبو السعود (ت:٩٨٢) مسلكاً مغايراً، حيث يرى أن موقع الاحتراس إنما جاء لزيادة التقرير، فقال: «ووصف الرسول بقوله: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما، ولزيادة تقرير أمره، وتحقيق أنه المكتوب في الكتب»[(٤)].

وكما هو معلوم أن التقرير إنما يأتي للتوكيد، وبيان المعنى ،ودفع ما يوجب الوهم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٠٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠٥).

(٣) التحرير والتنوير (٨: ١٣١).

(٤) إرشاد العقل السليم (٣: ٤٠).

وقد أفاض المفسرون في الحديث عن أميّة النبي ﷺ ،وأنها وجه من أوجه الإعجاز وإثبات النبوة.

والأميّة وصف خَصَّ الله به من رسله محمداًﷺ إتماماً للإعجاز العلمي و العقلي الذي أيده الله به، فجعل الأميّة وصفاً ذاتياً له؛ ليتم بها وصفه الذاتي، وهو الرسالة، وقد أسهم الاحتراس في إثبات النبوة، ودفع توهم أن يكون المقصود غير النبي ﷺ.

*** الآية الرابعة:**

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الرعد: ٦].

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

وقوله: ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

*** الدراسة والتحليل:**

جاء الخطاب في الآية الكريمة للنبي ﷺ أن هؤلاءِ الذين يكذبون بالحشر والمعاد، يستعجلونك بأن تنزل عليهم العذاب. وقد سبقت الأمثلة على إنزال الله تعالى العذاب

والعقاب بالأمم الخالية التي كذَّبت رسلها،واستهزأت بهم، وجعله إياهم عظة لمن اتعظ بهم، ولولا حلم الله تعالى وعفوه لعاجلهم بالعقوبة حال اجتراحهم الذنوب، واكتسابهم المعاصي، ولكنه تعالى يغفر للناس ذنوبهم وتجاوزهم إذا تابوا إليه وأصلحوا، وهو شديد العقاب لمن أصَّر على كفره وعناده وتمادى في غيِّه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لما بيَّنَ الباري – عز وجل – استعجالَ المشركين للعذاب مع ما عرفوا من تعذيب الأمم الماضية وهلاكهم،فبينت الآية الكريمة أن الله غفور رحيم يعفو ويتجاوز عن الظالم، ربما اتكل الظالم على المغفرة، ويزداد من الإثم بيَّنَ الله عز وجل أنه مع هذه المغفرة شديد العقاب، حتى يخاف المسيء ويستعتب.

و إن هذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من أهل التفسير بيد أنه لم تنطق به عباراتهم، ومن ذلك ما ذكره الإمام الطبري (ت: ٣١٠) حيث قال:«وإن ربك يا محمد لذو سترٍ على ذنوب مَنْ تاب من ذنوبه من الناس، فتاركٌ فضيحته بها في موقف القيامة، وصافحٌ له عن عقابه عليها عاجلا وآجلا ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ يقول: على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذني لهم بفعله،﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن هلك مُصِرًّا على معاصيه في القيامة، إن لم يعجِّل له ذلك في الدنيا، أو يجمعها له في الدنيا والآخرة»[(١)].

ويوجز القاسمي (ت: ١٣٣٢) المسألة في عبارة موجزة، فيقول: « ولمّا بيَّنَ تعالى سعة حلمه قَرَنَهُ ببيان قوة عقابه؛ ليعتدل الرجاء والخوف»[(٢)].

---

(١) جامع البيان (٧: ٣٤١).

(٢) محاسن التأويل (٤: ٤٣١).

ومعنى الاحتراس يجليه حديث النبوي، قال رسول الله ﷺ: «لَوْلاَ عَفْوُ الله ورَحْمَتهُ وتَجاوُزهُ لَمَا هَنأ أحَداً عَيْشٌ، ولوْلاَ عِقابهُ ووَعِيدهُ وعَذابَهُ لاتَّكلَ كُلُّ أحدٍ»[(١)].

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المراد بالمغفرة أنها المؤقتة بتأخير العذاب إلى أجل، وليس المراد العفو الدائم، وتأخير العقاب إلى الآخرة لا يسمى مغفرة، ويشهد لهذا ما ورد عن رَسُول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»[(٢)].

كما يصَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوجود الاحتراس، فيقول: «وجملة ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ احتراسٌ ؛ لئلا يحسبوا أن المغفرة المذكورة مغفرة دائمة، تعريضاً بأن العقاب حالٌّ بهم من بعد»[(٣)].

ومما سبق يتبين كيف أسهم الاحتراس في جلاء المعاني، وفيه إشارة إلى التحذير؛ لأن تحذيره وتنبيهه على المغفرة رأفة منه بعباده، ذلك التأنيس لئلا يفرط الوعد على نفس مؤمن، فجاءت الآية على نحو التخويف، والله محذور العقاب .

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٥)كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ حديث رقم (٤٤٠٩) وأخرجه مسلم في الصحيح (٤٦) كتاب البر والصلة والآداب (١٥)باب تحريم الظلم حديث رقم (٢٥٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٥) كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ رقم (٤٦٨٦)، وأخرجه مسلم في الصحيح في (٤٦)كتاب البر والصلة والآداب (١٥) باب تحريم الظلم (رقم ٢٥٨٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤ : ٢٦١).

* **الدراسة والتحليل:**

يُمَجِّدُ الله تعالى نفسه الكريمة، وينَزِّهَها عن شرك مَنْ أشرك، ويعظِّم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه غيره، فقد أسرى بعبده محمد ﷺ ليلاً من مكة ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، إلى بيت المقدس ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، وهو المسجد الذي بارك الله ما حوله، من زروع وثمار ونبات، ليُري عبده محمداً من آياته العظام ما فيه الدليل القاطع على وحدانيته، وعظيم قدرته، وهو السميع لأقوال العباد، البصير بأحوالهم.

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله: ﴿لَيْلًا﴾ لما ذكر الله -عز وجل- أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام، قد يتوهم متوهم أنه من باب المجاز، فلما أكَّد بـ ﴿لَيْلًا﴾ دفَعَ تَوهُّمَ المجاز، ولم يبق إلا الحقيقة، كذلك فيه إشارة إلى قصر المدة.

وقد ألمح إلى معنى الاحتراس غير واحد من المفسرين والبلاغيين، فقال البقاعي (ت:٨٨٥): «ولما كان الإسراء هو السير في الليل، وكان الشيء قد يطلق على جزء معناه؛ بدلالة التضمن مجازاً مرسلاً، نُفِيَ هذا بقوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ ،وليدل على أن هذا الأمر الجليل كان في جزء يسير من الليل»[1].

فالبقاعي يرى أن الظرف ﴿لَيْلًا﴾ إنما جاء لدفع توهم المجاز، وقد ورد في لغة العرب أن الإسراء قد يطلق على سير النهار، وكذلك يطلق على سير الليل.

كما يرى غير واحد من العلم[2] أنّ موضع الاحتراس ﴿لَيْلًا﴾ إنما جاء تتميماً؛ وذلك لأنّ الإِسراء لا يكون إلاَّ باللَّيْل، وفي ذلك إشارة إلى قِصَرِ المدّةِ التي حصل فيها

---

(١) نظم الدر (٤: ٣٢٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٢: ٦٢١) واللباب في علوم الكتاب (١٢: ١٩٣) والدر المصون (٤: ٣٦٩)، وروح البيان (٥:٧٨)، أو لبحر المديد (٤: ٧٢).

الإسراء ذهاباً وعودة، قال الألوسي (ت:١٢٧٠): ﴿لَيْلًا﴾ ظرف لـ﴿أَسْرَىٰ﴾ وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء، وأنها بعض من أجزاء الليل.... والتنكير لدفع توهم أن الإسراء كان في ليال أو لإفادة تعظيمه»[١].

وأياً ما كان توجيه الاحتراس فإنه يحتمل الوجهين: يحتمل أنه جاء لدفع توهم المجاز، كذلك يحتمل أن يراد به البيان لقصر المدة التي قطعها النبي ﷺ في إسرائه ذهاباً وعودة.

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

*** الدراسة والتحليل:**

قل هؤلاء المشركين متحدياً لهم: القرآن كلام الله، ولا يملك البشر محاكاته، ولا يملك الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ولو تظاهروا وتعاونوا في ذلك؛ فالقرآن ليس ألفاظاً وعبارات يستطيع المخلوقون محاكاتها، وإنما هو كسائر ما يُبدعه الله، يعجز المخلوقون عن صنعه ومحاكاته.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ لما تحدى الله عز وجل المشركين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ما استطاعوا أن يأتوا بمثله، ولم يقل: لم يأتوا به ؛ لئلا يتوهم أنه له مثيل.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين، واتفقوا ﴿عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة

---

(١) روح المعاني (٨: ٧).

وحسن النظم وكمال المعنى، ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ أبدًا؛ لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة التي لم يكن لأحد بها علم، ثم جاءت فيه على الكمال، ولذلك عجزوا عن معارضته. وقال أكثر الناس: إنما عجزوا عنه لفصاحته وبراعته وحسن نظمه، ووجوه إعجازه كثيرة. وإنما خَصَّ الثقلين بالذكر لأن المنكر يكون منهما، لا لأنَّ غيرهما غير قادر على المعارضة.

وقد ذكر أبو السعود (ت: ٩٨٢) الاحتراس عندما أورد أحد نظائره وهو الاحتراز فقال: «﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ أُوْثِرَ الإظهارُ على إيراد الضمير الراجع إلى المثل المذكور احترازاً عن أن يُتوهم أن له مثلاً معيناً، وإيذاناً بأنّ المراد نفي الإتيان بأيِّ مثل: لا يأتون بكلام مماثلٍ له»[١].

ويؤكد أبو السعود (ت:٩٨٢) أن ترك الإضمار إنما جاء احتراساً؛ لئلا يتوهم خلاف المعنى المقصود. ويتابع الألوسي (ت: ١٢٧٠) سابقه فيما ذهب إليه[٢] ويقَرَّرَ بوقوع الاحتراس بنظيره الاحتراز، فيقول: «و أُوْثِرَ الإظهار على إيراد الضمير الراجع إلى المثل المذكور واحتراز عن أن يُتوهم أن له مثلاً معيناً وإيذاناً بأن المراد نفي الإتيان بمثل ما، أي: لا يأتون بكلام مماثلٍ له»[٣].

ويرى أبو حيان (ت:٧٤٥) أن موقع الاحتراس إنما جاء للتوكيد، ولرفع توهم الاحتمال ،فقال: «وتكرَّر لفظ (مثل) في قوله: ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ على سبيل التأكيد والتوضيح، وأن المراد منهم ﴿ أَن يَأْتُواْ ﴾ بمثله؛ إذ قد يراد بمثل الشيء في موضع الشيء

(١) إرشاد العقل السليم (٤: ١٥٦).

(٢) كذلك تابعه على ذكر «الاحتراز» الشوكاني في تفسيره فتح القدير (٣: ٣٥٦).

(٣) روح المعاني (٨: ١٥٨).

نفسه، فبَيَّنَ بتكرار ﴿ بِمِثْلِهِۦ ﴾ ، ولم يكن التركيب (لاَ يَأْتُونَ به)،رفعاً لهذا الاحتمال، وأن المطلوب منهم أن يأتوا بالمثل، لا أن يأتوا بالقرآن»(١).

وربما ذكر بعض المفسرين الاحتراس بمقصده، فقال ابن عجيبة (ت:١٢٢٣): «﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾، وإنما أظهر في محل الإضمار، ولم يقل: لا يأتون به؛ لئلا يتوهم أن له مثلاً معينًا، وإيذانًا بأن المراد نفي الإتيان بمثَلٍ مَّا، أي: لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة»(٢).

وكل تلك الإشارات تؤكد على وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم، كما أثبت العجز المطلق للإنس والجن أن يأتوا بمثل القران الكريم؛ فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة.

وهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة ما جاء به الرسول ﷺ وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه.

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٢٢].

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢].

---

(١) تفسير البحر المحيط (٦: ٩٨).

(٢) البحر المديد (٤: ١٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [القصص: ٣٢].

* الدراسة والتحليل :

أمر الله تعالى موسى بأن يدخل يده تحت إبطه (جناحه)، فأدخل موسى يده تحت إبطه من فتحة ثوبه (جيبه)، ثم أخرجها، فإذا هي بيضاء تَتَلألأ دون أن يكون بها أذى أو مرض أو برص... فإذا أعاد يده في جيبه مرة أخرى عادت إلى ما كانت عليه، وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ حين أمر الله موسى عليه السلام أن يدخل يده في جيبه، وأن يده ستخرج بيضاء، فلو اكتفى بذلك الوصف لتوهم متوهم أن ذلك البياض ناتج عن عيب، ربما كان برصاً أو بهاقاً، فجاء الاحتراس بدفع التوهم، وأن هذا البياض ليس عن عيب أو مرض، إنما معجزة، فتبين المراد.

ويكاد يتفق المفسرون واللغويون على وقوع الاحتراس في الآية الكريمة[١] بل إن هذا الشاهد الأشهر في شواهد الاحتراس.

قال أبو حيان (ت: ٧٤٥): «ويقال له عند أرباب البيان: الاحتراس؛ لأنه لو اقتصر على قوله :﴿ بَيْضَآءَ ﴾ لأوهم أن ذلك من برص أو بهق»[٢].

---

(١) ينظر: فتح البيان (٤:٣٣٦)، والدر المصون (٥: ١٥)، وروح المعاني (١٩: ١٦٧) وأضواء البيان (٣: ٤٣٥)، وإعراب القرآن وبيانه (٤: ٦٧٥)، وخزانة الأدب (٢: ٤٨٦)، ونهاية الأرب (١٣:١٦٢) وبديع القرآن (ص: ٩٥).

(٢) تفسير البحر المحيط (٦: ٢٢٢).

وقد بيّن أبو حيان الاحتراس، و بيَّنَ مقصده، وقد تتابعت عبارات العلماء في الدلالة على الاحتراس، فقال ابن عادل (ت: ٨٨٠): ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يسمى عند أهل البيان (الاحتراس)، وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم من يتوهَّمُ غير المراد؛ وذلك أن البياض قد يراد به البَرَص والبَهَق، فأتى بقوله: «من غَيْرِ سُوءٍ» نفياً لذلك[(١)].

ومما تبيَّنَ وقوع الاحتراس، ولم يغب عن أحد من المفسرين، فمن لم يذكره بمصطلحه أورده بمقصده، وقد أسهم في دفع التوهم ،وزاد في إظهار صدق موسى بجعل اليد البيضاء معجزته.

الآية الثامنة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤].

*** الدراسة والتحليل:**

يلفت الله تعالى الناس إلى البرهان على نبوة رسوله محمد ﷺ بإخباره عن أمور حدثت في سالف الأزمان، لم يكن العرب يعرفونها، وقصها الرسول الكريم بتفصيلها، وهو رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، وأشار الله تعالى إلى هذا الأمر بعدد من القصص المتعلقة بالأولين مع أنبيائهم، وردت في القرآن الكريم مثل قصه نوح، ومريم، ويوسف ،وهنا يقول تعالى لنبيه: إنك يا محمد لم تكن في الجانب الغربي من الوادي حينما كَلَّمَ اللهُ تعالى موسى من الشجرة على شاطئ الوادي، ولم تكن مشاهداً لشيء مما وقع، لكن الله أوحاه إليك، وأخبرك به ليكون ذلك حجة وبرهاناً على صدق نبوتك.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٣: ٢١٩).

* الاحتراس وموقف المفسرين:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ ، فإن الله تبارك وتعالى لَمَّا نفى عن رسوله ﷺ أن يكون بالمكان الذي قضى فيه لموسى عليه السلام الأمر، عَرَّفَ المكان ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ ،ولم يقل في هذا الموضع كما في الإخبار عن موسى عليه السلام ذكرُ (الجانب الأيمن) تشريفاً لموسى عليه السلام.

وعامة من أشار إلى هذا الاحتراس من أهل العلم وَصَفَهُ بأنه أعجب احتراس وقع في القرآن الكريم.

قال الزركشي (ت: ٧٩٤): «وأعجب احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ وقال حكاية عن موسى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾، فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عُرِّفَ المكان بـ ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾، ولم يقل في هذا الموضع الأيمن، كما قال: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ أدباً مع النبي ﷺ أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن، أو يسلب عنه لفظاً مشتقاً من اليمن أو مشاركا لمادته، ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذكر (الجانب الأيمن) تشريفاً لموسى، فراعى في المقامين حسن الأدب معهما تعليماً للأمة، وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب»[1].

وهذا الرأي ذكره غير واحد من المفسرين[2]، وكذلك غير واحد من البلاغيين[3].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٦).

(٢) ينظر: التسهيل (٢: ٣٢٢) وفتح القدير (٤: ٢٣١)، ومحاسن التأويل (٥: ٤٢٣)، والتحرير والتنوير (٢٠: ١٢٩).

(٣) ينظر: تحرير التحبير (ص: ٤٢)، ونهاية الإرب في فنون الإرب (١٣: ١٨٨).

قال ابن عادل (ت: ٨٨٠): «﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ ﴾: وما كنت بجانب الجبل الغربي، فيكون من حذف الموصوف، وإقامة صفته قيامه، أو أن يكون من إضافة الموصوف لصفته ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ ﴾، ثبت أنه لم يكن شاهداً؛ لأن الشاهد لابد أن يكون حاضراً فما الفائدة في إعادة قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

فالجواب: قال ابن عباس: التقدير: لم تحضر ذلك الموضع، ولو حضرت ما شاهدت ذلك الوقائع؛ فإنه يجوز أن يكون هناك، ولا يَشهد، ولا يرى»[(١)].

ومما سبق يتضح مجيء الاحتراس في الآية الكريمة، ومجيئه لمقصد سامي، وهو إثبات نبوة النبي ﷺ ؛لكونه يقص أنباء أقوام لم يحضرها، ولم يقف عليهم.

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٤].

*** الدراسة والتحليل:**

جرت حرب بين الفرس والروم في أرض فلسطين، انتصر فيها الفرس انتصاراً ساحقاً، فحزن المسلمون لانكسار الروم ؛ لأنهم من أهل الكتاب، وفرح المشركون، وأظهروا الشماتة بالمسلمين، وقالوا لهم: أنتم أهل كتاب، والروم أهل كتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله هذه الآيات. وأخبر أنّ الروم سيغلبون الفرس خلال بضع سنين، وكانت غلبة الروم للفرس خلال تسع سنوات كما جاء في القرآن.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٥: ٢٦٣).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل أن الروم بعد هزيمتهم سينتصرون على عدوهم، جاء الاحتراس ببيان المدة؛ لئلا تطول، ويُكذب النبي ﷺ فلما جاء الاحتراس تبيّنت المدة المختارة، و لو لم يذكر الاحتراس لتوهم أن المدة أقل وقد يُستعجل النصر، ويكذب النبي ﷺ.

وقد صَرَّحَ الزرقاني (ت: ١٣٦٧)[١] بوقوع الاحتراس فقال: «﴿ بِضْعِ سِنِينَ ﴾ قد حاطت هاتين النبوءتين بسياج من الدقة والحكمة، لا يترك شبهة لمشتبه ولا فرد لمعاند؛ لأن البضع كما علمت من ثلاثة إلى تسع، والناس يختلفون في حساب الأشهر والسنين فمنهم من يؤقت بالشمس، ومنهم من يؤقت بالقمر، ثم إن منهم من يجبر الكسر ويكمله إذا عَدَّ وحَسَبَ، ومنهم من يلغيه. ويضاف إلى ذلك أن زمن الانتصار قد يطول حبله فتبتدئ بشائره في عام، ولا تنتهي مواقعه الفاصلة إلا بعد عام أو أكثر، ونظر الحاسبين يختلف تبعاً لذلك في تعيين وقت الانتصار؛ فمنهم من يضيفه إلى وقت تلك البشائر، ومنهم من يضيفه إلى يوم الفصل ،ومنهم من يضيفه إلى ما بينهما، لذلك كله جاء التعبير بقوله جلت حكمته: ﴿ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ من الدقة البيانية الاحتراس البارع بحيث لا يدع مجالاً لطاعن ولا حاسب، وظهر أمر الله ،وصدق وعده، على كل اعتبار من الاعتبارات وفي كل اصطلاح من الاصطلاحات ومن أصدق من الله قيلا»[٢].

---

(١) هو محمد عبد العظيم الزرقاني من العلماء البارزين من مصنفاته، مناهل العرفان في علوم القرآن، توفي سنة (١٣٦٧).ينظر: الأعلام (٦:٢١٠).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ (٢:٢٦٨).

حملت عبارات الزرقاني تلك كثيراً من الإشارات التي ما هي إلا توضيح لسبب الاحتراس، فقد استند في مسألة الاحتراس للاختلاف في دقة تحديد الوقت، والاحتراس يجعل الأمر في فسحة، وهو تخريج مقبول عقلاً، وقد ثبت في عصر النزول(١).

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى أن انتصار الروم حصل في السنين التي حددتها الآية، وما انتهى الأجل إلا وقد جاءت البشائر بخبر انتصار الروم.

فقال ابن عطية (ت: ٥٤٢): «بشر الله عباده بأن الروم ﴿ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾، وتكون الدولة لهم في الحرب»(٢).

قال ابن عادل (ت: ٨٨٠): «﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ وهو ما بين الثلاثة والعشرة، فأُبهم الوقت مع أن المعجزة في تعيين الوقت أتم؛ لأن السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة عند الله، وبيَّنها لنبيه، وما أذن له في إظهاره؛لأن الكفار كانوا معاندين، والأمور التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن إنكارها، لكن

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر، فذكر أبو بكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَهْزِمُونَ»، فذكر ذلك أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، فجعل بينهم أجلاً خمس سنين فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ ،فقال: ألا جعلته أراه قال دون العشر قال: وقال سعيد: البضع ما دون العشر، قال: فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله تعالى: (الم غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ من بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ)، قال: فغُلِبَتِ الرومُ بعد، ثم غَلَبَتْ بعدُ، قال: (لله الْأَمْرُ من قَبْلُ وَمن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمنونَ بِنَصْرِ اللهِ) قَالَ: يفرح المؤمنون بنصر الله. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤: ٤٩١).

(٢) المحرر الوجيز (٤: ٣٨٠).

وقتها يمكن الاختلاف فيه ، فالمعاند كان يتمكن من أن يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ؛ ليحصل الخلاف في كلامه»(١).

ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) أن موقع الاحتراس: «وحكمة إبهام عدد السنين أنه مقتضى حال كلام العظيم الحكيم أن يقتصر على المقصود إجمالاً، وأن لا يتنازل إلى التفصيل؛ لأن ذلك التفصيل يتنزل منزلة الحشو عند أهل العقول الراجحة، وليكون للمسلمين رجاء في مدة أقرب مما ظهر، ففي ذلك تفريج عليهم»(٢).

ومما سبق يتبيّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد حمل الاحتراس أحد دلائل النبوة، وهو الإخبار بما سيكون في المستقبل.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠].

*** الدراسة والتحليل:**

يأمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ أن قل يا محمد لقومك: إنْ ضللتُ عن الهدى، وسلكتُ غير طريق الحق، فإنما ضرر ذلك يعود عليَّ أنا وحدي، وإن استقمت على الحق فبوحي من الله إلي، وبتوفيق منه لي؛ للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى؛ إنه سميع لأقوال العباد، قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾، لما أمر الله عز وجل نبيه أن يقول: إن ضللتُ فإنما الضلال يعود عليّ وحدي، ولا تلحقكم تبعه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٥: ٣٨٤).

(٢) التحرير والتنوير (١١: ١١٣).

الضلال، وربما يتوهم متوهم كما أن الضلال عائد عليه فحسب فكذلك الهدى، فدفع هذا التوهم: وإن اهتديت فبفضل الله ورحمته، والهدى يعود عليكم بخير، وذلك لنجاتكم من الضلال ثم من النار.

وذلك المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين[١]، فقال ابن عجيبة (ت: ١٢٢٣): «﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ ﴾ عن الحق ﴿ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾ فإن وبال ضلالي عليها، ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ أي: فبتسديده بالوحي إليّ. وكان قياس المقابلة أن يقال: وإن اهتديتُ فإنما أهتدي لها، كقوله: ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الزمر: ٤١]، ولكن هما متقابلان معنًى؛ لأنّ النفس كلّ ما يضرها فهو بسببها، وما لها مما ينفعها، فهو بهداية ربها وتوفيقه»[٢].

فعبارة :«وكان قياس المقابلة أن يقال: وإن اهتديتُ فإنما أهتدي لها» فيها إشارة لمعنى الاحتراس، كأنه دفع أن يكون الاهتداء لها بقوله: ﴿ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾.

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت:١٣٩٣) بوقوع الاحتراس، حيث قال: «﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ الاحتراس من أن يكون حاله مقتصراً على فرض كونه مظنة الضلال مع ما فيه من الاعتراف لله بنعمته بأن ما يناله من خير فهو بإرشاد الله لا من نفسه؛لأنه ما كان يصل لذلك، وهو مغمور بأمة جاهلية، لولا إرشاد الله إياه ،كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾»[٣] [الشورى: ٥٢].

---

(١) ينظر: الكشاف (٣: ٦٠١)، ومفاتيح الغيب (٢٥: ٢٣٤)، وأنوار التنزيل (٤:٤٠٧)، والسراج المنير (٣: ٣٧٨).

(٢)البحر المديد (٦: ٩٢).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢: ٢٤٠).

و يرى ابن عاشور ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا ﴾ أي: فاهتدائي إنما هو بما ﴿ يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ أي: المحسن إلي من القرآن والحكمة لا بغيره، فلا يكون فيه ضلال؛ لأنه لا حظ للنفس فيه أصلاً.

ومما مضى- تبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد حمل حكماً عاماً لكل مكلف، والتقابل مرعي من حيث المعنى، والمراد أن كل ما هو وبال على النفس وضارّ لها فهو بسببها؛ لأنها الأمارة بالسوء، وما لها ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه. وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به.

الآية الحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٣].

هذه الآية تماثلها آية أخرى في موقع الاحتراس:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة: ١١٩].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ أنه أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً لمن آمن به واتبع هداه بالجنة، ونذيراً لمن كفر به وعصاه.

كما يخبر تعالى أن رسوله محمداً ليس الرسول الوحيد الذي أرسل في أمة، بل إنه ما من أمة من الأمم إلا مضى فيها نذير، فلا يكون إرساله عجباً لكفار قريش؛ إذ هذه سنة الله تعالى في عباده، يرسل إليهم من يهديهم إلى نجاتهم وسعادتهم .

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ ؛ لئلا يتوهم أن النبي ﷺ مرسل بالإنذار فحسب، فلو لم يذكر الاحتراس لتوهم أن دعوته قائمة على الإنذار، فلما جاء الاحتراس زال التوهم، وتبيّن أنه مرسل رحمة للعالمين كذلك.

وإن معنى الاحتراس الذي تضمنته الآية لم يغب عن أذهان المفسرين، فذكروه ،وأشاروا إليه في غير موضع، قال الطبري (ت: ٣١٠): «ومعنى قوله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ :إنا أرسلناك يا محمد ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ ، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افتراضها على عباده ﴿ بَشِيرًا ﴾ مبشراً بالجنة من صدقك وَقَبِلَ منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَنَذِيرًا ﴾ تنذر الناس من كذبك ورد عليك ما جئت به من عندالله من النصيحة»[١].

ويتابع ابن عرفة (ت: ١٢٢٤) الطبري،فيقول:«الظاهر أن المعجزات هي المراد. وقدَّمَ البشارة على النذارة؛ لأنّ القاعدة في محاولة الأمور الصعبة أن يبدأ فيها بالتلطّف والتيسير،ليكون أدعى للقبول،كما قال ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[٢] [طه: ٢٠].

ويرى السعدي (ت: ١٣٧٦): أن «قوله: ﴿ بَشِيرًا ﴾ أي :لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية، ﴿وَنَذِيرًا ﴾ لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الدنيوي والأخروي»[٣].

كانت تلك إشارات متناثرة لمعنى الآية الذي يدل على المعنى المراد، وإن لم ينطق بالاحتراس .

(١) جامع البيان (١: ٤٠٨).

(٢) تفسير ابن عرفة (١:٢٩١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٤).

ويصَرَّحَ ابن عاشور بالاحتراس (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «استئناف ثناء على النبي ﷺ وتنويه به بالإسلام، وفيه دفع توهم أن يكون قَصْرُهُ على النذارة قصراً حقيقاً؛ ليتبيّن أن قَصْرَهُ على النذارة بالنسبة للمشركين الذين شابه حالهم حال أصحاب القبور، أي: أن رسالتك تجمع بشارة ونذارة، فالبشارة لمن قَبِلَ الهدى، والنذارة لمن أعرض عنه، وكل ذلك حق؛ لأن الجزاء على حسب القبول»(١).

فقول ابن عاشور: (وفيه دفع توهم) فيه إشارة لمقصد الاحتراس ومغزاه، فلو لم يرد الاحتراس لاختلَّ فهم المعنى، ولم يفهم على وجهه الصحيح.

ويتبع الآية تأكيد لمضمونها: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ إبطال لاستبعاد المشركين أن يرسل الله إلى الناس بشراً منهم؛ فإن تلك الشبهة كانت من أعظم ما صَدَّهُمْ عن التصديق به، فلذلك أتبعت دلائل الرسالة بإبطال الشبهة الحاجبة على حد قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩]. وأيضاً في ذلك تسفيه لأحلامهم إذ رضوا أن يكونوا دون غيرهم من الأمم التي شرفت بالرسالة»(٢).

ومما مضى كيف أسهم الاحتراس في إثبات دعوة النبي ﷺ وأنها حملت من البشارة النذارة، ولم تغفل جانباً على آخر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾.

الآية الثانية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت: ٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢: ٢٩٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢: ٢٩٦).

هذه الآية تماثلها آية أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١٠ - ١١].

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

٣- وقوله تعالى ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة بالخطاب للنبي ﷺ قل: يا محمد لهؤلاء المكذبين من قومك أني لست ملكاً، وقد اختارني الله تعالى؛ ليوحي إليّ رسالته إليكم، وهو يوحي إليَّ أنما إلهكم إله واحد، لا إله إلا هو، وهو الخالق الرازق المدبر، وأن الأصنام والأوثان والحجارة التي تعبدونها لا تملك لنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً، فآمنوا بالله واستغفروه عما سلف منكم من ذنوب ومعاصٍ، وأخلصوا له العبادة كما أمركم. والويل والهلاك والخسار لمن أشرك مع ربه في العبادة سواه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

ورد في الآية الكريمة أكثر من احتراس:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ لما أخبروا بإعراضهم، وعللوا بعدم فهمهم بما يدعو إليه، أمره سبحانه بجواب يبين أنهم على محض العناد، فقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ لا غير، فجاء الاحتراس ليدفع ما يدور في أذهانهم من أن الرسول لابد أن

يكون ملكاً من الملائكة، أو يكون له من الصفات ما ليس للبشر، فجاء الاحتراس ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ليقطع عليهم الحجة، ويكبتهم؛ لأن ما يقولونه على سبيل العناد.

وقد صَرَّحَ ابن عاشور بوقوع الاحتراس في الآية ، فقال: « فصيغة القصر في: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ تفيد قصراً إضافياً، أي: أنا مقصور على البشرية دون التصرف في قلوب الناس. وبيَّنَ بما تميَّز به عنهم على وجه الاحتراس من أن يتلقفوا قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ تلقفَ من حصَّل على اعتراف خصمه بنهوض حجته بما يُثبت الفارق بينه وبينهم في البشرية. ومثل هذا الاحتراس ما حكاه الله عن قول الكفار لرسلهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠-١١] وحرصاً على إبلاغ الإرشاد إليهم بيَّنَ له ما يوحى إليه»(١).

الاحتراس الثاني :

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ فلما بَيَّنَ لهم أنه بشر مثلهم قد يرد سؤال في الأذهان: فلما لم يجيبوا دعوته؟ ويرد على هذا الاستفهام الاحتراس بقوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: بطريق يخفى عليكم، ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ أي: الذي يستحق العبادة ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا غيره، وهذا مما دلَّتْ عليه الطرق النقلية، أي: لست مغايراً للبشر ممن يخفى عليكم شخصه كالملكِ، ولا يعجم عليهم مراده بصوته كسائر الحيوانات، ومع كوني بشراً فلست بمغاير لكم في الصنف؛ بكوني أعجمياً، بل أنا مثلكم سواءً بسواءً.

---

(١) التحرير والتنوير (١٣ : ٧٨).

فجاء الاحتراس للرّد على أسئلتهم: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ، لكنه يوحى إليّ، وقد فضلت عليكم بالنبوة وتلقي الوحي والرسالة، ولو لم يأتِ الاحتراس: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ توهم أن هذا البشر ربما كان عرضةً للخطأ والزلل.

وفي هذا يرى الألوسي (ت: ١٢٧٠): أنها جاءت لإثبات النبوة، فقال: «وفيه رمز إلى إثبات النبوة»[١].

الآية الثانية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله رسوله الكريم ﷺ أَنَّهُ لَو شَاء تعالى لَكَشَفَ لَـهُ عَـن أَشْخَاصِهِم، حتى إنَّه لَيَرى أَحَدَهُم، فَيَعرفُهُ من مَلامحه (سيماهم)، وإنَّ لَهْجَتَهُمْ ونبرَاتِ أصْواتهم وإمالتهم في لفظ الكلمات، وانحراف منطقهم في خطاب الرسول ﷺ سيدلُّهُ كل ذلك على نفاقهم، والله يعلم أعمال العباد، وسوفَ يُجازِيهِمْ بها.

الاحتراس وموقف من المفسرين:

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ بيّنَ الله عز وجل اطلاع نبيه الكريم ﷺ على أحوال المنافقين وسرائرهم، وعلق ذلك بذكر المشيئة، وقد يتوهم متوهم أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعرفهم، و لن يعرفهم أتبع ذلك بالاحتراس، وبأن أحوال المنافقين لا تخفى عليه؛ لأنه سيعرفهم في لحن القول.

---

(١) روح المعاني (٨: ٣٧٢).

ومعنى الاحتراس هذا ذكره غير واحد من المفسرين، فقال السمرقندي (ت:٤٧١): ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ «يعني :في محاورة الكلام، ويقال: ﴿فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ يعني: كذبهم إذا تكلموا، فلم يخف على النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية منافق عنده إلا عَرَفَهُ بكلامه»(١).

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد من لحن القول»(٢).

قال ابن عادل (ت: ٨٨٠): ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾ لزيادة فائدة ،وهي: أن التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة، يقال: عَرَّفْتُهُ ولَمْ يَعْرِف ،وفَهَّمْتُهُ ولَمْ يَفْهَمْ ،فقال ههنا: فَلَعَرَفْتَهُمْ يعني: عَرَّفْنَاهُمْ تَعْرِيفاً تعرفهم به، إشارة إلى قوة التعريف. واللام في قوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾ هي التي تقع في خبر «لو» كما في قوله: ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ أدخلت على المعرفة إشارة إلى المعرفة المرتبة على المشيئة كأنه قال: ولو نشاء لعرفتهم ؛لتفهم أنَّ المعرفة غير متأخرة عن التعريف، فتفيد تأكيد التعريف، أي لو نشاء لعرفناك تعريفاً معه المعرفة لا بعده. وقوله: ﴿فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: في معنى القول، حيث يقولون ما معناه النفاق، كقولهم حين مجيء النصر: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٠] وقولهم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: ٨] وقولهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣] ،ويحتمل أن يكون المراد قولهم ما لم يعتقدوا، فأمالوا كلامهم كما قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾»(٣) [المنافقون: ١].

---

(١) بحر العلوم (٣: ٢٩).

(٢) تفسير القران العظيم (٧:٣٢١).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (١٧: ٤٦٧).

ويصَرِّحُ الطاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣) بمعنى الاحتراس، فيقول: «﴿بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ﴾ هذا في معنى الاحتراس مما يقتضيه مفهوم ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ من عدم وقوع المشيئة لإراءته إياهم بنعوتهم. والمعنى: فإن لم نُرِكَ إياهم بسيماهم فلتقعن معرفتك بهم من لحن كلامهم بإلهامٍ يجعله الله في علم رسوله ﷺ ،فلا يخفى عليه شيء من لحن كلامهم، فيحصل له العلم بكل واحد منهم إذا لحن في قوله، وهم لا يخلو واحد منهم من اللحن في قوله، فمعرفة الرسول بكل واحد منهم حاصلة ،وإنما ترك الله تعريفه إياهم بسيماهم ووكله إلى معرفتهم بلحن قولهم إبقاء على سنة الله تعالى في نظام الخلق بقدر الإمكان؛ لأنها سنة ناشئة عن الحكمة، فلما أريد تكريم الرسول ﷺ بإطلاعه على دخائل المنافقين سلك الله في ذلك مسلك الرمز»[١].

فعبارة ابن عاشور تبيّنُ معنى الاحتراس، وشفعت بمؤكدات وهي مجيء ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم﴾ تأكيداً لزيادة تحقيق تفرع المعرفة على الإرادة[٢].

ومما سبق يتبين ثبوت الاحتراس في الآية الكريمة، وأن النبي ﷺ عرّف المنافقين، وعرّفهم لأحد أصحابه، قال أنس: «ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم»[٣].

وقد ورد أنه لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ من غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مناديًا فَنَادَى إِنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ أَخَذَ الْعَقَبَةَ، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُو يَسُوقُ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦: ١٢١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) السراج المنير (٧: ٥٣).

يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «قَدْ قَدْ حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ الله ﷺ فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ الله ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ ،فَقَالَ: يَا عَمَّارُ هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ ؟ فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ ،قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا قَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ الله ﷺ فَيَطْرَحُوهُ»(١).

ومن النص الماضي يتبيّن أن النبي ﷺ قد أطلعه الله عز وجل على المنافقين وأسمائهم، وقد أسهم الاحتراس في بيان ذلك.

الآية الرابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر: ١١-١٣].

* الدراسة والتحليل:

يخبر الله عز وجل عن إجابته لدعاء نوح عليه السلام فقال: ففتحنا أبواب السماء بماء كثيرٍ متدفقٍ، وشققنا الأرض عيونًا متفجرة بالماء، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على إهلاكهم الذي قدَّره الله لهم جزاءَ شركهم. وحملنا نوحًا ومن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شُدَّت بها، تجري بمرأى منا وحفظ، وأغرقنا المكذبين جزاءً لهم على كفرهم وانتصارًا لنوح عليه السلام.

الاحتراس وموقف المفسرين:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل المنظر المهيب في إغراق قوم نوح من نزول الماء من السماء وتفجير العيون من الأرض ليعم الطوفان، قد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٩: ٢١٠).

يتبادر للذهن تعذر النجاة في مثل تلك الأحوال، فجاء الاحتراس ودفع هذا التوهم بأن نوحاً ومن آمن معه، لم يعمهم الطوفان؛ لأن الله حماهم، وحملهم على السفينة التي كانت سبباً للنجاة بفضل الله ورحمته.

وهذا المعنى الذي حمله الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين ﴿ وَحَمَلْنَهُ ﴾ أي: ونجينا عبدنا نوحاً على السفينة.

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس ،فقال: «فجملة ﴿ وَحَمَلْنَهُ ﴾ معطوفة على التفريع عطف احتراس»[(١)].

ولم أقف على إشارات من أحد من المفسرين في بيان الاحتراس أو الإشارة إليه بيد أنهم اتفقوا على معنى الآية، وأن السفينة كانت سبباً لنجاة نوح عليه السلام ومن معه، «وأن المشهد كان المراد منه تهويل أمر الماء بذكر حاله التي كان عليها ، حتى كأن المُحَدَّثَ بذلك شاهد ، فقال: ﴿ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ﴾ أي: صدعنا بما لنا من العظمة، وشققنا وبعثنا، وأرسلنا ﴿ ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ أي: جميع عيون الأرض... ولما ذكر ما علم منه بقرينة ما ذكر من خرقه للعادة، وأن إجابته لدعوته عليه الصلاة والسلام ذكر تمام الانتصار بنجاته ،فقال: ﴿وَحَمَلْنَهُ ﴾ أي بما لنا من العظمة على متن ذلك الماء بعد أن صار جميع وجه الأرض مجرى واحداً»[(٢)].

الآية الخامسة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧: ١٨٤).

(٢) نظم الدرر (٧: ٣٥١).

* الدراسة والتحليل:

أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بأن يُذكِّر الناس بآيات ربهم، وأن يعظهم بحججه وبراهينه، ويبلغهم رسالته، ويقول لهم: إنه إنما بعث رسولاً مبلغاً ومذكِّراً، إنه لم يُرسل لِيَكُونَ متسلطاً مسيطراً عليهم، وإنه لا يسألُ عنهم، فعليه أن يقوم بوعظهم وبإبلاغهم رسالة ربهم، وليس عليه أن يحملهم على الإيمان، وحسابهم بعد ذلك على الله.

الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ لما ذكر الله عز وجل أن مهمة النبي ﷺ محصورة في الإبلاغ، ولا يستطيع السيطرة عليهم، فقد يتوهم متوهم أنه لـمّا لم يستطع النبي ﷺ السيطرة عليهم فإنهم قد أصبحوا آمنين. فجاء الاحتراس لدفع التوهم أن الكفار ليسوا آمنين، بل لهم عذاب في الآخرة.

قال ابن عادل (ت: ٨٨٠): «قوله: ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ استثناء منقطع، أي: لكن من تولّى عن الوعظ والتذكر، فيعذبه الله العذاب الأكبر، وهو جهنم ،الدائم عذابها»[(١)].

فابن عادل يرى أن من تولى عن التذكير وعدم سيطرة الرسول ﷺ لا يعني أنه سَيُترك من التعذيب في الآخرة.

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس، فقال: «وقوله: ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ معترض بين جملة ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ وجملة: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ [الغاشية: ٢٥] والمقصود من هذا الاعتراض الاحتراس من توهمهم أنهم أصبحوا آمنين من المؤاخذة على عدم التذكر»[(٢)].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٢٠: ٣٠٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠: ٣٠٨).

وهذا الذي ذكره ابن عاشور سبقه إليه غير واحد من المفسرين، بيد أنهم لم يرد عنهم التصريح بالاحتراس[1].

والمعنى الذي جاء به الاحتراس وَرَدَ في غير آية من القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ وغيرها من الآيات التي تدل على أن ما على الرسول إلا البلاغ، والهداية من الله عز وجل.

ومما مضى تبيَّنَ أنَّ الاحتراس جاء تسلية للنبي ﷺ، وتخويفاً لأولئك الذين تولوا وأعرضوا، ثم إنّ الحساب في اليوم الآخر أشدُّ وأكبُر من عذاب الدنيا.

❀❀❀

(١) ينظر على سبيل المثال: المحرر الوجيز (٥: ٤٤٦)، والبحر المحيط (٨: ٣٤٦)، والبحر المديد (٨: ٤٣٥).

المطلب الثاني
الاحتراس في قصص الأنبياء ودعوتهم

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٠-١٠١].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في معرض حديث القرآن الكريم عن قبائح اليهود، وقد جاءت تسلية للنبي ﷺ عما لقي منهم «وأن ما أنزل إليه لا يكذب به إلا من لا يؤبه بتكذيبه؛ لكون هذا المنزل دلائل واضحة تقصر عن إقناعهم بأحقيتها،ولكنهم يظهرون أنفسهم أنهم لم يوقنوا بحقيقتها»[(١)].

الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ ،فيكون المعنى أو كلما عاهدوا عهداً نبذه (فريق من اليهود)، فلو لم يذكر الاحتراس ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ لتوهم أن هذا خلق سائد في اليهود، فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس.

وقد صَرَّحَ الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بهذا الاحتراس، فقال: «احتراس من شمول الذم للذين آمنوا منهم. وليس المراد أن ذلك الفريق قليل منهم، فنبه على أنه أكثرهم بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وهذا من أفانين البلاغة، وهو أن يظهر

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٦٢٤).

المتكلم حق خصمه في الجدل ،فلا ينسب له المذمة إلا بتدرج وتدبر قبل الإبطال ، ولك أن تجعلها للانتقال من شيء إلى ما هو أقوى منه في ذلك الغرض؛ لأن النبذ قد يكون بمعنى «عدم العمل» دون الكفر، والأول أظهر»[1].

وهذا الذي ذكره ابن عاشور في التصريح بالاحتراس، ثم أردف المعنى بتأكيده بما اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ حيث إن أصحاب هذا الفعل ليسوا قلة، بل كثرة، وقد أكَّد الإمام البيضاوي (ت: ٦٨٥) على هذا المعنى، فقال: «وإنما قال: ﴿ فَرِيقٌ ﴾ لأن بعضهم لم ينقض، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ رَدٌّ لما يُتَوَهَّمُ من أن الفريق هم الأقلون، أو أن من لم ينبذ جهاراً فهم مؤمنون به خفاء»[2].

ويؤيد السمين الحلبي (ت: ٨٥٦) وقوع الاحتراس، بيد أنه يخالف في موقعه: ﴿ نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ «وفائدة هذا الإضراب على هذا القول أنه لما كان «الفريق» ينطلق على القليل والكثير، وأسند النبذ إليه، وكان فيما يتبادر إليه الذهن أنه يحتمل أن النابذين للعهد قليل، بيَّنَ أن النابذين الأكثر؛ دفعاً للاحتمال المذكور»[3].

ويؤيد محيي الدين زاده (ت: ٩٥١) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: ﴿ نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾: «نَبْذُ العهدِ وراء الظهر عبارةٌ عن الاستحقار وعدم الاهتمام... والفريق: الطائفة، ويطلق على القليل والكثير، فلذلك يتوهم أن الفريق النابذ للعهد هم الأقلون، فَرَدَّ هذا الوهمَ بقوله: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾»[4].

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٦٢٥).

(٢) أنوار التنزيل (١: ٣٧٠).

(٣) الدر المصون (١: ٣١٧).

(٤) حاشية محي الدين زاده (٢: ١٨٤) بتصرف يسير.

وهذا المعنى ذهب إليه غير واحد من المفسرين،[(١)] بيد أنهم لم يصرَّحوا بمصطلح الاحتراس، وإنما أشاروا إلى معناه.

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وكيف أسهم الاحتراس في تسجيل الظلم على اليهود الذين ما بَرح القرآن الكريم يقص أوصافهم وقبائحهم، لكن لم يعم الحكم اليهود بعامة ، بل أسهم الاحتراس في استثناء طائفة منصفين منهم، وإن كانت تتسم بالقلة، لكنها لم تنكر على اليهود ما يقومون به من أفعال شنيعة.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في بيان ما تُكِنُّ صدور اليهود والمشركين من حقد وغل على النبي ﷺ والمسلمين، وما تحمله قلوبهم من الحقد والحسد والغيظ، بحيث ما يودون أن ينزل الله على المسلمين أيّ خير، سواء أكان هداية أم نصراً أم مغنماً.

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ،فلما ذكر الباري عز وجل أن المؤمنين محسودون على ما آتاهم الله من فضله من قبل الكفار وأهل الكتاب قد يتوهم متوهم أن المشركين لا يحسدونهم على ما أنزل الله عليهم، فجاء الاحتراس بدفع التوهم، وإثبات أن المشركين يحسدون أهل الإيمان كذلك[(٢)].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (١: ٤٦٨)، والنهر الماد (١: ٤٦٨)، ونظم الدرر (١: ٢٠٤)، وحاشية ابن التمجيد (٤: ٧١)، وحاشية القونوي (١: ٧١)، وغرائب القرآن (١: ٣٤٥)، وعيون التفاسير (١: ٦٣).

(٢) التحرير والتنوير (١: ٦٥٣).

قال الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) في تفسيره لهذه الآية الاحتراس: «ولما كان من اقتضاه الحال من التعبير بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قد يوهم كون البيان قيداً، وأن الكافرين من غير أهل الكتاب لا يحسدون المسلمين، عَطَفَ عليه قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وهذا المعنى الذي بَيَّنه ابن عاشور أشار إليه غير واحد من المفسرين، ولم أقف على مَنْ خالفَ هذا المعنى، فكلٌّ يرى أن ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يراد بهم اليهود والنصارى ﴿ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يعني مشركي العرب.

وإنما وقع الاحتراس ؛ لئلا يتوهم أن المشركين لا يحسدون المؤمنون على ما هم عليه من الإيمان؛ لكونهم من العرب، وقد عُرِفَ تعصبهم لأبناء جنسهم، لكن الاحتراس أسهم في زوال ذلك الوهم والدخل، وأن المشركين حسدوا النبي ﷺ على النبوة.

ويذهب أبو حيان (ت: ٧٤٥) إلى أن موقع الاحتراس: ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ إنما جاء للتأكيد ،حيث قال: «﴿ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ معطوف على ﴿ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، ودخلت «لا» في قوله: ﴿ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ للتأكيد»[١].

كذلك يرى الجمل (ت: ١٢٠٤) حيث قال: «﴿ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ عطف على أهل الكتاب المجرور بـ (من)، و(لا) زائدة وتوكيد»[٢]، والإشارة إلى التأكيد من الآية الكريمة ذكره غير واحد من المفسرين[٣] وأنه للاحتراس، وقد تقدم اعتبار التأكيد من أشباه الاحتراس.

---

(١) البحر المحيط (١: ٤٩٠).

(٢) الفتوحات الإلهية (١: ١٣٥٠).

(٣) تفسير ابن زمنين (١: ٢٨).

ويؤكد الفخر الرازي (ت: ٦٠٦) على هذه المسألة بقوله: «﴿ مِنْ ﴾ للبيان؛ لأن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون ؛والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البينة: ١]»[1].

وفي التفصيل البلاغي تبيين وتأكيد لمعنى الاحتراس، حيث (من) تفيد التفصيل والبيان، وقد تابع الرازي فيما ذهب إليه غير واحد من المفسرين[2]، وفي ذلك تأكيد على وقوع الاحتراس.

كذلك قال الشنقيطي (ت: ١٣٩٣): «﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ العطف يقتضي المغايرة»[3].

فإشارة الشنقيطي إلى المغايرة فيها إلماحٌ إلى الاحتراس، حيث دفع توهم كون اقتصار الكفر على أهل الكتاب فحسب. ومن العرض السابق يتأكّد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، حيث إن المعنى ينادى به، وإن اختلفت أنظار المفسرين في عرضه وبيانه.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

يماثل هذا الاحتراس احتراس آخر له نفس الموقع والصياغة جاء في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٧].

---

(١) مفاتيح الغيب (٣: ٢٠٤).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل (١: ٣٨٦)، وحاشية محيي الدين زاده (٢: ٢١٤).

(٣) أضواء البيان (١: ٩١).

* الدراسة والتحليل:

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق كشف زيف ضلال أهل الكتاب، فيخبر الله رسوله ﷺ أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم الباطلة، ثم يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يخبرهم أن هدى الله هو الهدى، ومَنْ ضَلَّ عن دين الإسلام فلن يجد ولياً يتولاه وينصره، أو يدفع عنه.

الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ،فيكون المعنى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي، فلو لم يذكر الاحتراس: ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ لتوهم أن عدم من الولاية لا ينفي النصرة، فلما جاء الاحتراس اندفع ذلك التوهم.

وفي ذلك يقول ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «وعطف النصير على الولي احتراس؛ لأن نفي الولي لا يقتضي نفي كل نصير إذ لا يكون لأحد ولي لكونه دخيلاً في قبيلة ويكون أنصاره من جيرته...»(١).

وقد أكَّد على هذا المعنى غير واحد من المفسرين، فكلهم يرى أن الولي غير النصير، وكل منهم عبر عن ذلك بعبارات تحمل في طياتها معنى الاحتراس، فقال أبو السعود (ت:٩٨٢). «﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يلي أمرك عموماً، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنك عقابه. وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وُسّط (لا) بين المعطوفين ؛لتأكيد النفي، وهذا من باب التهييج والإلهاب، وإلا فأنى يُتوهم إمكان اتباعه عليه السلام لملتهم»(٢).

فعبارة أبي السعود: «حيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير» تشير إلى الاحتراس حيث

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٦٩٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (١: ١٩٠).

إنه قد ينتفي الولي، لكن لا ينتفي النصير،فلما جاء الاحتراس بنفي النصير انتفت كل أنواع النصرة والتأييد.

والعلاقة بين الولاية والنصرة بينها محي الدين زاده (ت: ٩٥١) بقوله: «الفرق بين الولي والنصير العموم والخصوص من وجه؛ لأن الولي قد يضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور، كما يكون من أقرباء المنصور، وهو مادة اجتماعهما، والولي وإن جاء بمعنى «الصديق» وهو ضد العدو كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤]. وبمعنى القيم: «بالأمر و المتولى له»،... فيكون المعنى: ما لك من أحد يلي دفع السوء عنك»[١].

كما أكَّد غير واحد من المفسرين[٢] على العلاقة بين «الولي» و«النصير» أنها علاقة عموم وخصوص.

ومما سبق يتضح كيف أسهم الاحتراس في تأكيد المعنى، ودفع ما يوجب التوهم أو الاعتراض، حيث جاء الاحتراس: ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ مع النفي في قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ﴾ والتأكيد بـ ﴿مِن﴾ في قوله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ والتأكيد بـ﴿وَلَا﴾ في ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ جاء كل ذلك لِيُسهم في توضيح دلالة الشرط وجزائه، وما فيه من تهديد ووعيد ؛للتحذير من اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما فضح القرآن سرائرهم.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٢ – ١٢٣].

---

(١) حاشية محي الدين زاده (٢: ٢٦٥) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: روح البيان (١: ٢٢١)، وحاشية القونوي (٤: ١٩٣)، وحاشية ابن التمجيد (٤: ١٩٣).

هذه الآية تماثلها آية أخرى في موقع الاحتراس وفي النظم :

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾.

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض الحديث عن اليهود، وقد كرَّر المولى سبحانه للتأكيد تذكير اليهود بالنعم التي أنعمها عليهم ؛«لتجديد ثقتهم ونشاطهم، وتشجيعهم وحفز هممهم، وبعث نفوسهم على الإيمان، وحثهم على اتباع النبي الأميّ الذي يجدون صفته في كتبهم، ثم قرن تعالى بالعظمة والتذكير التخويفَ من حساب يوم القيامة.

ففي الآية الأولى يعظ الله اليهود الذين كانوا في عصر التنزيل، ويذكرهم بالنعم الكثيرة التي أنعم الله بها على آبائهم، وتفضيلهم على عالم زمانهم، حين كانوا مطيعين للرسل مصدقين لما جاءهم من عند ربهم.

وفي الآية الثانية يحذرهم الله من عذاب يوم القيامة؛ بسبب تحريف التوراة والتكذيب برسول الله ﷺ، وفي ذلك اليوم لا تقضي فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا يؤخذ منها فدية ،ولا يشفع شافع، ولا ناصر ينصرهم، فيمنع من عذاب الله»[1].

الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ، وفي الآية الثانية: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ ﴾.

فحصل تقديم وتأخير في الآيتين، ففي الآية: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨] جاء الاحتراس في قوله

---

(١) التفسير المنير (١: ٣٢٥).

تعالى: ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾؛ إذ الاكتفاء بالمتقدم منهما سواء أكان العدل أم الشفاعة قد يورث التوهم بأن الفداء قد يفيد، أو شفاعة الصالحين تفيد، فنفي ذلك بهذا الاحتراس.

وقد صَرَّحَ بمعنى الاحتراس في هذه الآية الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، مع تقدم الإشارات عند غيره حيث قال: «والتفنن في الكلام تنتفي به سآمة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير.

وقد حصل مع التفنن نكتة لطيفة؛ إذ جاءت الشفاعة في الآية السابقة مسنداً إليها المقبولية، فقدمت على العدل؛ بسبب نفي قبولها، ونفي قبول الشفاعة لا يقتضي أخذ الفداء، فعطف نفي أخذ الفداء للاحتراس.

وأما في هذه الآية فقدم الفداء، لأنه أسند إليه المقبولية، ونفي قبول الفداء لا يقتضي نفي نفع الشفاعة، فعطف نفي نفع الشفاعة على نفي قبول الفداء، للاحتراس أيضاً»[1].

ومما سبق يتضح كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وإزالة اللبس.

وقد أشار الخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠) إلى معنى الاحتراس وإن لم يُصَرَّحَ به حيث قال: «فقدم في الأولى قبول الشفاعة على أخذ الفدية، وفي الثانية قبول الفدية على نفع الشفاعة... والفائدة في قوله تعالى في الآية الثانية وتقديم الفدية على نفع الشفاعة هي أنه لما قال: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ عَقَّبَهُ بذكر الفداء؛ لأن النفس تجزي عن النفس بفداء مؤقت يرتهن عنها مدة معلومة، ولا يكون بعد ذلك فداءٌ يفك الرهن، ويُخلصه من التبعات، فيكون معنى: ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾: لا تغني عنها بفداء محصور بوقت، ولا بفداء يخلصه على وجه الدهر، ويكون بعد ذلك ﴿وَلَا تَنفَعُهَا

(١) التحرير والتنوير (١: ٦٩٨).

شَفَعَةٌ﴾ معناه: ولا تخفف مسألة من عذابها، ولا ينقص شفيع من عقابها»[1] فالخطيب الإسكافي يرى أن لا ينفع الفداء لأنه مرتهن بشيء مؤقت.

ومن العرض السابق يتبيّن وجود الاحتراس، بل تأكّده في المعنى، وإن أغفل بعض المفسرين ذكره.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية لبيان منة الله على أهل الحرم، وهي ما تضمنه دعاء إبراهيم عليه السلام؛ من جعل الحرم آمناً في نفسه، ومن يدخله يكون آمناً، والدعوة الثانية خاصة بأهل مكة بالدعاء لهم بالرزق والثمرات ، فكانت وادياً مجدباً لا حياة فيها، واختص إبراهيم بدعوته من آمن بالله واليوم الآخر، أما من يكفر يمتع إلى أجل محدود، ثم يساق إلى عذاب جهنم.

الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء في الآية الكريمة أكثر من احتراس:

الأول في قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾، **والآخر** في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾.

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل (١: ٢٢٩).

فالاحتراس الأول: ﴿ قَلِيلًا ﴾ ؛ لئلا يتوهم أن الله تعالى يمتع الكافر متاعاً كاملاً شاملاً سابغاً ،بل مهما بلغ فإنه قليل.

وإلى ذلك أشار معنى الآية الكريمة، وإن لم يُصَرِّحَ أحد من المفسرين بوجود الاحتراس، قال الفخر الرازي (ت:٦٠٦): «والمعنى: أن الله تعالى كأنه قال: إنك وإن كنت خصصت بدعائك المؤمنين فإني أمتع الكافر منهم بعاجل الدنيا، ولا أمنعه من ذلك مما أتفضل به على المؤمنين إلى أن يتم عمره، فأقبضه، ثم اضطره في الآخرة إلى عذاب النار، فجعل ما رزق الكافر في دار الدنيا قليلاً؛ إذ كان واقعاً في مدة عمره، وهي مدة واقعة فيها بين الأزل والأبد، وهو بالنسبة إليهما قليلاً جداً»[(١)].

فقول الرازي الآنف ذكره يشير إلى معنى الاحتراس بوصف متاع الكافر بالقلة وإن طال به المدى، ليس كمتاع المؤمنين الدائم غير المنقطع، وقد نصت غير آية في القرآن الكريم على ذلك ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨].

وقد جاء الاحتراس: بـ﴿ قَلِيلًا ﴾ ، وهو نعت، إما لمصدر، أي: أمتع من كفر متاعاً قليلاً، وقُيد بالقلة؛ لأن متاع الدنيا بالنسبة للآخرة قليل.

وإما نعت لزمان، ويكون المقصود : أمتعه وقتاً قليلاً ، أو زمناً قليلاً أي: إلى بلوغ الإنسان أجله، فإن الآجال مهما طالت قصيرة[(٢)].

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية، وأن المعنى ينادي عليه، وإن لم يُصَرِّحَ به أحد من المفسرين.

---

(١) مفاتيح الغيب (٤: ٥١).

(٢) المحرر الوجيز (١: ٢٠٩).

وجاء الاحتراس الثاني في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ ؛ فقد احترس إبراهيم عليه السلام من الدعاء للكافرين، فلو لم يأتِ الاحتراس لتوهم عكس المراد.

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى الاحتراس وإن لم يصَرِّح به، فقال الإمام الطبري (ت: ٣١٠) : «وهذه مسألة من إبراهيم ربه: أن يرزق مؤمني أهل مكة من الثمرات، دون كافريهم، وخص بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين، لمَّا أعلمه الله عند مسألته إياه أن يجعل من ذريته أئمة يقتدي بهم أن منهم الكافر الذي لا ينال عهده، والظالم الذي لا يُدرك ولايته، فلما أن علم أن من ذريته الظالم والكافر خص بمسألته ربه أن يرزق من الثمرات من سكان مكة المؤمن منهم دون الكافر»[1].

يعرض الإمام الطبري لمقصد الاحتراس في عبارته: «وخص بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين».

وقد أشار إلى الاحتراس غير واحد من المفسرين، فقال ابن التمجيد (ت: ٨٨٠): ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ؛ فإن الاحتراز المذكور معلومٌ حُسْنُ ، فالأولى الاكتفاء بقوله: (احتراز) من الدعاء لمن ليس مرضياً عنده»[2].

وقد أكَّد على هذا المعنى القونوي (ت: ١١٩٥) حيث قال: «﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ احترز إبراهيم عليه السلام من الدعاء لمن ليس مرضياً عنده ، فأرشده الله إلى كرمه الشامل»[3].

---

(١) جامع البيان (١ : ٥٩٣).

(٢) حاشية ابن التمجيد (٤ : ٢٢٦).

(٣) حاشية القونوي (٤ : ٢٢٦).

ويختلف موقوع الاحتراس عند ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ احتراس من أن يغتر الكافر بأن تخويله النعم في الدنيا يؤذن برضا الله فلذلك ذكر العذاب»[1].

كذلك يرى «صاحب مفاهيم» الآثار حيث قال: «أما الدعوة الثانية الخاصة بأهل مكة فقد راعى سنة الله، وتأدب فيها مع الله؛ لأنه وعى ما قال له الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾... فحدَّدَ في دعائه أهل الإيمان بالله والدار الآخرة، محترساً مما يرد عليه قائلاً عليه السلام: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾»[2].

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

هذه الآية تناظرها آية أخرى في الترتيب وفي موقع الاحتراس، وهي قوله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١].

❊ الدراسة والتحليل:

جاءت هذه الآية الكريمة عقب الآيات التي تضمنت الثناء على إبراهيم عليه السلام وبنيه، والتنويه بشأنهم، والتعريض بمن لم يعتنق آثارهم.

والخطاب موجه إلى اليهود، أي: لا نفعكم صلاح آبائكم إذا كنتم غير متبعين طريقتهم، فكل نفس مرهونة بما كسبت ولا يحاسب أحد، أو يُسأل عن عمل غيره.

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٧١٧).

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم (١: ٣٨٠).

وتكرَّر الخطاب في الآية مرة أخرى ؛ لتضمنها معنى التهديد والتخويف، وفي تكريره تنبيهاً لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم، أي: لا تتكلوا؛ فكل يؤخذ بعمله.

الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، لما ادّعى اليهود انتسابهم لسابقين من آبائهم وأنبيائهم ظناً منهم أن أعمالهم تنفعهم نفت الآية الكريمة ذلك، أن لكل أمة ما كسبت، قد يتوهم أن ضلال آبائهم تلحقهم التبعة، فجاء الاحتراس دفعاً لذلك الوهم: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

وقد أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى ذلك، فقال: «﴿ وَلَا تُسْـَٔلُونَ ﴾ احتراساً واستيفاءً لتحقيق معنى الاختصاص، أي: كل فريق مختص به عمله، أو تبعته، ولا يلحق من الآخر من ذلك شيء، ولا السؤال عنه، أي: لا تحاسبون بأعمال سلفكم، وإنما تحاسبون بأعمالكم»(١).

وهذا المعنى الذي ذكره ابن عاشور صحيح وقد أشار إليه غير واحد من المفسرين(٢).

قال أبو السعود (ت: ٩٨٢): ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الجملة مقَرَّرَة لمضمون ما مَرَّ من الجملتين تقريراً ظاهراً، وإن أريد به سببه، أعني الجزاء ؛فهو تتميم لما سبق، جارٍ مجرى النتيجة له»(٣).

وقد نقل الألوسي (ت: ١٢٧٠) قول أبي السعود، ولكنه يرى موقع الاحتراس جاء تذييلاً فقال: «تذييل للتتميم ما قبله،والجملة معترضة أو مستأنفة»(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٧٣٦).

(٢) ينظر:الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢: ٤١٤)، وفتح البيان (١: ٢٠٤).

(٣) إرشاد العقل السليم (١: ٢٠٤).

(٤) روح المعاني (١: ٣٨٩).

كما ذكر غير واحد من المفسرين أن موقع الاحتراس: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ إنما جاء للتوكيد، وكما هو معلوم العلاقة بين الاحتراس والتوكيد علاقة وثيقة مناطها على «**دفع التوهم**» الذي يُعدّ المغزى الرئيس لفن الاحتراس.

قال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦): قوله: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُونَ ﴾ هذه الجملة استئناف... ومعناها التوكيد لما قبلها؛ لأنه لما تقدم أن أحداً لا ينفعه كسب أحد، بل هو مختص به، إن خيراً وإن شراً، فلذلك لا يسأل أحد عن غيره»[(١)].

وتابع السمين الحلبي غير واحد من المفسرين مما يرون أن موقع الاحتراس إنما جاء للتأكيد[(٢)].

ومما سبق يتبين كيف أشار المفسرون إلى معنى الاحتراس بعبارات تدل عليه.

ومعنى الاحتراس حَمَلَ دلالاتٍ متعددة، فكل إنسان محاسب على عمله، لا تنفعه طاعة آبائه ولا تضره معصيتهم، وهذا ما رجاه اليهود والنصارى بانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام، ونسبته لأديانهم المحرفة، والمعنى الذي أكّده الاحتراس جاء في غير آية من آيات الذكر الحكيم ،قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ من الله لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ من الله شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ من الله شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِالمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ من الله شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ الله لاَ أُغْنِي عَنْكِ من الله

---

(١) الدر المصون (١: ٣٨٢).

(٢) ينظر: اللباب (٢: ٢١٤)، وحاشية الصاوي (١: ٨٣).

شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ الله سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ من اللهِ شَيْئاً[(١)]. وقال: «وَمن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[(٢)].

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن العهد الذي أخذه يعقوب عليه السلام من بنيه حين حضرته الوفاة، لما قال: أي شيء تعبدون من بعد موتي؟ وإجابتهم له بالثبات على الدين الصحيح دين آبائهم بَيَّنَ الله عز وجل في هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ،بل كان حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ؛ لئلا يتوهم متوهم أنه لما لم يكن إبراهيم عليه السلام يهودياً ولا نصرانياً ربما كان من المشركين من يعتقد أنه إبراهيم عليه السلام كان مشركاً بناءً على ما يعتقده المشركون من أنهم على دين الحنفية، فجاء الاحتراس ،وأبطل هذا الاعتقاد.

وقد أشار إلى وقوع الاحتراس في الآية الكريمة غير واحد من المفسرين، فقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: احتراس؛لئلا يغتر المشركون

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٥٥) كتاب الوصايا (١١) باب هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالْوَلَدُ فِي الأَقَارِبِ حديث رقم (٢٧٥٣).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٤٧) كتاب القدر (١١) باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن حديث رقم (٧٠٢٨).

بقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: لا نكون هوداً ولا نصارى، فيتوهم المشركون أنه لم يبق من الأديان إلا ما هم عليه؛ لأنهم يزعمون أنهم على ملة إبراهيم»[١].

وهذا المعنى الذي ذكره ابن عاشور أشار إليه غير واحد من المفسرين، فقال البيضاوي (ت: ٦٨٥): ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم؛ فإنهم يدّعون اتباعه، وهم مشركون»[٢].

وأكّد محيي الدين زاده (ت: ٩٥١) على هذا المعنى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ لدوام النفي، لا لنفي الدوام، بأن يلاحظ النفي أولاً ثم الدوام المستفاد من كان ثانياً»[٣].

وأن هذا الاعتراض قد جيء به لدفع التوهم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ معطوف على الحال، أعني حنيفاً، ويحتمل أن يكون اعتراضاً واقعاً في آخر الكلام لدفع إيهام خلاف المقصود. فإن الحنيف اسم لمن دان بدين إبراهيم وتبعه فيما أتى به من الشرائع من حج البيت والختان وغيرهما، وكانت العرب متصفة بهذه الأشياء، ثم كانت تشرك ،فكان لواهم أن يتوهم أن الحنيفية لا تنافي الإشراك ،فاندفع ذلك الوهم بهذه الجملة»[٤].

ومن النص السابق يتبين أن المؤلف قد أدرك الاحتراس وإن لم يذكره، لكنه ذكر ما يدل عليه في غير موضع عدة عبارات تجلي معنى الاحتراس، ومنها قوله: «لدفع إيهام خلاف المقصود» وقوله: «فاندفع ذلك الوهم».

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٧٣٧).

(٢) أنوار التنزيل (١: ٤١٠).

(٣) حاشية القونوي (٤: ٢٧٤).

(٤) حاشية محيي الدين زاده (٢: ٣٢٨).

وينقل القونوي (ت: ١١٩٥) هذا المعنى في حاشيته، فيقول: «لما كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم من مشركي العرب يدعون اتباعه، وهم مشركون، نفى سبحانه وتعالى كونه عليه السلام من المشركين، وفهم من عرض الكلام أن ادعاء المشركين اتباعه باطل؛ فإن من كان مشركاً كيف يكون اتباع من لم يكن مشركاً قط.

ومما مضى يتبين كيف أسهم الاحتراس في إثبات التوحيد، ونفى الشرك عن إبراهيم عليه السلام، ودفع توهم أن يكون مشركاً أو على غير ملة الإسلام.

قال الشهرستاني (ت:٥٤٨): «ومن العجب أن التوحيد من أخص أركان الحنيفية، ولهذا يقترن نفي الشرك بكل موضع ذكر بالحنيفية»[١].

وبذلك يتأكَّد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة.

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

*** الدراسة والتحليل:**

فإن آمن الكفار من أهل الكتاب بمثل ما آمنتم به يا أيها المؤمنون، أي: بجميع ما أنزل الله من كتب ،وبجميع ما أرسل من رسل، ولم يفرِّقوا بين أحد منهم، فقد اهتدوا للحق، وإن تولوا عن الحق بعد قيام الحجة عليهم، واتبعوا الباطل، فإنهم مشاقُّون مخالفون، وسينصرك الله عليهم يا محمد، ويُظفرك عليهم، وهو الذي يسمع ما يقولون، ويعلم ما يدبِّرون.

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، نشر دار المعرفة، بيروت، دون رقم طبعة، ١٤٠٤ هـ (١: ٢٢٨).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع في الآية الكريمة أكثر من احتراس:

الأول: وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ ،بينت الآية الكريمة أحوال أهل الكتاب في عهد النبي ﷺ ؛قد يتوهم متوهم أنهم لما أعرضوا عن الطريق الحق أنهم لا يُضمِرُون سواءً فجاء الاحتراس ،وبَيَّنَ أنهم في شقاق، وعداوتهم ظاهرة، فانتفى الوهم.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ يعني في مشاقة وعداوة، وأصل الشِّقَاقِ البُعْدُ؛ من قولهم: قد أخذ فلان في شِقٍّ، وفلان في شِقٍّ آخر، إذا تباعدوا. وكذلك قيل للخارج عن الجماعة،: قد شَقَّ عصا المسلمين؛ لبُعْدِهِ عنهم»[1].

وقد أشار أبو السعود (ت:٩٨٢) إلى معنى الاحتراس ، فقال: «أي: هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق، وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق؛ بسبب إيمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون، وإنما أوثرت الجملة الاسمية لدلالة على ثباتهم واستقرارهم»[2].

وقد بَيَّنَ أبو السعود الاحتراس بقوله: «لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق»؛ فكأنه يحتمل أن يدخل الوهم في المعنى لو لم يأت الاحتراس الذي وصفهم بالشقاق الدائم.

كما ألمح أبو حيان (ت:٧٤٥) لمقصد الاحتراس، فقال:«﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: أكَّد الجملة الواقعة شرطاً بـ (إنّ)، وتأكَّد معنى الخبر بحيث صار ظرفاً لهم، وهم مظروفون

---

(١) النكت والعيون (١: ١٩٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (١: ٢٠٦).

له؛ فالشقاق مستول عليهم من جميع جوانبهم، ومحيط بهم إحاطة البيت بمن فيه. وهذه مبالغة في الشقاق الحاصل لهم بالتولي»[(١)].

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «شدة المخالفة،وجيء بـ (في) للدلالة على تمكن الشقاق منهم حتى كأنه ظرف محيط...، وجيء به تثبيتاً للنبي ﷺ ؛لأن إعلامه بأن هؤلاء في شِقاق مع ما هو معروف من كثرتهم وقوة أنصارهم، مما قد يتحرج له السامع، فوعده الله بأنه يكفيه شرهم الحاصل من توليهم»[(٢)].

وقد «دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق، وأن ذلك مما يؤدى إلى الجدال والقتال لا محالة، عُقِّبَ ذلك بتسلية رسول الله وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والإعزاز وَعُبِّرَ بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة، فقيل: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ﴾»[(٣)].

الاحتراس الثاني في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

لما بيّنت الآية الكريمة مشاقة أهل الكتاب وعداوتهم للنبي ﷺ قد يتوهم متوهم اتفاقهم على الكيد لأهل الإيمان جاء الاحتراس بقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دفعاً لتوهم قوتهم، وتمكنهم من الكيد للنبي ﷺ ، وفي هذا المعنى يقول أبو حيان (ت: ٧٤٥) «لما ذكر أن توليهم يترتب عليه الشقاق، وهو العُدَوة العظيمة، أخبر تعالى أن تلك العداوة لا يصلون إليك بشيء منها؛ لأنه تعالى قد كفاه شرهم. وهذا الإخبار ضمان من الله لرسوله، كفايته ومنعه منهم، ويضمن ذلك إظهاره على أعدائه، وغلبته إياهم؛ لأن من كان مشاقاً لك غاية الشقاق هو مجتهد في أذاك، إذا لم يتوصل إلى ذلك، فإنما ذلك لظهورك عليه وقوّة منعتك منه»[(٤)].

---

(١) تفسير البحر المحيط (١:٥٨٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢: ٧٥).

(٣) إرشاد العقل السليم (١: ٢٠٦).

(٤) البحر المحيط (١: ٥٨٧).

ويتابع البقاعي (ت: ٨٨٥) من سَبَقَهُ ويؤكد على المعنى فيقول: «ولما كان اللازم لمشاقّتهم على هذا الحال المكايدة والمحاربة، وكان ذلك على وجه العناد لم يكل سبحانه كفاية أوليائه إلى غيره، فسبب ذلك قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: بوعد لا خلف فيه أصلاً وإن تأخر شيئاً من تأخر بما له من قدرة وغيرها من صفات الكمال التي أفهمها الاسم الشريف، والكفاية إغناء المقاوم عن مقاومة عدوّه بما لا يحوجه إلى دفعٍ له »[1].

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم في إزالة اللبس ودفع التوهم.

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩].

*** الدراسة والتحليل:**

ذكر الإمام الطبري أن هذه الآية الكريمة جاءت في توبيخ اليهود والنصارى الذين قالوا للنبي ﷺ وللمؤمنين: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾، وفيها أمر الله نبيه أن يرد عليهم، ويجادلهم: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ «أتحاجونا في دين الله الذي أمرنا أن ندينه به، وربنا وربكم واحد، وتزعمون أنكم أولى بالله منا؛ لقدم دينكم وكتابكم ونبيكم، ونحن مخلصون له العبادة، لم نشرك به شيئاً، وقد أشركتم في عبادتكم إياه... فأنى تكونون خيراً منا وأولى بالله منا؟»[2].

---

(١) نظم الدرر (١: ٣٥١).

(٢) جامع البيان (١: ٦٢٤).

* **الاحتراس وموقف المفسرين:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾؛ لدفع توهم أن يكون المسلمون يشملهم الخطاب، وأنهم مشاركين لهم في أعمالهم.

وقد ألمح إلى هذا المعنى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) فقال: «وتقديم المجرور في: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ ؛ للاختصاص، أي: لنا أعمالنا لا أعمالكم، فلا تحاجونا في أنكم أفضل منا ،وَعطَفَ ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ احتراسٌ لدفع توهم أن يكون المسلمون مشاركين للمخاطبين في أعمالهم، وأن لنا ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ يفيد اختصاص المتكلمين بما عملوا، مع الاشتراك في أعمال الآخرين»[(١)].

فيرى ابن عاشور (الجار والمجرور): ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ احتراس؛ لدفع توهم الاشتراك، «وتقديم المجرور في قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ للاختصاص، أي: أعمالنا مقصورة على الاتصاف بكونها لنا، لا تتخطى إلى الاتصاف بغيرنا... فالقصر قصر الموصوف على الصفة»[(٢)].

ويشير أبو حيان (ت:٧٤٥) إلى معنى الاحتراس، فيقول: «وهذه الجملة من باب التعريض بالذم،؛ لأن ذكر المختص بعد ذكر المشترك نَفْيٌ لذلك المختص عمن شارك في المشترك»[(٣)].

ومما سبق يتبين ويتأكّد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، ودفع توهم الاشتراك.

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٧٤٦).

(٢) حاشية القونوي (٤: ٢٩٣).

(٣) البحر المحيط (١: ٥٩١).

الآية العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الآيات التي حكت تحويل القبلة، وقد افتتحت الآية بخطاب من الله عز وجل للمؤمنين ممتناً ومتفضلاً عليهم بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي: كما هديناكم إلى الصراط المستقيم والدين القويم، وحولناكم إلى قِبلة إبراهيم عليه السلام، جعلناكم أمة وسطاً، وما حولت القبلة إلا ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ممن ينقلب على عقبيه، و تحويل القبلة أمر شاق على النفوس.

وعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: « إن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ،أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت، وأنه صلى أوصلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه ،فمر على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبيل البيت رجال قتلوا ولم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ لما ذكر الله عز وجل أمر تحويل القبلة، وأن في تحويلها تمحيصاً للإيمان ؛لما فيها من المشقة من لمز اليهود ،جاء

الاحتراس؛ لدفع توهم ضياع الأعمال السابقة بـ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ ، فلو لم يُدْفَعْ هذا التوهم لفهم خلاف المراد.

ثم أكَّد المعنى بالتذييل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ توكيدٌ لعدم إضاعة إيمانهم.

وقد أشار أبو حيان (ت:٧٤٥) إلى مقصود الاحتراس، فقال: «أخبر تعالى أنه لا يضيع إيمانكم، فاندرج تحته متعلقاته التي لا تصح إلا به، وكان ذكر الإيمان أولى من ذكر الصلاة ؛ لئلا يتوهم اندراج صلاة المنافقين إلى بيت المقدس»(١).

فيرى أبو حيان أن الاحتراس إنما جاء لدفع توهم اندراج صلاة المؤمنين بمن سواهم من المنافقين واليهود الذين اتجهوا إلى بيت المقدس في صلاتهم.

بيد أن الشيخ عبدالرحمن الدوسري (ت: ١٣٩٩) يخالف في تفسير الاحتراس مع الاتفاق على موقعه، فيقول: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ احترازٌ من توهم من يظن أن تحويل القبلة يكون سبباً لترك المؤمنين دينهم، فدفع الله هذا التوهم بتأكيده لحفظ إيمان المؤمنين، ويدخل في هذا من مات قبل التحويل؛ فإن الله لا يضيع إيمانهم من صلاتهم إلى القبلة الأولى؛لكونهم امتثلوا أمر الله فيه»(٢).

فيرى الدوسري أن الاحتراس جاء التأكيد حفظ الإيمان،الذي يظهر احتمال الآية للتفسيرين، وإن كان رأى أبو حيان أقوى فيما ظهر لي. والله أعلم. وأيما كان فوقوع الاحتراس ظاهر في الآية، وإن اختلفت وجهات النظر، ويؤكد ذلك التذييل في ختام الآية «﴿ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له»(٣).

---

(١) البحر المحيط (١: ٦٠٩).

(٢) صفوة المفاهيم والآثار (١: ٤٣٢).

(٣) إرشاد العقل السليم (١: ٢١٤).

الآية الحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن تحويل القبلة، وكان النبي ﷺ يتشوق لتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، ويقع في روعه أن ذلك كائن؛ لأنها أقدم القبلتين، ولأن ذلك أدعى إلى إيمان العرب، ولأن اليهود كانوا يقولون: يخالفنا في ديننا، ويتبع قبلتنا، ولولا ديننا لم يدر أين يستقبل القبلة، فكره النبي ﷺ أن يُصلي لقبلتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات بتحويل القبلة إلى الكعبة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ ،لما كان النبي ﷺ هو المتشوف لأمر تحويل القبلة إلى الكعبة فقد يتوهم أن هذا خاص به، فجاء الاحتراس: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾؛ ليعم الخطاب جميع المسلمين.

وقد ذكر مقصد الاحتراس دون التصريح به غير واحد من المفسرين، فقال أبو حيان (ت: ٧٤٥): ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ «وهذا أمر لأمة محمد رسول الله ﷺ ؛لما تقدم أمره بذلك أراد أن يبيّن أن حكمه وحكم أمته في ذلك واحد، مع مزيد عموم في الأماكن ؛ لئلا يتوهم أن هذه القبلة مختصة بأهل المدينة، فبيّن أنهم في أيما حصلوا من بقاع الأرض وَجَبَ أن يستقبلوا شطر المسجد، و لما كان ﷺ هو المتشوق لأمر التحويل بدأ بأمره أولاً، ثم أتبع أمر أمته ثانياً؛ لأنهم تبع له في ذلك، و؛ لئلا يتوهم أن ذلك مما اختص به ﷺ»[1].

(١) البحر المحيط (١: ٦١٥).

وهذا الذي رآه أبو حيان تابعه عليه الألوسي (ت: ١٢٧٠) فقال: «وهذا تصريح بعموم الحكم المستفاد من السابق اعتناءً به إذ الخطاب الوارد في شأن النبي ﷺ عام حكمه ما لم يظهر اختصاصه به ﷺ، وفائدة تعميم الأمكنة -على ما ذهب إليه البعض- دفع توهم أن هذه القبلة مختصة بأهل المدينة»[١].

ويرى البيضاوي (ت:٦٨٥) أن الله خص الرسول ﷺ بالخطاب «تعظيماً له وإيجاباً لرغبته، ثم عمم تصريحاً بعموم الحكم، وتأكيداً لأمر القبلة، وتحضيضاً للأمة على المتابعة»[٢].

ومما سبق يتبين كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وكيف دفع توهم التخصيص بأسلوب الاحتراس، وهذا الذي أورده القونوي سبقه إليه غير واحد من المفسرين، أعرض عن ذكر أقوالهم ؛لئلا يطول المقام.

ويُصَرِّحَ ابن عرفة (ت: ٨٠٣) بذكر الاحتراس، فقال: «أن جملة ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ ﴾ أتى بها احتراساً أو تتميماً لما قبلها؛ لأنه لما تقدمها ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ خشي أن يتوهم المؤمنون أنَّ الكفار يغلبونهم بالكثرة والقوة، فاحترس من ذلك بهذه الآية فقال: لا تتوهموا أنهم يضرونكم، فغاية أمرهم أنهم يؤذونكم بالقول فقط»[٣].

الآية الثانية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠].

---

(١) روح المعاني (١: ٤٠٩).

(٢) أنوار التنزيل (١: ٤٢٢).

(٣) تفسير ابن عرفة (١:).

* **الدراسة والتحليل:**

يذكُرْ الله سبحانه وتعالى قصة إبراهِيمُ، إذا سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى؛ ليطمئن قلبه، فسأله ربه :أولم تؤمن بي؟ قال: بلى إني مؤمن بذلك، ولكنني أريد زيادة في اليقين، فقال الله تعالى: خذ أربعة من الطير، فاذبحهن، وقطعهنَّ، واخلط بعضهن ببعض، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم أمره الله تعالى بأن يدعوهن، فدعاهن، وأتينه يمشين سعياً؛ ليكون ذلك أبلغ في الرؤية التي سألها. ثم قال الله تعالى لإبراهيم: اعلم يا إبراهيم أن الله عزيز لا يغلبه أحد، ولا يمتنع عليه شيء؛ لأنه القاهر لكل شيء.

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿سَعْيًا﴾ لما أمر الله إبراهيم عليه السلام، بأن يجعل أوصال الطير المتقطعة على أعالي الجبال، ثم يدعوهن، فقد يشك شاك أن الطير التي جاءت ليست هي الطير المتقطعة، فجاء الاحتراس؛ ليدفع التوهم، ويبيّ،ن أن الطير هي، وقد جاءت سعياً.

أشار البغوي (ت:٥١٠) إلى مقصد الاحتراس فقال: «والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير، وأن أرجلها غير سليمة والله أعلم. وقيل: السعي بمعنى الطيران»[(١)].

وقد تناقل غير واحد من المفسرين عبارة البغوي[(٢)] كما يلمح الرازي (ت: ٦٠٦) إلى الاحتراس فقال: «أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ عدواً ومشياً على أرجلهن؛ لأن ذلك أبلغ في الحجة»[(٣)].

---

(١) معالم التنزيل (١: ٣٢٤).

(٢) ينظر: السراج المنير (١: ١٩٩)، والكشاف (١: ٣٣٧)، و البحر المحيط(١٢٨:١).

(٣) مفاتيح الغيب (٧٣: ٣٨).

وعبارة الرازي فيها دلالة على الاحتراس «لأن ذلك أبلغ في الحجة» أي: حتى لا يتوهم أنها غيرها، فتكون أدل على المعجزة.

وقد اتفق المفسرون على معنى الاحتراس: و أنه «لا يقال: «سعى الطائر»، يعني على سبيل المجاز، فيقال: وترشيحه هنا هو أنه لما دعاهنّ، فأتينه، تنزلن منزلة العاقل الذي يوصف بالسعي، وكان إتيانهنّ مسرعاتٍ في المشي أبلغ في الآية؛ إذ اتيانهنّ إليه من الجبال يمشين مسرعاتٍ هو على خلاف المعهود لهنّ من الطيران، وليُظْهِرَ بذلك عِظَمَ الآية، إذ أخبره أنهنّ يأتين على خلاف عادتهنّ من الطيران، فكان كذلك. وجعل سيرهنّ إليه سعياً؛ إذ هو مشيةُ المجدّ الراغب فيما يمشي إليه؛ لإظهار جدّها في قصد إبراهيم و إجابة دعوته»[1].

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم الاحتراس بجانب دفع التوهم ببيان عظم المعجزة التي أجراها الله على يد إبراهيم عليه السلام.

الآية الثانية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٦].

هذه الآية الكريمة تماثلها آية أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة: ١١٠].

(١) البحر المحيط (٢: ٢٢٥).

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في مقام تبشير الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيكون لك ولد عظيم الشأن، يوجد بكلمة من الله، فيقول له: كن فيكون، وسيكون وجيهاً ووجيهاً في الآخرة بأن يجعله الله شفيعاً لمن يأذن له بالشفاعة فيهم، فيتكلم وهو في المهد، ويدعو إلى عباده الله وحده لا شريك له ، و يتكلم في المهد و حين يصيرُ كهلاً، ويكون له علم صحيح وعمل صالح.

وقد تكلم حينما جاءت به قومها وهي تحمله، فبرأها مما رماها به اليهود من الإفك، ونَزَّهَهها عن افترائهم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾، لما بَيَّنَ الله عز وجل نعمه على عيسى عليه، وأنه أيّده بروح القدس، وأنه يكلم الناس في المهد، فقد يتوهم السامع أن هذه معجزة، وانتهت، فلما جاء الاحتراس بقوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ زال التوهم، وتبَيَّنَ أنه سيمد الله في حياته حتى يكلم الناس وهو كهلُ، وبذلك دفع التوهم، وثبت المعنى.

وهذا المعنى قد ذكره غير واحد من المفسرين، فقال ابن جزي (ت: ٧٤١): «والمعنى: أنه يكلم الناس صغيراً آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدل على نبوته، ويكلمهم أيضاً كبيراً، ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة»[١].

كما صَرَّحَ الزركشي (ت: ٧٩٤) بالاحتراس، فقال: «وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز فيه؛ لأنه كان في العادة أن مَنْ يتكلم في المهد أنه لا يعيش، ولا يتمادى به العمر، فجعل الاحتراس بقوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ »[٢].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١: ١٩٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٧).

وقد ألمح ابن عادل (ت: ٨٨٠) إلى معنى الاحتراس، فقال: «فبشَّر الله مريم بأن هذا يتكلم طفلاً، ويعيش حتى يكلم الناس في كهولته، ففيه تَطْمِينٌ لخاطرِها»(١).

ويقول أبو السعود (ت: ٩٨٢): «ويكلم الناس في المهد وكهلا أي: يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً،كلامَ الأنبياء من غير تفاوت»(٢).

ومما مضى تبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وفيه دفع لتوهم أنه لا يعيش إنه كان معجزة وقتية، وفي ذلك بشرى لمريم عليها السلام بما سيكون عليه في الكبر.

و يرى آخرون أن في الاحتراس إثباتاً لنزول عيسي عليه السلام آخر الزمان، وأنه سيكلم الناس، قال الحُسَيْن بنُ الفَضْل البَجَلِيُّ: «ويكون كهلاً بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلم الناسَ، ويقتل الدَّجَّالَ، قال: وفي الآية نص على أنه عليه السلامُ سينزل إلى الأرض»(٣).

الآية الثالثة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

*** الدراسة والتحليل:**

ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو في دينهم، ويأمرهم بألا يعتقدوا إلا القول الحق الثابت بنص ديني متواتر. ويخص في خطابه في هذه الآية النصارى الذين غلوا في

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٥: ٢٢٩).

(٢) إرشاد العقل السليم (١: ٣٦٩).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٥: ٢٢٩).

المسيح، فجعلوه إلهاً يعبدونه مع الله، ويأمرهم الله بأن لا يفتروا على الله الكذب، فيجعلوا له صاحبة وولداً؛ فالمسيح عبد من عباد الله، خلقه الله بكلمة ألقاها إلى مريم، ونفخ فيها من روحه، ثم أمرهم تعالى بالإيمان بالله ورسوله، وبالتصديق بأن الله لا إله إلا هو، وهو واحد أحد، لا صاحبة له ولا ولد.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل غلو أهل الكتاب، ثم الدعوة لهم بالإيمان، قد يتوهم متوهم أن أهل الكتاب لا يؤمنون بالله مطلقاً، وينكرون وجوده، فلما جاء الاحتراس: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ تبين أنهم يقرون بوجود الله، لكن يشركون معه ،ولهم معبودات ثلاثة، فاندفع بذلك التوهم، وظهر أن المراد بالإيمان بالله الإيمان المطلق الخالص من الشرك.

وقد أشار المفسرون إلى معنى الاحتراس ومقصوده في تفسير الآيات، واتفقوا على أن المراد بـ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ أي: لا تنطقوا بهذه الكلمة، وهي عقيدة النصارى،: «ولا تقولوا: معبودنا ثلاثة، ولا تقدر: آلهتنا ثلاثة؛ لأن المبتدأ لا يدخله التصديق ولا تكذيب، فتكون قدرت أن ثم آلهة،وأخبرت أنها ثلاثة، وهذا لا يجوز»[(١)].

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوجود الاحتراس، فقال: «وهذا بمنزلة الاحتراس عن أن يتوهّم متوهّمون أن يعرضوا عن الإيمان برسالة عيسى عليه السلام مبالغة في نفي الإلهية عنه»[(٢)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للسخاوي، تحقيق موسى مسعود وآخرون، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، (١: ٢١١).

(٢) التحرير والتنوير (٦:٢٥٦).

وللجرجاني (ت: ٤٧١) كلام نفيس حول هذا المعنى حيث قال: «ثلاثة» صفة مبتدأ لا خبرَ مبتدأ، و يكون التقديرُ: ولا تقولوا :لنا آلهةٌ ثلاثة ،أو: في الوجود آلهة ثلاثة، ثم حذف الخبر الذي هو: «لنا» ، أو: « في الوجود» كما حذف من : (لا إله إلا الله) و(ما من إلهٍ إلاّ الله) فبقي: ولا تقولوا: آلهةٌ ثلاثةٌ، ثم حذف الموصوف الذي هو «آلهة» فبقي : «ولا تقولوا ثلاثة». وليس في حذفِ ما قدَّرنا حذفه ما يتوقَّف في صحته. أما حذفُ الخبر الذي قلنا : إنه «لنا» أو:«في الوجود» فمطَّردٌ في كلِّ ما معناهُ التوحيدُ ونفيُ أن يكون مع الله -تعالى عن ذلك- إله[1].

وكذلك يرى الرازي (ت:٦٠٦) حيث نقل قول الفراء (ت:٢٠٧): «ولا تقولوا هم ثلاثة كقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ ﴾ [الكهف: ٢٢] ، وذلك لأن ذكر عيسى و مريم مع الله تعالى بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين، وبالجملة فلا نرى مذهباً في الدنيا أشد ركاكة وبُعداً عن العقل من مذهب النصارى... ثم أكَّد التوحيد بقوله إنما الله إله واحد ثم نَزَّهَ نفسه عن الولد بقوله: (سبحانه أن يكون له ولد)»[2].

وأُتبع الاحتراس بالتأكيد: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ، حيث جاء بأسلوب القصر قصر إفراد؛ لإثبات الوحدانية لله تعالى بأقوى طريق. أي: إن المعبود بحق ليس إلا واحداً، وهو الله تعالى ذو الجلال والإكرام، الخالق لهذا الكون، والمدبر لأمره.

وفي ذلك يقول أبو السعود (ت:٩٨٢): «﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: بالذات، منزَّهَ عن التعدد بوجه من الوجوه... سبحانه أن يكون له ولد... ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره أي: له ما فيهما من الموجودات

(١) دلائل الإعجاز (ص: ٢٨٥).

(٢) مفاتيح الغيب (١١: ٩٣).

خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يخرج عن ملكوته شيء من الأشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام، فكيف يتوهم كونه ولداً له تعالى»[١].

ومما مضى يتضح كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم ، وفي تسجيل الظلم والغلو على أهل الكتاب، وعقائدهم الباطلة التي نقضها الاحتراس نفي الآلهية واتخاذها من دون الله، ففي ذلك إشراك به سبحانه؛ وتعالى فهو وحده الإله المعبود بحق.

الآية الرابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٧].

*** الدراسة والتحليل:**

فإن كذبك قومك يا محمد وكذبك اليهود، فقل لهم: إن الله واسع الرحمة، وفي ذلك ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله وإتباع رسوله، فإن أصروا على عنادهم وكفرهم فحذِّرهم من نقمة الله وعذابه، فإن بأس الله تعالى شديد، ولا يرده شيء عن القوم المجرمين.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ﴾،لما ذكر الله عز وجل المحرمات، ثم خاطب نبيه الكريم ﷺ بأن يقول للمشركين: فإن الله واسع الرحمة، قد يتوهم متوهم أنه ربما يعاقبون، فدفع الاحتراس هذا التوهم ،وبَيَّن أن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين.

والمعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين[٢] فقال ابن عطية (ت:٥٣٢): «﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ قوة وصفهم بغاية الاجترام وشدة الطغيان، ثم

(١) إرشاد العقل السليم (٢: ٢٢٦).

(٢) ينظر: الوجيز (ص: ٣٨٠)، وبحر العلوم (١: ٥١٠)، وأنوار التنزيل (٢: ٢٦٤)، والبحر المديد (٢: ٢٣٠).

أعقب هذه المقالة بوعيد في قوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فكأنه قال: ولا تغتروا أيضاً بسعة رحمته، فإن له بأسا لا يرد عن المجرمين إما في الدنيا، وإما في الآخرة»[١].

كما تابع ابن جزي (ت:٧٤١) ابن عطية فيما ذهب إليه، حيث قال: «﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية: ما أحلمَ الله ! ، تريد لإمهاله عن مثل ذلك ، ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تغتروا بسعة رحمته؛ فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة»[٢].

فبعبارة ابن جزي «أي: لا تغتروا بسعة رحمته» إشارة لدفع التوهم، فلو لم تذكر لتوهم أن الله سبحانه وتعالى لا يعاقب المجرمين.

وقوله: «﴿ذُو رَحْمَةٍ﴾ جيء بِهَذه الجُمْلَة اسمِيَّةً وبقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ فِعْلِيَّةً؛ تَنْبيهاً على مُبَالَغة سعَة الرَّحْمة؛ لأنّ الاسْمِيَّة أدلُّ على الثُّبُوت والتَّوكيد من الفِعْلِيَّة»[٣]، فيكون التركيب وذو ﴿بَأْسٍ﴾ لئلا يتعادل الإخبار عن الوصفين وباب الرحمة واسع فلا تعادل[٤].

كذلك يرى ابن عادل (ت: ٨٨٠) حيث قال: «﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ فلذلك لا يُعَجِّل عليكم بالعُقوبة، ثم أخبرهم بما أعَدَّ لهم، من العذاب في الآخرة، و﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ أي إذَا جَاء الوَقْت»[٥].

---

(١) المحرر الوجيز (٢:٤٢٢).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١: ٣٨٢).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٨: ٤٩٦).

(٤) البحر المحيط (٤: ٢٣٤).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (٨: ٤٩٦).

ومفهوم العبارة السابقة يدل على الاحتراس، حيث قابل العفو والمغفرة بالعقوبة، حتى لا يتوهموا أنهم قد يفلتون من العذاب.

ومما مضى يتبين ثبوت الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم.

الآية الخامسة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١- ١٢٣].

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس ، وهي:

قول الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء:٤٧-٧٨].

*** الدراسة والتحليل:**

حكت هذه الآيات قصة موسى عليه السلام مع فرعون وسحرته، ومجادلة فرعون لموسى، والموعد الذي ضربه له.

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن سحرة فرعون لما عاينوا عصا موسى تبتلع جميع حبالهم وعصيهم خروا سجداً لله تعالى قائلين: آمنا بالله الذي هو رب هارون وموسى. فهداهم الله بذلك البرهان الإلهي هذه الهداية العظيمة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ ، لما كان سياق الحدث قد يجلب التوهم في أن السحرة قد يقصدون فرعون؛ لأنه طالما ادعى الألوهية، جاء الاحتراس بنفي ذلك الوهم، وبيان أنهم قصدوا رَبَّ مُوسَى وَهَارُونَ الإله الحق.

وقد أشار غير واحد من المفسرين لذلك، فأشار الرازي (ت: ٦٠٦) إلى الاحتراس حين ذكر أحد مرادفاته، فقال: «فلو أنهم قالوا: آمنا برب العالمين، لكان فرعون يقول: إنهم آمنوا بي لا بغيري؛ فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة؛ والدليل عليه أنهم

قدموا ذكر هارون على موسى؛ لأن فرعون كان يدّعي ربوبيته لموسى بناءً على أنه ربّاهُ في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨]، فالقوم لما احترزوا عن إيهامات فرعون لا جرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعاً لهذا الخيال»(١).

وقد حمل عبارات الرازي دلالات الاحتراس عندما قال: «فلقطع هذه التهمة» وقوله: «احترزوا»، فكل هذه العبارات تدل على الاحتراس.

ويذكر ابن عادل (ت: ٨٨٠) القصد من الاحتراس، فيقول: «وفائدةُ ذلك نَفْيُ تَوَهُّمِ من يَتَوَهَّمُ أنَّ ربَّ العالمين قد يُطلق على غير الله تعالى؛ لقول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾»(٢).

وكذلك أبو السعود (ت: ٩٨٢) حينما قال: «أبدلوا الثاني من الأول؛ لئلا يتوهم أن مرادهم فرعون»(٣).

وقد نقل هذا القول غير واحد من المفسرين، فقال ابن عجيبة (ت:١٢٢٣): ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ أبدلوا الثاني من الأول؛ لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون»(٤).

ومهما يكن التقديم بين هارون وموسى في بعض الآيات فإن الإبدال هذا لا يؤثر في الاحتراس،«ولا تقتضي ترتيباً على أنه يحتمل أن يكون القولان من قائلين، نطقت طائفة بقولهم: رب موسى وهارون، وطائفة بقولهم: رب هارون وموسى، ولما اشتركوا في المعنى صح نسبة كل من القولين إلى الجميع. وقيل: قدم هَارُونَ هنا؛ لأنه كان أكبر سناً من

(١) مفاتيح الغيب (٢٢: ٧٥).
(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٩: ٢٦٥).
(٣) إرشاد العقل السليم(٣: ١٧).
(٤) البحر المديد (٢: ٣٨٢).

مُوسَى. وقيل: لأن فرعون كان ربَّى موسى، فبدؤوا بهارون؛ ليزول تمويه فرعون أنه ربّ موسى، فيقول : أنا ربيته.

وقالوا: ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ ولم يكتفوا بقولهم: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ للنص على أنهم آمنوا ﴿بِرَبِّ﴾ هذين، وكان فيما قبل يزعم أنه رب العالمين»[1].

الآية السادسة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في سياق قصة مناجاة موسى لربه وإنزال التوراة عليه؛ فقد اتخذ بنو إسرائيل بعد خروج موسى إلى جبل الطور؛ لمناجاة ربه ،على حسب الموعد الذي وعده الله به، اتخذوا من حلي القبط عجلاً جسداً له خوار، أي: تمثالاً بصورة العجل وصورته، ثم عبدوه.

وكانوا قد سألوا موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه كما لغيرهم من المصريين والشعوب التي مروا بها.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿جَسَدًا﴾ ، فيكون المعنى أن قوم موسى اتخذوا من الحلي عجلاً له تقاسيم العجل المعروفة ؛ لئلا يتوهم أنهم اتخذوا عجلاً مخطوطاً أو مصوراً ليس له جسم أو هيئة.

(١) البحر المحيط (٤: ٤٦١) بتصرف يسير.

وقد ذكر الاحتراس غير واحد من المفسرين سواءً باسمه أم بمقصده إذ إن المعنى يدعو إليه.

قال أبو حيان (ت: ٧٤٥): «وإنما قال: ﴿جَسَدًا﴾ لأنه يمكن أن يتخذ مخطوطاً أو مرقوماً في حائط أو حجرٍ أو غير ذلك كالتماثيل والمصورة بالرقم والخط والنقش فبيَّنَ تعالى أنه ذو جسد»(١).

ويجلّي السمين الحلبي (ت: ٧٥٦) الاحتراس، فيقول: «وإنما قال: ﴿جَسَدًا﴾؛ لئلا يتوهم أنه كان مخطوطاً أو مرموقاً»(٢).

وكذلك يرى ابن عادل (ت: ٨٨٠) إذ قال: « لئلا يتوهم أنه كان مخطوطاً أو مرقوماً»(٣).

وقد صَرَّحَ أحد الباحثين بالاحتراس، إذ قال: «وفي وصف ﴿عِجْلًا﴾ بـ﴿جَسَدًا﴾ احتراس رائع لدفع توهم غير المراد، فهذا العجل شكلُ جمادٍ لا روح فيه ﴿جَسَدًا﴾ يمر فيه الهواء من جانب ويخرج من جانب»(٤).

وهذا المعنى هو المراد والمغزى من الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين، ولم يغب عن الباقين معنى الاحتراس أو المراد به، وإن لم يرد في عباراتهم، ومن ذلك ما ذكره الثعلبي (ت:٤٢٧): حيث قال «فاتخذ السامري منها عجلاً جسداً مجسداً لا روح فيه»(٥).

---

(١) البحر المحيط (٤: ٤٩٥).

(٢) الدر المصون (٣: ٣٤٤).

(٣) اللباب (٩: ٣١٦).

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام (١: ٤٠٥).

(٥) الكشف والبيان (٤: ٢٨٤).

الآية السابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

*** الدراسة والتحليل:**

أعلم الله تعالى موسى عليه السلام بما فعله قومه من عبادتهم العجل بعد ذهابه، فرجع إليهم غضبان حزيناً، وقال لهم: بئس ما فعلتموه في غيبتي. فألقى موسى الألواح، وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه، مخافة أن يكون قد تهاون في نهيهم عن اتخاذ العجل، فقال له هارون: يا أخي يا ابن أمي، لا تعنِّفني؛ فإن القوم قد استضعفوني، وكادوا يقتلونني لما نهيتهم، فلا تصبَّ نقمتك علي ،فتشمت بي الأعداء، ولا تعاملني معاملة القوم الظالمين الذين اتخذوا العجل إلهاً.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى ما اعتذر به نبي الله هارون لأخيه موسى عما وجهه إليه من اللوم ؛ لئلا يتوهم متوهم أنه قد رَضي فعلهم، فلم يُنكر عليهم، فلما جاء الاحتراس انتفت التهمة عن هارون عليه السلام.

والمعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين، فقال البيضاوي (ت: ٦٨٥): «﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى: بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني، واستضعفوني، وقاربوا قتلي»(١).

---

(١) أنوار التنزيل(٣: ٦١).

وقد تابع البيضاوي فيما ذهب إليه غير واحد من المفسرين(١)، فكلهم يرى أن موقع الاحتراس إنما جاء لإزاحة توهم التقصير في دعوة بني إسرائيل.

ومما مضى يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد جاء الاحتراس ببراءة ساحة هارون عليه السلام من التقصير، وقد أمرهم بتوحيد الله تعالى، والوفاء بموعد موسى عليه السلام، وأن يطيعوه في ذلك.

الآية الثامنة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٦].

*** الدراسة والتحليل:**

تعرض هذه الآية ضرباً من أحوال المنافقين في تعاملهم مع المؤمنين، وأنهم يحلفون بالله أيماناً كاذبة، وهذا سمت المنافقين، فأخبر الله تعالى أنه إن رضيتم عنهم أيها المؤمنون وقَبِلتم اعتذارهم؛ لأنكم تحكمون بظواهر الأمور، فإن الله يعلم السر وأخفى، والله لا يرضى عن القوم الفاسقين، ورضاكم عنهم لا يعني رضا الله عنهم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ؛ فقد يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يزيل عنهم صفة الفسق، ويرضي الله تعالى عنهم، فجاء الاحتراس للتنبيه على ذلك بأن رضا المؤمنين لا يقتضي رضا الله تعالى.

وقد أشار إلى ذلك المعنى غير واحد من المفسرين، فقال الزمخشري (ت: ٥٣٨): ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فإن رضاكم وحدكم لا يَنفعُهم إذا كان الله ساخطاً عليهم، وكانوا

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣: ٣٣)، وحاشية محيي الدين زاده (٤:٣٠١).

عُرضةً لعاجل عقوبته وآجلها و قيل : إنما قيل ذلك ؛ لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم»[١].

ويرى النسفي (ت: ٧١٠) ذلك أيضاً حيث قال: «فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطاً عليهم، وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها، وإنما قيل ذلك لئلا يتوهم أن رضا المؤمنين يقتضي الله عنهم»[٢].

ويوافق البقاعي (ت: ٨٨٥) من سَبَقَهُ فيقول: «وفي ذلك رد على من يتوهم أن رضا المؤمنين لو رضوا عنهم يقتضي رضا الله»[٣].

ويرى أبو السعود (ت: ٩٨٢) وقوع معنى الاحتراس، فيقول: «وإنما قيل ذلك ؛ لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين من دواعي رضا الله تعالى»[٤].

ويتضح من العرض السابق تنبه غير واحد من المفسرين لوجود معنى الاحتراس، وإن لم يذكروا المصطلح، لكنهم أوردوا مقصوده ،وهو دفع التوهم الناشئ من بداية السياق.

الآية التاسعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

هذه الآية الكريمة تماثلها آيات أخرى في السياق، وفي موقع الاحتراس، وهي:

---

(١) الكشاف (٢: ٢٩٢).

(٢) مدارك التنزيل(٢: ٣٢٣).

(٣) نظم الدرر (٣: ٣٧٧).

(٤) إرشاد العقل السليم (٤: ٩٥).

قول الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩-٣٠].

وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾ [هود: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ [سبأ: ٤٧-٤٨].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض الحديث عن قصة نوح عليه السلام مع قومه ودعوته لهم، ومقابلة الدعوة بالإعراض، فيُرغبهم بالإيمان، وإنه داعٍ إلى الله لا يريد أجراً منهم،و يقول لهم : فإن أعرضتم عن تذكيري، وأدبرتم عن الطاعة وتوليتم، فلا يضرني ذلك؛ لأنني لم أطلب منكم أجراً على نصحي لكم، وإنما أطلب الأجر من الله رب العالمين الذي أمرني بأن أكون من المسلمين المؤمنين العابدين القائمين بأمر ربهم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ لدفع توهم متوهم أن هذا العمل الذي يقوم به، إنما بذله ليأخذ عوضاً عنه، وبدلاً عنه، فبيَّنَ لهم أنه لا يريد أجراً على الدعوة،إنما أجره على الله.

وهذا المعنى الذي حمله الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين فقال ابن كثير (ت:٧٧٤): «يقول لقومه: لا أسألكم على نصحي لكم مالاً : أجرة آخذها منكم ؛ إنما أبتغي الأجر من الله عز وجل»(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤: ٣١٧).

وهذا الذي ذكره ابن كثير عليه غير واحد من أهل التفسير، مما يغني عن إعادته هاهنا.

وقد صَرَّحَ ابن عاشور بالاحتراس في غير موضع، فقال: «﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ احتراس ؛لأنه لمّا نفى أن يسألهم مالاً، والمال أجر، نشأ توهّم أنه لا يسأل جَزاءً على الدعوة ، فجاء بجملة ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ احتراساً»[١].

فقد وقع الاحتراس موقع القصر حقيقي، وفيه تعميم لنفي طلبه أجراً على دعوتهم سواء منهم أم من غيرهم، وجزمه بأن الله يؤجره على ذلك هو وعد الله إياه به بما أوحى إليه.

ومما سبق تبيّنَ وقوع الاحتراس ،وكيف أسهم في دفع الشبهة عن نبي الله في دعوته، وأنه إنما يبغي وجه الله والدار الآخرة، ولا يريد الأجر الدنيوي الذي ربما يُصدّهم عن الدعوة ؛لكونهم يبخلون في دفع المال، وقد جاء في غير آية من القرآن الكريم أنه ربما حالت الأجرة عن اتباع الهدى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦] ، وفي آية أخرى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور:٤٠].

وإلى ذلك ألمح ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: « ولما كان توليهم عن دعوته قد وقع واستمر تعينَّ أنّ جَعْلَ التولي في جملة الشرط مرادٌ به ما كان حصل؛ ليرتب عليه جواب الشرط الذي هو شيء قد وقع أيضاً. وإنما قُصِدَ إقرارهم به قطعاً لتعللاتهم واستقصاء لقطع معاذيرهم. والمعنى: فإن كنتم قد توليتم فقد علمتم أني ما سألتكم أجراً ؛ فتتهموني برغبة في نفع ينجرُّ لي من دعوتكم،حتى تعرضوا عنها شُحّاً بأموالكم، أو اتهاماً بتكذيبي، وهذا إلزام لهم بأن توليهم لم يكن فيه احتمال تهمتهم إياه بتطلّبِ نفعٍ لنفسه، وبذلك برّأ نفسه من أن يكون سبباً لتوليهم، وبهذا تعيّنَ أنّ المعلق بهذا الشرط هو التحقق بين مضمون جملة الشرط وجملة الجزاء ، لا وقوع جملة الجزاء عند وقوع جملة الشرط»[٢].

---

(١) التحرير والتنوير (١٢ : ٥٥).

(٢) التحرير والتنوير (١١ : ١٤٢).

الآية العشرون:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].

* الدراسة والتحليل:

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق قصة موسى وهارون مع فرعون وبني إسرائيل لمّا قطع موسى بهم البحر حتى تجاوزوه، ومحاولة فرعون اتباع موسى وبني إسرائيل للحاق بهم، وغرقهم جميعاً، وقذف البحر جسد فرعون؛ ليعلم الناس بهلاك من أدّعى الألوهية، جثة هامدةً خامدةً ، فكان لمن خلفه آية.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿بِبَدَنِكَ ﴾ ، لما كانت بنو إسرائيل تخشى من فرعون حتى خُيّل إليهم أنه لم يهلك؛لما كان عليه من عظيم الشأن وكبرياء الملك، فلما ورد السياق بنجاة فرعون فقد يُتوهم متوهم أنه حيّ، فدفع الاحتراس، وأزال هذا اللبس، وأنه قد نُجِّيَ من الغرق فاندفع بذلك التوهم.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين(١)، بل يكاد يتفق المفسرون على أن المراد بالنجاة نجاة الجسد دون الروح؛ لبعث الأمن والطمأنينة في نفوس بني إسرائيل؛ لما كانت تخشى من سطوته، فقال ابن كثير (ت:٧٧٤): «قال ابن عباس و غيره من السلف : إِنَّ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَكُّوا فِي مَوْتِ فِرْعَوْنَ، فَأَمَرَ اللهُ البَحْرَ أَنْ

(١) ينظر: الكشف والبيان (٥: ١٤٨)، وبحر العلوم (٢: ١٢١)، و المحرر الوجيز (٣: ١٥٩)، و التسهيل لعلوم التنزيل (١: ٤٨٩)، واللباب (١٠: ٤٠٧).

يُلْقِيهِ بِجَسَدِهِ سَوِيّاً بِلاَ رُوحٍ ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾ أي: نرفعك على نَشز من الأرض، ﴿ بِبَدَنِكَ ﴾ قال مجاهد: بجسدك. وقال الحسن: بجسم لا روح فيه»[١].

كما أشار ابن عجيبة (ت:١٢٢٣) إلى هذا المعنى، فقال: «ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر، ونجعلك طافياً على وجه الماء حال كونك ﴿بِبَدَنِكَ ﴾ عارياً عن الروح؛ ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ لمن وراءك علامة يعرفون أنك من الهالكين، والمراد: بنو إسرائيل؛ أو آية تدل على كمال قدرته وإحاطة علمه وحكمته؛ فإن إفراده بالإلقاء إلى الساحل دون غيره يفيد أنه مقصود ؛لإزاحة الشك في أمره»[٢].

فعبارة: «يفيد أنه مقصود ؛لإزاحة الشك في أمره» تدل على مقصود الاحتراس، فلو لم يأت الاحتراس لتوهم أن فرعون لم يهلك مع الهالكين.

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس، فقال: «﴿بِبَدَنِكَ ﴾ مزيدة للتأكيد، أي تأكيد آية إنجاء الجسد،والبَدَن: الجسم بدون روح وهذا احتراس من أن يظن المراد الإنجاء من الغرق»[٣].

ومما سبق يتأكَّد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم؛ و ذلك أنهم ادعوا أن مثل فرعون لا يموت أبداً ،فأظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت؛ لتزول الشبهة من قلوبهم، ويعتبروا به؛ لأنه كان في غاية العظمة، فصار إلى نهاية الخسة والذلة ملقى على الأرض لا يهابه أحد»[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤: ٢٩٤).

(٢) البحر المديد (٣: ٢٥١).

(٣) التحرير والتنوير (١١: ٢٧٨).

(٤) لُباب التأويل في معاني التنزيل (٣: ٢٠٩).

الآية الحادية والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [هود: ٣٢-٣٣].

* الدراسة والتحليل:

قال الملأ من قوم نوح يردُّون على مقالته هذه: لقد جادلْتنا يا نوح وحاجتنا، فأكثرت من ذلك، حتى أمللتنا، فائتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت صادقاً فيما تدعيه، فقال لهم نوح: أنا لا أملك العذاب الذي تستعجلون به؛ إنما الذي سيأتيكم به، ويعجل العقاب لكم، هو الله الذي لا يعجزه شيء.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِن شَآءَ﴾ ،لما ضاق قوم نوح ذرعاً بدعوته طلبوا منه أن ينزل عليهم العذاب الذي طالما خوّفهم منه، على سبيل الاستهزاء والسخرية من نوح عليه السلام ودعوته، ثم احترس بقوله: ﴿إِن شَآءَ﴾ ؛ لئلا يتوهم متوهم سرعة نزول العذاب بناء على دعاء نوح على قومه، فلما جاء الاحتراس تبيّن المراد، واندفع التوهم.

وهذا المعنى الذي تضمنه الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين، فقال الرازي (ت: ٦٠٦): «﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ والمعنى: أن إنزال العذاب ليس إليّ ،وإنما هو خَلْقُ الله تعالى، فيفعله إن شاء كما شاء، وإذا أراد إنزال العذاب فإن أحداً لا يعجزه، أي: لا يمنعه منه، والمعجز هو الذي يفعل ما عنده؛ لتعذر مراد الغير، فيوصف بأنه أعجزه، فقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا سبيل لكم إلى فعل ما عنده، فلا يمتنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب إن أراد إنزاله بكم»[١].

(١) مفاتيح الغيب (١٧: ١٧٤).

كما أن من المفسرين من يرى أن موقع الاحتراس إنما جيء به للتهويل «إن تعلق به مشيئته التابعة للحكمة ،وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود، فكأنه قيل: الإتيان به أمر خارج عن دائرة القوى البشرية، وإنما يفعله الله عز وجل»(١).

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس، فقال: «وقوله: ﴿إِن شَآءَ﴾ احتراس راجع إلى حمل العذاب على عذاب الدنيا»(٢).

ويرى ابن عاشور أن الاحتراس عائد على عذاب الدنيا، والحقيقة أن المقام أوسع فقد يأتيهم العذاب وربما يأتيهم.

ومما سبق يتبين أن الاحتراس كما جاء لدفع التوهم أسهم كذلك في التهويل؛ ففي تنكير وقت حلول العذاب مزيد من الرعب؛ لما فيه من الخوف والترقب.

الآية الثانية والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله تعالى أنه لما أغرق قوم نوح كلهم إلا أصحاب السفينة، أمر الله تعالى الأرض بأن تبتلع ماءها الذي نبع منها، وأمر السماء بأن تكف عن المطر (تُقلع) ،وغيض الماء، وأخَذَ في التناقص، وقُضي أمر الله، فهلك قوم نوح قاطبة ممن كفر بالله، ولم يبق منهم أحد، واستقرت السفينة على جبل الجودي، وقيل: هلاكاً وبعداً وخسارةً للقوم الظالمين.

---

(١) ينظر:إرشاد العقل السليم (٣:٩٥)، وروح المعاني (١٢: ٤٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٢: ٦١).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لما ذكرت الآيات الكريمة هلاك قوم نوح، وكان عذابهم عذاب استئصال، قد يتوهم متوهم أن فيهم من كان مؤمناً فلما جاء الاحتراس: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ زال التوهم، واستقر في الأذهان أن الغرق شمل من كان مستحقاً للعذاب فحسب.

قال الزركشي (ت: ٧٩٤) في باب الاحتراس وبعد أن أورد عدداً من الشواهد قال: «﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فإنه سبحانه وتعالى لما أخبر بهلاك مَنْ هَلَكَ بالطوفان عَقَّبَهُمْ بالدعاء عليهم، ووصفهم بالظلم ليعلم ؛أن جميعهم كان مستحقاً للعذاب، احتراس من ضعف يوهم أن الهلاك بعمومه ربما شمل مَنْ لا يستحق العذاب، فلما دعا على الهالكين ، ،ووصفهم بالظلم عُلِمَ استحقاقهم لما نزل بهم وَحَلَّ بساحتهم»[1].

وقول الزركشي هذا نقله عنه غير واحد كما أشار ابن أبي الإصبع (ت:٦٥٤) لموقع الاحتراس حيث قال: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقو الهلاك احتراساً من ضعيفٍ يتوهم أن الهلاك لعمومه ربما شمل من يستحق فتأكَّد بالدعاء على الهالكين؛ لكونهم مستحقين ذلك، والإيضاح في قوله: ﴿ لِّلْقَوْمِ﴾ ليتبين لهم أن القوم هم الذين سبق ذكرهم في الآية المتقدمة عليها، حيث قال تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ ،وفي قوله قبل ذلك: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ فأتى سبحانه في آخر هذه الآية بلفظة القوم التي الألف واللام فيها للعهد؛ ليبين أنهم القوم الذين سبق ذكرهم، ووصفهم بالظلم»[2].

(١) البرهان في علوم القرآن (٣:٦٦).

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ١٣٧).

وعبارات ابن أبي الإصبع تلك تؤكد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد ذكر الشاهد غير واحد من أهل البلاغة والبيان، فأكتفي بالإحالة إليها؛ لئلا يطول المقام(١).

الآية الثالثة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآيات في بيان حسن العاقبة في ختام قصة يوسف عليه السلام، بعد أن مرّ عدد من المحن، ارتحل يعقوب بأهله وبنيه إلى مصر، فلما دخلوا مصر خرج يوسف لاستقبالهم، وقال لأهله: ادخلوا مصر آمنين من كل شيء إن شاء الله. وأجلس يوسف أبويه على سريره (العرش) ،وسجد له أبواه وإخوته الأحد عشر، وقال يوسف لأبيه: يا أبت إن هذا السجود منكم هو تفسير للرؤيا التي كنت رأيتها من قبل، وقصصتها عليك. ولقد جعل رَبِّي رُؤْيايَ هذه حقاً وواقعاً، ولم تكن أضغاث أحلام، وقد أكرمني ربي إذ أخرجني من السجن بعد أن أظهر براءتي، وسما بي إلى عرش الملك، وإذ جاء بكم من البادية بعد أن أفسد الشيطان الأمرَ بيني وبين إخوتي، وإن ربي لطيف لما يشاء.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، لما اجتمع يوسف بأبويه وضمهم إليه، أمر بدخولهم إلى مصر، ثم احتراس بقوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ تأدباً مع الله، و؛ لئلا يتوهم أنه استبدَّ بملك مصر.

---

(١) خزانة الأدب (٢: ٢٩١).

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين[١]، فقال البيضاوي (ت:٦٨٥): ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ من القحط وأصناف المكارة، والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالمن، والدخول الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم»[٢].

وعبارة البيضاوي «المكيف بالمن» أي: المقيد بالمن، فيها دلالة على الاحتراس، حيث احترس يوسف عليه السلام من أن يكون دخولهم عليه مقيداً بالمن عليهم، فلما قال: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تأدباً مع الله تعالى، وأن هذه النعمة من الله تعالى وحده وليست ليوسف، إنما هو قيم عليها، وبذلك تطيب أنفسهم، ويندفع عنهم الحرج، وقد أردف هذا بقوله: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾.

ويشير ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى الاحتراس، فقال: «وجملة: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تأدب مع الله، كالاحتراس في الدعاء الوارد بصيغة الأمر، وهو لمجرد التَيمُّن، فوقوعه في الوعد والعزم والدعاء بمنزلة وقوع التسمية في أول الكلام»[٣].

كانت تلك هي الإشارة الوحيدة لمصطلح الاحتراس.

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وبيان مكانة يوسف عليه السلام.

الآية الرابعة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

---

(١) ينظر: لُباب التأويل (٣: ٣١٦)، ومفاتيح الغيب (١٣: ١٦٨)، وغرائب القرآن (٤: ١٢٥)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٥).

(٢) أنوار التنزيل (٣: ٣٠٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٣: ٥٥).

* **الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق تقرير أصول العقائد: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة؛ لتتلو عليهم ما أوحينا إليك، ولتبلغهم رسالة ربهم إليهم، كذلك أرسلنا رسلاً في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كُذِّب الرسل من قبلك. وكما أنزلنا بأسنا ونقمتنا بأولئك فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، وقل لقومك الذين يكذبون بالرَّحْمن ولا يقرون به: إن الذي تكفرون به هو الله ربي، وأنا مؤمن بِهِ، مُعترف بربوبيته. عليه توكّلت في جميع أموري، وإليه أرجع وأَتُوب؛ فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه. «لَمَّا صَالَحَ الرَّسُولُ ﷺ قُرَيْشاً، يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ فِي كِتَابِ الصُّلْح (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: أَمَّا الرَّحْمن فَلاَ نَعْرِفُهُ، وَكَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَكْتُبُونَ :بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»[1].

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ،لما كانت قريش تكذب باسم (الرحمن)، وكان ﷺ يدعوهم لتوحيد الرحمن وعبادتهم، فقد يتوهم متوهم أن الرَّحْمن إله آخر غير الله عز وجل، فجاء الاحتراس لدفع توهم، وإثبات أن الله تعالى هو الرَّحْمن، ولا يوجد إله غيره.

وقد أشار غير واحد من المفسرين لمقصود الاحتراس ومغزاه، فقال القرطبي (ت: ٦٧١): «نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ : ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] قالوا

(١) أخرجه البخاري في الصحيح(٥٦) كتاب الجهاد باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابه الشروط حديث رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢).

وما الرحمن؟ فنزلت. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: الذي أنكرتم ﴿هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، ولا معبود سواه، هو واحد بذاته، وإن اختلفت أسماء صفاته»[(١)].

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس، فقال: «قوله: ﴿هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إبطال لإشراكهم معه في الإلهية غيره. وهذا مما أمر الله نبيه أن يقوله، فهو احتراس لرد قولهم: إن محمداً ﷺ يدعو إلى رب واحد ،وهو يقول: إن ربه الله، وإن ربه الرَّحْمن ،فكان قوله: ﴿هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ دالاً على أن المدعو بالرَّحْمن هو المدعو بالله، إذ لا إله إلا إله واحد»[(٢)].

ومما سبق يتبين كيف أسهم الاحتراس في رد باطلهم بأبلغ حجة، و هذا الرد: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ «متضمن للتوحيدين: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية»[(٣)].

الخامسة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية خطاباً للنبي ﷺ :قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرَّحْمن لله عز وجل، المعارضين تسميته بالرَّحْمن: لا فرق بين دعائكم له باسم الله، أو باسم الرحمن، فإن الله تعالى ذو الأسماء الحسنى.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢: ٧٠).
(٢) التحرير والتنوير (١٢: ٧٠).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤١٨).

ولا تجهر أيها الرسول بصلاتك، ولا ترفع صوتك بالقرآن فيسمعك المشركون فيسبوا القرآن، ولا تُخافت بها عن أصحابك فلا تُسمعهم القرآن و أنت تُصلي ليأخذوا عنك، وابتغ بين ذلك سبيلاً وسطاً.

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ وَالرَّسُولُ ﷺ مُتَوارٍ في مَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ، فَلَمَّا سَمِعَ المُشْرِكُونَ ذَلِكَ سَبُّوا القُرْآنَ، وَسَبُّوا من أَنْزَلَهُ وَمن جَاءَ بِهِ، فقال الله لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن، وَلَا تُخَافِتْ بِهَا عَنْ أَصْحَابِكَ، فَلاَ تُسْمِعَهُمُ القُرآنَ، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[1].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، لما أمر الله عز وجل رسوله الكريم بعدم الجهر بالصلاة حتى لا يسمعه المشركون،أمره بأن لا يخافت بصلاته، ولو لم يذكر الاحتراس لتوهم خلاف المقصود، ولتوهم أن الإسرار بالصلاة أصل لا يتحوّل عنه، فلما جاء الاحتراس انتفى هذا التوهم، وثبت أن المراد هو القصد والاعتدال، فلا يرفع بها صوته بحيث يسمع البعيد، ولا يخافت بها فلا يسمع من حوله، وبذلك فهم المعنى وزال اللبس.

أشار غير واحد من المفسرين[2] إلى معنى الاحتراس ومقصده، فقال الإمام الطبري (ت: ٣١٠) حيث قال: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: «كان النبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) رقم (٤٤٤٥)، ومسلم في الصحيح كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة، رقم (٤٤٦).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٦: ١٤١)، وبحر العلوم (٢: ٣٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢: ١٢٣)، واللباب في علوم الكتاب (١٢: ٤١١).

يرفع صوته بالصلاة، فيُرمي بالخبث، فقال: لا ترْفعْ صَوْتكَ فتُؤْذَى وَلا تُخافِتْ بِها، وَابْتَغِ بين ذلك سَبِيلا»(١).

كما ذكر ابن عاشور الاحتراس، فقال: «﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فالمقصود منه الاحتراس؛ لكيلا يجعل دعاءه سراً أو صلاته كلها سراً ،فلا يبلغ أسماع المتهيئين للاهتداء به؛ لأن المقصود من النهي عن الجهر تجنب جهر يتوهم منه الكفارُ تحككاً أو تطاولاً»(٢).

ومما مضى يتبين ثبوت الاحتراس، وأنه جاء في الآية الكريمة؛ للدلالة على توجيه رباني وأدب قرآني ، و ثبت في كتب الأخلاق أن كلا طرفي الأمور ذميم ، والعدل هو رعاية الوسط، ولهذا المعنى مدح الله هذه الأمة بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال في مدح المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وأمر الله رسوله ﷺ، فقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩] فكذا ههنا نهى عن الطرفين، وهو الجهر والمخافتة ،وأمر بالتوسط بينهما، فقال: ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾(٣).

الآية السادسة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨-٤٩].

*** الدراسة والتحليل:**

يرد إبراهيم على أبيه لما رفض دعوته بقوله: سأجتنبكم، وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي

(١) جامع البيان (٨: ١٦٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٥: ٢٣٨).

(٣) مفاتيح الغيب (٢١: ٦٠).

تعبدونها من دون الله، وسأعبد ربي وحده لا شريك له راجياً أن يكرمني ربي بسبب هذه العبادة، وهذا الدعاء، وألا يجعلني شقياً، كما شقيتم أنتم بعبادة تلك الأصنام.

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في الآية في قوله تعالى: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾، لما ذكر الآيات اعتزال إبراهيم لقومه بعد حرصه على هدايتهم، فقد يتوهم متوهم أن هذا الاعتزال بعد اليأس من هدايتهم قد يحمله هذا على ترك الدعوة، فجاء الاحتراس بقوله: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾؛ لئلا يتوهم ذلك، فهو باقٍ على دعوته وإيمانه، لا يضره عدم إيمانهم، وبذلك يزول التوهم، ويثبت المعنى المراد.

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس، فقال: «وجملة: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ عطف على جملة ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾، أي: يقع الاستغفار في المستقبل، ويقع اعتزالي إياكم الآن... وزاد على الإعلان باعتزال أصنامهم الإعلان بأنه يدعو الله؛ احتراساً من أن يحسبوا أنه نوى مجرد اعتزال عبادة أصنامهم، فربما اقتنعوا بإمساكه عنهم، ولذا بيّن لهم أنه بعكس ذلك يدعو الله الذي لا يعبدونه»[١].

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين، فقال الرازي (ت:٦٠٦): ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الاعتزال للشيء: هو التباعد عنه، والمراد أني أفارقكم في المكان، وأفارقكم في طريقتكم أيضاً، وأبعد عنكم، وأتشاغل بعبادة ربي الذي ينفع ويضر، والذي خلقني وأنعم علي، فإنكم بعبادة الأصنام سالكون طريقة الهلاك، فواجب عليَّ مجانبتكم»[٢].

---

(١) التحرير والتنوير (١٦: ١٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٢١: ١٩٦).

كذلك يرى ابن كثير (ت: ٧٧٤) حيث قال: «وقوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي: أجتنبكم ،وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله، ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي: وأعبد ربي وحده لا شريك له»(١).

فقد تبيَّن من النصوص السابقة أن المفسرين يرون أن اعتزال إبراهيم عليه السلام ليس بمعزل عن العبادة والتوحيد، وقد أسهم الاحتراس في بيان هذا المعنى، وفيه منهج للدعاة إلى الله، بالتلطف في الدعوة.

الآية السابعة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٣١- ٣٣].

*** الدراسة والتحليل:**

يُوجه الباري سبحانه وتعالى الخطاب إلى رسوله ﷺ ألم يتعظ هؤلاء المكذبون الكافرون بما حَلَّ بمن أهلكهم الله تعالى قبلهم من المكذبين السابقين، ويعتبروا بما نزل بهم، ويدركوا أنهم لا رجعة لهم إلى الحياة الدنيا، وأن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر يوم القيامة للحساب بين يدي الله تعالى، فيجازيهم على أعمالهم في الدنيا، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل هلاك الأمم في القرون الماضية، وأنه لم يُعدّ يوجد لهم إلا الذكر، فقد يتوهم أحد

(١) تفسير القرآن العظيم (٥: ٢٣٦).

من المشركين أنهم بموتهم وزوال آثارهم لا يحاسبون على أعمالهم،ولا يبعثون، وجاء الاحتراس نافياً هذا التوهم، و مؤكداً على أن لهم موعداً عند الله يوم القيامة، وسيحاسبون على سالف أعمالهم.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين(١) ،فقال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «وقوله عز وجل: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله عز وجلَّ ، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومعنى هذا كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [هود:١١١]»(٢).

ويؤّكد البقاعيّ (ت: ٨٨٥) على هذا المعنى، فيقول: «﴿لَّدَيْنَا﴾ ولما كان ذلك أمراً لا بد منه، ولا يمكن التخلف عنه، عَبَّرَ بصيغة المفعول، وأكَّد معنى الاجتماع بالجمع؛ نظراً إلى معنى ﴿جَمِيعٌ﴾ ولم يفرد اعتباراً للفظها ،لما ذكر من المعنى، فقال: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أي بغاية الكراهة منهم لذلك، بقادة تزجرهم وساقة تقهرهم، ولما كان هذا الإحضار بسبب العدل وإظهار جميع صفات الكمال قال: (فاليوم) ولما كان نفي الظلم مطلقاً أبلغ من نفيه عن أحد بعينه، وأدل على المراد وأوجز قال لافتاً القول عن الإظهار أو الإضمار بمظهر العظمة أو غيره »(٣).

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت:١٣٩٣) بوقوع الاحتراس، فقال: «واقعٌ موقع الاحتراس من توهم المخاطبين بالقرآن أن قوله: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ مؤيد اعتقادهم انتفاء البعث»(٤).

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل (٦ :٨)، وتفسير الخازن (٦: ١٢)، والبحر المحيط (٧: ٣٢٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦:٥٧٥).

(٣) نظم الدرر (٦: ٢٦٩).

(٤) التحرير والتنوير (٢٣: ١١).

ومما سبق يتبين كيف أسهم الاحتراس في الرد على منكري البعث، بأسلوب لا يدع مجالاً للشك أو للإنكار، وأن جميع الأمم الماضية والآتية تحضر في يوم القيامة لفصل القضاء.

الآية الثامنة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق مجادلة موسى مع فرعون، إذ قال لملئه: دعوني أقتل موسى، وليستنجد موسى بربه إن كان صادقاً في قوله: إن له رباً أرسله؛ لأن فرعون يخاف -على ما قاله لملئه- أن يفسد موسى معتقدات القبط، أو أن يخلق بدعوته الاضطرابات والقلاقل، فتتعطل الأعمال في المزارع والمتاجر.

وقد رد موسى على تهديد فرعون إياه بالقتل والإيذاء بأن استجار بالله، واستعان به من شر كل مستكبر لا يُذعن للحق، ولا يؤمن ببعث ولا حشر ولا نشر.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكُم﴾ لما قال موسى: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي﴾، أتبعه بالاحتراس؛ لئلا يتوهم تعدد الآلهة، أو أن موسى يقصد فرعون؛ لكونه رباه صغيراً، فلما جاء الاحتراس بـ﴿وَرَبِّكُم﴾ زال ما توهم أن يكون فرعون رباً لهم، كما أوهمهم بادعائه الألوهية، وبذلك دُفع اللبس، وتبين مقصد موسى عليه السلام.

وقد أشار النيسابوري (ت:٧٢٨) إلى الاحتراس، فقال: «في قوله ﴿وَرَبِّكُم﴾ احتراز عن أن يظن ظانّ أنه يريد به فرعون؛ لأنه ربّاه في صغره: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾

[الشعراء: ١٨] وفيه بعث لقوم موسى على أن يقتدوا به في الاستعاذة؛ فإن اجتماع النفوس له تأثير قوي»[(١)].

أورد النيسابوري الاحتراس بأقوى نظائره (الاحتراز)، فبيّن أنه لو لم يذكر الاحتراز لتوهم أن المقصود فرعون، فلما جاء الاحتراز انتفى الوهم، وزال اللبس، وثبت المعنى المراد.

ويرى الزمخشري (ت:٥٣٨): أن موقع الاحتراس إنما جاء ليُذكرهم بربهم، وليقتدوا بموسى في صدق الالتجاء إلى الله، وأن لا يضره كيد من كفر بالله. فقال: «لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه: ﴿إِنِّي عُذْتُ﴾ بالله الذي هو ربي وربكم، وقوله: ﴿وَرَبِّكُم﴾ فيه بعث لهم على أن يقتدوا به، فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه، وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة، وليكون على طريقة التعريض؛ فيكون أبلغ»[(٢)].

وهذا الذي ذكره الزمخشري تابعه عليه غير واحد من المفسرين[(٣)]، فكل يرى أن موقع الاحتراس إنما جاء لدعوة بني إسرائيل، وبعثاً لهم على الاقتداء به، فيعوذون بالله ويعتصمون به ومن كل متكبر يشمل فرعون وغيره من الجبابرة؛ وكان ذلك على طريق التعريض.

ومما سبق يتبين كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وإثبات التوحيد الخالص لله، ودعوة الناس له في أحلك الظروف وأصعب المواقف.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦: ٣٣).

(٢) الكشاف (٤: ١٥٧).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل (٥: ٩٠)، ومفاتيح الغيب (٢٧: ٤٩)، والبحر المحيط (٧: ٣٤٩)، وإرشاد العقل السليم (٥: ٤١٧).

الآية التاسعة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٥].

* الدراسة والتحليل:

جاءت هذه الآية الكريمة في قصة منع النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة.

ويخبر الله عز وجل أن في مكة رجالاً ونساءً مؤمنين يكتمون إيمانهم خوفاً من إيذاء قريش، ودخول المسلمين مكة حرباً سيؤدي إلى أن يقتُلَ المسلمون الداخلون مكة عنوة بعض هؤلاء المسلمين دون أن يعلموا بإسلامهم، ولولا ذلك لسلط الله النبي والمسلمين على الكفار،ودخلوا مكة عنوة، ولكنه تعالى لم يشأ أن يقتل المسلمون إخوانهم المسلمين الموجودين في مكة، وهم لا يعرفونهم، فيلحقهم من قتلهم إثم وغرامة.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ،فلما أخبر الله عز وجل أن القتل في الحرب قد يستشري في الناس لو دخلوا مكة بلا تميز بين مؤمن وكافر، وقد تطال أيدي الفاتحين إخوانهم المستخفين بمكة فيقتلونهم، فجاء الاحتراس لدفع توهم أن القتل كان بعنوة، إنما جاء القتل خطأ؛ لكونهم لا يعرفونهم، فلو لم يأت الاحتراس لتوهم أن قتلهم إياهم بسبب إقامتهم بين أظهر المشركين؛ لما فيه من المولاة، فلما جاء الاحتراس زال التوهم، وتبين المراد.

وهذا المعنى الذي حمله الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين، قال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠): «قال:-أي قتادة - هم أناس كانوا بمكة، تكلموا بالإسلام، كره الله

أن يؤذوا وأن يوطأوا حين رد محمد ﷺ وأصحابه يوم الحديبية فتصيب المسلمين منهم معرة، يقول: ذنب بغير علم»(١).

وقال أبو حيان (ت: ٧٤٥): «﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: إخبار عن الصحابة وعن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية والامتناع من التعدى حتى إنهم لو أصابوا من ذلك أحداً لكان من غير قصد، كقول النملة عن جند سليمان: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾»(٢).

كما أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى المقصد من الاحتراس، فقال: و الباء في «﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ للملابسة، أي: ملابسين لانتفاء العلم. والمجرور بها متعلق بـ ﴿فَتُصِيبَكُم﴾، أي فتلحقكم من جرائهم مكاره لا تعلمونها حتى تقعوا فيها.

وهذا نفي علم آخر غير العلم المنفي في قوله: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ ؛لأن العلم المنفي في قوله: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ هو العلم بأنهم مؤمنون بالذي انتفاؤه سبب إهلاك غير المعلومين الذي تسبب عليه لحاق المعرة. والعلم المنفي ثانياً في قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هو العلم بلحاق المعرة من وطأتهم التابع لعدم العلم بإيمان القوم المهلكين، وهو العلم الذي انتفاؤه يكون سبباً في الإقدام على إهلاكهم»(٣).

فابن عاشور يرى أن ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاءت لدفع توهم أن يكونوا عالمين بإيمانهم، وقد ذكر الزركشي (ت:٧٩٤) هذه الآية في باب الاحتراس، فقال: «قوله تعالى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ التفات إلى أنهم لا يقصدون ضرر مسلم»(٤).

ومما سبق تبين وقوع الاحتراس، وقد أسهم الاحتراس في دفع التوه، الذي قد ينشأ

---

(١) جامع البيان (١١: ٣٦١).

(٢) تفسير البحر المحيط (٨: ٧٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٦: ١٦١).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٥).

من سوء الفهم من أن المسلمين يقتل بعضهم بعضاً. وقد حكت آيات من القرآن الكريم شيئاً أحوال المؤمنين عن بعضهم بعضاً، فقال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩].

الآية الثلاثون:

قال الله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٤-٥٥].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية خطاباً للنبي ﷺ بالإعْراض عن المشركين ،مع الاستمرار في التذكير، وجاءت لتسليته، فلا تأسف على إصرارهم على الكفر والتكذيب؛ فأنت غير ملوم على ذلك؛ لأنك رسولٌ وقد قمت بما أمرك به ربك من إبلاغ الرسالة على خير وجه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ ،لما سبقت هذه الآية بآية ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ ؛ فقد يتوهم مُتوهم أن النبي ﷺ قد أُمر بالإعراض عنهم، لأنه لا جدوى في دعوتهم، ولأن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، فأتى الاحتراس لدفع التوهم وبيان أن هذا الإعراض إجراء وقتي، وأنه مأمور بتعاهدهم بالدعوة؛ لأن الذكرى تنفع المؤمنين.

وقد ورد هذا المعنى عند غير واحد من المفسرين، فقال البيضاوي (ت: ٧٤٥): «﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾: فاعرض عن مجادلَتْهم بعدما كرَّرت عليهم الدعوة ،فأبوا إلا الإصرار والعناد ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ على الإعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ، ﴿ وَذَكِّرْ ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة؛﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ مَنْ قَدَّرَ الله إيمانه ، أومن آمن؛ فإنه يزداد بها بصيرة»[1].

---

(١) أنوار التنزيل (٥: ٢٤١).

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس حيث قال: «وعَطْفُ ﴿ وَذَكِّرْ ﴾ على ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ احتراسٌ كي لا يتوهم أحد أن الإعراض إبطال للتذكير، بل التذكير باقٍ؛ فإن النبي ﷺ ذكَّر الناس بعد أمثال هذه الآيات، فآمن بعض من لم يكن آمن من قبل، وليكون الاستمرار على التذكير زيادة في إقامة الحجة على المعرضين، ولئلا يزدادوا طغياناً، فيقولوا: ها نحن أولاء قد أفحمناه فكَفَّ عما يقوله»[1].

ويعزز ابن عاشور ذلك بقوله: «واقتصر في تعليل الأمر بالتذكير على علة واحدة وهي انتفاع المؤمنين بالتذكير؛ لأن فائدة ذلك محققة، ولإظهار العناية بالمؤمنين في المقام الذي أُظهرت فيه قلة الاكتراث بالكافرين، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ [الأعلى: ٩-١١]»[2].

لما نزلت هذه الآية حَزِنَ رسول الله ﷺ ،فاشتدّ ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر؛ إذ أمر النبي ﷺ أن يتولَّى عنهم، فأنزل الله: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ «فطابت أنفسهم. والمعنى: ليس التولي مطلقاً، بل تَوَلَّ وأَقْبِلْ وأَعرض وادعُ؛ فلا التولي يضرك إذا كان عليهم، ولا التذكير يضيع إذا كان مع المؤمنين»[3].

ومما مضى- يتأكَّد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وتبين كيف أسهم في دفع التوهم، والتأكيد على أمر الدعوة حتى لو لم يوجد استجابة.

❀❀❀

(١) التحرير والتنوير(١٤: ١٩٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧: ٢٣-٢٤).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٦: ٢٤٧)، والبحر المحيط (٨: ٢٠٢)، واللباب في علوم الكتاب (١٨: ١٠٥).

المطلب الثالث

الاحتراس في أخبار الأمم السابقة

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾. [البقرة: ٧٩].

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس:

قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥].

*** الدراسة والتحليل:**

هؤلاء صنف من اليهود، هم العلماء والدعاة إلى الضلالة بالكذب والبهتان، والقول على الله بغير الحق، وأكل أموال الناس بالباطل، وهم أحبار اليهود الذين كتبوا بأيديهم كتاباً محرفاً وملفقاً من عندهم، يبيعونه لعوامهم زاعمين أنه التوراة المنزل من عند الله، ليأخذوا به ثمناً قليلاً منهم. ويحذر الله هؤلاء المفترين على الله، ويقول لهم: الويل لهم -أي الهلاك والدمار لهم وشدة الشر- مما أكلوا من هذا الكسب الحرام.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قول الله تعالى: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ دفعاً لتوهم المجاز ،والمعنى: فويل للذين يكتبون الكتاب ، ويحرفون الكلم عن مواضعه بأيديهم ،وهم يعلمون ذلك علماً

يقيناً بتحريفهم، وقد زيدت الباء في: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ ؛ لتحقيق مباشرتهم لهذا التحريف دون واسطة، وفي ذلك تسجيل للظلم عليهم.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد لدفع توهم المجاز، فقال أبو حيان (ت: ٧٤٥): «تأكيد يرفع المجاز، أي: يباشرون بأنفسهم ولا يأمرون بالكتابة، وكانوا يكتبونه محرفاً عما في كتابهم كما ذكر أنهم غيروا صفة الرسول ﷺ التي في التوراة ،فجعلوه آدم سبطاً طويلاً على خلاف ما في التوراة»[١].

ويرى السمين الحلبي (ت: ٧٥٦): «أنه من باب التأكيد، والأصل في التأكيد رفع توهم المجاز، حيث قال: «وهذا من باب التأكيد؛ فإن الكتابة لا تكون إلا باليد»[٢].

ويتابع ابن عادل (ت: ٨٨٠) سابقوه ،ويجليها بعبارة أوضح، فيقول: «فائدة ذكر أنهم باشروا ذلك بأنفسهم، ولم يأمروا به غيرهم، فإن قولهم: فَعَلَ كذا ، يحتمل أنه أمر بفعله، ولم يباشره، فأتى بذلك رفعاً لهذا المجاز»[٣].

والتأكيد لرفع المجاز قال به غير واحد من المفسرين[٤].

ويثبت محي الدين زاده (ت: ٩٥١) الاحتراس من منظور آخر، فيقول،: (قوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد، حيث يقَرِّرَ ما يتضمنه قوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ من إسناد الكتابة إليهم،

---

(١) النهر الماد (١: ١٥٣).

(٢) الدر المصون (١: ٢٧١).

(٣) اللباب (٣: ٢٠٩).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (١: ١٥٥)، والبحر المديد (١: ١٥٣)، والسراج المنير (١: ١١٨).

وجه آخر يتأكد أنه ذكر ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ دفعاً لتوهم التجوز في الإسناد، فإنه لو اقتصر على قوله: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ لتوهم أنه من قبيل إسناد الفعل إلى السبب الآمر، فلما قيل: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ اندفع ذلك التوهم»(١).

فمحيي الدين يرى أن الجار والمجرور قد أسهما في دفع إسناد الفعل إلى السبب، وتعلقه بالمسبب مباشرة، فاندفع بذلك التوهم.

وبذلك يثبت وجود الاحتراس في الآية الكريمة وإن لم يصَرَّحَ به أحد من المفسرين، لكن المعنى يدعو إليه، والسياق يؤيده.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [البقرة: ٨٥].

جاءت هذه الآية الكريمة في الحديث عن أحوال اليهود، وكان سفك الدماء والتقاتل وطرد بعضهم بعضاً ظاهرة شائعة فيهم، فجاءت هذه الآيات للتذكير بالمنهيات التي حضرت عليهم، وفي الأثر: «إن الله أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم» وكان الله تعالى قد أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتل، وترك الإخراج، وترك المظاهرة عليهم من أعدائهم، وفداء الأسرى، فأعرضوا عن كل ما أمر الله تعالى به، إلا الفداء، فقال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾»(٢) [البقرة: ٨٥].

---

(١) حاشية محيي الدين زاده (٢: ١٢٥).

(٢) التفسير الكبير للطبراني (١: ٢٠٣).

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿مِّن دِيَـٰرِهِمْ﴾ فلو لم تذكر لتوهم أنهم يُخرجون من ديار المخاطبين.

وقد أشار إلى هذا الاحتراس غير واحد من المفسرين، فقال أبو السعود (ت: ٩٨٢): ﴿مِّن دِيَـٰرِهِمْ﴾ إيثار الغيبة مع جواز الخطاب أيضاً للاحتراز عن توهم كون المراد إخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم،لا من حيث هي ديار المخرجين»[(١)].

حيث يرى في تنوع الخطاب احتراساً دفعاً لتوهم محتمل من جهة المتلقي، ويعزز هذا الرأي بقوله: ﴿تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ وهي حال مبينة لكيفية الإخراج دافعة لتوهم اختصاص لحرمة بالإخراج»[(٢)].

ويتابع البروسوي (ت: ١١٢٧) من سَبَقَهُ فيقول: «﴿تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ مبينة لكيفية الإخراج رافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالإخراج بطريق الأصالة والاستقلال دون المظاهرة»[(٣)].

كذلك يرى الألوسي (ت: ١٢٧٠) أن «إيثار الغيبة مع جواز (دياركم) للاحتراز عن توهم كون المراد إخراجهم من ديار المخاطبين من حيث ديارهم لا ديار المخرجين»[(٤)].

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة ، وكيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم بأسلوب تغيير الخطاب من الخطاب إلى الغيبة[(٥)].

---

(١) إرشاد العقل السليم (١: ١٥٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) روح البيان (١: ١٧٦).

(٤) روح المعاني (١: ٣١٢).

(٥) السراج المنير (١: ١٢٠).

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦].

*** الدراسة والتحليل:**

انتظمت هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل من قتلهم للأنبياء وكفرهم بما جاءهم من الآيات، مع تعدد نعم الله عليهم ،فبينت هذه الآية حرص اليهود على الحياة الدنيا، بل «تجاوزوا ذلك إلى كونهم أحرص من سائر البشر على الحياة حتى المشركين الذين لا يرجون بعثاً ولا نشوراً»[١]، فهم كالذي يتمنى أن يعمر في الأرض ألف سنة ولو عُمر لا يسئم من ذلك.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ ، فلما ذكر الله عز وجل حرص اليهود على الحياة الدنيا والمكث فيها ذكر حرص المشركين كذلك، ثم احترس بذكر شدة تعلق اليهود بالحياة الدنيا؛ بأنهم أشد من المشركين الذين لا يرجون ثواباً ولا عقاباً.

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى هذا المعنى، فقال البيضاوي (ت: ٦٨٥) «﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف»[٢].

وتابعه على هذا القول غير واحد من المفسرين[٣] كلهم يرون أن الإتيان بلفظ ﴿يَوَدُّ﴾ يدل على حرصهم وتعلقهم الشديد بالحياة.

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٦١٧).

(٢) أنوار التنزيل (١: ٣٦٥).

(٣) ينظر: حاشية الشهاب (٢: ٣٣٨)، وحاشية محيي الدين زاده (١: ١٦٨)، وإرشاد العقل السليم (١: ١٦٨)، وفتح البيان (١: ١٦٣).

ويؤكد ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) على المعنى السابق، فيقول: «﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ بيان لأحرصيتهم على الحياة، وتحقيق لعموم نوعية الحياة المنكرة ؛لدفع توهم أن الحرص لا يبلغ بهم مبلغ الطمع في الحياة البالغة لمدة ألف سنة؛ فإنها مع تعذرها لو تمت لهم حياة خسف وأرذل عيش... فجيء بهاته الجملة؛ لتحقيق أن ذلك الحرص يشمل حتى هاته الحياة الذميمة»[١].

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض ذكر أخبار اليهود، فقد بين الله عز وجل « لما نبذ بنو إسرائيل كتاب الله المنزل على محمد ﷺ لم يلتزموا الكتاب المنزل على موسى قبله، كما يتبجحون إفكاً وزوداً، بل نبذوا الجميع ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ في ملك سليمان، ونسبوا له السحر»[٢]، وقد برئ الله ساحة سليمان من السحر الذي نسبه اليهود إليه زوراً، وأنه نبي معصوم من الكفر.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ،فيكون المعنى: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، فلو لم يأتِ الاحتراس: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ لتوهم أن السحر من ملك سليمان تم بعلم السحر، فجاء الاحتراس دفعاً لذلك التوهم.

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٦١٨).

(٢) صفوة المفاهيم والآثار (٢: ٢٩٢).

وقد ذكر ذلك المعنى غير واحد من المفسرين، وإن لم يذكروا الاحتراس صراحة، لكنهم ذكروا ما يدل عليه فذكر الإمام الطبري (ت: ٣١٠): «أن الذين أضاف الله جل ثناؤه إليهم اتباع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى الشياطين من ذلك إلى سليمان بن داود، وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن وسائر خلق الله بالسحر،... فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون كان ساحراً أو كافراً»[1].

وكذلك يرى البيضاوي (ت:٦٨٥) حيث ألمح إلى ذلك المعنى، فقال: «﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تكذيب لمن زعم ذلك، وعبر عن السحر بالكفر؛ ليدل على أنه كفرٌ، وأن من كان نبياً كان معصوماً منه»[2].

وفي عبارة البيضاوي «تكذيب لمن زعم ذلك» كأنه يشير إلى معنى الاحتراس، فلو لم تذكر لتوهم السامع غير المعنى المراد.

وهذا الذي رآه البيضاوي ذهب إليه غير واحد من المفسرين، بل عدوا أن هذا تبرئة وتنزيه لسليمان عليه السلام من الفرية التي رُمي بها بهتاناً وزوراً، بيد أن الإمام الألوسي (ت: ١٢٧٠) رأى أن موقع الاحتراس اعتراض قُصِدَ به تبرئة سليمان عليه السلام، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ اعتراض؛ لتبرئة سليمان عليه السلام مما نسبوه إليه»[3].

ويتابع الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) من سَبَقَهُ في أن موقع الاحتراس في ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وأنها جملة معترضة لدفع التوهم، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ جملة

---

(١) جامع البيان (١: ٤٩٣ ـ ٤٩٤).

(٢) أنوار التنزيل (١: ٣٧١).

(٣) روح المعاني (١: ١٩٣).

معترضة أثار اعتراضها ما أشعر به قوله: ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ من معنى أنهم كذبوا على سليمان، ونسبوه إلى الكفر؛ فهي معترضة... وَقَدَّمَ نفي كفر سليمان؛ لأنه الأهم تعجيلاً بإثبات نزاهته وعصمته، ولأن اعتقاده كفره كان سبب ضلال للذين اتبعوا ما كتبته الشياطين»(١).

ويخالف القونوي (ت: ١١٩٥) في موقع الاحتراس ،مَنْ سَبَقَهُ في موقع الاحتراس ،حيث يرى أنه جاء في موقع الاستدراك: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ حيث قال: «وجه الاستدراك أنه لما نفى الكفر بمعنى السحر عن سليمان عليه السلام، وكانت الشياطين قد سخرت لسليمان عليه السلام، يستعملهم فيما يشاء، توهم أن الشياطين لا يكفرون؛ إذ هم أتباع، فاستدرك بأنهم كفروا باستعمالهم السحر»(٢).

والحقيقة أن الآية الكريمة تحتمل وقوع أكثر من احتراس؛ لأن الأصل في الاحتراس أنه أصل في المعنى، فلو حذف لتوهم غير المعنى المراد.

ومما مضى يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة وإن لم يصرِّح به أحد من المفسرين، بيد أن المعنى ينادي عليه، وقد أسهم الاحتراس في تبرئة سليمان عليه السلام مما نسب إليه ظلماً وبهتاناً، وقد ذكر غير واحد من المفسرين (٣) ذلك، فقال ابن عطية (ت: ٥٣٨): «﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تبرئة من الله تعالى لسليمان ولم يتقدم في الآيات أن أحداً نسبه إلى الكفر»(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٥٣٤).

(٢) حاشية القونوي (٤: ٧٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط (١: ٤٧٠)، وأنوار التنزيل (١: ٣٧١)، وغرائب القرآن (١: ٣٤٦)، ولباب التأويل (١: ٨٧)، مفاتيح الغيب (٣: ١٩٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢: ٢٩٦)، والكشاف (١: ١٧٢)، ومعالم التنزيل (١: ٦١).

(٤) المحرر الوجيز (١: ٣٠٦).

وكذلك يرى أبي السعود (ت: ٩٨٢) حيث قال: «﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر، وتكذيب لمن افترى عليه بأنه كان يعتقده، ويعمل به»(١).

كما أسهم الاحتراس في إثبات نبوة سليمان عليه السلام ورد ما ادعته اليهود بأنه ساحر، فَرَّدَ فريتهم بأنهم باتباعهم لافتراءات الشياطين، وليس باتباع سليمان.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٢-٧٣].

*** الدراسة والتحليل:**

حَكَت هذه الآية الكريمة مقترحاً لطائفة من اليهود لإخوانهم اليهود أن يكيدوا للمسلمين، ويلبسوا عليهم أمرهم، وذلك بأن يؤمن فريق من اليهود بالإسلام أول النهار ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ ، ثم يعودوا فيرتدوا عنه في آخر النهار؛ ليظن الجهلة من المسلمين أنهم إنما ردَّهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين الإسلام، فيرتدوا هم أيضاً.

وقد حذر الله تعالى رسوله ﷺ من هؤلاء، وأطلعه على سرهم ومكرهم؛ حتى لا تؤثر هذه الحيل في قلوب ضعفاء الإيمان.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس الأول: في قوله تعالى ﴿وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ ،لما حكت الآية الكريمة مقولة طائفة من أهل الكتاب وقولهم : ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ربما يتوهم

(١) إرشاد العقل السليم (١: ١٧٢).

السامع للوهلة الأولى أنهم آمنوا حقاً؛ ذلك أنهم أهل كتاب، وأجدر بالإيمان من غيرهم، فجاء الاحتراس، ونفى هذا الوهم: ﴿وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾، فهم لم يؤمنوا الإيمان الحق إنما كان إيمانهم نفاق، فزال بذلك اللبس.

قال ابن كثير (ت:٧٧٤): «هذه مكيدة أرادوها؛ ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم تشاوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء النهار ارتدوا إلى دينهم؛ ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيضه وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾»(١).

والاحتراس الثاني: في الآية الآتية.

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ؛ إن المعنى الذي جاء به الاحتراس أورده غير واحد من المفسرين، فقال البيضاوي (ت: ٦٨٥): «﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ :ولا تقروا عن تصديق قلبٍ إلا لأهل دينكم، أولا تظهروا إيمانكم وجه النهار لمن كان على دينكم، فإن رجوعهم أرجى وأهم»(٢).

كما ذكر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) هذا الاحتراس، فقال: «وقوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ من كلام الطائفة من أهل الكتاب قصدوا به الاحتراس ألا يظنوا من قولهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أنه إيمان حَقٌّ، فالمعنى: ولا تؤمنوا إيماناً حقاً إلاّ لمن تَبع دينكم، فأما محمد فلا تؤمنوا به؛ لأنه لم يتبِع دينكم، فهذا تعليل للنهي»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢: ٥٩).

(٢) أنوار التنزيل(٢: ٥٣).

(٣) التحرير والتنوير (٣: ٢٨٠).

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية ،وقد أسهم في دفع التوهم، كما أسهمت الآية في كشف فضائح اليهود وقبائحهم، وكيف حاولوا إيهام حديثي العهد بالإسلام أنهم قوم يبحثون عن الحقيقة، وأنهم بعد دخولهم في الإسلام وجدوه ديناً باطلاً، ولا شك في أن إعلانهم الكفر بعد الإسلام من شأنه أن يدخل الشك في القلوب ،ويوقع ضعاف الإيمان في حيرة واضطراب، وقد بَيَّنَ الاحتراس عوارَ دعوتهم وفساد عقيدتهم.

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

*** الدراسة والتحليل:**

لما أمر الله تعالى المؤمنين بتقواه والاعتصام بحبله، فامتثلوا، وأمرهم بتكوين جماعة منهم يدعون إلى الإسلام، ويأمرون بالمعروف ،وينهون عن المنكر ،فامتثلوا، ذَكَرَهُمْ بخير عظيم، فقال لهم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ووصفهم بما كانوا به خير أمة، فقال: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإسلام وشرائع الهدى التي جاء بها نبيه ﷺ ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾.

. ثم دعا تعالى أهل الكتاب إلى الإيمان الصحيح المنجي من عذاب الله، فقال عز وجل: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بالنبي محمد وما جاء به من الإسلام لكان خيراً لهم من دعوى الإيمان الكاذبة التي يدعونها. وأخبر تعالى عنهم بأن منهم المؤمنين الصادقين في إيمانهم؛ ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الذين لم يعملوا بما جاء في كتابهم من العقائد والشرائع من ذلك أمر الله تعالى بالإيمان بالنبي الأمي و اتباعه على ما يجيء به من الإسلام.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لما ذكر الباري عز وجل خيرية هذه الأمة وتفضيلها على غيرها، وقد يَتَوهم متوهم أن جُلَّ أهل الكتاب فساق غير مؤمنين، فَبَيَّنَ الله تعالى أن: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الذين صدقوا في إيمانهم، بيد أن أكثرهم فاسقون خارجون عن الإيمان. فقد أسهم الاحتراس في إنصاف القلة المؤمنة، التي آمنت من أهل الكتاب دخلت في الإسلام، وذم لأكثر أهل الكتاب الذين جحدوا الحق، وخرجوا عن الطريق القويم.

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس، في الآية فقال: «ولَمَّا أخبر عن أهْل الكتاب بامتناع الإيمان منهم بمقتضى جعل إيمانهم في حيز شرط (لو) الامتناعية، تعيّن أن المراد من بَقي بوصف أهل الكتاب، وهو وصف لا يبقى وصفهم به بعد أن يتديّنوا بالإسلام، وكان قد يتوهّم أن وصف أهل الكتاب يشمل من كان قبل ذلك منهم ولو دخل في الإسلام، وجيء بالاحتراس، بقوله: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: منهم من آمن بالنبي محمد ﷺ فصدق عليه لقب المؤمن، مثل عبد الله بن سلام»[1].

لم يكن ابن عاشور بِدعا عمن سَبَقَه بَل سُبِق قوله بإشارات عدة دالت على هذا المعنى، وإن لم يذكر الاحتراس أو مقصوده.

قال ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧): ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ: «اسْتَثْنَى اللهُ منهُمْ ثَلاثَةً كَانُوا عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ»[2] وذكر ابن أبي حاتم للاستثناء الذي ينفي الاشتراك ،أو المساواة، والإستثناء من أشباه الاحتراس يدل على دفع التوهم، فبه يخرج توهم العموم.

---

(١) التحرير والتنوير (٣:٥٣).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣:١٣٢).

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن عرفة (ت: ٨٠٣) :«فعمم ثم خصص ذلك العموم بالأعراف بزيادة منهم ؛لأن المخاطبين ليسوا سواء، في الامتثال قال الله: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

ويري اللغويون أن جملة: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ مستأنفة إستئنافا بيانيا، فهي جواب للجملة الشرطية التي قبلها، فكأنه قيل: هل منهم من آمن أم كلهم على الكفر؟ فكان الجواب: منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون.

ومما سبق يتبين أهمية موقع الاحتراس ،وأنه أسهم في دفع التوهم، و أسهم في إنصاف القلة المؤمنة، التي آمنت من أهل الكتاب دخلت في الإسلام.

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت الآية لتدل على كفر اليهود والنصارى ، ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الكفر بالبعض والإيمان بالبعض سبيلاً، أي: طريقاً يَتوصلونَ به إلى مذهب باطل فاسد، وهو التخير بين رسل الله، فمن شاءوا الإيمان به آمنوا، ومن لم يشاءوا الإيمان به كفروا،ولهم بذلك العذاب المهين.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ لما بين الله عز وجل أن طائفة من أهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل، ويكفرون ببعض، اتباعاً لرغبات

---

(١) تفسير ابن عرفة (١ : ٣٩٧).

نفوسهم، قد يتبادر للبعض أنهم لا يطلق عليهم الكفر، لكونهم قد آمنوا ببعض الرسل، فجاء الاحتراس وبين أنهم كفار، وأن الله لا يرضى التفريق بين رسله، فالكفر بالواحد كالكفر بهم جميعا.

وأشار القرطبي (ت:٦٧١) إلى الاحتراس فقال: «تأكيد يزيل التوهم في إيمانهم، حين وصفهم بأنهم يقولون نؤمن ببعض، ونكفر وببعض، وأن ذلك لا ينفعهم إذا كفروا برسوله ،فقد كفروا بالله عز وجل، وكفروا بكل رسول مبشر بذلك الرسول، فلذلك صاروا الكافرين حقا»[1].

فالقرطبي يرى أن في التوكيد دفعٌ للتوهم من أن يكونوا مؤمنين ،لإيمانهم ببعض الرسل، فجاء الاحتراس لدفع التوهم إيمانهم ولتوكيد كفرهم.

كما يتابع السعدي (ت:١٣٧٦) من سَبَقَهُ في الإشارة مقصد الاحتراس، فقال: «كذلك من كفر برسول، فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ حَقًّا﴾ وذلك ؛ لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر»[2].

و ذكر الزمخشري (ت: ٥٣٧) فقال: «﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ حَقًّا﴾ أي: هم الكاملون في الكفر و﴿حَقًّا﴾ تأكيدٌ لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله حقا، أي: حق ذلك حقاً وهو كونهم كاملين في الكفر، أو هو صفة لمصدر الكافرين، أي: هم الذين كفروا كفراً حقاً ثابتاً ويقيناً لا شك فيه»[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧: ٢٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٢).

(٣) تفسير الكشاف (١: ٦١٧).

فعبارة الزمخشري: «هم الكاملون في الكفر» فيه معنى الاحتراس.

وكذلك يرى ابن كثير (ت: ٧٧٤)،: «كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعيًّا، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلاً وأقوى برهانًا منه، لو نظروا حق النظر في نبوته»(١).

ومما مضى ثبوت الاحتراس في الآية الكريمة ،وقد جاء «مصدر مؤكِّد لمضمون الجملة التي قبله، فهو تأكيد لما أفادته الجملة من الدلالة على معنى النهاية لأنّ القَصْر مستعمل في ذلك المعنى.»(٢)

كما أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وتقرير أصل عظيم ،وركن متين، من أركان الإيمان ،وهو الإيمان بالرسل جميعاً، دون التفريق بينهم، وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ،قَالُوا :كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِّ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ من عَلَّاتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ،وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ»(٣).

فالإيمان بالرسل يجب أن يكون جامعاً عاماً، مؤتلفاً لا تفريق فيه، ولا تبعيض ولا اختلاف، بأن يؤمن بجميع الرسل، وبجميع ما أنزل إليهم، فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، أو آمن ببعض ما أنزل الله وكفر ببعض فهو كافر.

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢: ٤٤٥).

(٢) التحرير والتنوير (٤: ١٥١).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٥)كتاب التفسير باب: قَوْلِ اللهِّ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ حديث رقم (٣٤٢٢).

* الدراسة والتحليل:

جاءت الآية الكريمة في معرض الحديث عن قبائح بني إسرائيل، ثم ذكر الله عز وجل أن منهم ومن قوم موسى جماعة كثيرة العدد ،(أمةٌ) يهدون الناس بالحق، الذي جاءهم به موسى من عند الله، ويُعدّلون في تنفيذه إذا حكموا بين الناس، فلا يتبعون هوى، ولا يأكلون سحتاً ولا مالاً حراماً.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في الآية كاملة بالنسبة لما قبلها، لما ذكرت الآيات السابقة بعض من قبائح بني إسرائيل، أردف الله عز وجل أن منهم المؤمنون حقاً، وهم ليسوا على طائفة واحدة، بل طوائف شتى، منهم المؤمنون ،ومنهم دون ذلك، فلو لم يأتِ الاحتراس ويستثني هذه الطائفة لتوهم متوهم أن جميع بني إسرائيل على نفس الشاكلة، من الكذب، والغدر، وسوء الأخلاق.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين، فيذكر السعدي (ت: ١٣٧٦) الاحتراس بأحد نظائره فيقول: «وفي هذا فضيلة لأمة موسى عليه الصلاة والسلام، وأن اللهّ تعالى جعل منهم هداة يهدون بأمره.

وكأن الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معايب بني إسرائيل المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعمهم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية»[1].

وفيما ذكره السعدي دلالة واضحة على معنى الاحتراس، وفيه عدل مع بني إسرائيل فليس الضلال سائد فيهم، لكن منهم المؤمنون، ومنهم دون ذلك.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠٦).

ويتابع ابن عاشور (ت:١٣٩٣) من سَبَقَهُ فيصَرِّحَ بالاحتراس فيقول: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ عطف على قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فهذا الآية تخصيص لظاهر العموم، قصد به الاحتراس؛ لئلا يتوهم أن ذلك قد عمله قوم موسى كلُّهُم؛ وللتنبيه على دفع هذا التوهم قُدِّم ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ على متعلقه»[1].

وهذا الرأي قال به غير واحد من المفسرين[2]، فكلهم يرى أن هذه الآية مخصصة، في استثناء طائفة مؤمنة، من بني إسرائيل، وقد أسهم الاحتراس بدفع توهم العموم.

الآية التاسعة:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

١- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

٢- ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

٣- قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

---

(١) التحرير والتنوير (٩:١٤٢).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٥: ٢٧)، وإرشاد العقل السليم (٣: ٢٨١)، والسراج المنير (٢:٢٥٧).

* الدراسة والتحليل:

ذكر الله جل وعلا في هذه الكريمة أنه أمر نبيه عليه الصلاة والسلام، أن يحمل في سفينته من كل زوجين اثنين، وجعل الله تعالى لنوحٍ علامة حلول العذاب بقومه، وهي أن يهطل المطر بصورة متواصلة، لا يقلع ،ولا يفتر، ويتفجر وجه الأرض، فحينما يرى نوح ذلك فعليه أن يحمل معه في السفينة من كل صنف من المخلوقات ذوات الأرواح والنباتات، ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾، وأمره بأن يحمل فيها من آمن له من قومه.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، فلو لم يُؤكد بـ ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ فلما ذكر الله عز وجل أنه أَمر نوح -عليه السلام- بأن يحمل معه في السفينة من كل زوجين، قد يتوهم متوهم أنه أُمر بحمل فرد من كل جنس، فجاء الاحتراس بدفع هذا التوهم، وبيان المراد.

وقبل الحديث عن الاحتراس ،وموقعه ،منه تجدر الإشارة إلى أصل الخلاف في كلمة زوج : «قال ابن شميل: الزَّوج اثنان، وكل اثنين زوج، وقال: اشتريت زوجين من خِفاف، أي: أربعة قلت: وأنكر النحويون ما قال ابن شميل .والزوج: الفرد عندهم. ويقال للرجل والمرأة الزوجان، وقال الله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ يريد ثمانية أفراد. وقال: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ وهذا هو الصواب...

فابن شميل يجعل كلمة زوج تدل على اثنين، والزوجين تدل على أربعة، ويعقب الأزهري: بأن النحويين أنكروا ذلك؛ إذ الزوج الفرد، والزوجان اثنان لا أربعة، مستدلاً بالآيتين، «الزوج كل اثنين ضد الفرد ، ويقال: للاثنين المتزاوجين زوجان وزوج ،أيضاً تقول: عندي زوج نعال، تريد اثنين، وزوجان تريد أربعة، وقال ابن قتيبة: الزوج يكون واحداً ويكون اثنين، وقوله تعالى: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ هو هنا واحد.

وقال الأزهري (ت: ٣٧٠): «وأنكر النحويون أن يكون الزوج اثنين، والزوج عندهم فرد وهذا هو الصواب»، وقال ابن الأنباري: « والعامة تخطئ فتظن أن الزوج اثنان وليس ذلك من مذهب العرب، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحداً في مثل قولهم زوج حمام، وإنما يقولون: زوجان من حمام وزوجان من خِفاف، ولا يقولون للواحد من الطير زوج، بل للذكر فرد وللأنثى فردة»، وقال السجستانى أيضاً: « لا يقال للاثنين زوج، لا من الطير ولا من غيره، فإن ذلك من كلام الجهال، ولكن كل اثنين زوجان، واستدل بعضهم لهذا بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]، وأما تسميتهم الواحد بالزوج فمشروط بأن يكون معه آخر من جنسه»[1].

والذي يظهر هو أن الزوج واحد الزوجين، والزوجين اثنان، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ثم عدد الثمانية فجعل من الضأن اثنين ذكراً وأنثى، وكذلك من المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، فيكون المجموع ثمانية أزواج جمع زوج، أي: ثمانية أفراد، فجعل الزوج واحداً لا اثنين.

أشار الألوسي (ت: ١٢٧٠) إلى معنى الاحتراس، فقال: « جعل فيها زوجين اثنين أي اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر، وأكَّد به الزوجين لئلا يفهم أن المراد بذلك الشفعان ، إذ يطلق الزوج على المجموع؛ لكن اثنينية ذلك اعتبارية أي: جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين»[2].

يرى الألوسي أن (أثنين) جاءت للتوكيد ؛ لئلا يتوهم عكس المراد.

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١١: ١٠٥).

(٢) روح المعاني (١٣: ١٠٠).

كما يرى غير واحد من المفسرين أن ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ جاءت توكيد[1] فقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) «علم أن الزوجين اثنان ولكنه توكيد»[2].

وكذلك يري إسماعيل حقي (ت:١١٢٧) حيث قال: « ﴿زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ فعول احمل واثنين صفة مؤكدة له، وزيادة بيان، كقوله تعالى ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾»[3].

ومن المعلوم أن التوكيد من أشباة الاحتراس، ويؤتى به لدفع توهم ،وتقرير المعنى في أذهان السامعين.

والتوكيد هو«هو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره «ويؤتي به» لتمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [هود: ٩٦-٩٧].

*** الدراسة والتحليل:**

أخبر الله عن إرساله موسى عليه السلام إلى فرعون ملك مصر، وكبار رجال دولته، مؤيداً بآيات الله البينات، الدالات على وحدانية الله تعالى وعظمته، وفيها السلطان المبين، والحجج الواضحة الدالة على صدق نبوته.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في الآية أكثر من احتراس:

---

(١) ينظر: مدارك التنزيل (٣: ١٢٠)، وغرائب البيان (٤: ٢٢)، واللباب (١٠: ٤٨٦).

(٢) زاد المسير (٢: ٣٧٣).

(٣) روح البيان (٤: ١٣٥).

الأول: في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَ﴾ ،لما بينت الآية أن الله قد أرسل موسى إلى فرعون وقومه، فجاءت الآية بالتصريح باسم فرعون، فلو قيل: (أتبعوا أمره) لتوهم أنهم أتبعوا دعوة موسى، فجاء الاحتراس ودفع هذا التوهم بالعدول عن الضمير إلى الاسم الصريح.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس، ذكره غير واحد من المفسرين وقد أشار أبو السعود (ت:٩٨٢) إلى معنى الاحتراس، فقال: «وترك الإضمار لدفع توهم الرجوع إلى موسى عليه السلام، من أول الأمر ولزيادة تقبيح حال المتبعين»(١)، فقوله: «لدفع التوهم»، فيه إشارة للاحتراس فلو أتى بإضمار لحصل التباس عند السامع، ولدفع اللبس عُدل للإظهار دون الإضمار.

و يرى الألوسي (ت: ١٢٧٠): «وعدل عن (أمره) إلى ﴿أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَ﴾ ؛ لدفع توهم رجوع الضمير إلى موسى عليه السلام من أول الأمر؛ ولزيادة تقبيح حال المتبعين، فإن فرعون علم في الفساد والإفساد، والضلال والإضلال ، فاتباعهم له لفرط الجهالة وعدم الاستبصار»(٢).

ويؤيد الألوسي في وقوع الاحتراس حيث يرى أن التصريح باسم فرعون ؛ لئلا يتوهم عود الضمير على موسى عليه السلام، فيحصل خلل في فهم المعنى المراد.

كما يتابع ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): من سَبَقَهُ فيقول «وعُقّب ذكر إرسال موسى عليه السّلام بذكر اتّباع الملأ أمرَ فرعون ،وإظهار اسم فرعون في المرّة الثانية دون الضمير والمرة الثالثة للتّشهير بهم»(٣).

---

(١) إرشاد العقل السليم (٣: ٣٤٨).

(٢) روح المعاني (١٢: ١٣٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٢: ١٥٥) بتصرف.

وفي الذكر الصريح لاسم فرعون تشهير به، والإعلان عن ذمة الذي صَرَّحَ به في قوله سبحانه ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾[1].

ومما سبق يتبين ورود الاحتراس في الآية ،وكيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وتسجيل الظلم على قوم فرعون ،الذين سارعوا باتباع فرعون مع ما يعرفون من ضلاله، وترك دعوة موسى عليه السلام، وقد ظهر صدقها، بالدلائل التي لا تحتمل التكذيب أو الشك، وما ذلك إلا لضعف في عقولهم، وقد وصفهم القرآن في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤].

والاحتراس الثاني في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ فلما ذكر الله عز وجل أن فئات من الناس أتبعوا فرعون ،وقدموه على دعوة موسى، قد يتوهم متوهم أن أمر فرعون صائب ، وصحيح، فجاء الاحتراس فدفع هذا التوهم: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ فزال اللبس ،وتبين أن ترك دعوة موسى وإتباع فرعون لهوى في النفوس، وليس عن قناعة.

وهذا المعنى الذي حمله الاحتراس، أشار إليه غير واحد من المفسرين، فقال أبو حيان (ت: ٧٤٥): «﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ نفى عنه الرشد، وذلك تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مُبِين، لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل. وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم. عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام، وعلموا أن معه الرشد والحق، ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في اتباعه رشد»[2].

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٠:٥٥٨) بتصرف.

(٢) البحر المحيط (٥: ٢٥٨).

كما ألمح الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧) إلى معنى الاحتراس، فقال: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: ليس في أمره رشد، إنما فيه ضلال، وفيه تعريض بأن الرشد والحق في أمر موسى، ثم إن قومه عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط»(١).

ومما سبق يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم في تسجيل الظلم على قوم فرعون ،عندما اتبعوا أمره الذي لم يكن بسديد.

الآية الحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

*** الدراسة والتحليل:**

حكت الآيات الكريمة قصة إخوة يوسف ،ولما يئسوا من إقناع العزيز بأن يرد عليهم أخاهم، بدفع أحدهم إليه بدلاً عنه، انتحوا جانباً يتناجون فيما بينهم، فقال لهم كبيرهم: ألم تعلموا أن أباكم أخذ عليكم موثقاً من الله لتردن عليه ابنه، وها قد تعذر عليكم ذلك، وقد سبق أن أضعتم يوسف، ولذلك فإنني لن أترك هذه الأرض، حتى يُسمح لي بالرجوع، أو يحكم الله لي. والله خير الحاكمين.

ثم أمرهم أخوهم الأكبر بالرجوع إلى أبيهم ،وبإخباره بما حدث لهم، حتى يكون ذلك عذراً لهم، وإنما رأينا صواع الملك يستخرج من رحله، ولم نكن نعلم -حينما أعطيناك العهد والموثق- أنه سيسرق، وأنهم سيأخذونه بسرقته.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤: ٤٧).

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾، لما قص إخوة يوسف على أبيهم حادثة استخراج صواع الملك من حرز أخيهم قالوا لأبيهم: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ ؛ لئلا يتوهم أنهم قد اتهموا أخيهم بالسرقة، بل قدموا بما عرفوا من أمانته، ولو لم يحترزوا من ذلك لتوهم يعقوب أنهم حكموا على أخيهم بالسرقة.

ذكر غير واحد من المفسرين أن معنى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي: لو كنا نعلم الغيب لما حرصنا وبذلنا المجهود في ذهابه معنا، ولما أعطيناك عهودنا ومواثيقنا، فلم نظن أن الأمر سيبلغ ما بلغ[(١)].

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس، فقال: «معنى ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ احتراس من تحقق كونه سرق، وهو إما لقصد التلطف مع أبيهم في نسبة ابنه إلى السرقة ،وإما لأنهم علموا من أمانة أخيهم، ما خالجهم به الشك في وقوع السرقة منه»[(٢)].

وقد أشار غير واحد من المفسرين لمعنى الاحتراس، فقال أبو حيان (ت: ٧٤٥): «لم يقطعوا عليه بالسرقة، بل ذكروا أنه نسب إلى السرقة، ويكون معنى: وما شهدنا إلا بما علمنا من التسريق. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ أي: للأمر الخفي حافظين، أسرق بالصراحة أم دس الصاع في رحله ولم يشعر؟»[(٣)]

وقد تلطفوا مع أبيهم في الحديث ،وعرض الحدث؛ لئلا يتهمهم بالكيد له، وعلموا أنهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف عليه السلام ، بالغوا في إزالة التهمة عن أنفسهم فقالوا: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾.

---

(١) ينظر: الكشاف (٢: ٤٧٥)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٣: ٤٠).

(٣) البحر المحيط (٥: ٢٧٦).

وبذلك يتبيّن كيف أسهم الاحتراس في نفي التهمة عن أبناء يعقوب عليه السلام، مما قد يلحقهم من تهمة الكيد والاعتداء، وما كان لذلك أنّ يتأتى إلا بأسلوب الاحتراس.

الآية الثانية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله عز وجل عن قصة أصحاب الكهف، وكما أرقدناهم وأيقظناهم بهيئاتهم، أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان؛ ليعلم الشاكون بالبعث، والحشر أن وعد الله حق، وأن القيامة ستقوم ، في الوقت الذي حدده الله لها بدون شك.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ لما ذكرت الآيات خبر أصحاب الكهف، و أن وعد الله حق ،وهو بعث الأنفس بعد موتها، ربما شكت نفوس في البعث، وقيام الساعة ،فجاء الاحتراس ونفى ذلك الوهم ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾، وعد محقق ستقوم في اليوم المقدر لها.

وذكر القونوي (ت: ١١٩٥) الاحتراس فقال: «﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ من قبيل التكميل والاحتراس، كأنه قيل: إنه أخبر الله تعالى بأن وعده حق على حقيقته، أولا يمكن أن يكون من قبيل هذا القول مؤولاً، فأخبر بأنه لا ريب في إمكانها»[1].

---

(١) حاشية القونوي (١٢: ٤٨).

ويشير القونوي إلى موقع الاحتراس أنه إنما جاء لتحقق وقوع الساعة، وأن الوعد الحق ثابت ،لا يمكن أن يؤول بما يدفعه.

كما أشار غير واحد من المفسرين لمعنى الاحتراس: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ «وكما أنا أمتناهم وبعثناهم؛ لما في ذلك من الحكمة ،اطلعنا قوماً عليهم؛ ليعلموا أن وعد الله وهو البعث حق كائن ؛ لأن حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت، ثم يبعث، وأن الساعة لا ريب فيها، فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث، للحساب والجزاء، لا شك في قيامها.

ويبين ابن كثير (ت: ٧٧٤) داعي الاحتراس، فيقول: «ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث، وفي أمر القيامة. وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ،ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك»(١).

كما يُلمح الألوسي (ت: ١٢٧٠) إلى ما تضمنه الاحتراس ،من معاني فقال: «فإن الظاهر أن العلم المذكور إنما يترتب على إخبار الصادق بوقوعه ،وعلى إمكانه في نفسه، لكن لما كان الإطلاع المذكور سببا للعلم بالإمكان، وكان كالجزء الأخير من العلة بالنسبة للكفار الذين بلغهم خبر الصادق، قيل: بترتب العلم بذلك عليه، وكذا في ترتب العلم بأن كل ما وعده الله تعالى حق ،على نفس الإطلاع خفاء»(٢).

فالألوسي يرى أن الاطلاع على أهل الكهف بعدما قاموا من رقدتهم نوعٌ من العلم، قد تحقق وجود البعث، لكن ربما تسلل من الشك ما يدفع ذلك، وأن موقع الاحتراس ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ يدفع التوهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥: ١٤٦).

(٢) روح المعاني (١٥:٢٣٤).

ومما مضى يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم، كما أسهم في إثبات البعث والجزاء، وقيام الساعة عند من أنكره، بأسلوب لا يدع مجال للشك، وفيه زيادة بصيرة، ويقين للمؤمنين ،وحجة على الجاحدين.

الآية الثالثة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ١-٢].

*** الدراسة والتحليل:**

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودُنُوها، وأن الناس في غفلة عنها، لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها، غافلون عن حسابهم، ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم. وإذا جاءتهم المواعظ من الآيات والنذر، أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا، أو استمعوا إلى القرآن الكريم وهم يلعبون.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية ،﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾، لما ذكرت الآية حال المعرضين عن ذكرى الله وعن عبادته، ثم ذكرت أنهم يستمعون لما يأتيهم من ربهم، فقد يتوهم متوهم أنهم قد عادوا إلى الطريق الهدى، فجاء الاحتراس ونفى ذلك التوهم أي: استمعوه وهم هازئون ،،ساخرون لاعبون ،غير متدبرين له ولا متفكرين فيه، فاتضح المعنى المراد وزال التوهم.

وهذا المعنى الذي جاء الاحتراس ذكره غير واحد من العلماء[1] حيث يرون أن

---

(١) ينظر:المحرر الوجيز (٤: ٧٤).

موقع الاحتراس، يدل على عدم استفادتهم فقال الثعلبي (ت:٤٢٧): «﴿ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ،لا يعتبرون ولا يتّعظون»[١].

ويصَرِّح ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) فيقول: «﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ،وهي احتراس لجملة: ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾ أي: استماعاً لا وعي معه»[٢].

وموضع الاحتراس ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ،حال من فاعل ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾ حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به، لاهين عنه ،أو لاعبين به ،حال كون قلوبهم لاهية عنه، لتناهي غفلتهم، وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور، والتفكر في العواقب.

وبذلك يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة وكيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم وتسجيل الظلم عليهم.

الآية الرابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء:٧٨].

*** الدراسة والتحليل:**

ولقد أوحى الله تعالى إلى سليمان بالقول الفصل في هذا النزاع، ويقول تعالى: إنه آتى كلاً من داود وسليمان علماً، وإنه سخر الجبال والطير يُسبِّحن مع داود.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ،لما ذكرت الآية

(١) الكشف والبيان (٦: ٢٦٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٧: ١٢).

الكريمة قضاء داود وسليمان ،وأن الحق في حكم سليمان، قد يتوهم متوهم أن داود أخطأ في حكمة، لنقص في علمه، فجاء الاحتراس بالثناء عليهما، وأن كلاً من داود وسليمان أُعطيا حكماً وعلماً، فزال بذلك التوهم وتبين المعنى المراد.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس، ذكره غير واحد من المفسرين ،فأشار أبو السعود (ت: ٩٨٢) إلى ذلك فقال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا، أي: وكل واحد منهما آتينا حكما وعلما،كثيرا لا سليمان وحده[1].

بين السبب في مجي الاحتراس في الآية وهو إنما جاء لدفع توهم تخصيص سليمان بالإفهام دون غيره، وفيه إشارة جلية للاحتراس.

ويتابع ابن عجيبة (ت:١٢٢٣) من سَبَقَهُ فيرى أن الاحتراس ليدل على عدم اختصاص سليمان بالعلم وحدة، فقال: «كل واحد منهما آتيناه حكمًا، أي: نبوة، وعلمًا: معرفة بمواجب الحكم، لا سليمان وحده»[2].

كذلك يرى الشوكاني (ت: ١٢٥٠) أن الاحتراس جاء: «دفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان بالتفهيم ، من عدم كون حكم داود حكما شرعيا، أي: وكل واحد منهما أعطيناه حكماً وعلماً كثيراً لا سليمان وحده، ولما مدح داود وسليمان على سبيل الاشتراك ذكر ما يختص بكل واحد منهما فبدأ بداود فقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾»[3].

فعبارة (دفع ما عسى يوهمه تخصيص) فيها دلالة على وقوع الاحتراس.

(١) إرشاد العقل السليم (٤:٣٥٠).

(٢) البحر المديد (٤:٣٦٥).

(٣) فتح القدير (٣:٥٧٢).

ثم يأتي ابن عاشور ويُصَرِّحَ بالاحتراس فيقول (ت: ١٣٩٣): «وجملة ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ، تذييل للاحتراس لدفع توهم أن حكم داوود كان خطأ، أو جوراً وإنما كان حكم سليمان أصوب»[١].

وتتابع الإشارات عند المفسرين في بيان الاحتراس،[٢] على اختلافها ،ومما سبق يتبين كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم من أن داود قد أخطأ في الحكم، كما بيّن أن خطأ المجتهد لا يقدح في علمه، ولا يرفع عنه صفة الاجتهاد.

الآية الخامسة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥١-١٥٢].

وهذه الآية تشاكلها آية أخرى في الاحتراس ، وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: ٤٨].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ،لما ذكر الله حال هؤلاء الرهط وإفسادهم في الأرض، قد يتبادر للذهن أن هؤلاء وإن كان يفسدون ،لكن قد يكون لهم أعمال أخرى فيها صلاح البلاد والعباد، فنفى عنهم الاحتراس هذا التوهم ، وأنهم قصروا أنفسهم على الفساد دون الإصلاح فتبين المعنى المراد.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس، ذكره غير واحد من المفسرين حيث يرون أن

---

(١) التحرير والتنوير (١٧: ١١٩).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٥: ١٠٠)، ومحاسن التأويل (٥: ١٦٥).

«إفساداً لا يخالطه شيء من الصلاح أصلاً، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ،يعني إن شأنهم الإفساد المحض، الذي لا صلاح معه»[١].

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس، فقال: «وعطف ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ،على ﴿يُفْسِدُونَ﴾ ، احتراس للدلالة على أنهم تمحضوا للإفساد ،ولم يكونوا ممن خلطوا إفساد بإصلاح»[٢].

وقد وردت إشارات متفرقة في بيان الاحتراس وذكره ،فألمح أبو حيان (ت:٧٤٥): «ولما كانوا يفسدون دلالته دلالة المطلق، أتى بقوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، فنفى عنهم الصلاح، وهو نفي لمطلق الصلاح، فيلزم منه نفي الصلاح كائناً ما كان، فلا يحصل منهم صلاح ألبتة»[٣].

ويلمح ابن عادل لذلك بقوله: «وله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ، قيل: مؤكد للأول، وقيل: ليس مؤكداً؛ لأن بعض المفسدين قد يصلح في وقت ما، فأخبر عن هؤلاء بانتفاء توهم ذلك، وهم الذي اتفقوا على عقر الناقة»[٤].

أن في نفي ابن عادل للتوكيد وإشارته لمقصد الاحتراس لدلالة على وجوده، حيث قال :«فأخبر عن هؤلاء بانتفاء توهم ذلك» أي: كونهم مصلحين.

ويتابع أبو السعود (ت:٩٨٢) من سَبَقَهُ فيقول: «لذلك عطف ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ،على يفسدون لبيان خُلوص إفسادهم عن مخالطة الإصلاح»[٥].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٤: ٥٢٧)، و أنوار التنزيل (٤:٢٤٩ -٢٧١)، والبحر المديد (٥: ٢٢٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٩: ٢٨٢).

(٣) البحر المحيط (٧: ٣٤).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (١٥: ١٧٧).

(٥) إرشاد العقل السليم (٥: ٥٥ – ٩٠).

ومما مضي- يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد جاء الاحتراس بدفع التوهم، وتسجيل الظلم عليهم، ونفي الصلاح مطلقاً ،فلا يحصل منهم صلاح أبداً.

الآية السادسة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ،فلما قالت النملة للنمل: «أدخلوا في مساكنكم» فقد يحطمنكم سليمان وجنوده، ثم احترست في الاعتذار بأنهم ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾، ولو علموا بمساكنكم لم يحطموكم.

ولو لم يأتي الاحتراس لتوهم نسبة الظلم لسليمان ،بالاعتداء على النمل في مساكنهم بدون ذنب، فلما جاء الاعتذار بالاحتراس، اندفع التوهم وزال اللبس.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من العلماء حيث يرون أن ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ، لا يعلمون بمكانكم، أي: لو شعروا ما فعلوا. قالت ذلك على وجه العذر، واصفةً سليمان وجنوده بالعدل.

وأول ذكر للاحتراس أورده الزركشي (ت: ٧٩٤) حيث قال: «﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ احتراس بيّن أن من عدل سليمان وفضله،، وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها ، إلا بألا يشعروا بها»(١).

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٥).

ولم تخل عبارات المفسرين من الدلالة على الاحتراس، [١] فقال أبو حيان (ت:٧٤٥): «جملة حالية، أي: إن وقع حطم، فليس ذلك بتعمد منهم، إنما يقع وهم لا يعلمون بتحطيمنا، أي: من عدل سليمان وأتباعه، ورحمته ،ورفقه أن لا يحطم نملة فما فوقها إلا بأن لا يكون لهم شعور بذلك[٢].

وبذلك يتبين ثبوت الاحتراس في الآية الكريمة وقد أسهم في دفع التوهم كما بيَّنَ كمال عدل سليمان وجنوده ، بتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم، ولو شعروا بذلك لم يحطموا».

الآية السابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨].

*** الدراسة والتحليل:**

يعرِّض الله تعالى بأهل مكة، وينبههم إلى أنه قد سبق أن أهلك كثيراً من المدن والقرى، التي طغت وأشرت وكفرت بنعمة الله، فيما أنعم به عليها، فدمرها تدميراً، ولم يترك أحداً من أهلها حياً، ولم يُعدّ يُرى فيها إلا المساكن الخراب المهجورة، لم يسكنها أحد بعدهم، إلا عابرو السبيل لفترات قصيرة، وهم مارون مجتازون بها، وآلت وراثتها إلى الله، لأنه لم يبق من أهلها أحد يمكن أن يدَّعي وراثتها.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ،لما ذكر الله عز وجل إهلاكه للقرى التي

(١) ينظر: أنوار التنزيل (٤: ٢٦٢)، ومعالم التنزيل (٦: ١٥١)، والسراج المنير (٣: ٩٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٠٢).

(٢) البحر المحيط (٧:٨١).

طغت وبغت، وأن الله دمرها ومساكنها بعذاب استئصال في الدنيا، قد يتوهم متوهم أن العذاب وإن كان بإهلاكهم، لكن لم تُدَمر ديارهم ومساكنهم، وربما عمرت من بعدهم، فجاء الاحتراس ودفع هذا التوهم، وأن مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلا، وبذلك يتضح المعنى، ويندفع توهم غير المراد.

و يرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) وقوع الاحتراس بأسلوب الاستثناء فيقول: «﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، احتراس أي: إلا إقامة المارين بها، المعتبرين بهلاك أهلها... فإطلاق السكنى على ذلك مشاكلة ليتأتى الاستثناء، أي: لم تسكن إلا حلول المسافرين، أو إناخة المنتخين، مثل نزول جيش غزوة تبوك بحجر ثمود ،واستقائهم من بئر الناقة. والمعنى: فتلك مساكنهم خاوية خلاء لا يعمرها عامر، أي أن الله قدر بقاءها خالية لتبقى عبرة وموعظة بعذاب الله في الدنيا»(١).

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين، فقال الثعلبي (ت: ٤٢٧): «﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ،يعني: فلم يُعمر منها إلاّ أقلها، وأكثرها خراب، قال ابن عباس: لم يسكنها إلاّ المسافر، ومار الطريق يوماً أو ساعة»(٢).

ويتابعه ابن عجيبة (ت:١٢٢٤) فيما ذهب إليه فيقول: «﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، من السكنى، أي:لم يسكنها إلا المسافر، أو مار بالطريق؛ يوماً أو ساعة، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ،لتلك المساكن من سكانها، أي: لا يملك التصرف فيها غيرنا»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠: ١٥١).

(٢) الكشف والبيان (٧: ٢٥٦).

(٣) البحر المديد (٥: ٢٧٨).

فعبارة «إلا المسافر، أو مار بالطريق؛ يوماً أو ساعة» مفسرةٌ للاحتراس ومبينة وجه الاستثناء بالقلة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، فلم تنتفِ السكنى المطلقة، وإنما انتفت الإقامة الدائمة.

والرأي السابق في الآية أطبق المفسرون[1] على القول به، ولم أقف على من خالف في هذا التفسير، أو شذ عنه، وهذا الاحتراس فسره وبينه الحديث النبوي حيث ورد أنه لما نزل الناس الحجر في غزوة تبوك فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»[2].

في الحديث يأمر النبي ﷺ أصحابه بالمرور السريع وعدم المكث في تلك الديار، لأنها ديار قوم عذبوا.

ومما مضي يتبين وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، ومجيء الحديث الشريف مقرِّراً لما جاء به الاحتراس.

الآية الثامنة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧].

---

(١) ينظر: النكت والعيون (٤: ٢٦٠)، وبحر العلوم (٢:٦١٤)، وتفسير القرآن العظيم (٦: ٢٤٨)، واللباب (١٥: ٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح في(٨) كتاب الصلاة باب:(٢١) الصَّلَاةِ فِي مَوَاضِعِ الْخَسْفِ وَالْعَذَابِ حديث رقم (٤٣٣)، وأخرجه مسلم في الصحيح في(٥٦) كتاب الزهد والرقاق باب: (٢)لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، حديث رقم (٧٦٥٥).

* الدراسة والتحليل:

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام ،أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صَرَّحَاً ،وهو: القصر العالي المنيف الشاهق، للبحث عن إلهه موسى الذي يدعيه. وهكذا زين الشيطان لفرعون عمله السيئ فأوغل في كفره وعناده، وصده الناس عن سبيل الله، بمثل هذه الشبه والتمويهات، ولن يكون كيد فرعون واحتياله في بناء الصَرَّحَ ليصعد إليه، فيطلع إلى إله موسى إلا خساراً وباطلاً يلحقه.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

انتظم الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾، لما جاء في سياق الجدال أن فرعون أمر هارون ببناء صَرَّحَ، ربما يتوهم متوهم أن فرعون يبحث عن الحق، أو أنه قد تبع دعوة موسى عليه السلام، فلما جاء الاحتراس من فرعون بتقديم النتيجة على العمل ،دفعاً لتوهم إيمان فرعون. ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] ، وبالتالي فموسى كاذب عند فرعون وقومه.

إن معنى الاحتراس هذا ذكره غير واحد من المفسرين[١]، بعبارات شتى تُنْبِئُ بمضمونه ومن ذلك ما أشار إليه أبو حيان (ت: ٧٤٥): «ولما قال: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾، كان ذلك إقراراً بإله موسى، فاستدرك هذا الإقرار بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾: أي: في ادعاء الإلهية، كما قال في القصص: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾»[٢].

(١) ينظر: جامع البيان (١٥: ٦١)، وغرائب القرآن (٦: ٣١)، وروح المعاني (١٢: ٣٢٣).

(٢) تفسير البحر المحيط (٧:٦١٨).

فقول أبو حيان (ت:٧٤٥): «استدرك هذا الإقرار» فيها إشارة لمقصد الاحتراس، فلو لم يستدرك لتوهم أنه قد آمن برب موسى.

ويبين فرعون سبب صنيعه، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ أي: وإني لأظن موسى كاذبا في ادعائه إلها دوني، وإنما أفعل ما أفعل لإزاحة العلة»[(١)].

ويُصَرِّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس فيقول: «وجملة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ ، معترضة للاحتراس من أن يظن ﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾ وقومه أن دعوة موسى أوهنت منه يقينه بدينه وآلهته، وأنه يروم أن يبحث بحث متأمل ،ناظر في أدلة المعرفة ،فحقق لهم أنه ما أراد بذلك إلا نفي ما ادعاه موسى بدليل الحس، وجيء بحرف التوكيد المعزّز بلام الابتداء لينفي عن نفسه اتهام وزيره إياه، بتزلزل اعتقاده في دينه»[(٢)].

ونص ابن عاشور واضح في بيان الاحتراس، ومن الإشارات كذلك ما أورده أن ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ ، أي: في دعواه أن له إلها غيري، وهذا من فرعون مجرد مناورة كاذبة ؛يريد أن يموه بها على غيره إبقاء على مركزه ،وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أي: ومثل هذا التزيين في قول فرعون زين له سوء عمله»[(٣)].

ومما مضى يتأكّد الاحتراس في الآية الكريمة ،ويتبيّن كيف استعان فرعون في احتياله، وتدبيره لإيهام الناس أنه محق، وموسى مبطل.

الآية التاسعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا

---

(١) الجامع لأحكام القران (١٨: ٣٥٩).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤: ١٤٧).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٤: ٥٣٤).

ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله عز وجل أنه أرسل بعد إبراهيم رسلاً ،آخرهم عيسى بن مريم، وأنزل عليه الإنجيل، وفيه شرع الله ووصاياه، وقد جاء عيسى مكملاً للتوراة، ومخففاً بعض أحكامها التي شرعت لبني إسرائيل، وجعل الله في قلوب النصارى أتباع عيسى الذين ساروا على نهجه، رأفة ورحمة في التعامل فيما بينهم، وابتدعوا رهبانية لم يفرضها الله عليهم، وإنما فرضوها على أنفسهم؛ طلباً لرضوان الله ومرضاته، فانقطعوا عن الدنيا وملذاتها، ولكن الكثيرين منهم لم يحافظوا على هذه الرهبانية المبتدعة، ولم يقوموا بها، فأعطى الله المؤمنين المخلصين منهم أجراً عظيماً، ثواباً لهم على أعمالهم، ولكن الكثيرين منهم فسقوا وخرجوا عن طاعة الله، و اجترحوا السيئات، وارتكبوا المنكرات، وسيعاقبهم الله تعالى على فسقهم وخروجهم عن طاعته.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ ،لما بين الله عز وجل في الآية صفات أتباع عيسى عليه السلام، وذكر أن في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية، قد يتوهم متوهم أن هذه الرهبانية من دينهم، وقد فرضت عليهم، فجاء الاحتراس بدفع التوهم ،وأن هذه الصفة مما لم تُشرع، وإنما ابتدعوها من أنفسهم، فلما جاء الاحتراس اندفع التوهم.

وهذا المعنى ذكره غير واحد من المفسرين فقال أبو السعود (ت: ٩٨٢): «﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ ، استثناء منقطع أي: ما فرضناها نحن عليهم،ولكنهم ابتدعوها؛ ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾»[1].

(١) إرشاد العقل السليم (٦: ٢٠٩).

ويتابع ابن عجيبة (ت: ١٢٢٤) من سَبَقَهُ فيقول: «﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما كتبناها عليهم لكن فعلوها؛ ابتغاء رضوان الله» فقول ابن عجيبة بعد الاستدراك يدل على معنى الاحتراس.

وصَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس: «وقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ ، احتراس، ومجموع الجمل الثلاث استطراد، واعتراض، والاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ ، معترض بين جملة: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ وجملة: ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾، وهو استثناء منقطع»[1].

ومما سبق يتبين أن الاحتراس وَرَدَ بأسلوب الاستثناء، وقد أسهم الاحتراس في ذم الرهبانية المبتدعة؛ لأنهم كلفوا أنفسهم ما لم يطيقون، من حيث إن النذر عهد مع الله لا يحل نكثه ،لا سيما إذا قصد به رضا الله تعالى.

❀❀❀

(١) التحرير والتنوير (١٨: ٢٤٦).

المطلب الرابع

مقاصد الاحتراس في آيات النبوة والأنبياء

المقصد الأول: دفع التوهم وإزالة اللبس.

دفع الوهم وإزالة اللبس هو المغزى الرئيس لمجيء الاحتراس، ولا يكاد يخلو منه مبحث من مباحث البحث(١).

وقد جاء هذا المقصد في غير آية من آيات أخبار الأمم الماضية، وكما أنه أتى مع كل غرض من أغراضها.

ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] ، فجاء الاحتراس في قوله ﴿ جَسَدًا ﴾ ؛ لئلا يتوهم أن قوم موسى اتخذوا تصاوير أو نقوش، فلما جاء الاحتراس ﴿ جَسَدًا ﴾ زال الوهم، واكتملت الصورة وتبين أنهم اتخذوا مجسماً كهيئة العجل.

وهذا النوع من المقصد وهو مقصد إزالة اللبس ،حاضر مع كل آية من الآيات التي جاء فيها الاحتراس.

ومن الشواهد الدالة على دفع الوهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢١- ١٢٢] ،حيث جاء الاحتراس على لسان السحرة عندما قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ ،دفعاً للبس أو توهم عن ضعف أن المراد فرعون الذي طالما نسب لنفسه الألوهية والملك، فجاء الاحتراس؛ لدفع ذلك اللبس وبيان الألوهية الحق، وأنهم آمنوا برب هارون وموسى.

---

(١) ينظر على سبيل المثال (النساء: ٩٥)، و(هود: ٤٠).

وشواهد هذا المقصد يطول المقام بذكرها وقد جاءت متناثرة في البحث أكتفي بالإحالة إليها[١].

المقصد الثاني: إقرار عقيدة التوحيد.

نجد الاحتراس يبطل عقيدة الأصنام ،ويُقر عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤].

قال صاحب «خصائص التعبير القرآني»: « لو لم يكن من القرآن غير هذه الآية في إبطال عقيدة الأصنام، لكان القرآن قد أبطلها من أساسها، بحيث لم تعد لها حجة بعد، عند عابديها ،ولا عند غيرهم من الناس، ولما وسع المخالفين لو أنصفوا إلا التسليم والإذعان، عرض واضح ودليل قاطع»[٢].

وهناك الكثير من الآيات التي كان الغرض منها إثبات عقيدة التوحيد[٣]، أحيل إليها لئلا يطول المقام[٤].

المقصد الثالث: تقرير أصول الإيمان.

أسهم الاحتراس في تقرير أصول الإيمان، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: (آل عمران: ١١٠)، و(الأعراف:١٥٩).

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١: ٤٣٣).

(٣) ينظر: مبحث الاحتراس في آيات الأسماء والصفات (ص:٢٨٢).

(٤) ينظر: سورة (آل عمران:٤٩).

فقد جاء الاحتراس بإثبات الإيمان عند الرسل جميعاً، وزوال الإيمان أسمٌ وحقيقةٌ عمن فرق بين الأنبياء في الإيمان، فمن كفر بواحد فقد كفر بهم جميعا.

المقصد الرابع: إفحام الخصم وإلزامه الحجة.

جاء الاحتراس في مقام المحاجة والمجادلة، فكان له الأثر في إلزام الخصم، ومحاجته، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [فصلت: ٦].

حيث جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ وقوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾، فمن مجارة الخصم للتبكيت والإلزام والإلجام، فإن من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه، فالخطاب للنبي ﷺ قل لهؤلاء الكفار: إنما أنا بشر.

فالآية فيها قصر إضافي تفيد أن النبي ﷺ مقصور على البشرية، مجارة الخصم وتسليم بعض مقدماته لتنقطع محبته.

وهذا الغرض كثير الورود في آيات القرآن الكريم.

المقصد الخامس: إثبات نبوة النبي ﷺ وبيان مكانته.

ومن المقاصد التي تأتي زيادة على دفع التوهم، بيان مكانة النبي ﷺ ،وإثبات نبوته، وقد أسهم الاحتراس في بيان مكانته ﷺ ،وما ينبغي من الأدب معه، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [القصص: ٤٤].

فقد جاء الاحتراس بقوله: ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ ﴾ بياناً ،وتشريفاً، وتعظيماً له ﷺ، وتعليماً لأمته بالتأديب عند الحديث عنه.

وفي هذا المضمار أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [فصلت: ٦]. ففي الآية دفع توهم كونه ملك، وإنما هو بشر لكن الله امتن عليه بالرسالة.

وهناك كثير من الشواهد أحيل إليها لئلا يطول المقام(١).

المقصد السادس: الوعد والوعيد.

جاء الاحتراس بأساليب شتى ومنها: الوعد والوعيد، ليقيم التوحيد الخالص لرب العالمين، ولتخويف الكافرين، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٥ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٥-٢٦].

إن في هذه الآية الكريمة تهديداً، ووعيداً للكافرين؛ لأنهم كذبوا وكفروا فاستحقوا بذلك التهديد والوعيد.

وهكذا جاء الاحتراس في مقام إظهار التهديد، والزجر بأسلوب شديد ؛ليبيّن عظيم ما هم عليه.

ومن الشواهد الدالة على ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

حيث وقع الاحتراس في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فجاء للتحذير وللتنبيه، وإن المغفرة من الله لعباده مقدمة على غضبه، ولكن لا يركن المرء إليها فجعل الاحتراس بجانب التأني تخويف.

المقصد السابع: أبطال لحجج المشركين.

من المقاصد التي جاء بها الاحتراس إبطال مزاعم المشركين، وتفنيد شبههم التي يتكون عليها في رفض الدين، وتكذيب المرسلين.

فجاء الاحتراس وأبطل مزاعمهم تلك، ودحض حججهم بأروع الأساليب، وقطع

---

(١) ينظر: سورة (الإسراء: ١ - ٨٨)، و(طه:٢٢)، و(النمل:١٢)، و(القصص:٣٢) و(الروم:٤).

عليهم كل طريق، كما جاء الاحتراس لتسجيل الظلم على الكافرين بظلمهم لأنفسهم بالكفر ، ولتحريفهم كتابهم على علم، ولحسدهم للنبي ﷺ والمسلمون على ما أتاهم الله من فضله، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، فقد وقع الاحتراس في قوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ لبيان أنهم قد تولوا تحريف الكتاب بأيديهم، وعلى علم منهم، وقد تعمدوا ذلك فلم يقع خطأً أو سهواً.

وكذلك في مقام حسدهم للنبي ﷺ والمسلمون، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

فقد جاء الاحتراس بعطف ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ على ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فقد اشتركوا معهم بالكفر، والحسد للمؤمنين، وهناك كثير من الشواهد في هذا المقام أحيل إليها(١).

المقصد الثامن: تسلية النبي ﷺ.

جاء الاحتراس لمقصد تسلية النبي ﷺ ،وتصبيراً له مما يلقى من أذى الكفار، وكان يضيق صدره لتماديهم في ضلالهم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [فاطر: ٢٤] بشيراً لمن آمن نذيراً لمن كفر.

المقصد التاسع: التأكيد على أمر الدعوة.

جاء الاحتراس في باب دفع التوهم ،وإثبات وتأكيد أمر الدعوة، ولإشادة بأهميتها، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذريات: ٥٤ – ٥٥]. حيث جاء الاحتراس بالأمر بمتابعة الدعوة والتذكير

---

(١) ينظر: سورة (آل عمران: ١١٠)، و(الشعراء: ١٥١-١٥٢)، و(غافر: ٣٧)، و(الحديد: ٢٧).

فإن الذكرى تنفع المؤمنين. فلو لم يدفع الإعراض بمتابعة التذكير لتوهم أنه تترك الدعوة والتذكير، إذا لم يجد الداعي استجابة وصدى لدعوته.

المقصد العاشر: تربية المهابة والمبالغة في النصح.

للاحتراس دورٍ بالغ في تربية المهابة والتربية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، حيث جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾، وفيه من التهييج والإلهاب ما فيه، وإلا فأني يتوهم إمكان إتباعه عليه السلام لملة اليهود والنصارى.

المقصد الحادي عشر: التوكيد.

ومن مقاصد الاحتراس التي جاء بها التوكيد، وكما هو معلوم أن التوكيد إنما يؤتى بها لدفع التوهم، ولتقرير المعنى في الذهن، ومن ذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

حيث جاء الاحتراس بالتوكيد ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، فلو لم يأتِ لتوهم أن المراد زوجين في حال الإفراد، فلما جاء الاحتراس دفع التوهم.

المقصد الثاني عشر: دفع توهم الاشتراك.

كما جاء الاحتراس في دفع توهم الاشتراك، إبطال محاجة الكافرين ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩] حيث جاء الاحتراس في قوله: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾، لدفع توهم أن يكونوا مشتركين في الأعمال.

كذلك في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا

كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وفيه تبكيت للكفار الذين يرون أن انتسابهم للأنبياء يشفع لهم عند الله، أو ينفعهم.

المقصد الثالث عشر: دفع توهم العموم.

وللاحتراس الأثر البارز في دفع توهم العموم، وهو بذلك يُعدّ مخصص من العموم، فلو لم يذكر الاحتراس لبقي على العموم، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] فقد جاء الاحتراس باستثناء طائفة وجماعة من بني إسرائيل، وخصهم بالإيمان، فلم يكن بني قوم موسى على الكفر والتكذيب جميعهم، بل منهم طائفة مؤمنة، وكان للاحتراس الأثر الواضح، في بيان ذلك، ولو لم يكن الاحتراس لفهم خلاف المراد.

المقصد الرابع عشر: دفع توهم التخصيص.

وكما جاء الاحتراس لدفع توهم العموم جاء أيضاً لدفع توهم الخصوص، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩]، فقد جاء الاحتراس ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ لإثبات العلم لداود وسليمان، ودفع ما قد ينشأ من توهم إنفراد سليمان بالعلم وحده، وإن حكم سليمان كان خطأ.

المقصد الخامس عشر: درأ التهمة وإثبات البراءة.

وقد جاء الاحتراس لدفع التهمة وإثبات البراءة، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فقد جاء الاحتراس ببراءة سليمان عليه السلام مما نسب إليه من السحر، فلو لم يذكر لتوهم أن سليمان عليه السلام كان يتعامل بالسحر.

كذلك ما قاله إخوة يوسف عليه السلام عندما أبعدوا عن أخيهم تهمة السرقة في قول الله تعالى: ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴾ [يوسف: ٨١] حيث جاء الاحتراس في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴾. وكذلك فقد أبعدوا عن أنفسهم تهمة الكيد لأخيهم.

المقصد السادس عشر: دفع شبهة الظن.

جاء الاحتراس في القرآن الكريم لبيان المراد ودفع شبهة الظن الباطل الذي قد ينشأ عن سوء الفهم.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

حيث جاء الاحتراس في أسلوب القصير ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾، وبذلك نفي نبي الله ما قد يتوهم من أن دعوته طمعا في أجر دنيوي، وبذلك برأ نفسه من أن يكون الدعوة إلى الله لسبب دنيوي، وقد أسهم الاحتراس في قطع معاذيرهم وتعليلاتهم في صدهم عن الدعوة، وأنه بذلك لم يبق لهم إلا التصديق والإيمان، لما زالت العروض الدنيوية.

ولم يكن لتدفع هذه الشبهة إلا بأسلوب الاحتراس.

والشواهد في هذا المضمار يطول المقام لعرضها أكتفي بالإحالة إليها[١].

❀❀❀

(١) ينظر على سبيل المثال:. (القصص: ٥٨).

الفصل الثاني

الاحتراس في آيات الأحكام والآداب والأمثال

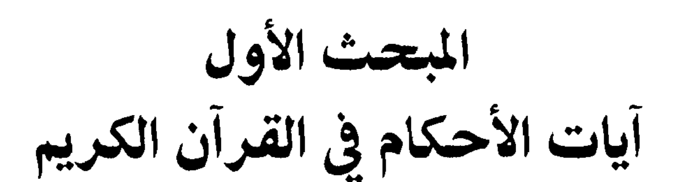
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاحتراس في آيات الأحكام.

المبحث الثاني: الاحتراس في آيات الآداب القولية.

المبحث الثالث: الاحتراس في آيات الأمثال.

المبحث الرابع: الاحتراس في آيات القسم



المبحث الأول
آيات الأحكام في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلــــب الأول: آيات الأحكام في القرآن الكريم.

المطلـب الثـاني: الاحتراس في آيات الأحكام.

المطلب الثالث:: مقاصد الاحتراس في آيات الأحكام.

المطلب الأول
آيات الأحكام في القرآن

توطئة:

جاء الاحتراس في آيات الأحكام، وكان لوروده الأثر الواضح في فهم الآية، وصحة استنباط الحكم منها، وقد أعان الاحتراس على فهم مراد الله تعالى من الآية، ودفع اللبس عن السامع وبيان الحكم وإثباته كذلك.

وقبل الدخول لعلاقة الاحتراس بآيات الأحكام أقدم بمقدمات مهمة تتعلق بعنوان المبحث.

تعريف الأحكام:

الأحكام جمع حكم: و«الحكم الشرعي، عبارة عن حكم الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين»[(١)].

عدد آيات الأحكام وخلاف العلماء فيها:

آيات الأحكام خمسمائة[(٢)] آية وقال بعضهم: «مائة وخمسون قيل ولعل مرادهم المصَرَّحَ بها، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها، يستنبط منها كثير من الأحكام»[(٣)].

قال السيوطي (ت: ٩١١): «معظم آي القرآن لا يخلوا عن أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق، ثم من الآيات ما صُرِّحَ فيه بالأحكام، فمنها: ما يؤخذ بطريق الاستنباط، إما بضم إلى آية أخرى كاستنباط صحة صوم الجنب من قوله: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ

---

(١) التعريفات (ص: ١٢٣).

(٢) لعل في اختيار خمسمائة آية، بناء على مصنف مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠) حيث ألف كتاب وأسماه تفسير الخمسمائة آية من القرآن.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٧٢٥).

﴿بَشِرُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ﴾ الآية، وإما به كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ قال: ويستدل على الأحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر وتارة بالإخبار، مثل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ وتارة بما رتب عليها في العاجل أو الآجل، من خير أو شر ،أو نفع أو ضر ،وقد نوع الشارع ذلك أنواعاً كثيرة ترغيبًا لعباده وترهيباً وتقريباً إلى أفهامهم فكل فعل عظمه الشرع ،أو مدحه فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب»[١].

أشهر من حصر آيات الأحكام من العلماء:

ابن جزي (ت:٧٤١) حيث قال: «إن آيات الأحكام خمسمائة آية، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك، إذا استقصى تتبعها في مواضعها»[٢].

وابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١) حيث قال: «إن آيات الأحكام مائة وخمسون آية»[٣].

و الماوردي (ت:٤٥٠) فقال :«والذي يشتمل عليه كتاب الله من النصوص من الأحكام قيل: إنها خمسمائة آية»[٤]، وقد قسم آيات الأحكام ستة أقسام فقال: «وتنقسم إلى ستة أقسام:

أحدهما: العموم والخصوص.

الثاني: المجمل والمفسر.

الثالث: المطلق والمقيد.

الرابع: الإثبات والنفي.

(١) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٧٢٥).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل(١: ١٢).

(٣) مدارج السالكين (٣: ٣٥٣).

(٤) أدب القاضي، للماوردي، دار إحياء التراث الإسلامي، دون بيانات نشر (١: ٢٨٢).

الخامس: المحكم والمتشابه.

السادس: الناسخ والمنسوخ.

أقسام آيات الأحكام:

تنقسم آيات الأحكام في القرآن إلى قسمين:

الأول: ما صَرَّحَ به في الأحكام وهو كثير، وسورة البقرة، والنساء ،والمائدة ، والأنعام ،مشتملة على كثير من ذلك.

الثاني: ما يؤخذ بطريق الاستنباط، وهذا النوع ينقسم قسمين كذلك: الأول: ما يستنبط من غير ضميمه إلى آية أخرى.

والثاني ما يستنبط مع ضميمه آية أخرى، كاستنباط علي وابن عباس- رضي الله عنهما- أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] مع قوله: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤][(١)].

عرض القرآن الكريم لآيات الأحكام[(٢)].

يلحظ المتأمل في آيات الأحكام أنها جاءت على عدة أوجه:

أولاً: العرض الإجمالي للأحكام:

عَرَضَ القرآن الكريم لبعض آيات الأحكام بصورة مجملة، وترك تفصيّلها للنبي ﷺ ؛ الذي جعله الله عز وجل مبيناً للقرآن إذا يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] ،وهذا هو الغالب في القرآن الكريم.

(١) البرهان في علوم القرآن (٢: ٥).

(٢) للاستزادة ينظر: تفاسير آيات الأحكام، لعلي العبيد، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ (١:٤١) وما بعدها.

ومن هذه الأحكام: الأمر بالصلاة والزكاة. قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [النور:٥٦] ، فإن الصلاة وردت مجملة، لم يوضح القرآن عدد ركعاتها ولا أوقاتها ولا كيفيتها، ولا ما يقوله المصلي فيها، وكذا الزكاة لم يوضح أحكامها ولا تحديد مقاديرها ولا أنصبتها.

ثانياً: العرض التفصيلي للأحكام:

وعرض القرآن الكريم كذلك للأحكام بصورة مفصلة واضحة في نفسها لا إجمال فيها، ومن أمثلة ذلك:

١- أحكام المواريث ،حيث فصل الله عز وجل أنصبة الورثة في كتابه ،فقال في ميراث الأبناء: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [النساء: ١١] وقال في ميراث الوالدين: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء:١١].

ثالثاً: العرض الكلي للأحكام:

ولقد ورد في القرآن الكريم أحكام جاءت على هيئة قواعد كلية دون تفصيل، أي: بذكر المبادئ العامة التي تكون أساسا لتفريغ الأحكام منها ومن الأمثلة ذلك:

١- الأمر بالشورى، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

٢- الأمر بالعدل والحكم به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

رابعاً: توزيع آيات الحكم الواحد في القرآن الكريم.

لقد تعددت آيات الأحكام في القرآن الكريم، وانتشرت في أماكن عدة من القرآن الكريم ، وشَمِلَ ذلك أيضاً ذكر أحكام مختلفة لموضوع واحد في سور متعددة.

فمثلاً أحكام الحج ورد ذكرها ،في سورة البقرة ،وآل عمران ،والمائدة، والحج.

وأحكام الطلاق ورد ذكرها، في سورة البقرة، والنساء، والطلاق.

وأحكام الجهاد ورد ذكرها في عدة سور ،كسورة البقرة، والنساء، والأنفال، والتوبة، والأحزاب، ومحمد، والصف.

وأحكام النكاح ورد ذكرها في عدة سور، كسورة البقرة، والنساء ،والمائدة، والنور.

وغير ذلك من الأحكام التي تعدد ذكرها في أكثر من موضع في كتاب الله، وفي ذلك إيحاء خاص بأن جميع ما في القران وإن اختلفت أماكنها وتعددت سورها وأحكامها فهو وحدة واحدة، لا يصح التفريق بينها في العمل، ولا أخذ ببعضه دون البعض قال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] يقول مناع القطان: «وكأنه في ذلك أشبه شي ببستان تنوعت ثماره وأزهاره، وزدانت بها جميع نواحيه، حتى يقطف الإنسان منها أنى وجد فيه ما ينفعه، وما يشتهي من ألوان مختلفة وأزهار متباينة وثمار، يعاون بعضها بعضاً في الروح العام الذي يقصد في التشريع، وهذه الروح هي: التغذية بالنافع، والهداية إلى الخير»[١].

علاقة الاحتراس بآيات الأحكام:

من النظر في آيات الأحكام التي ورد فيها أسلوب احتراس ، ظهر أنه يدور بين تخصيص العام، أو تقييد المطلق، أو بيان المبهم، أو إثبات الحكم، وفيها بيان تلك الأوجه.

---

(١) التشريع والفقه في الإسلام، لمناع القطان، نشر مكتبة وهبة، بالقاهرة، ١٣٩٧ [ص: ٦٥].

أولاً: العام والخاص:

اتسمت الأحكام في القرآن الكريم بالإجمال والعموم، وصيغت ضمن قواعد كلية عامة على الأكثر، لذلك جاء الاحتراس لدفع توهم العموم أو دفع توهم التخصيص.

أولاً: العام.

عرف الأصوليون العام بأنه «اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له من غير حصر بوضع واحد»[(١)].

كما عُرف الخاص بأنه: «هو قصر العام على بعض أفراده بدليل مستقل يقترن به»[(٢)].

تخصيص العام:

لما كان العام المطلق قد يلحقه دليل يصرفه عن إرادة العموم يسمى تخصيصا، وقد ذكر الأصوليون أنواع المخصصات، وقُسمت للمخصصات متصلة، ومخصصات منفصلة، فإن الاحتراس يقتصر على ما كان متصلاً، وهو على أنواع:

الأول: الاستثناء: وهو إخراج بعض أفراد العام عن حكم النص بإلا وأخواتها، ويشترط لصحة إعمالها كمخصص:

- أن يكون الاستثناء متصلاً.
- أن لا يتراخى المستثنى عن المستثنى منه.
- أن لا تكون إلا بمعنى غير، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

---

(١) البحر المحيط، للزركشي، راجعه عمر الأشقر، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ (٣: ٥).

(٢) المرجع السابق.

ومثال الاحتراس الذي خصص بالاستثناء، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾، فلاستثناء هنا أخرج من ﴿ مَن كَفَرَ ﴾ من كان كفره بسبب الإكراه، وقلبه مطمئن بالإيمان، وقصر الحكم على من كفر باختياره ورضاه.

الثاني: الشرط: «وهو ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود، ولا عدم لذاته»(١).

وصيغة كثيرة منها: (إن الشرطية)، و(إذا)، و(من)، و(مهما)، و(حيثما)، و(أينما).

ومثال الاحتراس الذي جاء بأسلوب الشرط، قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞ﴾ [النساء: ١٢]، فالشرط -وجود الولد- قصر نصيب الزوج من نصف التركة إلى ربعها.

الثالث: الصفة: «وهي: كل وصف معنوي يخصص لفظاً عاماً وليس مجرد نعت»، ومثال الاحتراس، الذي جاء صفة قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣].

فتحريم بنت الزوجة، بقوله: ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ مخصص بكون الزوجة مدخولاً بها، وكذلك في زوجة الابن لابد أن يكون ابن الصلب، وليس التبني فقال: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق سيد الجميلي، دار الفكر ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ (١: ١٣٠).

وقد جاء الاحتراس بدفع توهم التخصيص في آيات الأحكام، بجانب دفع التوهم كغرض بلاغي ، من أغراض الاحتراس.

دفع توهم التخصيص:

كما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] لما كان التعبير بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قد يُتَوهَّم منه كون البيان قيدا، وأن الكافرين من غير أهل الكتاب لا يحسدون المسلمين ، عطف عليه قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كالاحتراس؛ وليكون جمعا للحكم بين الجميع(١).

ثانياً: الاشتراك:

عُرف الاشتراك بأنه: «اللفظ المشترك، ما وضع لأكثر من معنى، ولا يتعين المراد منه إلا بقرينة»(٢).

أسباب وجود المشترك:

للاشتراك في اللغة أسباب كثيرة، وليس المقام مقام بسط(٣)، فأكتفي بعرض موجز لأهم الأسباب:

١- اختلاف وضع القبائل للفظ في الدلالة على معنى. فقد تطلق قبيلة لفظاً على معنى معين، وتطلق أخرى معنى أخر.

٢- أن تنقل اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى المجاز؛ لوجود قرينة، ويشتهر استعماله في المجاز حتى يُتناسى أنه مجازي.

---

(١) التحرير والتنوير (١: ٦٥٢).

(٢) التعريفات (ص: ٢١٥).

(٣) ينظر: البحر المحيط، للزركشي (١: ٢٨٩).

٣- أن يكون للفظ دلالة لغوية، ثم يستعمل في الاصطلاح الشرعي ليدل على معنى مخصوص، فيشتهر بين اللغويين أن له معنيين، ويُحمل على المعنى الشرعي لا اللغوي.

٤- أن يكون اللفظ موضوعا لمعنى مشترك بين معنيين، فيصح إطلاق اللفظ على كليهما لوجود هذا القاسم المشترك بينهما، ثم يتناسى ذلك القاسم، ويُعدّ اللفظ من قبيل المشترك.

دفع توهم الاشتراك:

فقد جاء الاحتراس لقطع دلالة احتمال توهم وجود اشتراك بين شيئين، فيأتي الاحتراس ويحدد المراد، وبذلك يزول الاحتمال المتبادر للذهن.

يُسهم الاحتراس في تحديد المعنى، وبيان المراد منه، ويدفع وهم التعدد الناشئ من الاشتراك اللفظي، ومن ذلك الاحتراس الوارد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، حيث أشار محيي الدين شيخ زاده (ت: ٩٥١) إلى نفي الاشتراك فقال: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ يدل عليه التداين ،كما يطلق على المعاملة المشتملة على (الدين) يطلق أيضاً على معنى المجازاة، كما في قولهم: (كما تدين تدان)، فذكر قوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ ليتعين المراد، ولا يذهب الوهم إلى معنى المجازاة»[١].

ثالثاً: المطلق والمقيد:

المطلق: «هو لفظ خاص يدل على فرد شائع في جنسه»[٢].

المقيد: « لفظ دل على بعض مدلول المطلق، مع قيد زائد عليه ،والمراد بالقيد ما يفهم معنى زائدا على ما في المطلق سواء أكان معنويا أو لفظيا»[٣].

---

(١) حاشية محيي الدين زاده (٢: ٦٧٩).

(٢) إحكام في أصول الأحكام (٣: ٥٣).

(٣) المرجع السابق.

وقد أسهم الاحتراس في تقييد المطلق، فلو بقي على إطلاقه لتوهم معنى غير المراد؛ فرفع اللبس، وزال التوهم بالاحتراس، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

فقد جاء الاحتراس بتقييد جنس الرقبة، ودفع توهم الإطلاق؛ بكونها مقيدة بمؤمنة، فلا يجزئ في العتق الرقبة الكافرة.

بيان الحكم الشرعي:

كما أسهم الاحتراس في بيان الحكم الشرعي، ودفع ما يتوهم من سوء الفهم أو اللبس: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

فقد جاء الاحتراس للدفع التوهم وبيان الحكم الشرعي، كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

فقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وبيان المعنى المراد بوجوب قضاء ما فات من صوم رمضان في أيام أخرى.

المطلب الثاني

الاحتراس في آيات الأحكام

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

* الدراسة والتحليل:

جعل الله السعي بين الصفا والمروة من علامات دين الله، ومن مناسك الحج والعمرة، التي تدل على الخضوع لله وعبادته إذعاناً وتسليماً، يعبده عبادة عندهما وما بينهما بالدعاء والذكر، فمن حج البيت أو اعتمر فلا إثم عليه ولا خوف من الطواف بهما ونفي الإثم والحرج أو الجناح عن السعي.

روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال: «كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

وعن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة رضي الله عنها وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فلا أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، إنما أُنزلت هذه الآية في الأنصار: كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قدير[1]، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل

---

(١) وادي من أودية الحجاز بين مكة والمدينة.

الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨][(١)].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿خَيْرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾؛ فلو لم تذكر لتوهم أن حج وعمرة النافلة يسقط عنه السعي، فلما جاء الاحتراس زال الالتباس، فيشتمل نفي ورفع الحرج عن الفرض والنفل.

ذكر الألوسي (ت: ١٢٧٠) الاحتراس الوارد في الآية الكريمة بقوله: «وفائدة ﴿خَيْرًا﴾ ، على الوجهين مع أن التطوع لا يكون إلا كذلك، والتنصيص بعموم الحكم بأن من فعل خيراً، أي خير كان، يثاب عليه، أومن تبرع تبرعاً خيراً، أو بخير أو آتيا بخير من السعي فقط بناءً على أنه سنة والجملة حينئذ تكميل لدفع ما يتوهم من نفي الجناح من الإباحة، وفائدة التنصيص بخيرية الطواف دفعاً لحرج المسلمين»[(٢)].

وهذا المعنى الذي ذكره الألوسي أشار إليه غير واحد من المفسرين، فقال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾. قيل: يطوف بينهما في حجه تطوع ،أو عمرة تطوع»[(٣)].

وكذلك يرى الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧) حيث قال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة أو طواف»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، (٢٥) كتاب الحج، (١٠)باب يفعل في العمرة ما يُفعل في الحج رقم (١٦٩٨)، ومسلم في (١٥) كتاب الحج (٤٣) باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به حديث رقم (١٢٧٧، ١٢٧٨).

(٢) روح المعاني (١: ٤٢٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١: ٤٧٦) بتصرف يسير.

(٤) السراج المنير (١: ١٧٠).

ومن النصوص السابقة يَتبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة وقد دل المعنى عليه وإن لم يذكره المفسرون.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

* الدراسة والتحليل:

جاءت هذه الآية الكريمة مبينة لسبب انتفاء الحرمة لمن ألجأته الضرورة، للأكل مما حرم الله تعالى، ولأن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم من أن يلقوا أنفسهم إلى الهلاك مختارين.

* موقع الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، والمعنى أن من اضطر إلى أكل ما حرم الله تعالى فلا أثم عليه، فلو وقفت الآية عند هذا الحد، لتوهم أن الحرمات في هذه الآية ليست في باب التحريم، وأقصى ما تدل عليه الكراهة، فجاء الاحتراس بفاصلة الآية، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ،فلا إثم عليه ليس لإزالة التحريم، ولكن لأن الله تعالى رحيم بعباده.

ولم أر من المفسرين من أشار إلى الاحتراس أو مقصده بدلالةٍ واضحة. قال الخطيب الشربيني: (ت: ٩٧٧) ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ،أي: لا حرج عليه في كل ما ذكر، ليس لانتفاء الحرمة؛ لكن لأن الله غفور رحيم»[١].

---

(١) السراج المنير (١: ١٨٠).

وألمح نظام الدين النيسابوري (ت: ٧٢٨) إلى هذا المعنى فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، إن المقتضي للحرمة قائم، إلا إذا زالت الحرمة لوجود العارض، فلما كان تناول ما حصل منه المقتضى للحرمة، وذكر بعد المغفرة أنه رحيم، يعني لأجل الرحمة أبحت لكم ذلك أو لعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة»[1].

ولم أظفر إلا بهاتين الإشارتين، ولعل الحكمة من تذييل الآية بـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ دفع لتوهم العقوبة، التي قد تلحق بمن استحل المحرم، وأكل وزاد في حد الاضطرار، وقريب من هذا ما ذكره الثعلبي (ت:٤٢٧) حيث قال: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، لمن أكل من الحرام في حال الاضطرار ﴿رَّحِيمٌ﴾ به حيث رخص له في ذلك» والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية لبيان ما فرض الله على عباده في الصيام، وقد فرض الله الصيام عليكم في أيام معدودات، ولم يكلفكم في الصوم ما لا تطيقون، فمن كان منكم مريضاً مرضاً يضر الصوم معه، أو كان على سفر فله أن يفطر ويقضي الأيام التي أفطرها بعد برئه من المرض، أو رجوعه من السفر.

أما المقيم غير المريض الذي لا يستطيع الصوم إلا بمشقة لعذر دائم كالشيخوخة أو

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (١: ٤٧٣).

مرض لا يُرجى برؤه فله أن يُفطر، وعليه أن يطعم مسكيناً عن كل يوم، ومن صام متطوعاً زيادة عن الفرض فهو خير له.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ﴾ ،لما ذكر الله فرض الصيام قد يتوهم متوهم أن الصيام على التخير وقد كان كذلك، من شاء صام ومن شاء أفطر، فجاء الاحتراس بدفع التوهم وأن من اضطر للفطر في عذر معين، فيقضي ما أفطره، وبذلك يَتبَيَّن المراد.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ معناه: ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه، أو يؤذيه، أو كان على سفر، فله أن يفطر، فإذا أفطر فعليه عدة ما أفطره في السفر من أيام.

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى هذا المعنى، فقال الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧) ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ كرر ؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ أي: يريد أن ييسر»[١].

ويتابع أبو السعود (ت:٩٨٢) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: «فعدة من أيام أخر أي فعليه صيام أيام آخر؛ لأن المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك ؛ لئلا يتوهم نسخة كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الترخيص»[٢].

فقول أبو السعود : (لئلا يتوهم نسخة) ،دلالة على استمرار الحكم الذي لم يكن يتضح إلا بوجود الاحتراس.

---

(١) السراج المنير (١: ١٣٨).

(٢) إرشاد العقل السليم (١: ٢٠٠).

ويرى الألوسي (ت:١٢٧٠): « ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ مخصصا بالنظر إلى المريض والمسافر كليهما، وعلى الأول مخصص بالنظر إلى الأول دون الثاني، وتكريره حينئذ لذلك التخصيص أو لئلا يتوهم نسخه»[1].

ويلمح ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى معنى الاحتراس فيقول: «وإنما قال تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ، ولم يقل: فصيام أيام أخر، تنصيصاً على وجوب صوم أيام بعدد أيام الفطر في المرض والسفر؛ إذ العدد لا يكون إلاّ على مقدار مماثل»[2].

ومما سبق يَتبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية وقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم، ودفع توهم رخصة التخيير بين الصيام والفطر.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة:١٩٦].

هذه الآية تناظرها آية أخرى في موقع الاحتراس وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

*** الدراسة والتحليل:**

يقول الحقّ جَلّ جلاله: فإذا حصل لكم الأمن من المرض أو العدو، أو أردتم الحج ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ منكم ﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ بأن قدَّم العمرة في أشهر الحج، ثم حجّ من عامه،

---

(١) روح المعاني (٢: ٦٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢: ٢١٦).

فالواجب عليه ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾؛ شاة فأعلى؛ لكونه تمتَّعَ بإسقاط أحد السَّفَرَيْن، ولم يُفرِد لكل عبادة سفراً مخصوصاً. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي، ولم يقدِر على شرائه، فعليه ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ في زمن ﴿ٱلْحَجِّ﴾، وهو زمنُ إحرامه إلى وقوفه بعرفة، فإن لم يصم في ذلك الزمان صام أيام التشويق. ثم يصوم سبعة أيام إذا رجَع إلى مكة أو إلى بلده. فتلك ﴿عَشَرَةٌ﴾ أيام ﴿كَامِلَةٌ﴾ ، ولا تتوهموا أن السبعة بدل من الثلاثة، فلذلك صَرَّحَ الحقّ تعالى بفَذْلَكة الحساب.

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل الصيام لمن لم يجد ما يسوق من الهدى، وبين كيفية الصيام، قد يتبادر إلى الأذهان إنها ليست عشرة، ويُجزئ أقل من ذلك، أن بعض العرب يستعملون عدد السبعة للكثرة في الآحاد، فجاء الاحتراس ؛ لئلا يتوهم السامع ذلك قال: ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ لدفع التوهم، وأن المراد العشرة كاملة غير منقوصة.

أشار غير واحد من العلماء أن كاملة جاءت لدفع توهم أن العشرة ليست كاملة نُقل عن المبرد (ت:٢٨٥) أنه قال: «تأكيد لدفع توهم أن يكون بقي شيء مما يجب صومه» وكذلك يرى الزجاج (ت:٣١١) قد يتوهم متوهم أن المراد التخيير بين صوم ثلاثة أيام في الحج أو سبعة أيام إذا رجع إلى بلده بدلاً من الثلاثة، أزيل ذلك بتجلية المراد بقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾[(١)].

ورأي الزجاج تابعه عليه غير واحد من المفسرين[(٢)] وقد عدّها الثعلبي (ت:٤٢٧): «من

---

(١) معاني القرآن للزجاج (١:١٥٦).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس(١:١٢٦)، والكشاف (١: ٢٦٤)، و السراج المنير (١:١٩٢).

التوكيد»[١]، ويرى ابن عطية (ت:٥٤٢): «ولما جاز أن يتوهم متوهم التخيير بين ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع أزيل ذلك بالجملة من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[٢].

وقد فصل الرازي (ت:٦٠٦) تفصيلا أنقله عنه لأهميته حيث قال: «فقد طعن الملحدون لعنهم الله فيه من وجهين أحدهما: أن المعلوم بالضرورة أن الثلاثة والسبعة عشرة فذكره يكون إيضاحاً للواضح والثاني: أن قوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ يوهم وجود عشرة غير كاملة في كونها عشرة وذلك محال، والعلماء ذكروا أنواعاً من الفوائد في هذا الكلام الأول: أن الواو في قوله: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ ،ليس نصاً قاطعاً في الجمع بل قد تكون بمعنى أو كما في قوله: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] ،وكما في قولهم: جالس الحسن وابن سيرين أي جالس هذا أو هذا، فالله تعالى ذكر قوله: ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ إزالة لهذا الوهم النوع الثاني: أن المعتاد أن يكون البدل أضعف حالاً من المبدل كما في التيمم مع الماء، فالله تعالى بين أن هذا البدل ليس كذلك، بل هو كامل في كونه قائماً مقام المبدل ليكون الفاقد للهدي المتحمل لكلفة الصوم ساكن النفس إلى ما حصل له من الأجر الكامل من عند الله، وذكر العشرة إنما هو لصحة التوصل به إلى قوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ كأنه لو قال: تلك كاملة، جوز أن يراد به الثلاثة المفردة عن السبعة، أو السبعة المفردة عن الثلاثة، فلا بد في هذا من ذكر العشرة، ثم اعلم أن قوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ ،يحتمل بيان الكمال من ثلاثة أوجه أحدها: أنها كاملة في البدل عن الهدي قائمة مقامه وثانيها: أنها كاملة في أن ثواب صاحبه كامل مثل ثواب من يأتي بالهدي من القادرين عليه وثالثها: أنها كاملة في أن حج المتمتع إذا أتى بهذا الصيام يكون كاملاً، مثل حج من لم يأت بهذا التمتع.

---

(١) الكشف والبيان (٢: ١٨٠).

(٢) المحرر الوجيز (١: ٢٥٦).

النوع الثالث: أن الله تعالى إذا قال: أوجبت عليكم الصيام عشرة أيام، لم يبعد أن يكون هناك دليل يقتضي خروج بعض هذه الأيام عن هذا اللفظ، فإن تخصيص العام كثير في الشرع والعرف، فلو قال: ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم، بقي احتمال أن يكون مخصوصاً بحسب بعض الدلائل المخصصة، فإذا قال بعده: تلك عشرة كاملة فهذا يكون تنصيصاً على أن هذا المخصص لم يوجد ألبتة، فتكون دلالته أقوى واحتماله للتخصيص والنسخ أبعد»(١).

ومن ما سبق يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية والمقصد الذي جاء به وهو التأكيد على الحكم، الذي حمل التيسير على الأمة.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

*** الدراسة والتحليل:**

أمر الله النبي ﷺ أن يقول للمشركين(٢): إن القتال في الشهر الحرام أمر كبير في نفسه، وجُرم عظيم، ولكنه إذا ارتكب لإزالة ما هو أعظم منه، كان له ما يبرره، وإن ما فعله

(١) مفاتيح الغيب (٥: ٢٩٦).

(٢) بَعَثَ الرسول عبدالله بن جحش على سرية وأمرها بأمر، فلقيت السرية ابن الحضرمي فقتلته، ولم يعرف رجال السرية إن كان ذلك اليوم من رجب أومن جمادى الآخرة، فقال المشركون: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله هذه الآية.

المشركون من الكفر بالله، والصد عن سبيله، ومحاولة فتنة المسلمين عن دينهم بالتعذيب والتهديد، وإخراج المسلمين من مكة، كل ذلك أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.

قد كان المشركون يفتنون المسلمين عن دينهم بالتعذيب والإخافة ليردوهم إلى الكفر، وهذا أكبر عند الله من القتل، وهم ما زالوا مقيمين على الكفر، وعلى محاولة فتنة المسلمين ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ويهدد الله من يضعف من المسلمين أمام محاولاتهم فيرتد عن دينه ثم يموت وهو كافر بالعذاب الأليم في نار جهم وبحبوط عمله في الدنيا والآخرة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في الآية الكريمة أكثر من احتراس: الأول في قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ،لما سئل النبي ﷺ عن القتال عموماً جاء الجواب أن القتال فيه كبير حتى لا يتوهم أن الحرمة خاصة بهذا الشهر دون بقية الشهور؛ فلو لم يرد الجواب عن بإعادة لفظ القتال لتوهم أن الشهر الحرام هو الكبير، فلما جاء الاحتراس زال اللبس واتضح المعنى المراد.

وقد أشار إلى معنى الاحتراس غير واحد من المفسرين، ومن أروع من ذكر المقصد من الاحتراس ما ذكره شَيْخُ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨) فقال: «قَوْله تَعَالَى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ ، مِنْ بَابِ بَدَلِ الاشتمال... فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْفَائِدَةُ فِي إعَادَةِ ذِكْرِ الْقِتَالِ بِلَفْظِ الظَّاهِرِ وَهَلَّا اكْتَفَى بِضَمِيرِهِ فَقَالَ: هُو كَبِيرٌ؟ قِيلَ: فِي إعَادَتِهِ بِلَفْظِ الظَّاهِرِ بَلَاغَةٌ بَدِيعَةٌ وَهُو تَعْلِيقُ الْحُكْمِ الْخَبَرِيِّ بِاسْمِ الْقِتَال فِيهِ عُمُومًا وَلَو أَتَى بِالْمُضْمَرِ فَقَالَ: هُو كَبِيرٌ لَتَوَهَّمَ اخْتِصَاصُ الْحُكْمِ بِذَلِكَ الْقِتَالِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ وَإِنَّمَا هُو عَامٌّ فِي كُلِّ قِتَالٍ وَقَعَ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ»[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٤: ٨٨).

ويتابع ابن القيم (ت:٧٥١) شيخ الإسلام فيقول:«ولو أتى بالمضمر وقال هو كبير لتوهم اختصاص الحكم بذلك القتال المسئول عنه وليس الأمر كذلك وإنما هو عام في كل قتال وقع في شهر حرام»(١).

كما ألمح أبو السعود (ت: ٩٨٢) للاحتراس، بذكر أحد نظائره وهو (الاحتراز) حيث قال: «﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾، بدل اشتمال من الشهر وتنكيره لما أن سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود، ولذلك لم يقل: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ،إنما أوثر التكبير احترازا عن توهم التعيين ،وإيذانا بأن المراد مطلق القتال الواقع فيه أي قتال كان»(٢).

يشير أبو السعود للاحتراس عندما قال: «احترازا عن توهم التعيين» ،فهو يرى أنه لو لم يأتِ الاحتراس لتوهم عكس المراد، وتبادر إلى الذهن أن الحكم الخاص.

ويتابع ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) مَنْ سَبَقَهُ في بيان المراد من الاحتراس فيقول: «وتنكير ﴿قِتَالٌ﴾ ،مراد به العموم، إذ ليس المسؤول عنه قتالاً معيناً ولا في شهر معين.

وقوله: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، إظهار لفظ القتال في مقام الإضمار ليكون الجواب صريحاً، حتى لا يتوهم أن الشهر الحرام هو الكبير، وليكون الجواب على طبق السؤال في اللفظ»(٣).

يرى ابن عاشور أن الاحتراس إنما جاء لدفع توهم الخصوص، وأن الآية عامة في القتال.

---

(١) بدائع الفوائد (٣: ٦٨).

(٢) إرشاد العقل السليم (١:٢٦١).

(٣) التحرير والتنوير (٢:٣٢٥).

ومن العرض الموسع في بيان الاحتراس يتأكد وقوعه في الآية الكريمة، وأنه جاء لدفع توهم الخصوص، وأن الحكم عام.

وبذلك يوافق الاحتراس قاعدة من قواعد الترجيح وهي: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم، ما لم يرد نص بالتخصيص)[1]، وقد أسهم الاحتراس في تعزيزها، كما أسهم في إيضاح المعنى المراد.

الاحتراس الثاني في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ ،لما ذكر الله عز وجل حرص الكفار الدائم على رد المسلمين عن دينهم، والكيد الدائب في سبيل ذلك، فقد يتوهم متوهم أن مع هذا الحرص المتواصل أن تلين قناة المسلمين، فجاء الاحتراس بقوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ ،فليس لهم القدرة المطلقة في التأثير سواء بالإقناع أو بالقتال.

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى هذا المعنى[2] ،وأن المراد بأن ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ إن قدروا، وفيه أشارة إلى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل: وأنى لهم ذلك وهو كقول الرجل لعدوه: إن ظفرت بي، فلا تبق عليّ ولا ترحمني. وهو واثق بأنه لا يظفر به. قال السمرقندي (ت: ٣٧١): ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ أي: إن قدروا على ذلك ولكنهم لا يقدرون عليه»[3].

ويقف الحديث ابن عاشور حيث صَرَّحَ بوجود الاحتراس فقال: «قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ تعريض بأنهم لا يستطيعون رد المسلمين عن دينهم، فموقع هذا الشرط

(١) ينظر: قواعد الترجيح، حسين الحربي (٢: ٥٢٧)، قواعد التدبر الأمثل عبدالرحمن الميداني، (ص: ٥٩)، قواعد التفسير، خالد السبت (٢: ٥٤٦).

(٢) ينظر: الكشاف (١: ٢٥٦)، ولباب التأويل (١:٢٠٧)، ومفاتيح الغيب (٣:٢١٦)، وأنوار التنزيل (١: ٥٠٢).

(٣) بحر العلوم (١: ١٦٩).

موقع الاحتراس مما قد توهمه الغاية في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾،لهذا جاء الشرط بحرف (إن) المشعر بأن شرطه مرجو عدم وقوعه»[(١)].

ومما مضى يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة وقد أسهم الاحتراس في إيضاح المعنى ودفع اللبس عنه،كما أسهم في تثبيت المؤمنين على دينهم.

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

*** الدراسة والتحليل:**

يسألك المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر وقد كانا مستعملين في الجاهلية وأول الإسلام، فكأنه وقع فيهما إشكال، فلهذا سألوا عن حكمهما، فأمر الله تعالى نبيه، أن يُبين لهم منافعهما ومضارهما، ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما، وتحتيم تركهما.

فأخبر أن إثمهما ومضارهما وما يصدر منهما من ذهاب العقل والمال، والصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، والعداوة، والبغضاء أكبر مما يظنونه من نفعهما، من كسب المال بالتجارة بالخمر، وتحصيله بالقمار والطرب للنفوس، عند تعاطيهما، وكان هذا البيان زاجرا للنفوس عنهما، لأن العاقل يرجح ما ترجحت مصلحته، ويجتنب ما ترجحت مضرته، ولكن لما كانوا قد ألفوهما، وصعب التحتيم بتركهما أول وهلة، قدم هذه الآية، مقدمة للتحريم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ،لما بين الله عز وجل

(١) التحرير والتنوير (٢: ٣٣١).

حُكم الخمر والميسر وذكر أن فيهما منافع، قد يتوهم متوهم أن ذلك على الإطلاق، فجاء الاحتراس وأزال ذلك الوهم بين أن فيهما أثم أكبر من النفع.

قد أشار غير واحد من المفسرين للمعنى الذي جاء به الاحتراس، فقال القرطبي (ت:٦٧١): «﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾، أعلم الله عز وجل أن الإثم أكبر من النفع، وأعود بالضرر في الآخرة، فالإثم الكبير بعد التحريم، والمنافع قبل التحريم»[(١)].

فعبارة القرطبي تلك تحمل معنى الاحتراس، فلو لم يبين الله عز وجل للناس الإثم الأكبر لتوهم أن فيهما منافع ومضار لكن متساوية، أولا تعود بالضرر على الآخرة، فكان ذلك مدعاة للاحتراس لبيان ذلك والعلة في التدرج في التحريم.

كما يذكر البيضاوي (ت: ٦٨٥) ما يدل على الاحتراس فيقول: « أي المفاسد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل إنها المحرمة للخمر لأن المفسدة إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل»[(٢)].

وكذلك يرى ابن كثير (ت:٧٧٤): حيث قال: «أما إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية»[(٣)].

ويتابع أبو السعود: (ت: ٩٨٢) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: «﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ ،أي: المفاسد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة عليه»[(٤)].

ويتبن مما مضى من عبارات المفسرين ما يدل على الاحتراس بالتضمين لذكر العلة من التحريم والتي هي سبب وجود الاحتراس. وقد أسهم في دفع التوهم عن طريق

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣: ٤٤٥).

(٢) أنوار التنزيل (١: ٥٠٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١: ٥٧٩).

(٤) إرشاد العقل السليم (١: ٢٦٣).

التفكر في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا يختار النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم.

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٣].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله عز وجل المؤمنين في هذه الآية فيقول:أن نساؤكم ﴿حَرْثَكُمْ﴾ ،مكان زرعكم وموضع نسلكم،فأتوا نساءكم كيف شئتم ومن أي وجهٍ أحببتم بعد أن يكون في موضع النسل والذرية. وقدموا -أيها الناس المؤمنون- لأنفسكم صالح الأعمال وراقبوا الله وخافوه في تصرفاتكم، واخشوا يوماً تلقون فيه ربكم فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته وبشر المؤمنين بالكرامة والسيادة والنعيم المقيم في دار الكرامة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾، لدفع ما يتوهم من صحة ما كان يقوله اليهود للمسلمين. رُوِيَ أن اليهود كانوا يقولون: مَنْ جامع امرأته مِنْ خَلْفهَا في قُبُلِهَا جَاء الولُد أَحْولَ، فذُكر لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية. فلما جاء الاحتراس زال التوهم، وتَبَيَّنَ المراد.

وقد صَرَّحَ الزركشي (ت: ٧٩٤): «قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ ، لأنه لما كان يحتمل معنى كيف وأين احترس بقوله: ﴿حَرْثَكُمْ﴾ ،لأن الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور وينبت الزرع وهو المحل المخصوص»[1].

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٧).

فقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ﴾ متصل بقوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ ؛ لأنه بيان له وما بينهما اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الأدبار.

قوله: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: من أي وجه شئتم وذلك أن ﴿أَنَّىٰ﴾ في كلام العرب كلمة تدل إذا ابتدىء بها في الكلام على المسألة عن الوجوه والمذاهب، كما قال تعالى مخبراً عن زكريا في مسألته مريم: ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وهي مقاربة (أين) و(كيف) في المعنى ولذلك تداخلت معانيها فأشكلت ﴿أَنَّىٰ﴾، على سامعها ومتأولها حتى تأولها بعضهم بمعنى (أين)، وبعضهم بمعنى (كيف)، وآخرون بمعنى (متى) وهي مخالفة لجميع ذلك في معناها، وهن لها مخالفات، وذلك أن (أين) إنما هي حرف استفهام عن الأماكن والمحال، وإنما يستدل على افتراق معاني هذه الحروف بافتراق الأجوبة عنها فيكون ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ محمولاً على التخيير في الكيفيات.

ومما سبق يَتبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة ودفع التوهم بأسلوب الكناية المهذبة، المبرأة عن كل ما يخدش الحياء.

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:٢٣٣].

*** الدراسة والتحليل:**

يبين الله عز وجل في هذه الآية حكم من أحكام المطلقات فعلى الوالدات إرضاع أولادهن مدة سنتين كاملتين لمن أراد إتمام الرضاعة، ويجب على الآباء أن يكفُلوا للمرضعات المطلقات طعامهن وكسوتهن، على الوجه المستحسن شرعًا وعرفًا؛ لأن الله لا يكلف نفسًا إلا قدر طاقتها.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ ،لما حدد الله تعالى مدة الرضاع، وأنه محدد بحولين أتبعه بالتأكيد على تمامها وهما ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ ؛ لئلا يتوهم متوهم إنما يراد ما زاد عن الحول، وإن لم يبلغ الحولين.

وقد اتفق المفسرون والفقهاء على أن حولين إنما جاءت لدفع التوهم، وإزالة اللبس فقال ابن جزي (ت: ٧٤١): «وإنما وصفهما بكاملين ؛لأنه يجوز أن يقال في حول وبعض آخر حولين فرفع ذلك الاحتمال»(١).

قول ابن جزي السالف يدل على وقوع الاحتراس لكونه يرفع الاحتمال، إذ أن رفع الاحتمال إنما هو الاحتراس فمن أولى مقاصد الاحتراس إزالة اللبس.

ويرى أبو حيان (ت: ٧٤٥) أن موقع الاحتراس إنما جاء لدفع توهم المجاز فقال: «وصف الله تعالى الحولين بالكمال ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ ،دفعاً للمجاز الذي يحتمله ذكر الحولين، إذ يقال: أقمتُ عند فلان حولين وإن لم يستكملهما»(٢).

ويتابع أبو السعود (ت:٩٨٢) مَنْ سَبَقَهُ على هذا الرأي فيقول: «لتأكيد بصفة الكمال لبيان أن التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة»(٣).

فقوله: «تحقيقي لا تقريبي» فيه إشارة لدفع التوهم.

ومما سبق يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة واتفاق العلماء على ذلك والنصوص أكبر من أن يحصرها هذا المقام، لذا أكتفي بالإحالة إلى بعض منها(٤).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١: ١٥٤).

(٢) البحر المحيط (٢: ٣٣٨).

(٣) إرشاد العقل السليم (١: ٢٧٦).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل (١: ٥٢٤)، و لباب التأويل (١: ٢٣٤)، وتفسير ابن عرفة (٢: ٦٧١)، والسراج المنير (١: ١٧٢).

وقد أسهم الاحتراس في إزالة التوهم عن المراد بالحولين وإثبات الحكم في بيان أقصى فترة للرضاع.

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

* الدراسة والتحليل:

جاءت هذه الآية الكريمة لبيان تشريع إسلامي محكم في أمر أحد المعاملات في المجتمع وهو الدَين حيث يأمر سبحانه بكتابة الدَين وتوثيقه وعدم تركه، خاصة إذا كان المتعامل به تاجراً له معاملات وديون له، فيأمره الله عز وجل بالتوثيق بالحق للمحافظة على حقوق الناس في معاملاتهم.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿بِدَيۡنٍ﴾ لما ذكر الله عز وجل التداين ربما يتوهم متوهم أن المراد المجازة؛ لأن الدين قد يُطلق على العوض، فلما جاء الاحتراس اندفع هذا التوهم، ولم يبق إلا الدين.

والمعنى الذي جاء به الاحتراس اتفق عليه غير واحد من المفسرين[1] على اختلاف في تبيّين الاحتراس، وقد أجمل ابن عادل (ت: ٨٨٠) جمع ما ذكره المفسرون في سبب وجود الاحتراس، أنقله هاهنا لكونه جامعاً وشاملاً حيث قال: «فما الفائدة في قوله: ﴿بِدَيۡنٍ﴾، فالجواب من وجوه:

(١) ينظر: الكشاف (١: ٣٢٠)، والبحر المحيط (٢: ٥٥٣)، وإرشاد العقل السليم (١: ٣١٩)، وحاشية محيي الدين زاده (٢: ٦٧٩)، وروح المعاني (٢: ٥٤)، والتحرير والتنوير (٣: ٩٩).

أحدها: التَّداين يكون لمعنيين: (التَّداين بالمال)؛ و(التَّداين بمعنى المجازاة) من قولهم: «كَمَا تَدِينُ تُدَانُ» فذكر الدين لتخصيص أحد المعنيين.

الثاني: قال الزَّمخشريُّ: وإنَّما ذكر الدَّين؛ ليرجع الضمير إليه في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ إذ لو لم يذكر، لوجب أن يقال: فاكتبوا الدُّين.

الثالث: ذكره ليدلّ به على العموم، أي: أي دين كان من قليلٍ، أو كثيرٍ من قرضٍ، أو سلمٍ، أو بيع دين إلى أجل.

الرابع: أنَّه تبارك وتعالى ذكره للتَّأكيد كقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] ،وقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

الخامس: إنَّ المداينة مفاعلة، وهي تتناول بيع الدَّين بالدَّين وهو باطلٌ، فلو قال: إذا تداينتم لبقي النص مقصوراً على بيع الدين بالدين وهو باطلٌ، فلو قال إذا تداينتم لبقي النص مقصوراً على بيع الدين بالدين وهو باطل فلما قال: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ كان المعنى: إذا تداينتم تداينًا يحصل فيه دين واحد وحينئذٍ يخرج عن بيع الدّين بالدين، ويبقى بيع العين بالدّين أو بيع الدّين بالعين، فإن الحاصل في كلٍّ واحدٍ منهما دين واحد لا غير.

فإن قيل: إن كلمة «إِذَا» لا تفيد العموم، والمراد من الآية العموم؛ لأن المعنى كلَّما تداينتم بدين فاكتبوه، فلم عدل عن كلما وقال: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم ﴾.

فالجواب: أنَّ كلمة «إِذَا»، وإن كانت لا تقتضي العموم إلا أنَّها لا تمنع عموم، وهاهنا قام الدَّليل على أنَّ المراد هو العموم؛ لأنه تعالى بين العلَّة في الأمر بالكتابة في آخر الآية، وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ﴾ ، والمعنى إذا وقعت المعاملة بالدّين، ولم يكتب فالظَّاهر أنه تنسى الكيفيَّة فربَّما توهم الزِّيادة، فطلب الزِّيادة ظلماً، وربَّما توهم النُّقصان، فترك حقَّه من غير حمد ولا أجر فأمَّا إذا كتب كيفيَّة

الواقعة أمن من هذه المحذورات، فلمّا دلَّ النَّصُّ على أن هذا هو العلَّة، وهي قائمةٌ في الكلّ كان الحكم أيضاً حاصلاً في الكلِّ»[١].

ومما سبق يَتبَيَّن من عبارات ابن عادل أنها حوت الإشارات المتفرقة للعلماء في تخريج الاحتراس، فيرى بعضهم أن موقع الاحتراس إنما جاء لدفع توهم المجاز، وقال آخرون: إنه من باب التوكيد، وأنه من باب دفع توهم الاشتراك.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٥].

*** الدراسة والتحليل:**

هذا خطاب لمجموع الأمة والنهي فيه شامل لكل مال يعطى لأي سفيه، فالله تعالى يأمر الناس بإعطاء كل يتيم ماله إذا بلغ، وكل امرأة صداقها، إلا إذا كان أحدهما سفيهاً لا يحسن التصرف في ماله، فعلى المسؤولين عن المال أن لا يعطوه منه ؛ لئلا يبذره، وأن يحفظوه له حتى يرشد. وقد جعل الله الأموال للناس لتقوم بها معاشاتهم وتجارتهم، وتثبت بها منافعهم ومرافقهم. فمرافقهم ومصالحهم العامة لا تزال ثابتة قائمة ما دامت أموالهم في أيدي الراشدين المقتصدين منهم، الذين يحسنون تثميرها.

وعلى الولي أن ينصح اليتيم الصغير أو السفيه وأن يبين له ما فيه خيره ومصلحته، وأن يحثه على ترك الإسراف والتبذير، وأن يعامله بالرفق والإحسان والكلمة الطيبة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ ،لما كان السياق القرآني

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٤ : ٢٧٧).

تحدث عن دفع الأموال إلى أصحابها، حيث ذكرت الآيات السابقة دفع أموال اليتامى، ثم إعطاء النساء أموالهن المستحقة لهن بالصداق، قد يتبادر للذهن أن الحقوق المالية يجب أن تؤدى إلى أصحابها بغض النظر عن أحوالهم، جاء الاحتراس فقيد الإطلاق، وبين أن من أصحاب الأموال وهم السفهاء يجب أن لا تدفع لهم أموالهم لأنهم لا يحسنون التصرف فيها، وبذلك يزول التوهم، ويَتَبَيَّن المعنى المراد.

وقد أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى مقصد الاحتراس دون التصريح بذكر المصطلح فقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ عطف على قوله: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤]؛ لدفع توهّم إيجاب أن يؤتى كلّ مال لمالكه من أجل تقدّم الأمر بإتيان الأموال مالكيها مرّتين في قوله: ﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ و﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ [النساء: ٢]»[(١)].

ويُفند القرطبيُّ (ت: ٦٧١) المسألة من الجانب الفقهي فيقول: «دلَّتْ هذه على جواز الحجر على السَّفيه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ فأثبت الولاية على السَّفيه كما أثبتها على الضَّعيف، والمراد بالضَّعيف في الآية، الضَّعيف في الْعَقْلِ لصغرٍ أو مرض»[(٢)].

في النص السابق دلالة واضحة لفهم القرطبي لمعنى الاحتراس، والولاية على السفيه في المال حتى لا ينفقها في غير وجهها يُعدّ طيشاً يستحق به الحجر على تصرفاته سواء لحقه أم لحق غيره[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير (٤: ٢٣٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦: ٥٤).

(٣) ذكرت كتب الفقه أنواع الحجر وهو نوعان الحجر لحق نفسه، والحجر لحق غيره، اتفقوا على أن الأسباب الموجبة للحجر الصغر والسفه والجنون.

وقد أفاض الفقهاء في الحديث عن أحكام الحجر على السفيه، وليس المقام مقام بسطها، وأكتفي بعرض موجز لذلك، عُرف السفه بأنه: «خفة تعتري الإنسان فتحمله على العمل بخلاف موجب العقل و الشرع مع قيام العقل حقيقة، والمراد به هنا ما يقابل الرشد: وهو تبذير المال وإنفاقه في غير حكمة.

والسفه لا يؤثر في الأهلية فيظل السفيه كامل الأهلية، لكنه يمنع من بعض التصرفات.

كما اتفق الفقهاء على أنّ الصبي إذا بلغ سفيهاً يمنع عنه ماله، ويظل تحت ولاية وليه، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ [النساء: ٥]، ويستمر هذا المنع أبداً عند جمهور الفقهاء، حتى يتحقق رشده لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء:٦٤]»(١).

ومما سبق يتأكد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة ،وقد أسهم في زوال اللبس واتضاح المعنى المراد.

الآية الحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧].

*** الدراسة والتحليل:**

كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار، ولا يورثون النساء ولا الأطفال، بحجة أنهم لا يتحملون أعباء الحروب، فأبطل الله تعالى هذا التعامل الجائر، وجعل الرجال والنساء والأطفال سواء في الميراث، وجعل الله الميراث حقاً معيناً مقطوعاً ليس لأحد أن ينقص منه شيئاً، ولا أن يُحابي.

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلّته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت،الطبعة الرابعة، (٤ : ٤٨٥).

* موقع الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ ،لما كان يتوهم من المرأة والطفل لا يرثون ؛بناءً على معتقدهم السائد في الجاهلية، فجاء الاحتراس وأبطل هذا المعتقد الجائر، وبين أن المرأة والطفل، لهم الحق في مال مورثهم، مما قل أو كثر حق واجب، مفروض من الباري عز وجل.

هذا الموقع وهذا الفهم للاحتراس أدركه غالب أهل التفسير، ولم يخالف فيه أحد فكلهم يرى أن ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ ،وأنه لا فرق بينهن وبين الرجال في القرب الذي هو سبب الإرث، وأن الآية مؤكدة تأكيداً ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ ،ثم عرف بأن ذلك على وجه الحتم الذي لا بد منه، فقال مبيناً للاعتناء به بقطعه عن الأول بالنصب على الاختصاص بتقدير أعني: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ أي مقدراً واجباً مبيناً، وهذه الآية مجملة بينتها آية المواريث.

«فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم، وإبطالا لقولهم وتصرفهم بجهلهم، فإن الورثة الصغار كان ينبغي أن يكونوا أحق بالمال من الكبار، لعدم تصرفهم والنظر في مصالحهم، فعكسوا الحكم، وأبطلوا الحكمة فضلوا بأهوائهم، وأخطئوا في آرائهم وتصرفاتهم»(١).

ويُلمح أبو السعود (ت: ٩٨٢) الذي من أجله جيء بالاحتراس فيقول: «مما قل منه أو كثر بدل من ما الأخيرة بإعادة الجار وإليها يعود الضمير المجرور، وهذا البدل مراد في الجملة الأولى أيضاً محذوف للتعويل على المذكور، وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة، كالخيل وآلات الحرب للرجال، وتحقيق أن لكل من الفريقين حقاً من كل ما جل ودق»(٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦: ٧٨).

(٢) تفسير أبي السعود (٢: ١٠٢).

ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): أن ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ «بيان ،لما ترك لقصد تعميم ما ترك الوالدان والأقربون وتنصيص على أن الحق متعلق بكل جزء من المال، حتى لا يستأثر بعضهم بشيء»(١).

«﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل (مما ترك) تكرير العامل و﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ نصب على الاختصاص تقديره أعني نصيباً ومقطوعاً مدراً لا بد لهم أن يحوزوه، أو على المصدر المؤكد كأنه قيل: قسمة مفروضة»(٢).

ومن النصوص السابقة تَبَيَّنَ كيف أسهم الاحتراس في دفع توهم التخصيص وإفادة العموم، بما لا يدع مجالاً للشك أوالوهم.

الآية الثالثة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء:١٠].

*** الدراسة والتحليل:**

يهدد الله تعالى الذين يأكلون أموال اليتامى بدون سبب مشروع، وعلى سبيل الهضم والظلم، ويقول لهم: إنهم إنما يأكلون ما يكون سبباً في إيصالهم إلى نار جهنم يوم القيامة، أو أنهم إنما يأكلون في بطونهم ناراً تتأجج. وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ قَوْلَهُ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ: الشِّرْكَ بِالله، وَالسِّحْرَ، وَقَتْلَ النَّفْسِ التِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ، وَأَكْلَ الرِّبا، وَأَكْلَ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ المُؤْمِنَاتِ»(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (٤: ٢٠٥).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢: ٣٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٥) في كتاب التفسير (٢٤) باب: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ حديث رقم (٢٧٦٦). وأخرجه مسلم (٢) كتاب (٤٠) الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها حديث رقم (٨٩).

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿ظُلْمًا﴾، لما جاءت الآية الكريمة بحُرمة أكل أموال اليتامى ،جاء الاحتراس فقيد الأكل بالظلم ؛ لئلا يتوهم أن من أكل منها بوجه الحق عليه أثم، وبذلك تَبَيَّنَ المراد وزال التوهم.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس بينته آيات أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

فقد بينت السابقة معنى الاحتراس وأخرجت من أكل من أموال اليتامى بالمعروف وأباحت للقَيِم على مال اليتم أن يأكل إن كان فقيرا.

وقد جاء الاحتراس، وخص العذاب بمن يعتدي بغير الحق، وقد ألمح الرازي (ت:٦٠٦) إلى ذلك فقال: «هذا دليل على أن مال اليتيم قد يؤكل ظلما وغير ظلم، ولو لم يكن ذلك لم يكن لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ ،فائدة وهذا يدل على أن للوصي المحتاج أن يأكل من ماله بالمعروف»[1].

و قال ابن عادل (ت: ٨٨٠) : «يدل على أن مال اليتيم قد يؤكل وغير ظلم، وإلاَّ لم يكن لقوله: ﴿ظُلْمًا﴾ ،معنى»[2] وتابعه ابن عجيبة (ت: ١٢٢٣) فقال: «من غير موجب شرعي»[3].

---

(١) مفاتيح الغيب (٩: ١٥٥).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٦: ١٩١).

(٣) البحر المديد (٢: ١٧).

كما وصف ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) موقع الاحتراس فقال: «قوله ﴿ظُلْمًا﴾، حال مقيدة ليخرج الكل المأذون فيه»[(١)].

وعبارات العلماء في الدلالة على موقع الاحتراس أكثر من أن تُعرض في هذا المقام، حيث أورد غير واحد من المفسرين[(٢)] أن الاحتراس (بالظلم) إنما جاء؛ لئلا يتوهم أن من أكل من أموال اليتامى بالمعروف داخلا في الوعيد.

«قد اتفق العلماء أن الآية شملت في النهي عن أكل أموال اليتامى، كل ما فيه إتلاف أو تفويت ،سواءً أكان بأكل حقيقة، أو باختلاس، أو بإحراق، أو إغراق، وهو المعروف عند الأصوليين بالإلحاق بنفي الفارق إذ لا فرق في ضياع مال اليتيم عليه بين كونه بأكل، أو إحراق بنار، أو إغراق في ماء،حتى الإهمال فيه فهو تفويت عليه وكل ذلك حفظا لماله»[(٣)].

الآية الرابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة لتفصيل حكم الآية السابقة والتي تضمنت شرعية التوارث بين الأقارب المسلمين، يأمركم الله تعالى بالعدل في معاملة أبنائكم فإن أهل

---

(١) التحرير والتنوير (٤: ٤٢).

(٢) ينظر على سبيل المثال:أنوار التنزيل (٢: ١٥٢)، وتفسير الجلالين (ص: ٩٩).

(٣) أضواء البيان (ص: ٥٦٥).

الجاهلية كانوا يجعلون الميراث كله للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالمساواة بينهم في الميراث، وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين نظراً لاحتياج الرجل إلى مؤونة النفقة، والكلفة ومعاناة التجارة والكسب.

وتركة الميت لا تقسم بين الورثة إلا بعد أن يخرج منها الدين والوصية التي أوصى بها الميت على أن تكون في الحدود التي عينها الشرع، فهما مقدَّمان على الميراث.

ويقول تعالى إنه إنما فرض للآباء والأبناء نصيباً من الميراث، وجعل لهم جميعاً حقاً في الميراث لأن الإنسان قد يأتيه النفع في الدنيا أو في الآخرة من أبويه أكثر مما يأتيه من أبنائه، وقد يكون العكس هو الصحيح. والذي يعلم ذلك هو الله وحده.

ثم أمر الباري عز وجل بإتباع الوصية المفروضة، ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ ولا تحاولوا أن تفضلوا أحدٌ على أحد، فإن هؤلاء الوارثين آباؤكم وأبناؤكم ولا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً في الدنيا والآخرة، ولذا فاقسموا التركة كما علمكم الله بلا محاباة ،فإن الله تعالى هو القاسم والمعطي، عليم بخلقه وبما ينفعهم أو يضرهم ،حكيم في تدبيره لشؤونهم، فليفوض الأمر إليه، وليرض بقسمته فإنها قسمة عليم حكيم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في الآية الكريمة أكثر من احتراس:

الاحتراس الأول: ﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل نصيب البنت بأن لها النصف أردفه بذكر تعدد الورثة -من الإناث-، فقد يتوهم أن نصيب البنتين فأكثر كنصيب البنت الواحدة من مال مورثها، فجاء الاحتراس ببيان الحكم الشرعي ودفع التوهم الذي قد يلتبس بغيره، باختلاف الحكم واختلاف النصاب.

لم يختلف أحد من المفسرين في مقصد الاحتراس ففاضت عباراتهم في الدلالة علية، وقد أشار السمين الحلبي (ت: ٧٥٦) إلى الاحتراس فقال: ﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ ظرف

في محل نصب صفةً لـ«نساء» وبهذه الصفةِ تحصُل فائدةُ الخبرِ، ولو اقتُصِر عليه لم تَحْصُلْ فائدةٌ، ألا ترى أنه لو قيل: «إن كان الزيدون رجالاً كان كذا لم يَكُنْ فيه فائدةٌ»[(١)].

فقوله: (وبهذه الصفةِ تحصُل فائدةُ الخبرِ) دال على أنه لو لم تذكر تلك الصفة لم تحصل فائدة وبالتالي لا يفهم المعنى المراد، فينشأ الوهم والدخل في المعنى، ولذلك فالصفة جاءت صيانة لجانب المعنى، فكان ذلك الاحتراس.

قال أبو السعود (ت: ٩٨٢): «لما بين حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى، وهو الثلثان ،اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان. ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها الأقوى منها في الاستحقاق»[(٢)].

وقد ذكر السيوطي (ت: ٩١١) ذلك فقال: «﴿ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ فهما أولى ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى ﴿فَوْقَ ﴾ قيل:صلة،وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة»[(٣)].

ويتابع الشنقيطي (ت: ١٣٩٣) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: «صَـرَّحَ تعالى في هذه الآية الكريمة بأن البنات إن كن ثلاثا فصاعدا، فلهن الثلثان وقوله: ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾ ،يُوهم أن الاثنتين ليستا كذلك، وصَرَّحَ بأن الواحدة لها النصف، ويفهم منه أن الاثنتين ليستا كذلك أيضا، وعليه ففي دلالة الآية على قدر ميراث البنتين إجمالا مع الذكر»[(٤)].

---

(١) الدر المصون (٢: ٣١٩).

(٢) إرشاد العقل السليم (٢: ١٠٤).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٩٩).

(٤) أضواء البيان (ص: ١٢٧).

ومن المفسرين من يرى أن الآية فيها تقديم وتأخير، قال ابن عادل (ت: ٨٨٠) :«أنَّ في الآية تقديماً وتأخيراً والتقدير: فإن كُنَّ نِسَاءً اثنتين فما فَوْقَهُمَا فلهن الثُّلثان»[(١)].

والذي يظهر -والله أعلم- أن الآية باقية على ترتيبها عملاً بالقاعدة (القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير، ويؤيد ذلك أن الله عز وجل قال: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾، والنساء جمع وأقل الجمع، وأقلُّ الجمع ثلاثة ففائدة قوله: ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ أنها جاءت للتأكيد.

ويرى أبو حيان (ت:٧٤٥) أنها «صفة للتأكيد ترفع أن يراد بالجمع قبلهما طريق المجاز، إذ قد يطلق الجمع ويراد به التثنية»[(٢)] وقد أسهم الاحتراس في إثبات الترتيب ونفي دعوى التقديم والتأخير.

الاحتراس الثاني في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾.

وموقع الاحتراس قوله: «يُوصِي بِهَا» لما ذكر الله عز وجل تقسيم الأموال وذكر المستحقين لها أتبعه بقوله ﴿يُوصِى بِهَآ﴾ ؛ لئلا يتوهم أنها الوصية بالوارثة لأنه تقدم في الآيات ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ ،فلما جاء الاحتراس بقوله: ﴿يُوصِى بِهَآ﴾ ،انتفى توهم أنها الوصية الواجبة، واتضح وتَبَيَّنَ أنها الوصية المندوبة.

وقد أفاد الاحتراس دفع التوهم وإزالة اللبس، ولفت الأنظار إلى وجه من وجوه البر، «وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة اهتماماً بها وتأكيدا للأمر بها و؛ لئلا يتهاون بها وأخر الدين لأن صاحبه يتقاضاه فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه»[(٣)].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٦: ٢١١).

(٢) البحر المحيط (٣: ٢٥٤).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل(١: ٢٣٨).

ذكر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) هذا المعنى فقال: «وصف الوصية بجملة ﴿يُوصِي بِهَآ﴾ ؛ لئلا يُتوهّم أنّ المراد الوصيّة التي كانت مفروضة قبل شرع الفرائض، وهي التي في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠][(١)].

فقول ابن عاشور: «لئلا يتوهم» فيه إشارة لمقصد الاحتراس، وهو دفع الوهم، كما أن معنى الآية يشير للاحتراس ويدل عليه.

الآية الخامسة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [النساء: ١٢].

وموقع الاحتراس قوله: ﴿أَوۡ دَيۡنٍ﴾، لما ذكر الله عز وجل تقسيم الميراث وأصناف مستحقيه، بيّنَ أن هناك من له حق في المال وإن لم يكن وارثاً، وهم من كانت لهم وصية من الميت، ولو لم يذكر الاحتراس لتوهم أن الوصية هي التي تجب في المال الموروث فحسب، بعد إخراج حق الورثه فلما جاء الاحتراس ﴿أَوۡ دَيۡنٍ﴾ لفت الانتباه إلى أن هناك حقوق أوجب ويجب أن تؤدى وبذلك زال التوهم،وثبت حق الدائن هناك من له في المال وإن لم يكن وارث.

---

(١) التحرير والتنوير (٤: ٢٦١).

وقد ذكر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) الاحتراس فقال: «موقع عطف ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ ،موقع الاحتراس، ولأجل هذا الاهتمام كرّر الله هذا القيد أربع مرات في هذه الآيات»(١).

وجاء العطف ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾؛ لأنها تدل على الإباحة، قال ابن عادل (ت: ٨٨٠): «قوله: ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾، ﴿أَوْ﴾ ،هنا لأحدِ الشيئين وَلا تَدُلُّ على ترتيب، إذْ لا فرقَ بين قولك: «جاءني زيد أو عمرو»، وبين قولك: «جاءني عمرو أو زيد»؛ لأنَّ ﴿أَوْ﴾ لأحد الشيئين، والواحدُ لا ترتيب فيه، وبهذا يفسد قولُ مَنْ قَالَ: «من بعد دين أو وصية» وإنَّما يَقَعُ الترتيبُ فيها إذا اجتمعا، فَيُقَدَّمُ الدَّيْنُ على الوصيَّةِ»(٢).

أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية ،«وَيُذْكَرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بِالدَّيْنِ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ»(٣).

ومما مضى يَتَبَيَّن كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وبيان الحكم الشرعي في تقديم الدين على الوصية.

الآية السادسة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٣].

---

(١) التحرير والتنوير (٤: ٢١٦).

(٢) اللباب (٧: ٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٥) كتاب التفسير، (٨) باب: تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ حديث رقم (٢٧٥٠).

* **الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالإرث والنكاح وعشرة النساء. وفي هاتين الآيتين ذكر تعالى محرمات النكاح من النسب والرضاع والمصاهرة، والجمع بين الأختين إلا ما سلف.

* **الاحتراس وموقف في المفسرين:**

جاء في الآية الكريمة أكثر من احتراس، جاءت كالآتي:

الاحتراس الأول: جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾.

الاحتراس الثاني: جاء في قوله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾.

الاحتراس الثالث: جاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾.

الاحتراس الأول: جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ،وموقعة فيها بعد الاستثناء ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل المحرمات بالنساء قد يتوهم متوهم أنَّ بنت الزوجة لا تحرم إذا بانت أمها، فجاء الاحتراس و قَيّد حرمة بنت الزوجة إذا كانت الأم مدخولاً بها فإذا لم تكن كذلك لم تحرم.

وقد ذكر ذلك عامة المفسرين والفقهاء ولم ينقل خلاف في ذلك عن أحد:

قال أبو حيان (ت: ٧٤٥): «والاحتراس في قوله: ﴿ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾، احتراز من اللاتي لم يدخل بهن»(١).

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «﴿ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ ،وهو قيد في تحريم الربائب بحيث لا تحرم الربيبة إلاّ إذا وقع البناء بأمّها، ولا يحرّمها مجرّد العقد على أمّها»(٢)

(١) البحر المحيط (٣: ٣٢١).
(٢) التحرير والتنوير (٤: ٢٩٩).

«وفائدة هذا القيد تقوية علة الحرمة أو أنه ذكر للتشنيع عليهم، إذ أن نكاحها محرم عليهم في جميع الصور، إلا أنه يكون أشد قبحاً في حالة وجودها في حجره هذا رأى عامة الصحابة والفقهاء»[١].

«وقد استنبط العلماء من ذلك هذه القاعدة الأصولية وهي: (العقد على البنات يحرّم الأمهات، والدخول بالأمهات يحرم البنات»)[٢].

الاحتراس الثاني: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾.

لما بين الله عز وجل المحرمات من النساء ذكر زوجة الابن، ولما كان العرب لهم عادات في التبني قد يتبادر إلى الذهن أن زوجة المتبنى تحرم كذلك جاء الاحتراس بإثبات الإبطال وتحريم زوجة الابن الذي من الصلب فحسب دون الابن المتبنى.

والمعنى الذي جاء به الاحتراس هو المعروف لدى المفسرين ولم يخالف أحد في معناه، وإن لم يذكر مصطلح الاحتراس، ومن أوائل الإشارات الدالة على الاحتراس ما ذكره السمرقندي (ت: ٣٧٥) حيث قال: «قال تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ ،يعني حرام عليكم نساء أبنائكم، ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ ،يقال :إنما اشترط كون الأبناء الأصلاب لزوال الاشتباه لأن القوم كانوا يتبنون في ذلك الوقت ويجعلون الابن المتبنى بمنزلة ابن الصلب في الميراث والحرمة»[٣].

حملت عبارة (لزوال الاشتباه) معنى الاحتراس، إذا أن وجود الاحتراس إنما (لزوال الاشتباه) بل لازم من لوازمه، وهذا المعنى تفطن له العلماء، وصاغوه بعبارات مختلفة المباني قريبة المعاني.

(١) الوسيط لسيد طنطاوي (١: ٩٠٧).

(٢) تفسير آيات الأحكام (١: ٢٠٧).

(٣) بحر العلوم (١: ٣١٨)

وقال ابن جزي (ت: ٧٤١) فقال: «﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ الحلائل جمع حليلة وهي: الزوجة. (الذين من أصلابكم) تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن يتبناه الرجل وهو أجنبي عنه»[(١)]، ويرى ابن عطية (ت:٥٤٢) «أنه شرط في الحرمة حيث قال: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ شرط في هذه وفي الربيبة»[(٢)].

كما صَرَّحَ ابن عجيبة (ت:١٢٢٤) بوجود الاحتراس من أحد نظائره، وهو الاحتراز فقال: «﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ ،وهي التي عقد عليها الابن فحلت له، فتحرم على الأب بمجرد العقد. والحاصل: أن زوجة الأب وزوجة الابن وأم الزوجة يحرمن بالعقد، وأما بنت المرأة فلا تحرم إلا بالدخول بأمها، فالعقد على البنات يُحرم الأمهات، والدخول بالأمهات يُحرم البنات. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ **احترز به** من زوجة المتبنِّي فلا تحرم حليلته، كقضية زيد مع رسول الله ﷺ»[(٣)].

ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): أن موقع الاحتراس ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ ، جاء تأكيد لمعنى الأبناء لدفع احتمال المجاز، إذ كانت العرب تسمّي المتبنَّى ابناً، وتجعل له ما للابن، حتى أبطل الإسلام ذلك وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾[(٤)] [الأحزاب: ٥].

ومن النصوص الماضية يتأكد وقوع الاحتراس في الآية، وقد أسهم في تحديد المراد، ودفع التوهم.

الاحتراس الثالث: جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾، وموقع الاحتراس ما بعد الاستثناء: ﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١: ٢٤٥)

(٢) المحرر الوجيز (٢: ٣٨)

(٣) البحر المديد (٢: ٢٩).

(٤) التحرير والتنوير (٤: ٢٩٨).

جاءت الآية الكريمة بذكر المحرمات من النساء على التأبيد فلما ذكر الله عز وجل الجمع بين الأختين استثنى فجاء الاحتراس ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ،ولو لم يأتي الاحتراس لتوهم أن الحرمة مؤبدة حتى بعد موت الأخت الأولى أو طلاقها، فلما جاء الاحتراس بأسلوب الاستثناء زال التوهم وثبت المعنى المراد.

وهذا المعنى ذكره غير واحد من المفسرين وفاضت عبارتهم بذلك فقد أشار أبو السعود (ت: ٩٨٢) إلى الاحتراز بأحد نظائره فقال: «للاحتراز عن إفادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة، ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك»[(١)].

ويري أبو حيان (ت:٧٤٥) أن الاحتراس إنما جاء لرفع الإثم والحرج عمن وقع في مثل هذا الأمر في الجاهلية فقال: «المعنى: أنه لما حرم عليهم أن ينكحوا ما نكح آباؤهم، دلّ على أن متعاطي ذلك بعد التحريم آثم، وتطرق الوهم إلى ما صدر منهم قبل النهي ما حكمه. فقيل: إلا ما قد سلف أي: لكن ما قد سلف، فلم يكن يتعلق به النهي فلا إثم فيه»[(٢)].

والحقيقة أن كلا المعنيين صحيح والاحتراس يحتملهما جميعا، فمن رأى الاحتراس في النهي عن الجمع بين الأختين بعقد نكاح فرأيه صائب، ومن رأى أنها في النكاح في الجاهلية وأنه كانت تجمع المرأة وأختها فهذا شرع من كان قبلنا، والإسلام يجب ما قبله.

قال البغوي (ت:٥١٠): «﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء كانت الإخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع، فإذا نكح امرأة ثم

---

(١) إرشاد العقل السليم (٢: ١١٩).

(٢) البحر المحيط (٢: ٣٢٠).

طلقها طلاقاً بائناً جاز له نكاح أختها، وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما في الوطء، فإذا وطئ إحداهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه، وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يعني: لكن ما مضى فهو معفو عنه، لأنهم كانوا يفعلونه قبل الإسلام، وقال عطاء والسدِّي: إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه يجمع بين ليا أم يهوذا و راحيل أم يوسف، وكانتا أختين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [1].

ومن النصوص الماضية يتأكد فهم المفسرين للاحتراس وإن لم يذكر المصطلح، وقد جاءت عباراتهم شاهدة بذلك.

الآية السابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل إباحة الزواج بالإماء، قد يتبادر للذهن أنها كالحرة في الحدود لأنها محصنة، فجاء الاحتراس بإزالة التوهم، وأن عليها نصف ما على الحرة، لأنها أمة.

وذكر ذلك غير واحد من أهل العلم من المفسرين والفقهاء،فذكروا مسألة (العبد والأمة إذا زنيا) فقال ابن قدامة (ت:٦٢٠)[2] مسألة: قال: وإذا زنا العبد والأمة جلد كل

---

(١) معالم التنزيل (٢: ١٣٥)

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، من أعلام فقهاء الحنابلة من مصنفاته المغني، والكافي وغيرهما توفي سنة (٦٢٠) ينظر: الأعلام (٤: ٦٧).

واحد منهما خمسين جلدة ولم يغربا، وجملته أن حد العبد والأمة خمسون جلدة بكرين كانا أو ثيبين في قول أكثر الفقهاء منهم وإن كانا مزوجين فعليهما نصف الحد ولا حد على غيرهما لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فدليل خطابه أنه لأحد على غير المحصنات وقال داود: على الأمة نصف الحد إذا زنت بعدما زوجت»(١).

قال الجصاص (ت: ٣٧٠): «فقال: فإن قيل: فما فائدة شرط الله الإحصان في قوله: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾، وهي محدودة، في حال الإحصان وعدمه؟ قيل: لما كانت الحرة لا يجب عليها إلا الرجم... أخبر الله أنهن وإن أحصن بالإسلام، وبالتزويج فليس عليها أكثر من نصف حد الحرة، ولولا ذلك لكان يجوز أن يتوهم افتراق حالها في حكم وجود الإحصان وعدمه، فإذا كانت محصنة يكون عليها الرجم، وإذا كانت غير محصنة فنصف الحد، فأزال الله تعالى توهم من يظن ذلك، وأخبر أنه ليس عليها إلا نصف الحد في جميع الأحوال، فهذه فائدة شرط الإحصان عند ذكر حدها»(٢).

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى مقصود الاحتراس وإن لم يذكره صراحة ومن ذلك ما أورده ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) حين أشار إلى الاحتراس بقوله: (لئلا يتوهم)؛ حين قال: «وإنما شرط الإحصان في الحد ؛ لئلا يتوهم متوهم أن عليها نصف ما على الحرة إذا لم تكن محصنة ،وعليها مثل ما على الحرة إذا كانت محصنة»(٣).

فعبارة (لئلا يتوهم متوهم) حملت وهذه العبارة حملت مقصد الاحتراس، وردت لتدفع التوهم الناشئ من النص قبل تمامه.

(١) المغني (١٣٨:١٠).

(٢) أحكام القرآن، الجصاص (٣: ١٢٤).

(٣) زاد المسير (١: ٣٩٤)

وكذلك يرى الألوسي (ت: ١٢٧٠) حيث قال: «فعليهن أي فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات، أي: الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون ولا رجم عليهن لأنه لا ينتصف وهذا دفع لتوهم أن الحد لهن يزيد بالإحصان»(١).

كما أشار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣) إلى الاحتراس، وعبر عنه بمقصوده فقال: «والحكمة في التعبير بخصوص المحصنة دفع توهم أنها ترجم كالحرة»(٢)، وهذا المعنى يؤيده ما الأمة إذا زنت ولم تحصن، قال: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ الأمةِ إِذَا زَنَتْ وَلَمْ تُحْصِنْ، قَالَ: إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا، ثمَّ إِنْ زَنَتْ فَبِيعُوهَا وَلَو بِضَفِيرٍ»(٣).

ومما مضى يَتبَيَّن كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم وإتمام المعنى المراد، عندما جاء الشرط بالإحصان شرطا لإقامة الحد.

الآية الثامنة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

هذه الآية الكريمة تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

---

(١) روح المعاني (٣: ١٢)

(٢) أضواء البيان (ص: ١٣٥)

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح في(٥٤) كتاب العتق (١٧) بَاب: بَيْعِ الْعَبْدِ الزَّانِي وَقَالَ شُرَيْحٌ: إِنْ شَاءَ رَدَّ مِنْ الزِّنَا حديث رقم (٢١٥٣).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧ - ٩٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

*** الدراسة والتحليل:**

يقول الله تعالى: لا ينبغي للمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن متعمداً؛ لأن الإيمان يمنعه من اجتراح هذه الكبيرة، لكن قد يقع القتل منه عن خطأ دون قصد إزهاق الروح، وقد يقع منه ذلك أيضاً عن تهاون أو عدم عناية أو نسيان... ثم بين الحكم إذا قتل مؤمنٌ مؤمناً خطأ.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في هذه الآية والآيات المشابهة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

لما بين الله عز وجل حكم كفارة القتل الخطأ فقال: (تحرير رقبة) فقد يتوهم متوهم أن أي عتق للرقبة، يكفي فيه أي نفس تعتق، فجاء الاحتراس وقيد الإطلاق، وحصرها في كون هذا العبد المملوك مؤمن، فاندفع بذلك الوهم والإطلاق، وثبت المعنى المراد.



وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس لم يختلف عليه أحد من المفسرين أو الفقهاء، فكلهم يرى اشتراط الإيمان في الرقبة.

الآية التاسعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

موقع الاحتراس ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾، لما ذكر الله الأعمال الصالحة قد يتوهم متوهم أن الحكم مطلق، فأي مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى إذا عمل صالحاً فإنه يدخل الجنة، فجاء الاحتراس بدفع التوهم، بين أن هذا الإطلاق مقيد بالإيمان، فالأعمال الصالحة لا تنفع أصحابها عند الله إذا لم يكن مؤمن، وبذلك ينتفي التوهم، ويتضح المعنى المراد.

وهذا المعنى الذي حمله الاحتراس أشار له غير واحد من المفسرين، في المواطن المتباينة التي ورد فيها، وقد ذكروا أن الإيمان شرط في قبول الأعمال، فلا ثواب على عمل ليس معه إيمان.

وقد أشار أبو السعود (ت:٩٨٢) إلى مقصد الاحتراس فقال: «وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح، وترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا ﴾، مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم، وبعملهم المذكور وقوله تعالى: ﴿ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾، مبالغة في بيان شموله للكل ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾، قيَّده به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب أو تخفيف العذاب»[1].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٥: ١٣٥)

وقال في موضع أخر: «وهو مؤمن إيمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه»[١].

يرى أبو السعود اشتراط الإيمان لقبول الأعمال الصالحة، ودخول الجنة.

كما ألمح الشنقيطي (ت: ١٣٩٣) إلى معنى الاحتراس فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾، فقيَّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح»[٢].

فالشنقيطي يرى الاحتراس لكنه لم يذكره صراحة، بيد أنه أورد ما يدل عليه.

ومما مضى يَتبَيَّن وقوع الاحتراس في الآيات الكريمة والمعنى الذي جاء به الاحتراس أكدت على معناه آيات أخرى، وأحاديث نبوية كلها ترى أن شرط الإيمان لا يعدله شرط في قبول الأعمال.

وقد أوضح جل وعلا هذا المفهوم في آيات كثيرة، كقوله في عمل غير المؤمن: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٦]، وقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ الآية [النور:٣٩]، وقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الحديث قول أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ لا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، قَالَ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا خَيْرًا»[٣].

(١) المرجع السابق (٥:١٦٤)

(٢) أضواء البيان (ص:١٧١)

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٤٠١٨) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

الآية العشرون:

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥].

* الدراسة والتحليل:

ذكر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أنه فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين أجراً عظيماً، واستثنى سبحانه وتعالى أولى الضرر وأصحاب الأعذار الذين أقعدهم المرض عن القيام بفريضة الجهاد، وقد بين الباري عز وجل فصل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وعد الله كلاً من جاهد وقعد عن الجهاد لعذر، أو عجز الجنة وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي ﷺ: (ادعوا فلاناً) فجاء ومعه الدواة[1] واللوح[2] أو الكتف[3] فقال: «اكتب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وخف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال يا رسول الله أنا ضرير، فنزلت مكانها ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾»[4].

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في أكثر من موضع في الآية الكريمة الأول في قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ ،فلو لم يستثنى أصحاب الأعذار لتوهم مساواتهم لمن قعد عن الجهاد بغير عذر، وقد أشار إلى معنى الاحتراس غير واحد من المفسرين فقال ابن عطية (ت:٥٤٢): «وقد

(١) الدواة: ما يكتب منه. لسان العرب مادة (دوا).

(٢) اللوح: كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب، واللوح يكتب فيه لسان العرب مادة (لوح).

(٣) الكتف: عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان النهاية في غريب الأثر (٤: ١٥٠) مادة كتف.

(٤) أخرجه البخاري في(٦٥) كتاب التفسير باب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حديث رقم (٢٦٧٦، ٤٣١٧)، ومسلم (٣٣) كتاب الإمارة، (٤٠)باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين حديث رقم (١٦٧٠).

يتحصل الاستدراك بتخصيص القاعدين بالصفة»[١] ،كما نقل قول أبو الحسن أن ﴿أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾، أنها نزلت بعدها على طريق الاستثناء والاستدراك»[٢].

وقوله: «على طريق الاستثناء والاستدراك فيه إلماح إلى معنى الاحتراس فلو لم يستدرك لتوهم خلاف المراد وهو إخراجهم من مقام التفضيل لكونهم حبسهم العذر.

وكذلك يرى الشنقيطي (ت: ١٣٩٣) حينما قال: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ يفهم من مفهوم مخالفته أن من خلفه العذر إذا كانت نيته صالحة يحصل ثواب المجاهد، وهذا المفهوم صَرَّحَ به النبي ﷺ في حديث أنس أن رسول الله ﷺ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ وَهمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ»[٣][٤].

ويؤكد ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) على هذا المعنى فيقول: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ ،كيلا لا يحسب أصحاب الضرر أنهم مقصودون بالتحريض، فيخرجوا مع المسلمين فيكلفوهم مؤونة نقلهم وحفظهم بلا جدوى، أو يظنوا أنهم مقصودون بالتعريض فتنكسر نفوسهم، زيادة على إنكسارهم بعجزهم، ولأن في استثنائهم إنصافاً لهم وعذراً لهم بأنهم لو كانوا قادرين لما قعدوا...، ولو كان المقصود صريح المعنى، لما كان للاستثناء موقع، وله موقع من البلاغة لا يضاع، ولو لم يذكر الاستثناء لكان تجاوز التعريض أصحاب الضرر فالاستثناء عدول عن الاعتماد على القرينة إلى التصريح باللفظ»[٥].

---

(١) المحرر الوجيز (٢: ١١٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) أضواء البيان (ص: ١٣٩).

(٤) أخرجه البخاري في (٥٦) كتاب الجهاد والسير (٣٥) باب من حبسه العذر عن الغزو حديث رقم (٢٨٣٩).

(٥) التحرير والتنوير (٥: ١٧٠).

حملت عبارات ابن عاشور الآنفة العديد من الدلالات على مقصود الاحتراس، وأن الاحتراس لو لم يأتِ بأسلوب الاستثناء لتوهم خلاف المعنى المقصود.

وبذلك يتأكد الاحتراس في الآية الكريمة وأن عبر عنه بالأساليب التي جاء بها فقد ذكره ابن عاشور تحت اسم الإستثناء، وسيد طنطاوي تحت اسم الاعتراض حين قال: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ «جملة معترضة جيء بها لبيان أنهم غير مقصودين بعدم المساواة مع المجاهدين في الأجر»[(١)].

أما الاحتراس الثاني فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ،فذكر الاحتراس ؛ لئلا يتوهم أن هذا التفاضل حرمان للمفضول من الأجر والثواب.

وقد ذكر هذا المعنى غير واحد من المفسرين، وإن لم يذكروا الاحتراس صراحة فقال أبو حيان (ت: ٧٤٥) في تفسيره: «فبين أن للقاعدين ما للمجاهدين في الوعد مع ذلك، ثم بين أن لهم فضل الدرجات؛ لأنه لو لم يذكر ذلك لأوهم أن حالهما في الوعد سواء»[(٢)].

وقد نقل هذا القول عنه غير واحد من المفسرين[(٣)] كما يُجلي القاسمي (ت: ١٣٣٢) الاحتراس فيقول: «﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ،أي: المثوبة الحسنى، وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم، والجملة اعتراض جيء به تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول»[(٤)].

ويُصَرِّحَ السعدي (ت: ١٣٧٦) بالاحتراس عبر أحد نظائره فقال: «وكذلك إذا فضل

---

(١) التفسير الوسيط (١: ١٠٤١).

(٢) البحر المحيط (٣: ٤٧٣).

(٣) ينظر:التفسير العظيم لابن كثير (١: ٣٨٩)، والتفسير الوسيط (١: ١١٤٣).

(٤) محاسن التأويل (٢: ٤٤٤).

تعالى شيئاً على شيء، وكل منهما له فضل احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين ؛ لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[١].

من النص السابق يَتبَيَّن أن السعدي ذكر الاحتراس بأقوى نظائره وهو الاحتراز، كما أشار إلى المقصود.

الآية الحادية والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

* الدراسة والتحليل:

يخبر الله سبحانه وتعالى عن حكم أكل صيد الجارح فقال:يسألك أصحابك -أيها النبي-: ماذا أُحِلَّ لهم أَكْلُه؟ قل لهم: أُحِلَّ لكم الطيبات وصيدُ ما دَرَّبتموه من ذوات المخالب والأنياب من الكلاب والفهود والصقور ونحوها مما يُعَلَّم، تعلمونهن طلب الصيد لكم، مما علمكم الله، فكلوا مما أمسكن لكم، واذكروا اسم الله عند إرسالها للصيد، وخافوا الله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه. إن الله سريع الحساب.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل الطيبات ذكر منها ما يصيده الجارح، وقد يتوهم متوهم أن هذا على الإطلاق فجاء تخصيص ما أمسك الجارح لمعلمه، احتراس عن امسك الجارح للصيد آخر، فلا يعتبر ذكاته، وبذلك اتضح المعنى وزال التوهم.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩٥).

وقد أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى الاحتراس بأقوى نظائره الاحتراز فقال: ﴿مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ ،احتراز عن أن يجد أحد صيداً لم يصده هو، ولا رأى الجارح حين أمسكه، لأنّ ذلك قد يكون موته على غير المعتاد فلا يكون ذكاة»(١).

وهذا الاحتراس بينه قول النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ فَقَتَلَ فَكُلْ ،وَإِذَا أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ؛ فَإِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى نَفْسِه، قُلْتُ: أُرْسِلُ كَلْبِي فَأَجِدُ مَعَهُ كَلْبًا آخَرَ ،قَالَ: فَلَا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ، وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى كَلْبٍ آخَرَ»(٢).

ومما سبق يَتَبَيَّن ثبوت الاحتراس، وقد أسهم في دفع التوهم وإثبات حكم الأكل من صيد الكلب المعلم، وأنه يشترط في الإباحة أن لا يأكل من الصيد فإن أكل منه، فإنما أمسكه لنفسه.

الآية الثانية والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧].

* الدراسة والتحليل:

يوجه الله خطاب لعبادة المؤمنين فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات أحلَّها الله لكم ،من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتضيقوا ما وسَّع الله عليكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرَّم الله. إن الله لا يحب المعتدين.

---

(١) التحرير والتنوير(٥: ٤٢)

(٢) أخرجه البخاري في(٧٢) كتاب الذبائح والصيد، (٨) باب: الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة، وأخرجه مسلم (٣٥) كتاب الصيد والذبائح، (١) باب: الصيد بالكلاب المعلمة، حديث رقم (١٩٢٩) بلفظ مقارب.

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في الآية كاملة بالنسبة لما قبلها فلما أثنى الله عز وجل على القسيسين والرهبان في الآيات الماضية، قد يتوهم متوهم أن جميع أخلاقهم وسماتهم مقبولة عند الله تعالى، فجاء الاحتراس بالتحذير من صفات بعض الرهبان، وأنهم قد حرموا على أنفسهم ما أحل الله. فلو لم يذكر الاحتراس لتوهم أن جميع أعمالهم مرضية، ويحسُن الإقتداء بهم.

أشار الرازي (ت: ٦٠٦) لمقصود الاحتراس فقال: «وذلك لأنه تعالى مدح النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً ،وعادتهم الاحتراز عن طيبات الدنيا ولذاتها، فلما مدحهم أوهم ذلك المدح ترغيب المسلمين في مثل تلك الطريقة، فذكر تعالى عقيب هذه الآية إزالة لذلك الوهم»[(١)]، فعبارة الرازي (إزالة لذلك الوهم) تدل على الاحتراس، وأنه لو لم تأت الاحتراس لتوهم أن في هذا المدح ترغيب في إتباع طريقتهم، فلما جاء الاحتراس بالآية التالية زال هذا التوهم، واندفع اللبس.

وعبارة الرازي تلك تَلَقَفها عنه غير واحد من المفسرين فقال أبو حيان (ت:٧٤٥): «لما مدح النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً وعادتهم الاحتراز عن طيبات الدنيا ومستلذاتها أوهم ذلك ترغيب المسلمين في مثل ذلك التقشف، والتبتل ،بيّن تعالى أنّ الإسلام لا رهبانية فيه»[(٢)].

ويتابعه ابن عادل (ت: ٨٨٠) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: «وذلك أَنَّهُ تعالى مدحَ النَّصارى، بأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِين ورُهْبَاناً، وعادَتُهم الاحْتِرَازُ عَنْ طَيِّبَاتِ الدُّنْيَا ولذَّاتِها، فلَمَّا مَدَحَهم أَوْهَمَ

(١) مفاتيح الغيب (١٢: ٥٩)

(٢) تفسير البحر المحيط (٤: ١٣)

ذلك المدحُ ترغيب المسلمين في مِثْلِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ، فَذَكَرَ تعالى عَقِيبَهُ هذه الآيَة، إزالةً لذلك الوَهْمِ؛ ليظْهَرَ لِلْمُسْلِمِين أَنَّهُمْ لَيْسُوا مَأمُورين بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ»[(١)].

أشار ابن عادل للاحتراس بقوله:«، فَذَكَرَ تعالى عَقِيبَهُ هذه الآيَة، إزالةً لذلك الوَهْمِ «وكما هو معلوم أن إزالة التوهم من مقاصد الاحتراس التي جاء بها، وهذا الفهم للاحتراس أورده غير واحد من المفسرين»[(٢)].

ومما مضى يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة،والمقصد العظيم الذي جاء به وهو إظهار يُسر الإسلام، وسماحته، والمعنى الذي حمله الاحتراس دل عليه فعل النبي ﷺ فعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِي ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ: بَعْضُهُمْ لاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ آكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ. فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّى أُصَلِّى وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى»[(٣)].

الآية الثالثة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

*** الدراسة والتحليل:**

لما نهى الله تعالى المؤمنين عن تحريم ما أحل الله تعالى لهم بَيَّنَ لَهم ما حرّمه عليهم ودعاهم إلى تركه واجتنابه لضرره بهم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٧:٤٩٠).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل (٢: ٣٥٩).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح في (١٦) كتاب النكاح (١) باب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ وَوَجَدَ مُؤْنَةً وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ.

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في الآية كاملة بالنسبة لما قبلها، فلما نهى الله عبادة عن تحريم ما أحل الله لهم، قد يتوهم متوهم أن بعض عادات الجاهلية وأعمالها من المباح إذا لم تحرم. فجاء الاحتراس ليضع حدود المباح ويخرج بعض ما كان مباح لديهم، ولو لم يأتِ الاحتراس لتوهم أن الخمر والميسر وغيره من أعمال الجاهلية لا زالت في إطار المباح.

وقد أشار إلى الاحتراس ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «كما نَهى عن تَحريم المباح، نَهى عن استحلال الحرام، وأنّ الله لَمّا أحلّ الطيّبات حرّم الخبائث المفضية إلى مفاسد، فإنّ الخمر كان طيّباً عند الناس، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، والميسر كان وسيلة لإطعام اللحم من لا يقدرون عليه. فكانت هذه الآية كالاحتراس عمّا قد يُساء تأويله من قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾»[1] [المائدة: ٨٧].

وقد كان تحريم الخمر بالتدريج فلم يحرم مباشرة،«والحكمة في وقوع التَّحريم على هذا التَّرتيب أنَّ الله تعالى علم أنَّ القوم كانوا قد أَلِفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيراً، فعلم أنَّه لو منعهم دفعةً واحدةً لشقّ ذلك عليهم، فلا جرم درَّجهم في التَّحريم رفقاً بهم»[2].

وربما تبادر إلى الأذهان أنه من الطيبات التي أحلت لهم، وكان للخمر عند العرب منزلة لا تعدلها منزلة، وقد جاءت في القرآن ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧]، ولأنه لم يزل لديهم هذا الفهم جاء الاحتراس بإزالته، فهو ليس من الطيبات وليس من المباح الذي رخص الله به.

---

(١) التحرير والتنوير (٧: ٢١)

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٤: ٣٣)

ومما سبق يَتبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية، وأن حضور الاحتراس مرتبط بالسياق، وأن الآيات القرآنية آخذة بأعناق بعضها البعض.

الآية الرابعة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

هذه الآية تماثلها آية أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٨٥].

*** الدراسة والتحليل:**

تَبَيَّنَ الآية الكريمة وأوصى الله به الناس، وما حرمه عليهم، ومما أوصى به الناس: ألا يقربوا مال اليتيم إذا وَلُّوا أمره، أو تعاملوا معه، إلا بالطريقة الحسنة التي تحفظ ماله وتُثمِّره، وترجح مصلحته، وأن يُنفقوا عليه من ماله في سبيل تربيته وتعليمه، وأن يستمر ذلك حتى يبلغ اليتيم سن الرشد، والقوة والقدرة على الإدراك والتصرف.

كما أمر الله عبادة بإيفاء الكيل والميزان عند البيع والشراء، وعدم غمط الناس حقوقهم ،والله تعالى يدعو المؤمن أن يبلغ جهده في أداء ذلك، فإذا بلغ جهده، وعمل ما في وسعه، يكون قد قام بأمر الله، ولا حرج عليه إن أخطأ بعد ذلك، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقدر طاقتها.

كذلك وصَّى الله عباده بالعدل في القول والفعل لكل واحد في كل وقت، وفي كل حال: في الشهادة وفي الحكم وفي الكيل والميزان، ولو كان الأمر يتعلق بقريب، فإن القرابة والصداقة يجب ألا تصرفا الإنسان عن قول الحق، وعن العدل فيه.

كما يأمر الله تعالى المؤمنين بالوفاء بعهد الله، والقيام بطاعته، فيما أمر ونهى، وفيما عاهدوا الناس عليه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ، لما كان النهي عن الاقتراب من مال اليتيم بالمعاملة أو الإصلاح، قد يتوهم متوهم أن هذا الحكم على عمومه، فجاء الاحتراس ونفى ما تبادر إلى الأذهان من معنى غير مراد، وبين أن الأمر بالتعامل مع أموال اليتيم بالتي هي أحسن.

المعنى الذي جاء الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين[(١)]، وقد ذكر الرازي (ت:٦٠٦) بأقوى نظائره الاحتراز حيث قال: «فاحترز عنه بقوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾»[(٢)].

كما أشار أبو السعود (ت: ٩٨٢): «لا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي إلى قُربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله ،ولإخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء ،أي: لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتثمير»[(٣)].

يرى أبو السعود أن النهي عن الأكل ليس على إطلاقه إنما مقيد بالحسنى، كما يتابع.

ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالإشارة إلى مقصد الاحتراس فقال: «ولمَّا اقتضى هذا تحريم التصرّف في مال اليتيم، ولو بالخزن والحفظ، وذلك يعرّض ماله للتّلف، استُثني منه قوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ،أي: إلاّ بالحالة التي هي أحسن»[(٤)].

---

(١) ينظر: النكت والعيون (٢: ١٨٧)، وأنوار التنزيل (٢: ٢٦٦)، والسراج المنير (٢: ٥٢٨).

(٢) مفاتيح الغيب (١٣: ١٩٢).

(٣) إرشاد العقل السليم (٢: ١٦٤).

(٤) التحرير والتنوير (٨: ١٦٣).

ومما سبق يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية، وقد أسهم الاحتراس في إعطاء الولي على اليتم في التصرف بماله بما يصلحه، وقد دلَّتْ الأحاديث على هذا المعنى ومن ذلك قول رسول الله ﷺ:«قَالَ اتَّجِرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تَأْكُلُهَا الزَّكَاةُ »[١].

الاحتراس الثاني: في قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لما أمر الله عز وجل بالوفاء بالكيل والميزان بالعدل التام، قد يتوهم متوهم أن المطلوب حد الكمال العدل، فيحملهم الفهم الخاطئ على ترك التعامل، فجاء الاحتراس لدفع ما يتوهم من الأمر بالقسط التام، فبين أن الله عز وجل لا يكلف المرء إلا ما يطيق، فزال بذلك التوهم، وأن الله يقبل من الناس ما يطيقون.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أدركه غير واحد من المفسرين[٢] فقد أشار ابن جزي (ت:٧٤١) للاحتراس فقال: «لما أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان م،ما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه ،أمر بما في الوسع من ذلك وعفا عما سواه»[٣].

وبإشارة أقرب يذكر ابن عادل (ت: ٨٨٠) الاحتراس فيقول: «أن اللهَّ تبارك وتعالى أمر المُعْطِي بإيفاءِ ذي الحقّ حقَّه من غير نُقْصَانٍ، وأمر صَاحِبَه أن يَأخُذ حقَّهُ من غير طلب زِيَادة، ولما كان يَجُوز أن يَتَوَهَّم الإنْسَان أنه يَجِب على التَّحقِيق، وذلك

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤: ٢٦٤)، وفي إسناده مقال، وقيل: موقوف على عمر بن الخطاب.

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٣: ٢٠٣).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١: ٣٨٦).

صَعْبٌ شديدٌ في العَدْل، أتْبَعَهُ الله -تعالى- بما يُزِيُل هذا التَّشْدِيد، فقال: «لا نُكَلِّف نَفْساً إلاَّ وُسْعَها»[١].

فقد فهم ابن عادل الاحتراس عندما ذكر مقصده بقوله: «يَجُوز أن يَتَوَهَّم الإنْسَان» وقوله: «بما يُزِيُل هذا التَّشْدِيد»، فهو يرى أنه لو لم يكن الاستثناء لفهم غير المراد.

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس فقال: «﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أنَّها متعلّقة بالتي وليتها فتكون احتراساً، أي لا نكلّفكم تمام القسط في الكيل والميزان بالحبّة والذرّة ولكنّا نكلّفكم ما تظنّون أنَّه عدل ووفاء. والمقصود من هذا الاحتراسِ أنّ لا يَترك النّاسُ التّعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة، فيفضي ذلك إلى تعطيل منافع جمّة»[٢].

ويتابع ابن عجيبة (ت:١٢٢٤) مَنْ سَبقَهُ فقال: «﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، إلا ما يسعها ولا يعسر عليها، ولمَّا أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج، أمر بالوسع في ذلك وعفا عما سواه»[٣].

ففحوى عبارة ابن عجيبة «أمر بالوسع في ذلك وعفا عما سواه» دل على الاحتراس، ولولا لذلك لتوهم القسط التام.

ومما سبق تَبَيَّنَ وقوع الاحتراس في الآية الكريمة وقد جاء مقام الامتنان، فتولّى الله خطاب النّاس فيه بطريق التكلّم مباشرة زيادة في المنّة، وتصديقاً للمبلّغ. وقد رخص فيما خرج عن الطاقة لما أن في مراعاة ذلك كما هو حرجاً مع كثرة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٨: ٥١٣).

(٢) التحرير والتنوير (٨: ١٦٥).

(٣) البحر المديد (٢: ٣٢٤).

الخامسة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢].

*** الدراسة والتحليل:**

حدد الله تعالى للذين عاهدوا الرسول ﷺ، ولم تكن لعهودهم مدة معينة، مدة أربعة أشهر يسيحون خلالها في الأرض، ويتنقلون فيها آمنين. أما الذين ليس بينهم وبين الرسول عهد، فجعل مدتهم انسلاخ الأشهر الحرم، فإذا انسلخت الأشهر الحرم ولم يؤمنوا، وضع الرسول فيهم السيف، حتى يدخلوا في الإسلام.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل المهلة المحددة لانتهاء الهدنة وهي أربعة أشهر، وأمرهم بالساحة في الأرض لمدة أربعة أشهر، وقد يتوهم متوهم أن هذه المهلة عن ضعف فجاء الاحتراس بدفع التوهم الناشئ قبل تمام المعنى،و أنها ليست عن ضعف فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾ ،فلن تفوتونه طلباً، ولا تعجزونه هرباً فاندفع بذلك الدخل، وزال الزلل.

أشار الفخر الرازي (ت: ٦٠٦) إلى الاحتراس ببيان مقصوده دون التصريح به فقال: «اعلموا أن هذا الإمهال ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب»[١].

فعبارة الرازي (ليس لعجز ولكن لمصلحة) توحي بمدلول الاحتراس فلما بين عدم العجز بين المراد المصلحة جاء التهديد على لسان الاحتراس.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٥: ١٧٦).

كما صَرَّحَ بذكره ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) فقال: «﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عطف على ﴿فَسِيحُواْ﴾ داخل في حكم التفريع؛ لأنه لمّا أنبأهم بالأمان في أربعة الأشهر عقبه بالتخويف من بأس الله احْتراساً من تطرّق الغرور، وتهديداً بأنّ لا يطمئنوا من أنْ يسلّط الله المسلمين عليهم في غير الأشهر الحرم، وإن قبعوا في ديارهم»[1].

ومما سبق يَتَبَيَّن كيف أسهم الاحتراس في إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة، وقد افتتحت الجملة ب ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾، للاهتمام بما تتضمنه وذلك للفت الانتباه، كما جاء حمل في الاحتراس طياته التهديد والوعيد.

السادسة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت الآية الكريمة لبيان ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ ،لا تزيد ولا تنقص، وأنها هكذا في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وأن منها أربعة أشهر حرم فلا تظلموا في هذه الأشهر الحرم أنفسكم بارتكابكم المعاصي؛ لأن الإثم فيها يتضاعف. كما أن المعاصي في البلد الحرام يتضاعف فيها الإثم. والعمل الصالح في الأشهر الحرم وفي البلد الحرام أعظم ثواباً عند الله.

---

(١)) التحرير والتنوير (١٠: ١٠٦).

وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ،هو لا تجعلوا حرام هذه الأشهر حلالاً، ولا حلالها حراماً، كما فعل أهل الشرك، وقاتلوا المشركين جميعكم كافة، لكف أذاهم، واعلموا أن الله مع المتقين، ينصرهم ويمدهم بعونه وجنده.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ ،لما ذكر الله عز وجل حرمة القتال في الأشهر الحرم، قد يتوهم إطلاق الحكم وأن المسلمين مطالبين بالكف عن القتال في كل الأحوال، حتى لو أعتدي عليهم، فلما جاءت الاحتراس زال هذا التوهم، وأن المطالب به المسلمين عدم الاعتداء في الأشهر الحرم؛ نظرا لحرمتها، لكنهم يردون عن أنفسهم إذا أعتدي عليهم.

إن معنى الذي جاء به الاحتراس مقرر عند المفسرين، وإن لم تنطق عباراتهم بالاحتراس، وقد عد الفقهاء أن هذه الآية ناسخة لتحريم القتال في الأشهر الحرم، قال عطاء (ت: ١٠٣)[١]: «لا يحل للناس أن يغزوا في الأشهر الحرم، ولا في الحَرم، إلا أن يُبدَئوا بالقتال، ويرده غزوه ﷺ حُنيناً والطائف في شوال وذي القعدة».[٢]

ومن النص السابق يَتبَيَّن أن عطاء أورد معنى الاحتراس، حيث أنه أورد فهمه للآية أن المسلمين غير ملزمين بترك الجهاد في كل الأحوال، وأن مطالبين بالدفاع عن الإسلام، وبلاده في كل وقت.

وفي الآية «﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ ، هذاخطاب للمؤمنين يأمرهم تعالى بقتال المشركين بعد انتهاء المدة التي جعلت لهم وهي أربعة أشهر وقوله: ﴿كَافَّةً﴾

---

(١) عطاء بن يسار المدني الفقيه مولي أم المؤمنين ميمونة إمام المدينة روى عن كبار الصحابة كان عالم بالتفسير. توفي سنة (١٠٣هـ) ينظر: العبر في خبر من غبر (١: ١٢٥).

(٢) البحر المديد (٣: ١٠١).

أي: جميعاً لا يتأخر منكم أحد ،كما هم يقاتلونكم مجتمعين على قتالكم فاجتمعوا أنتم على قتالهم»[١].

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوجود الاحتراس، فقال: «أحسب أنّ موقع هذه الآية موقعُ الاحتراس، من ظنّ أنّ النهيِ عن انتهاء الأشهر الحرم يَقتضي النهي عن قتال المشركين فيها إذا بدأوا بقتال المسلمين، وبهذا يؤذن التشبيه التعليلي في قوله: ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾، فيكون المعنى فلا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بالمعاصي، أو باعتدائكم على أعدائكم، فإن هم بَادَأوكم بالقتال فقاتلوهم على نحو قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤] فمقصود الكلام هو الأمر بقتال المشركين، الذين يقاتلون المسلمين في الأشهر الحرم، وتعليله بأنّهم يستحلون تلك الأشهر في قتالهم المسلمين»[٢].

وقد ألمح ابن جزي (ت:٧٤١) إلى ذلك حيث قال: «ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام أي إباحته حسبما استقر في الشرع فلا تكون الآية منسوخة بل ناسخة لما كان في أول الإسلام، من تحريم القتال في الأشهر الحرم وصد عن سبيل الله»[٣].

ومما سبق تَبَيّنَ ثبوت الاحتراس في الآية، كما أسهم في بيان الحكم الشرعي والكشف عنه، وأن الأصل في المسلم العزة، وفيها تهييج المسلمين، وتحريضهم على قتال الكفار.

الآية السابعة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٢: ٣٦٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٠:١٨٧).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (ص: ١٤٦).

* **الدراسة والتحليل:**

يخبر الله تعالى أنه الذي كفر بعد إيمانه، وشرح صدره بالكفر، واطمأن إليه، فإن الله قد غضب عليه، وأعد له عذاباً أليماً في الدار الآخرة؛ لأنه ارتد عن الإيمان لأجل الدنيا، ولأنه علم بالإيمان ثم عدل عنه، والله لا يهدي القوم الكافرين.

ويستثني الله تعالى من ذلك المصير من أكره على النطق بكلمة الكفر، فارتد عن الإسلام بلسانه، ووافق المشركين بلفظه مكرهاً، لما ناله من أذى، وبقي مؤمناً بقلبه مطمئناً بالإيمان. فمثل هذا المكره يمكن أن يغفر الله له إذا علم صدق نيته.

* **الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ ،لما ذكر الله عز وجل أن الله لا يهدي من الذين كفروا بآيات الله، وما أعد الله لهم من عذاب، جاء الاحتراس بإخراج من كفر بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان، فدفع بذلك التوهم، والمشقة والعنت عن المسلمين الذين يعانون من كفار قريش.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ، ألمح إليه غير واحد من المفسرين[1] فقال محيي الدين زاده (٩٥١) فقال: «﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ جملة حالية أي: إلا من أكره في هذه الحالة. ووجه الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ ،دفع توهم أن من أكره من غير اعتقاد له أو مع اعتقاد، والعياذ بالله، مستثنى من استحقاق الغضب والعذاب العظيم. وقوله: ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ ،لا ينفي ذلك الوهم فاحتيج إلى الاستدراك لدفع التوهم»[2].

(١) ينظر: الفتوحات الألهية (٤: ٢٧٢)

(٢) حاشية محيي الدين زاده (٥:٣٢٩)

وكـذلك يـرى الشـهاب الخفـاجي (ت: ١٠٦٩): « ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ الاستدراك على الإكراه لأنه ربما يتوهم أنه مطلق»(١).

ويتابع ابن عاشور (ت:١٣٩٣): «الاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾، استدراك على الاستثناء، وهو احتراس من أن يفهم من الاستثناء أن المكره مرخّص له أن ينسلخ عن الإيمان من قلبه»(٢).

من النصوص الماضية يتأكد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة.

الآية الثامنة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله تعالى نبيه الكريم بالمباحات له من النساء إنه أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وأباح له السراري، وقد خص الله تعالى من بين بنات الأعمام والعمات وبنات الأخوال والخالات، اللواتي أباح للرسول الزواج منهن اللاتي هاجرن معه، فاستثنى بذلك اللواتي لم يهاجرن.

كما أحل الله لرسوله المرأة المؤمنة التي تهب نفسها له، فله أن يتزوجها بلا مهر إن أراد ذلك، ولكن الرسول لم يتزوج واحدة ممن وهبن أنفسهن له. وقد أحل الله ذلك

(١) حاشية الشهاب (٥: ٦٥٧)

(٢) التحرير والتنوير (١٤: ٣٩٤)

لرسوله لكيلا يكون عليه حرج، في نكاح من نكح من الأصناف السالفة. وقد كان الله غفوراً لرسوله ولأهل الإيمان به، ورحيماً بهم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في الآية الكريمة أكثر من احتراس:

الاحتراس الأول: في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، لما ذكر الله المباحات من النساء، قد يتوهم أن الحكم عام في جميع النساء، ثم جاء القيدُ بقصره على النساء المهاجرات، وإخراج من لم تنل شرف الهجرة.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين[١] فقال الواحدي (ت:٤٦٨): «﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، فمن لمن يهاجر منهن لم يحل له نكاحها»[٢].

ويتابعه فيما ذهب إليه غير واحد من المفسرين فيقول البغوي (ت:٥١٠): «﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ على الإسلام، أي: أسلمن معك. فيدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة»[٣].

ويُصَرِّحَ ابن جزي (ت: ٧٤١) بالاحتراس فقال: «﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، تخصيص تحرز به ممن لم يهاجر كالطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح»[٤].

الاحتراس الثاني: في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾، لما جاءت الآية ببيان المباحات من النساء، للنَّبِيِّ ﷺ فقد يتوهم السامع أن فعلها هذا يلزم بالقبول والموافقة، لكن جاء الاحتراس وبين أن أمرها إلى النبي ﷺ إن شاء نكحها، وإن شاء ردها وهذا الحكم خاص، وليس لعموم الأمة.

---

(١) أنوار التنزيل (٤: ٣٨١).

(٢) الوجيز (ص: ٨٦٩).

(٣) معالم التنزيل (٦: ٣٦٣).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٣: ١٤١).

والمعنى الذي حمله الاحتراس أشار له غير واحد من المفسرين[١] فقال أبو حيان (ت:٧٤٥): «﴿إِن وَهَبَتْ﴾، ﴿إِنْ أَرَادَ﴾ ،فهنا شرطان، والثاني في معنى الحال شرط في الإحلال هبتها نفسها، وفي الهبة إرادة استنكاح النبي، كأنه قال: أحللناها لك إن وهبت نفسها، وأنت تريد أن تستنكحها، لأن إرادته هي قبوله الهبة وما به تتم»[٢].

يرى أبو حيان أن إرادة النبي ﷺ شرط، ولا يكفي أن تكون وهبت نفسها، فلا يتوهم أن قبول الهبة ملزم، فاندفع بذلك التوهم.

كما ألمح البقاعي (ت: ٨٨٥) إلى المقصد من الاحتراس فقال: «كرره بياناً لمزيد شرفه في سياق رافع لما ربما يتوهم من أنه يجب عليه القبول فقال: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾، أي: الذي أعلينا قدره بما اختصصناه به من الإنباء بالأمور العظمية ،من عالم الغيب والشهادة»[٣].

فعبارة البقاعي ربما يتوهم، فيها إشارة لمقصد الاحتراس وأنه لو لم يأت الاحتراس لفهم غير المعنى المراد».

وقد أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى مقصد الاحتراس فقال:«﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾، شرط في انعقاد النكاح؛ لئلا يتوهّم أنّ هبة المرأة نفسها للنبي تعيّن عليه تزوّجها، فتقدير جوابه: إن أراد فله ذلك، وليسا شرطين للإحلال لظهور أنّ إحلال المرأة لا سبب له في هذه الحالة إلاّ أنّها وهبت نفسها»[٤].

«وعدل عن الخطاب إلى الغيبة في النبي ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾، ثم رجع إلى الخطاب في قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾، للإيذان بأنه مما خص به وأوثر. ومجيئه على لفظ النبي؛ لدلالة

(١) أنوار التنزيل (٤: ٣٨١).

(٢) البحر المحيط (٧:٢٠٦).

(٣) نظم الدرر (٦: ١٢٠).

(٤) التحرير والتنوير (٣: ٤٠٩).

على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته»[١].

قال الزجّاج: وإنما قال: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ،ولم يقل: لك؛ لأنه لو قال: «لك» جاز أن يتوهّم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز في بنات العم وبنات العمات.

الآية التاسعة والعشرون:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

هذه الآية الكريمة تماثلها آية أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥].

*** الدراسة والتحليل:**

بين الله تعالى تفاوت درجات المنفقين، بحسب تفاوت أحوالهم، فقال: إنه لا يستوي من آمن، وهاجر، وأنفق ماله في سبيل الله، قبل فتح مكة، مع من آمن وأنفق بعد الفتح، فالأولون أعظم درجة عند الله، لأن المؤمنين قبل الفتح كانوا قليلي العدد، وواجباتهم كثيرة وثقيلة، أما بعد الفتح فقد انتشر الإسلام وأمن الناس، والله عليم خبير بما يعمله العباد.

---

(١) البحر المحيط (٧: ٢٠٤).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ،لمّا نفى الله تعالى أن يستوي في الأجر والمنزلة عنده تعالى من يجاهد بماله ونفسه قبل الفتح ومن لم يجاهد بنفسه بماله. قد يتوهم متوهم أن من أسلم بعد لا أجر له، بحكم التفضيل فجاء الاحتراس بدفع هذا التوهم، وهذا الفهم وإنهم وإن تفاوتوا في المنزلة لكن ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فلا يمنعون من الدخول لتأخر الإسلام أو الهجرة والإنفاق.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس لم يختلف عليه أحد من المفسرين بل قد دلَّتْ آيات أخرى على هذا المعنى.

تتابعت الإشارات من المفسرين بذكر الاحتراس سواء بالتصريح به، أو بالإشارة إلى مقصده فهذا ابن كثير (ت: ٧٧٤) يشير إلى مقصد الاحتراس فيقول: «وإنما نَبَّه بهذا؛ لئلا يُهدرَ جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر فيتوهم متوهم ذمه؛ فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه، مع تفضيل الأول عليه؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾»(١).

وقد ذكر السعدي (ت: ١٣٧٦) الاحتراس بأقوى نظائره (الاحتراز) فقال: «ولما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص، وقدح في المفضول، احترز تعالى من هذا بقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، أي: الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة كلهم، رضي الله عنهم، حيث شهد الله لهم بالإيمان، ووعدهم الجنة»(٢).

فقد ذكر السعدي أن الاحتراز قد أسهم في دفع التوهم، فقد يتوهم أن وجود فريق فاضل، يؤدي إلى نتقاص المفضول، فدفع ذلك ببيان أن كلا الفريقين لهم الجنة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم(٨: ١٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٨).

كما صَرَّحَ بالاحتراس القونوي (ت:١١٩٥) حيث قال: «أشار إلى أن كلا مفعول مقدم لوعد، قدم للاهتمام به، لأن الأهم كون الوعد لكل واحد منهم دفعاً لوهم أن الوعد للمنفقين قبل الفتح ناشي من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً﴾، فيكون هذا للاحتراس»[1].

وتابعه ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «وعبر بـ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، لبيان أن الدرجة هي درجة الحسنى ليكون للاحتراس معنى زائد على التأكيد وهو ما فيه من البيان»[2].

ومما سبق يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية، وقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم، وأسهم في بيان التفاوت في الدرجات بين من أنفق قبل الفتح وقاتل لا يستوي مع من أنفق وقاتل حيث عز الإسلام وكثر مال المسلمين، لكن موعدهم الجنة.

❀❀❀

(١) حاشية القونوي (١٨: ٤٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧: ٣٧٥).

المطلب الثالث

مقاصد الاحتراس في الأحكام

المقصد الأول: دفع التوهم وإزالة اللبس.

كان لمجيء الاحتراس في آيات الأحكام فائدة عظيمة؛ لأنه يسعى لصيانة المعنى من أن يفهم منه ما لا يُراد؛ مبالغة في الحيطة والحذر ولزوما للدقة في تحرير المعنى المراد.

فالاحتراس يأتي في الكلام الذي يوهم خلاف المقصود؛ ليزيل هذا الوهم ويرفع عنه اللبس، ويبعد عن المعنى ما يمكن أن يوجه إليه من عيب قد يتسرب إلى ذهن السامع، وفي هذا حفظ للمعنى ووقاية له. بخاصة ما يتعلق بالحل والحرمة وتنظيم العلائق، يحترس في الآية بما يحفظ المعنى ويصونه؛ حتى يكون الحكم الشرعي واضح لا لبس فيه ولا إيهام.

وقد جاء هذا الغرض في آيات الأحكام أجمع ،ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة:٢١٩]، حيث جاء الاحتراس بقوله: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾، لدفع توهم أن تكون الخمر والميسر فيهما منافع محضة، بل تحفها الآثام حتى تطغى على المنافع، فيكون ذلك أدعى للتفكر في تركها لغلب الشر والإثم عليها.

المقصد الثاني: تحديد المراد في الحكم وبيانه:

للاحتراس أثر بارز في بيان كثير من آيات الأحكام وتحديد المراد وجلاء اللبس. وقد تنوعت أساليب الاحتراس في آيات الأحكام، فتارة يرد بأسلوب الاحتراس الاستثناء، وأخرى بأسلوب الشرط، وثالث في صورة الصفة، أو الغاية.

كما كان للاحتراس دوراً في تحديد المطلق، وتخصيص العام، أو دفع توهم الخصوص، ومن الآيات التي حمل الاحتراس أساليب شتى في دفع التوهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٢٣].

حيث حاء الاحتراس بأساليب شتى، ما بين صفة كقوله: وتخصيص مِنْ نِسَائِكُمُ ﴿ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾، وتخصيص كقوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾، واستثناء كقوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾، فكل القيود التي جاء بها الاحتراس لدفع التوهم، وإيضاح المعنى المراد.

المقصد الثالث: التوكيد.

ومن المقاصد التي جاء بها الاحتراس التوكيد، ومن المعلوم أن التوكيد من أشباه الاحتراس، ويأتي للتوكيد المعنى ودفع التوهم،ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة:١٩٦]، قد يتوهم متوهم أن المراد التخيير بين صوم ثلاثة أيام في الحج، أو سبعة أيام إذا رجع إلى بلده، بدلاً من الثلاثة فجاء الاحتراس، ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، وأزال هذا التوهم، وأكد الحكم.

المقصد الرابع: دفع توهم الاختصاص.

جاء الاحتراس لدفع توهم الخصوص، وهو قصر العام على بعض أفراده، وذلك بإبقاء العام على عمومه، ومن الشواهد ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ

ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧-٨]، فقد وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾، حيث بين أن جميع ما ترك المورث يقسم بين الورثة حسب الأنصبة، دون تخصيص طائفة معينة، بغض النظر عن التركة أو الوارث، وقد كان العرب لا يُورثون النساء والأطفال؛ لكونهم لا يحملون السلاح.

فجاء الإسلام وأبطل هذا المعتقد، وجعل التركة حق مشاع لجميع الورثة، وجاء هذا الإبطال بأسلوب الاحتراس الذي يُعدّ من أقوى الأساليب لتعلقه بأصل المعنى.

المقصد الخامس: دفع توهم العموم.

جاء الاحتراس لدفع توهم العموم ،فقيّدَ إطلاق الحكم العام بإخراج بعض أفراده من عموم الحكم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٥] ، فقد بينت الآيات السابقة دفع الأموال اليتامى لأصحابها، قد يتبادر للذهن أن الحقوق المالية يجب أن تؤدى إلى أصحابها بغض النظر عن أحوالهم، فجاء الاحتراس وخص من هذا العموم وبين أن من أصحاب الأموال لا يعطون أموالهم،وهم السفهاء فلا تدفع لهم أموالهم لأنهم لا يحسنون التصرف فيها، وبذلك يزول التوهم ويَتَبيَّن المعنى المراد.

المقصد السادس: دفع توهم المجاز.

ومن المقاصد التي جاء بها الاحتراس دفع توهم المجاز، حتى يكون الحكم الشرعي واضحا لا لبس فيه ولا إيهام، وحتى يكون تاما لا نقص فيه، والمجاز في لغة العرب، وقد يدخل فيه اللبس، ولذا جاء الاحتراس دافعاً لهذا المجاز بتحديد المراد، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فالتداين يطلق في لغة العرب بمعنى

المجازاة، وبمعنى: تعاطينا الأخذ والإعطاء بِدَيْن، أبان الله تعالى بقوله ﴿بِدَيْنٍ﴾ المعنى الذي قصد تعريفه من قوله: ﴿تَدَايَنتُم﴾ ،حكمته، وأعلمهم أن حكم الدين دون حكم المجازاة.

المقصد السابع: دفع توهم النسخ.

يسهم الاحتراس بأساليب شتى لدفع توهم النسخ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] ،فقد جاء الاحتراس بقوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

المقصد الثامن: دفع توهم الإباحة.

كما جاء الاحتراس لنفي توهم الإباحة في مواضع يظن فيها ذلك، ومن الأمثلة الدالة ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] لدفع ما يتوهم من نفي الجناح من الإباحة، وفائدة التنصيص بخيرية الطواف دفعاً لحرج المسلمين»[١].

المقصد التاسع: رفع الحرج.

وللاحتراس الأثر البارز في نفي الإثم ،ورفع الحرج عما يتوهم وقوعه، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فربما توهم متوهم أن من اضطر وأكل مما حرم الله تعالى يلحقه أثم، فيحرج من الأكل والشرب، فلما جاء

---

(١) روح المعاني (١: ٤٢٥).

الاحتراس رُفِعَ الحرج والإثم، عن من وقع في شيء من ذلك فلا أثم عليه على أن تقدر الضرورة بقدرها ولا يتجاوز، فقد حمل الاحتراس الرخصة، دون سائر الفنون البلاغية.

المقصد العاشر: التشريف والاهتمام.

أسهم الاحتراس بعد دفع التوهم في توجيه الأنظار لأمور قد تغيب عن الأذهان، لعدم الاهتمام بها والالتفات إليها، ومن ذلك ما جاء في شأن الوصية عندما قدم الوصية على الدين. قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ [النساء: ١١]. فكما هو معروف أن وفاء الدين أوجب لتعلقه بذمة الميت، لكن قدمه الله عز وجل للاهتمام بها، والإشادة بمن تمثل أخلاق الإسلام، ليعم توزيع الثروة على أكثر من مستحقيها.

المقصد الحادي عشر: التعظيم.

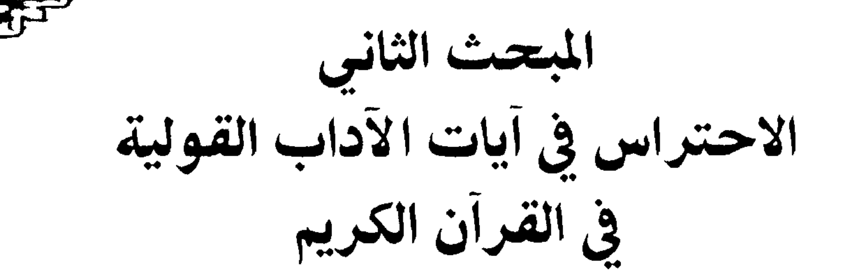
جاء الاحتراس لمقصد عظيم وهو تعظيم البيت الحرام فقال الله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فقد جاء الاحتراس بقوله: ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾، لتعظيم القتال، وتعظيم حرمة القتال في الحرم، وحرمة القتال في الشهر الحرام.

المقصد الثاني عشر: الوعد والوعيد.

كما جاء الاحتراس في مقام الترغيب والترهيب ويؤتى به للتأكيد على إخلاص النية، والبعد عن الرياء في الطاعة؛ حتى يستوجب المسلم ما أعده الله له من ثواب جزيل، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٤]، حيث جعل الله سبحانه وتعالى الإيمان شرط في قبول العمل، وقد جاء الاحتراس بهذا القيد، ليبين أن الإيمان مرتبة عالية،ليحرص المسلم في طلبها.

وفي مقام الترهيب يؤتى بالاحتراس لدفع التوهم عما أباحه الشارع وأحله حتى لا يتوهم الناس أن الأمر المرهب منه على عمومه ،وإطلاقه، فيمتنع عنه الناس وقد أباح الشارح لهم بعضه، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، فقد جاء الاحتراس في قوله: ﴿ظُلْمًا﴾، للترهيب من أكل أموال اليتامى وتقييدّها بالظلم؛ لئلا يكف الناس عن التعامل مع اليتامى، أو المتاجرة بأموالهم.

❁❁❁



المبحث الثاني
الاحتراس في آيات الآداب القولية
في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلـب الأول: الآداب القولية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاحتراس في آيات الآداب القولية.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الآداب القولية.

المطلب الأول

الآداب القولية في القرآن الكريم

توطئة:

يُعدّ القرآن الكريم المنهل لخالد للآداب، وقد عَرَضت آيات الذكر الحكيم الآداب والأخلاق، بأساليب شتى فاستخدم القصة والحوار، والمثل، والمواقف الخطابية، وأسلوب المواجهة، والتقرير المباشر، والوعظ المؤثر، في سبيل تحقيق أغراضه في هداية الإنسان.

وكما جاء الاحتراس في آيات العقيدة والعبادات والمعاملات والأمثال جاءت كذلك الآيات التي تقرر مبادئ الأخلاق، وأصول الآداب، وللورود الاحتراس الأثر البالغ في بيان المعنى، وتقريره في النفس، وبيان الحكم الذي جاء به.

وأسهم الاحتراس في بيان هذه الآداب والأخلاق وأحكامها وحكمها وعظاتها، ليعيش المسلم في ظلال ويتأثر بالآداب ويمتثلها. روى عن ابن مسعود أنه قال: «إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله عز وجل القرآن»[1].

وفيما يأتي تعريف موجز بالآداب ومكانتها في القرآن.

تعريف الأدب:

الأدب في اللغة: «أدْبًا» من باب: ضرب عَلَّمتُه رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، و«الأَدَبُ» :يقع على كلِّ رياضة محمودة يَتَخَرَّجُ بها الإنسان في فضيلة من الفضائل. «فَالأَدَبُ» اسم لذلك والجمع «آدَابٌ» مثل سبب وأسباب و«أَدَّبْتُه» «تَأْدِيبًا» مبالغة وتكثير، ومنه قيل: «أَدَّبْتُهُ» «تَأْدِيبًا» إذا عاقبته على إساءته؛ لأنه سبب يدعو إلى حقيقة

(١) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (١: ١٠٢).

الأدب و«أَدَبَ» «أَدْبًا» من باب ضرب أيضاً صنع صنيعا ودعا الناس إليه فهو «آدِبٌ» على فاعل ،وسُمّي ما يتأدب به الأديب أدباً؛ لأنه يؤدبُ الناس إلى المحامد، ويدعوهم إليها»(١).

لأدب اصطلاحاً: «رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي»(٢).

ذكر ابن حجر (ت:٨٥٢) في شرحه لكتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله فقال: «الأدب استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً وعبر بعضهم عنه بأنه أخذ بمكارم الأخلاق، وقيل الوقوف مع المستحسنات أو الأمور المستحسنة، وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك»(٣).

أما استعمالات هذه الكلمة في كتب أهل العلم، فإنها تأتي بمعنى خصال الخير مثل: آداب الطعام وآداب الشراب، وآداب النكاح، وآداب القضاء، وآداب الفُتيا، وآداب المشي، وآداب النوم، ونحو ذلك، وللعلماء في هذا مصنّفات(٤).

ويُطلق بعض الفقهاء كلمة آداب على كل ما هو مطلوب سواء أكان واجبًا أو مندوبًا، ولذلك بوّبوا فقالوا: آداب الخلاء والاستنجاء، مع أن منها ما هو مستحب

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد الفيومي المقري،تحقيق:يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية(ص: ١٠).

(٢) المعجم الوسيط (١: ٩).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠:٤٩١).

(٤) من أشهرها «الآداب الشرعية» لابن مفلح، و«غذاء الألباب شرح منظومة الآداب لابن عبدالقوي»، وكتاب «أدب الدنيا والدين» للماوردي، وهناك كتب تتكلم بشكل مخصوص عن آداب معينة مثل: «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » لابن جُماعة، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، و«أدب الإملاء والاستملاء» للسمعاني، و«أداب الفُتيا» للسيوطي، وكذلك «آداب الأكل» للأقفهسي، و«آداب الصحبة» للسلمي.

ومنها ما هو واجب. فكلمة أدب أو آداب لا يعني أنه مستحب فقط أو مندوبٌ إليه، بل ربما يكون واجبًا، ويُطلق الفقهاء كذلك لفظة أدب بمعنى الزجر والتأديب.

أقسام الآداب في القرآن الكريم(١):

تنقسم الآداب الواردة في القرآن الكريم قسمين يتفرع عنهما عدة أقسام الآداب القولية: هو القول جميل المستوجب، للمدح شرعاً وعقلاً وعرفا كالكلمة الطيبة.

الآداب الفعلية: هو الفعل الجميل المستوجب للمدح شرعاً وعقلاً وعرفا كإطعام الطعام، وإماطة الأذى عن الطريق.

أنواع الأدب:

للأدب ثلاثة أنواع باعتبار جهة المعاملة، أدب مع الله، وأدباً مع رسوله الكريم وأدب مع الخلق.

أولاً: الأدب مع الله:

يوضح هذا النوع من الأدب حديث الرَسُولُ ﷺ حيث قال: «اسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لله، فَقَالَ: مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبلاءَ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا،فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ»(٢)، يَتَبَيَّن من هذا الحديث أن المراد بالحياء من الله -سبحانه وتعالى- الكف عن المعاصي بكل أنواعها؛ «لأنه إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله والهيبة له، فغلب

---

(١) لم أهتد إلى تعريف للآداب القولية والفعلية، فاجتهدت في تعريفها وبيان أنواعها حسب ما يظهر لي.

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٢٤) رقم (٢٤٥٨)، والبيهقي في شعب الإيمان حديث رقم (٧٧٣٠).

على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجوارحه، وذكر المقام غدا بين يديه، وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه، وجوارحه، وذكر دوام إحسانه إليه، وقلة الشكر منه لربه، فإذا غلب ذكر هذه الأمور على قلبه هاج منه الحياء من الله فاستحى الله أن يطلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره ،،أو على جارحه من جوارحه يتحرك بما يكره فطهر قلبه من كل معصية ،ومنع جوارحه من جميع معاصيه»(١).

كما جسّد القرآن الكريم العديد من الأمثال من أدب الأنبياء عليهم السلام مع الله عز وجل فهذا نوح عليه السلام حكى القرآن أدبه مع ربه بعد سؤاله نجاة ابنه ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٦-٤٧].

وكذلك أدب إبراهيم مع ربه حين قال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ﴾ [الشعراء:٧٨- ٧٩] ، ما قال والذي يمرضني ويشفين، وإنما قال: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾، فنسب المرض إليه، ونسب الهداية والطعام والسِّقا والشفاء إلى الله رب العالمين، مع أن الله هو الذي يمرض ولا شك، وهو الذي يشفي، لكن لم يرد أن ينسب المرض إليه عز وجل، أدباً مع الله سبحانه وتعالى، وهذا من كمال أدب الخليل عليه السلام.

كما حكى القرآن أدب أيوب عليه السلام :﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ،وقد سلك أيوب في دعائه الأدب مع الله ،إذ جعل ما حلّ به من الضر كالمس الخفيف. مع أن ما مسه كان عظيما.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، المروزي، تحقيق: الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ (٢: ٨٢٦).

و يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، والحديث عن أدب الأنبياء والصالحين مع الله عز وجل كثير وعظيم ،ومن تأمل أحوالهم عرف ذلك، وليس المقام مقام استقصاء وحصر.

ثانياً: الأدب مع النبي ﷺ.

إن الأدب مع النبي ﷺ من أنواع الأدب العظيمة، التي أوجبتها الشريعة المطهّرة، وتشمل أموراً كثيرةً، وقد حكى القرآن الكريم الكثير من الحقوق التي للنبي ﷺ على أمته، فمن الأدب مع النبي ﷺ التسليم له والإنقياد لأمره، وتصديق خبره، وتلقّيه بالقبول، وعدم معارضته قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ، ولا يُقدم بين يدي رسول الله ﷺ شيئاً، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١] ،يؤدب الله تعالى في هذه الآية عباده المؤمنين ويعلمهم أصول مخاطبة الرسول ﷺ والتعامل معه، وتوفيته حقه من التوقير والاحترام.

ومن الآداب إذا نطقتم وأنتم في حضرة الرسول ﷺ فلا ترفعوا أصواتكم فوق صوته، ولا تبلغوا بها الحد الذي يبلغه صوته؛ لأن ذلك يدل على قلة الاحترام. وإذا كلمتموه وهو صامت فلا تبلغوا به الجهر الذي يدور بينكم، وإذا كلمتموه فلا تقولوا له: يا محمد، بل خاطبوه بالنبوة، (كيا نبي الله، ويا رسول الله)، مخافة أن يؤدي ذلك التهاون في توفيته ﷺ حقه من الاحترام، إلى الكفر وبطلان الأعمال، وأنتم لا تشعرون بذلك.

ثالثاً: الأدب مع الخلق.

فالأدب مع الخلق يشمل معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليقُ بهم، فالأدب مع الوالدين يختلف عن غيره من الأدب.

وقد سجل الكريم جملة من الآداب في تعامل الخلق مع بعضهم البعض، ومنها :ما جاء على لسان نبي الله يوسف قال تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف:١٠٠] ،فلم يقل: أخرجني من الجبِّ ،مع أنه أخرجه من الجبِّ! لأنه لا يريد أن يجرح مشاعر إخوانه تأدبًا معهم.

«وأشار إلى مصائبه السابقة من الإبقاء في الجبّ ومشاهدة مكر إخوته به بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾، فقوله ﴿بَعْدِ﴾ اقتضت أن ذلك شيء انقضى أثره. وقد ألم به إجمالاً اقتصاراً على شكر النعمة، وإعراضاً عن التذكير بتلك الحوادث المكدرة للصلة بينه وبين إخوته، فمرّ بها مرّ الكرام وباعدها عنهم بقدر الإمكان، إذ ناطها بنزغ الشيطان»(١).

ارتباط الآداب بالعقيدة والعبادات.

للآيات الآداب ارتباط وثيق بالعقيدة، ويبدو ذلك واضحاً في مسهل الآيات التي تستفتح بالنداء بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فإن مقتضى الإيمان أن يكون المؤمن ذا خُلق محمود، وأن الأخلاق السيئة دليل على عدم وجود الإيمان، ويمكن معرفة إيمان المرء بقدر ما يتحلى به من أخلاق.

ولما كان للأخلاق من علاقة وثيقة مع جانب العقيدة فقد ربط الله تعالى الإيمان بحسن الخلق فقال سبحانه: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ

(١) التحرير والتنوير (١٣:٥٧)

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وسئل رسول الله: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟، قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[١]، وقال ﷺ: «البَرُّ: حسْنُ الخُلُق»[٢]. فالبر صفة للعمل وهو اسم جامع لأنواع الخير.

كذلك ما ورد عن رسول الله أنه قال: «الإيمانُ بِضعٌ وسَبعونَ شُعبة ،أفضلُها لا إله إلا الله، وأَدنَاهَا إِماطَةُ الأذَى عَن الطريقِ، والحَياءُ شُعبةٌ مِن الإيمان»[٣].

فعندما يأتي الأدب فإنه يقترن بالإيمان للإشارة أن الإيمان يقتضى الأدب، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤] ، فقد ربط القرآن بين الإيمان، وبين الأعمال الصالحة.

أساليب القرآن في الدعوة للآداب.

الوسيلة الأولى: الوعظ والنصيحة.

الوعظ في اللغة[٤]: وعظ وَعَظَه يَعِظُه وَعْظاً،وعِظَةً، كعِدَةٍ، ومَوْعِظَةً: ذَكَّرَهُ ما يُلَيِّنُ قَلْبَهُ من الثَّوابِ والعِقابِ، الوَعْظُ: النُّصْحُ والتَّذْكِيرُ بالعَوَاقِبِ.

الوعظ في الاصطلاح «فهو التخويف من عذاب الله، والترغيب في العمل القائد إلى الجنة. قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب»[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن كتاب (٦٥) الشهادات، (٣٩) باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها حديث رقم (٢١٣٠١).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٤٦ كتاب البر والصلة)، (٥) باب تفسير البر والإثم حديث رقم (٦٦٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (١) كتاب الإيمان، (٣) باب أمور الإيمان حديث رقم (٩).

(٤) لسان العرب مادة (وعظ).

(٥) التعريفات (ص: ٣٠٥).

النصيحة في اللغة: نصح الشيء: إِذا خَلَص، ويمكن أَن يكونَ النُّصْح والنَّصِيحة من هذا المعنى، لأَنَّ الناصح يَخْلُص للمَنْصوح له عن الغش. والمعنى الثاني: نَصَحَ الثوبَ نَصْحاً: خاطَهُ وكذلك تَنْصَّحه، والنَّصَّاح والناصِح والناصِحيّ: الخَيّاط. والنِّصاح ككتاب: الخَيْطُ. والمِنْصَحَةُ: المِخْيَطَةُ.

النصيحة في الاصطلاح: «الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد»[(١)].

حرص القرآن الكريم على النصيحة فهي أسلوب يدفع إلى فعل الخير، وركوب الطريق الصحيح، والنصيحة طريق الأنبياء، ومنهاج الصالحين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨): «أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] ،يقول جرير بن عبد الله البجلي: بايعت رسول الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[(٢)].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: النَّصِيحَةُ تَشْمَلُ خِصَالَ الإِسْلامِ وَالإِيمَانَ وَالإِحْسَانَ[(٣)].

الوسيلة الثانية: الترغيب والترهيب.

وهذا أسلوب من الأساليب القرآنية يُراعي فيه طبيعة النفس البشرية المجبولة على محبة ما فيه نفعها ومصلحتها والإقبال عليه، وكره ما يضرها ويؤذيها ويفسد عليها أمرها والنفور منه، فتجد القرآن يرغب الناس في إتباع الهدى من الوعد بالخير المترتب على ذلك، ويُرهبهم من إتباع الباطل من الوعيد المترتب على ذلك أيضًا، ولا شك أن الجمع بين الترغيب والترهيب مراعاة للتوازن النفسي عند الإنسان فهو في بعض

---

(١) التعريفات (ص: ٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧) كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأخرجه مسلم (٥٦) كتاب الإيمان، (٢٥)باب بيان أن الدين النصيحة.

(٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١/ ٣٣).

الحالات أشد استجابة لدواعي المصلحة فينفعه الترغيب وفي حالات أخرى يكون أشد انسياقًا وراء الهوى والشهوات فلا يرعوي إلا بالترهيب، وكان من كرم الله تعالى أن كان الوعد لازمًا والوعيد بخلافه(١)

ويستعمل القرآن أسلوب الترغيب والترهيب بمقدار ما يقوم السلوك الإنساني، وليس في القرآن في -الأعم الأغلب- آية ترغيب إلا تبعها آية ترهيب، وما من ترهيب إلا ويتبعه ما فيه ترغيب.

جمعت آيات القرآن الكريم جملةً من الوعود التي يمكن تقسيمها إلى وعود معجلة في الدنيا وأخرى مؤجلة في الآخرة، أما الأولى فمنها الوعد بالزيادة لمن شكر نعمه حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] ،وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ،وهذا في العاجل ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ ،وهذا في الآجل ومن هذه النعم العاجلة مغفرة الذنوب وعدم إهلاكهم بها في الدنيا حيث قال تعالى: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠] يعني: «الموت، فلا يعذبكم في الدنيا»(٢) ،ومن وعد الله تعالى لمن استجاب الله في الدنيا أن يستبدل بهم من أعرض عن ذكره، ويخلفهم في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ [إبراهيم: ١٤]، فهذا صريح أنه في العاجل حيث وعد.

---

(١) الوعد من وعده الأمر ويقال في الخير: وَعَد، وفي الشر أوْعَد، وأما الوعيد فهو التهديد، وأنبه بدايةً إلى أن الوعد لازم الوفاء أما الوعيد فيجوز إخلافه (لأنه انتقال من العدل إلى الكرم والانتقال من العدل إلى الكرم كرم وثناء) والعرب تعرف هذا الفرق في المعنى كما قال الشاعر:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمُخلف إيعادي ومُنجز موعدي.

ينظر: شرح العقيدة الواسطية،ابن عثيمين، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ (ص:٢٢٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢: ١١٤).

ومن أسلوب الترغيب والوعود الحسنة والرغائب الآجلة فما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وأيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣] ،وقد جاء هذا الجزاء ترغيبًا في فعل الأعمال الصالحة وسلوك الآداب الحسنة.

الوسيلة الثالثة: القدوة الحسنة.

أشاد القرآن الكريم برسول الله ﷺ القدوة فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [الممتحنة: ٤] ، ولقد استطاع الرسول ﷺ بفضل تلك القدوة أن يحمل معاصريه قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، لا بالأقوال فقط وإنما بالسلوك الواقعي الحي، ومتابعة ذوى الأخلاق الحسنة ومجالستهم والسماع منهم له الأثر الطيب في نفس الجليس فيدفعه إلى اقتباس أخلاقهم.

الوسيلة الرابعة: ضرب المثل.

تنوعت أساليب القرآن الكريم في الدعوة لمكارم الأخلاق والآداب، ومن هذه الأساليب ضرب الأمثال، ومن ذلك مثل ضربه الله تعالى للكلمة الطيبة والأدب الحسن في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٦] ، فشبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، ذات الجذور الراسخة

الضاربة في الأرض، ثباتًا والفروع المتشعبة عن أصلها الطيب، فإذا بها يانعة الثمار، فكذلك الطيب من العمل الصالح والآداب الحسنة،والمتدبر لهذه الصورة القرآنية يدرك مدى ثقل هذه الكلمة، وهذا الآداب واهتمام القرآن بها، ولترسيخها في عقول وقلوب الناس ضرب بهذه الصورة الرائعة والمثل البديع.

خامسًا: أسلوب القصص.

القصص في اللغة: القَصُّ: اتِّباعُ الأَثَر. ويُقَالُ: خَرَجَ فلانٌ قَصَصاً في أَثَرِ فلانٍ، وقَصّاً، وذلكَ إذا اقْتَصَّ أَثَرَهُ. وفي قَوْله تَعالَى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾، أي: تَتَبَّعِي أَثَرَهُ[١] [القصص:١١] ، القَصُّ: البَيَانُ، والقَاصُّ: مَنْ يَأْتِي بالقِصَّة على وَجْهِهَا، كأَنَّهُ يَتَتَبَّعُ مَعَانِيَهَا، وأَلْفَاظَها. والقصة: الأمر والحديث، واقتصصت الحديث، رويته على وجهه، وقص عليه الخبر قصص.

القصة في الاصطلاح: «تتبع الوقائع بالإخبار عنها شيئا بعد شيء في ترتيبها»[٢].

وفي ذكر القصص تربية وأدب للسامع فليس القصد بيان التاريخ بذاته، وإنما لمقاصد متنوعة تُتلمس فيها العبرة والعظة.قال القاسمي (ت: ١٣٣٢): «إن قصص القرآن الكريم لا يُراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص وإنما هي عبرة للناس»[٣]، ومن المقاصد التلطف في الخطاب والرفق في دعاء الخلق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣- ٤٤]، فالله سبحانه وتعالى أمر رُسُلَه عليهم السلام بالرفق. وفي هذا بيان لأدب عظيم من آداب القرآن وهو الدعوة بالحكمة، واللطف حتى مع الكفار، ولا يحول الكفر دون التلطف في الخطاب.

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس مادة (قصص).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (١: ٥٨٤).

(٣) محاسن التأويل (١:١١٤).

والقرآن الكريم بجميع آياته وسورة قد دل على قواعد أخلاقية مهمة ، ومبادئ سلوكية مفيدة، وسيأتي عرض آيات منها إن شاء الله تعالى، وقد بَيَّن أن آداب التي جاءت في القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة هي الغاية من بعثة رسول الله ﷺ والتي بينها بقوله: «إِنَّمَا بعثت لأتمم مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»[1] ،وقبل أن يؤدب الرسول ﷺ أمته كان الله قد أدبه بالأدب العالي حيث كان القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، وعلى هذا فتكون آداب الإسلام قد تمثلت في أدب رسول الله والتي هي الطراز الفذ والنمط العالي والغاية المنشودة والأمل المرجى للمثل العليا وللحياة الفاضلة.

❀❀❀

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦٥) كتاب الشهادات (٣٩) باب مكارم الأخلاق ومعاليها حديث رقم (٢٠٥٧١)، والحاكم في المستدرك ومن كتاب آيات رسول الله التي هي دلائل النبوة حديث رقم (٤٢٢١).

المطلب الثاني

الاحتراس في آيات الآداب القولية في القرآن الكريم

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

*** الدراسة والتحليل:**

ذكرت هذه الآيات الكريمة صفات المتقين من الإيمان بالغيب، و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والإيمان بما أنزل الله من كتب، والإيمان بالدار الآخرة، ثم أخبر عنهم بأنهم على أتم هداية من ربهم وهم الفائزون في الدنيا وفي الآخرة بدخول الجنة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في ضمير الفصل «هم» والمعنى أن من حاز تلك الصفات المتقدمة من الإيمان فأولئك لا غيرهم هم المفلحون، فلو لم يرد ضمير الفصل «هم» لتوهم أن يندرج غير من حاز هذه الصفات.

وقد أشار إلى هذا الاحتراس محي الدين زاده (ت:٩٥١) فقال: «إن جعل لفظ ﴿هُمُ﴾ فصلاً يعتبر فيه قصر المسند على المسند إليه إفراداً دفع لتوهم الشركة بأن يتوهم أن المعهودين بالفلاح في الآخرة يندرج فيهم غير المتقين أيضاً»[١].

كانت تلك هي الإشارة الوحيدة للاحتراس في الآية الكريمة، بيد أن كثير من المفسرين نحا في هذه الآية منحى قريب من الاحتراس، وهو اعتبار أن موقع الاحتراس إنما جاء لبيان كمال الاختصاص، وكما هو معلوم أن في الاختصاص دفع

(١) حاشية محي الدين زاده (١: ٢١٣).

لتوهم المشاركة فلو لم يقصر الفلاح على من اتصف بهذه الصفات ربما يتوهم متوهم أن من أخل بصفة من الصفات يفلح أو يفوز.

فقال الرازي (ت: ٦٠٦): «وفي تكرير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تنبيه... كما أنه ثبت لهم الاختصاص بالهدى، فقد ثبت لهم الاختصاص بالفلاح -أيضاً- فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين»[(١)]، وهذا الذي ذكره الرازي غير واحد من المفسرين[(٢)].

وقد أعرض غير واحد من المفسرين عن ذكر ما يدل على الاحتراس[(٣)].

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في الحث على الشكر في كل نعمة امتن الله تعالى بها على عباده، شكر تام في جميع النواحي لا يعقبه كفر، ولذا ذيل الآية بقوله ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾.

الاحتراس وموقف العلماء منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾، فلو اقتصر جل شأنه على قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾؛ لتوهم أن الشكر ما كان باللسان فحسب فجاءت ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ ؛ لتأكيد الأمر وللدلالة على أن ترك الشكر كفر.

لم أر من المفسرين من أشار إلى وجود الاحتراس أو معناه إلا ما أشار إليه محيي الدين شيخ زاده (ت: ٩٥١) حيث قال: «فإن قيل: لم قال بعده: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾، ولم

(١) مفاتيح الغيب (٢: ٣٢).

(٢) ينظر: السراج المنير (١: ٤٤)، والكشاف (١: ٥٢).

(٣) جامع البيان (١: ١٤٠)، وبحر العلوم (١: ٥٠)، وحقائق التفسير (١: ٥٠)، والكشف والبيان (١: ٤٩)، والوجيز (١: ٩١)، ومدارك التنزيل (١: ٤٥)، والمحرر الوجيز (١: ٨٦)، والجواهر الحسان (١: ١٤٩).

يقتصر على أحد اللفظين، لما كان الإنسان قد يكون شاكراً في شيء ما وكافراً في غيره، صح أن يوصف بهما على حسب النظر إلى فعليه فلو اقتصر على قوله: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾، لكان يجوز أن ذلك النهي عن تعاطي فعل قبيح، دون البحث عن الفعل الجميل، فجمع بينهما لإزالة هذا الوهم؛ ولأن في قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، تنبيه على أن ترك الشكر كفر»[(١)].

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

هذه الآية تناظرها آية أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨- ٩].

*** الدراسة والتحليل:**

يبين الله عز وجل أوجه البر فَالبِرُّ يَقُومُ بِالإيمانِ بِالله، وَاليَوم الآخِر وَالملائكة، والكتاب المنزل من عند الله، وَالإيمان بالنَّبِيِّين، وبإنفاق المال في طاعته على ذوي قُرْبَاهُ، وعلى اليتَامى، وعلى المساكين، وعلى ابن السَّبيل، وَعَلَى السَّائلين الذِينَ يَتعرَّضُونَ لِلسُّؤالِ، وعلى العبيد المُكاتَبَيِّنَ الذين لا يَجِدُون ما يُؤَدُّونَهُ في كتابتهم.

---

(١) حاشية محي الدين زاده (٢: ٣٨٩).

كما أن البر يقوم بإقامة الصلاة، وبدفع الزكاة، وبالتمسك بالعهود والمواثيق وعدم النكث بها، وبالصبر.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ،لما بين الله عز وجل وجوه البر وذكر الإنفاق في وجوه المتنوعة، والجزاء المترتب عليه، قد يتبادر للذهن أن هناك من ينفق رياء، وطلباً للثناء الحسن، فجاء الاحتراس بهذا القيد لحال الإطعام دليل على قوة الإيمان بالجزاء،وتقديم ما عند الله.

وقد ألمح إلى هذا المعنى غير واحد من المفسرين، فقال القرطبي (ت: ٦٧١): ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ،راجعة إلى المال يعني أعطى المال في حال صحّته ومحبّته إياه ونفسه به «وهذا عندهم يسمى التتميم، وهو نوع من البلاغة، ويسمى أيضاً الاحتراس والاحتياط، فتمم بقوله ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾»[1].

نقل القرطبي الخلاف في عود الضمير على المال أو على صاحبه، واختار عوده على المال، ثم بين الفن البلاغي في الآية، حيث جمع الاحتراس والاحتياط مع التتميم، والقرطبي في ذلك يشير إلى الاحتراس لكنه لم يلتفت للتقسيم البلاغي.

وكذلك يرى ابن جزي (ت: ٧٤١) حيث قال:« ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير عائد على المال.... وهو على هذا تتميم وهو من أدوات البيان»[2].

ويتابع ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: «في التصريح بالاحتراس فيقول: «على في قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ،مجاز في التمكن من حب المال، وهي في مثل هذا المقام

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢: ٢٤٢).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١: ١٢٨).

للتنبيه على أبعد الأحوال من مظنة الوصف فلذلك تفيد مفاد كلمة مع، وتدل على معنى الاحتراس كما هي في قول زهير[١]:

مَن يَلْقَ يوماً على عِلاَّتِه هَرِماً يَلْقَ السماحة فيه والنَّدى خُلُقاً[٢]

يرى ابن عطية (ت: ٥٤٢): «أن موقع الاحتراس إنما هو اعتراض فقال: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، الآية هذه كلها حقوق في المال سوى الزكاة ،وبها كمال البر قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ اعتراضاً بليغاً أثناء القول ويحتمل أن يعود الضمير على الإيتاء، أي في وقت حاجة من الناس وفاقة ،فإيتاء المال حبيب إليهم»[٣].

ويرد هذا القول أبو حيان (ت: ٧٤٥): «إن كان أراد بالاعتراض المصطلح عليه في النحو فليس كذلك، لأن شرط ذلك أن تكون جملة وأن لا يكون لها محل من الإعراب، وهذه ليست بجملة، ولها محل من الإعراب. وإن أراد بالاعتراض فصلاً بين المفعولين بالحال فيصح لكن فيه إلباس، فكان ينبغي أن يقول فصلاً بليغاً بين أثناء القول»[٤].

ومما مضي يَتبَيَّن الاحتراس في الآية الكريمة على اختلافٍ في تسميته ما بين تتميم وتكميل واحتراس، ذلك أن المفسرين لم يلتفتوا إلى إطلاق المصطلحات، لكنهم اتفقوا على مقصده، كما أسهم الاحتراس في الدلالة والإرشاد على أعظم وجوه البر، وهو أنه يعطي المال محباً له، ونفس الإنسان متعلقة به، ثم يؤثر به غيره ابتغاء وجه الله.

وقد أفصح عن الاحتراس ومقصده آيات وأحاديث أخرى ليس هذا مقام بسطها، ومن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ حيث قال: «أَفْضَلُ الصَّدَقَة أَنْ تَصَّدَّقَ وَأَنْتَ

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى (ص: ١٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢: ١٨٧).

(٣) المحرر الوجيز (١: ٢٢٩).

(٤) البحر المحيط (١: ٤٣٧).

صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَتَخَافُ الْفَقْرَ وَلا تُمْهَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتُ لِفُلانٍ كَذَا وَفُلانٍ كَذَا إِلاَّ وَقَدْ كَانَ لِفُلانٍ»[١].

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

*** الدراسة والتحليل:**

يذكر الله عز وجل في هذه الآيَةِ صِفات أهْل الجَنَّة فيقول: إنَّهم الذين يُنفقون أموالهم في سبيل مرضاة الله، في الرَّخاء (السَّرَّاءِ)، وفي الشِّدَّة (الضَّرَّاءِ)، وفي الصِّحَّة والمرض، وفي جميع الأحْوَال، لا يشغلهم أمرٌ عن طاعة الله، وَالإنْفاق في سبيل مرْضاتِه، وإنهم يَكْتُمُونَ غيظهم إذا ثار، ويعفون عمّن أساء إليهم. والله يحب الذين يَتَفَضَّلُون عَلَى عبَاده البائسين، وَيُوَاسُونَهُمْ شكراً لله على جزيل نعمه عَلَيْهِمْ. وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَهو يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِهِ مَلأَ اللهُ جَوْفَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً»[٢].

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ بيّنَ الله عز وجل صفات أهل الجنة من المتقين بين أن من صفاتهم كظم الغيظ، وقد يتبادر إلى الأذهان أن كظم الغيظ ربما يكون عن ضعف، ولا يستطيع المرء أن يمضي غيظه، جاء الاحتراس لدفع التوهم،

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح في(٢٤) كتاب الزكاة، (٣٥) باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح حديث رقم (١٣٥٣) وأخرجه مسلم في(١٢) الزكاة، (٣١) باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح حديث رقم (١٠٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند برقم (١٥٦١٩).

وبيان أن المتقي من يكظم غضبه وهو قادر على إنفاذه، وبذلك يزول توهم الضعف، وتثبت صفات الكمال لأصحاب الجنة.

صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوجود الاحتراس فقال: « العفو عن النَّاس فيما أساؤوا به إليهم. وهي تكملة لصفة كظم الغيظ بمنزلة الاحتراس لأنّ كظم الغيظ قد تعترضه ندامة، فيستعدي على من غاظه بالحقّ، فلمّا وصفوا بالعفو عمّن أساء إليهم، دلّ ذلك على أنّ كظم الغيظ، وصف متأصّل فيهم، مستمرّ معهم»[(١)].

مما مضى يَتبَيَّن كيف أسهم الاحتراس في الترغيب في العفو والصفح ،والحث على مكارم الأخلاق، قال الله جل وعلا: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] ،وفي الحديث أن الرَسولُ اللهَّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يشْرَفَ لَهُ بنيَانٌ، وَأَنْ تُرْفَعَ لَهُ دَرَجَاتٌ، فَلْيَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلْ مَنْ قَطَعَهُ»[(٢)].

تفاوتت عبارات المفسرين في الحديث عن كتم الغيظ ،والعفو عن الإساءة، ولم أقف على دلالات واضحة على الاحتراس سوى ما ذكره ابن عاشور.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

*** الدراسة والتحليل:**

يخاطب الله عز وجل المؤمنون أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، كونوا قائمين بالعدل، مؤدين للشهادة لوجه الله تعالى، ولو كانت على أنفسكم ،أو على

(١) التحرير والتنوير (٤: ٩١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

آبائكم وأمهاتكم، أو على أقاربكم، مهما كان شأن المشهود عليه غنيًّا أو فقيرًا، فإن الله تعالى أولى بهما منكم، وأعلم بما فيه صلاحهما، فلا يحملنَّكم الهوى والتعصب على ترك العدل، وإن تحرفوا الشهادة بألسنتكم فتأتوا بها على غير حقيقتها، أو تعرضوا عنها بترك أدائها أو بكتمانها، فإن الله تعالى كان عليمًا بدقائق أعمالكم، وسيجازيكم بها. العَدْلُ هو نظام الوجود، لذلِك أمْر الله المؤْمِنِين بأن يَجلعوا العنايَة بإقامة العدل، على وجْهِه الصَّحِيحِ، صِفَةً ثَابِتَةً لَهُمْ، رَاسِخَةً فِي نُفُوسِهِمْ.كما أمر بِهِ، مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةٍ لأَحَدٍ، ولا مُحَابَاةٍ لَهُ، وَلَو كانت الشَّهادة على نفس الإنسان، بأن يثبت بها الحَقّ عليه (وَمَنْ أَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِحَقٍّ فَقَدْ شَهِدَ عَلَيْهَا).

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ،لما أمر الله عز وجل بإقامة العدل، وإقامة الشهادة بين الحق تعالى أن الشهادة تكون على النفس، فلما ذكرت النفس قد يتوهم أن الشهادة على النفس تكفي، وهي أعلى المنازل في الإنصاف دفع التوهم، بأن هناك شهادة أعلى، وهي شهادة المرء على أبويه وأقرباه أعلى لأن المرء قد تلحقه معرة من ذلك.

وهذا أقصى ما يبالغ عليه في الشدة والأذى، لأن أشق شيء على المرء ما يناله من أذى وضر في الوالدان والأقربون، لأن أقضية القاضي وشهادة الشاهد فيما يلحق ضرا ومشقة بوالديه وقرابته أكثر من قضائه وشهادته فيما يؤول بذلك على نفسه. وكان من عادة العرب أن ينتصروا بمواليهم من القبائل، ويدفعوا عنهم ما يكرهونه، ويرون ذلك من إباء الضيم، ويرون ذلك حقا عليهم، ويعدون التقصير في ذلك مسبة وعارا يقضى منه العجب.

أشار غير واحد من المفسرين، إلى وقوع الاحتراس في الآية الكريمة فقال: ابن جزي

(ت:٧٤١): « ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يتعلق بشهد وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بالحق ثم ذكر الوالدين والأقربين إذ هم مظنة للتعصب»[١].

فابن جزي يرى أن الشهادة على الوالدين والأقربين مظنة للتعصب؛ ولذا كانت تستبعد أن تكون، فلما ذكر الاحتراس زال التوهم.

ويصَرِّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى موقع الاحتراس فيقول: «جعل عطف الوالدين والأقربين بعد ذلك لقصد الاحتراس ؛ لئلا يظن أحد أنه يشهد بالحق على نفسه؛ لأن ذلك حقه، فهو أمير نفسه فيه، وأنه لا يصلح له أن يشهد على والديه، أو أقاربه لما في ذلك من المسبة والمعرة أو التأثم»[٢].

ويُفصّل الإمام القرطبي (ت: ٦٧١) في المسألة فيقول: «قوله تعالى: ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾، بناء مبالغة، أي: ليتكرر منكم القيام بالقسط، وهو العدل في شهادتكم على أنفسكم، وشهادة المرء على نفسه إقراره بالحقوق عليها.

ثم ذكر الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما، ثم ثنى بالأقربين إذ هم مظنة المودة والتعصب، فكان الأجنبي من الناس أحرى أن يقام عليه بالقسط، ويشهد عليه، فجاء الكلام في السورة في حفظ حقوق الخلق في الأموال»[٣].

يفهم من صيغة المبالغة أن من اتصف بالإيمان فيجب أن يكون ديدنه القيام بالشهادة على وجهها، بغض النظر عن المشهود عليه، وليس فيها من العقوق أو قطيعة رحم.

ومما سبق يتضح وقوع الاحتراس في الآية الكريمة وقد دل المعنى عليه وإن لم تفيض به عبارات المفسرين.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١: ٢٨٦).

(٢) التحرير والتنوير (٥: ٢٢٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧: ١٧٣).

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٨ -١٤٩] (١).

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء، ولازم هذا أن عباده المؤمنين يجب أن يكرهوا ما يكره ربهم ويحبوا ما يحب، ولما حرم تعالى على عباده الجهر بالسوء بأبلغ عبارة وأجمل أسلوب، استثنى المظلوم فإن له أن يجهر بمظلمته لدى من يرفع عنه الظلم فقال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ «وما زال» ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ ألا فليتق فلا يعصى بفعل السوء ولا بقوله. ثم انتدب عباده المؤمنين إلى فعل الخير في السر أو العلن، وإلى العفو عن صاحب السوء فقال: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، فسيكسب فاعل الخير خيراً أبداه أو أخفاه وسيعفو عن صاحب العفو حينما تزل قدمه فيجني بيده أو بلسانه ما يستوجب به المؤاخذة فيشكر الله تعالى له عفوه السابق فيعفو عنه ﴿كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس فيما بعد الاستثناء، ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ ،فلما ذكر الله عز وجل إنه لا يحب الجهر بالسوء من القول، قد يتوهم من هذا الإطلاق العموم، حتى من ظلم مطالب بأن

---

(١) يرى المعتزلة أن هذه الآية على أنه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح ولا يخلقها وذلك ؛لأن محبة الله تعالى عبارة عن إرادته فلما قال: لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ علمنا أنه لا يريد ذلك، وأيضاً لو كان خالقاً لأفعال العباد لكان مريداً لها ،ولو كان مريداً لها لكان قد أحب إيجاد الجهر بالسوء من القول وإنه خلاف الآية.

يصبر ويكتم شكواه، جاء الاحتراس فدفع هذا اللبس بالاستثناء أن من ظلم فله الحق في رفع شكايته ومظلمته، وأن هذا العموم لا يشمله، فلو لم يأت الاحتراس لتوهم خلاف المراد، ولتضرر المظلوم لعدم رفع شكايته لمن بيده نصرته.

وهذا المعنى الذي قصده الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين[١] فقال: الإمام الطبري (ت:٣١٠): «لا يحب الله أن يدعو أحدٌ على أحد، إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخَص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: «إلا من ظلم»، وإن صبر فهو خير له»[٢].

ويُصَرِّحَ ابن عاشور بالاحتراس بقوله: «ورخَّص الله للمظلوم الجهر بالقول السيّىء ليشفي غضبه، حتّى لا يثوب إلى السيف أو إلى البَطش باليد، ففي هذا الإذن توسعة على من لا يمسك نفسه عند لحاق الظلم به، والمقصود من هذا هو الاحتراس في حكم ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾، وقد دلَّتْ الآية على الإذن للمظلوم في جميع أنواع الجهر بالسوء من القول، وهو مخصوص بما لا يتجاوز حدّ التظلّم فيما بينه وبين ظالمه، فهذا الاستثناء مفيد إباحة الجهر بالسوء من القول من جانب المظلوم في جانب ظالمه»[٣].

ويشير ابن عجيبة (ت:١٢٢٤) إلى معنى الاحتراس حيث قال: «قلت: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، استثناء منقطع، أي: لكن من ظلم فلا بأس أن يشكو ظالمه ويدعو عليه، وليس المراد أن الله يحب ذلك منه، إذ العفو أحسن»[٤].

ويرى الشنقيطي (ت: ١٣٩٣): «أن هذه الآية من الآيات التي جمع فيها بين الأمر بالعدل والتفضل بالإحسان حيث قال: وقوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا

(١) ينظر: النكت والعيون (١: ٥٣٩)، والوجيز(٢: ٢٩٨)، وبحر العلوم (١: ١٧٧)، واللباب (٧: ١٠٠).

(٢) جامع البيان (٨: ٥٣)

(٣) التحرير والتنوير (٦:٦) بتصرف يسير.

(٤) البحر المديد (٢: ١٧٢).

مَن ظُلِمَ ﴾، فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[1].

ومما سبق تَبَيَّنَ دور الاحتراس في بيان الآداب القرآنية، وهذا الأدب الذي جلاه الاحتراس دلَّتْ عليه آيات القرآن الكريم فلا بأس أن يجهر بالدعاء على الظالم، أو بالشكوى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤١].

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

* الدراسة والتحليل:

يُرشدُ اللهُ تَعَالَى عباده إلى دعائه بِتَضَرُّعٍ وبِصُورَةٍ خَفِيَّةٍ،لا جِهاراً ولا مرَاءَاةً، فَاللهُ لا يحب أن يَتَجَاوَزُوا في الدُّعَاء حُدُود ما أمروا به، ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي: خوفا من عقابه، وطمعا في ثوابه، طمعا في قبولها، وخوفا من ردها، أرشد الله تعالى عباده إلى عدم التجاوز في الدعاء.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَخُفْيَةً ﴾، لما وجه الباري عز وجل عباده لأدب من آداب الدعاء وهو التضرع، أعقبه بوصف الخفية، لما يوهم وصف التضرع من رفع الصوت، أو أن يدعوا بصوت مسموع، فأما جاء الاحتراس زال التوهم، وتَبَيَّنَ المراد ، وقد امتدح الله عز وجل زكريا عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٣].

---

(١) أضواء البيان (ص:٤٩٥) سورة النحل.

ويشير ابن عجيبة لهذا المعنى فيقول: «ذوي تضرع وخفاء؛ فإن الإخفاء دليل الإخلاص ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره»[1].

وهذا المعنى الذي بينه الاحتراس تواترت الآيات والأحاديث في بيانه والدعوة إليه، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾، [الأعراف: ٢٠٥] ويوضح هذا المعنى الحديث الصحيح؛ لأن النَّبي ﷺ لما سمع أصحابه رفعوا أصواتهم بالتكبير قال ﷺ: «ارْبعُوا على أنفُسِكُمْ فإنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ، ولا غَائِباً، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وإنَّهُ لَمَعَكُمْ»[2].

ومما مضى يَتَبَيَّن إسهام الاحتراس في بيان أدب من الآداب القرآنية في الدعاء.

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر الله عز وجل أن سيصرف عن فَهْم الحجج والأدلة الدالة على عظمته، وشريعته وأحكامه، قلوب المتكبرين عن طاعة الله، والمتكبرين على الناس بغير الحق، فلا يتبعون نبيًا، ولا يصغون إليه لتكبرهم، وإنْ يَرَ هؤلاء المتكبرون عن الإيمان كل آية لا يؤمنوا بها لإعراضهم ومحادَّتهم لله ورسوله، وإن يروا طريق الصلاح لا يتخذوه

---

(١) البحر المديد (٢: ٤٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٨) كتاب الصلاة (٢٩) بَاب :مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ حديث رقم (٢٩٩٢)، وأخرجه مسلم في الصحيح (٤) كتاب الصلاة (١٣) باب استحباب خفض الصوت بالذكر حديث رقم (٧٠٣٧).

طريقًا، وإن يروا طريق الضلال، أي: الكفر يتخذوه طريقًا ودينًا؛ وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله ،وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالاتها.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، لما ذكر الله عز وجل أنه سيصرف عن آيات الله فلا ينتفع بها من تكبر في الأرض، جاء الاحتراس بوصفها بغير الحق، ويخرج من تكبر في الحق، وبذلك انتفى التوهم، وفهم المعنى المراد.

وقد أشار غير واحد من المفسرين، لمعنى الاحتراس فقال بجعل قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ قيدا للتكبر، وجعل من التكبر ما هو حق، ومنه ما هو باطل. ومن ذلك ما ذكره أبو حيان (ت: ٧٤٥) حيث قال: «ويتعلق ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بيتكبرون أي: بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وقد يكون التكبّر بالحقّ كتكبّر المحقّ على المبطل»[(١)].

وعبارة أبو حيان نقلها عنه غير واحد من المفسرين[(٢)] ويرى ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) أن السبب في هذا القيد: «زيادة لتشنيع التكبر بذكر ما هو صفة لازمة له وهو مغايرة الحق، أي: باطل وهي حال لازمة للتكبر»[(٣)].

وقد جاء الإسلام بتحريم الكبر؛ لما فيه من المفاسد والشرور والأضرار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

---

(١) البحر المحيط (٤: ٣٨٨).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل (٣: ٥٩)، والسراج المنير(١:٥٩٢).

(٣) التحرير والتنوير (٨: ٢٨٧).

لكن التكبر مطلوب في المواطن التي يلتقي فيها المسلمون بأعدائهم، وقد ورد «أَنَّ أَبَا دُجَانَةَ يَوْمَ أُحُدٍ أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُو مُخْتَالٌ فِي مِشْيَتِهِ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهَا مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ»[(١)].

ومما مضى يَتَبَيَّن كيف أسهم الاحتراس بتقييد صفة التكبر، وكونها بغير حق، كما أسهم في الدلالة على أدب عظيم وهو تحريم التكبر بغير الحق، لكن في مواضع العزة فيحب الله التكبر.

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ - ١١].

*** الدراسة والتحليل:**

يبين الله عز وجل أحوال الإنسان المتقلبة في الرخاء والشدة، ويَسْتَثْنِي الله تعالى من الأُناس اللَّجوجِين القنوطين، المؤمنين الذين صبروا على الشَّدائد والمكَاره، إيماناً بالله، واحْتِسَاباً، وعَمِلُوا الصّالحات في الرَّخاء والشِّدَّة، فهؤلاء سيغْفُر الله لهم بما يُصِيبُهُمْ مِن الضَّرّاء، وسيجزيهم أَجْراً كبيراًبما أسلفوا في زمن الرَّخاء من صالح الأعمال.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، لما ذكر الله عز وجل في سياق الآيات، جنس الإنسان من تقلبات أحواله بحسب ما يطرأ عليه من النعم والنقم، استثنى الله عز وجل الذين صبروا من المؤمنين فهم لا يدخلون في هذا الصنف، لإيمانهم بالله واليقين بما عنده يجعلهم يتحملون مشاق الحياة، وصعوبتها.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم (٦٣٨٨).

وقد صَرَّحَ بوجود الاحتراس ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «احتراس باستثناء من ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾. والمراد بالّذين صبروا المؤمنون بالله؛ لأنّ الصبر من مقارنات الإيمان فَكنيَ بالذين صبروا عن المؤمنين فإنّ الإيمان يَرُوضُ صاحبَه على مفارقة الهوى ونبذ معتاد الضلالة»(١).

وقد سبقت هذه الإشارة إشارة عند ابن عطية (ت:٥٣٨) حيث قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الاستثناء متصل من أن الإنسان عام يراد به الجنس»(٢).

وما مضى يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد أسهم الاحتراس في دفع توهم العموم، حيث أخرج الإنسان المؤمن من هذا النوع إذا أن الذين صبروا وعملوا الصالحات، فإنهم إن نالتهم شدّة وعسرة صبروا، وإن نالوا نعمة شكروا لهم مغفرة لذنوبهم.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٨- ٩٩].

*** الدراسة والتحليل:**

يوجه الله عز وجل لأدب عظيم فإذا أردت -أيها المؤمن- أن تقرأ شيئًا من القرآن فاستعذ بالله مِن شرِّ الشيطان، ثم أخبر الله -جل جلاله- بأن الشيطان ليس له تسلُّطٌ على المؤمنين بالله ورسوله، وعلى ربهم وحده يعتمدون. إنما تسلُّطه على الذين جعلوه مُعينًا لهم وأطاعوه، والذين هم -بسبب طاعته- مشركون بالله تعالى.

---

(١) التحرير والتنوير (١١: ١٥).

(٢) المحرر الوجيز (٣: ١٧٠).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، لما أمر الله عز وجل بالاستعاذة من الشيطان، قد يتوهم متوهم أن له سلطان على المؤمنين، جاء الاحتراس ليدفع التوهم، ويبين أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا.

أشار إلى موقع الاحتراس غير واحد من المفسرين فقال الرازي (ت:٦٠٦): «لما أمر رسوله بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يوهم أن للشيطان قدرة على التصرف في أبدان الناس، فأزال الله تعالى هذا الوهم، وبيّنَ أنه لا قدرة له ألبته إلا على الوسوسة، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾»[(١)]، دلَّتْ عبارة الرازي على الاحتراس. وقول الرازي تابعه عليه غير واحد من المفسرين، فقال البيضاوي (ت: ٦٨٥): «فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة ؛ لئلا يتوهم منه أن له سلطان»[(٢)].

فالبيضاوي أشار إلى الاحتراس بمقصوده، (لئلا يتوهم)، وتابعه فيما ذهب إليه محيي الدين زاده (ت:٩٥١) في حاشيته، حيث قال: «لما أمر بأن يسأل الله أن يُعيذه من وسواسه توهم منه أن له تسلطاً، وولاية على إغواء بني آدم كلهم، فنفى الله تعالى أنه لا تسلط له على المؤمنين بالله تعالى والمتوكلين عليه»[(٣)].

وهذا المعنى الذي ذكره البيضاوي أشار إليه عامة أهل التفسير، إذ يرون أن ليس لشيطان تسلط وولاية على أولياء الله المؤمنين به، والمتوكلين عليه، ونصوص العلماء الدالة على ذلك لا يسعها المقام[(٤)].

(١) مفاتيح الغيب (٢٠: ٩٢).

(٢) أنوار التنزيل (٣: ٤١٩).

(٣) حاشية محيي الدين زاده (٥: ٣٢٣).

(٤) ينظر: السراج المنير (٢: ٢٢٦)، ونظم الدرر (٤: ٣١١)، وروح المعاني (١٤:٢٣٠)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤٩).

وقد أسهم الاحتراس في دفع التوهم كما حمل أمر عظيم وهو وجوب التعلق بالله في كافة الأمور.

الآية الحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور: ٢٧- ٢٩].

*** الدراسة والتحليل:**

يـؤَدِّبُ الله تعـالى عِبَـاده المـؤْمنين، فَيَـأْمُرُهُم بـأَلاَّ يـدخلُوا بُيوتـاً غَـيْرَ بُيـوتهم، حتَّـى يَسْتَأْذِنُوا قبل الدُّخُولِ، وَيُسَلِّموا بعد الاستئذان، والاستئذان ثلاث مَرَّات، فإذا أُذن لَهُم دَخُلُوا وَإلاَّ انصرفوا، فالاستئذان خيرٌ للمُستأذن وَلأَهْل البيت.

إذا لم يَجِدُوا فِي هذه البُيوت أَحَداً يَأْذنُ لهم بالدُّخول إِلَيْهَا، كان عليهم أَلاَّ يَـدْخُلُوهَا، وَإِذَا كان أَهل البَيْت فيه، ولم يَأْذنُوا بالـدُّخُول، كـان عـلى الزَّائـر الانْصرِاف، ولـيس لـه الدُّخول، وَالله هو المُطَّلع على خفايا القلوب، وهو العليم بالدَّوافع.

ثم يرشد الباري عز وجل عباده إلى ما يجوز حيث لا بأس عليكم أَيُّها المؤمنُون فِي أَنْ تَدْخُلوا بُيوتاً غير مُعَدَّة لِسُكْنَى قوم مُعَيَّنين، ولَكـم فيهـا متـاع، وَرَقَابَتـهُ عَـلَى سَرَائِرِكُم وعلانيتكم، وفِي هذه الرَّقابة ضمانة لطاعة القلُوب وامْتثَالها للأَدب الذي يُؤَدِّبُها به الله.

جاء في هذه الآيات الكريمة أكثر من احتراس أذكرها تباعا.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾، لما بين الله عز وجل أحكام الاستئذان من أهل البيوت في الدخول، ذكر البيوت التي ليس فيها من يؤخذ منه الإذن، فقد

يتوهم متوهم أنها قد خلت ممن يُستئذن منه، فللمسلم الدخول بلا استئذان، فجاء الاحتراس بدفع هذا التوهم، وإثبات أن لهذه البيوت من الحرمة فلا تدخل حتى وأن لم يوجد فيها عامر.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس ذكره غير واحد من العلماء(١)، وذكره الفقهاء في آداب الاستئذان، إذا العلة في الاستئذان «ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور واستثنى ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها»(٢).

كما أشار أبو السعود (ت: ٨٩٢) للمقصد من الاحتراس في الآية فقال: «النهي عن دخول البيوتِ الخاليةِ لما فيه من الاطلاع على ما يعتادُ الناسُ إخفاءَه، مع أن التصرفَ في ملك الغير محظوٌر مطلقاً، وأما حرمة دخول ما فيه النساءِ والولدان فثابتةٌ بدلالة النصِّ؛ لأنَّ الدخول حيث حَرُمَ مع ما ذكر من العلة فلأن يحرُمَ عند انضمام ما هو أقوى منه إليه، أعني الإطِّلاع على العورات أولى. ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا﴾،واصبروا ﴿حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ أي: من جهة من يملك الإذنَ عند إتيانه، ومن فسره بقوله: « حتى يأتي من يأذن لكم أو حتىَّ تجدوا من يأذنُ لكم فقد أبرز القطعيَّ في معرض الاحتمال، ولما كان جعلُ النهي مقيداً بالإذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الأبواب مطلقا، بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد، قيد ذلك بقوله: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ﴾(٣).

يرى أبو السعود أن العلة ليست منحصرة في الإطلاع على العورات، بل العلة في المحافظة على خصوصية الناس وهي مرتبطة بالإذن.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣: ١٧٤)، و السراج المنير (٢: ٦٧٩).

(٢) أنوار التنزيل (٤: ١٨٢).

(٣) إرشاد العقل السليم (٤: ٤٥٢).

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوجود الاحتراس فقال: «للاحتراس من أن يظن ظآن أن المنازل غير المسكونة يدخلها الناس في غيبة أصحابها بدون إذن منهم، توهما بأن علة شرع الاستئذان ما يكره أهل المنازل من رؤيتهم على غير تأهب، بل العلة هي كراهتهم رؤية ما يحبون ستره من شؤونهم»(١).

ومما سبق تَبَيَّنَ وقوع الاحتراس في الآية وقد جاء الاحتراس ببيان الحكم، وبجلاء مما يزول عنه أدنى شبهة أو لبس.

الاحتراس الثاني: جاء في الآية كاملة بالنسبة لما قبلها، فلما ذكر الله عز وجل وجوب الاستئذان، قد يتوهم متوهم أن الاستئذان على الإطلاق، وفي كل الأحوال. فجاء الاحتراس لنفي اللبس والتوهم، وبين أن من الدور ما يُدخل فيها بغير استئذان فقال: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من العلماء(٢)، فألمح الرازي (ت: ٦٠٦) للاحتراس فقال: «لما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة، ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ وذلك لأن المانع من الدخول إلا بإذن زائل عنها»(٣).

فقول الرازي: «ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة» فكأنه يرى أن هذا الذكر؛ لئلا يتوهم أنها تأخذ الحكم ذاته.

---

(١) التحرير والتنوير (١٨: ١٦١).

(٢)إرشاد العقل السليم (٤:٤٥٢).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣: ١٧٤).

كذلك يرى الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧) موقع الاحتراس حيث قال: «وذلك استثناء من الحكم السابق، لشموله البيوت المسكونة وغيرها»(١).

كما صَرَّحَ السعدي (ت: ١٣٧٦) بالاحتراس بذكر أحد نظائره وهو الاحتراز فقال: «﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي: حرج وإثم، دل على أن الدخول من غير استئذان في البيوت السابقة، أنه محرم، وفيه حرج ﴿أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾،وهذا من احترازات القرآن العجيبة، فإن قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾، لفظ عام في كل بيت ليس ملكاً للإنسان، أخرج منه تعالى البيوت التي ليست ملكه، وفيها متاعه، وليس فيها ساكن، فأسقط الحرج في الدخول إليها، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾، أحوالكم الظاهرة والخفية، وعلم مصالحكم، فلذلك شرع لكم ما تحتاجون إليه وتضطرون، من الأحكام الشرعية»(٢).

ومما سبق يتأكد وقوع الاحتراس وإنه جاء بأدب عظيم في حفظ حقوق الناس، وعدم نشر أخبارهم، عن طريق الدخول بغير استئذان.

الآية الثانية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

*** الدراسة والتحليل:**

ما زال السياق الكريم مع أزواج النبي أمهات المؤمنين فبعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عن الحياة الدنيا وزينتها، وأصبحن ذوات رفعة وشأن عند الله تعالى،

---

(١) تفسير السراج المنير (٢: ٦٨٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٥).

وعند رسوله والمؤمنين. فأخبرهن الرب تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، أي: تطع الله بفعل الأوامر وترك النواهي، وتطع رسوله محمداً ﷺ فلا تعص له أمراً نؤتها أجرها مرتين من النساء غير أزواج الرسول ﷺ.

ثم أعاد الخطاب لهن يا زوجات النبي أمهات المؤمنين إنّكن لستن كجماعات النساء إن شرفكن أعظم ومقامكم أسمى وكيف وأنتن أمهات المؤمنين: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: لا تليّن الكلمات وترقفن الصوت إذا تكلمتن مع الأجانب من الرجال. وقوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ﴾.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، لما بيّنت الآية الكريمة الأدب الذي يجب أن تلتزم به نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين في أثناء الحديث مع الرجل الأجنبي، ربما يتوهم متوهم أن المراد النهي المطلق من الحديث مع الأجنبي حتى مع الحاجة، فجاء الاحتراس وبين النهي أنه منصب على إلا بإذنة الكلام، وإلا فالحديث المطلق الذي لا خضوع معه لا حرج فيه.

وهذا المعنى أشار إليه غير واحد من المفسرين، وتواترت الآيات الحديث وفي التصديق على معناه، والقول المعروف هو الكلام الظاهر الذي ليس فيه طمع لأحد، وقيل: « معناه فلا ترققن بالقول، أو فلا تُلِن القول»[١].

ويشير ابن عادل (ت: ٨٨٠) إلى موضع الاحتراس فيقول: «أي: تُلِنَّ القولَ للرجال، ولا ترفضن الكلام»[٢]، فقوله: «ولا ترفضن الكلام» إشارة للاحتراس وهو القول المعروف.

---

(١) النكت والعيون (٤: ٣٩٨).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٥: ٥٤٤).

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بموقع الاحتراس فقال: «﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ على: لا تَخْضَعْنَ بالقول بمنزلة الاحتراس؛ لئلا يحسبن أن الله كلفهن بخفض أصواتهن كحديث السرار»(١).

ومما مضى- يَتَبَيَّن كيف أسهم الاحتراس في إثبات أدب من آداب القرآن، ودفع التوهم مما سواه، حيث بين أن المنهي عنه الخضوع لا الحديث المطلق.

الآية الثالثة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤-١٥].

*** الدراسة والتحليل:**

يحذر الله المؤمنين أن مِن أزواجهم وأولادهم قد يكون من بين هؤلاء وهؤلاء أعداء للإنسان يحولون بينه وبين فعل الطاعات التي تقرب إلى الله، ورُبَما حَمَلُوهُمْ على السَّعْيِ في اكْتِسَاب الحرام، واجْتِرَاحِ الآثَام، لِمَنْفَعَةِ أَنْفُسهم، وقَد يؤَدِّي البُغْض إِلَى عَدَاوَةٌ حَقِيقِيَّةٌ.

ثمّ يحث الله تعالى المؤمنين على العَفو والصِّفح فقد يكون في ذلِك الخير لِلإنسان، فَإِنَّ الله غفور رحيم بهم وبه، ويُعَامِلُه بمثل ما عاملهم، ويَتفضَّل عليه تَكَرُّماً منه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾، لما بين الله عز وجل أن من الأزواج والأولاد عدو، وأمر بالحذر منهم، قد يتوهم متوهم أن تقابل عداواتهم بالعداء والخصومة، فجاء الاحتراس لنفي ذلك الوهم، وأن يقابل عداهم بالعفو فيعفو

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢: ٩).

عنهم، ويصفح ولا يؤاخذهم، ويحذر منهم أولاً، ويصفح عنهم إن وقع منهم بعض الشيء، وبذلك يزول التوهم.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين فكل يرى أن «من أزواجهم وأولادهم من يعاديهم لإيمانهم، ويؤذيهم بسببه، فكان ذلك يغيظهم، وربما يحملهم على البطش بهم، فأمروا بالحذر من فتنتهم، وشركهم فحسب، وأن يظهروا فيهم بمظهر أولي الفضل، كما قال: ﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾ ،أي: عن ذنوبهم ﴿وَتَصْفَحُواْ﴾، أي: بترك التثريب والتعيير ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾، أي: جناياتهم بالرحمة لهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: يعاملكم بمثل ما عملتم»[(١)].

وقد أشار السعدي (ت: ١٣٧٦) لوقوع الاحتراس في الآية فقال: «ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لأن الجزاء من جنس العمل»[(٢)].

فعبارة «يوهم الغلظة عليهم وعقابهم » دلَّتْ على معنى الاحتراس فلو لم يذكر لتوهم عكس المراد لذلك جاء الاحتراس.

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس فقال: «وعُطف على قوله: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾» جملة: ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾، إلى آخرها عَطف الاحتراس؛ لأنه إذا كان العفو مطلوباً محبوباً إلى الله تعالى، وهو لا يكون إلا بعد حصول الذنب، فإن عدم

---

(١) محاسن التأويل (٧: ١١٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦٨).

المؤاخذة على مجرد ظنّ العداوة أجدر بالطلب، فَفُهِمَ النهي عن معاملة الأزواج، والأبناء معاملةَ الأعداء لأجل إيجاس العداوة، بل المقصود من التحذير التوقّي وأخذُ الحيطة لابتداء المؤاخذة»(١).

ومما سبق يتأكد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد جاءت آيات أخرى مؤيدة لموقع الاحتراس ، فينهي المؤمنين عن أن تلهيهم الأموال والأولاد عن ذكره جل وعلا، وأن من وقع في ذلك فهو الخاسر المغبون في حظوظه وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، والمراد بالفتنة في الآيات: الاختبار والابتلاء، وهو أحد معاني الفتنة في القرآن.

الآية الرابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣]

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في بيان أحكام المعتدة، فإذا بلغن المُعْتَدّات أجلهُنّ وشارفت عِدَّتُهنّ على الانْقضاء، فحينئذ يكون على الزّوج أن يَعزم إمّا على إمساكها، وإعادتها إلى عصمته، ومعاملتها بالمعروف وإمّا أن يعزم على مفارقتها بمعروف، ويُؤَدّي إليها حقوقها كاملَة، ويأمر الله تعالى المؤمنين بإشهاد رجلين من ذوي العدل من المسلمين في حالَتي الطلاق والرجعة. ويأمر الله المؤمنينَ بالشّهادة على الحَقّ إذا استشهِدوا، وبأداء الشّهادة إذا دعوا لأَدَائِهَا.

(١) التحرير والتنوير (٢٨: ٢٨٤).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ،لما ذكر الله تعالى أحوال العدة، وأحكام المطلقات، قد يتبادر للذهن أن الطلاق بسبب ضيق ذات اليد، دفع هذا التوهم، وأن الرزق بيد الله تعالى.

قد أشار إلى معنى الاحتراس غير واحد من العلماء فقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «ولما كان من دواعي الفراق والخلاف بين الزوجين ما هو من التقتير في الإنفاق لضيق ذات اليد فكان الإحجام عن المراجعة عارضاً كثيراً للناس بعد التطليق، أُتبع الوعد بجعل المخرَج للمتقين بالوعد بمخرج خاص وهو مخرج التوسعة في الرزق.

وقوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، احتراس؛ لئلا يتوهَّم أحد أن طرق الرزق معطلة عليه فيستبعد ذلك فيمسك عن مراجعة المطلقة؛ لأنه لا يستقبل مالاً ينفق منه، فأعلمه الله أن هذا الرزق لطف من الله، والله أعلم كيف يُهيئ له أسباباً غير مرتقبة»[1].

وفي حين يرى بعضهم موقع الاحتراس: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، «جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة، وطريق الأحسن، والأبعد من الندم»[2].

ومما سبق يَتبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية ،وقد دل الاحتراس على معنى عظيم وأدب كريم ،في وجوب التوكل على الله وتفويض الأمر عليه: «﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من وجوه لا تخطر بباله ولا بحسبه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يكل أمره إليه من غير تعلُّق بغير، ولا تدبير نفس، ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ كافيه في جميع أموره.

❀❀❀

(١) التحرير والتنوير (٢٨: ٣١٢).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، الرسعني، تحقيق عبدالملك بن دهيش، نشر مكتبة الأسدي، بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ (٨: ١٦٤).

المطلب الثالث

مقاصد الاحتراس في آيات الآداب القولية

المقصد الأول: دفع التوهم وإزالة اللبس.

من المقاصد التي جاء بها الاحتراس دفع التوهم وإزالة اللبس، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨) إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٨-١٤٩]، فقد جاء الاحتراس لدفع توهم؛ لئلا يتوهم أنه لا يجوز للمظلوم أن يرفع شكايته لمن بيده نصرته.

المقصد الثاني: دفع توهم العموم.

من السمات البارزة لمقاصد الاحتراس مجيئه لدفع توهم العموم، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ - ١١] جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، حيث استثنى الإنسان المؤمن من جنس الإنسان، فلا تطرأ عليه تقلب الأحوال من النعم والنقم، وذلك لإيمانهم بالله واليقين بما عنده فيصبرون على ما يصيبهم.

المقصد الثالث: بيان الحكم الشرعي.

حمل الاحتراس في آيات الآداب أحكاماً شرعية أدب الله بها عباده، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

[النور: ٢٧ - ٢٩] فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾، يؤدب الله تعالى عباده عندما يرشدهم للهدي الأقوم ، والطريق الأسلم، فيوجب عليهم الاستئذان حرمة للبيوت من أن تظهر عوراتها.

المقصد الرابع: مدح المؤمنين والثناء عليهم.

كما جاء الاحتراس ببيان صفات المؤمنين والثناء عليهم ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] .

حيث وقع الاحتراس في ضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ وأن من حاز تلك الصفات فهم المفلحون لا غيرهم، وقد قصر الاحتراس الفلاح على من اتصف بتلك الصفات، ليخرج من سواهم ممن لم يحز تلك الصفات.

المقصد الخامس: الحث على فضائل الأعمال.

وللاحتراس الدور البارز في الدعوة إلى فضائل الأعمال، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨- ٩] ، فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ حيث بين وجوه الإنفاق المتنوعة ،ورتب الجزاء والمثوبة على الإخلاص، وطلب الثواب من الله، وذلك يخرج من ينفق رياءً وبحثاً عن الثناء الحسن من الناس،فجاء الاحتراس بهذا القيد للحث على طلب ما عند الله والدار الآخرة.

ومن الشواهد كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ،

ففي الآية دعوة صريحة لمكارم الأخلاق من الإنفاق والعفو عن الناس، وكظم الغيظ، فقد جاء الاحتراس بالتأكيد على العفو عن الناس، وقد جاء بعد كظم الغيظ للدلالة على أهميته، فمن الناس من يكظم غيظه لكنه لا يسامح.

والشواهد في المقام كثيرة إذ أن أغلب الآيات التي جاءت في مقام الآداب إنما جاءت للدعوة لمكارم الأخلاق والتأكيد عليها.

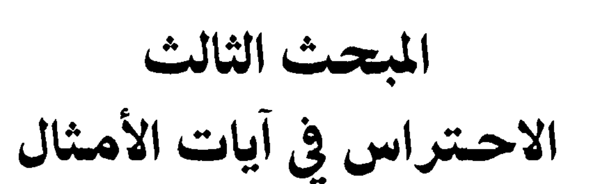
المقصد السابع: الدعوة إلى مكارم الأخلاق.

جاء الاحتراس بتوضيح وجلاء الأمثال القرآنية في الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والنهي عن ذميمها، وليس كالاحتراس في الدلالة عليها والإشارة إليها.

ومن ذلك ما ورد عند قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

حيث جاء الاحتراس بالحث على الشهادة ،بتقرير أعلى مراتبها وهي الشهادة على الوالدين والأقربين، وتحمل النفس هذا الأمر الشاق أدب قرآني، ومنهج رباني، قرره الاحتراس ودفع ما سواه.





المبحث الثالث
الاحتراس في آيات الأمثال

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمثال في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاحتراس في آيات الأمثال.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الأمثال.

المطلب الأول
الأمثال في القرآن الكريم

توطئة:

للأمثال مكانة مهمة ووظيفة ملموسة الفائدة واضحة الأثر في الكلام، وذلك لما له من القدرة على تجاوز السمع إلى القلوب، واستقرار المعاني في الأذهان، وتعلقها بالنفوس، كما أن لها دوراً بارز في إبراز المعاني، وإيضاح الصورة، واستحضار الحقائق، وقد جاء الاحتراس في معرض آيات الأمثال ليزيد من وضوح المعنى، ودفع ما يوجب التوهم، فجاءت الآيات ذوات العدد جمعت بين الاحتراس والمثل، وهي ما سأتناوله بالدراسة في هذا المبحث.

تعريف المثل:

المثل في اللغة:

مثل كلمةُ تَسْوِيَةٍ يقال: هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهُه بمعنى،إذا قيل هو مِثْلة على الإِطلاق فمعناه أَنه يسدُّ مسدَّه، وإِذا قيل: هو مِثْلُه في كذا ،فهو مُساو له في جهةٍ دون جهةٍ[(١)].

والمثل: الشيء الذي يُضرَب لشيء مَثَلاً فيجعله مثْلَه.

وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتَّفِقَيْنِ ،و(المِثَالُ) المِقْدَارُ وهو الشِّبْهِ ،والمِثْل وما جُعِل مِثَالاً أي: مِقْداراً لغيره يُحذى عليه، والجمع المُثُل وثَلاثَةَ أَمْثِلَة، والمِثَالُ القالب الذي يُقَدَّر على مِثْلِه.

---

(١) لسان العرب مادة (مثل).

ويرد المثل في القرآن بعده معان منها.

يطلق لفظ «مثل» بمعنى وصف الشيء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] ، وأيضاً قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

يطلق لفظ (مَثَل) بمعنى (المِثْل) وهو النظير.

ورد في بعض المعاجم وكتب التفسير واللغة: أصل المثل في كلام العرب المِثْل وهو النظير، ويقال: مَثَل، ومِثْل، ومثيل: كَشَبه، وشِبْه، وشبيه.

وهو مأخوذ من المماثلة، أي: المشابهة.

قد ورد هذا النوع من الأمثال في القرآن الكريم وقد صرفها اللهّ للناس بمختلف تصاريف القول، فمنها ما يكون بلفظ «مثل» وبدون أداة التشبيه كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾.

المثل في الاصطلاح: «إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه»[(١)].

أهمية ضرب المثل:

للمثل في الكلام مكانة مهمة لما له دور في استقرار المعاني في الأذهان وتعلقها بالنفوس قال ابن المقفع (ت: ١٤٢)[(٢)]: «إذا جُعل الكلام مثلاً كان ذلك أوضح للمنطق، وأبين في المعنى، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث»[(٣)].

---

(١) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله،لعبد الله الجربوع، نشر عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (ص:٤٤).

(٢) عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، من مصنفاته الأدب الصغير والكبير، واليتيمة، اتهم بالزندقة وقتل عام (١٤٢)هـ الأعلام (٤: ١٤٠).

(٣) الأدب الصغير، لعبد الله بن المقفع.، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (ص: ٤).

وأشار ابن عبد ربه (ت: ٣٢٧)[١] إلى سير الأمثال وانتشارها واختيار الناس لها، وجريانها على ألسنتهم في كل زمان فقال: «هي: وشي من الكلام وجوهر اللفظ، وحُلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل أسير من مثل»[٢].

كما أشار الزمخشري (ت: ٥٣٨) إلى جوانب من أهمية الأمثال في قوله: «هي قصارى فصاحة العرب ، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة جواهرها، وبلاغتها، التي أعربت بها القرائح السليمة، حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنت فأغنت عن الإفصاح ولأمر ما سبقت إذاعتها الرِّياح، وتركتها كالراسفة في القيود، يتدارك سيرها في البلاد، حتى شبهوا بها كل سائر أمعنوا في وصفه وشارد لم يألفوا في نعته»[٣].

كذلك رأى الزمخشري في ضرب العرب للأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأناً ظاهراً ،في إبراز غيبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تُظهر المُتخيل في صورة المتحقق في معرض المتقين، والغائب كأنه مشاهد[٤].

وأشار الرازي (ت: ٦٠٦) إلى أن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه ذلك بقوله: «وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي

---

(١) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، كان من العلماء المطلعين على الأخبار والتاريخ والآثار، من مصنفاته العقد الفريد وغيره توفي سنة (٣٢٨) ينظر: الأعلام (١ : ٦٩).

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتاب العربي، بيروت (٤ : ٨٧).

(٣) المستقصي في الأمثال، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ (٢ : ٦٥).

(٤) الكشاف (١ : ١٠٩).

بالجلي، والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويتميز الحس مطابقاً للعقل وذلك هو النهاية في الإيضاح»[١].

فوائد لضرب الأمثال في القرآن الكريم.

لضرب الأمثال في القرآن فوائد كثيرة كالتذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتختلف أهمية الأمثال وتتباين بلاغتها وقيمتها وفائدتها باختلاف أنواعها، وكتاب الله يزخر بهذا الأسلوب القرآني، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أعْرِبُوا القُرْآنَ واتّبِعُوا غَرَائِبَهُ وغَرَائِبهُ فَرَائِضُهُ وَحُدودُهُ فإنّ القُرْآنَ نَزَلَ على خَمْسَةِ أوْجُهٍ حَلاَلٍ وَحَرَامٍ وَمُحكَمٍ ومُتَشابِهٍ وأمْثَالٍ فاعْمَلُوا بالحلالِ واجْتَنِبُوا الحَرَامَ واتَّبِعُوا المُحْكمَ وآمِنُوا بالمُتَشابِهِ واعْتَبِرُوا بالأَمْثَالِ»[٢].

وقد ذكر الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤) أنها مما يجب معرفته على المجتهد فقال: «ثم معرفة ما ضُرب فيه من الأمثال الدّوال على طاعته المبينة لاجتناب معصيته وترك الغفلة عن الحظ والازدياد من نوافل الفضل»[٣].

أنواع الأمثال القرآنية:

اعتنى علماء التفسير واللغة بأمثال القرآن الكريم عناية فائقة، وصنفوا في ذلك المصنفات قديماً وحديثاً[٤]، واجتهدوا في بيانها وإحصاءها وتقسيمها، ولعل من أشهر هذه الأنواع.

---

(١) مفاتيح الغيب (٢: ٦٦).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب فضل قراءة القرآن بالإعراب والتفخيم حديث رقم (٢٢٩٣).

(٣) الرسالة، للشافعي. دار الكتب العلمية (١: ٤١).

(٤) الأمثال لأبي عبيد الله القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤)، أمثال القرآن لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١).

١ - الأمثال الصريحة:

وهي التي صَرَّحَ فيها بلفظ المثل أو ما وجد فيها التشبيه واضحاً كقوله تعالى في شأن المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧ - ١٩].

حيث جاء في الآية التصريح بالتمثل في قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾.

ثانياً: الأمثال الكامنة:

«وهي: التي لا ذكر للفظ المثل فيها وإنما تدل على معانٍ رائعة في إيجاز يكون لها، وقعها إذا نُقلت إلى ما يشبهها»[1].

وهي التي ذكرها الزركشي (ت:٧٩٤) بقوله: «كما جاء ذلك تصريحاً فقد جاء مطوياً ذكره عن طريق الاستعارة»[2].

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر:١٢].

ثالثاً: الأمثال المرسلة:

وهي التي يقال عنها: ألفاظ من القرآن جارية مجرى الأمثال، وهي التي قال عنها السيوطي (ت: ٩١١): «وهذا من النوع البديعي المسمى بإرسال المثل»[3].

فهي عبارة عن آيات أرسلت إرسالاً يمكن أن تجريها مجرى الأمثال، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، (ص:٧٣٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١: ٤٩٢).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (ص:٧٣٧).

المطلب الثاني

الاحتراس في آيات الأمثال في القرآن الكريم

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن صفات المنافقين، وأفعالهم من عدم الإيمان والاستهزاء بالمؤمنين فبينت الآية جزاء من بدل الإيمان بالكفر، والنور بالظلام، وأنهم قد خسروا في تجارتهم خسارة عظيمة لا تعدلها خسارة.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾، في فاصلة الآية القرآنية، فيكون المعنى أنهم قد خسروا في تجارتهم خسارة عظيمة وعُدم الربح منها وقد ينشأ توهم من أنهم قد يتداركون خسارتهم هذه بأمور أخرى فدفع هذا التوهم بقوله: ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾، وأن الخسران دائم ومستمر.

وقد أشار غير واحد من المفسرين إلى الاحتراس، فقال الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩): «ومعناه أخلوا بالهدي الذي فطروا عليه ومعنى ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾، تضييع رأس ماهم من الفطرة السليمة، وهما متقاربان فلا وجه للعطف فيه على أنه قد يقال: المعطوف بالفاء مجموعها والخسران، كما يعقب الاشتراك فكذلك جعلهم

الفطري مستمر فيتعقب باعتبار أجزائه الأخيرة وإنما ذُكر احتراساً ؛لأن الخسران قد يكون لآفة نادراً لا لعدم اهتدائهم لطرقه»(١).

ويرى محيي الدين زاده (ت: ٩٥١) أنه الفاصلة القرآنية، ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾، لدفع توهم التكرار فلما ذكر عدم الاهتداء، قد يتوهم أنه عدم الاهتداء للتجارة فلما جاءت الفاصلة تَبَيَّنَ المراد، ويشير إلى ذلك بقوله:«وجعله من قبيل ترشيح الاستعارة توهم لزوم التكرار»(٢).

كانت تلك هي أهم ما وقفت عليه من إشارات.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر اللهَّ سُبحانه وتعالى عن هذا المنافق أفعالاً مَذمُومةً وهي اشتغاله بالكلام الحسن في طلب الدُّنيا، واستشهادة باللهَّ كذباً ، ولجاجةً في أبطال الحقِّ وإثبات الباطل، وسعيُه في الأَرْض بالفَسَاد، وإهلاكُ الحرث والنَّسْل، وكلها أفعال قَبيحةٌ، فإن قِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللهَّ في إِهْلاك الحرثِ والنَّسْلِ، وفي السَّعي بالفَسَادِ، وفي الَّلجاجِ في إِبطَالِ الحقِّ ونُصْرةِ الباطلِ، وفي الاستشهاد باللهِّ كذباً، وفي الحرص على طَلَبِ الدُّنْيا أَخَذَتْهُ العِزةُ بالإثم.

(١) حاشية الشهاب الخفاجي (١: ٥٦٢).

(٢) حاشية محي الدين زاده (١: ٣١٠).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿ بِٱلْإِثْمِ ﴾ ،لما ذكر الله عز وجل أفعال بعض من يدعي الإيمان والاستقامة فلم ذكر أنه تأخذه العزة في أفعاله تلك، والتي من مظاهرها الإفساد. قد يتبادر للذهن أن جميع أنواع العزة داخلة في ذلك، فلما جاء الاحتراس، وقوله: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾، تَبَيَّنَ أنها ليست هي العزة التي يراد بها القهر والغلبة بالفعل، أن الله خص بهذه العزة المؤمنين دون الكافرين والمنافقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وهذا المعنى الذي حمله الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين فقال ابن عادل (ت: ٨٨٠): «وفي قوله: ﴿ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾، من عِلْمِ البديع التتميم وهو عبارةٌ عن إرْداف الكلمةِ بأُخْرى، تَرْفَعُ عنها اللَّبسَ، وتقَرِّبُها مِنَ الفَهْم، وذلك أنَّ العزَّةَ تكونُ محمودةً ومَذمُومةً.

فَمِنْ مَجِيئها محمودةً: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] ؛فلو أُطلِقَت لَتَوَهَّمَ فيها بعضُ مَنْ لا عنايةَ له المحمُودة؛ فقيل: ﴿ بِٱلْإِثْمِ ﴾، تَتْمِيماً للمرادِ، فرُفِعَ اللَّبْسُ بها»(١).

ذكر ابن عادل الاحتراس بأحد نظائره وهو التتميم، وبين المقصود منه حيث قال: «فلو أُطلِقَت لَتَوَهَّمَ فيها بعضُ مَنْ لا عنايةَ له المحمُودة... فرُفِعَ اللَّبْسُ بها».

كما صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس فيقول: «﴿ بِٱلْإِثْمِ ﴾، أي: أخذته العزة الملابسة للإثم والظلم وهو احتراس لأن من العزة ما هو محمود قال تعالى:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٣: ٤٦٥).

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقين: ٨]، أي: فمنعته من قبول الموعظة وأبقته حليف الإثم الذي اعتاده لا يرعوي عنه وهما قرينان»(١).

ومما سبق يتأكد وقوع الاحتراس في الآية، وتَبَيَّنَ كيف أسهم الاحتراس في التأكيد على عزة المؤمن، والدعوة إليها، وأنها في حق المؤمن أوجب، وقد بينتها آيات من القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبِرُ الله تعالى النّاس بأنّهم صَائرون إلى الموت لا محَالة، ولا ينجو منه أحد منهم، ولو كانوا مُقِيمين في حُصُون مبنيّة، قويَّة البُنيان والتّحصين وللنّاس أَجَلٌ محْتُومٌ، وَوَقْت مَعْلُوم، لاَ يَتَقَدَّمُون عنه ولا يَتَأَخَّرُون، سَواء أَجَاهَدُوا وَتَعَرَّضُوا لِمَخَاطِرَ الحُرُوب، أو قَعدُوا في بُيُوتِهم، فلا يقدّم الجِهاد أجلاً. ولا يُؤَخِّرُ القُعُودُ أجلاً فلماذا يكرهون القتال، ويجْبُنون ويَتَمَّنون البقاء، أليس هَذا بضعف في العقل والدّين.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ جاء في الآية السابقة أن هناك من يتخلف عن القتال خوفاً من الموت، ويخُيل إليهم، أنهم إذا لم يخرجوا لساحة

---

(١) التحرير والتنوير (٢: ٢٠٩).

القتال لا يموتوا، فجاء الاحتراس ودفع التوهم، وبينت أن من كتب الله عليه الموت سيموت، ولو كان في مكان منيع فالعبرة ليست بالموطن بل بالوقت المقدر للأجل، فاندفع بذلك التوهم.

وهذا المعنى أشار إليه غير واحد من المفسرين فقال أبو السعود (ت:٩٨٢) ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ «بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة...، أي: أينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لأجله تكرهون القتال، زعما منكم أنه من مظآنه، وتحبون القعود عنه على زعم أنه منجاة منه، وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم»[1].

وقد أشار أبو حيان (ت: ٧٤٥) للاحتراس فقال: «جاءت لدفع توهم النجاة من الموت بتقدير: إن لو كانوا في بروج مشيدة، ولإظهار استقصاء العموم في أينما كانوا»[2].

يرى أبو حيان أن العموم أندفع بـ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ ﴾ فلا يختص الموت بأماكن دون أخرى، ولا يحف الموت بمواضع دون غيرها، فهو واقع لا محالة.

كما أشار ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) إلى للاحتراس فقال: «﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ ﴾ مسوقة لإشعارهم بأن الجبن هو الذي حملهم على طلب التأخير إلى أمد قريب، لأنهم توهموا أن مواقع القتال تدني الموت من الناس»[3].

ومعنى الاحتراس هذا لا يختلف عليه أحد،وَإذا كانت الآجال مُوَقَّتَة مَحْصُورة لا يقع فيها تَقدِيم ولا تَأْخِيرٌ عَمّا قَدَّرَها اللهّ عليه، فَالْفِرَار من الموت فِرار من قَدَر اللهّ عَزَّ

---

(١) إرشاد العقل السليم (٢: ١٦٦).

(٢) البحر المحيط (٣: ٢٩٤).

(٣) التحرير والتنوير (٥: ١٢٨).

وَجَلّ الَذي لا محيص لأحد عنه. وقد جاءت آيات أخرى تعضد هذا المعنى منها قَوْله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقَوْله تَعَالَى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذه الآية تناظرها آية أخرى في موقع الاحتراس وهي:

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]

*** الدراسة والتحليل:**

يُخبِر الله تعالى عن عظيم قدرته ويقول إن الذين يَرْتَدّون عن دينهم من الإيمان إلى الكُفْر، ويَتَوَلَّوْن عن نُصْرَة دينه، وإقامة شريعته، فإن الله سَيَسْتَبْدِلُ بهم من خَير مِنهُم، وأَشَدُّ منعة، وأقوم سبيلاً، يُحِبُّهُم ويُحِبُّونه، يَتَّصِفون بصفات المؤمنين وهي: العِزَّة على الكافرين، والرحمة والتَّواضع مع المؤمنين، يجاهدون في سبيل الله، وَلا يَرُدُّهُم رَادّ عن إذاعَة أمر الله، وإقامة حدوده، وقتال أعدائه، يَأْمُرُون بالمَعْرُوف، وَيَنهون عن المُنكر. ومَن اتَّصف بهذه الصِّفِات كان فضل الله عليه كبيراً، وَاللهُ واسع الفضل، عَلِيم بمن يستحِقّ ذلك فيُعْطيهِ، مِمّن لا يَسْتحقُّه فَيَحرمه إيّاه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، لما ذكر الله صفات المؤمنين أنهم أذلة متواضعين، قد يتوهم متوهم أن هذا سمتهم العام وأن هذا حالهم. جاء الاحتراس ليدفع التوهم وليبين أن تواضعهم وخضوعهم إنما هو مقصور على إخوانهم في الإسلام، لكنهم مع غيرهم ومع الكفار أشداء فيهم غلظهم لهم هيبتهم. وأن اللين يكون في مواطن والشدة في مواطن.

وهذا المعنى الذي حمله الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين،فقال الزركشي (ت: ٧٩٤): «فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهو السهولة، لتوهم أن ذلك لضعفهم فلما قيل: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ علم أنها منهم تواضع ولهذا عدي الذل بعلى لتضمنه معنى العطف»[(١)].

فعبارة الزركشي تدل على الاحتراس، وقد أورد هذه الآية في باب الاحتراس.

وكذلك يرى البقاعي (ت: ٨٨٥) لكنه يوسع الأمر فيقول: «﴿أَذِلَّةٍ﴾، وهو جمع ذليل؛ ولما كان ذلهم هذا إنما هو الرفق والين الجانب لا الهوان، كان في الحقيقة عزاً، فأشار إليه بحرف الاستعلاء مضمناً له معنى الشفقة، فقال مبيناً أن تواضعهم عن علو منصب وشرف: ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ،أي: لعلمهم أن الله يحبهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ،أي: يظهرون الغلظة والشدة عليهم لعلهم أن الله خاذلهم وملهكهم وإن اشتد أمرهم وظهر علوهم وقهرهم»[(٢)].

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣:٦٥)

(٢) نظم الدرر (٢: ٤٨٢).

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

جاء الاحتراس في قوله تعالى ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، لما ذكر الله عز وجل صفة أصحاب محمد ﷺ وأنهم أشداء قد يتوهم متوهم أن هذه صفتهم، فجاء الاحتراس ليزيل هذا الوهم، ويبين أنهم رحماء فيما بينهم، وأن شدتهم على الكفار فحسب.

يذكر الشهاب الخفاجي (ت:١٠٦٩) الاحتراس فيقول: «قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ تكميل، لو لم يذكر لربما توهم أنهم لاعتيادهم الشدة على الكفار قد صار ذلك لهم سجية في كل حال، وعلى كل أحد. فلما قيل: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، اندفع ذلك التوهم، فهو تكميل واحتراس، كما في الآية المتقدمة، فإنه لما قيل: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ،ربما توهم أن مفهوم القيد غير معتبر، وأنهم موصوفون بالذل دائماً، وعند كل أحد، فدفع بقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فهو كقوله:

حَلِيْمٌ إِذَا مَا الْحُلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ عَلَى أَنَّهُ عِنْدَ الْعَدُومَهِيْبُ»[1]

ويتابع الألوسي (ت: ١٢٧٠) فيقول: «وفي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة تكميل واحتراس فإنه اكتفى بالوصف الأول لربما توهم أن مفهوم القيد غير معتبر فيتوهم الفظاعة والغلظة مطلقا فَدُفِعَ بإرادف الوصف الثاني ومآل ذلك أنهم مع كونهم أشداء على الأعداء رحماء على الأخوان»[2].

ومما مضى- يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآيتين كما أسهم في دفع التوهم، وإثبات صفات المؤمنين وإن من صفاتهم الرفق بالمؤمنين، عاطفون عليهم متواضعون لهم، تفيض قلوبهم حنوا وشفقة بهم. وأنهم في الوقت نفسه أشداء على الكافرين، ينظرون إليهم نظرة العزيز الغالب، لا نظرة الضعيف الخانع.

(١) حاشية الشهاب الخفاجي (٨: ٥٤٠).

(٢) روح المعاني (٢٦: ١٢٣)

الآية السادسة:

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس وهي:

١- وقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

٢- وقوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

٣- وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥].

٤- وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

* الدراسة والتحليل:

بعدما سلى الله عز وجل رسوله في الآيات السابقة وحمله على الصبر، أعلمه أن الذين يستجيبون لدعوته ﷺ هم الذين يسمعون؛ لأن حاسة السمع عندهم سليمة ما أصابها ما يُخل بأداء وظيفتها من كُره الحق، وبغض أهله، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾، سيقت هذه الآية لبيان كمال الله تعالى وشمول علمه وعظيم قدرته، وسعة تدبيره تدليلاً على أنه تعالى قادر على إنزال الآيات، ولكن منع ذلك حكمته تعالى في تدبير خلقه فما من دآبة تدب في الأرض ولا طائر يطير في السماء إلا أمم مثل الأمة

الإنسانية مفتقرة إلى الله تعالى في خلقها ورزقها وتدبير حياتها، والله وحده القائم عليها، وفوق ذلك إحصاء عملها عليها، ثم بعثها يوم القيامة ومحاسبتها ومجازاتها، وكل ذلك حواه كتاب المقادير وهو يقع في كل ساعة ولا يخرج شيء عما كتب في كتاب المقادير، اللوح المحفوظ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾، فهل يعقل مع هذا أن يعجز الله تعالى عن إنزال آية، وكل مخلوقاته دالة على قدرته وعلمه ووحدانيته، ووجوب عبادته وفق مرضاته، وقوله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

تباينت وجهات نظر العلماء في الكشف عن سبب الاحتراس الوارد في الآية، فهناك من يرى أنه جاء لدفع التوهم، وهناك من يرى أنه جاء لدفع المجاز، وثالث يرى أنه إنما جاء للتوكيد قال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦) «قوله: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ ،فيه قولان، أحدهما: أن الباء متعلقة بـ«يطير» وتكونُ الباءُ للاستعانة. والثاني: أن تتعلَّقَ بمحذوف على أنها حال وهي حال مؤكدة، وفيها رفعُ مَجازٍ يُتَوَهَّم؛ لأنَّ الطيرانُ يُستعار في السرعة قال:

قومٌ إذا الشرُّ أبدَى ناجِذَيْه لهم ... طاروا إليه زَرافاتٍ ووِحْدانا»[(١)]

وقع الاحتراس في قوله تعالى ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾، فلو لم يأت الاحتراس لتوهم وقوع المجاز في الآية، إذا الجناح يدل على السرعة، فلما جاء ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾، انتفى المعنى المجازي، ولم يبق إلا الحقيقي.

فقول السيوطي «رفع مجاز يتوهم» ،فيه دلالة كبيرة على وقوع الاحتراس، فلو لم يأت بجناحيه، دخل الوهم والخلل على المعنى.

وقد يقول قائل ما فائدة هذا الوصف مع أنَّ من المعروف أنَّ الطائر يَطيرُ بجناحيه.

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٣: ٥٢).

والجواب: أنّ كلمة: «طَائر» عامّةٌ في كُلِّ ما يرتَفعُ إلى الأعلى، وقد يُطْلَق مجازاً على الذي يسير بسرعة على الأرض، وقد أطلق هذا اللفظ في القرآن مراداً به العمل الذي يطير عن الذي عمله بمجرّد فعله له، وهذا في قول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]، فدفعاً لتوهُّم إرادة كلٍّ كما يمكن إطلاق لفظ «طَائِر»عَلَيهِ حقيقة أو مجازاً، وللنصّ على أنّ المراد الحيوان الذي يطير بجناحيه، جاء في الآية الوصف بأنّه يطير بجناحيه، فهو من الإطناب البليغ[١].

وقد ألمح السيوطي (ت: ٩١١) لمسألة دفع توهم المجاز فقال: «قوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ فقوله: ﴿يَطِيرُ﴾ ،لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقته فقد يطلق مجازا على غيره وقوله: بجناحيه «لتأكيد حقيقة الطيران؛ لأنه يطلق مجازا على شدة العدو والإسراع في المشي»[٢].

كما يتابع ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) مَنْ سَبَقَهُ فيقول: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾، قصد به الشمول والإحاطة؛ لأنه وصف آيل إلى معنى التوكيد، لأنّ مفاد ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾، أنّه طائر، كأنّه قيل: ولا طائر ولا طائر. والتوكيد هنا يؤكّد معنى الشمول الذي دلّتْ عليه ﴿مِن﴾ الزائدة في سياق النفي؛ فحصل من هذين الوصفين تقرير معنى الشمول الحاصل من نفي اسمي الجنسين. ونكتة التوكيد أنّ الخبر لغرابته عندهم وكونه مظنّة إنكارهم أنّه حقيق بأن يؤكّد[٣] والقول بالتوكيد قال به غير واحد من أهل التفسير[٤].

(١) تحرير التحبير (ص: ١٣٥) بتصرف.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٦١٨).

(٣) التحرير والتنوير (٧: ٢١٦).

(٤) ينظر: اللباب (٨: ١٢٥)، وإرشاد العقل السليم (٣: ١٣١).

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

هذه الآية تماثلها آيات أخرى في موقع الاحتراس وهي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]

وقوله الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

*** الدراسة والتحليل:**

يبين الله -سبحانه وتعالى- أنه القادر على خلق الأشياء وأضدادها، ومن دلائل قدرته تعالى على بعث العباد من قبورهم يوم المعاد، أنّه هو الذي يَشُقُّ الحَبَّ وَالنَّوى في جوف الأرض، بعد أن يُخالطَه الماء، فَتَنْبُت الزّروع من الحبوب، وتنبت الأشجار من النَّوى، والله يخرج النبَات الحيَّ من الحَبّ والنّوى الذي هو كالجماد الميت. والذي يفعل ذلك كُلّه هو الله وحده لا شريك له (ذلكم الله) فكيف تُصرفون يا أيها النّاس عن الحقّ، وتعدلون عنه إلى الباطل، فتعبدون معه غيره.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾، لما ذكر الباري -عز وجل- من بديع صنعه، وعظيم خلقه بين ابتداء أنه ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ ،أتبعه بذكر وجه أخر من الخلق وهو: إخْراجُ ﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾، ليبن أنه لا يعجزه شيء -سبحانه وتعالى-.

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس فقال: «وأما عطف ﴿ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾، فللاحتراس من اقتصار قدرته على بعض التصرفات ولإظهار عجيب قدرته أنها تفعل الضدين»(١).

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار إليه غير واحد من المفسرين، (٢) أن في هذا الاحتراس توجيه الأنظار لعظيم قدرته، حيث ذكر وجه استحقاقه للحمد وأن الإبداء والإعادة متساويان في قدرة مَن هو قادر على إخراج الحي من الميت، وعكسه(٣).

قال ابن كثير (ت:٧٧٤): «فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة. وهذه الآيات المتتابعة الكريمة، كلها من هذا النمط، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها، ليدل خلقه على كمال قدرته»(٤).

ومما مضى يَتبَيَّن كيف أسهم الاحتراس في لفت الأنظار إلى عظيم قدرة الله -عز وجل-، وفيه من تقرير التّوحيد والبعث والاستدلال، والاعتبار بخلق الله تعالى وعجائب مصنوعاته المشاهدة، على انفراده تعالى بالإلهيّة المستلزم لانتفاء الإلهيّة عمّا لا تقدر على مثل هذا الصّنع العجيب، فلا يحقّ لها أن تعبد ولا أن تشرك مع الله تعالى في العبادة إذ لا حقّ لها في الإلهيّة، فيكون ذلك إبطالاً لشرك المشركين من العرب.

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

---

(١) التحرير والتنوير (٢١: ٦٧).

(٢) ينظر: لباب التأويل (٣: ١٨٨)، ومفاتيح الغيب (٢٥: ٩٢)، واللباب (١٥: ٣٩٥).

(٣) البحر المديد (٥: ٥٣٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦: ٣٠٨)

* الدراسة والتحليل:

ضرب الله سبحانه مثلا للحق والباطل بماء أنزله من السماء، فجَرَت به أودية الأرض بقدر صغرها وكبرها، فحمل السيل غُثَاء طافيًا فوقه لا نفع فيه. وضرب مثلا آخر: هي المعادن يوقِدون عليها النار لصهرها طلبًا للزينة كما في الذهب والفضة، أو طلبًا لمنافع ينتفعون بها كما في النحاس، فيخرج منها خبثها مما لا فائدة فيه كالذي كان مع الماء، بمثل هذا يضرب الله المثل للحق والباطل: فالباطل كغثاء الماء يتلاشى أو يُرْمى إذ لا فائدة منه، والحق كالماء الصافي، والمعادن النقية تبقى في الأرض للانتفاع بها، كما بيّن لكم هذه الأمثال، كذلك يضربها للناس؛ ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ ،لما ذكرت الآية الكريمة نزول الماء من السماء، وجريان الأودية، ربما يتوهم متوهم أن هذا المسيل قد يصل إلى حد الإفاضة، فجاء الاحتراس ودفع هذا التوهم، وأن كل وادي جري بمقدار ما سعته من غير زيادة أو نقص، وبذلك دفع التوهم، وتَبَيَّنَ المعنى المراد.

وهذا المعنى الذي بينه الاحتراس ذكره غير واحد من المفسرين(١)، فكل واحد منهم يرى بقدرها أي: في الحجم، فقال البغوي (ت: ٥١٠): «﴿فَسَالَتْ﴾، من ذلك الماء، ﴿أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ ،أي: في الصغر والكبر»(٢).

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «﴿بِقَدَرِهَا﴾ ،في موضع الحال من ﴿أَوْدِيَةٌۢ﴾، وذكره لأنه من مواضع العبرة، وهو أن كانت أخاديد الأودية على قدر ما تحتمله من السيول،

(١) ينظر: الكشف والبيان (٥: ٣٨٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢: ٤٢)، واللباب (١١:٢٨٢).
(٢) تفسير البغوي (٤: ٣٠٨).

بحيث لا تفيض عليها وهو غالب أحوال الأودية. وهذا الحال مقصود في التمثيل لأنه حال انصراف الماء لنفع لا ضُر معه، لأن من السيول جواحف تجرف الزرع والبيوت والأنعام. وأيضاً هو دال على تفاوت الأودية في مقادير المياه»[(١)].

فسَّر ابن عاشور الاحتراس ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بقوله: أن سعة الأودية بقدرها لا تزيد؛ لأن من السيول جوارف تجرف الزرع والبيوت.

ومما مضي يتبن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وإن لم يُصَرَّحَ بوجوده لكن لم تخل عباراتهم من الإشارة لمقصوده.

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

*** الدراسة والتحليل:**

يُخبر الله -عز وجل- نبيه أن يا محمد لقد احتال منُهم قبل قومك، يا مُحمد، في إيذاء الرُّسل، وفي إضلال النّاس بكل حِيلَةٍ، وحَاوَلُوا اسْتِمَالَتَهُمْ إلى شِرْكِهم بِكُل وَسيلة ﴿مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، فَفَضَحَهُم الله، وكَشَف أسْرَارَهُم، وأَبْطَلَ كَيْدَهُم ومَكْرَهُم، وهَدَم بُنيان مكرهم من أساسه، وعاد علَيهم وبَال مَكرهم وكيدهم، وأَتَاهُم عذاب الله من حيث لم يَحتسبوا، ولم يَنْتظرُوا فدمَّر عليهم.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾، لما ذكرت الآية الكريمة أن السقف خر عليهم يتبادر لذهن السامع أن هذا السقف قد يكون أرضا للآخرين، فرفع فيه

(١) التحرير والتنوير (١٢: ١٦٥).

الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون تحت بالنسبة، فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم وسقفاً لآخرين، فرفع تعالى هذا الاحتمال بجملتين، وهما قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمُ﴾، ولفظة ﴿خَرَّ﴾؛ لأنها لم تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى السفل، وبهذا الاحتراس ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ ،دل على الإحاطةِ والشمولِ، فلم ينج أحد، وقد عمهم الهلاك.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أورده غير واحد من المفسرين فقال السيوطي (ت:٩١١): «والسقف عالي البيوت فائتكفت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودرمرهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون»(١).

وقد أشار لمقصد الاحتراس غير واحد من المفسرين(٢) واللغويين(٣)، وقد جاءت الإشارة للاحتراس في هذه الآية متقدمة جدا قال ابن جني (ت:٣٩٢): «لو قيل: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾ ولم يقل: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ لجاز أن يظن به أنه كقولك: قد خربت عليهم دارهم وقد أهلكتُ عليهم مواشيهم وغَلاّتهم وقد تلِفت عليهم تجاراتهم. فإذا قال: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ زال ذلك المعنى المحتمَل وصار معناه أنه سقط وهم من تحته. فهذا معنى غير الأوّل»(٤).

فقد أورد ابن جني مقصد الاحتراس، وأنه جاء لدفع الشبهة والظن الخاطئ.

كذلك يرى الزركشي (ت:٧٩٤): «رفع الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون

---

(١) الدر المنثور (٥: ١٢٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧: ٥٧٦) والنكت والعيون (٣: ١٨٥)، والكشف والبيان (٦: ١٦)، والمحرر الوجيز (٣: ٣٨٦)، والسراج المنير (٣: ٣٣٠).

(٣) ينظر: المثل السائر (٢: ١٢٣)، وتحرير التحبير (ص: ١١٧).

(٤) الخصائص (٢: ٢٧١).

من تحت بالنسبة فإن كثيرا من السقوف يكون أرضا لقوم وسقفا لآخرين فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين: وهما وقوله: ﴿عَلَيْهِمُ﴾، ولفظة ﴿فَخَرَّ﴾، لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى سفل.

وقيل إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته، والعرب تقول: خر علينا سقف ووقع علينا حائط فجاء بقوله: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾، ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم فقال من فوقهم: أي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا وما أفتلوا»(١).

ومما سبق يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وأنه أكد حلول العذاب المطبق بأولئك الماكرين وإحاطته بهم، فلم ينج منهم أحد.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

*** الدراسة والتحليل:**

يخبر تعالى أنه نور السموات والأرض وضرب مثلاً لنوره بالمشكاة وهي الكُوَّة في الحائط غير النافذة، فيها مصباح، حيث تجمع الكوَّة نور المصباح فلا يتفرق، وذلك المصباح في زجاجة، كأنها -لصفائها- كوكب مضيء كالدُّر، يوقَد المصباح من زيت شجرة مباركة، وهي شجرة الزيتون، لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي متوسطة في مكان من الأرض لا

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣: ٦٧).

إلى الشرق ولا إلى الغرب، يكاد زيتها -لصفائه- يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مَسَّتْه النار أضاء إضاءة بليغة، نور على نور، فهو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، لما ذكر الله صفة الشجرة بأنها لا تشرق عليها الشمس فتحرقها، قد يتوهم متوهم أنها غربية فلا ترى الشمس أصلا، فجاء الاحتراس ونفى هذا التوهم، وبين أن هذه الشجرة المباركة متوسطة ترى أشعة الشمس لكن غير مسلطة عليها، وبذلك تَبَيَّنَ المراد، واندفع التوهم.

وهذا المعنى ذكره غير واحد من المفسرين فقال السمرقندي (ت: ٣٧١): ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يعني لم تكن بحال يصيبها الشمس في أول النهار ولا يصيبها في آخر النهار، ولكنها في مكان مطمئن تصيبها الشمس في أول النهار وآخره»[1].

كما صَرَّحَ القونوي (ت: ١١٩٥) بالاحتراس فقال: ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، تكون للتكميل والاحتراس»[2].

وفي موقع الاحتراس ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، دليل على الوسط يقول أبو السعود (ت: ٩٨٢): «﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾، وحدها ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، وحدها لكنها شرقية وغربية أي: تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها، فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لا ثابتة في شرق المعمورة ولا في غربها»[3].

---

(١) بحر العلوم (٢: ٥١٣).

(٢) حاشية القونوي (١٣: ٣٧٠).

(٣) إرشاد العقل السليم (٦: ١٧٦).

وقال السعدي (ت: ١٣٧٦): «﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فقط، فلا تصيبها الشمس أول النهار، وإذا انتفى عنها الأمران، كانت متوسطة من الأرض»(١).

وهذا مذهب عامة المفسرين ومما سبق يَتبيَّن وقوع الاحتراس في دفع التوهم، وفي بيان المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، إذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره... وقد أسهم الاحتراس في بيانه بأعظم صورة.

الآية الحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١٠ - ١١].

*** الدراسة والتحليل:**

يضرب الله تعالى مثلاً لحال الكفار والمنافقين الذين يخالطون المسلمين، ويعاشرونهُم، ولكنهم لا ينتفعون بما ينتفع به المؤمنون المُخْلِصُون من العِظات والدّلائل والبراهين، بحال امرأة نوح وامرأة لوط، فقد كانت كل منهما زوجة لنبي

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٨).

صالح من أنبياء الله، ولَكِنَّهما لم تتَنْفِعا بما كانا يدعوان إليه من الخير والهدى والإيمان بالله تعالى، وعمِلَتا أعْمالاً تَدُل على الكُفر، فَأَهْلَكَهُما الله مع قَومها، وسيكون مَصِيرُهُما النَّار في الآخرة، وَلَنْ يَنْفَعَهُما قُرْبهما من نَبِيَّين من أنبياء الله، ولا انتسابهما إليهما، ويقال لهما: ادخُلا النَّار مع الدَّاخلين إليها.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ،لما أمر الله تعالى في الآية بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وأن لا يأخذ أهل الإيمان بالكفار لومة لائم مهما كانت القرابة،فضرب الله مثلاً المثل قيده بالكفار،ضرب الله هذا المثل على أنه لا يغني أحد عن قريب، ولا نسب في الآخرة إذا فرق بينهما الدِّين.

صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بوقوع الاحتراس فقال: «ومن لطائف التقيد بقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ،أن المقصد الأصلي هو ضرب المثل للذين كفروا وذلك من الاحتراس من أن تحمل التمثيل على المشابهة من جميع الوجوه والاحتراس بكثرة التشبيهات ومنه تجريد للاستعارة»(١).

ويرى غير واحد من المفسرين أن ضَرب اللهُ المثل بامرأة نوح وامرأة لوط في أنهم لا ينفعهم في كفرهم لحُمة نسب ولا وصلة صهر، إذ الكفر قاطع العلائق بين الكافر والمؤمن وإن كان المؤمن في أقصى درجات العلا.

قال السعدي (ت: ١٣٧٦): «ضربها الله للمؤمنين والكافرين، ليبين لهم أن اتصال الكافر بالمؤمن وقربه منه لا يفيده شيئًا، وأن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئًا مع قيامه بالواجب عليه»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨: ٣٧٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٧٤).

ومما سبق يَتبَيَّن كيف أسهم الاحتراس في توضيح المراد عن طريق ضرب المثل.

الآية الثانية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ [الإسراء: ٨٣]

هذه الآية الكريمة تشاكلها آيات أخرى في موقع الاحتراس، وهي:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود:٩-١٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت: ٥١].

*** الدراسة والتحليل:**

يُخبِرُ الله تعالى عن نقص الإنسان إلاّ من عصمة اللهُ، فإذا أنعم الله عليه بمال وعَافِيَة ورزق ونصر... وأَناله ما يريد، أعرض عن طاعة الله وعبادته، ونأى بجانبه عن الله، وَإذا مَسَّهُ الشَّرُّ وَالضُّرّ والسُّوء، ونَزَلت به المصائب والنَّوائب... قنط ويئس من رحمَة الله، وظَنّ أن الله لن يكشف عنه ما هو فيه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

لما بينت الآية حال الإنسان الجاحد أنه إذا مسه الخير فإنه يكون في طغيان، وترك الشكر، فلما ذكرت الآية الحالة المباينة قد يتوهم متوهم أنه تغير الحال، قد ردته إلى الحق وإلى طاعة الله، فجاء الاحتراس بنفي هذا التوهم، وبين أن الضراء ما زادته إلا طغيان وبعد عن الله تعالى.

صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بذكر الاحتراس فقال: «جملة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ احتراس من أن يتَوهم السامع من التقييد بقوله: وإذا أنعمنا أنه إذا زالت عنه النعمة صلح حاله، فبين أن حاله ملازم لنكران الجميل في السراء والضراء، فإذا زالت النعمة عنه لم يقلع عن الشرك والكفر ويتب إلى الله ولكنه ييأس من الخير ويبقى حنقاً ضيق الصدر لا يعرف كيف يتدارك أمره»[١].

هذا المعنى الذي جاء به الاحتراس أشار له غير واحد من المفسرين فقال البغوي (ت: ٥١٠): «﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾، عن ذكرنا ودعائنا ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي: تباعد عنا بنفسه أي: ترك التقرب إلى الله بالدعاء، وتعظم وتكبر ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الشدة والضرر ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ أي: آيساً قنوطا»[٢].

وكذلك يرى الرازي (ت:٦٠٦): حيث قال: «﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ﴾، أي: إذا مسه فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يؤوساً شديد اليأس من رحمة الله: وإن فاز بالنعمة والدولة اغتر بها فنسي ذكر الله، وإن بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى.

(١) التحرير والتنوير (٨: ٣٦٩)

(٢) معالم التنزيل(٥: ١٢٣)

مما مضي يَتبَيَّن كيف أسهم الاحتراس في دفع التوهم وإثبات خُلق في الإنسان بعامة، «وطبيعة من حيث هو، إلا من هداه الله، فإن الإنسان -عند إنعام الله عليه- يفرح بالنعم ويبطر بها، ويعرض وينأى بجانبه عن ربه فلا يشكره ولا يذكره. وأنه وقد جاءت آيات أخرى في ذلك المعنى، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾، من الخير قد قطع ربه رجاءه، وظن أن ما هو فيه دائم أبدًا»[1]، وقد جاءت آيات من القرآن الكريم تدل على المعنى الذي حمله الاحتراس منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

الآية الثالثة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦][2].

*** الدراسة والتحليل:**

هو الذي خلقكم يا أيها الناس وأوجدكم من عدم على هذه الصفة، فبعضكم يختار الكفر ويعملُ له، ومنكم من يتفكر ويمعن النظر في الأدلة التي أقامها الله تعالى في النفس والآفاق، فيؤمن بالله ويعمل صالحاً، والله بصيرٌ بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو بصير بما يعمله العباد من خير وشر، وسيحاسبهم عليه.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

وقع الاحتراس في فاصلة الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فلما ذكر الله عز وجل أنه قد خلق الخلق فمنهم كافر، ومنهم مؤمن، فقد يتوهم متوهم أن

(١) تيسير الكريم المنان (ص: ٤٥٦).

(٢) توقفت كثيراً في موقع الآية هل هي في الأمثال أم لا؟، وقد وجدت الأمثال أقرب المباحث لما قسم الله صنوف الخلق لمؤمن وكافر.

الله قد خلق للجنة أهلها، وللنار أهلها ففيها العمل، فجاء الاحتراس، ودفع هذه الفكرة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقد صَرَّحَ ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) بالاحتراس فقال: «وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ،تتميم واحتراس واستطراد، فهو تتميم لما يكمِّل المقصود من تقسيمهم إلى فريقين لإبداء الفرق بين الفريقين في الخير والشر. وهو عليم بذلك وعليم بأنه يقع وليس الله مغلوباً على وقوعه ،ولكن حكمته وعلمه اقتضيا ذلك»[١].

كما ذكر غير واحد من المفسرين أن المراد «﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ خلقاً بديعاً ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾، أي: مختار للكفر كاسباً له، على خلاف ما تستدعيه خِلقته، ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ مختار للإيمان، كاسباً له، على حسب ما تقتضيه خِلقته، وكان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان، شاكرين لنِعم الخلق والإيجاد، وما يتفرّع عليهما من سائر النِعم، فما فعلتُم ذلك مع تمام تمكُّنكم منه، بل تشعّبتم شعباً، وتفرقتم فِرَقاً. وتقديم الكفر لأنه الأغلب والأنسب للتوبيخ. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فيُجازيكم بذلك، فاختاروا منه ما ينفعكم من الإيمان والطاعة، وإياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان»[٢].

والجدير بالذكر أن هذه الآية من الآيات التي استدل بها من قال أن الإنسان مجبر على عمله «ولأنَّ الفِرَقْ المخالفة في مسألة القدر والخير والشر وأفعال العباد ونحو ذلك طرفان:

١- الطرف الأول: الجبرية.

٢- والطرف الثاني: القدرية.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨: ٢٦٢).

(٢) البحر المديد (٨: ٥٤).

والجبرية يقولون: العبد مُجْبَرْ على كل شيء ليس له فيها اختيار؛ بل هو يجري كما يشاء الله؟، دون أن يكون العبد مُخْتَاراً للخير أو مُخْتَارًا للشر.

والقدرية يقولون: الخير والشر ليسا مُقَدَّرَيْنْ؛ بل العبد يعملهما وهما عمل العبد وخَلْقُ العبد لفعله، والله؟ يحاسب الناس على ما فعلوا، ليس الخير خَلْقَاً له في فعل العبد، وليس الشر خَلْقَاً له في فعل العبد، ولم يُقَدِّرْهُمَا على العباد فِعْلاً وتركاً، وذلك لأنّه عندهم ينافي العدل الواجب فيما قاسوا به أفعال العباد على أفعال الله»[1].

وقد أسهم الاحتراس في تأييد مذهب أهل السنة والجماعة، وهو القول الوسط بين القولين، كما أسهم في بيان أن للعبد مشيئة، ولله مشيئة فلا يحتج بالقدر على معصيته. فلما خلق الله الخلق فمنهم كافر، ومؤمن بسابق علمه، لكن جعل لهم مشيئة والدليل موقع الاحتراس، حيث قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ومما سبق يَتَبَيَّن وقوع الاحتراس وقد أسهم في دفع التوهم، وهذا الاحتراس وقعت أحاديث في معناه ومن ذلك قول النبي: «إنَّ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَو ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ،حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَو ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»[2].

الآية الرابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾

[القدر: ٤-٥].

---

(١) لتوسع في هذه المسألة ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص:٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح في (٨٢) كتاب القدر، باب القدر، حديث رقم (٦٥٩٤).

* الدراسة والتحليل:

جاءت هذه الآيات في سياق الحديث عن ليلة القدر، فليلة القدر ليلة مُبَارَكَةٌ بَدَأ فيهَا نزول القرآن الكريم، وهي خير من ألف شهر، لِعِظَمِ بَرَكَتِهَا يَكْثُرُ تَنزل الملائكة من السَّماء إلى الأرض ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ وهي ليلة كُلُها سَلامٌ وأمن وخير على أولياء الله، وأهل طاعته، من مبدئها إلى نهايتها في مطلع الفجر.

* الاحتراس وموقف المفسرين منه:

وقع الاحتراس في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾، لما ذكر الباري عز وجل عِظم هذه الليلة، وشرفها، وأنه تنزل الملائكة فيها بكل أمر، ربما يتوهم متوهم أن من جملة الأمور التي تنزل بها الملائكة العقاب من الله لمستحقيه، جاء الاحتراس، ودفع هذا التوهم، بأنها سلام من بدايتها إلى منتهاها.

وهذا المعنى الذي جاء به الاحتراس تنبه له غير واحد من المفسرين، فقال الثعلبي (ت:٤٢٧): «﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ تمام الكلام عند قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ ثم ابتدأ فقال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي: ليلة القدر سلام وخير كلّها ليس فيها شر،لا يقدر اللهّ سبحانه في تلك الليلة إلاّ السلامة، فأمّا في الليالي الأُخر فيقضي اللهّ تعالى فيهنّ البلاء والسلامة»[1].

ففحوى كلام الثعلبي تشير إلى معنى الاحتراس، فلوتم الكلام عند﴿كُلِّ أَمۡرٍ﴾ ،لتوهم السامع أن من جملة الأمور التي تنزل في تلك الليلة الشر، فلما جاء بدفع التوهم وأن هذه الليلة كلها سلام.

كما يرى غير واحد من المفسرين أن موقع الاحتراس استئناف[2] ؛ لئلا يتوهم خلاف

---

(١) الكشف والبيان (١٠: ٢٥٨).

(٢) ينظر: بحر العلوم (٣: ٥٧٨)، والكشف والبيان (١٠: ٢٥٨)، والبحر المحيط (٨: ٤٩٣) وإرشاد العقل السليم (٦: ٤٥٣).

المراد، فقال السمرقندي (ت:٣٧١): «ويقال معناه ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، وقد تم الكلام يعني ينزلون فيها من كل أمر من الرخصة وبكل أمر قدره الله تعالى في تلك الليلة إلى قابل، ثم استأنف فقال ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ﴾ يعني سلام وبركة وخير كلها»(١).

كذلك يرى ابن عطية (ت: ٥٤٢) حيث قال: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾، الرحمة والغفران والفواضل ثم جعل قوله ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ متعلقا بقوله: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ أي: من كل أمر مخوف ينبغي أن يسلم منه فهي سلام»(٢).

كما ذكر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) فقال: «وجملة: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ بيان لمضمر ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، وهو كالاحتراس لأنّ تنزّل الملائكة يكون للخير ويكون للشر لعقاب مكذبي الرسل قال تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٨] وقال: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٢٢]. وجمع بين إنزالهم للخير والشر في قوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [الأنفال:١٢] ، فأخبر هنا أن تنزل الملائكة ليلة القدر لتنفيذ أمر الخير للمسلمين الذين صاموا رمضان وقاموا ليلة القدر فهذه بشارة»(٣).

ومما مضى من النصوص يتأكد وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وقد تفطن لذلك غير واحد من المفسرين، وإن اختلفت طرائقهم في توجيه الاحتراس.

والجدير بذكر أن هذه الآية قد أختلف العلماء فيها في مسألة عود الضمير فقيل إن موقع الاحتراس قوله: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ﴾ ،فيه وجهان:

---

(١) بحر العلوم (٣:٥٧٨).

(٢) المحرر الوجيز (٥: ٤٧٨).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٢٠: ٤٢٩).

أحدهما: أن ﴿هِىَ﴾ ضمير الملائكة، و﴿سَلَٰمٌ﴾ بمعنى التسليم، أي: الملائكة ذات التَّسليم على المؤمنين من مغيب الشمس حتى مطلع الفجر وقيل: الملائكة يسلم بعضهم على بعض فيها.

الثاني: أنها ضمير ليلة القدر، و﴿ سَلَٰمٌ﴾ بمعنى سلامة، أي: ليلة القدر ذات سلامة من كلّ شيء مخوف.

والصحيح أن الضمير يعود على ليلة القدر، وليس على تنزل الملائكة، فالحديث في السورة من مبتدئها إلى منتهاها عن ليلة القدر، ويرجح أن المراد بذلك موقع الاحتراس الدال على ليلة القدر، ويسانده في ذلك قاعدة (عود الضمير على أقرب مذكور)[1].

ومما مضى يَتبَيَّن وقوع الاحتراس في الآية الكريمة، وتَبَيَّنَ كيف أسهم الاحتراس بتعزيز قاعدة عود الضمير على أقرب مذكور في الآية، والخروج من الخلاف الدائر بأبلغ حجة، وأبين تفسير.

❀❀❀

(١) القاعدة هي: الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه. وصورة القاعدة: إذا اختلف العلماء في عائد أحد الضمائر، فأرجح الأقوال في القول الذي يعيد الضمير إلى القريب أولى من إعادته على البعيد. ينظر: قواعد الترجيح، حسين الحربي (٢: ٦٢١).

المطلب الثالث
مقاصد الاحتراس في آيات الأمثال

المقصد الأول: دفع التوهم وإزالة اللبس.

جاء الاحتراس لدفع توهم غير المراد في غير موضع ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

فقد جاء الاحتراس بقوله: ﴿ بِالْإِثْمِ ﴾ فلو أُطلِقَت لَتَوَهّم فيها بعض من لا عناية له أنها العزة المحمُودة؛ فقيل: ﴿بِالْإِثْمِ ﴾ تَتْمِيماً للمعنى، فرفع اللبس بها.

المقصد الثاني: دفع توهم المجاز.

من أبرز الأغراض التي جاء الاحتراس بها دفع توهم المجاز، فالمجاز يصرف المعنى عن وجه الحقيقي لمعنى مجازي للقرينة تحف به، ومن الشواهد التي جاء الاحتراس لدفع توهم المجاز ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فقد جاء الاحتراس بقوله: ﴿ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ لدفع توهم أن يراد بالأجنحة الاستعارة للسرعة.

وبإزاء دفع توهم المجاز تأتي أغراض ومقاصد أخرى يؤكد عليها الاحتراس، كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] حيث دفع توهم المجاز، وقد سجل عليهم الاحتراس الظلم لتوليهم التحريف بأنفسهم، وعلى علم منهم، وقد تتزاحم المقاصد على الآية الواحدة، وكلها يقتضيها المقام، ويستدعيها السياق.

المقصد الثالث: بيان عِظم قُدرة الله.

ومن مقاصد العظمى التي جاء الاحتراس بيان قدرة الله وعظمته، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد:١٧].

لما ذكرت الآيات أن الأودية تسيل قد يتوهم متوهم أن ذلك بسبب كثرة الماء النازل، فدفع التوهم و بين أن الأودية الأمطار بحسب سعتها، وفي ذلك دلالة على قدرة الله عز وجل، وهذا المثل الذي حمله الاحتراس بأروع صورة حيث أسند فيه السيلان إلى الأودية، مع أن السيلان للماء فيها، فالإسناد للمحلّ، وهي الأودية ويبدو للنّاظر أن تدفّق الماء في الأودية، وتدافع أمواجه يتوهّم في لحظات الانبهار أنّ الأودية تجري أيضاً مع الماء، وهذا معنى بديع يضفي على الكلام رونق، لا يملك المرء إلا الإذعان لعظمة الباري وقدرته.

المقصد الرابع: تصوير الشمول والإحاطة.

أسهم الاحتراس ببيان الإحاطة والشمول بأوضح صورة، وأسهل عبارة، ليتضح المعنى وينتفي غير المراد، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨].

فقد جاء الاحتراس بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾، ليقطع عنهم كل ملاذ يظنون أنهم ينجيهم من الموت، ولا تنفعهم الحصون المحصنة إذا نزل بساحتهم الموت، وكان للاحتراس الدور الواضح بتجلية المعنى ودفع كل ما من شأنه إن يلبس على السامع حيث جاء لدفع توهم النجاة من الموت لو كانوا في بروج مشيدة.

المقصد الخامس: تجسيم المعنى بصورة محسوسة.

أسهم الاحتراس في بيان الأمر المعنوي بصورة محسوسة ليتضح المعنى ويفهم المراد، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦]، حيث صورت الآية الهداية والضلال -وهي أمر معنوي- بالتجارة التي تربح وتخسر، وقد كشف الاحتراس عن خسارة المنافقين، بدفع إمكان تدارك ما

مضى من أعمالهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فانقطع التوهم عن إمكان هدايتهم، فهم الذين أشتروا الضلالة، فقد صورت الآية حرصهم على الضلال كأنهم أشتروه بأموالهم، فأنى يبيعوها أو يتركوها، وما كان ليفهم ذلك المعنى إلا بمجيء الاحتراس.

المقصد السادس: بيان وصف أهل الإيمان.

جاء الاحتراس ببيان هدي أهل الإيمان وسمتهم من تمثيل عجيب وتصوير فني بديع، ليثبت بالتطابق المعنى وينتفي ما سواه من معاني، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] فقد جاء الاحتراس في قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ وفي آية أخرى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فلو لم توجد الصورة المقابلة من الاحتراس لتوهم عكس المراد، فالاحتراس قرب المراد من العقل وعرض المعنى في أسلوب مشوق.

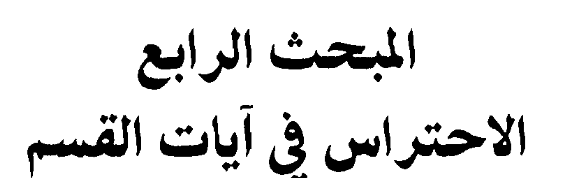
المقصد السابع: الترهيب والتخويف.

ومن المقاصد التي جاء بها الاحتراس التخويف ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦] حيث جاء الاحتراس بقوله ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

السقف لا يكون إلا من فوق وهذا مقام وتخويف «ولذكر لفظة ﴿فَوْقِهِمْ﴾ فائدة لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس هذا من نفسك فإنك إذا تلوت هذه الآية يخيل إليك أن سقفا خر على أولئك من فوقهم وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة»[١].

❀❀❀

(١) المثل السائر (٢:١٢٢).



المبحث الرابع

الاحتراس في آيات القسم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلــب الأول: القسم في القرآن الكريم..

المطلب الثاني: الاحتراس في آيات القسم.

المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات القسم.

المطلب الأول

القسم في القرآن الكريم

توطئة:

يُعدّ أسلوب القسم من أرقى أساليب التوكيد وأبلغها، لما فيه من زيادة المبنى، وتحقيق النبأ وتوكيده.

وقد عرف العرب القسم وأكبروه، فقدسوه بإقسامهم بمعبوداتهم المعظمة عندهم، ثم أبدلهم الإسلام خيراً منها، وهو القسم بالله جل جلاله فليس لأحد أن يُقسم بغير اسم من أسماء الله الحسنى أوصفاته «وهو سبحانه يُقسم بأمور على أمور، وإنما يُقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته»(١).

وهذا أسلوب من أساليب العربي وقد يجتمع مع غيره من الأساليب، وقد اجتمع مع أسلوب الاحتراس، وهو أسلوب مختلف عنه في آيات الذكر الحكيم، وربما اجتمع منه الأساليب البلاغية.

كما اهتم العلماء بالتأليف في أقسام الكريم القرآن الكريم عبر القرون المختلفة بنظرات متباينة فمنهم من أفرده بالتصنيف، ومنهم من عرض له بدراسة موجزة ضمن فنون أخرى.

---

(١) أفرد ابن القيم الجوزية (ت:٧٥١) في كتاب سماه التبيان في أقسام القرآن»، والزركشي (ت: ٧٩٤) ذكره من ضمن أساليب التوكيد في القرآن ولم يفرده بالدراسة، وكذلك السيوطي (ت: ٩١١) في كتابه الإتقان عرض له في دراسة موجزة. كما تناوله النحويون بصورة مختلفة فعرض له سيبويه في عدة أبواب «باب الجزاء إذا كان القسم في أوله» و«باب الأفعال في القسم» وغير ذلك.

تعريف القسم:

القسم في اللغة[١]: يعود في أصله اللغوي إلى مادة (قسم). بفتح القاف والسين، قَسَم - بفتح السين- بمعنى الحلف واليمين، والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل «أقسم» أو «أحلف» متعديًا بالباء إلى المُقسم به. ثم يأتي المُقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

أما في الاصطلاح: يعرف بأنه: ربط النفس، بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا»[٢] وسُمي الحلف يمينًا؛ لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف.

أركان القسم[٣]:

للقسم أربعة أركان:

الركن الأول: المقْسِم:

وهو إما من الله وإما من العباد والقسم من الله: «وقد قيل: ما معنى القسم منه تعالى؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قَسَمٍ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده.

وأجيب: إن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم إذا أردت أن تؤكد أمراً،... كما أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة، وإما بالقسم، فإذا اجتمعن البينة، وهي الشهادة مع اليمين، على دعوى اكتسبت مزيدِ ثبوت وتقرير، فذكر الله تعالى في كتابه

(١) لسان العرب مادة (قسم).

(٢) مباحث في علوم القرآن (ص: ٣٠١).

(٣) للمزيد ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣: ٤٠ – ٤٦).

النوعين، حتى لا يبقى لهم حجة، فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ١٨] . وقال: ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾»(١) [يونس: ٥٣].

الركن الثاني: المقسم به.

لا يكون القسم إلا باسم معظم.

١- أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

٢- القسم بالمخلوقات كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦].

الركن الثالث: جواب القسم أو المقسم عليه:

الغالب في المقسم عليه أن يكون في الكلام؛ لأنه المقصود بالتحقيق، (لو) أما حذف جواب القسم؛ فإنه أكثر ما يرد كما يقول ابن القيم (ت:٧٥١) إذا كان نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز كقوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، فإن في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه -ذو الذكر- المتضمن لتذكير العباد وما يحتاجون إليه... ولهذا قال كثيرون: إن تقدير الجواب: إن القرآن لحق»(٢).

الركن الرابع: أدوات القسم:

للقسم أدوات منها (الباء، والواو، والتاء، واللام، ومن) قال سيبويه: (وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به»(٣).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ص: ٧٣٩) بتصرف يسير.

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص:٣٦).

(٣) مغني اللبيب عن كثير من الأعاريب، ابن هشام(ص: ١٤٣).

أغراض القسم في القرآن الكريم:

القسم في الأصل أسلوب من أساليب التأكيد بل هو من أقوى أساليب التأكيد، قال السيوطي (ت: ٩١١) «والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده»[١]، والقرآن نزل بلغة العرب، ومن عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرا[٢].

١- الغرض الأصلي من القسم تأكيد المقسم عليه، إما تقديس المقسم به، أو تشريفه. فغير مقصود أصالة، وإن أتى تبعاً له[٣].

٢- لفت الأنظار إلى الكون وما يحويه من أسرار عجيبة، وما فيه من نظام محكم بديع[٤].

٣- إثبات صدق الرسول ﷺ إذ العرب كانت تعتقد أن الأيمان الكاذبة تدع الديار بلاقع، وأنها تضر صاحبها. وقد كان إكثار النبي ﷺ من الحلف بأمر الله تعالى مثل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٥] [يونس: ٥٣].

٤- إبراز المعقول في صورة المحسوس، وذلك أن الأمر المعقول إذا صور في شيء حسي فإن العقل يستوعبه، أكثر ما لو كان مجرداً عن الحس.

٥- تصحيح العقائد الباطلة، فالقسم بالنجم إذا هوى، وبالكواكب... فيه رد على من اعتقد أنها آلهة، وأن لها تصرف في العالم السفلي[٦].

---

(١) الإتقان (ص: ٧٣٩).

(٢) الإتقان (ص: ٧٣٩).

(٣) أسلوب القسم الظاهر وإجماعه مع الشرط، سامي عطا (ص: ٢٤).

(٤)، (٥) المرجع السابق (ص٢٩).

(٦) أسلوب القسم الظاهر واجتماعه مع الشرط (ص: ٢٩).

٦- لفت الأنظار إلى أحداث بارزة، كان لها أكبر الأثر في تاريخ البشر، وذلك الغرض في القسم بالأمكنة مثل (الطور)[١].

الأمور المقسم عليها في القرآن الكريم[٢]:

الأول: تثبيت أساس التوحيد، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ [الصافات: ١ - ٤].

الثاني: تقرير أمر النبوة، والإشادة بصدق الكتاب الحكيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ١ - ٣].

الثالث: في إثبات الحياة الآخرة، وما يتصل بها من حساب، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الذاريات: ١ - ٦].

الرابع: بيان أحوال الإنسان وتصرفاته المختلفة ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين: ١ - ٦].

بلاغة القسم القرآني[٣]:

١- يمتاز أسلوب القسم بإيجازه، ولهذا يستحوذ على السامع فيمتلك مشاعره، وقد أكثر العرب منه لو جازته.

---

(١) أسلوب القسم الظاهر وإجماعه مع الشرط (ص: ٢٩).

(٢) أسلوب القسم الظاهر واجتماعه مع الشرط (ص: ٢٩).

(٣) مختصر من أسلوب القسم (ص: ٣٧).

٢- القسم ضرب من الأسلوب الإنشائي، لا مناص للخصم من الإقرار به، ولا وجه له في إنكاره، فإن شاء أن ينكر انصب إنكاره على جواب القسم، لا على القسم نفسه؛ لأن الجواب خبر الإنشاء.

٣- قد يحذف جواب القسم في القرآن، وهو المقسم عليه، فينتقل بعد القسم إلى كلام آخر، لكنه مرتبط بالجواب المحذوف، والسر في هذا أنه يسر على المخاطب المنكر طريق الغرار، فلا ينتقل من القسم وهو إنشاء، إلى الجواب وهو خبر، ؛؛ لئلا يجارى المنكر في الجواب، ثم ليكون القسم كالتمهيد والتنبيه، فيسترعي سمع المخاطب، فيرهف أذنيه ليستمع ما بعد القسم.

٤- أن القسم يُسهل الجمع بين عدة أدلة في جملة واحدة، أوفي جمل متلاحقة مع الإيجاز.

٥- يُشرك القسم السامع في استنباط الدليل ويخفف من عناده وخصومه، فيشعر أنه تعرف وتأمل، ولهذا كانت الأساليب الإنشائية كلها أكثر اجتذاباً من الأساليب الخبرية.

٦- في القسم تقديم لتوثيق الصدق قبل ذكر الدعوى؛ لأنه يقرع أذني المخاطب، فيصغي ويترقب ما بعده، ثم تجي الدعوى فيسهل قياده لها، ولكنه إذا فوجئ بالدعوى التي ينكرها، انصرف عنها ونفر منها.

المطلب الثاني

الاحتراس في آيات القسم

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

*** الدراسة والتحليل:**

جاءت هذه الآية الكريمة في خطاب النبي ﷺ بعد أن أُنكر على المنافقين اعتقادهم بأن الله لا يبرز ما في قلوبهم من عداوة وبغضاء للنبي ﷺ وللمؤمنين في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩] خاطب نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ أي: لو نشاء لأعلمناك من هم ورأيتهم وعرفتهم عياناً.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

جاء في هذه الآية الكريمة احتراس في قول الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾؛ ،فيكون المعنى فإن لم تراهم يا محمد بسيماهم ،فإنه تقع معرفتك لهم في لحن كلامهم، وهو أقوى من السمت الخارجي إذا قد يخفى، ولم يخفى على النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من أحوالهم.

وقد صَرَّحَ بالاحتراس الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ هذا في معنى الاحتراس مما يقتضيه مفهوم ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ من عدم وقوع المشيئة لإراءته إياهم بنعوتهم»[(١)].

(١) التحرير والتنوير (٢٦: ١٢١).

ويرى القونوي (ت: ١١٩٥): «أن التعبير بأريناك إنما ذكر فلمعرفتهم مع أن التعريف يستلزم لدفع احتمال كون المراد بالتعريف المجاز يقال: علمت فلا فلم تعلم»[(١)].

فالقونوي أشار إلى معنى الاحتراس ولم يُصَرَّحَ به، حيث يرى أن الاحتراس إنما جاء لدفع توهم المجاز.

وبذلك يَتبَيَّن أن الاحتراس الوارد في أسلوب القسم ليدل على أن الله تعالى مكّن نبيه محمد ﷺ بمعرفة المنافقين في أسلوبهم في الكلام والفلتات التي تصدر منهم.

الآية الثانية:

قول الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢].

*** الدراسة والتحليل:**

أقسم الله عز وجل بالكوكب الذي ينبعث منه النور، وتكون به الهداية في ظلمات البر والبحر على أن محمداً ﷺ سالكاً طريق الرشد والهداية، ونفى عنه ما كانت قريش تنسب إليه من الضلال، وإن ما جاء به ليس من عنده، إنما هو وحي إلهي.

*** الاحتراس وموقف المفسرين منه:**

انتظم الاحتراس في أسلوب القسم في قوله تعالى: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾، قد يتوهم في أن القسم بالنجم إقراراً لهم في عبادتهم لنجم الشعرى، فلما جاء الاحتراس، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ دل على إنه مخلوق من مخلوقات الله مسخر لقدرة الله تعالى.

وقد أشار إلى هذا الاحتراس الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) حيث قال: «﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ احتراس من أن يتوهم المشركون أن في القسم بالنجم إقراراً لعبادة نجم الشعرى، وإن

(١) حاشية القونوي (١٨: ٤١).

القسم به اعتراف بأنه إله إذ كان بعض القبائل يعبدونه... وإشعاراً بأن النجوم كلها مسخرة لقدرة الله مسيرة في نظام أوجدها عليه لا اختبار لها.. فالمقصود من القسم الدلالة على القدرة الإلهية مع الاحتراس عن اعتقاد عبادتها»[(١)].

ولم أقف على من صَرَّحَ بالاحتراس في هذه الآية إلا ابن عاشور، بيد أن المفسرين اتفقوا على أن المعنى المراد من الاحتراس، وإن لم يُصَرَّحوا به، وفي هذا يقول ابن عادل (ت: ٨٨٠): «القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان منهم من يعبده فنبه بهُوِيه على عدم صلاحيته للإلهية بأفُولِهِ»[(٢)]، وإلى هذا المعنى ذهب غير واحد من المفسرين[(٣)]، «وفي هذا القسم دلالة على وحدانية الله تعالى لأنه لا يملك طلوعها وغروبها إلا الله عز وجل...»[(٤)].



(١) التحرير والتنوير (٢٧: ٩٠).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٨: ١٥٤).

(٣) ينظر: السراج المنير (٧: ١٨٦) وحاشية محي الدين زاده (٨: ٤)، والبحر المديد (٧: ٢٣٢)، ونظم الدرر (٧: ٣١٣).

(٤) التفسير الكبير، للطبراني (٦: ١٣٣).

المطلب الثالث

مقاصد الاحتراس في آيات القسم

المقصد الأول: مقاصد الاحتراس في آيات القسم.

جاء الاحتراس لدفع توهم غير المراد. فلو جاء القسم بالنجم لتوهم تعظيمه لكنه قرن بحاله من حالات الضعف وهي السقوط والأفول فانتفى بذلك استحقاقها للعبادة.

المقصد الثاني: توحيد الله وتعظيمه.

كما جاء الاحتراس لغرض أسمى وهو توحيد الله جل في علاه بنفي ما كان يعبد من دونه وهو (النجم)، وإنه مخلوق من مخلوقات الله تعالى، يُصرفه كيف شاء.





الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد البرية محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد كانت مسيرة البحث طويلة وشاقة ومن الرحلة مع (الاحتراس) تَبَيَّنَ لي الكثير من النتائج أجملها فيما يأتي:

١- أن الاحتراس في القرآن الكريم يُعدّ وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغي، وأسلوباً عالياً من الأساليب القرآنية المؤثرة التي لم تكن معهودة قبل نزوله، وربما يُعدّ الاحتراس من مبتكرات القرآن الكريم؛ ذلك أنه لم يرد في كلام العرب قبل نزول القرآن، فلم تنقل المصنفات البلاغية من الشواهد على الاحتراس إلا بيت طرفة بن العبد، الذي نقل الخلاف في كونه احتراس لأنه تقدم لها بالدعاء قبل أن يحترس.

٢- ظهر الاحتراس ونضج وترعرع على أيدي المفسرين، فقد نال عناية فائقة بالتأصيل له من حيث الحد والنشأة والتطور، وبذلك تميزوا على أهل اللغة، فكان لهم الفضل في التحليلات والتقسيمات وكثرة الشواهد والأمثلة، وبذلك حاز الاحتراس مجالاً أوسع وفضاء أرحب، فوظف في بيان معاني القرآن الكريم.

٣- أفاض المفسرون في ذكر الاحتراس وما يرتبط به من معاني متعددة في القرآن الكريم، وفرعوا في دلائلها، وأظهرها خصوصية الأسلوب القرآني في استخدامها والإفادة منها، وقد أسفروا في كل ذلك عن ذوق رفيع وإحساس مرهف. وقدرة نادرة على النفاذ إلى النصوص، والدقة البالغة في تأديتها.

٤- التأكيد على أهمية التفسير التحليلي، وأنه البوابة الأولى للتفسير.

٥- ظهر الاحتراس في وقت مبكر جداً، وكان أول ظهوره بمقصده دون تسمية لمصطلح الاحتراس فظهر بعده أسماء أولها إصابة المقدار، ثم التحرز مما يوجب الطعن ثم التتميم ثم استقر باسم الاحتراس أو التكميل.

٦- تميز الاحتراس في مراحله الأولى بالمعالجة السطحية، وذلك بذكر مقصده، أو بذكر لمسماه دون التعرض لبلاغته، كما تميزت تلك الفترة باضطراب مدلول المصطلح والتداخل بينه وبين غيره.

٧- أن القرن الثالث الهجري كان البذرة الأولى للتفطن لمصطلح الاحتراس، والالتفات إليه.

٨- كشف البحث عن أهمية «الاحتراس» وأنه الأصل الأول لعلم المعاني حيث إن مرجع البلاغة «للتحرز من الخطأ» في تأدية المعنى المراد[1]، فصيانة المعنى من اللبس هي الأصل في الاحتراس. وقد قيل: «إن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له»[2]. فليس الاحتراس زيادة في الكلام لا فائدة منه، وإنما هو من مقتضيات النظم ومتطلبات المقام. وقد حقق قيمة بلاغية أحوج إليها المعنى؛ ذلك أن الاحتراس في كل الآيات التي تعرضت لها بالدراسة والتحليل أثبتت بها لا يدع مجالاً للشك أنه مقتضى حال جيء به لدفع توهم خلاف المقصود؛ صيانة للمعنى، وحفظا له، ولزوما للدقة في التعبير عن المراد، وتضاعفت هذه القيمة في علاقتها بمقاماتها التي جاء بها؛ لأنها مقامات تتصل بالعقيدة والشريعة، وما يتفرع عنها من ترغيب وترهيب، وتشريع، وتعليم، وغير ذلك.

٩- بدا أن الاحتراس أصل ومقصد لبعض فنون البديع، وربما تداخل مع فنون أخرى في علوم البلاغة المتنوعة كالاستدراك، والاستثناء، والاعتراض وغيرها.

---

(١) المفتاح (ص: ١٦١).

(٢) الخصائص، ابن جني (ص: ١٠٣).

١٠- جاء الاحتراس متداخلاً مع علوم القرآن المختلفة كالعام والخاص والمطلق والمقيد، والشرط والغاية، كما كان للاحتراس أثر بارز في نفي المجاز.

١١- كشف البحث عن موقع جديد للاحتراس وهو مجيئه في ابتداء الكلام، حيث لم يذكره أحد مما سبق، وقد أسهم السياق القرآني في معرفة هذا اللون.

١٢- ورد الاحتراس في فواصل الآيات، لتمكين المعنى في النفوس، وبذلك تحقق العلاقة القوية بين الآية وبين فاصلتها، ويتحقق أيضاً الترابط المتين، والبناء القوي المتماسك.

١٣- لوحظ أن الاحتراس قد دخل في معظم موضوعات القرآن الكريم ابتداءً بإثبات التوحيد والغيبيات مُروراً بالعبادات فالمعاملات ثم بالقصص.

١٤- أسهم الاحتراس في الكشف عن العديد من المقاصد القرآنية، التي تجاوزت حدود دفع التوهم وإزالة اللبس إلى مقاصد أعظم كتقرير التوحيد والعبودية لله -عز وجل- والتعظيم والتنزيه.

١٥- إن شواهد الاحتراس في القرآن الكريم كثيرة فاشية، شملت موضوعات عدة، وجاءت على أساليب متنوعة، فمنها المفرد، والجملة، وشبه الجملة.

١٦- يجب مراعاة السياق القرآني في معرفة دلالة الاحتراس، ولا يمكن انتزاع الاحتراس من سياقه.

ومما توصي به الباحثة بناءً على ما ظهر لها من هذا البحث ما يأتي:

- أن دراسة القضايا الخاصة الدقيقة في القرآن الكريم أجدى -في نظري- من دراسة الموضوعات والظواهر العامة، لما في الأولى من التركيز والحصر، وجمع المتشابهات والوصول إلى نتائج تكون أقرب إلى القبول، وأدق في الحكم.

- أن الظـواهر البلاغيـة في القـرآن الكـريم جـديرة بـالوقوف عنـدها، وتحليلهـا وتعليلها، وبهذا يتكاتف العلمان التفسير والبلاغة في خدمة القرآن العظيم وإبراز إعجازه، كما أن ذلك يتيح مادة تطبيقية واسعة يفاد منها في الاستشهاد والتعلـيم، في العلمين على السواء، وما أجمل أن يمـزج التفسـير بلطـائف البلغـاء وتعليلات البيانيين.

والحمد لله أولاً وأخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قائمة الفهارس

وتشتمل على ما يلي:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الكلمات الغريبة.

فهرس الأشعار.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.	٥	١٠٣، ٢٦١، ٢٦٢
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾.	٦-٧	٩١، ٢٦٢
سورة البقرة		
﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.	١-٣	١٩٥
﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.	٥	٧٤٥، ٧٧٢
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾.	١٦	٧٨٢، ٨١١
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.	١٧-١٨	٧٨١
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾.	٢٣-٢٤	١٧٧
﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.	٢٥	٣٠٣، ٤٥٦
﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾.	٤٠	٣٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾.	٤٨	٥٤٣، ٥٤٤
﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾.	٥٥	٩٢، ٢٤٨، ٢٩٣، ٣١٣، ٣٢٨، ٤٢٩
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.	٧٩	٢٨٠، ٣١٤، ٥٩٩، ٦٤٢، ٧٩٠، ٨١٠
﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.	٨٠	١٩٤
﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ ﴾	٨٥	٦٠١
﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.	٩٥	٢٦٥
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.	٩٦	٦٠٣
﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.	١٠٠-١٠١	٥٣٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.	١٠٢	٣٠٣، ٦٠٤، ٦٤٤
﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.	١٠٥	٥٣٨، ٦٤٢، ٦٥٨
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.	١٠٦-١٠٧	٥٤٠
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.	١١٩	٥٢٤
﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.	١٢٠	٢٠٥، ٥٤٠، ٦٤٣
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.	١٢٦	٥٤٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.	١٢٧	٤٢٥
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.	١٣٣	١١١، ٢٠٤، ٣١٦، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣١، ٤٢٩، ٤٣٠
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.	١٣٤	١٩٣، ٢٥٤، ٥٤٨، ٦٤٤
﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.	١٣٥	٥٥١
﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.	١٣٧	٥٥٣
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.	١٣٩	٥٥٦، ٦٤٣
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.	١٤٣	٥٥٨، ٥٨٩
﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾.	١٤٤	١٦٢، ١٦٣، ٥٦٠
﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.	١٥٢	١٠٧، ٧٤٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.	١٥٨	٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٧٢٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.	١٥٩-١٦٠	٢٧٨
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.	١٦٣	٣٣٢
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾	١٦٥	١١٧
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.	١٧٣	٦٦٣، ٧٢٨
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.	١٧٧	٧٣٩، ٧٤٧
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾.	١٨٠	٦٩٠
﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.	١٨٤	٢٩٦، ٦٢٠، ٦٦٤، ٧٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا ﴾.	١٨٥	٧١٠
﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.	١٩٦	٤٣، ٦٦، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ٦٦٦، ٧٢٦
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.	٢٠٤-٢٠٦	٩٩، ٢٦٥، ١١٠، ٢٦٥، ٧٨٣
﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.	٢٠٩	٤٢٢
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.	٢١٧	٦٦٩، ٧٢٩
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾.	٢١٩	٦٧٣، ٧٢٥
﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.	٢٢٣	٢٥٧، ٣١٩، ٦٧٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾.	٢٣٣	٨٥، ١١٤، ٦٧٦
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.	٢٤٠	٢٧٨
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.	٢٥٥	١١٢، ١١٤، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩
﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾.	٢٥٧	١٨٥
﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.	٢٦٠	٨٨، ٥٦١
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.	٢٦٢	٧٤٢
﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾.	٢٧٢	٥٣٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾.	٢٨٢	٥٦، ١٠٣، ١٠٩، ١١٤، ١١٥، ١٦٩، ٢٩٥، ٦٧٨، ٧٢٧
﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾.	٢٨٢	٥٧، ١٠٩، ٢٠٠، ٣٠١، ٦٥٩
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾.	٢٨٦	٩٨، ٩٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾.	١٨	٨١٧
﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾.	٣٧	٦٧٦
﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ ﴾.	٤٢	٤٤٥
﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾.	٤٦	١٦٥،١٦٦،٥٦٣
﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.	٤٩	٥٠٣
﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.	٧٢-٧٣	٦٠٧
﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾.	٩٧	٢٠٣
﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.	١١٠	٦٠٩
﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾.	١١١	٣٠٠، ٥٠٤
﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾.	١١٢	١٨٤
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.	١٣٤	٣١٩، ٧٥٠، ٧٧٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى الشَّٰكِرِينَ﴾.	١٤٥	٩٣
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ﴾.	١٥٦	٦٥٤
سورة النساء		
﴿وَءَاتُوا۟ النِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾.	٢	٦٨١
﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ السُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.	٥	٦٨٠، ٦٨٢، ٧٢٧
﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.	٦	٦٨٥
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.	٧	١١٣، ٢٩٤، ٣١٨، ٧٢٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ الْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.	١٠	٦٨٤، ٧٣٠
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.	١١	١٠٤، ٦٥٤، ٦٨٦، ٧٢٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.	١٢	٦٥٧، ٦٩٠
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.	٢٣	٩٤، ٩٨، ١٠٨، ٣٠١، ٦٥٧، ٦٩١، ٧٢٦
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.	٢٤	٩٨
﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.	٢٥	٨٧، ٦٩٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.	٢٩	٤٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.	٥٦	٤٨٨
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.	٥٧	٤٥٨، ٤٩٨
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.	٥٨	٦٥٤
﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.	٦٤	٦٨٢
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.	٧٨	٧٨٥، ٨١١
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.	٩٢	٦٦٠، ٦٩٨
﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.	٩٥	٢٨٠، ٢٨١، ٧٠٢، ٧٢٢
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.	١٢٢	٤٥٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾.	١٢٣	٥٥٠
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾.	١٢٤	٩٣، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧٢٩، ٧٣٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.	١٣٥	٧٥١، ٧٧٣
﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.	١٤٤	٥٤٢
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾.	١٤٨-١٤٩	٢٣٩، ٧٥٤، ٧٧١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾.	١٥١	٩٢، ٩٧، ٦١١، ٦٣٩
﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾.	١٥٣	٣٢٨
﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾.	١٦٤	٥٨، ١٦١، ٢٢٦، ٢٤٧، ٢٩٨، ٣١٤، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٤٣٠
﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾.	١٦٩	٤٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾	١٧٠	١٠٧
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.	١٧١	٥٦٥
المائدة		
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.	٤	٧٠٥
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.	٣٤	٤٢٥
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.	٣٨	٤٢٢
﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾.	٤٩	٦٥٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.	٥٤	٩٩، ١١٩، ١٤٧، ١٦٨، ٢٦٧، ٢٧٣، ٧٨٧
﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾.	٧١	٢٠٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.	٨٧	٧٠٦، ٧٠٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.	٩٠	٧٠٨
﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.	١١٠	٢٠٦، ٥٦٣
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.	١١٨	١١٠، ١١٩، ٢٢٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٣٥
﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.	١١٩	١٩١، ٤٥٩
سورة الأنعام		
﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.	١٩	٤٣٠
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾.	٣٨	٥٩٩، ٦٧٩، ٧٩٠، ٨١٠
﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.	٥٥	٢٩٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾.	٦٥	٤٨١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾.	٩٥	٧٩٣
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.	١٠١	٣٤٥
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.	١٠٣	٢٦٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٤٩
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.	١١٥	١١٧، ٣٥٠
﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾.	١٤١	١٦٣
﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾.	١٤٣	٦١٥
﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.	١٤٧	١٣٨، ٥٠٩، ٥٦٨
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.	١٥٢	٢٦٣، ٦٨٥، ٧١٠
﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾.	١٦٤	٥٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.	١٦٥	٥٠٩
سورة الأعراف		
﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.	٣٤	٧٨٧
﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.	٣٨	٤٨٣، ٤٩٧
﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.	٤١	٤٨٩
﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.	٥٥	٧٥٦
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.	٦١	٢٤٤
﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.	١٢١-١٢٢	٣٠٢، ٦٣٨
﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.	١٤٢	١٠٨، ١٦٧، ١٧٠، ٦٦٦
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.	١٤٦	٣٠٨، ٧٥٧
﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾.	١٤٨	٥٧٢، ٦٣٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.	١٥٠	٥٧٤
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.	١٥٧	٢٦٧، ٥٠٧
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.	١٥٨	٥٠٧
﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.	١٥٩	٦١٣، ٦٤٤
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.	١٨٠	٤٢٦
﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾.	١٩٥	٢٠٩، ٧٩٠
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.	٢٠٥	٧٥٧
سورة الأنفال		
﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.	١٠	٨٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾.	١٢	٨٠٨
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.	٦٠	٢٧٧
سورة التوبة		
﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾.	٢	٣٠٦، ٧١٤
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.	٢٢	٤٥٩
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.	٣٦	٧١٥
﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.	٩٣	١٨٣
﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.	٩٦	٩٥، ٥٧٥
﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	١٠٦	١٠٦
سورة يونس		
﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾.	١	١٨١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.	٣	٥٢، ٢٣٩، ٢٥٢، ٣٥٢
﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.	١٨	٤٥٤
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.	٣١	٧٩٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.	٤٤	٣٥٣، ٣٥٤
﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾.	٥٣	٨١٧
﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.	٧٢	٥٧٦، ٦٤٥
﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾.	٩٢	٣٠٥، ٥٧٩
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾.	١	٤١٨
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.	٩-١١	٢٤٠، ٧٥٩، ٧٧١، ٨٠٢
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.	١٦	٧٠١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾.	٢٩	٣١٧، ٥٧٧
﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾.	٣٢-٣٣	٥٨١، ٧٣٦
﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.	٣٧	١٠١
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾.	٤٠	٦١٥، ٦٤٣
﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.	٤٤	١٠١، ١٣٧، ٤٣٦، ٥٨٢
﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.	٤٦-٤٧	٧٣٦
﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾.	٥١	٥٧٧
﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾.	٥٢	٤٨٢
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾.	٩٦-٩٧	٦١٨، ٦٢٠
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾.	١٠٨	١٠٠، ٣٠٧، ٤٦١، ٤٩٧، ٥٤٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾.	١٠٩	١٧٠، ١٧١
﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.	١١١	٥٩٢
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.	١١٩	٢٤٧
سورة يوسف		
﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾.	١٦	١٩٢
﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.	٤١	٧٨١
﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	٧٦	١٢١
﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾.	٨٠-٨١	٦٢١، ٦٢٢، ٦٤٥
﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.	٨٢	٦٦، ١٨١
﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.	٩٩-١٠٠	٥٨٤، ٥٨٥، ٧٣٨
سورة الرعد		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.	٣	٦١٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.	٦	٦٤١،٥٠٩
﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾.	١٧	٨١٠،٧٩٤
﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.	٣٠	٥٨٥
﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾.	٣٣-٣٤	٤٤٨،١٩٢
﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.	٣٥	٧٧٨
سورة إبراهيم		
﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.	١	٢٦٦
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.	٧	٧٤١
﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.	١٠-١١	٥٢٨،٥٢٧، ٧٤١
﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾.	١٤	٧٤١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾.	١٥-١٧	٤٨٨
﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾.	١٨	٧٠١
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾.	٢٤-٢٦	٧٤٢
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾.	٢٧	٧٠١، ٧٤١
سورة الحجر		
﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾.	٨	٨٠٨
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.	٩	٣٥١
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾.	١٤-١٥	٣٠٧
﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.	٣٠-٣١	٥٢، ٢٠٢، ٢٤٦، ٢٩٩، ٤٤١، ٦٧٩
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾.	٤٩-٥٠	٣٥٥، ٤٣٥، ٥٠٩
﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾.	٦٦	٢١٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة النحل		
﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾	٢١	١٦٣
﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.	٢٦	١٠١، ٢٠١، ٣٠٤، ٧٩٦، ٨١٢
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾.	٤٤	٦٥٣
﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾.	٥١	٥٦، ١١٥، ١٢٠، ٢٩٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٤٣٠، ٤٣١
﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.	٦٧	٧٠٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.	٩٠	٦٥٤
﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾.	٩١	١٦٤
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.	٩٧	١٤٦، ١٩٥، ١٩٦، ٦٩٩
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.	٩٨-٩٩	٩٤، ٧٦٠
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.	١٠٦	٢٤٣، ٢٨٣، ٧١٨

الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الإسراء
٢١٠، ٥١١	١	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.
٤٧١	٧	﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.
٧٩٢	١٣	﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾.
٦٩٩	١٩	﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.
٥٨٩	٢٩	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾.
٦٨٥	٣٤	﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.
١٦٥	٣٥	﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.
٨٠٢	٨٣	﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾.
٥١٣	٨٨	﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.
٥٨٧	١١٠	﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.
		سورة الكهف
٦٢٣	٢١	﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾.	٥٠-٥١	٤٤٦، ٤٩٦
﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾.	١١٠	٥٢٧
سورة مريم		
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾.	٣	٧٥٦
﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا (٣٠) ﴾	٣٠	١٩١
﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾.	٤٧-٤٨	٥٨٩
﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾.	٥٢	١٣٩
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾.	٧١	٤٦٣
سورة طه		
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾.	٢٠	٥٢٥
﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾.	٢٢	٩٩، ١٠٤، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٨، ١٢٤، ٢١٨، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٦٢، ٥١٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾.	٤٣-٤٤	٧٤٣
﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾.	٤٩	٣٦٢
﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾.	٥١-٥٢	٩٦، ١١١، ٤٣٤
﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾.	٧٤	٤٨٦
﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾.	١٠٨	٤٥٤
﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾.	١٠٩	٤٥١
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾.	١١٢	٦٩٩
﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾.	١٢٧	٤٤٨
سورة الأنبياء		
﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾.	١-٢	٦٢٥
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.	٢٢	٦٥٦
﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾.	٢٦-٢٧	٤٤٧، ٤٤٨
﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾.	٢٨	٣٥٣

الصفحة	رقمها	الآية
٤٨٨، ٤٩٩	٣٩-٤٠	﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.
٦٢٦، ٦٢٧، ٦٤٤	٧٨-٧٩	﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾.
٧٣٦	٨٣	﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.
٧٣٧	٨٧	﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.
٦٩٩	٩٤	﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾.
٤٦٤	١٠١-١٠٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾.
		سورة الحج
٧٤٢	٢٣	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾.
٧٩٠	٤٦	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.
٣٥٢، ٣٦٥، ٤٣٢	٦٥	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾	٧٠	٣٦٧
سورة المؤمنون		
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾.	١٢-١٤	٤٢٢
﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾.	٢٧	٦١٥
﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾.	٣٣	٥٢٧
سورة النور		
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾.	١٥	٧٩٠،٥٩٩
﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.	٢٢	٧٥١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾.	٢٧-٢٩	٧٧١،٧٦٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.	٣٥	٧٩٨،٤٧٦
﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.	٥٦	٦٥٤
سورة الفرقان		
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.	٢٢	٨٠٨
﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.	٢٣	٧٠١
﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾.	٣٢	١٩٠
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.	٦٧	٥٨٩
سورة الشعراء		
﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.	١٨	٥٩٣،٥٧١
﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾.	٨٤	١٨٢
﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٤٨)﴾.	٤٧-٤٨	٥٧٠
﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾.	٧٨-٧٩	٧٣٦
﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ (١٥١) ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.	١٥١-١٥٢	٦٢٨
سورة النمل		
﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.	١٢	٥١٥
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.	١٨	١٥٩، ١٦٨، ٦٣٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾.	٤٨	٦٢٨
﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.	٩١	٢٥٣، ٢٨٢، ٢٩٥، ٣٦٩
سورة القصص		
﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾.	١١	٧٤٣
﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.	٣٢	١٥٧، ١٦٧، ٥١٧
﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.	٤٤	١٣٩، ٣٠٢، ٥١٧، ٦٤٠
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾.	٥٨	٦٣١
سورة العنكبوت		
﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.	٤٠	٢٤٢
﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.	٥٤-٥٥	٤٨١، ٥٠٠
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾.	١-٤	٥١٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾.	٦-٧	٢٦٦
﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.	١٩	٧٩٣
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.	٣٣	٨٠٢
﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾.	٣٦	٨٠٢
﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.	٤٤	٤٧١
سورة لقمان		
﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.	١٤	٦٥٣
سورة السجدة		
﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.	٦	٣٧٣، ٤٣٣
سورة الأحزاب		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.	١	٣٧٦
﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾.	١٦	٧٨٧
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.	٢١	٧٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾.	٣٢	٧٦٥
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾.	٣٦	٧٣٧
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾.	٤٠	٥٠، ١٢٢، ١٢٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾.	٥٠	٩٦، ٧١٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾.	٦٤-٦٥	٤٥٩
﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾.	٦٦	١٣٨
سورة سبأ		
﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾.	١٧	١٤٤
﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ ﴾.	١٨	٢١٠
﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾.	٢٣	٢٩٨، ٣٧٨، ٤٣٤
﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾.	٤١	١٦٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.	٤٧	٥٧٧
﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.	٥٠	٥٢٢
سورة فاطر		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.	١	٣٨٢، ٤٣٣
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.	١٢	٧٨١
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.	١٥	١٠٣،٣٨٦،٤٢٦
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.	٢٣	٥٢٤، ٦٤٢
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.	٢٨	٣٩٠
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.	٣٦	٤٨٨
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.	٤٤	٣٩٣
سورة يس		
﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.	١-٣	٨١٩
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.	٣١-٣٢	٥٩١
﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.	٣٨	٤٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الصافات		
﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾.	١-٤	٨١٩
﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ﴾.	٤٨	٢٤٩
﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.	٦٥	١٧٨
سورة ص		
﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾.	١	٨١٧
﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾.	٨٦	٥٧٨
سورة الزمر		
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾.	٣	٣٢٤، ٤٩٨، ٤٩٩
﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.	٧	٣٩٦
﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾.	١٦	٤٨٩
﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٥ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.	٢٥-٢٦	٤٤٨، ٤٩٨، ٦٤١
﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.	٥٦	٢٥٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة غافر		
﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾.	٣	٥٠٩
﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذۡتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾.	٢٧	٥٩٣
﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾.	٣٥	٧٥٨
﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِى صَرۡحًا لَّعَلِّىٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾.	٣٦-٣٧	٢٣٥، ٦٣٣
﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾.	٤٠	٦٩٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِى صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾.	٥٦	٧٥٨
سورة فصلت		
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.	٦	٥٢٦، ٦٤٠
﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡىِ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴾.	١٦	٣١٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.	٣٣	٧٤٠
﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾.	٤٦	٤٧١
﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾.	٤٩	٨٠٢
﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾.	٥١	٨٠٢
سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.	١١	٣٩٨، ٤٣٢
﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.	١٩	٢٨٦، ٤٠٢
﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾.	٤١	٧٥٦
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾.	٥٢	٥٢٣
سورة الزخرف		
﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾.	١٨	٢٥٥
﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.	٣٩	٧٩، ١٣٦،
﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.	٥٤	٦٢٠
سورة الأحقاف		
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.	٤	٦٣٩
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾.	٩	٦٣، ٥٢٦
﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.	١٥	٦٥٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.	١٩	٤٨٩
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.	٣٣	٤٠٣
سورة محمد		
﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾.	١٥	١٩٧، ٤٦٤، ٤٩٨
﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾.	٢٩	٨٢١
﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾.	٣٠	١٩٨، ٥٢٩، ٨٢١
سورة الفتح		
﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.	٤	٤٢٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾	١٠	٤١١
﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.	٢٥	٥٩٥
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾.	٢٩	١٥٣، ١٦٨، ٥٩٧، ٧٧٨، ٧٨٧، ٧٨٨، ٨١٢

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.	١	٧٣٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾.	٢	٧٣٧
﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾.	١٢	٢٥٦
سورة ق		
﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾.	٢-٣	٢٢٩
سورة الذاريات		
﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾.	١-٥	٨١٩
﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.	٥٤-٥٥	٦٤٢
سورة الطور		
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾.	٢١	٤٦٧، ٤٧١
﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾.	٤٠	٥٧٨
سورة النجم		
﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾.	١-٢	٨٢٢
﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾.	٢٦	٤٥١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾.	٣٨-٤٠	٤٧٠
سورة القمر		
﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾.	١١-١٣	٥٣٢
سورة الرحمن		
﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾.	٥٦	٤٧٣
سورة الواقعة		
﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾.	٢٧-٣٣	٤٧٤
﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾.	٤١-٤٦	٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٩
﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾.	٤٣-٤٤	٢٠٨، ٣٠٣
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.	٧٥-٧٦	١٩٤، ٨١٧
﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾.	٨٣-٨٥	٣٠٤
سورة الحديد		
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.	٣	٤٠٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.	١٠	٧٢٢
﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.	١٤-١٥	٤٩٣
﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.	٢٧	٦٣٥
سورة الحشر		
﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾.	٢٢	٣٧٣
﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.	٢٣	٤٠٨
سورة الممتحنة		
﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾.	٤	٧٤٢
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾.	١٠	١٩٧، ١٩٨

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الصف		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.	١٠-١١	١٩٤
سورة الجمعة		
﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾.	٨	٧٨٧
سورة المنافقون		
﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾.	١	١٦٩، ١٩٨
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾.	٤	١٢٣، ٥٣٠
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.	٨	٩٩، ١١٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.	٩	٧٦٩
سورة التغابن		
﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحٗا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.	٩	٤٥٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوّٗا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٞ ﴾.	١٤-١٥	٧٦٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الطلاق		
﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾.	٢-٣	٧٦٩
﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾.	١١	٤٥٩
سورة التحريم		
﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.	٦	٤٤٨
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.	١٠-١١	٨٠٠
سورة الملك		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.	١	٤٣٢، ٤٤١
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾.	١٣-١٤	٢٢٨
سورة القلم		
﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.	٣٣	٤٤٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحاقة		
﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾.	٢٢-٢٣	١٠٢
سورة المعارج		
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.	٤٠	٨١٧
سورة نوح		
﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾.	١٠-١١	٤٨٢
﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.	٢٣	٢٢١
سورة الجن		
﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.	٨	٢٨
﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.	٢٣	٤٥٩
سورة الإنسان		
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.	٨-٩	٧٤٧، ٧٧٢
﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ (١٥) قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.	١٥-٢١	٤٧٦، ٤٧٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة النبأ		
﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾.	٣٧-٣٨	٣٠٨، ٤٥١، ٤٩٩
سورة النازعات		
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾.	٢٤	٣١٧
سورة التكوير		
﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.	٢٨-٢٩	٤١٥، ٤١٦
سورة الأعلى		
﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾.	٩-١١	٥٩٨
﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾.	١١-١٣	٤٨٦
سورة الغاشية		
﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾.	٢١-٢٤	٢٣٥، ٥٣٤
﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾.	٢٥	٥٣٤
سورة الفجر		
﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾.	١٥-١٦	٨٠٤
﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾.	٢١	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٨، ٥٣٣

الآية	رقمها	الصفحة
سورة التين		
﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.	١-٦	٨١٩
سورة العلق		
﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.	١٦	٣٣١
سورة القدر		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.	١	١٩٣
﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.	٤-٥	٨٠٦
سورة البينة		
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾.	١	٥٤٠
﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.	٨	٤٥٩

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
«اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة».	٧١٢
«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ».	٦٨٤
«ارْبَعُوا على أنفُسِكُمْ فإنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ».	٧٥٧
«إذا أرسلت كلبك المعلم فقتل فكل وإذا أكل فلا تأكل».	٧٠٦
«إذا دخل أهل الجنة الجنة يُنَادِي مُنَادٍ أَنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا».	٤٦١
«أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّى فَيُؤْذَنُ لِى فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا».	٤٥١
«اسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ».	٧٣٥
«أعربوا القرآن واتبعوا غرائبه وفرائضه وحدوده فإن القرآن نزل على خمسة أوجه».	٧٨٠
«أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح تأمل البقاء».	٧٤٩
«إن الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أوذراع».	٨٠٦
«أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام وله ست مئة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب».	٣٨٢، ٣٨٥
«أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ».	٦١٣
«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».	٧٤٤
«إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ».	٣٥٦
«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ».	٧٠١
«إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ».	٥١١
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بِالدَّيْنِ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ».	٦٩١
«إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ».	٢٨٠، ٧٠٣
«إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا».	٦٩٨
«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ».	٤٧٤

الحديث	الصفحة
«أَنَّ هَذِهِ الآيَةُ (ولا تجهر بصلاتك) نَزَلَتْ وَالرَّسُولُ ﷺ مُتَوارٍ فِي مَكَّةَ».	٥٨٨
«إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع».	٧٥٩
«الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله».	٧٣٩
«البر حسن الخلق».	٢٣٩
«سئل النبي ﷺ أي: الناس خير؟ قال أحسنهم خلقاً».	٧٣٩
«صلاة فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَل مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ اَلْمَسَاجِدِ إِلَّا اَلْمَسْجِد اَلْحَرَام».	٢٨٧
«لا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ».	٦٣٣
«لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُو يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».	٢٨٨
«لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمُوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ».	٢٨٤
«اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا سَرِيعًا غَدَقًا طَبَقًا عَاجِلا غَيْرَ غَائِثٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ».	٧٢
«لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ الْعَقَبَةَ فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ».	٥٣١
«لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ منكُمْ بِعَمَلٍ».	٣٥٧
«لَمَّا صَالَحَ الرَّسُولُ ﷺ قُرَيْشاً، يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ فِي كِتَابِ الصُّلْح (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)».	٥٨٦
«لَوْلاَ عَفْوالله ورَحْمتهُ وتَجاوُزهُ لَمَا هَنأَ أَحَدا عَيْشٌ».	٥١١
«لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُويَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ».	٢٨٣

الحديث	الصفحة
«مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا».	٧٠٨
«مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».	٧٥١
«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يشْرَفَ لَهُ بنيَانٌ، وَأَنْ تُرْفَعَ لَهُ دَرَجَاتٌ، فَلْيَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ ».	٧٥١
«مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَهو يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِهِ مَلأَ اللهُ جَوْفَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً».	٧٥٠
«مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ».	٤٦٠
«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهَّ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهَّ شَيْئًا».	٥٥٠
«يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ خُلُودٌ».	٤٥٧

فهرس الكلمات الغريبة

الكلمة	الصفحة
حرز	٣١
الركية	٦٣
القارص	٤٦٦



فهرس الأبيات الشعرية

البيت		قائله	الصفحة
حليم إذا ما الحلم زين أهله	مع الحلم في عين العدو مهيب	كعب الغنوي	٤٧، ١٠٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ٣٨٧، ٣٩٠، ٧٨٩
راموا الخِلافَةَ في غَدرٍ فَأَخطَأَهُم	منها الصدور وفازوا بالعراقيب	الفرزدق	٢٨٥
أشدُّ من الرِّياحِ الهوج بطشاً	وأسرع في الندى منها هبوبا	المتنبي	١٤٣
سَأُثْني عَلى تَيْمٍ بِما لا يَسُرُّها	إذا أركبٌ وافوا بنعمان أركبا	جرير	٢٨٥
رجالُ إذا لم يُقْبل الحقّ مِنهُمْ	ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب	نافع بن خليفة	١٣٢، ١٣٣، ١٦٢
فلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللساق دِرَّة	وللزجر منه وقع أخرج مهذب	امرئ القيس	٧٨
علِّم - ولو كاتمْتُه الناس - أننِي	عليك ولم أظلم بذلك عاتب	ابن جني	٢٣٣
تزورُ فتىً يعطي على الحمد مَالَهُ	ومن يعط أثمان المكارم يُحمد	الحطيئة	١٤٤
تكشفتِ الظلماءُ عن نورِ وجههِ	لضوء شهابٍ ضوءه غير خامد	جرير	٢٨٩
فَظَلُّوا بيومٍ - دَعْ أَخاكَ - بِمِثْلِهِ	على مشرع يروى ولما يصرد	ابن المعتز	٧٥
وقَدْ لينتَ وحشَهُمُ برفقٍ	وتُعيي الناس وحشك أن تصادا	جرير	٢٨٥
رَهَنْتَ يَدِي بالعَجْزِ عن شُكْرِ بِرِّهِ	وما فَوْقَ شُكْرِي للشَّكُورِ مَزِيدُ	يزيد بن المهلب	١٥٠
هَلْ تَعرِفُ الرَّبعِ إذ في الرَّبعِ عامرُه	فاليوم أصبح قفراً غير معمور	جرير	٢٨٩
أَلَا يا إسلَمِي يا دارَ مَيٍّ عَلى البِلَى	ولا زال منهلاً بجرعائك القطر	ذو الرمة	٧٦، ٧٧، ١٤٨، ٢٧٤
إن الكواكب في علو محلها	لترى صغاراً وهي غير صغار	أبي الحسن	٣٨١

البيت		قائله	الصفحة
فَـلا تُبعـدن إلا مِـنْ السـوء إنني	إليك وإن شطت بك الدار نازع	....	٥٠، ١٣٣
فَسَقاكِ حَيثُ حَلَلْتِ غَيرَ فَقيدَةٍ	هـزج الـرواح وديمـة لا تقلـع	جرير	٧٢، ١٣٦
غَـيرَ اخْتِيـارٍ قَبِلْـتُ بِـرَّكَ لي	والجوع يـرضي الأسود بـالجيف	المتنبي	٢٧٩
مـن يلـق يومـاً عـلى علاتـه هرمـاً	يلـق السماحة فيـه والنـدى خلقـا	زهيربن أبي سلمى	٧٤٩
لَعَمْرِي لَقَدْ أشجَى تَميماً وَهَدّهـا	على نكبات الدهر موت الفرزدق	جرير	٢٨٩
ألـيس قلـيلاً نظـرةٌ إن نظرتهـا	إليـك وكـلاً لـيس منـك قليـلُ	يزيد بن الطثرية	٤٦
ومـا مـاتَ منـا سَـيدٌ في فراشِـهِ	ولا طـل منـا حيـث كـان قتيـل	السموأل بن عاديا	١٤٣، ١٥٣
بِهَـا نِلْنَـا القَرَائِـبَ مـنْ سِـوانا	وأحرزنـا القرائـب أن تُنـالا	الأخطل	٧٥
صَـبَبْنا عَلَيْهـا ظـالِمينَ سِياطَنا ...	فطـارت بهـا أيـد سراع وأرجـل	ابن المعتز	٧٣، ٧٨
قـف العيس في أطلال ميَّة فاسأل	رسوماً كـأخلاق الـرداء المسلسل	ذو الرمة	٧٥
هـو البـدر إلاّ أنّـه البحـر زاخـراً	سـوى أنـه الضرغام لكنـه الوبـل	ديوان بديع	٤٩
أَيَقْتُلُنِـي وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي	ومسنونة زرق كأنيـاب أغـوال	امرئ القيس	١٧٩
إذا تـم أمـراً بـدا نقصـه	ترقـب زوالاً إذا قيـل تـم	....	١١٧، ٣٥١
بهـا نِلْنَـا القَرَائِـبَ مـنْ سِـوانا	وأحَرَزْنـا القَرَائِـب أنْ تُنَـالا	الأخطل	٧٥
صَـبَبْنا عَلَيْهـا ظَـالمين سِـياطَنا	فطـارت بهـا أيـدٍ سراعٌ وأرْجُـلُ	عبدالله بن المعتز	٧٣، ٧٨
فـوفَّى -غَـيْرَ مـأمُورٍ- وعـودك لي	فليس رؤيـاك أضغاثاً مـن الحلم	الحلبي	١٥٦
وحلـم ذي العجـز ذُل أنـت عارفـهُ	والحلم عن قـدرة ضرب مـن الكرم	سالم بن واصبة	١٥٥
إنَّ البَخِيـلَ مُلَـوَّمٌ حيـثُ كـانَ ولـ	كِـنَّ الجَـوادَ عـلى عِلاَّتِـهِ هَـرِمُ	زهيربن أبي سلمى	٤٨
فـإن أقـف غـير مطـرود بحجرتـه	لم أحترس بعـدها مـن كيـد مختصم	صفي الدين الحلي	١٥٧
وَهَـاكَ مِـنَ التَّكْمِيـلِ وَهُـوَ تَجِيئُـهُ	بلفـظ حـوى المعنـى التـام لنـاظم	ابن معطي	٨٠
وكـم مننـتَ بـلا مـنٍّ عـلى وَجِـلٍ	من احتراسِ حلولِ الخَطبِ لم يَنَمِ	ابن معصوم	١٥٩

البيت		قائله	الصفحة
لا خيرَ في العيش ما دامتْ مُنغَّصَةً	لذاته بادكار الموت والهرم	.....	٤٥٨
يا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يكونُ	إلا النبي الطاهر الأمين	أبو نواس	٤٦
فنيتُ وما يفنى صنيعي ومنطقي	وكل امرئ إلا أحاديثه فان	اربيع الفزاري	١٣٣
قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم	طاروا إليه زرافات ووحدانا	قريط بن أنيف	٧٩١
وتَحتقرُ الدّنيا احتقارَ مُجَرِّب	ترى كل ما فيها وحاشاك فانيا	المتنبي	٢٣٥
لَو أَنَّ عَزَّةَ خاصَمَت شَمسَ الضُحى	في الحسن عند موفق لقضى لها	.....	٧٩، ١٣٥
أخو ثقةٍ لا يُذهبُ الخمرُ مالَهُ	ولكنه قد يذهب المال نائله	السموأل بن عاديا	١٤٢، ٢٤٢
فسَقى ديارَكِ، غيرَ مُفسِدِها	صوب الربيع وديمة تهمي	طرفة بن العبد	٣٤، ٣٩، ٥٠، ٧٢، ١٣١، ١٣٧، ١٤١، ٢٧٣
وإخوانٍ تخذتهم دروعاً	فكانوها ولكن للأعادي	ابن الرومي	٤٧
ولولا كَثْرةُ الباكينَ حَوْلي	على إخوانهم لقتلت نفسي	الخنساء	١٤٠، ٢٧٩
وما يَبْكُونَ مِثْل أَخِي ولكن	أُعَزِّي النَّفْسَ عنه بالتَّأَسِّي	الخنساء	١٤١، ٢٧٩

ثبت المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن القنوجي (ت: ١٣٠٧) تحقيق: عبد الجبار زكار، نشر دار الكتب العلمية،ببيروت، ١٩٧٨م.

٢. أبحاث في بلاغة القرآن، لمحمد كريم الكواز، نشر مؤسسة الانتشار العربي، ببيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٣. الإتقان في علوم القران،لجلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١) تحقيق فواز زمرلي، نشر دار الكتاب العربي، ببيروت، ١٤٢٥هـ.

٤. أثر القرآن في تطور النقد العربي لمحمد زغلول ، منشأة المعارف، بالقاهرة، ٢٠٠٠م.

٥. أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص (ت: ٣٠٧)، تحقيق:محمد قمحاوي، نشر دار إحياء التراث ١٤٠٥هـ.

٦. الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الآمدي (ت:٦٣١)، تحقيق سيد الجميلي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

٧. الأدب الصغير، لعبد الله بن المقفع (ت:١٤٥)، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

٨. أدب القاضي، لعلي بن محمد أبو الحسن الماوردي (ت:٤٥٠)، نشر دار إحياء التراث الإسلامي.

٩. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي أبي السعود الحنفي (ت: ٩٨٢) نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠. أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، لفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦)، نشر المكتبة العصرية، بصيدا، ١٤٢٦هـ.

١١. أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري (ت:٥٣٨)، نشر مكتبة عباس أحمد الباز، بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٢. أساليب البيان، لفضل عباس، نشر دار النفائس، بالأردن، ٢٠٠٧هـ.

١٣. أساليب اللسان، لفضل حسن عباس، نشر دار النفائس، بالأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٤. أسلوب التعليل وطرائقه، ليونس الجنابي، نشر المدار الإسلامي، بطرابلس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١٥. أسلوب القسم الظاهر واجتماعه مع الشرط، لسامي عطا حسن ، نشر جامعة آل البيت، بالأردن.
١٦. الأسلوب الكنائي نشأته وتطوره وبلاغته، لمحمود السيد شيخون، نشر دار الهداية، بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
١٧. أسماء الله الحسنى، لعبد الله الغصن، نشر دار الوطن، بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١٨. الإشارات والتنبيهات، لابن سينا (ت:٤٢٨) تحقيق سليمان دنيا، نشر دار المعارف، بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.
١٩. الإشارات والتنبيهات، لمحمد الجرجاني، (ت:٩٢٧) تحقيق: عبد القادر حسني، دار النهضة، القاهرة.
٢٠. إشارة التعيين في تراجم النحاة والبلاغيين، لعبدالباقي اليماني (ت:٧٨٣) تحقيق عبدالمجيد ذياب، نشر مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢١. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للحافظ عزالدين ابن عبد السلام (ت:٦٦٠)، تحقيق رمزي سعد الدين دمشقية، نشر دار البشائر الإسلامية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٢. الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت:٧٧١)، دار الكتب العلمية، ببيروت.
٢٣. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعي، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١)، نشر دار الكتب العلمية ببيروت.
٢٤. الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد ، نشر دار الفكر، بدمشق، ١٩٩٨م.
٢٥. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، للأعلم الشمنتري، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار الجيل، ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٦. أضواء البيان في تفسير القران بالقران، لمحمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
٢٧. الإطناب في القرآن الكريم، لمختار عطية،نشر دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٨. إعجاز القرآن، لمحمد بن الطيب أبو بكر القاضي، المعروف بالباقلاني (ت:٤٠٣)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار الجيل، ١٤٢٦هـ.
٢٩. إعراب القرآن الكريم، لمحيي الدين درويش، نشر دار ابن كثير، بدمشق، الطبعة التاسعة، ١٤٢٤هـ.
٣٠. الأعلام، لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثامنة.
٣١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١)، تقديم طه عبدالرؤوف سعد، نشر دار الجيل للطباعة والنشر، ببيروت.
٣٢. الإمام في بيان أدلة الأحكام، للحافظ عزالدين ابن عبد السلام (ت:٦٦٠)، تحقيق رضوان مختار بن غريبة، دار البشائر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٣٣. أمثال القرآن لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١) تحقيق:ناصر بن سعد الرشيد، نشر مطابع الصفا بمكة المكرمة،الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
٣٤. الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله،لعبد الله الجربوع، نشر عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٣٥. إنباء الغمر بأبناء العمر، للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢) نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، ١٩٨٦م.
٣٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر ناصر الدين البيضاوي (ت:٦٨٥)، نشر دار الفكر، ببيروت.
٣٧. أنوار الربيع في أنواع البديع، لعلي صدر الدين معصوم المدني (ت: ١١٢٠)، تحقيق: شاكر هادي، نشر مطبعة النعمان، بالنجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.
٣٨. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين عبد الله الأنصاري (ت:٧٦١).
٣٩. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٤٠. إيضاح الإيضاح، جمال الدين الأقسرائي (ت:٨٣٤)، تحقيق: ميلاد إبراهيم القذافي، نشر دار ومكتبة الشعب، بليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٤١. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي (ت:١٣٣٩).

٤٢. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت:٧٣٩)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر مؤسسة المختار، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٣. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت:٣٧٥)، تحقيق: محمود مطرجي نشر دار الفكر ببيروت.

٤٤. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٤٥. البحر المحيط، لبدر الدين الزركشي (ت:٧٩٤)، راجعه عمر الأشقر، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٤٦. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأحمد بن محمد بن المهدي المعروف بابن عجيبة (ت:١٢٢٤)، تحقيق عبد السلام العمراني، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

٤٧. بحوث بلاغية، لأحمد مطلوب، نشر المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٦م.

٤٨. بحوث بلاغية، لأحمد مطلوب، نشر المجمع العلمي العراقي، ببغداد، ١٩٩٦م.

٤٩. بدائع الفوائد، لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١) نشر دار الكتاب العربي، ببيروت.

٥٠. البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤)، تحقيق الشيخ عبدالله التركي، نشر دار هجر، بالقاهرة.

٥١. البدر الطالع البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٠)، نشر دار المعرفة.

٥٢. البدهيات في القرآن الكريم، لفهد الرومي، نشر مكتبة التوبة، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٥٣. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، (ت: ٦٥٤) تحقيق: حنفي محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة.

٥٤. البديع بين المتقدمين والمتأخرين، لإبراهيم التلب، نشر دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٥. البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ (ت:٥٨٤)، تحقيق: عبده علي مهنا، نشر دار الكتب العلمية.

٥٦. البديع، لعبدالله بن المعتز (ت:٢٩٦)، شرح عبد المنعم خفاجي،نشر دار الجيل ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٥٧. البديعيات في الأدب العربي، لعلي أبو زيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٨. البرهان في أصول الفقه، لعبد الملك بن عبد الله أبو المعالي الجويني (ت:٤٧٨) تحقيق: عبد العظيم الديب، نشر دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

٥٩. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (ت:٧٩٤) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار عالم الكتب، بالرياض، الطبعة الأولي،١٤٢٤هـ.

٦٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروزبادي (ت: ٨١٧)، تحقيق محمد النجار، نشر المكتبة العلمية، ببيروت.

٦١. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي، نشر مكتبة الآداب، بالقاهرة ١٤٢٠ هـ.

٦٢. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، لعبد الرحمن الميداني، نشر دار القلم ، بدمشق ١٩٩٦م.

٦٣. بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، لعفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بمصر، ١٩٨١م.

٦٤. بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، بهجت عبد الواحد الشخيلي، نشر مكتبة دنديس بالأردن،: ١٤٢٢هـ.

٦٥. بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، لفتحي أحمد عامر، نشر منشأة المعارف، بالإسكندرية.

٦٦. البلاغة القرآنية دراسة في الصورة الفنية، محمد القاسم، نشر مكتبة الرشد، بالرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٦٧. البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، نشر دار المعارف، الطبعة الثامنة١٩٩٢م.
٦٨. البلاغة فنونها وأفنانها، لفضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٦٩. بلاغتي الكلمة والجملة، لمنير سلطان، نشر منشأة المعارف، بالإسكندرية، ١٩٧٧م.
٧٠. اللغة في تراجم أئمة اللغة، لمجد الدين محمد الفيروزبادي (ت:٧١٨) تحقيق محمد المصري، نشر مركز المخطوطات والتراث بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٧١. البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، طه حسين، طبعة دار الكتب المصرية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٧٢. البيان والتبيان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥) تحقيق: فوزي عطوي، نشر دار صعب، ببيروت.
٧٣. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥)، تحقيق عبد السلام هارون، نشر دار الجيل، ببيروت.
٧٤. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت:٨١٦)، دار الفكر.
٧٥. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣)، دار الكتب العلمية.
٧٦. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت: ١٢٣٧)، نشر دار الجيل ببيروت.
٧٧. تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد المراغي، نشر دار المعارف.
٧٨. تأويل مشكل القرآن، لمحمد بن عبد الله بن قتيبة أبو محمد الدينوري (ت:٢٧٦)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
٧٩. التبيان في أقسام القرآن، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي (ت:٥٩٧)، نشر دار الفكر، ببيروت.
٨٠. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لشرف الدين الطيبي (ت:٧٤٣)، تحقيق هادي الهلالي، نشر عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٨١. تحرير التحبير، لأبي محمد زكي الدين عبد العظيم المعروف بابن أبي الإصبع المصري (ت:٦٥٤)، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، تحقيق: حنفي محمد شرف.
٨٢. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣)، نشر دار سحنون بتونس.
٨٣. التسهيل في علوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت:٧٤١)، نشر دار الكتاب العربي، بلبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.
٨٤. التشريع والفقه في الإسلام، لمناع القطان، نشر مكتبة وهبة، بالقاهرة ١٣٩٧.
٨٥. التعريفات، لعلي الجرجاني (ت:٨١٦) تحقيق: إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٨٦. تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت:٢٩٤)، تحقيق: عبدالرحمن الفريوائي، نشر مكتبة الدار، بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٨٧. تفاسير آيات الأحكام، لعلي العبيد، نشر دار التدمرية، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
٨٨. تفسير ابن عرفة، لمحمد بن محمد بن عرفة (ت:٨٠٣)، تحقيق جلال الأسيوطي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
٨٩. التفسير البلاغي للاستفهام، لعبد العظيم المطعني، نشر مكتبة وهبة، بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٩٠. تفسير الجلالين، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، نشر دار الوطن، بالرياض، ١٤١٥هـ.
٩١. تفسير الجلالين المطبوع على حاشية الصاوي على الجلالين، لأحمد محمد الصاوي تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى.
٩٢. التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة (ت: ١٤٠٠) نشر دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٩٣. تفسير السمعاني، لأبي المظفر السمعاني (ت:٤٨٩)، تحقيق: ياسر إبراهيم وزميله، نشر دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٩٤. تفسير القرآن العظيم، لأبي الحسن علي علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٢)، تحقيق موسى مسعود وآخرون، نشر دار النشر للجامعات، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٩٥. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر المعروف بالحافظ ابن كثير الدمشقي (ت:٧٧٤)، تحقيق سامي السلامة، نشر دار طيبة، بالرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.

٩٦. التفسير القيم، لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١)، تحقيق محمد الفقي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.

٩٧. التفسير الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠)، تحقيق هشام البدراني، نشر دار الكتاب الثقافي، بالأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٩٨. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، لمساعد الطيار، نشر دار ابن الجوزي، بالدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩٩. تفسير المراغي، لأحمد المراغي (ت:١٣٧١)، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٠٠. التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

١٠١. التفسير الوجيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨)، دار الفكر.

١٠٢. تفسير جزء عم، لمحمد عبده (ت:١٣٢٣)، دار ومكتبة الهلال ١٩٨٥م.

١٠٣. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي (ت:٤١٦)، نشر دار عالم الكتب، ببيروت.

١٠٤. التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩)، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، نشر دار الكتاب العربي، ببيروت.

١٠٥. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد الأزهري (ت:٣٧٠)، تحقيق:محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

١٠٦. التوقيف على مهمات التعريف،لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الدية، نشر دار الفكر المعاصر، ببيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٠٧. تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٧٦)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، نشر مؤسسة الرسالة، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٠٨. جامع البيان في تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠)، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

١٠٩. الجامع لأحكام القران،لأبي عبد الله القرطبي (ت:٦٧١)، تحقيق: عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١١٠. الجملة العربية، لمحمد عبادة، مكوناتها وتحليلاتها، لمحمد إبراهيم عبادة، نشر مكتبة الآداب، ٢٠٠١م.

١١١. جواهر القرآن، لأبي حامد الغزالي، تحقيق محمد رشيد القباني، نشر دار إحياء العلوم، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١١٢. الجواهر المضيئة، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (ت: ١٢٠٦)، نشر دار العاصمة، بالرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

١١٣. جوهرة الكنز «تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة»، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (ت: ٧٣٧)، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، بدون بيانات نشر.

١١٤. حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي، لمصطفى بن إبراهيم المعروف بمصلح الدين بن التمجيد (ت:٨٨٦)، مطبوع بهامش حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١٥. حاشية الدسوقي على مختصر سعد التفتازاني، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت:١٢٣٠) مجموعة مع شروح التلخيص.

١١٦. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، الموسوم بـ عناية القاضي، وكفاية الراضي، للشهابالدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت: ١٠٦٩)، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١١٧. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، لأحمد الصاوي (ت:١٢٤١)، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١١٨. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، لإسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي (ت: ١١٩٥) تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت،الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١١٩. حاشية محيي الدين محمد مصلح شيخ زاده على تفسير البيضاوي (ت:٩٥١) تصحيح وضبط محمد عبد القادر شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٢٠. الحاوي للفتاوى، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١)، نشر دار الكتاب العلمية، ببيروت، ١٤٠٣هـ.

١٢١. حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لأبي الثناء شهاب الدين الحلبي (ت:٧٢٥)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

١٢٢. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبدالرزاق حسن البيطار، دار صادر ١٩٩٣م.

١٢٣. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لمحمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي (ت: ٣٨٨)، نشر دار الرشيد ١٩٧٩م.

١٢٤. الحيوان، لأبي عثمان بن عمرو الجاحظ (ت:٢٥٥)، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر دار الجيل، ١٤١٦هـ.

١٢٥. ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ودلالتها، علي العبيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى.

١٢٦. خزانة الأدب، ابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧)، تحقيق: عصام شعيتو، نشر دار ومكتبة الهلال، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

١٢٧. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، نشر مكتبة وهبة، بالقاهرة، ١٩٨٨م.

١٢٨. الخصائص لعثمان بن جني (ت:٣٩٢)، تحقيق: محمد علي النجار، نشر دار عالم الكتب، ببيروت.

١٢٩. الدر المصون في علم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦)، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٣٠. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة (ت:١٤٠٤)، نشر دار الحديث، بالقاهرة ١٤٢٥هـ.

١٣١. دراسة وتحقيق:يوسف الشيخ محمد البقاعي، نشر دار الفكر.
١٣٢. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبدالله محمد المعروف بالخطيب الأسكافي (ت:٤٢٠)، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، نشر معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٣٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: ٨٥٢)، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م.
١٣٤. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣)، نشر دار ابن تيمية، القاهرة.
١٣٥. دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١)، تحقيق: الشيخ محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي، بالقاهرة.
١٣٦. ديوان المتنبي، لأبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن (ت: ٣٥٤)، نشر دار صادر ببيروت.
١٣٧. ديوان أبو نواس الحسن بن هاني (ت: ١٩٨)، نشر جامعة بغداد، ببغداد ١٩٨٠م.
١٣٨. ديوان الأخطل،أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت (ت:٩٠)، صناعة السكري، تحقيق فخري قباوة، نشر دار الفكر المعاصر، ببيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ.
١٣٩. ديوان الإسلام في التاريخ وتراجم الرجال، لمحمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين الغزي (ت:١١٦٧) نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، ١٩٩٠م.
١٤٠. ديوان الحطيئة أبو مليكة جرول بن أوس (ت:٤٥) برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: نعمان محمد أمين، نشر مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٤١. ديوان الخنساء تماضر بنت عمرو (ت:٢٤)، شرح ثعلب أبو العباس، تحقيق د. أنور أبو سويلم، نشر دار عمار، بالأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
١٤٢. ديوان الفرزدق همام بن غالب، تقديم علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٣. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل، نشر دار المعارف، بالقاهرة، الطبعة الخامسة.
١٤٤. ديوان بديع الزمان الهمداني، لأبي الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد (ت: ٣٩٨)، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت ١٩٨٧م.

١٤٥. ديوان جرير بن عطية الخطفي (ت:١١٠)، اعتنى به حمدُ وطميس، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ.

١٤٦. ديوان ذي الرُّمة، أبو الحارث غيلان بن عقبة (ت: ١١٧) شرح أبي نصر الباهلي، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٤٧. ديوان زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، نشر دار الجيل، ببيروت ١٩٩٢م.

١٤٨. ديوان طرفة بن العبد،شرح الأعلم الشنتري، تحقيق الدكتور رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٤٩. ديوان عبد الله بن المبارك (ت: ١٨١)، تحقيق سعد الفقي، نشر دار اليقين، بالمنصورة.

١٥٠. ديوان علي بن محمد التهامي، نشر دار ومكتبة الهلال بالقاهرة، ١٩٨٦م.

١٥١. ديوان كثير عزة، قدم له مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

١٥٢. الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤)، تحقيق: خالد العلمي، وزهير الكعبي، نشر دار الكتاب العربي، ببيروت.

١٥٣. رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، لعز الدين عبدالرزاق الرسعني (ت:٦٦١)، تحقيق عبدالملك بن دهيش، نشر مكتبة الأسدي، بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٥٤. روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي الإسلامبولي (ت: ١١٢٧)، ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٥٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي شهاب الدين الألوسي (ت:١٢٧٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

١٥٦. الروض الريان في أسئلة القرآن، لشرف الدين الحسين بن الريان (ت:٧٧٠)، تحقيق: عبدالحليم السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى.

١٥٧. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت: ٥٩٧) تحقيق: عبدالرزاق المهدي، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٥٨. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبدالله النجدي (ت: ١٢٩٥)، نشر مؤسسة الرسالة، ببيروت، ١٩٩٦م.

١٥٩. سر الفصاحة، لمحمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت:٤٦٦)، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، نشر مكتبة محمد علي صبيح، بالقاهرة، ١٣٧٢هـ.
١٦٠. السراج المنير، للخطيب الشربيني (ت:٩٧٧)، نشر دار إحياء التراث العربي، ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٦١. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل محمد خليل المرادي (ت: ١٢٠٦)، نشر دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨م.
١٦٢. سنن الترمذي (الجامع المختصر من السنن عن الرسول ﷺ ومعرفة الصحيح من المعلول، وما عليه العمل)، للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩)، تحقيق أحمد شاكر، نشر دار إحياء التراث العربي، ببيروت.
١٦٣. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد النسائي (ت:٣٠٣) ، تحقيق عبد الغفار البنداري، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
١٦٤. سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد، صلاح عبدالفتاح الخالدي، نشر دار القلم، بدمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
١٦٥. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، ببيروت الطبعة الثانية،١٤٠٢هـ.
١٦٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لشهاب الدين عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩)، نشر دار الآفاق، بيروت.
١٦٧. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (ت:٤١٤)، نشر مكتبة وهبة، بالقاهرة.
١٦٨. الشرح الصغير، لمسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين للتفتازاني (ت:٧٩١)، شروح التلخيص، دار الهادي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.
١٦٩. شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن عثيمين (ت:١٤٢١)، نشر دار الثريا، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
١٧٠. شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، تأليف محمد خليل هراس، نشر دار الثقافة، مكة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
١٧١. شرح ألفية ابن مالك، لابن الناظم، دار الكتاب المصري، ١٩٩٩م.

١٧٢ . شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلبي (ت: ٦٨٦)، تحقيق د: نسيب نشاوي، نشر مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق ١٤٠٢هـ.

١٧٣ . شرح المفصل، لابن علي بن يعيش النحوي (ت:٦٤٣)، عالم الكتب، بيروت.

١٧٤ . شرح عقود الجمان، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت:٩١١)، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر.

١٧٥ . شرح كافية ابن الحاجب، بدر الدين بن جماعة، تحقيق د.محمد داود، نشر دار المنار.

١٧٦ . شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت:٤٥٨)،تحقيق:محمد السعيد بسيوني، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٧٧ . الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لأحمد بن مصطفى المعروف بطاشكبري زاده (ت:٩٦٨)، نشر دار الفكر، ببيروت.

١٧٨ . الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس الرازي المعروف بابن فارس (ت:٣٩٥)، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، نشر مكتبة المعارف، ببيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٧٩ . صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦)، رتبه محمد فؤاد عبدالباقي، واعتنى به: محمود جميل، نشر دار البيان الحديثة، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٨٠ . صحيح مسلم مع شرح النووي، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١)، نشر دار إحياء التراث العربي، ببيروت.

١٨١ . صفوة الآثار والمفاهيم، لعبد الرحمن محمد الدوسري (ت:١٣٩٩)، دار المغني، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٨٢ . طبقات الشافعية، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي (ت:٧٧١) تحقيق عبدالفتاح الحلو، نشر دار إحياء التراث.

١٨٣ . طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد المعروف بابن قاضي شهبة (ت:٧٧٩) تحقيق: د. الحافظ عبد العليم، نشر عالم الكتب، ببيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٨٤ . طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان الخزي، نشر مكتبة العلوم والحكم، بالسعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٨٥. طبقات المفسرين، لجلال الدين السيوطي (ت:٩١١)، تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة، بالقاهرة.
١٨٦. طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي (ت:٩٤٥)، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت.
١٨٧. طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي (ت:٣٧٩)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف بمصر.
١٨٨. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي (ت: ٧٤٥) مراجعة وضبط محمد عبدالسلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت.
١٨٩. طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٩٠. ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، لمحمد الواسطي، نشر دار نشر المعرفة، بالرباط، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م. عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الجيل، ببيروت.
١٩١. العبر في خبر من غبر، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨)، تحقيق صلاح الدين المنجد، نشر الأوقاف الكويتية، ١٩٨٤م.
١٩٢. عرائس البيان في حقائق القرآن، لأبي محمد صدر الدين روزبهان البقلي (ت: ٦٠٦)، تحقيق أحمد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
١٩٣. عروس الأفراح لأبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي (ت:٧٧٣) (مع شروح التلخيص) دار الهادي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.
١٩٤. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت:٣٢٨)، شرحه وضبطه إبراهيم الأبياري نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
١٩٥. العقيدة الطحاوية شرح صدر الدين علي بن العز الحنفي (ت:٧٩٢)، تحقيق أحمد شاكر، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، بالمملكة العربية السعودية.
١٩٦. علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة) لبسيوني عبد الفتاح فيود، نشر مؤسسة المختار، بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
١٩٧. علم البديع، لعبد العزيز عتيق، نشر دار النهضة العربية، ببيروت، ١٤٠٥هـ.

١٩٨. علم المعاني، لعبد العزيز عتيق، نشر دار الآفاق العربية، بالقاهرة، ١٤٢٤هـ.

١٩٩. علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله البسام (ت:١٤٢٣)، نشر دار العاصمة، بالرياض، ١٤١٩هـ.

٢٠٠. علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢م.

٢٠١. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٠٢. العمدة في صناعة الشعر ونقده، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني (ت:٤٥٦) تحقيق: النبوي عبدالواحد شعلان، نشر مكتبة الخانجي، بالقاهرة.

٢٠٣. عيون التفاسير، لشهاب الدين السيواسي (ت:٦٨٠)، تحقيق بهاء الدين دارشا، دار صادر ١٤٢٧هـ.

٢٠٤. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي نشر دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٢٠٥. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري (ت: ٧٢٨)، تحقيق: زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢٠٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢)، نشر دار السلام، تحقيق الشبل، بالرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ.

٢٠٧. فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسين بن علي القنوجي (ت: ١٣٠٧) نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٠٨. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت:٩١٠) تحقيق محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الأولى.

٢٠٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٠)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، نشر دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٢١٠. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل (ت:١٢٠٤) تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٢١١. فضائل القرآن للقاسم بن سلام، نشر دار ابن كثير، بدمشق، ١٩٩٥م.
٢١٢. الفقه الإسلامي وأدلته، لوهبة الزحيلي، نشر دار الفكر، ببيروت،الطبعة الرابعة.
٢١٣. فقه اللغة، لعلي عبد الواحد وافي، نشر دار نهضة مصر بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٣٩٣هـ.
٢١٤. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن،المنسوب لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم (ت:٧٥١)، نشر مكتبة الهلال، ببيروت.
٢١٥. فوائد مشكل القرآن، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت:٦٦٠)، تحقيق: سيد رضوان، دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
٢١٦. فوات الوفيات،لمحمد شاكر الكتبي (ت:٧٦٤)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الثقافة.
٢١٧. في ظلال القرآن، لسيد قطب (ت:١٣٨٧)، نشر دار الشروق، ببيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٠٨هـ.
٢١٨. قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي طاهر البغدادي (ت:٥١٧)، تحقيق: محسن غياض عجيل، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
٢١٩. قواعد التدبر الأمثل، لعبد الرحمن الميداني، نشر دار القلم، بدمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٢٢٠. قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، نشر دار القاسم، بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢٢١. قواعد التفسير، لخالد السبت، نشر دار ابن عفان، بالقاهرة، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ.
٢٢٢. القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، لعبد الرحمن السعدي (ت:١٣٧٦)، اعتناء خالد السبت نشر دار ابن الجوزي، بالدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٢٣. القول البديع في علم البديع، لمرعي الحنبلي (ت:١٠٣٣)، تحقيق:محمد الصامل، دار كنوز أشبيليا، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٢٤. الكامل في الأدب، لأبي العباس المبرد (ت: ٢٨٥)، نشر مطبعة دار نهضة بمصر، القاهرة.

٢٢٥. كتاب الصناعتين، لأبي هلال الحسن العسكري (ت:٣٩٥)، تحقيق: مفيد قمحة، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٢٢٦. الكتاب،لأبي بشر عمرو عثمان بن عمر المعروف بسيبوية (ت: ١٨٠) تحقيق:

٢٢٧. كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد بن علي التهانوي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢٢٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري (ت:٥٣٨) تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة، ١٤١٥هـ.

٢٢٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الحنفي (ت: ١٠٦٧) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٣٠. الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت: ٤٢٧) تحقيق: محمد بن عاشور، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٣١. كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، لضياء الدين ابن الأثير (ت:٦٣٧)، تحقيق: نوري القيسي، وحاتم الضامن وزملائهم، منشورات جامعة الموصل.

٢٣٢. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت:١٠٩٤)، اعتنى به عدنان درويش، نشر مؤسسة الرسالة، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٢٣٣. الكناية، لمحمد جابر فياض، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٣٤. لباب التأويل، لعلاء الدين محمد بن إبراهيم الخازن (ت:٧٤١)، نشر دار الفكر، ببيروت ، ١٣٩٣هـ.

٢٣٥. اللباب في علوم الكتاب، لحفص عمر بن علي بن سراج الدين الدمشقي، المعروف بابن عادل الحنبلي (ت: ٨٨٠)، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد وآخرون، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٣٦. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور (ت:٧١١)، نشر دار صادر ببيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ.

٢٣٧. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
٢٣٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، (ت: ٦٣٧) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،نشر المكتبة العصرية، ببيروت،١٤٢٠هـ.
٢٣٩. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت:٢١٠)، تحقيق: محمد فؤاد الخانجي، نشر دار المعرفة.
٢٤٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، بالمملكة الغربية السعودية، ١٤١٦هـ.
٢٤١. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مؤسسة التاريخ العربي، ببيروت ١٤٢٢هـ.
٢٤٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية (ت:٥٤١)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٢٤٣. المحصول في علم الأصول، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦)، تحقيق: طه جابر العلباني، نشر مطبعة الفرزدق، بالرياض ١٣٩٩ هـ.
٢٤٤. مدارج السالكين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت:٧٥١)، تحقيق: محمد الفقي، نشر دار الكتاب العربي، ببيروت.
٢٤٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل،لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت:٧١٠) نشر دار الكتب العلمية، ببيروت.
٢٤٦. المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة والجماعة، لمحمد بن علي الصامل، نشر كنوز إشبيليا، بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
٢٤٧. مراتب النحويين عبد الواحد بن علي العسكري، الحلبي المعروف بابي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي.
٢٤٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت:٩١١)، تحقيق فؤاد علي منصور، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢٤٩. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥)، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت،الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٥٠. المستقصي في الأمثال، جار الله الزمخشري (ت:٥٣٨)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٢٥١. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١)، شرح أحمد شاكر، نشر دار الحديث، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٥٢. المشترك اللفظي في الحقل القرآني، لعبد العال مكرم، نشر مؤسسة الرسالة، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٥٣. المصباح، لمحمد بن محمد ابن الناظم (ت: ٦٨٦)، تحقيق:حسني عبد الجليل يوسف، نشر مكتبة الآداب، بالقاهرة.

٢٥٤. المصطفى من تفسير آيات الأحكام، لفريد سليمان،نشر مكتبة ابن خزيمة، بالرياض، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ.

٢٥٥. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض القوزي، نشر عمادة المكتبات، جامعة الرياض، جامعة الملك سعود حالياً، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٢٥٦. معارج التفكير ودقائق التدبير، لعبد الرحمن الميداني، نشر دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٥٧. معالم الكتابة ومغانم الإصابة، جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن حسين بن شيث القرشي الأموي (ت:٦٢٨)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٥٨. معالم في تاريخ البلاغة، لمحمد علي سلطان، دار المحبة، ٢٠٠٠م.

٢٥٩. معاني القرآن،لأبي زكريا يحيى الفراء (ت: ٢٠٧)، تحقيق:أحمد نجاتي، نشر دار السرور، بدون بيانات نشر.

٢٦٠. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت:٣١١) ، تحقيق: عبدالجليل شلبي، نشر دار الحديث، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢هـ.

٢٦١. معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥)، تحقيق: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى.

٢٦٢. معاني القرآن، لأحمد بن محمد أبو جعفر النحاس (ت:٣٨٨)، تحقيق: يحيى مراد، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

٢٦٣. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر عالم الكتب، ببيروت.

٢٦٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن،لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت:٩١١)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٦٥. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، لعوّاد بن عبد الله المعتق نشر مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ

٢٦٦. معجم الأدباء وأسمه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب». لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦) نشر دار الفكر، الطبعة الثالثة،١٤٠٠هـ.

٢٦٧. المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت:٣٦٠)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٦٨. معجم البلاغة العربية، لبدوي طبانة، نشر دار ابن حزم، ببيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

٢٦٩. معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، عبد الغني الدقر، نشر دار القلم، بدمشق ١٩٩٣م.

٢٧٠. معجم المؤلفين، عمر كحالة، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م.

٢٧١. معجم المفسرين، لعادل النويهض، نشر مؤسسة نويهض للثقافة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٢٧٢. المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٢٧٣. معجم مقاليد العلوم، لجلال الدين السيوطي (ت:٩١١)، تحقيق: محمد عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٧٤. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،لجمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت:٧٦١) تحقيق: مازن مبارك نشر دار الفكر، ببيروت،الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

٢٧٥. المغني، لعبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠) نشر دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م.

٢٧٦. مفاتيح الغيب المعرف بـ(التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦)، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٢٧٧. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي (ت:٦٢٦)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت١٤٢٠هـ.

٢٧٨. المفردات في غريب القرآن، لحسين بن محمد المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢)، نشر دار المعرفة، ببيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ.

٢٧٩. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥)، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر دار الفكر، بمصر، ١٣٩٩هـ.

٢٨٠. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت:٨٠٨)، نشر دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.

٢٨١. الملل والنحل، لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت:٥٤٨)، نشر دار المعرفة، بيروت ١٤٠٤هـ.

٢٨٢. من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، بالقاهرة، الطبعة السابعة ١٩٨٥م.

٢٨٣. من بلاغة القرآن، لأحمد بدوي، نشر دار نهضة مصر، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٢٨٤. من بلاغة القرآن، لأحمد بدوي، نشر دار نهضة مصر، بالقاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٢٨٥. من قضايا المصطلح اللغوي العربي، لمصطفى الحيادرة، نشر مكتبة عالم الكتب، بالإربد، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٨٦. مناهج البحث في المصطلح من خلال كتابات الرازي، لعبد العزيز المطار، نشر مطبعة المناهج، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢٨٧. مناهج بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات العراقية، ١٩٧٦م.

٢٨٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧) نشر دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٨٩. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نشر دار صادر، بيروت.
٢٩٠. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي القاسم محمد السجلماسي (ت: ٧٠٨)، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، بدون بيانات نشر.
٢٩١. منهج الإمام ابن القيم الجوزي في شرح أسماء الله الحسنى، لمشرف بن علي الغامدي، نشر دار ابن الجوزي، بالرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ.
٢٩٢. مواد البيان، لعلي بن خلف الكاتب (ت:٤٠٧)، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح بطرابلس، ١٩٨٢م.
٢٩٣. مواهب الفتاح، للعباس أحمد ابن يعقوب المغربي (ت:١١١٠)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، نشر المكتبة العصرية، ببيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ.
٢٩٤. الموسوعة الفلسفية، لعبد الرحمن بدوي، نشر المؤسسة العربية للدراسات، ببيروت.
٢٩٥. موسوعة مصطلحات علوم القرآن، اعتناء عبد الحليم عويس وآخرون، نشر دار الوفاء، بالمنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٢٩٦. النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، لابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت: ٨٧٤)، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، ١٩٩٢م.
٢٩٧. النحو الوافي مع ربطة بالأساليب الرفيعة، حسن عباس، نشر دار المعارف، ١٩٨١م.
٢٩٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن إبراهيم برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
٢٩٩. نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المرزية بالعقول الجوهرية، لعبد الغني النابلسي، نشر عالم الكتب، ببيروت.
٣٠٠. نقد الشعر لابن قدامة، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة.
٣٠١. نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والحكم، للحافظ القصاب الكرجي (ت:٣٦٠) تحقيق إبراهيم الجنيدل ومجموعة من طلاب العلم، نشر دار ابن القيم، بالدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٠٢. النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله، وزميله، نشر دار المعارف، بمصر، الطبعة الثالثة.

٣٠٣. النكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت.

٣٠٤. نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري (ت:٧٣٣)، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٠٥. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦) تحقيق د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

٣٠٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك محمد ابن الجرزي (ت:٦٠٦) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت.

٣٠٧. النهر الماد من البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥)، تحقيق: د. عمر الأسعد، نشر دار الجيل، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٠٨. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لأسماعيل باشا البغدادي، المكتبة الإسلامية، ١٩٥٧م.

٣٠٩. الوساطة بين المتنبي وخصومة، لعلي بن عبد العزيز الجرجاني (ت:٣٩٢) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر المكتبة العصرية، ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٣١٠. الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي، نشر دار نهضة مصر، بالقاهرة، ١٩٩٨م.

٣١١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان (ت:٦٨١)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر.

المجلات والدوريات:

٣١٢. من صور الإطناب التكميل والتتميم، عبد الله هنداوي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد السابع عشر، ١٩٩٧م-١٤١٧هـ.

٣١٣. بحث الاحتراس في ضوء القرآن الكريم، قاسم إسماعيل خليفة، وقد ركّز الباحث في بحثه على جميع الآيات التي وقع فيها الاحتراس، بغضّ النظر عن دراستها دراسة بلاغية.

٣١٤. نظرية المعنى عند قدامة بن جعفر، الدكتور عايش الحسن، مجلة تشريف للدراسات.

فهرس الموضوعات

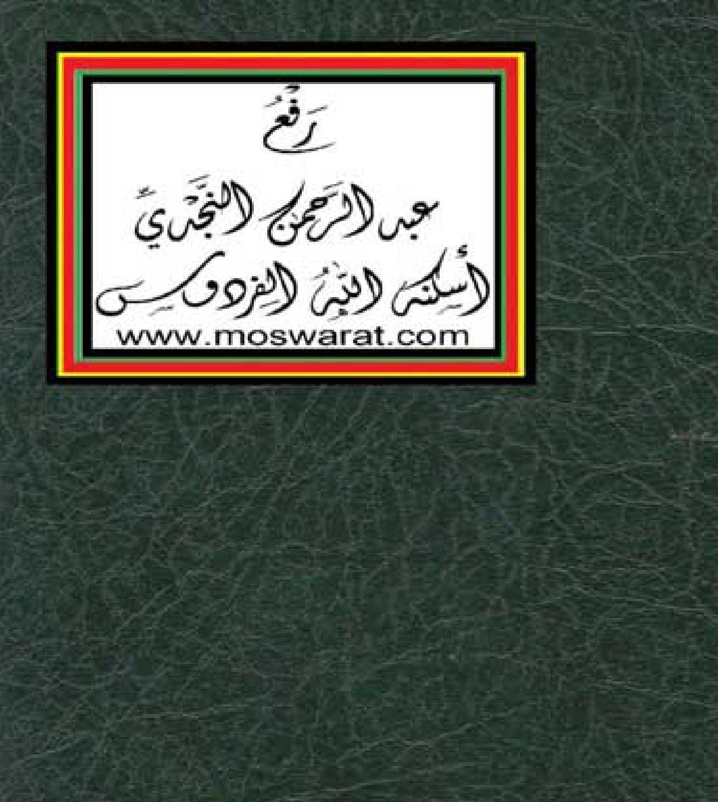
الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
تقديم فضيلة الدكتور صالح العايد	٤
المقدمة البحث.	٦
الباب الأول: الدراسة النظرية للاحتراس.	١٩
الفصل الأول: مقدمات في الاحتراس.	٢١
المبحث الأول: الاحتراس في اللغة.	٢٣
توطئة.	٢٥
المطلب الأول: تعريف الاحتراس.	٢٦
المطلب الثاني: نظائر احتراس.	٣٠
المطلب الثالث: أشباه الاحتراس وعلاقته بها.	٤٥
المبحث الثاني: نشأة الاحتراس وتطوره.	٥٩
المطلب الأول: نشأة الاحتراس وتطوره عند اللغويين.	٦١
المطلب الثاني: نشأة الاحتراس وتطوره عند المفسرين .	٨٣
المبحث الثالث: الاحتراس عند المصنفين في علوم القرآن والبلاغة.	١٢٩
المطلب الأول: المصنفون في البلاغة.	١٣١
المطلب الثاني: المصنفون في علوم القرآن.	١٦١
الفصل الثاني: الاحتراس في دراسات اللغويين.	١٧٣
المبحث الأول: عناية اللغويين بالبلاغة القرآنية.	١٧٥

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: مواقع الاحتراس النحوية مع ما قبله وما بعده.	١٨٩
المبحث الثالث: علاقة الاحتراس بالإطناب وأنواعه.	٢١١
المبحث الرابع: علاقة الاحتراس ببقية فنون البلاغة.	٢٣٨
الفصل الثالث: الاحتراس في القران الكريم.	٢٧١
المبحث الأول: أنواع الاحتراس في القرآن الكريم.	٢٧٣
المبحث الثاني: أغراض الاحتراس في القرآن الكريم.	٢٩١
المبحث الثالث: القيمة الفنية للاحتراس.	٣٠٩
الباب الثاني: الدراسة التحليلية للآيات التي وقع فيها الاحتراس.	٣٢٤
الفصل الأول: الاحتراس في أمور الاعتقاد.	٣٢٥
المبحث الأول: الاحتراس في آيات التوحيد.	٣٢٦
توطئة:	٣٢٧
المطلب الأول: الاحتراس في الأسماء والصفات.	٣٢٨
المطلب الثاني: تذييل الآيات القرآنية بالأسماء الحسنى ودلالاتها.	٤١٨
المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الأسماء والصفات.	٤٣٨
المبحث الثاني: الاحتراس في آيات اليوم الآخر.	٤٤٠
المطلب الأول: الاحتراس في اليوم الآخر في القرآن الكريم.	٤٤١
المطلب الثاني: الاحتراس في وصف الجنة ونعيمها.	٤٥٦
المطلب الثالث: الاحتراس في وصف النار وعذابها.	٤٨١
المطلب الرابع: مقاصد الاحتراس في اليوم الآخر.	٤٩٦
المبحث الثالث: الاحتراس في آيات النبوة والأنبياء.	٥٠١

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: الاحتراس في إثبات النبوة والرسالة.	٥٠٣
المطلب الثاني: الاحتراس في قصص الأنبياء ودعوتهم.	٥٣٦
المطلب الثالث: الاحتراس في أخبار الأمم السابقة.	٥٩٩
المطلب الرابع: مقاصد الاحتراس في آيات النبوة والأنبياء	٦٣٨
الفصل الثاني: الاحتراس في آيات الأحـكام والآداب والأمثال.	٦٤٧
المبحث الأول: الاحتراس في آيات الأحكام.	٦٤٩
المطلب الأول: آيات الأحكام في القرآن الكريم.	٦٥١
المطلب الثاني: الاحتراس في آيات الأحكام.	٦٦١
المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في الأحكام.	٧٢٥
المبحث الثاني: الاحتراس في آيات الآداب القولية.	٧٣١
المطلب الأول: الآداب القولية في القرآن الكريم.	٧٣٣
المطلب الثاني: الاحتراس في آيات الآداب القولية في القرآن الكريم.	٧٤٥
المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الآداب القولية.	٧٧١
المبحث الثالث: الاحتراس في آيات الأمـثال.	٧٧٥
المطلب الأول: الأمثال في القرآن الكريم.	٧٧٧
المطلب الثاني: الاحتراس في آيات الأمـثال	٧٨٢
المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات الأمـثال.	٨١٠
المبحث الرابع: الاحتراس في آيات القسم.	٨١٣
المطلب الأول: القسم في القرآن الكريم.	٨١٥
المطلب الثاني: الاحتراس في آيات القسم	٨٢١
المطلب الثالث: مقاصد الاحتراس في آيات القسم	٨٢٤

الموضوع	الصفحة
الخاتمة	٨٢٥
الفهارس	٨٢٩
فهرس الآيات القرآنية.	٨٣١
فهرس الأحاديث النبوية.	٨٧٧
فهرس الكلمات الغريبة.	٨٨٠
فهرس الأبيات الشعرية.	٨٨١
المصادر والمراجع.	٨٨٤
فهرس الموضوعات.	٩٠٨




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com